أطلس

تاريخ الدولة العباسية

طبيعة الدعوة العباسية

العلاقات مع البيزنطيين

الدول التابعة والمستقلة

الحركات الداخلية

نشأة المذاهب والفرق

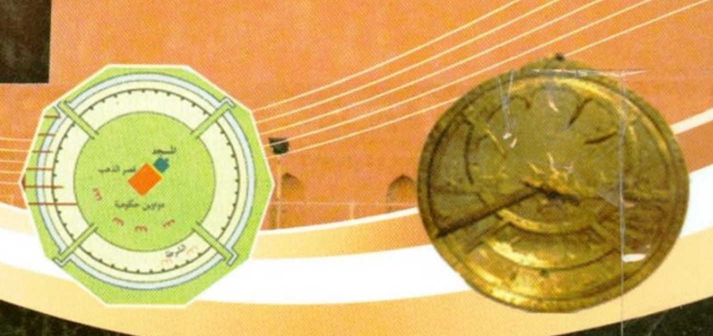
الحضارة الإسلامية

الحروب الصليبية

الغزو المغولي

تأليف وتصميم

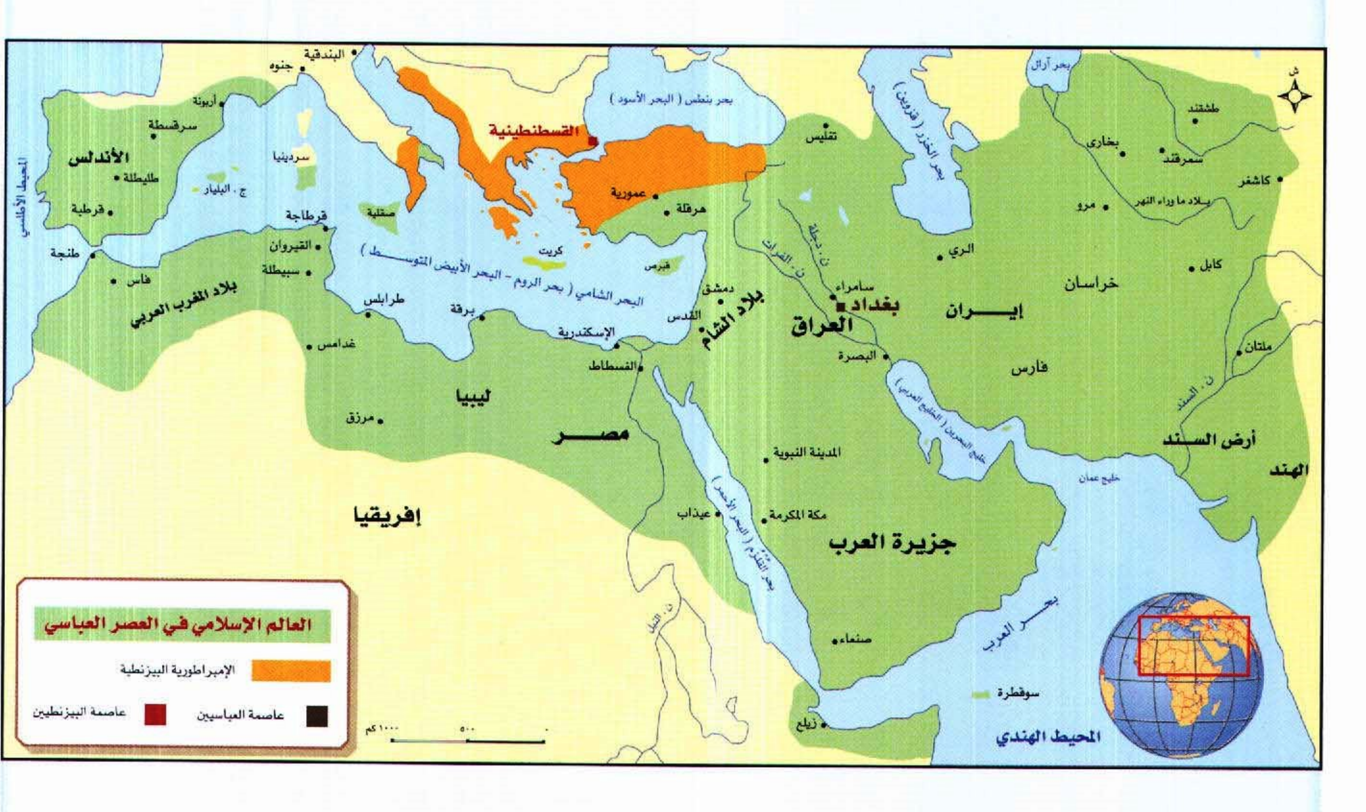
سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث



العبيكان
obeikan

أطلس

تاريخ الدولة العباسية



تأليف وتصميم

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

العبيكان
obeikan

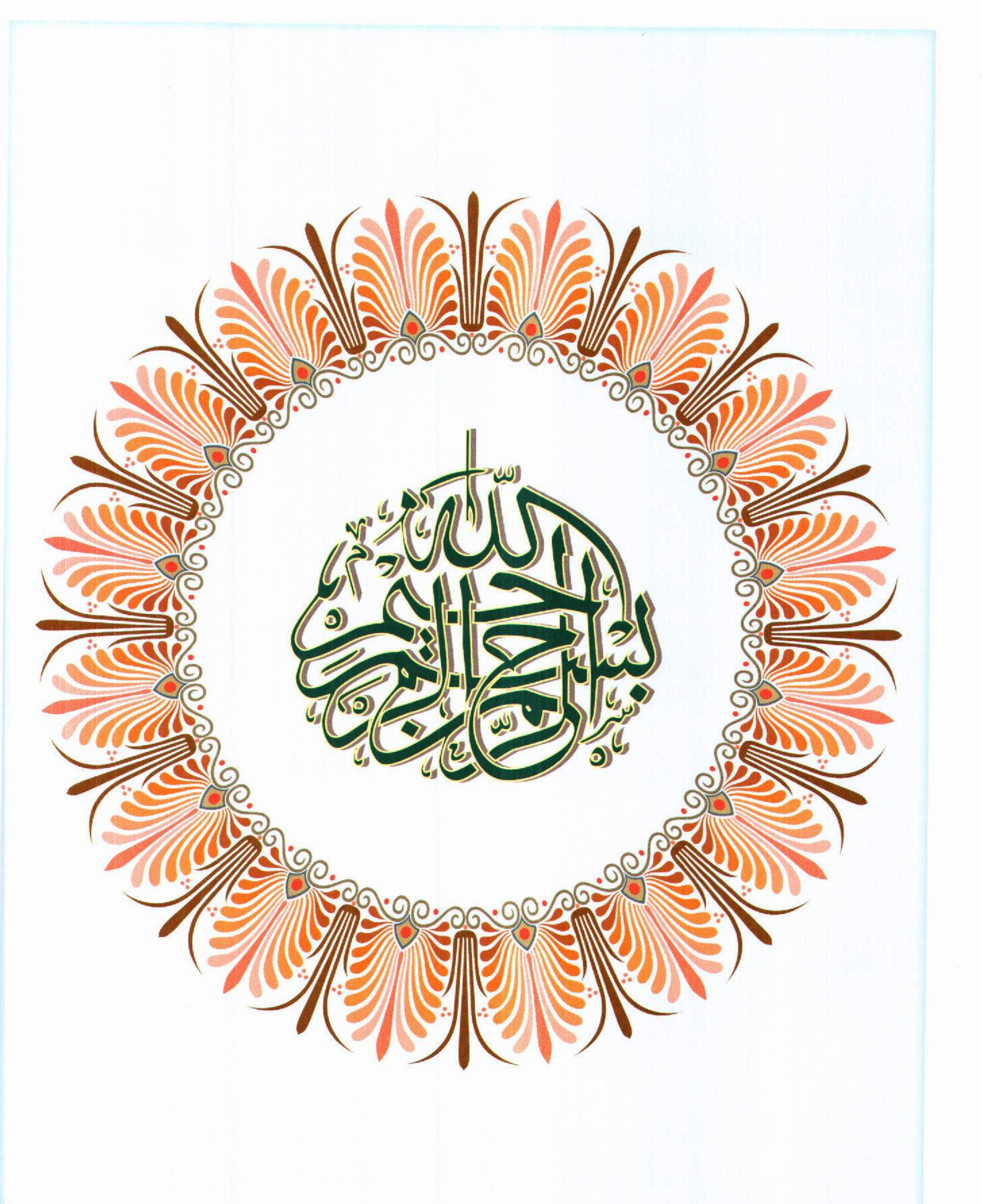
ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المغلوث، سامي عبدالله
أطلس تاريخ الدولة العباسية./ سامي عبدالله المغلوث. - الرياض، ١٤٣٣هـ
٥١٨ ص ٢١ × ٢٩سم
ردمك: ٥-١٨٧-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١- الدولة العباسية أ- العنوان
ديوي ٩٥٣,٠٤ رقم الإيداع: ١٤٣٣/٣٤٢

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م

الناشر: العبيكان للنشر
الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول
هاتف 4808654 **فاكس** 2543314 **ص. ب** 67622 **الرمز** 11517
موقعنا على الإنترنت
www.obeikanpublishing.com
متجر العبيكان على أبل
http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

التوزيع: مكتبة العبيكان
الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف 4160018 /4654424 **فاكس** 4650129
ص. ب 62807 **الرمز** 11595


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لم يعترض العباسيون الهاشميون على تولية معاوية بن أبي أسفيان - رضي الله عنه - سدة الخلافة في الدولة الأموية، فقد قاموا بمبايعته فور توليه الخلافة، وأوضح من هذا أن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - (ترجمان القرآن)، قد بايع يزيد بن معاوية بولاية العهد في حياة أبيه وفور توليه الحكم، وظلت العلاقة الحميمة رابطة بين أبناء العمومة. فقد أوصى عبد الله بن عباس ابنه علياً بإتيان الشام والتنحي عن سلطان ابن الزبير إلى سلطان عبد الملك، ولما توفي أبوه عمل بوصيته ورحل إلى الشام واستقبله عبد الملك واحتفى به، وكان يجلسه على سريره إذا دخل ويحادثه ويسامره وكان يرعاه، ويقضي حوائجه ويقبل شفاعته. وحينما علم الوليد بن عبد الملك في خلافته أن علياً يطلب الخلافة ويتنبّأ بانتقالها إلى بنيه ضيّق عليه ونال منه وشهّر به، وطرده من بلاد الشام، وقد انحطت منزلة علي بن عبد الله في عهد الوليد، وساءت حاله واضطربت، وقد التمس الوليد الأسباب للانتقام منه، وجاوز القصد في ردعه ومعاقبته فنفاه. وفي خلافة سليمان بن عبد الملك ردّه إلى دمشق، وأخلى سبيله، وأزال عنه ما لحق به من ظلم وهوان وربما اعتذر إليه من إيذاء الوليد له، وتنكيله به، وجوره عليه، وأنصفه وتألفّه فصلحت حاله واستقامت، ورجع إلى الحُميمة، فأقام بها حُراً عزيزاً، وعاود فيها نشاطه لا رقيب له ولا حسيب عليه إلا الله - سبحانه وتعالى - وتذكر بعض الروايات[1]: (أن سليمان بن عبد الملك انتهز النزاع الذي كان بين علي وبين سليط بن عباس فاتهم الأول بالمشاركة في قتل الثاني وحبسه وضربه بالسياط، ولم يكتف بهذا وحسب، وإنما حرم عليه مساكنته في دمشق، وأنزله هو وأهل بيته في قرية اسمها الحميمة، وسار هشام بن عبد الملك مع العباسيين سيرة أخيه سليمان، فاتهم علياً بطلب الخلافة، وأمر به فضرب بالسياط بين يديه. وهكذا ساءت العلاقة بين العباسيين، وبين البيت المرواني، وباتت تنذر بالشر، وترهص بالخطر).

بيد أن خلافة عمر بن عبد العزيز تركت مساحة كبيرة من العدل والحرية فأمر بالكف عن اضطهاد بني هاشم، وقسم فيهم سهم ذي القربى، فانتعشوا وكتبوا إليه يشكرون له ما فعله من صلة أرحامهم. وأخذ علي ابن عبد الله بن العباس ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يُدافعان عنه ويدافعان الناس في اغتيابه. ولما تولى هشام اعتنى بعلي بن عبد الله بن العباس، وأحسن إليه، فكان يتهلّل له ويدنيه ويحمل عنه دُيونه إذا وفد عليه، وصبر على نشاطه السياسي وتغافل عنه وتغاضى عن أمله في الخلافة، واستهان بعمله للفوز به، حتى أخطأ في تقدير خطره وقصّر عن إدراك تهديده لملك بني أمية إذ كان يهزأ بما يبلغه من أخبار نزوعه إلى الخلافة، ويستخف بتوقعه لتحولها إلى بيته، وكان ينسب ذلك إلى فساد عقله وضعف رأيه وأضغاث أحلامه في شيخوخته. ويرى بعض المؤرخين أن علي بن عبد الله بن العباس

---

١ - د. إكرام الحجيلان، الدعوة العباسية ودور العرب فيها، ص ٣٣ - ٣٤ ؛ نقلاً عن المقريزي في التنزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم ص ١٥ .

كان أوّل من تمنَّى الخلافة من بني العباس وشـرع في تأسـيس الدعوة لهم على انتقال الخلافة إليهم، وأظهر ذلك وجهر به. وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قدم على سـليمان بن عبد الملك بدمشـق، فأكرمه وأجازه، وسـار أبو هاشم يريد فلسـطين أو الحجاز، فمرض في الطريـق وأحسَّ بالمـوت، ولم يكن له ولد، فعـدل إلى **الحُميَمةِ**، ونـزل على محمد بن علي، فأوصـى إليه بالإمامـة وسـلم إليـه كُتُب الدُّعاة وأوقفه على ما يعمل به، وصـرف شـيعته إليه وأمرهم بالسـمع له، وأعلمه أن الخلافة في ولده عبد الله بن الحارثية، وسواء أكانت وصية أبي هاشم صحيحة أم موضوعة، فـإن بني العباس وشـيعتهم اعتمـدوا عليها في تقرير حقهم في الخلافـة، ولم يزالوا يذكرون أن الخلافة أتتهم من جهتها إلى أيام أبي جعفر المنصـور . وليس من الثابت أن سـليمان بن عبد الملك راعه ذكاء أبي هاشم فخافه وفزع منه، ولا أنه أنفذ له من سَمَّهُ بعد أن رحل عنه وإنما مات حتف أنفه [١].

وقـد أكـد جماعة من المؤرخين تحول دعوة أبي هاشـم عبد الله بن محمد ابن الحنفيـة إلى العباسيين والتي عمل من أجلها حوالي سبع عشرة سنة، واستقطب فيهـا كبـار الشـيعة العلويـة من أهـل العـراق وخراسـان، وفرقهم علـى المدن والأقاليـم، ونظم هذه الدعوة ورعاها، وأعدها لليـوم المرتقب، وقد كانت وفاته عام ٩٨هـ بعد موت محمد بن علي ابن الحنفية بالمدينة عام (٨١ هـ). ولما علم كبار الشيعة العلوية في العراق وخراسان بموت زعيمهم عبد الله بن محمد (أبو هاشم) وانتقال الدعوة إلى محمد العباسي، ساروا إلى **الحميمة** للتعزية بوفاة إمامهـم عبد الله ولتهنئة إمامهم الجديد محمد بتولية قيادة الدعوة " دعوة آل البيـت أي الرضـا مـن آل محمـد " ومبايعته وتقـديم العهد له، ببـذل أموالهم وأنفسـهم من أجل نجاح هذه الدعوة، وقد رأى محمد بن علي العباسـي صـدق هؤلاء الأنصار وتحمسهم ولمس حبهم لآل البيت.

من هنا أخذ العباسيون على عاتقهم ترتيب الدعوة ترتيباً سرياً حتى آلت دعوتهم للنجاح الباهر بعد أن أسـقطت الدولة الأموية في معركة الزاب سنة ١٣٢ هـ، وقد ضمَّنَّاه بالتفصيل عبر خرائط ومرتسمات في الباب الأول من هذا الأطلس، كما هو الأمر مع بقية مواضيع الأطلس. ولقد اصطلح مؤرخو الدولة العباسية على تقسيم أدوارها إلى فترتين كبيرتين:

الأولى: من قيام الدولة سنة ١٣٢ هـ حتى سنة ٢٣٢ هـ (انظر الشكل المقابل).

الثاني: من سنة ٢٣٢ هـ حتى سقوط دولة الخلافة على أيدي المغول سنة ٦٥٦ هـ (انظر الشكل المقابل).

---

١ - د. علي بن محمد الصلاّبي، الدعوة العباسية ودورها في نهاية الدولة الأموية، النسخة الرقمية.



أدوار الخلافة العباسية

إذن استطاع العباسيون أن يقيموا دولتهم الممتدة من سنة ١٣٢ - ٦٥٦ هـ، على رقعة جغرافية كبيرة، تُعَدُّ امتداداً لدولة الخلافة الأموية، تفاعلت عليها عناصر متعددة «عربية وفارسية وتركية وكردية وأمازيغية وهندية»، وظلت رابطة الدين هي الرابطة الجامعة لهذه العناصر جميعاً رغم التحديات التي ذكرناها في ثنايا الأطلس.

لقد جاء هذا الأطلس في ستة أبواب رئيسة:

تناول الباب الأول قيام الدولة، وتناول الباب الثاني: العصر العباسي الأول، وتناول الباب الثالث: عصر النفوذ التركي، وتناول الباب الرابع: عصر النفوذ البويهي، وتناول الباب الخامس: عصر النفوذ التركي السلجوقي الذي تخلله مجيء الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي، وسقوط الدولة العباسية على أيدي المغول سنة ٦٥٦ هـ. بينما جاء الباب السادس ليتناول: أبرز الملامح الحضارية في العصر العباسي. ثم ألحقنا هذه الأبواب بملاحق لإثبات المصادر والمراجع، وفهرس للعناوين والأبواب الخاصة بهذا الأطلس.

وأخيراً وليس آخراً، أسأل الله – تعالى – أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٨٦

مؤلف ومصمم الأطلس

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

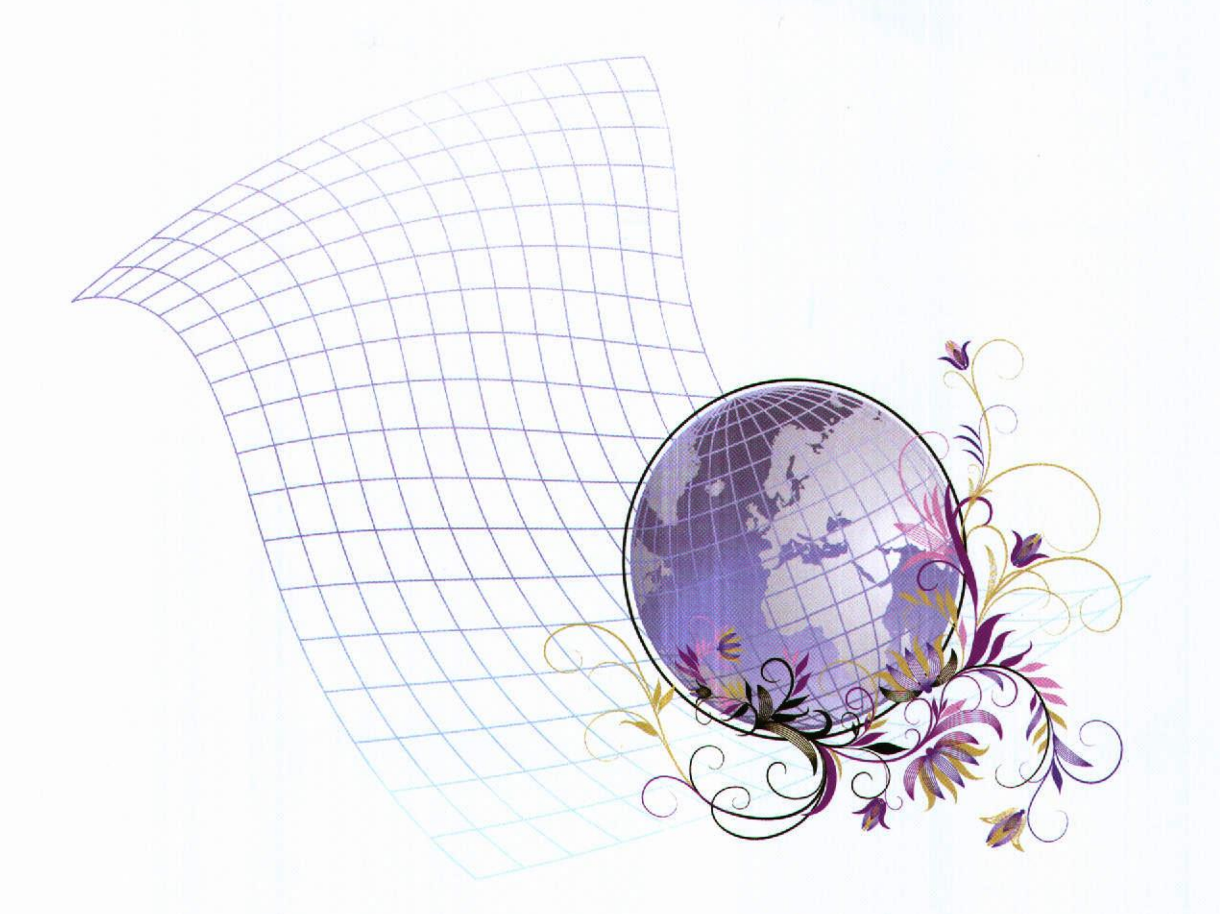
الأحساء / المبرز

في ١٢ / ٢ / ١٤٣٣ هـ

samimag13@gmail.com

جوال ٠٥٠٤٩٣٤٦٩٣

الباب الأول



قيام الدولة العباسية

١٣٢ - ٦٥٦ هـ / ٧٥٠ - ١٢٥٨ م



الدعوة العباسية

تنسب الدعوة العباسية إلى **العباس بن عبد المطلب** رضي الله عنه أحد أعمام النبي صلى الله عليه وسلم.

ترجمة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

هو **العباس بن عبد المطلب** - رضي الله عنه - بن هاشم عم الرسول - صلى الله عليه وسلم-، ويُكْنَى بأبي الفضل.

ولد في مكة قبل مولد الرسول- صلى الله عليه وسلم- بعامين أو ثلاثة، من أكبر رجالات بني هاشم مكانة، وأكثرهم مالاً في الجاهلية، فقلدوه قيادتهم، فكان رئيسهم المُطاع – بعد وفاة أبي طالب – المتولّي لأمورهم، وكانت إليه **السِّقاية والرِّفادة وعمارة المسجد الحرام**، فإنه كان لا يدع أحداً يُسبُّ في المسجد، ولا يقول فيه هُجْراً، يحملهم على عمارته في الخير، لا يستطيعون لذلك امتناعاً، لأنَّ ملأ قريش كانوا قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك، فكانوا له أعواناً عليه، وأسلموا ذلك إليه.

حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم، وشهد بدراً مع المشركين مكرهاً فأسر، فافتدى نفسه ورجع إلى مكة، ثم أسلم وكتم إسلامه، ثم هاجر إلى المدينة النبوية قبل الفتح بقليل، وشهد فتح مكة، وثبت يوم حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم، ذُكِرَ أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد أمر العباس بالبقاء في مكة: (إن مُقامك مُجاهَدٌ حَسَنٌ) فأقام بأمر الرسول -صلى الله عليه وسلم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُجلّه ويقدره، وقد كانت وفاته بالمدينة في رجب سنة ٣٢ هـ في خلافة ذي النورين عثمان بن عفان، ودُفن بالبقيع رضي الله عنه.

عَنْ نافع عَن ابْن عُمَرَ رَضيَ الله عَنْهُمَا قَالَ « اسْتَأْذَنَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المطلب رَضِيَ الله عَنْهُ رَسُولَ الله صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبِيتَ بمكة لَيَالِيَ مِنًى مِنْ أَجْلِ سِقَايَتِهِ فَأَذِنَ لَهُ »[١].

واستمر العباس رضي الله عنه وبنوه في خدمة **زمزم**، وكان يتحمل تكاليفها، (وكان للعباس مالٌ بالطائف، كرمٌ « عنب » كان يحمل زبيبه إليها فينبذ في الجاهلية والإسلام)، وذلك مصداقاً لقول رسول الله له يوم الفتح عندما سأله أن يجمع له بين الحجابة والسقاية فقال: يا نبي الله، بأبي أنت، اجمع لنا الحجابة والسقاية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أعطيكم ما ترزؤون فيه، ولا أعطيكم ما ترزؤون منه ». إلى إن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع فتأكد أحقية العباس رضي الله عنه وبنيه ببئر زمزم والسقاية، وهو ما ذكر في أحاديثه صلوات الله وسلامه عليه.

حكى الأزرقي في كتابه تاريخ مكة وغيره من العلماء: أن السقاية حياض من أدم، كانت على عهد قصي بن كلاب توضع بفناء الكعبة، ويستقى فيها الماء العذب من الآبار على الإبل، ويسقاه الحاج، فجعل قصي عند موته أمر السقاية لابنه عبد مناف، ولم تزل مع عبد مناف يقوم بها، فكان يسقي الماء من بئر كرادم وغيره إلى أن مات.

أشهر من تولوا أمر زمزم والسقاية في الإسلام على النحو الآتي[٢]:-

١-**العباس بن عبدالمطلب** رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو الفضل، وساقي الحرمين.

٢-**عبدالله بن العباس** رضي الله عنهما أبو العباس حبر الأمة وترجمان القرآن.

٣-**الإمام علي السجاد** بن عبدالله بن العباس.

٤-**داود** ابن الإمام علي السجاد.

٥-**سليمان** ابن الإمام علي السجاد.

٦-**عيسى** ابن الإمام علي السجاد.

٧-**أمير المؤمنين الخليفة أبو جعفر المنصور عبدالله** ابن الإمام محمد الكامل ابن الإمام علي السجاد.

واستمر أمر زمزم والسقاية يتولاها **الخليفة العباسي، ويعين الخليفة من ينوب عنه** ويباشر السقاية، لانشغالهم بأمر الخلافة، والبعد المكاني بين بغداد ومكة المكرمة، والأوضاع السياسية في مختلف العصور، واستمر ارتباط زمزم والسقاية بالخلفاء العباسيين أيضاً في مصر بعد سقوط الخلافة في بغداد إلى نهاية القرن التاسع الهجري، كما تشير إلى ذلك الوثائق التاريخية.

---

١ - أخرجه البخاري (رقم ١٦٣٤) ومسلم (رقم ١٣١٥).

٢ - الشريف أبو عبدالمحسن حاتم بن أحمد العباسي، موقع (الأشراف العباسيون حول العالم).



ماء زمزم

كانت السقاية لبني هاشم، وكان أبو طالب يتولاها، فلما اشتد الفقر بأبي طالب، أسند السقاية إلى **أخيه العباس**، وكان من أكثر قريش مالاً، فقام بها. وعليه كانت عمارة المسجد (وهي أن لا يدع أحداً يُسب في المسجد الحرام). وكان نديمه في الجاهلية أبا سفيان بن حرب.

عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن:

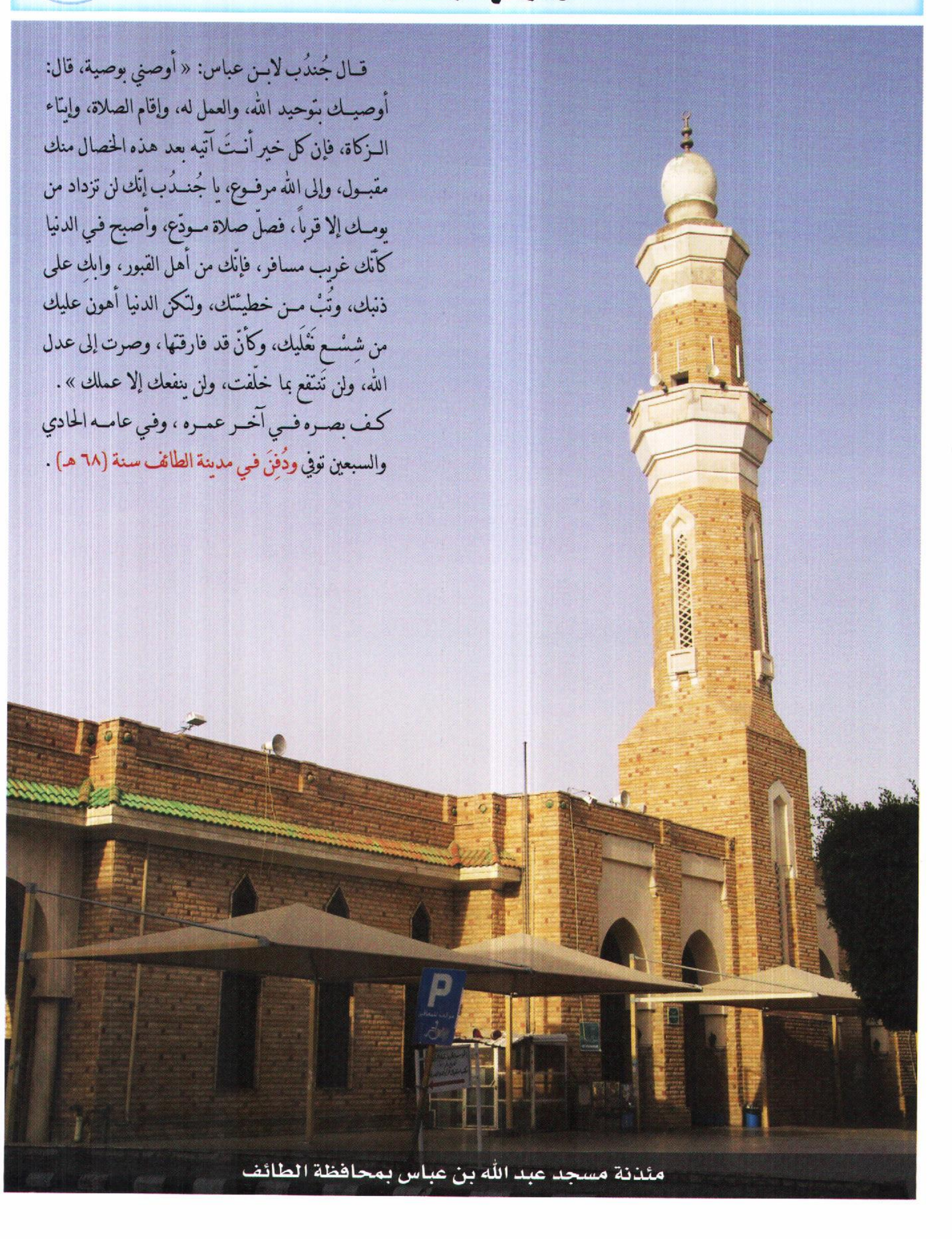
هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكنّيَ بأبيه العباس، وهو أكبر ولده ولد بمكة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- وأهل بيته محاصرون في الشِّعب في مكة، فأُتِيَ به النبي فحنّكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وعلى الرغم من أنه لم يجاوز الثالثة عشرة من عمره يوم مات الرسول الكريم، فإنه لم يُضيّع من طفولته الواعية يوماً دون أن يشهد مجالس الرسول ويحفظ عنه ما يقول، فقد أدناه الرسول -صلى الله عليه وسلم- منه وهو طفل ودعا له: « اللهم فقّهه في الدين وعَلّمه التأويل »[١]. فأدرك ابن عباس أنه خُلِق للعلم والمعرفة في دين الله تعالى.

من رجاحة عقله وفطنته:

اتسم عبد الله بن عباس بالمنطق والحُجّة والقوة والبرهان، فقد بعثه الإمام علي -رضي الله عنه- ذات يوم الى طائفة من الخوارج، فدار بينه وبينهم حوار طويل، ساق فيه الحُجة بشكل يبهر الألباب، فقد سألهم ابن عباس: « ماذا تنقمون من علي ؟ ». قالوا: (نَنْقِم منه ثلاثاً: أولاهُن: أنه حكَّم الرجال في دين الله، والله يقول: (إن الحكْمُ إلا لله)، والثانية: أنه قاتل ثم لم يأخذ من مقاتليه سَبْياً ولا غنائم، فلئن كانوا كفاراً فقد حلّت له أموالهم، وإن كانوا مؤمنين فقد حُرِّمَت عليه دماؤهم، والثالثة: رضي عند التحكيم أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين استجابة لأعدائه، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين). وأخذ ابن عباس يُفَنّد أهواءهم فقال: « أمّا قولكم إنه حَكّم الرجال في دين الله فأي بأس ؟ إن الله يقول: ﴿ يَا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ المائدة:٩٥. فَنَبِّئوني بالله أتحكيم الرجال في حَقْن دماء المسلمين أحق وأوْلى، أم تَحكيمهم في أرنب ثمنها درهم ؟!. وأما قولكم: إنه قاتل فلم يسْب ولم يغنم، فهل كنتم تريدون أن يأخذ عائشة زوج الرسول وأم المؤمنين سَبْياً ويأخذ أسلابها غنائم ؟؟. وأما قولكم إنه رضي أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين حتى يتم التحكيم، فاسمعوا ما فعله رسول الله يوم الحديبية، إذ راح يُملي الكتاب الذي يقوم بينه وبين قريش، فقال للكاتب: « اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فقال مبعوث قريش: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صَدَدْناك عن البيت ولا قاتلناك، فاكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله. فقال لهم الرسول: « والله إني لرسول الله وإن كذّبْتُم ». ثم قال لكاتب الصحيفة: « اكتب ما يشاءون، اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله ». واستمر الحوار بين ابن عباس والخوارج على هذا النسق الباهر المعجز، وما كاد ينتهي النقاش حتى نهض منهم عشرون ألفاً معلنين اقتناعهم، وخروجهم من خُصومة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

١ - أخرجه البخاري (رقم ١٤٣) ومسلم (رقم ٢٤٧٧).



قال جُندُب لابن عباس: « أوصني بوصية، قال: أوصيك بتوحيد الله، والعمل له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإن كل خير أنتَ آتيه بعد هذه الخصال منك مقبول، وإلى الله مرفوع، يا جُندُب إنّك لن تزداد من يومك إلا قرباً، فصلّ صلاة مودّع، وأصبح في الدنيا كأنّك غريب مسافر، فإنّك من أهل القبور، وابكِ على ذنبك، وتُبْ من خطيئتك، ولتكن الدنيا أهون عليك من شِسْع نَعْلَيك، وكأنّ قد فارقتها، وصرت إلى عدل الله، ولن تَنتفع بما خلّفت، ولن ينفعك إلا عملك » .

كف بصره في آخر عمره ، وفي عامه الحادي والسبعين توفي ودُفِنَ في مدينة الطائف سنة (٦٨ هـ) .

مئذنة مسجد عبد الله بن عباس بمحافظة الطائف

علي (السجاد) بن عبد الله بن عباس[١]

هو الإمام علي السجاد ولد في الرابع و العشرين من رمضان سنة ٤٠ للهجرة النبوية بالبصرة عندما كان والده والياً عليها من قبل الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً. وبعد وفاة والده بالطائف ارتحل إلى الحميمة لوصية والده له، و مكث فيها و بنوه حتى قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ للهجرة.

كان طويلاً ضخم الجثة، أجمل قرشي. كان إذا قدم حاجاً أو معتمراً عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام، و هجرت مواضع حلقها، و لزمت مجلس علي بن عبد الله إعظاماً و إجلالاً و تبجيلاً، و كان لا يرى لقرشي في المسجد الحرام « مجلس ذكر » يجتمع إليه حتى يخرج علي بن عبد الله من الحرم.

له من الولد محمد (و به يكنى، والد إبراهيم الإمام أبو الخلفاء و الذي بدأ الدعوة) وداود، وعيسى، وسليمان، وصالح، وإسماعيل، وعبد الصمد، ويعقوب. وعبد الله الأكبر، وعبيد الله، وعبد الملك، وعثمان، وعبد الرحمن، وعبد الله الأصغر الخارج بالشام، وبعضهم يسميه الشماخ وله عقب. ويحيى، وإسحاق، ويعقوب، وعبد العزيز، وإسماعيل الأصغر، وعبد الله الأوسط وكان أحنف، وأمينة، وأم عيسى تزوجها ابن حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، ولبابة تزوجها ابن قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس.

كان علي بن عبد الله بالشراة من أرض دمشق لازماً لمسجده يصلي فيه كل يوم خمسمائة ركعة، ويسجد على لوح أتى به من زمزم، وكان لا يمر به أحد يريد الشام من الحجاز أو يريد الحجاز من الشام إلا أضافه ووصله، إن كان ممن يلتمس صلته، فقيل له: إن المؤونة تعظم عليك، فتمثل قول السلولي:

وماذا علينا أن يوافي نارنا
كريم المحيا شاحب المتحسر
فيخبرنا عما يريد ولو خلت
لنا القدر لم نخبر ولم نتخبر

لقيت عجوز من قريش علي بن عبد الله بن عباس فشكت اليه الخلة فأمر غلامه فأعطاها مئتي دينار، فقالت: جعلني الله فداك، أنت كما قالت أم جميل بنت حرب بن أمية :

زين العشيرة كلها	في البدو منه والحضر
وكريمها في النائبات	وفي الرحال وفي السفر
ضخم الدسيعة ماجد	يعطي الجزيل بلا كدر

توفي علي بن عبد الله **بالحميمة** « انظر الخارطة المقابلة » في سنة ١١٧ هـ وله من العمر ٧٨ سنة.

---

١ - موقع أسرة آل باوزير العباسية الهاشمية .



١ أوصى **عبد الله بن العباس** ابنه **علياً** بإتيان الشام والتنحي عن سلطان ابن الزبير إلى سلطان عبد الملك ولما توفي أبوه عمل بوصيته ورحل إلى **الشام** واستقبله عبد الملك واحتفى به، وكان يجلسه على سريره إذا دخل ويحادثه ويسامره وكان يرعاه، ويقضي حوائجه ويقبل شفاعته.

٢ حينما علم **الوليد بن عبد الملك** في خلافته أن **علياً يطلب الخلافة ويتنبأ بانتقالها إلى بنيه** ضيَّق عليه ونال منه وشهَّر به، **وطرده من بلاد الشام**، وقد انحطت منزلة علي بن عبد الله في عهد الوليد، وساءت حاله واضطربت وقد التمس الوليد الأسباب للانتقام منه وجاوز القصد في ردعه ومعاقبته فنفاه.

٣ في خلافة **سليمان بن عبد الملك ردّه إلى دمشق**، وأخلى سبيله، وأزال عنه ما لحق به من ظلم وهوان وربما اعتذر إليه من إيذاء الوليد له، وتنكيله به، وجوره عليه، وأنصفه وتألفه فصلحت حاله واستقامت، ورجع إلى الحُميمة، فأقام بها حُراً عزيزاً، وعاود فيها نشاطه لا رقيب له ولا حسيب عليه إلا الله سبحانه وتعالى.

٤ في خلافة **عمر بن عبد العزيز** أمر بالكف عن اضطهاد بني هاشم، وقسم فيهم سهم ذي القربى، فانتعشوا وكتبوا إليه: يشكرون له ما فعله من صلة أرحامهم. وأخذ علي ابن عبد الله بن العباس ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يُدافعان عنه ويدافعان الناس في اغتيابه.

٥ لما تولى **هشام** اعتنى بعلي بن عبد الله بن العباس، وأحسن إليه، فكان يتهلَّل له ويدينه ويحمل عنه دُيونه إذا وفد عليه، **وصبر على نشاطه السياسي** وتغافل عنه وتغاضى عن أمله في الخلافة، واستهان بعمله للفوز به، حتى أخطأ في تقدير خطره وقصّر عن إدراك تهديده لملك بني أمية إذ كان يهزأ بما يبلغه من أخبار نزوعه إلى الخلافة ويستخف بتوقعه لتحولها إلى بيته، وكان ينسب ذلك إلى فساد عقله وضعف رأيه وأضغاث أحلامه في شيخوخته.

ويرى بعض المؤرخين أن علي بن عبد الله بن العباس كان أوّل من تمنّى الخلافة من بني العباس وشرع في تأسيس الدعوة لهم على انتقال الخلافة إليهم، وأظهر ذلك وجهر به.

محمد (الكامل) بن علي بن عبد الله بن عباس[١]

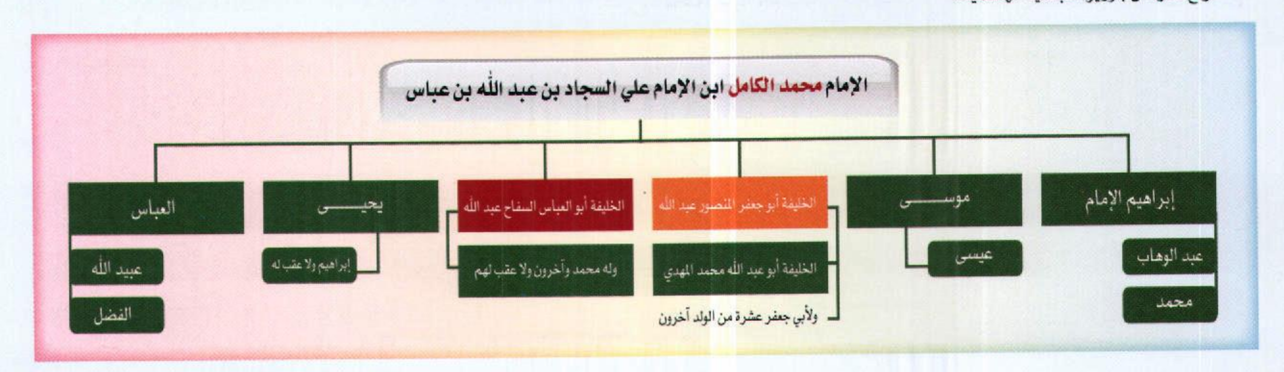
هو الإمام محمد الكامل الذي بدأ الدعوة العباسية، والد إبراهيم الإمام (أبو الخلفاء)، ذو الثفنات شبه أثر السجود بجبهته وأنفه ويديه بثفنات البعير، ويُكنَّى أبا عبد الله، وأمه العالية بنت عبيد الله بن العباس، وكان بينه وبين أبيه أربع عشرة سنة وأشهر، فلما شابا خضب علي بالسواد وخضب محمد بن علي بالحناء، فلم يكن يفرق بينهما إلا بخضابها لتشابههما، وقرب سن بعضهما من بعض، وكان بينهما في الموت في قول هشام بن الكلبي، خمس سنين أو نحوها و دفن في الحميمة عند والده.

وقال الواقدي: الثابت أنه توفي سنة خمس وعشرين ومئة، وكان له يوم مات سبعون سنة. و هو تابعي و عالم زاهد. و عندما دنا أجله أوصى أصحابه سنة ١٢٤ هـ، و قال : لن تلقوني بعد وقتكم هذا، و أنا ميت سنتي هذه، و صاحبكم ابني إبراهيم، و بعد مقتل إبراهيم فصاحبكم عبد الله ابن الحارثية السفاح . له من الولد إبراهيم الإمام، عبد الله السفاح، أبو جعفر المنصور، موسى، إسماعيل، يحيى، و العباس أصغر ولد أبيه، و قيل ولد قبل موت أبيه بعامين، و من البنات العالية و لبابة و فاطمة.

وولد المهدي أمير المؤمنين في السنة التي مات فيها محمد بن علي فسمي باسمه وكُنِّي بأبي عبد الله، وكانت وفاة المهدي سنة ١٦٩ هـ وله ثلاث وأربعون سنة. قالوا: وكانت الشيعة تروي أن الإمام محمد ابن علي، فيُظن أنه ابن الحنفية، فلما مات ابن الحنفية، قالوا: الإمام ابنه عبد الله بن محمد بن علي، وهو أبو هاشم، فلما سُمّ أبو هاشم في طريقه وهو يريد الحجاز عدل إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالحميمة فأوصى إليه وأعطاه كتبه وجمع بينه وبين قوم من الشيعة، فقال: إنا كنا نظن أن الإمامة والأمر فينا فقد زالت الشبهة، وصرح اليقين بأنك الإمام، والخلافة في ولدك، فمال إليه الناس فثبتوا إمامته وإمامة ولده.

كان **محمد بن علي** يقول: لن يبلغ الرجل غاية الحلم حتى يعد ذليلاً، قال: وكان يقول: كفاك من حظ البلاغة أن تقول فتفهم، وتصف فتوجز. وقال أيضاً: لا يدرك الشباب بالخضاب، ولا الغنى بالمنى، ولا العلم بالادعاء. وكان يقول: شر الأباء من دعاه البر إلى الإفراط، وشر الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق.

١ - موقع أسرة آل باوزير العباسية الهاشمية .



كان **محمد بن علي بن عبد الله بن العباس** المتوفَّى سنة ١٢٥هـ ، أنبه إخوته وأفضلهم، وهو الذي رسَّخ قواعد الدعوة لبني العباس، وشيَّد أركانها، ورفع بنيانها، فقد شمَّر لتوطيدها وبثها، فوضع أنظمتها وشعاراتها، وأنشأ مجالسها واختار قادتها، ومكّن لها في الكوفة وخراسان، وشحذ عزائم أنصارها، وهيَّأهم ليوم إعلان الثورة وتفجيرها، وكان من أجلِّ الناس وأعظمهم قدراً، وكان بينه وبين أبيه أربع عشرة سنة، وكان عليٌّ يخضب بالسَّواد، ومحمد بالحُمرة، فيظن من لا يعرفهما أن محمداً هو علي، وكان عابداً زاهداً، وكان له علم وفقه ورواية، وكان ثقة ثبتاً مشهوراً، وكان مجاهداً يغزو الصائفة هو وعدة من إخوته ومواليه، وكان سيد ولد أبيه، وخيرهم ديناً، وأسخاهم كفاً، وكان سمح النفس، شديد الصَّبر، صليب الفؤاد، حصيف الرأي، حسن التدبير، قوي الحُجَّة، سديد المنطق، بليغ القول .

علاقته بأبي هاشم ووصيته له :

بعد موت **محمد بن علي ابن الحنفية** بالمدينة عام (٨١هـ) افترقت شيعته إلى **فرقتين :**

الأولى : دامت متمسكة بآرائها الكيسانية، نسبة إلى كيسان مولى الخليفة علي بن أبي طالب فقد قالت: إنه غائب عنا لكنه حي يرزق بجبله (جبل رضوى) ولا بد من رجعته، فهم لا يوالون غيره، لأنهم ينتظرونه.

والثانية : تحولت إلى القول بإمامة ابنه عبد الله – المكنَّى **بأبي هاشم** من بعده، وسميت **بالفرقة الهاشمية .** وتعتقد أن أمر الشيعة صار إلى أبي هاشم بوصية من أبيه، وهذه الفرقة تعد أكبر الفرق العلوية، وأدقها تنظيماً وأكثرها حماساً، وقد عرف أبو هاشم هذا برجاحة عقله وسعة علمه، وحسن تدبيره، ومعرفته بأحوال الفرق، فزادت شيعته بعد وفاة والده، فأخذ يدير الأمور، ويبعث الدعاة مع السرية التامة، موضحاً – في نظره – أحقيته بالخلافة، التي هي لهم دون الأمويين، ناشراً فظائع ومظالم **بعض** خلفاء الدولة الأموية[١] .

وكان أبو هاشم قدم على سليمان بن عبد الملك بدمشق، فأكرمه وأجازه، وسار أبو هاشم يريد فلسطين أو الحجاز، فمرض في الطريق وأحسَّ بالموت، ولم يكن له ولد، فعدل إلى **الحُميمة،** ونزل على **محمد بن علي،** فأوصى إليه بالإمامة وسلم إليه كُتُب الدُعاة وأوقفه على ما يعمل به، وصرف شيعته إليه وأمرهم بالسمع له، وأعلمه أن الخلافة في ولده عبد الله بن الحارثية، وسواء أكانت وصية أبي هاشم صحيحة أم موضوعة، فإن بني العباسَ وشيعتهم اعتمدوا عليها في تقرير حقهم في الخلافة، ولم يزالوا يذكرون أن الخلافة أتتهم من جهتها إلى أيام أبي جعفر المنصور . وليس من الثابت أن سليمان بن عبد الملك راعه ذكاء أبي هاشم فخافه وفزع منه، ولا أنه أنفذ له من سَمَّهُ بعد أن رحل عنه وإنما مات حتف أنفه [٢] .

وقد أكد جماعة من المؤرخين تحول دعوة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى العباسيين والتي

١-٢ ، د . علي بن محمد الصلابي، الدعوة العباسية ودورها في نهاية الدولة الأموية، النسخة الرقمية .

عمـل مـن أجلها حوالي سبع عشرة سنـة، واستقطب فيها كبار الشيعة العلوية مـن أهل العراق وخراسان، وفرقهم على المدن والأقاليم، ونظم هذه الدعوة ورعاها، وأعدها لليوم المرتقب، وقد كانت وفاته عام ٩٨هـ بعد موت محمد بن علي ابن الحنفية بالمدينة عام (٨١ هـ).

أسباب تنازل أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي[١] :

وعلـى ضـوء ما جاء مـن النصوص التاريخية التي ذكـرت تنازل أبي هاشم عـن الدعوة لمحمد بن علي العباسي عندما أحس بدنو الأجل، نستطيع أن نقول : ليس هناك ما يمنع من تنازل أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن دعوته السرية التي يطلب بها الخلافة، لما نراه من أسباب نجملها فيما يلي :

(أ) إن دعوتـه كانـت قابلة للنجاح والفشل، وقد تكون للفشل أقرب، لاسيما وأنها توصف بالغلو، وهذا مما يقلل من أهمية هذا التنازل.

(ب) عـرف أبـو هاشم أنه لا أمل له في الوصـول إلى الخلافة، بعد أن عرف قرب أجله، ولم يسعفه الوقت في حرية اختيار شخص آخر، ووجد أفضل الخيارات في تلك اللحظة هو محمد بن علي العباسي.

(ج) إن أبا هاشم لم يكن له ولد يخلفه، فيوصي له بالأمر من بعده.

(د) كان بين أبي هاشم ومحمد بن علي العباسي علاقات ودية، ولقاءات علمية، وصداقة قوية، الأمر الذي ساعد على تنازل أبي هاشم لمحمد هذا.

(هـ) كان أبـو هاشم قد عرَّف كبار شيعته ودعاته من أهل العـراق وخراسان بمحمد بن علي العباسي في أثناء ترددهم عليه، كما أخبرهم أن الأمر صائر إليه بعد وفاته، كما تزعم بعض الروايات.

(و) عرف عن محمد بن علي العباسي برجاحة العقل والدهاء، وحسن التدبير والتصرف...، فقد كان أبو هاشم كثيراً ما يستعين بآرائه حول موضوع الدعوة والدعاة، وعرف بسعة الذكاء، ومعرفته بأحوال الرجال والديـار، وقـد استفـاد من الأحـداث التي جـرت في عصـره، وبالأخص ما وقـع بين أبناء عمـه العلويين والأمويين في صراعهم الدامي من أجل الخلافة، فقد درس أسباب الفشل والنتائج لهذه الأحداث، واستغل ما حصل من القتل والتشريد على إثر ذلك.

ولما علم كبار الشيعة العلوية في العراق وخراسان بموت زعيمهم عبد الله بن محمد (أبو هاشـم) وانتقال الدعوة إلى محمد العباسي، سـاروا إلى **الحميمة** للتعزية بوفاة إمامهم عبد الله ولتهنئـة إمامهـم الجديد محمـد بتولية قيادة الدعوة " **دعوة آل البيـت أي الرضا من آل محمد** " ومبايعتـه وتقـديم العهد له، ببذل أموالهـم وأنفسهم من أجل نجاح هذه الدعـوة، وقد رأى محمد بن علي العباسي صدق هؤلاء الأنصار وتحمسهم ولمس حبهم لآل البيت، وكرههم لبني أمية وتمنيهم لزوالهم.

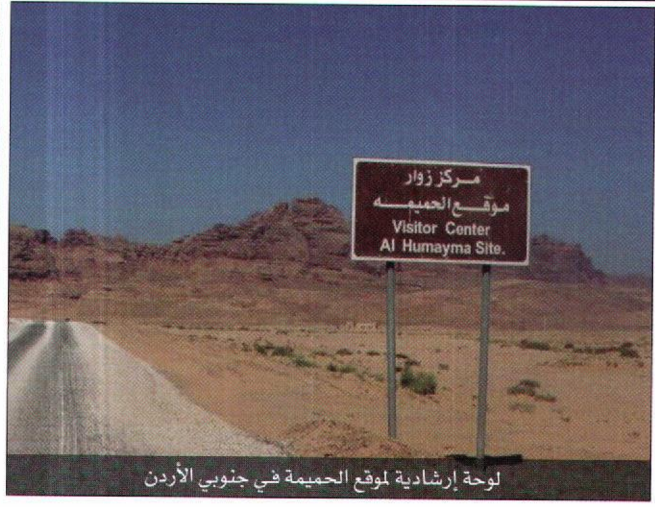
١- د . علي بن محمد الصلابي، الدعوة العباسية ودورها في نهاية الدولة الأموية، النسخة الرقمية .

انطلاق الدعوة العباسية على يد محمد بن علي العباسي

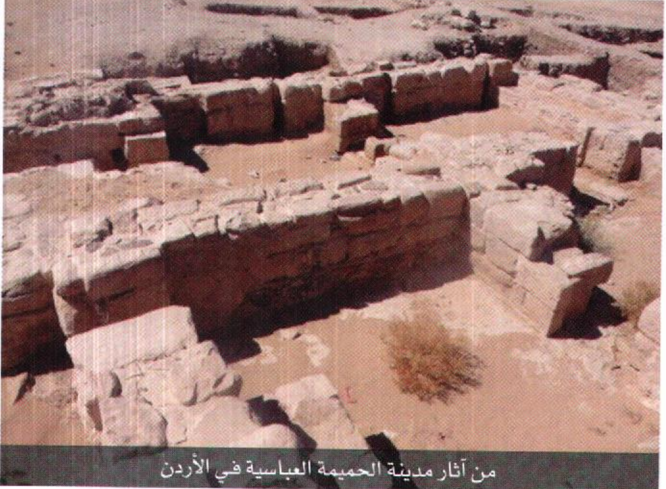
١ اتفق العباسيون والعلويون على مناوئة الدولة الأموية، أملاً في انتزاع الخلافة لأنفسهم، لأنهم اعتقدوا أنها حق لهم قد اغتصبه الأمويون، حيث بدأت دعوتهم **السرية** تحت شعار « **الدعوة للرضا من آل محمد** » وسموا أنفسهم بالهاشميين، وأرسلوا الدعاة إلى الولايات الإسلامية، لنشر الدعوة سراً واختار محمد بن علي بن عبد الله (خراسان) مركزاً للدعوة للرضا من آل محمد، بينما اتخذ هو من **الحميمة** بالقرب من ميناء العقبة مركزاً للدعوة العباسية.

٢ أصبح محمد بن علي العباسي كبيراً للدعاة، **بالكوفة** حيث جعلها موقعاً له ومقاماً، إذ هي أقرب إلى خراسان من الحميمة، وبها شيعة أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية الذين انضموا إلى بني العباس وكان كبير الدُعاة مسئولاً عن نشر الدعوة والإشراف عليها بخراسان.

٣ اشترك العباسيون والعلويون في الدعوة إلى نقل الخلافة « **للدعوة للرضا من آل محمد** » وكان يقف وراء هذه الدعوة في خراسان شيخان لهما دور بارز في نجاح الدعوة هما: أبو سلمة الخلال، وأبو مسلم الخراساني. وهذا الأخير طلب من سليمان ابن كثير أن يصلي العيد بالناس، فأرسل إليهم نصر بن سيار قوة، لكن جند أبي مسلم استولت على هراة « هرات » وانكشف أمر إبراهيم بالرسائل حتى استطاع الأمويون تعقبه في الحميمة فأرسلوه إلى دمشق، ومن هناك سيّر إلى حرَّان حيث سجن ومات سنة ١٣٢ هـ . ثم بويع للسفاح. ثم تمكن أبو مسلم من دخول مرو قاعدة خراسان وانتزاعها من نصر بن سيار سنة ١٣٠ هـ .



لوحة إرشادية لموقع الحميمة في جنوبي الأردن


من آثار مدينة الحميمة العباسية في الأردن

تنظيم الدعوة العباسية

تسلم **محمد بن علي العباسي التنظيم السري** من أبي هاشم، وبدأ مسار التنظيم الجديد يتغير عن القديم في بنيته الفكرية والاجتماعية وغيرها، ولكن كان ذلك مع التدرج، وقد توافرت صفات الزعامة في شخصية محمد بن علي، من قيادة واعية، وقدرة على التخطيط الصحيح، وقد برهن على عبقرية فذة في التنظيم والتخطيط للدعوة، مع قناعة الاتباع بزعامته الروحية والعلمية، فقد اشتهر بالعبادة والعلم، واستمر في تشكيل الحركة على أصول **العقائد السُّنِّية**، واستفاد من مدرسة جده عبد الله بن عباس في ذلك، وعمل على جذب الأنصار والأخذ بأسباب النصر على الأمويين، وقد استفاد من تشكيلات محمد بن علي التنظيمية كثير ممن جاء بعده ممن سعى لقيام دولة مع التطوير كالموحدين، والفرق الباطنية وغيرها - كما سيتضح لك في ثنايا هذا الأطلس إن شاء الله تعالى - وقد استطاع محمد بن علي العباسي أن يحكم قبضته على أمور الدعوة من خلال جهاز بالغ الدقة في التنظيم والإدارة، وقد استمر في عمله السري حتى وفاته عام ١٢٥هـ، وهناك من العلماء من يرى أن تنظيم الدعوة العباسية قام على ثلاثة أفراد من البيت العباسي، لم يقدر أن ينالوا ثمرة غرسهم، وأولهم علي بن عبد الله بن عباس، وأنه رأس الدعوة أكثر من عشرين سنة، وهو الذي نظم الدعاة والنقباء في كل من العراق وخراسان، وولي أمر الدعوة بعده ابنه محمد بن علي ثم ابنه إبراهيم. بيد أن الزعيم القيادي الكبير للدعوة العباسية خلال هذه المرحلة السرية هو محمد بن علي العباسي، وكان معه فريق عمل من إخوانه وأبنائه وآخرين.

هل الدولة العباسية دولة أعجمية؟

إن مؤسسي هذه الدولة من بني هاشم من صميم قريش، وكانوا مؤسسين فعلاً وليسوا أداة بيد أحد، والذي خطط لهذه الدعوة هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وقام بتنفيذها بعده ابنه إبراهيم. **وبدأت الدولة بأخيه عبد الله الملقب بالسفاح**، ثم **بأبي جعفر المنصور**، وكانوا أقوياء، ولا يستطيع أحد أن يتخذهم أداة لتنفيذ أغراضه. لقد كان عدد النقباء الذين يشرفون على الدعوة في خراسان وغيرها اثني عشر نقيباً معظمهم من العرب، (انظر الصفحة المقابلة) إن اصطلاح (أهل خراسان) لا يعني بالتأكيد أن جميعهم من سكان البلاد الأصليين، فالعرب استوطنوا قرى خراسان ومدنها، وكثير منهم من العرب الذين هجّرهم زياد بن أبيه حين كان أميراً على العراق، وذلك لشغبهم على الأمويين، وكثيراً ما يظن بعض الكتاب أن فلاناً أعجمي بسبب نسبته إلى إقليم أو مدينة في إيران، والحقيقة أنه عربي، فالذي يسمع باسم جديع بن علي الكرماني يظنه أعجمي وهو من رؤساء الأزد، أو الفضل بن سليمان الطوسي وهو من تميم، ولا شك أن الموالي لهم دور في قيام الدولة، فالدعوة كما أسلفنا قامت بواجهات متعددة. د. محمد العبدة، مجلة البيان، عدد ١١، ص ٧٣.

التنظيم السري للدعوة العباسية

مقر الإمام	النائب في العراق	النائب في خراسان
مكاناً للتخطيط والدراسة	للإشراف على الدعوة، ولنقل تعاليم الإمام الصادرة من الحميمة إلى الدعاة في خراسان.	مسرحاً للدعوة، كما أصبحت فيما بعد منطلقاً للعمل العسكري.
الحُميمة	الكوفة	خراسان
محمد بن علي	ميسرة (النبال) العبدي	أبو عكرمة السراج
إبراهيم بن محمد	بكير بن ماهان	كثير الداعي
عبد الله بن محمد	أبو سلمة (الوزير) الخلال	عمار بن يزيد

رؤساء النقباء

- سليمان بن كثير الخزاعي
- مالك بن الهيثم الخزاعي
- طلحة بن رزيق الخزاعي
- عيسى بن أعين الخزاعي
- عمرو بن أعين الخزاعي
- لاهز بن قريظ التميمي
- موسى بن كعب التميمي
- عيسى بن كعب التميمي
- القاسم بن مجاشع التميمي
- خالد بن إبراهيم الشيباني
- شبل بن طهمان الشيباني
- قحطبة بن شبيب الطائي

نظراء النقباء

ثم يأتي نظراء النقباء وعددهم عدد النقباء، ونظير النقيب يخلف النقيب في حالة سفره أو وفاته

الدعاة

ثم يأتي بعد ذلك الدعاة، وعددهم سبعون داعياً

دعاة الدعاة

ثم يليهم دعاة الدعاة، وعددهم ما يقارب ٣٦ نقيباً

إبراهيم (الإمام) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس

هو **إبراهيم الإمام** بن محمد بن علي العباسي، أخو السفاح، والمنصور، يُكنَّى أبا إسحاق، ولد بالحميمة من أرض الأردن سنة ٨٢ هـ . عهد إليه أبوه في السر **بالإمامة** فبلغ خبره مروان بن محمد، فأخذه وحبسه مدة بحرَّان، ثم قتله غيلة، فعهد إلى أخيه السفاح، ولما قتل لبس **أقاربه السواد** حزناً عليه - وقد سنها أبو مسلم الخراساني - ، وذلك أول ما لبسوه، فصار شعاراً لهم، ذكره العسكري في الأوائل.

روى إبراهيم عن أبيه، وعن جده، وعن عبد الله ابن محمد بن الحنفية (أبو هاشم)، وروى عنه أخواه، وأبو مسلم الخراساني صاحب الدولة، وهو الذي أرسل أبا مسلم داعياً إلى خراسان . وكان جواداً، فاضلاً، خليقاً للإمارة. كان مقتله سنة ١٣١ هـ، وقيل في صفر سنة ١٣٢ هـ وله ٤٨ سنة. تزوج من أم جعفر بنت علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فيه يقول ابن هرمة :

و كنت أحسبني جلداً فضعضعني ... قبر بحران فيه عصمة الدين

فيه الإمام الذي عمت مصيبته ... وعيلت كل ذي مال ومسكين

له من الأبناء عبد الوهاب (و كان والياً على الشام و مات بها)، و محمد (و كان أمير مكة و المدينة والجزيرة و اليمن، توفي ببغداد).

استهدفت الدعوة العباسية في رحلتها السرية أعداء الدولة الأموية وهم على النحو الآتي:

المهالبة

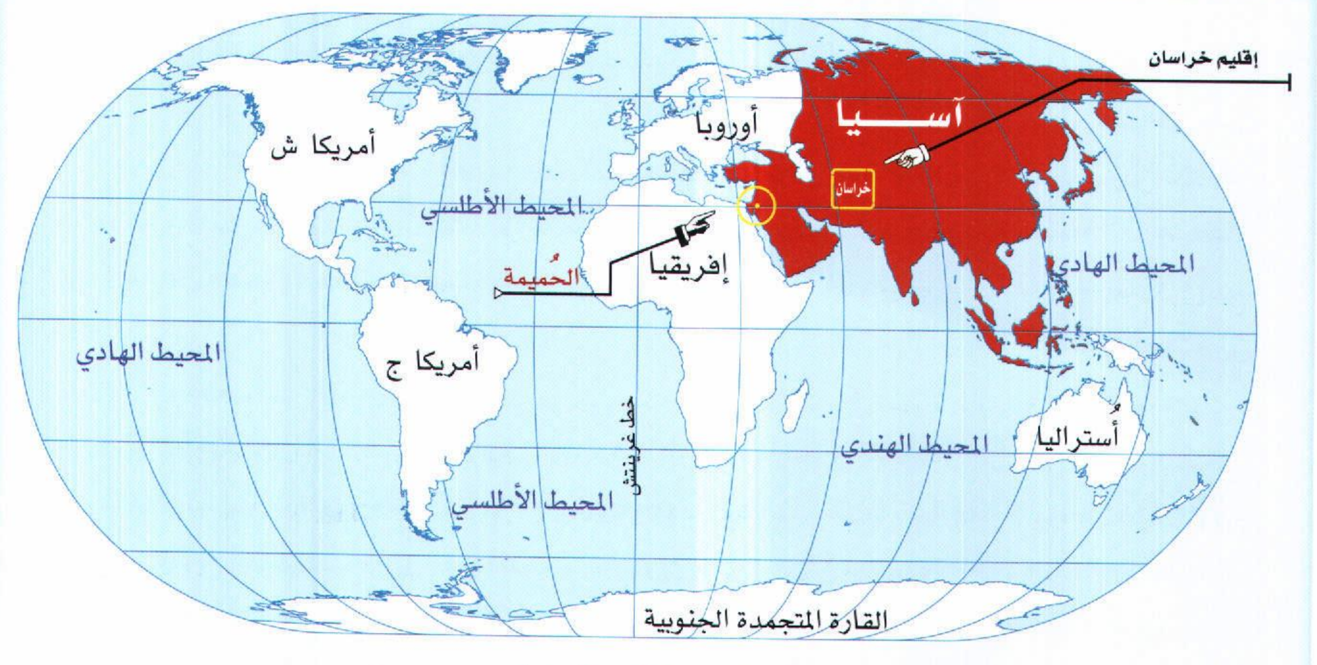
من اليمنيين الذين حاربتهم الدولة الأموية وتتبعتهم بعد مقتل يزيد بن المهلب.

الموالي

فقد كان هؤلاء يدفعون من الضرائب مقداراً كبيراً، ويشعرون بعدم التساوي مع العرب وكان عليهم ضغط من كل جهة، فكانوا أعداء الدولة بطبيعة الحال.

الشيعة العلويون

من أهم الفئات التي استهدفتها الدعوة العباسية، فقد كانت تشكل تربة خصبة لحشد الأتباع والمناوئين للدولة الأموية فأي حركة منظمة تريد أن تسقط نظاماً ما لا بد لها من معرفة أعداء ذلك النظام والعمل على حشد القوى ضده مع ضرورة إمساكها بخيوط الثورة بيدها.



موقع خراسان في قارة آســــيا

أطوار الدعوة العباسية

الطور الأول

يبـدأ هـذا الطـور فـي مستهل القـرن الثاني الهجـري، وينتهي بانضمام أبي مسلم الخراساني إلى الدعوة، ويغطي الحقبة الزمنية بين عامي (١٠٠ - ١٢٨ هـ / ٧١٨ - ٧٤٦ م).

وقـد تميـزت الدعوة في هذا الطور ، **بالسرية التامة**، وخلوها من أساليـب العنف، فـي الوقت الذي كانت فيه دولـة الخلافة الأموية متماسكـة إلى حد ما، وقد نظم الدعوة خلال هذه المرحلة مجموعة من الكفاءات التي تميزت وأخرجت المشروع الدعوي بكامل السرية « انظـر خارطة التنظيم السري ص ٢٣ » . وحينما علمت السلطات الحاكمـة بأمـر الدعـوة، طـاردت الدعاة وقتلـت بعضهـم، كما أن بعضهم راح ضحية تطرفه كخداش البلخي. وأحدث الإمام محمد ابـن علي العباسي سنة ١٢٥ هـ تغييراً، استراتيجياً مهماً في فحوى الدعـوة حين خصصها لنفسه، وكشف ذلـك لدعاته، على أن يبقى هذا الأمر وقفاً عليهم فقط دون العامة .

الطور الثاني

يبـدأ هـذا الطور باختيـار **الإمـام إبراهيم** بن محمـد لأبي مسلم الخراساني للدعوة، ويغطي الحقبة الزمنية بين عامي (١٢٨ - ١٣٢ هـ / ٧٤٦ - ٧٥١ م).

وقـد تميـزت الدعوة في هـذا الطـور ، باستخدام القـوة لتحقيق أهدافهـا. ولقـد كان لترشيح مولى لقيادة النقبـاء خلال هذا الطور أمر أفرح الموالي في خراسان، ولا سيما أن إبراهيم الإمام أوصى أبا مسلـم الخراسـاني باستمالة اليمنيين لدعوته، وقـد نجح أبو مسلم بعـد أن كسـب ثقـة سليمان بن كثـير، وظهرت القـوة الجديدة في خراسان على **مرحلتين: مرحلة أبي مسلم الخراساني**، والذي لقـب نفسـه لقب (أمير آل محمد) ، ومهد لإحيـاء التراث الفارسي القـديم، **ومرحلـة قحطبـة بـن شبيب الطائي** الـذي دخل في حروب مع نصر بن سيار الـوالي الأموي انتصرعليه ثم دخل الكوفة في جو الانتصارات وانتهت بقيام دولة الخلافة العباسية.

إعلان الدعوة العباسية سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م .

أرسل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، بكير بن ماهان إلى **خراسان** سنة ١٢٦ هـ، فقويت شوكتهم هناك، واجتمعت جماعة من الدعاة العباسيين بإبراهيم بن محمد سنة ١٢٧ هـ، فقام إبراهيم بن محمد بإرسال أبي مسلم الخراساني إلى خراسان، وطلب من شيعته الطاعة له سنة ١٢٨ هـ، فلم يطيعوه فرجع إلى إبراهيم فأعاده، وطلب منه أن يعتمد على اليمانية إذ إن والي خراسان نصر بن سيار كان يعتمد على القيسية[١] .

ومن المعلوم بمكان أن العباسيين اتخذوا « التسويد » وهو نشر العلم الأسود، ولبس الثياب السود، شعاراً لدعوتهم وتمييزاً لأنفسهم وأتباعهم عن بني أمية وأتباعهم؛ الذين كانوا قد اتخذوا البياض شعاراً لهم .

وفي واقع الحال فقد ظلت الدعوة العباسية سرية حتى رمضان من سنة ١٢٩ هـ حينما أمر أبو مسلم الخراساني " بالتسويد " ولبس أتباعه السواد جهراً، فكان ذلك بدءاً لإعلان الدعوة العباسية. ومن ذلك الحين وقع القتال المنظم بين بني أمية وبين أتباع بني العباس[٢] .

ثم إن الدعوة كانت حتى ذلك الحين إلى الرضا من آل محمد، ولم يكن أبو مسلم قد كشف بعد أنه يعني بآل محمد أبناء العباس لا أبناء أبي طالب - والعباس وأبو طالب عمّان للرسول ﷺ - إلا أن الاعتقاد السائد آنذاك هو أن الأمر سيؤول إلى أحد أبناء علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - . وكان العباسيون أنفسهم يوهمون الطالبيين بذلك.

ولما وقعت الحرب بين المسوّدة وبين بني أمية فوّض أبو مسلم أمر الحرب إلى قحطبة بن شبيب الطائي. ثم إن المسوّدة أخذوا يستولون على خراسان بلداً بلداً، بينما كان الأمويون يتراجعون شيئاً فشيئاً نحو الغرب. ولقد استنجد نصر بن سيار والي خراسان (انظر ص ٢٧) بمروان الثاني فلم يستطع مروان الثاني إنجاده، ولما بلغ تراجع نصر بن سيار مرو عاصمة خراسان مرض هناك وتوفي في ربيع الأول سنة ١٣١ هـ .

ثم ما زال قحطبة بن شبيب الطائي يتقدم حتى بلغ العراق، فحاربه والي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة، ولكنه انهزم في المحرم سنة ١٣٢ هـ، وكذلك قتل قحطبة في تلك المعركة نفسها، فقام بالأمر من بعده ابنه الحسن بن قحطبة واحتل الكوفة، وهنا أعلن أبو مسلم أن الخلافة لآل العباس، **وأن الخليفة عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، الذي عرف فيما بعد بـ (السفاح) فبويع له بالخلافة في الكوفة**[٣] .

---

١ - الشيخ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٣-٤، ص ٣٠٤، نشر المكتب الإسلامي .

٢ - ٣ ، أ . عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، دار العلم للملايين .

نصر بن سيار

هـو نصـر بن سيـار بن رافع بن حـري الكناني، مات في « بسـاوة »، سنة (١٣١) هـ، وكان نصر بـن سيار آخر ولاة الأمويين على خراسان فـي أواخر العقد الثاني وأوائل العقد الأول من القرن الثاني للهجرة، وكان والياً محنكاً حازماً، و شاعراً وخطيباً، كتب إلى يزيد بن عمر ابـن هبيرة والي العراق فـي تلك الأيام، يعلمه في أبيـات من نظمه ما شاع بخراسـان من الاضطراب في العامـين الماضيـين، ويحذره من خطورة الوضع، وكتب إلى آخر خلفاء بنـي آمية في الشام مروان بن محمد الملقب بالجعدي هذه الأبيات البليغة :

أرى خلل الرمـاد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضـرام
فإن النار بالعودين تُذكـى وإن الحرب أولها كـلام
فإن لم يطفـئها عقلاء قـوم مشيبة يشيب لها الغـلام
فقلت من التعجب ليت شعـري أأيقاظ أميـة أم نيـام

ولكـن الخليفـة الأموي مروان بن محمد (الثاني) لم ينجده لانشغاله في إخماد الفتن في الشام بين القيسية (المضرية) واليمانية .

أبو مسلم الخراساني

اسمه عبد الرحمن بن مسلم، ويقال : عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراسـاني، الأمير صاحب الدعوة، وهـازم جيوش الدولة الأموية والقائـم بإنشاء الدولة العباسيـة، كان مـن أكبر الأمراء في الإسلام. كان ذا شأن عجيب ونبأ غريب من رجل يذهب على حمـار بإكاف من الشـام حتى يدخل خراسان، ثم يملـك خراسان بعد تسعة أعـوام، ويعود بكتائب أمثال الجبال، ويقلب دولة، ويُقيم دولة أخرى، كان قصيراً، أسمر جميلاً، حلواً، نقي البشرة، أحور العين، عريض الجبهة، حسن اللحية، طويل الشعر، طويل الظهر، خافض الصوت، فصيحاً بالعربية والفارسيـة، حلو المنطـق، وكان راوية للشعر، عارفاً بالأمور، لم يُر ضاحـكاً، ولا مازحاً إلا في وقته، وكان لا يكاد يُقطب في شيء من أحواله، تأتيه الفتوحات العظام، فلا يظهر عليه أثر السرور، وتنزل بـه الفادحـة الشديدة فلا يرى مكتئباً، وكان إذا غضب لم يستفزه الغضب، قال عنه الذهبي : **كان أبـو مسلـم سفـاكاً للدمـاء، يزيد على الحجـاج في ذلك**، وهـو أوّل مـن سـن للدولة العباسية لبس السواد.



نتائج المعركة :

١- قطع العباسيون الجسر فغرق من جيش الخليفة مروان أكثر ممن قُتل .

٢- فر مروان بن محمد إلى مصر ثم تتبعه العباسيون حتى قتلوه في سنة (١٣٢هـ - ٧٥٠ م) في كنيسة أبي صير .

٣- سقطت الخلافة الأموية، وقامت دولة الخلافة العباسية في بغداد.

معركة الزّاب سنة ١٣٢ هـ

معركة الزاب: كان قحطبة بن شبيب الطائي قد أرسل من مدينة نهاوند أحد قواده أبا عون الأزدي، فلقي عبد الله بن مروان ابن محمد على نهر الزاب الأصغر، أحد روافد دجلة، فهزمه في ذي الحجة من سنة ١٣١ هـ، فخفّ حينئذ **مروان الثاني** نفسه على رأس جيش عدده مئة وعشرون ألفاً، ولم يكن مع أبي عون سوى عشرين ألفاً. ولكن السفاح أنجد أبا عون بجيش من أهل **الكوفة** عليه عمه عبد الله بن علي . فلما وصل عبد الله بن علي إلى مشهد المعركة عسكر على الضفة الشرقية من نهر **الزاب الأكبر** (جنوبي مدينة الموصل)، بينما كان مروان على الضفة الغربية منها.

قطع مروان بن محمد الزاب ليباغت العباسيين، ولكنه وجد أن قلوب أصحابه متفرقة، فأحب أن يحمسهم، ولكنه ارتكب خطأً فادحاً ، إذ أعلن لهم أن معه في خيمته أموالاً سيوزعها عليهم بعد المعركة، طمع الجند في المال، ورجعوا نحو الخيمة فوقعت فيهم الفوضى فالهزيمة في ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٢ هـ كانون الثاني ٧٥٠ م . وكان ممن غرق في نهر الزاب من الأمويين أكثر ممن قتل منهم بالسيف . أ . عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٢٠٥ ، دار العلم للملايين .

سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ

لقد خلّف "هشام بن عبد الملك" أربعة من الخلفاء الأمويين عجزوا عن ممارسة السلطان، وأفلت منهم زمام الحزم، وأتاحوا الفرصة لعوامل الهدم والاضمحلال، فراحت الدولة الأموية تتهاوى وتترنح. وقد كان ظهور العباسيين في هذه المدة على مسرح الأحداث يمثل ضربة قاصمة أطاحت بالبيت الأموي عن عرش الخلافة الإسلامية، بعد أن انتهت **معركة الزاب** سنة ١٣٢ هـ لصالح العباسيين كما أسلفنا، حيث استولى عبد الله بن علي العباسي على الجزيرة والشام، بينما هرب **مروان بن محمد** إلى **مصر**، لكن الجيوش العباسية اقتفت طريقه، وبعد أن عبر مروان نهر النيل بمصر لحقه صالح بن علي عم السّفّاح، فأدركه في قرية من قرى **الفَيُّوم** من أرض مصر يقال لها بُوصير، فوافاه صائماً وقد قدّم له الفطور، فسمع الصائح فخرج وسيفه مصلت، فجعل يضرب بسيفه، ويتمثل بقول الحجاج بن حكيم :

متقلّدين صفائحاً هندية

يتركن من ضربوا كأن لم يولد

وإذا دعوتهم ليوم كريهة

وافوك بين مكبر وموحّد

فقصدته الخيول من كل جانب، وبقي يقاتل حتى قُتِل، وكان من كلامه قبل أن يقتل : إن الجزع لا يزيد في الأجل، وإن الصبر لا ينقص الأجل، وكان يتمثل بهذين البيتين كما جاء في بعض الروايات :

ذلُّ الحياة وهول الممات

وكلاًّ آراه وخيماً وبيلا

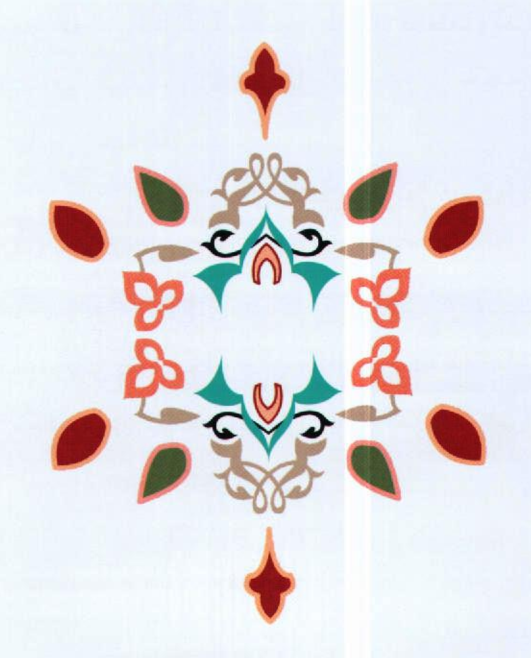
فإن كان لا بد من ميتة

فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

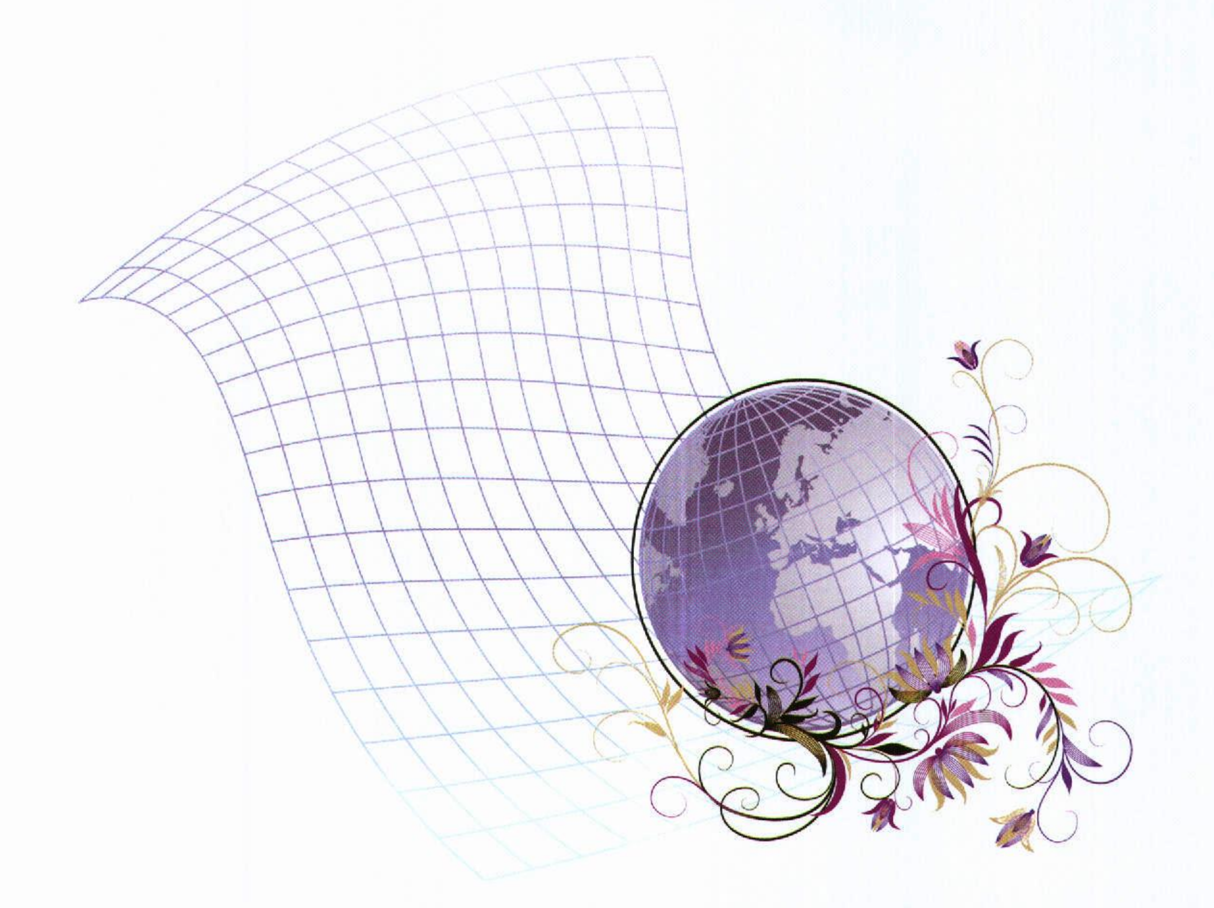
وبمقتله انتهت الدولة الأموية في المشرق، وقامت الدولة العباسية، حيث **بويع عبد الله بن محمد الملقّب بأبي العباس السفاح بالخلافة في الكوفة** في ربيع الأول سنة ١٣٢هـ، قبل مقتل مروان بن محمد بشهور. وصدق الله القائل: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١).

---

١ - سورة آل عمران: ٢٦، ٢٧.



الباب الثاني

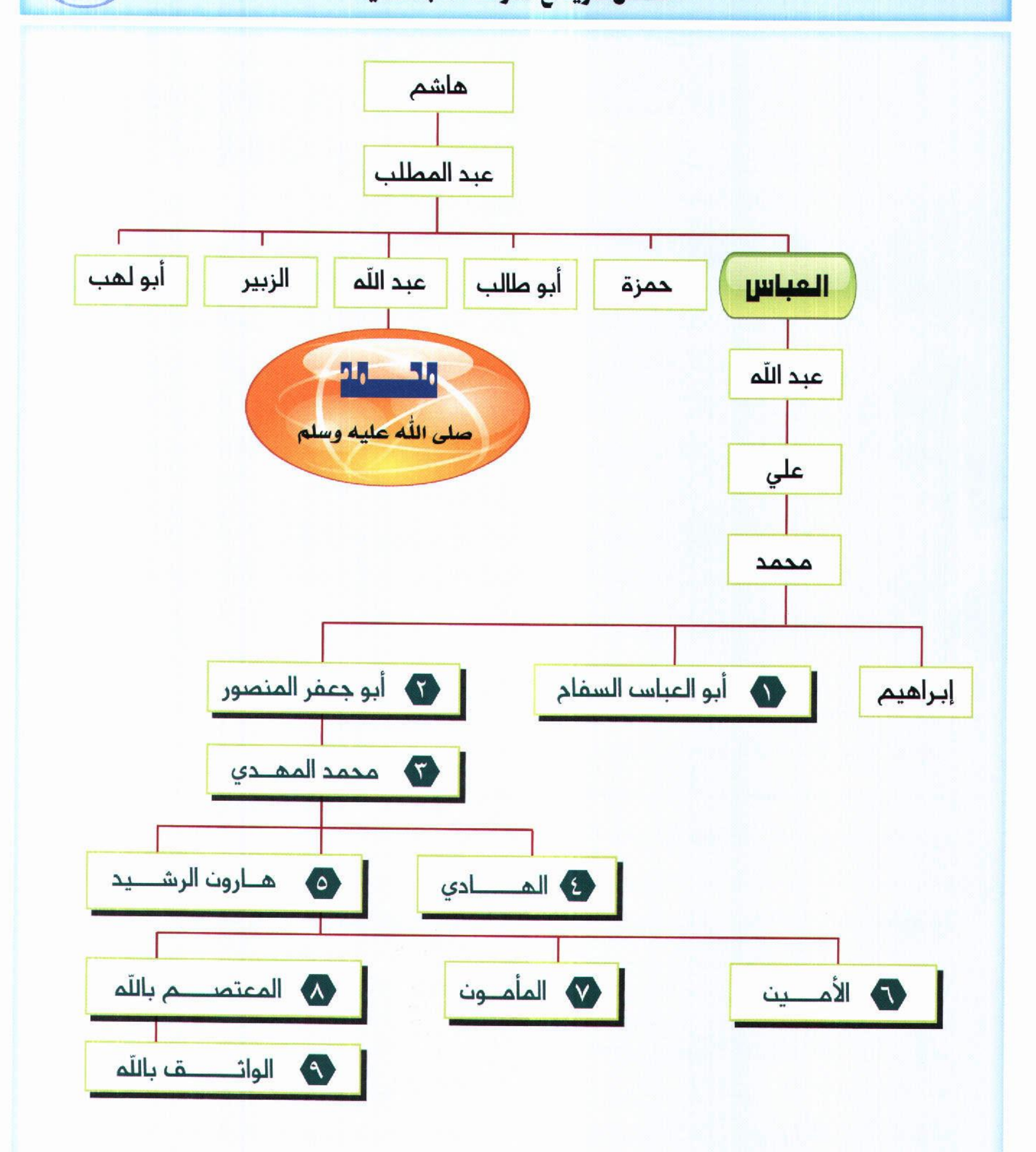


العصر العباسي الأول

١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ - ٨٤٧ م

عصر القوة والتوسع والازدهار





الخلفاء العباسيون في العصر الأول

العصر العباسي الأول: ١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ - ٨٤٧ م

اصطلح مؤرخو الدولة العباسية إلى تقسيمها إلى **حقبتين:**

حقبة سميت بالعصر العباسي الأول أو العصر الذهبي للدولة العباسية، وتشمل الخلفاء العباسيين من أبي العباس السفاح سنة ١٣٢ هـ حتى وفاة الواثق بالله العباسي سنة ٢٣٢ هـ، وهو مناط حديثنا في هذا الباب.

أما الحقبة الأخرى فجاءت تسميتها بالعصر العباسي الثاني، وينساق فيها التاريخ العباسي في **ثلاث أحقاب** حتى سقوط بغداد على أيدي جحافل المغول سنة ٦٥٦ هـ.

ويرى الأستاذان، د. حسن أحمد محمود، و د. أحمد إبراهيم الشريف في كتابهما[١]: أن وفاة الواثق بالله العباسي كانت خطاً فاصلاً بين عصرين يختلفان في جميع المقومات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وأن هناك أسباباً تؤيد ذلك منها تطبيق شعارات الدعوة العباسية، حيث وضحت فيها مكاسب الثورة العباسية وطبقت عملياً، على الرغم من بعض الأخطاء الصريحة، لكن الإشكالية الحقيقية في العصر اللاحق على الخليفة الواثق إذ أخذت فيه مكاسب الثورة تضيع، لأسباب خارجة عن إرادة الخلفاء نتيجة لضعفهم، وبدأت الأخطاء تتضاعف وتؤتي ثمارها الضارة بظهور ثورات مضادة لاتجاهات الدولة.

إن الدولة العباسية في عصرها الأول تركزت قوتها بهيبة خلفائها الأقوياء. فالخلفاء بأيديهم السلطات العليا حيث تمتعوا بقدرات شخصية وسياسية وإدارية فذة، منها سيطرت الدولة على رعاياها، والقضاء على أي محاولة للعبث بمقدراتها أو بمكتسبات وجودها؛ فأولت الجهاد في سبيل الله كل عنايتها، بعدما توقف في أواخر العصر الأموي، بدليل أن أبا العباس السفاح أراد الخروج لمقارعة الروم منذ توليه سدة الخلافة ولكن المنية سبقته، فسار أبو جعفر المنصور من بعده بتنظيم حملات الصوائف والشواتي على الثغور الشامية مع البيزنطيين، وسار على هذا النهج سلفه، حيث قادوا الجهاد وحاربوا الروم وفتحوا البلدان وقمعوا الفتن، ويكفي في هذا الصدد أن الخلفاء (هارون الرشيد والمهدي والمأمون) ماتوا - رحمهم الله تعالى - وهم في حملاتهم الجهادية.

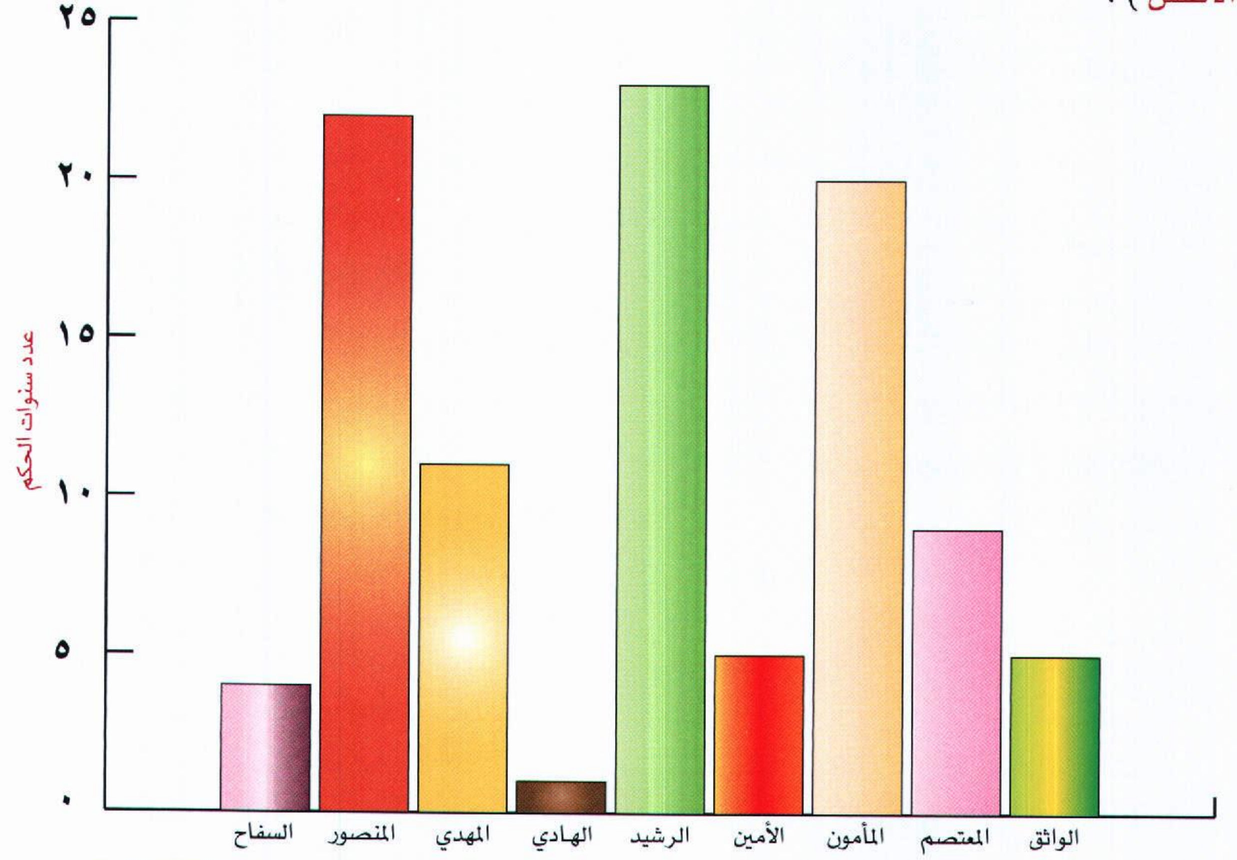
لقد اتسم هذا العصر بمكانة مرموقة للعنصر الفارسي في أجهزة الدولة، وكان لنفوذهم الواسع تأثير كبير في توجيه سياستها، حتى سيطروا أخيراً على الجهازين الإداري والعسكري في بغداد والأقاليم الخاضعة لنفوذها، فأحكموا قبضتهم على قيادة الجيوش والمناصب الإدارية الكبرى؛ كالوزارة والكتابة والولاية على البلدان، وتحقق للعباسيين في هذا العهد ازدهار للحركة العلمية ورخاء للحياة الاقتصادية. على الرغم من قيام حركات مناوئة للاستقرار ووحدة دولة الخلافة، هدفها زعزعة

١ - العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ٦٣ .

الحيـاة الاجتماعية والسياسية والدينية، تمثلت في حركتـي **الشعوبية** (التي حقدت على الإسلام وثقافته ولغتـه، وتزعمها قوم من الفرس المجوس، لبث النعرات الإقليميـة والقومية المنبوذة). **والزنادقة** (الذين كانـوا يظهـرون الإسلام ويبطنون المجوسية، ثم نـادوا بالإلحاد والإباحية، واستغلـوا ميادين العلم والمعرفة، لنشر سمومهم وبث أفكارهم، ومن أبرز هذه الحركات، حركات الراوندية والبابكية والمقنع وغيرها من الملل والنحل آنذاك).

وعلـى الرغـم من ذلك فإن **الفتن الداخلية** التي اجتاحت هذا العصر تمثلت في فتن الشيعة والخوارج والمعتزلة ... وغيرهم.

فقد كان للدولة أبلغ الأثر في التصدي لهذا الفكر العقدي الذي يصطدم مع التعاليم الإسلامية التي جاء بهـا القـرآن وحثت عليهـا السنة، وذلك من خـلال التركيز على دعـم الحياة الفكرية عـن طريق الاهتمام بالعلوم الشرعية والحفاظ عليها من أصحاب البدع والأهواء فجاءت نتائج هذا المشروع في العصر اللاحق من خلال بروز المدارس الشرعية للحفاظ على الهوية الإسلامية الصحيحة (انظر الباب السادس من هذا الأطلس).



الخلفـاء العباسـيون في العصـر العباسـي الأول ١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ - ٨٤٧ م

أبو العباس السفاح

١٣٢-١٣٦هـ / ٧٥٠-٧٥٤م

هو **عبد الله بن محمد** بن علي العباسي، وكنيته أبو العباس « السفاح » . ولد سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م بالحميمة من أرض الشراة من البلقاء بالشام، ونشأ فيها. بويع له بالخلافة في الكوفة يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الآخر عام ١٣٢هـ/ شهر تشرين الأول عام ٧٤٩م.

قال عنه الذهبي [١] : (السفاح الخليفة أبو العباس عبدالله بن محمد بن علي بن حبر الأمة، عبدالله ابن عباس، بن عبدالمطلب، بن هاشم بن عبد مناف، القرشي، الهاشمي، العباسي.أول الخلفاء من بني العباس. كان شاباً، مليحاً، مهيباً، أبيض، طويلاً، وقوراً. هرب السفاح وأهله من جيش مروان الحمار، وأتوا الكوفة، لما استفحل لهم الأمر بخراسان، ثم بويع في الكوفة) .

ومع التشابه بين اسمي أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور (عبد الله بن محمد بن علي العباسي) جعل المؤرخون يلقبون الخليفة السفاح بعبد الله الأصغر، نظراً لأنه أصغر سناً من أخيه المنصور.

ألقى أبو العباس، على عادة الخلفاء لدى انتخابهم، خطبة في مسجد الكوفة « انظر الخطبة في الصفحة المقابلة » أوضح فيها الهدف الذي من أجله قامت الثورة العباسية، وندَّد بالأمويين الذين وصفهم بمغتصبي الخلافة، ووعد الكوفيين، الذين ساندوا الثورة، بزيادة أعطياتهم، ولم ينسَ أن يذكرهم بأنه: "السفاح المبيح والثائر المبير" .

كان الخليفة أبو العباس مقيماً بالكوفة، ويبدو أنه أدرك وضعها الشاذ بفعل عدم تأييد غالبية سكانها للثورة العباسية، فانتقل منها إلى مكان قريب عرف بهاشمية الكوفة، غير أنه لم يمكث فيها طويلاً، وانتقل إلى الأنبار، شمالي الكوفة، على نهر الفرات في عام ١٣٤هـ/٧٥١م وبنى بجوارها مدينة لنفسه عرفت بهاشمية الأنبار. أقام بها حتى وفاته سنة ١٣٦هـ/٧٥٤م.

عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " يخرج منَّا رجل في انقطاع من الزمن، وظهور من الفتن يسمى السفَّاح، يكون عطاؤه المال حثياً "[٢] . وأئمَّة الحديث لا يصرفون هذا الاسمَ إلى أبي العبَّاس، وإنَّما هو نبوءة كبقية النبوءات التي وردتْ في القرآن الكريم والحديث النبويِّ لا يُدرى تأويلها إلاَّ أن تكون، ولكنَّ الدعوة العباسية فيما يظهر قد جمعتْ بين هذا الحديث وأحاديث أُخر هي من باب النبوءات أيضاً، وجعلتْ منها حديثاً اتخذتْه في الدَّعوة إلى إقامة الخِلافة في بني العبَّاس.

١ - الذهبي : أبو عبد الله بن محمد، سير أعلام النبلاء، ترجمة أبي العباس السفاح، دار الفكر - بيروت (لبنان) .
٢ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، رقم الحديث: ٣٢٧٩ (حديث مرفوع) .

من خطبة أبي العباس السفاح في الكوفة

«الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه، وكرمه وشرفه وعظَّمه، واختاره لنا، زعم الشامية أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، شاهت وجوههم، بِمَ ولِمَ أيها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، وبصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق، ودحض الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسدًا، ورفع بنا الخسيسة، وتمم النقيصة، وجمع الفرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل التعاطف والبر والمواساة في دنياهم، وإخوانًا على سرر متقابلين في آخرتهم، فتح الله ذلك -مِنَّةً وبهجة- لمحمد، فلما قبضه الله إليه، وقام بالأمر من بعده أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، حووا مواريث الأمم، فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها، وخرجوا خماصاً منها، ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزّوها وتداولوها، فجاروا فيها واستأثروا بها، وظلموا أهلها، وقد أملى الله لهم حينًا حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا، وتدارك بنا أمتنا، وَوَلِيَ نصرنا والقيام بأمرنا، ليَمُنّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض، فختم بنا كما افتتح بنا، وإني لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله، فاستعدوا أيها الناس، فأنا السفّاح المبيح والثائر المبير» (يقصد أنه كريم جواد).



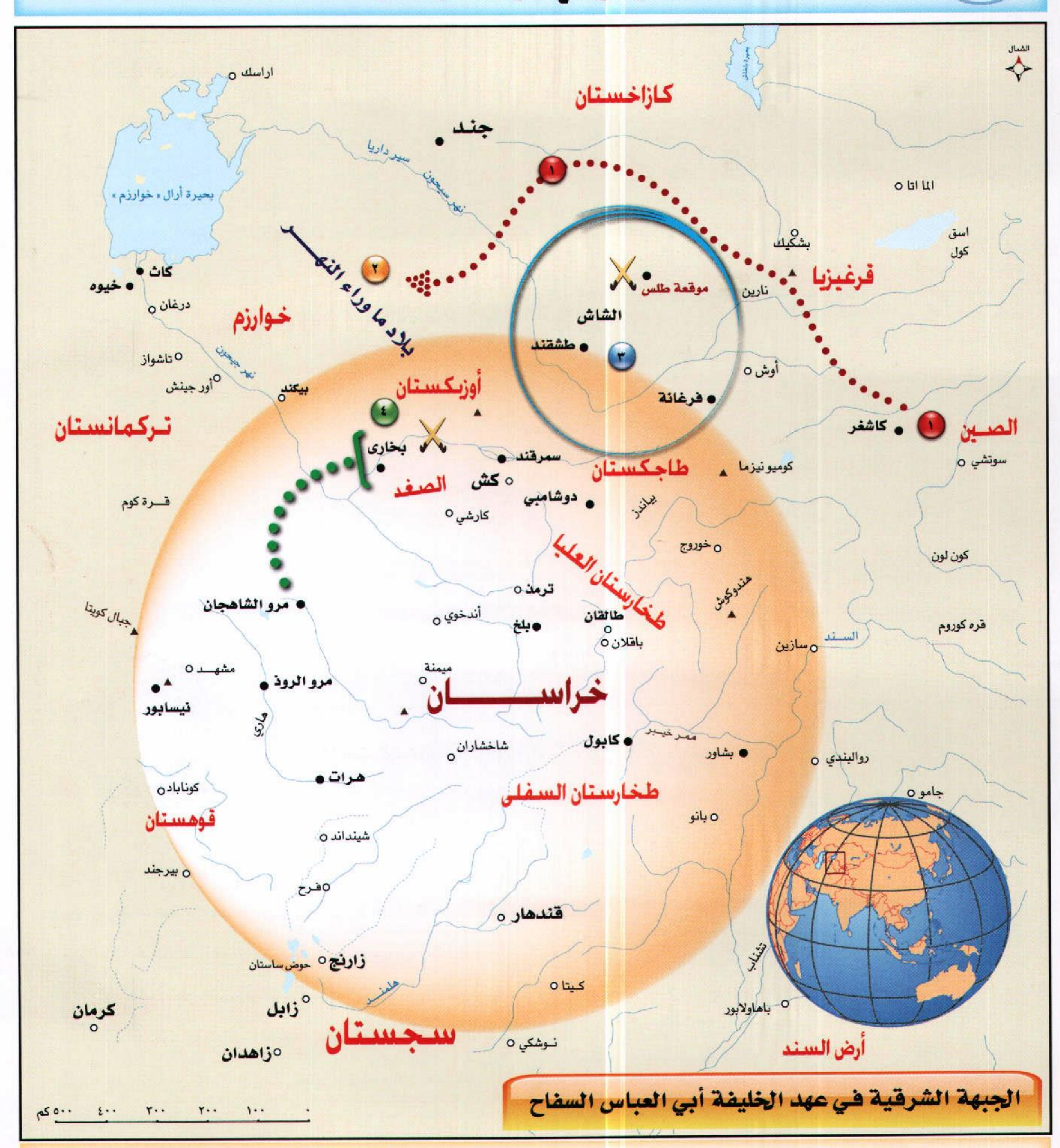
م. تاريخ الطبري



الجبهة الداخلية في عهد أبي العباس السفاح (١)
الهاشمية : مدينة بناها السفّاح بالكوفة وذلك أنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستتمّ بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها، فرفضها وبنى حيالها مدينة سماها الهاشمية ونزلها ثم اختار نزول الأنبار فبنى مدينتها المعروفة فلما توفي دفن بها. واستخلف المنصور فنزلها أيضاً واستتمّ بناء كان بقي فيها وزاد فيها على ما أراد ثم تحوّل عنها فبنى مدينة بغداد وسماها مدينة السلام... . الحموي، معجم البلدان، باب الهاء والألف.
يزيد بن عمر بن هبيرة: أمير العراقين أبو خالد نائب مروان الثاني (الحمار). كان بطلاً شجاعاً، سائساً جواداً، فصيحاً، خطيباً. وكان من الأكلة، وله في كثرة الأكل أخبار. وعن محمد بن كثير، أن السفاح ألح على أخيه أبي جعفر يأمره بقتل ابن هبيرة، وهو يراجعه لكونه حلف له. فكتب إليه وأنبه ليقتلنه. فولى قتله الهيثم بن شعبة، وقد ولي أبوه أيضاً إمرة العراقين ليزيد بن عبد الملك بعد المائة. قتل يزيد في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان أبو مسلم الخراساني هو الذي أغرى السفاح بقتل ابن هبيرة. وكان ابن هبيرة يركب ركبة عظيمة إلى أبي جعفر، فنهاه الحاجب إلى أن بقي في ثلاثة.
١ أبو العباس السفاح يُعيِّن عمه سليمان بن علي والياً على البصرة وأعمالها.
٢ أبو العباس يُعيِّن عمه إسماعيل بن علي والياً على كور الأهواز وأعمالها.
٣ أبو العباس يُعيِّن عمه داود بن علي والياً على الحجاز واليمن بعد أن عزله عن الكوفة.
٤ أبو العباس يُعيِّن عمه عبد الله بن علي والياً على حرب مروان بن محمد.
٥ أبو العباس يكلِّف أخاه أبا جعفر المنصور لقتال يزيد بن هبيرة .
دينار أبي العباس السفاح
عاصمة خلافة أبي العباس السفاح
كردستان
الجزيرة
أنطاكية
حلب
قنسرين
نهر الخابور
قرقيسياء
حمص
طرابلس
الفرات
دمشق
صور
بلاد الشام
فلسطين
يافا
القدس
عمان
هيت
المدائن
هاشمية الأنبار
واسط
كربلاء
الكوفة
الشمال
الأهواز
العمارة
العراق
البصرة
الأردن
الحميمة
العقبة
تبوك
ضباء
تيماء
وادي القرى
العُلا
وادي الحمض
البحرين
خليج البحرين (العربي)
وادي الباطن
ينبع
المدينة النبوية
نجد
الحجاز
حلايب
جدة
مكة المكرمة
إلى اليمن
البحر الشامي (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
بحر القلزم (البحر الأحمر)
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠كم



الجبهـة الداخليـة فـي عهـد
أبي العباس السفاح (٢)
أبرز الحركات الأموية المناوئة للخلافة العباسية.
موقع معركة
١ خروج حبيب بن مرَّة المرِّي في إقليم البثنية بفلسطين والبلقاء وحوران .
٢ خروج (أبو الورد) بقنّسرين .
٣ حركة أسامة بن مسلم في أرض الجزيرة الفراتية، واتخذ هؤلاء القادة الثلاثة رفع الأعلام البيضاء، ويسمون أنفسهم بالمبيضة، تأكيداً على تمردهم على الحكم العباسي الذي اتخذ السواد شعاراً له وسمي أتباعه بالمسودة .
٤ القائد العباسي عبد الله بن علي يقضي على الحركات السابقة ويخضع مدن الرقة وحرَّان والرها وماردين ودمشق وبيت المقدس .
٥ بعد مقتل مروان بن محمد في معركة الزاب، طلب ابن هبيرة الصلح، إلا أن العباسيين قتلوه في نهاية الأمر. ثم بعد ذلك قتل العباسيون أبا سلمة الخلال (وزير آل محمد) حينما شعروا برغبته بتحويل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت الطالبي.
موقع معركة الزاب سنة ١٣٢ هـ
حران
طرسوس
أنطاكية
الزاب
الموصل
أربيل
كرمنشاه
حمص
دمشق
قبرص
بلاد الشام
العراق
الأنبار
بحر الروم
الكوفة
البصرة
الأردن
بيت المقدس
الحميمة
الفسطاط
بوصير
الشمال
ماردين
الرها
حرَّان
الحسكة
منبج
جبل عبد العزيز
الرشيدية
الرقة
البدروسية
قنسرين
أدلب
مسكنة
فدغمي
مرقدة
نهر الخابور
جبل الزاوية
الحمدانية
الرصافة
اللاذقية
قبرص
عصرية
دير الزور
بصيرة
الجزيرة الفراتية
كلب
تغلب
بانياس
حماة
السلمية
الميادين
الجبال التدمرية الشمالية
طرطوس
الرستن
السخنة
نهر الفرات
حمص
الصالحية
البحر الشامي (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
تدمر
القائم
البوكمال
طرابلس
سـوريا
تنوخ
جبيل
جبال لبنان الغربية
الجبال التدمرية الجنوبية
إياد
جونية
بعلبك
بيروت
زحلة
سبع بيار
صيدا
دمشق
صور
القنيطرة
نهاريا
عكا
صفد
شهباء
الجابية
حيفا
نوى
قنوات
السويداء
طبريا
سهل حوران
درعا
جبل العرب
بصرى
الرمثا
أربد
صلخد
عجلون
نابلس
جرش
يافا
السلط
الزرقاء
رام الله
أريحا
الأردن
عمّان
بيت المقدس
الأزرق
مأدبا
بيت لحم
البحر الميت
غزة
الخليل
مؤآب
فلسطين
الكرك
بئر السبع
أدوم
العربة
الطفيلة
الشوبك
٢٥٠ كم ٢٠٠ ١٥٠ ١٠٠ ٥٠ ٠



١ – **الصينيون** يغزون بلاد ما وراء النهر التي فتحها المسلمون في العهد الأموي مستغلين تضعضع أوضاع المسلمين فيها .

٢ – في عام ١٣٢ هـ الجيش الصيني يستولي على مدينة سوياب ويدمرها (سوياب فرسخان وسوياب قريتان إحداهما تسمّى كبال والأخرى ساغور كبال، ابن خرد ذبه، المسالك والممالك) .

٣ – **الصينيون** يستغلون النزاع الدائر بين أخشيد فرغانة وملك الشاش، حيث وقفوا مع فرغانة ضد الشاش .

٤ – القائد المسلم **زياد بن صالح** الذي استطاع إخماد ثورة **شريك بن شيخ المهري** في **بخارى**، استطاع أن يلحق الهزيمة بالجيش الصيني على نهر طراز (**موقعة طلاس**) سنة ١٣٢ هـ . وبذلك ينهي التدخل الصيني في المنطقة .



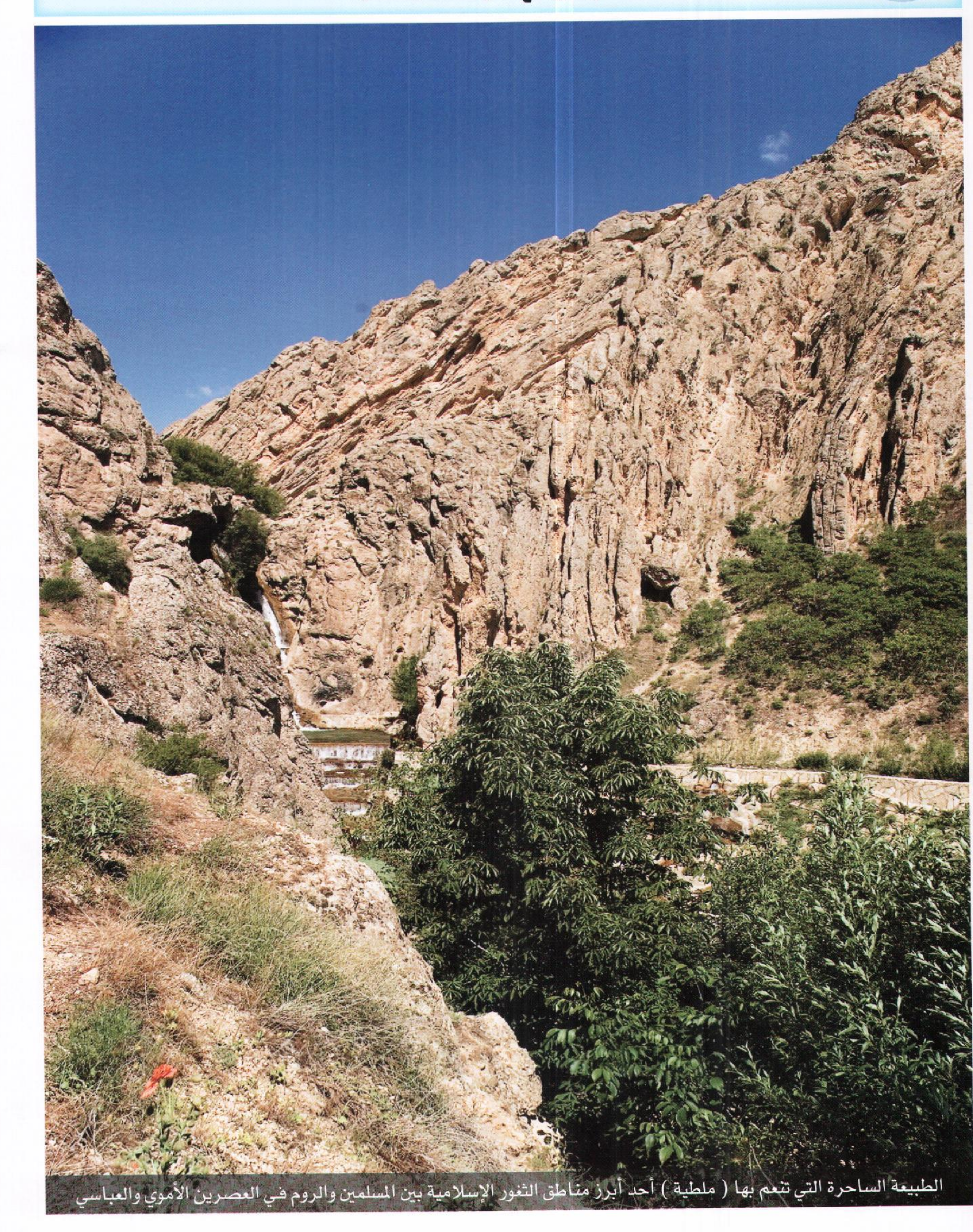
الجبهة البيزنطية في عهد الخليفة العباسي أبي العباس السفاح

١. الإمبراطور البيزنطي **قسطنطين الخامس** يغير على مناطق الثغور الشامية والجزرية ويستولي على الكثير من المدن والقلاع مستغلاً الأوضاع الداخلية في العالم الإسلامي .

٢. الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس سنة ١٣٣ هـ يقود حملة إلى منطقة الحدود مع أرمينيا ويستولي على حصن ثيودو سيبوليس (أرض روم) ، ولم يتمكن الجيش العباسي بقيادة مخلد بن مقاتل بن حكيم من الصمود أمامه، واستطاع الإمبراطور مواصلة زحفه على الثغور فاستولى على الحدث وملطية وقلوذية وخرّب حصن شمشاط .

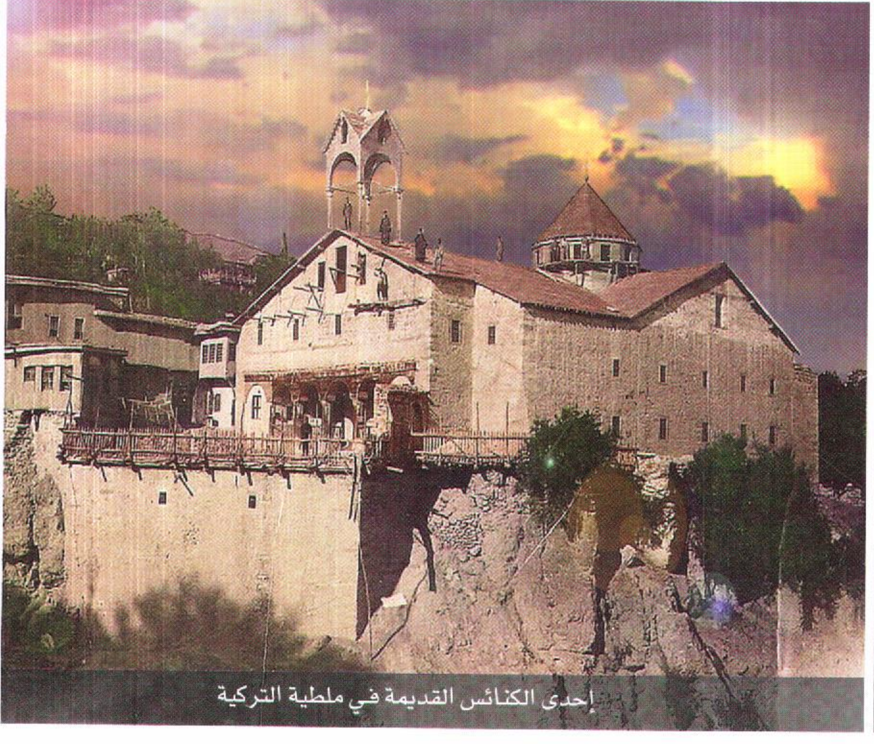
٣. في سنة ١٣٤ هـ استأنف المسلمون عملية **الصوائف والشواتي**؛ فأرسل أبو العباس السفاح صائفتين إلى ملطية، **الأولى** بقيادة عمّيه صالح وعيسى ابني علي فدمرا سورها، و**الثانية**، بقيادة محمد بن النصر بن بريم الحميري الذي دخل حصن طوانة، ثم وجَّه في نهاية العام **غارة بحرية** إلى صقلية وسردينيا بقيادة عبد الله بن حبيب الفهري.

٤. الخليفة العباسي (أبو العباس) يكلف واليه على الشام عمه عبد الله بن علي في عام ١٣٦ هـ بتجهيز حملة إلى **آسيا الصغرى** تجمعت في مرج دابق، لكن المنية وافته قبل أن يرسل طلائع الجيش إلى هناك .

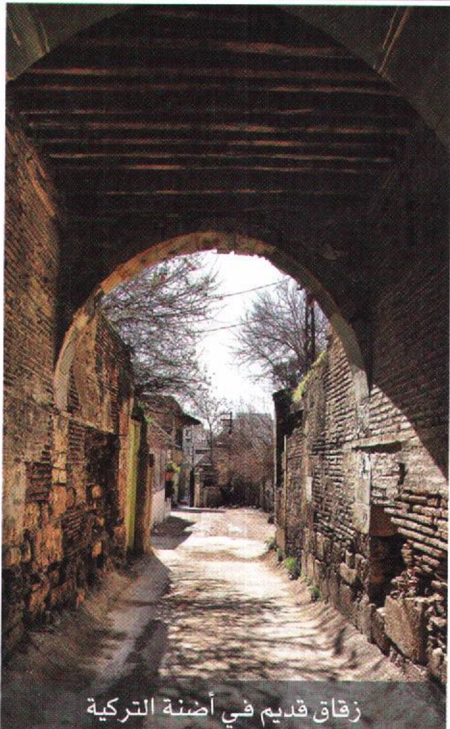


الطبيعة الساحرة التي تنعم بها (ملطية) أحد أبرز مناطق الثغور الإسلامية بين المسلمين والروم في العصرين الأموي والعباسي

أحد المساجد العثمانية التي تزخر بها (أرض روم) التركية



إحدى الكنائس القديمة في ملطية التركية



زقاق قديم في أضنة التركية

أبو جعفر المنصور

١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٤-٧٧٥م

هو المنصور **عبد الله بن محمد** بن علي العباسي، وكنيته « أبو جعفر » . ولد سنة ٩٥هـ/٧١٢م بالحميمة من أرض الشراة من البلقاء بالشام، ونشأ فيها. بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه أبي العباس سنة ١٣٦ هـ - ٧٥٤م حتى وفاته في ٦ من ذي الحجة سنة ١٥٨هـ = ٧ من أكتوبر ٧٧٥م) وهو محرم بالحج والعمرة، ودُفن في مقبرة المعلاة (بئر ميمون) في أعلى مكة المكرمة.

يُعد أبو جعفر المنصور هو **المؤسس الحقيقي للدولة العباسية**، يقول ابن طباطبا في الفخري: هو الذي سن السنن وأرسى السياسة واخترع الأشياء، وسار أبناؤه الخلفاء من بعده على مسيرته؛ وهو فوق ذلك جعل لبني العباس سنداً شرعياً في وراثة الدولة، أعطت لهم السبق على أبناء عمهم الطالبيين، تمثلت في المكاتبات بينه وبين محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، ويتلخص ذاك السند في الفتوى بأن العم أحق في الوراثة من البنت، وابن العم، ويقصد بذلك فاطمة الزهراء رضي الله عنها و علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ كما أن المنصور هو من سن السياسة الدينية وجعلها أساساً لحكم العباسيين .

لذا يعد أبو جعفر المنصور - كما أسلفنا - المؤسس الحقيقي للدولة العباسية التي ظلت خمسة قرون، زينة الدنيا، ومركز الحضارة، وموئل الثقافة، وعاصمة العالم. نهض إلى الخلافة بعد أن أصقلته التجارب وأنضجته المحن، وخَبِر الناس وعاشرهم ووقف على دواخلهم وأخلاقهم، وما إن أمسك بزمام الأمور حتى نجح في التغلب على مواجهة صعاب وعقبات توهن عزائم الرجال وتضعف ثبات الأبطال، وتبعث اليأس والقنوط في النفوس. وكانت مصلحة الدولة شغله الشاغل، فأحكمت خطواته وأحسنت تدبيره، وفجرت في نفسه طاقات هائلة من التحدي، فأقام دولته باليقظة الدائمة، والمثابرة الدائبة، والسياسة الحكيمة.

شخصية أبي جعفر المنصور القيادية : كان الخليفة أبو جعفر المنصور رجل عمل وجد، لم يتخذ من منصبه وسيلة للعيشة المرفهة والانغماس في اللهو والاستمتاع بمباهج السلطة والنفوذ، يستغرق وقته في النظر في شؤون الدولة، ويستأثر بمعظم وقته أعباء الحكم.

وكان يعرف قيمة المال وحرمته، فكان حريصاً على إنفاقه فيما ينفع الناس؛ ولذلك عني بالقليل منه كما عني بالكثير، ولم يتوان عن محاسبة عماله على المبلغ الزهيد، ولا يتردد في أن يرسل إليهم التوجيهات والتوصيات التي من شأنها أن تزيد في دخول الدولة، وكان يمقت أي لون من ألوان تضييع المال دون فائدة، حتى اتهمه المؤرخون بالبخل والحرص، ولم يكن كذلك فالمال العام له حرمته ويجب إنفاقه في مصارفه المستحقة؛ ولذلك لم يكن يغض الطرف عن عماله إذا شك في أماناتهم من الناحية المالية بوجه خاص لأنه كان يرى أن المحافظة على أموال الدولة الواجب الأول للحاكم. وشغل أبو جعفر وقته بمتابعة عماله على المدن والولايات، وكان يدقق في اختيارهم ويسند إليهم المهام، وينتدب للخراج والشرطة والقضاء من يراه أهلاً للقيام بها، وكان ولاة البريد في الآفاق يكتبون إلى المنصور بما يحدث في الولايات من أحداث، حتى أسعار الغلال كانوا يطلعونه عليها وكذلك أحكام القضاء. وقد مكنه هذا الأسلوب من أن يكون على بينة مما يحدث في ولايات دولته، وأن يحاسب ولاته إذا بدر منهم أي تقصير. وعلى الرغم من الشدة الظاهرة في معاملة المنصور، وميله إلى التخلص من خصومه بأي وسيلة، فقد كان يقبل على لقاء العلماء الزاهدين ويرحب بهم ويفتح صدره لتقبل نقدهم ولو كان شديداً. وتمتلئ كتب التاريخ والأدب بلقاءاته مع سفيان الثوري وعمرو بن عبيد وابن أبي ذئب والأوزاعي وغيرهم.موسوعة المعرفة

الأحداث السياسية الكبرى في عهد أبي جعفر المنصور





صورة مكبرة لدينار الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، سك في سنة ١٤٣ هـ



أراد **أبو جعفر** أن يضرب عمه **عبد الله بن علي** بأبي مسلم الخراساني، وأيهما زال فقد زال من طريقه، ولا سيما أن عبد الله بن علي ينتظر أن تؤول إليه الخلافة، لما كان له من يد طولى في القضاء على ملك بني أمية، فلما جاء الخبر باستخلاف أبي جعفر المنصور **خلعه وأعلن البيعة لنفسه**.. فأرسل إليه أبو جعفر جيشاً بقيادة **أبي مسلم الخراساني** فالتقوا عند **حرَّان** ودارت معركة بين الفريقين لمدة ستة أشهر، وظلت المعركة سجالاً ثم تحولت إلى أبي مسلم الذي انتصر، وفر عبد الله بن علي إلى **البصرة** عند أخيه سليمان، فعلم بذلك أبو جعفر فبعث إلى سليمان يأمره بإحضار عبد الله بن علي إليه، وأعطاه الأمان لعبد الله ما جعله يثق به، فجيء به إلى المنصور سنة ١٣٩هـ، فأمر بحبسه وحبس من كان معه، وظل في حبسه حتى مات سنة ١٤٧هـ.



روى البيهقي عن الحاكم بسنده أن عبد الله بن المبارك سئل عن أبي مسلم أهو خير أم الحجاج؟ فقال: لا أقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد، ولكن كان الحجاج شراً منه، قد اتهمه بعضهم على الإسلام، ورموه بالزندقة، ولم أر فيما ذكروه عن أبي مسلم ما يدل على ذلك، بل على أنه كان ممن يخاف الله من ذنوبه، وقد ادعى التوبة فيما كان منه من سفك الدماء في إقامة الدولة العباسية، والله أعلم بأمره.

ثانياً : القضاء على أبي مسلم الخراساني

أراد أبو جعفر أن يصطاد أبا مسلم قبل أن يعود إلى خراسان بعد هذه المعركة، ولم يكن يريد أن يظهر لأبي مسلم مراده. فكتب إلى أبي مسلم (إني قد وليتك مصر والشام فهي خير لك من خراسان.. تكون بقرب أمير المؤمنين، فإن أحب لقاءك أتيته من قريب). فغضب أبو مسلم، وقال: (يوليني الشام ومصر، وخراسان لي). وعزم على عدم تنفيذ الأمر والعودة إلى خراسان. قرر أبو جعفر استعمال الدهاء مع أبي مسلم وبدأت بينهما حرب مراسلات، حتى أرسل أبو جعفر إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي، في جماعة من الأمراء وأمره أن يكلم أبا مسلم بألين ما يكلم به أحدًا، وأن يمنّيه فإن أبى قال له: (هو بريء من العباس إن شققت العصا، وذهبت على وجهك ليدركنك بنفسه وليقاتلنك دون غيره، ولو خضت البحر الخضم لخاضه خلفك، حتى يدركك فيقتلك أو يموت قبل ذلك). وبالفعل يقابل الوفد أبا مسلم فيأبى أن يطيع، أو أن يأتي لمقابلة أبي جعفر، فيبلغاه الرسالة الأخيرة، وسبحان الله! فهذه الكلمات جعلت الجبار أبا مسلم يخنع ويجبن، ويزداد تردداً وحيرة. كما كتب أبو جعفر إلى خليفته أبي مسلم على جند خراسان يعطيه إمامة خراسان ما عاش.. كل هذه الضغوط جعلت أبا مسلم يقرر الذهاب لمقابلة أبي جعفر المنصور الذي تمادى في المكر فأعطاه الأمان، وأظهر له عند دخوله المدائن الاحترام والتقدير ومراسم الاستقبال، ولكنه كان عازماً على قتل أبي مسلم غدراً، وبالفعل قتله وهو يكلمه آمناً على يد بعض حراسه.


ثالثاً: ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية)
الشمال
كردستان
الجزيرة
أنطاكية
حلب
قنسرين
قرقيسياء
حمص
طرابلس
الفـرات
دجلة
دمشق
صور
بلاد الشام
فلسطين
يافا
القدس
عمان
الأردن
هيت
المدائن
هاشمية الأنبار
واسط
كربلاء
باخمري
الكوفة
العمارة
العـراق
الأهواز
فارس
البصرة
إيلة
دومة الجندل
صحـراء النفود
الدولة العباســـية
تبوك
ضباء
تيماء
وادي القرى
العُلا
المدينة
جدة
مكة المكرمة
الحجاز
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠كم
من أخطر الثورات التى واجهت أبي جعفر المنصور خروج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، وكان من أشراف بنى هاشم علماً ومكانة، وكان يلقب بـ "النفس الزكية" فاجتمع العلويون والعباسيون معاً وبايعوه أواخر الدولة الأموية، وكان من المبايعين "المنصور" نفسه، فلما تولى الخلافة لم يكن لـه هم إلا طلب محمد هذا خشية مطالبته بطاعة هؤلاء الذين بايعوه من قبل، وهنا خرج "محمد" النفس الزكية بالمدينة سنة ١٤٥هـ/٧٦٣م، وبويع له فى كثير من الأمصار. وخرج أخوه "إبراهيم" بالبصرة، واجتمع معه كثير من الفقهاء، وغلب أتباعه على "فارس" و"واسط" و"البصرة"، و"الأهواز"، وشارك فى هذه الثورة كثير من الأتباع من كل الطوائف.
اعترف الناس بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية في مكة والمدينة، وتلقّب بأمير المؤمنين، وكان الناس يميلون إليه لخلقه وزهده وحلمه وبعده عن الظلم وسفك الدماء حتى أطلقوا عليه النفس الزكية. وحين نجحت حيلة المنصور في إجبار محمد النفس الزكية على الظهور بعد القبض على آل بيته .
١ العلويون بقيادة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية، وأخيه إبراهيم، يمتنعان عن مبايعة أبي جعفر المنصور بالخلافة، ويعدان العدة للقضاء عليه، ويختفيان عن أنظار الخليفة، ويبثان رجالهما لنشر الدعوة إليهما.
٢ بعد فشل أبي جعفر في الوصول إلى النفس الزكية وأخيه؛ لجأ إلى القبض على عبد الله بن الحسن والد الزعيمين المختفيين وهدده وتوعده، وقبض أيضاً على نفر من آل البيت، وبعث بهم إلى الكوفة فشدد عليهم الخليفة؛ فاضطر محمد النفس الزكية إلى الظهور بعد أن مكث دهراً يدعو لنفسه سراً.
٣ انظر رقم ٣ داخل الخارطة.
٤ نجحت حيلة المنصور في إجبار محمد النفس الزكية على الظهور بعد القبض على آل بيته، فبعث إليه بجيش كبير يقوده عمه عيسى بن موسى فتمكن من هزيمة الجيش العلوي الأول بقيادة محمد النفس الزكية وقتله بالمدينة المنورة في (١٤ من رمضان ١٤٥هـ / ٦ من ديسمبر ٧٦٢م).
٥ تمكن العباسيون من هزيمة الجيش العلوي الثاني الذي كان يقوده إبراهيم أخو محمد النفس الزكية، الذي تغلب على البصرة والأهواز وفارس، ونجح في القضاء عليه بعد صعوبة بالغة في (٢٥ من ذي القعدة ١٤٥هـ / ١٤ من يناير ٧٦٣ م) في معركة حاسمة وقعت في "باخمري" بين الكوفة وواسط.



(٢) استطاع المجوسي "**سُنباد**"، أن يثأر لمقتل أبي مسلم الخراساني ويلتف حوله الكثيرون من أهل "**خراسان**"، فهجموا على ديار المسلمين في "نيسابور" و"قومس" و"الري"، فنهبوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا النساء، ثم تبجحوا، فقالوا: **إنهم عامدون لهدم الكعبة !؟**، فأرسل إليهم **المنصور** جيشاً بقيادة **جمهور بن مرار العجلي**، فهزمهم واستردّ الأموال والسبايا، ولا يكاد أبو جعفر يتخلص من "سنباد" سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٦م، حتى واجه ثائراً ينادي بخلع المنصور.. هو قائده "جمهور بن مرار العجلي" الذي هزم "سنباد".. ؟

(٣) لما هزم "جمهور" سنباد، واسترد الأموال، كانت خزائن أبي مسلم الخراساني من بينها، فطمع "جمهور"، فلم يرسل المال إلى الخليفة المنصور، بل ونقض البيعة ونادى بخلع المنصور، فماذا كان من ذلك؟ أرسل المنصور القائد الشجاع "محمد بن الأشعث" على رأس جيش عظيم، فهزم "جمهوراً" وفر هارباً إلى "أذربيجان"، وكانت الموقعة في سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٦م.



الحركة الراوندية سنة ١٤١ هـ تأليهاً للخليفة أبي جعفر المنصور

(٢) **الراوندية:** حركة غريبة ظهرت في أجواء الحياة العباسية (١٤١هـ ٧٥٨م).. وسميت الراوندية نسبة إلى قرية (راوند) القريبة من أصفهان.. وكانوا يؤمنون بتناسخ الأرواح، ثم أعلنوا أن أبا جعفر المنصور هو الإله الذي يرزقهم ويطعمهم. واتجه ستمئة شخص منهم نحو عاصمة الخلافة العباسية في ذلك الوقت (الهاشمية)، وأعلنوا ثورة عارمة على الخليفة المنصور، الذي لم يقرهم على أفكارهم، وطالبهم بالرجوع عن هذه الأفكار، فما هو إلا مجرد خليفة، وعبد من عباد الله، وليس إلهاً.

ومن هنا وجد هؤلاء الراوندية أن الخليفة لا يستحق التقديس، فهم قد رفعوه إلى مرتبة الإلهية، وهو يأبى ذلك، فلابد إذن من الثورة عليه، لأنه لا يستحق هذا الشرف العظيم.. ومن هنا فقد قرروا إعلان الحرب عليه.. وتوجهوا نحو **قصره بالهاشمية**، ومن هنا فقد وقف الخليفة موقفاً في غاية الشجاعة عندما امتطى صهوة حصانه، وأمسك سيفه، وخرج من قصره لمواجهة هؤلاء العصاة المتمردين.. وما كاد الناس يرون شجاعة أمير المؤمنين وهو ممسكٌ بسيفه ويقاتل هؤلاء المتمردين حتى انضموا إليه، وأخذوا يحاربون بجانبه حتى كتب الله لهم النصر المؤزر.



(١) أستاذ سيس؛ رجل فارسي **ادَّعى النبوة**، وقاد حركة تهدف إلى تخليص بلاد فارس من قبضة العباسيين، واستطاع بجيوشه الضخمة التي بلغت في بعض الروايات ٣٠٠,٠٠٠ ألف مقاتل، من أجل بسط نفوذه على مناطق سجستان وهراة (هرات)، وكور خراسان وغيرها.

(٢) الأجثم المروزي يخرج في أهل مرو الروذ، لمقاتلة أستاذ سيس قتالاً شديداً حتى قتل الأجثم، وكثر القتل في أهل مرو الروذ، وهزم عدة من القواد؛ منهم معاذ بن مسلم بن معاذ، وجبرائيل بن يحيى، وحماد بن عمرو، وأبو النجم السجستاني، وداود بن كراز.

(٣) **أبو جعفر المنصور** يجيش قوات ضخمة بقيادة **خازم بن خزيمة التميمي**، للقضاء على هذه الحركة، وانتهى الأمر بالقبض على أستاذ سيس وإعدامه .



مـازال مرجل **الخوارج** يغلـي ولكنه يغلي على بقية جمـر كاد أن يصـير رماداً واختلف خـوارج اليوم عن خـوارج الأمس، فالخـوارج على بني أميـة كانوا أكثر جمعـاً وأشـد بأسـاً، أما الخـوارج على بنـي العباس فكانوا كما وصفهم أحمد أمين بقوله: "كانوا الخوارج في حالة الاحتضار وحركاتهم التي أتوا بها في العهد العباسـي تشـبه حركة المذبوح" ((ضحى الإسلام)) (٣٣٥/٣) .

ومـن هنـا توالت عليهم الهزائـم فلا يخرجون على خليفة إلا ورماهم بكل ما لديه من ثقل إلى أن أصبحوا في وضـع لا يمكنهم فيـه أن يلفتوا إليهـم نظراً، فلا يخشـى بأسـهم ولا يحسـب لقوتهـم مثـل مـا كان لأسلافهم. يقول أحمـد أمين في نتيجـة هزائمهم: "وكانـت هـذه الهزائـم المتوالية للخوارج سـبباً في ضـعف أمرهـم وقلة شـأنهم؛ فلم يعد لهـم من القوة والقتال أثر في التاريخ كبير" ((ضحى الإسلام)).

(١) الخارجـي "مُلَبّـد بـن حرملة الشـيباني" يخرج في ألـف من أتباعه بالجزيـرة من العراق، وينضـم إليه الكثيرون، فغلب بـلاداً كثيرة، إلى أن تمكنت جيوش المنصـور بقيادة خازم بن خزيمة من هزيمته في سنة ١٣٨ هـ/ ٧٥٧م.

(٢) تحرك الخوارج مرة ثانية في خلافة المنصـور سـنة ١٤٨هـ بالموصـل تحت قيادة "حسـان بن مجالد الهمداني"، إلا أن خروجه هو الآخر قد باء بالفشل.

خوارج المغرب في عهد أبي جعفر المنصور

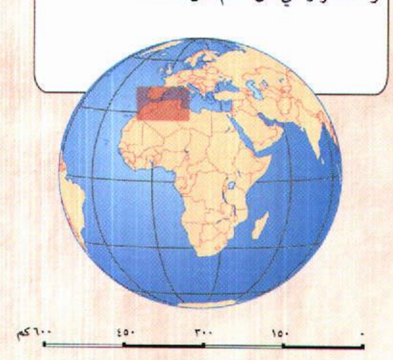
من هم الإباضية؟

يرجع المذهب الإباضي في نشأته وتأسيسه إلى عصر التابعين؛ فمؤسسه الذي أرسى قواعد الفقه الإباضي وأصوله هو التابعي الشهير: جابر بن زيد الأزدي فهو إمام محدث فقيه، من أخص تلاميذ ابن عباس، وممن روى الحديث عن أُمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) وعدد كبير من الصحابة ممَّن شهد بدراً، كان إماماً في التفسير والحديث، وكان ذا مذهب خاص به في الفقه، ولد سنة ٢١ للهجرة، وكان أكثر استقراره بالبصرة وبها توفي سنة ٩٣ للهجرة. ولم ينسب إليه المذهب وإنّما نسب إلى عبد الله بن إباض وهو تابعي أيضاً عاصر معاوية وتوفي في أواخر أيّام عبد الملك بن مروان فهي نسبة عرضية كان سببها بعض المواقف الكلامية والسياسية التي اشتهر بها ابن إباض وتميز بها، فنسب المذهب الإباضي إليه، ولم يستعمل الإباضية في تاريخهم المبكر هذه النسبة، بل كانوا يستعملون عبارة "جماعة المسلمين" أو أهل الدعوة" وأول ما ظهر استعمالهم لكلمة الإباضية كان في أواخر القرن الثالث الهجري. د. عمرو خليفة النامي ،مقدمة تحقيقه لكتاب أجوبة ابن خلفون: ٩-١٢



(٥) لم يقف أبو جعفر المنصور أمام هذه الحركات المناهضة للدولة العباسية مكتوف اليدين، حيث أرسل الحملات العسكرية المتلاحقة إلى المغرب لإعادة بسط سيطرة الدولة عليه.

وتمكنت إحدى هذه الحملات بقيادة يزيد بن حاتم ابن قبيصة من الانتصار على الخوارج الإباضية في سنة ١٥٥ هـ ونعمت القيروان ، بعد أن استعادتها الجيوش العباسية بمدة طويلة من الهدوء والاستقرار في ظل حكم أهل السنة .



(١) استولى **عبد الرحمن بن حبيب**، أحد الزعماء العرب البارزين على السلطة في إفريقية (المغرب الأدنى) في ظل الفوضى التي ضربت العالم الإسلامي في أثناء الصراع على السلطة بين الأمويين والعباسيين، ودخل القيروان، متطلعاً إلى إقامة دولة مستقلة؛ لكنه اغتيل في سنة ١٣٧ هـ .

(٢) أقام **الخوارج إمارتين في بلاد المغرب** في عهد أبي جعفر قامتا على أكتاف البربر برئاسة زعماء من العرب، واستقلتا استقلالاً يكاد يكون تاماً .

(٣) **إمارة سجلماسة (الصفرية)** ، وهي **دولة بني مدرار** أو بني واصول « واسول » الصفرية، أسسها رجل سوداني يدعى عيسى بن يزيد المكناس الصفري، وتدين الدولة بالمذهب الصفري، نشأت في سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م في جنوبي المغرب الأقصى في المنطقة شبه الصحراوية التي تضم السهوب والواحات القائمة في الجنوب من جبال الأطلس .

(٤) **الإمارة الإباضية**، تنسب إلى **عبد الله بن إباض المري**، قامت في المغرب الأوسط سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م، أسسها رجل فارسي، على الغالب ، هو **عبد الرحمن بن رستم**، وقد حمل لقب الإمام، وكانت عاصمة الدولة **تاهرت** التي بناها المؤسس سنة ١٥٠ هـ، وقدر لخلفائه أن يحكموا أكثر من مئة وثلاثين عاماً، وكانوا أشد الخوارج تعصباً .

عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) وتأسيس الدولة الأموية في الأندلس

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

و عبد الرحمن بن معاوية هو حفيد هشام بن عبد الملك الذي حكم من سنة ١٠٤ هـ ٧٢٣م إلى سنة ١٢٥ هـ ٧٤٣م. نشأ عبد الرحمن في بيت الخلافة الأموي بدمشق، وكان الفاتح الكبير مسلمة بن عبد الملك عم أبيه يرى فيه أهلاً للولاية والحكم وموضعاً للنجابة والذكاء، وسمع عبد الرحمن ذلك منه مشافهة، مما أثّر في نفسه أثراً إيجابياً.

وعندما أقام العباسيون دولتهم على أنقاض الدولة الأموية، كان هدفهم تعقب الأمويين والقضاء على أفراد البيت الأموي، خشية من محاولة أحدهم استرداد مجدهم، ولاسيما في الشام، لهذا بذلوا الجهود المضنية لتحقيق هذا الهدف.

نجح عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي اختبأ في قرية منعزلة قريبة من الفرات في سوريا، وكان معه ابنه الطفل سليمان وكان عمره وقتها أربع سنوات، وأخ أصغر مع أختين. وعندما اكتشف العباسيون مكانهم هرب عبد الرحمن مع أخيه الوليد بن معاوية عبر بعض البساتين فتعقبهم العباسيون، لكنهما حاولا عبور النهر فأغراهما العباسيون أن يرجعا ولهما الأمان، فرجع أخوه وغرر به وقتله العباسيون، وكان عمره ثلاث عشرة سنة، بينما نجح عبد الرحمن بن معاوية في الوصول إلى الضفة الأخرى بسلام، ولم تنطلِ عليه مكيدتهم ولحق به مولاه بدر طبقاً لخطة سابقة (انظر الخارطة في الصفحة المقابلة).

حكام الدولة الأموية في الأندلس ١٣٨ - ٣٩٩ هـ
١- عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) ١٣٨ – ١٤٢ هـ
٢- هشام الأول بن عبد الرحمن الداخل ١٧٢ – ١٨٠ هـ
٣- الحكم بن هشام ١٨٠ – ٢٠٦ هـ
٤- عبد الرحمن. الأوسط. بن هشام ٢٠٦ – ٢٣٨ هـ
٥- محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨ – ٢٧٣ هـ
٦- المنذر بن محمد ٢٧٣ – ٢٧٥ هـ
٧- عبد الله بن محمد ٢٧٥ – ٣٠٠ هـ
٨- عبد الرحمن (الثالث) ٣٠٠ – ٣٥٠ هـ
٩- الحكم بن عبد الرحمن ٣٥٠ – ٣٦٦ هـ
١٠ -هشام الثاني بن الحكم ٣٦٦ – ٣٩٩ هـ



نصب تذكاري لعبد الرحمن الداخل (صقر قريش) في مدينة الكتف الاسبانية



بدأ **عبد الرحمن بن معاوية** يعدّ العدة **لدخول الأندلس** بعد أن كون جيشاً قوياً والتف حوله عدد من مؤيديه، فعمل على الآتي:

أولاً : أرسل **بدر** - أحد رجاله والقادم معه من دمشق - إلى الأندلس لدراسة الموقف، ومعرفة القوى المؤثرة في الحكم فيها والوضع في الداخل الأندلسي.

ثانياً : راسل كل محبي الدولة الأموية على أرض الأندلس.

ثالثاً : راسل عبد الرحمن بن معاوية البربر في الأندلس، وأعلمهم خطته ورحبوا بذلك لمعرفتهم بعدل الأمويين وإنصافهم لهم، وكانوا في ذلك الوقت على خلاف شديد جداً مع **يوسف بن عبد الرحمن الفهري**؛ لأنه فرّق بينهم وبين العرب في شمالي إفريقيا، فهم يريدون أن يتخلّصوا من حكمه الذي عاملهم بهذه العنصرية.

رابعاً : راسل كل الأمويين في الأصقاع أنه عازم على الدخول إلى الأندلس وإقامة الدولة الأموية فيها؛ فالتحق به كافة الأمويين في الشام وغيرها من البلاد.

وفي ربيع الثاني سنة (١٣٨هـ، ٧٥٥) عَبَرَ عبد الرحمن بن معاوية بجيشه القوي ومن معه من القادة **مضيق جبل طارق** إلى داخل الأندلس بهيبة وعظمة الفاتحين المنتصرين، وانضم إليه أنصاره وأخضع كافة البلاد في طريقه وزحف إلى إشبيلية واستولى عليها وبايعه أهلها، ثم نجح في دخول **قرطبة** العاصمة، بعد أن هزم جيش يوسف بن عبد الرحمن الفهري في **موقعة المصارة** في العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٨هـ ليسيطر على كافة أرجاء الأندلس.



الجبهة البيزنطية في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور

(١) اتسمت الحروب بين المسلمين والبيزنطيين في هذا العهد **بالمهادنة** إلى حد ما، إذ لم تتعدّ المناوشات الحدودية المحدودة، وذلك يعود إلى اهتمام العباسيين بتدعيم مركزهم الداخلي بينما كان همّ الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس منصباً على التجهيز لحرب البلغار في البلقان.

(٢) **منطقة الثغور الشامية :** هي التي خصصت للدفاع عن بلاد الشام، وتقع غربي الثغور الجزرية، ومن أهم حصونها: طرسوس، وأضنة، ومنبج ، والمصيصة.

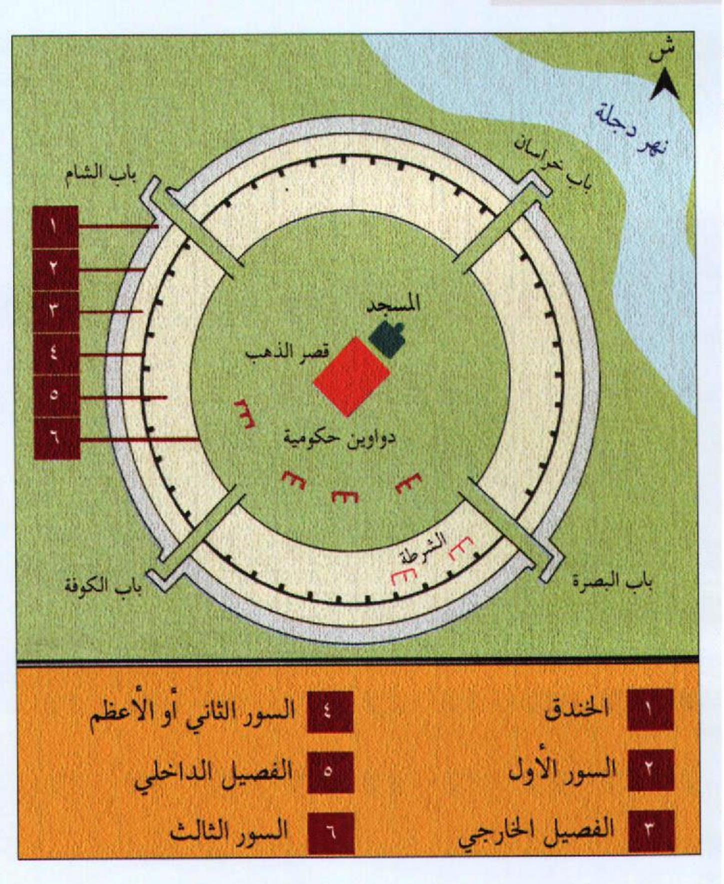
(٣) **منطقة الثغور الجزرية :** هي التي خصصت للدفاع عن الجزيرة الفراتية، ومن أهم حصونها: مرعش والحدث وملطية وعين زربة وبطرة.

(٤) في سنة ١٣٣ هـ تعرضت ملطية لهجوم بيزنطي عنيف بقيادة الإمبراطور الذي تمكن من دخولها، وقهر أهلها وهدم سورها؛ بيد أن أبا جعفر المنصور سرعان ما قام باستعادتها وترميمها وشحنها بالمقاتلة لأهميتها الإستراتيجية، ورمم مرعش، وبنى المصيصة. واستطاع العباسيون في سنة ١٥٨ هـ بقيادة معيوف بن يحيى دحر قوة بيزنطية بالقرب من مدينة الحدث.

إحدى الروابي الخضر في مرعش التركية والتي كانت من أبرز مناطق الثغور الجزرية

إحدى المغارات المنتشرة في جبال مرعش التركية

بناء مدينة بغداد (المدينة المدورة - دار السلام) سنة ١٤٥ هـ



تعد مدينة بغداد من المدن التي ترتبط بتاريخ الخلافة العباسية إن لم يكن تاريخ العالم الإسلامي خلال القرون الخمسة من سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م إلى٦٥٦هـ/١٢٥٨م، حيث رأى **أبو جعفر المنصور** أن يتخذ من بغداد عاصمة له بعدما قضى على منافسيه من العباسيين والعلويين في سنة ١٤٥ هـ ٧٦٢م، فبنى أبو جعفر المنصور على نهر دجلة عاصمته بغداد في سنة (١٤٥ - ١٤٩ هـ) ٧١٠ م على شكل دائري، وهو اتجاه جديد في بناء المدن الإسلامية، لأن معظم المدن الإسلامية، كانت إما مستطيلة كالفسطاط، أومربعة كالقاهرة، أوبيضاوية كصنعاء. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن هذه المدن نشأت بجوار مرتفعات حالت دون استدارتها.

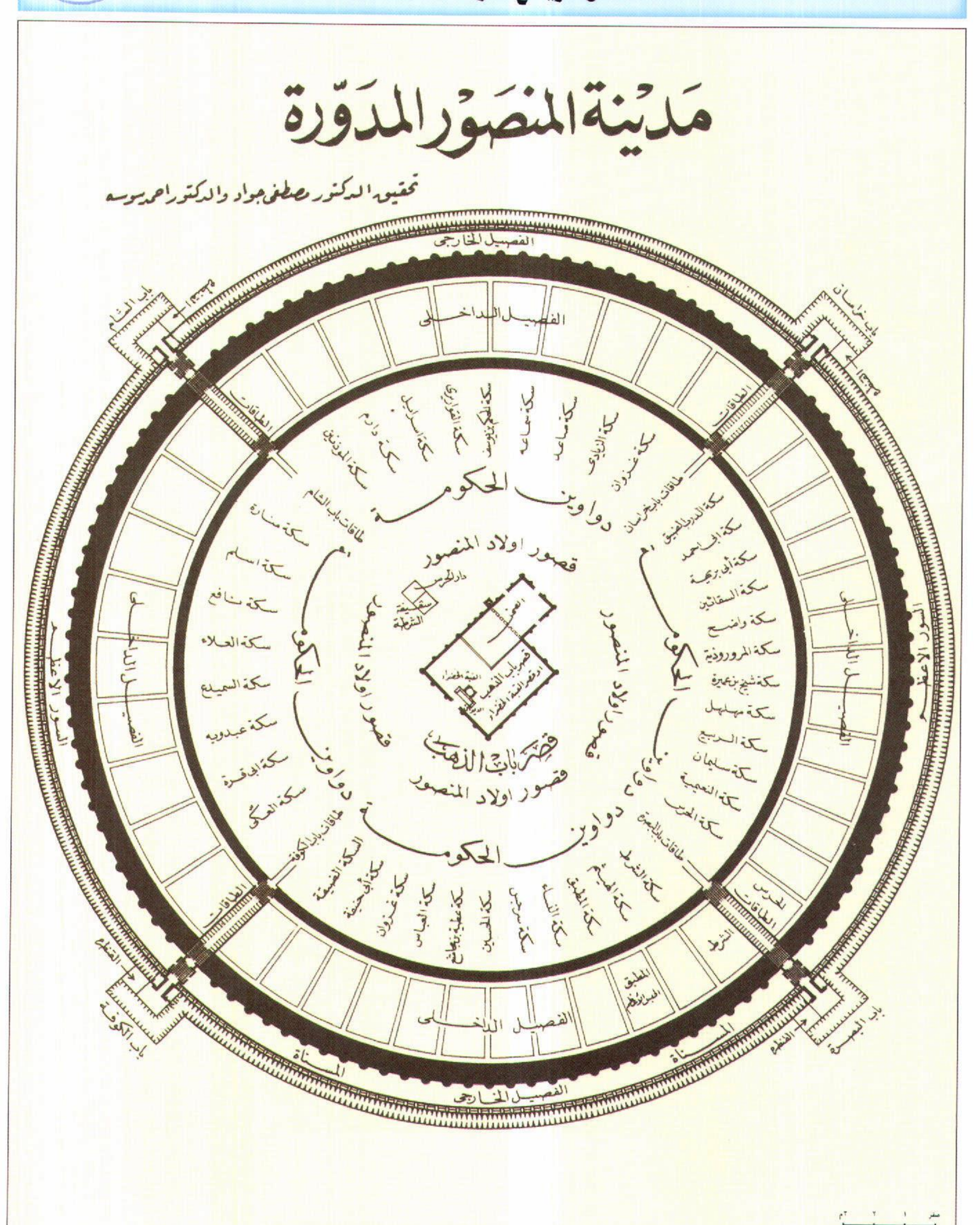
ويعد تخطيط المدينة المدورة (بغداد)، ظاهرة جديدة في الفن المعماري الإسلامي، ولاسيما في المدن الأخرى التي شيدها العباسيون مثل: مدينة سامراء وما حوته من مساجد وقصور خلافية فخمة. وإلى جانب العمارة وجدت الزخرفة التي وصفت بأنهما لغة الفن الإسلامي، وتقوم على زخرفة المساجد والقصور والقباب بأشكال هندسية أو نباتية جميلة، تبعث في النفس الراحة والهدوء والانشراح. وسمي هذا الفن الزخرفي الإسلامي في أوروبا باسم أرابسك[١].

وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال: وجدت في خزائن أبي المنصور في الكتب أنه أنفق على مدينة السلام (بغداد) وجامعها وقصر الذهب بها والأسواق والفصلان والخنادق وقبابها وأبوابها أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثين درهماً ومبلغها من الفلوس مائة ألف ألف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس، وذلك أن الأستاذ من البنائين كان يعمل يومه بقيراط فضة والروزكاي بحبتين إلى ثلاث حبات.

١ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

مدينة المنصور المدورة

تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسه





قصر عيسى بن علي عم المنصور وهو أول قصر بناه الهاشميون العباسيون ببغداد

منارة سوق الغزل (جامع الخلفاء) كما صورها مصور ألماني خلال زيارة للعراق سنة ١٩١١م، وهي أقدم منارة باقية من العصر العباسي في بغداد



مرئية فضائية لبغداد اليوم والتي أسسها الخليفة العباسي « أبو جعفر المنصور »

محمد المهدي

١٥٨-١٦٩هـ / ٧٧٥-٧٨٥م

هو **أبو عبد الله محمد** بن المنصور ولد بأيذج سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة ست وعشرين، وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية. كان جواداً ممدحاً مليح الشكل محبباً إلى الرعية، حسن الاعتقاد، تتبع الزنادقة وأفنى منهم خلقاً كثيراً، وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين، روى الحديث عن أبيه وعن مبارك بن فضالة، حدث عنه يحيى بن حمزة وجعفر ابن سليمان الضبعي ومحمد بن عبد الله الرقاشي وأبو سفيان سعيد بن يحيى الحميري، قال الذهبي: وما علمت قيل فيه جرحاً ولا تعديلاً.

ولما شب المهدي أمَّره أبوه على طبرستان وما والاها، وتأدب وجالس العلماء وتميز؛ ثم إن أباه عهد إليه فلما مات بويع بالخلافة ووصل الخبر إليه ببغداد فخطب الناس، فقال: إن أمير المؤمنين عبد دعي فأجاب، وأمر فأطاع. واغرورقت عيناه، فقال: قد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فراق الأحبة، ولقد فارقت عظيماً، وقلدت جسيماً، فعند الله أحتسب أمير المؤمنين، وبه أستعين على خلافة المسلمين، أيها الناس: أسروا مثل ما تعلنون، من طاعتنا نهبكم العافية وتحمدوا العاقبة، واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته فيكم، وطوى الإصر عنكم، وأهال عليكم السلامة من حيث رآه الله مقدماً، ذلك والله لأفنين عمري بين عقوبتكم والإحسان إليكم. قال نفطويه: لما حصلت الخزائن في يد المهدي أخذ في رد المظالم، فأخرج أكثر الذخائر ففرقها وبر أهله ومواليه.

وأسند عن أبي عبيدة قال: كان المهدي يصلي بنا الصلوات الخمس في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها، فأقيمت الصلاة يوماً فقال أعرابي: لست على طهر وقد رغبت في الصلاة خلفك، فأمر هؤلاء بانتظاري، فقال: انتظروه. ودخل المحراب فوقف إلى أن جاء الرجل فكبر، فعجب الناس من سماحة أخلاقه.

مما قاله أبو العتاهية في مدح الخليفة المهدي يوم توليه الخلافة:

أَتَتهُ الخلافَةُ مُنقادَةً ... إليهِ تُجَرِّرُ أذيالَها

وَلَم تَكُ تَصلُحُ إلّا لَهُ ... وَلَم يَكُ يَصلُحُ إلّا لَها

وَلَو رامَها أَحَدٌ غَيرُهُ ... لَزُلزِلَتِ الأَرضُ زِلزالَها

وَلَو لَم تُطِعهُ بَناتُ القُلوبِ ... لَما قَبِلَ اللَهُ أَعمالَها

وَإِنَّ الخَليفَةَ مِن بُغضِ لا ... إِلَيهِ لَيُبغِضُ مَن قالَها



١ **المقنع الخراساني:** اسمه عطاء ولا أعرف اسم أبيه وقيل اسمه حكيم والأول أشهر، وكان في مبدأ أمره قصاراً من أهل **مرو**، وكان يعرف شيئاً من السحر والنيرجات فادعى الربوبية من طريق المناسخة، وقال لأشياعه والذين اتبعوه: إن الله سبحانه وتعالى تحول إلى صورة آدم ولذلك قال للملائكة: اسجدوا له فسجدوا إلا إبليس، فاستحق بذلك السخط، ثم تحول من آدم إلى صورة نوح عليه السلام، ثم إلى صورة واحد فواحد من الأنبياء عليهم السلام والحكماء، حتى حصل في صورة **أبي مسلم الخراساني**، ثم زعم أنه انتقل إليه منه، فقبل قوم دعواه وعبدوه وقاتلوا دونه مع ما عاينوا من عظيم ادعائه، وقبح صورته لأنه كان مشوه الخلق أعور، ألكن قصيراً، وكان لا يسفر عن وجهه بل اتخذ وجهاً من ذهب فتقنع به؛ فلذلك قيل له المقنع، وإنما غلب على عقولهم بالتمويهات التي أظهرها لهم بالسحر والنيرجات، وكان في جملة ما أظهر لهم صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين من موضعه، ثم يغيب فعظم اعتقادهم فيه، وقد ذكر أبو العلاء المعري هذا القمر في قوله: (أفق إنما البدر المقنع رأسه ... ضلال وغي مثل بدر المقنع) وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة، وإليه أشار أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك الشاعر ... في جملة قصيدة طويلة بقوله (إليك فما بدر المقنع طالعاً ... بأسحر من ألحاظ بدر المعمم) ولما اشتهر أمر المقنع وانتشر ذكره، ثار عليه الناس وقصدوه في قلعته التي كان اعتصم بها وحصروه؛ فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وسقاهن سماً فمتن منه؛ ثم تناول شربة من ذلك السم فمات، ودخل المسلمون قلعته فقتلوا من فيها من أشياعه وأتباعه وذلك في **سنة ثلاث وستين ومائة** لعنه الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان، قلت: ولم أر أحداً ذكر هذه القلعة وأين هي حتى أذكرها؟ ثم رأيت في كتاب الشهاب لياقوت الحموي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى الذي وضعه في معرفة المواضع المشتركة، فقال في باب سنام بفتح السين: إنها أربعة مواضع والموضع الرابع منها سنام قلعة عمرها المقنع الخارجي بما **وراء النهر** والله أعلم، والظاهر أنها هذه القلعة ثم وجدت في أخبار خراسان أنها هي وأنها من **رستاق كش** والله أعلم . ابن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء الزمان.

الدولة الأموية في الأندلس ومواجهة التحديات الكبرى

واجه عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية في الأندلس عقبات عدة كان من أبرزها في عهد الخليفة العباسي (المهدي):

١ - مشكلة الرماحس الكناني في الجزيرة الخضراء، وعبد الرحمن بن حبيب الفهري (الصقلبي) في مدينة **مرسية**، والحسين بن يحيي الأنصاري في مدينة **سراقسطة**، وسليمان بن يقظان الكلبي (الأعرابي) في **برشلونة**، وكذلك الإمبراطور شارلمان (**أرض الفرنجة**) ، حيث يذكر المؤرخون أنه كانت هناك مؤامرة بين هذه الأطراف لتوجيه ضربة قاضية لعبد الرحمن الداخل، وبمباركة من العباسيين؛ إلا أنه خرج منها بحنكة، حيث انفرد بخصومه واحداً تلو الآخر، فتوجه أولاً لمواجهة الصقلبي في مرسية حيث تمكن من هزيمته وقتله، أما الرماحس الذي ثار في الجزيرة الخضراء فقد وجه إليه عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان حيث تمكن من هزيمة الرماحس الذي فر إلى المشرق لاجئاً عند الدولة العباسية، أما سليمان الأعرابي الذي تمكن من هزيمة الجيش الذي أرسله عبد الرحمن الداخل بقيادة ثعلبة بن عبيد، حيث تم لسليمان الأعرابي أسر ثعلبة، وخرج به لاستقبال شارلمان وتوجه الاثنان إلى سراقسطة حيث كان هناك اتفاق بين سليمان الأعرابي والحسين الأنصاري لتسليم مدينة سراقسطة لشارلمان، لاتخاذها قاعدة في محاربة عبد الرحمن الداخل، ولكن الحسين الأنصاري غير رأيه وواجه شارلمان وحليفه سليمان الأعرابي، واضطر شارلمان بعد حوالي شهرين مغادرة سراقسطة، ولكنه حمَّل سليمان الأعرابي مسؤولية فشله وأخذه أسيراً معه، ولكن عندما وصل جبال البرانس انقض عليه **البشكنس** وهم قبائل تسكن المنطقة، وكان معهم أولاد سليمان الأعرابي وقواته، فأنزلوا بمأخرة جيش شارلمان هزيمة كبيرة، قتل فيها أحد قادة شارلمان ويدعى **رولان**. حيث فك أسر سليمان الأعرابي عن طريق ولديه مطروح وعيشون إلا أن الحسين الأنصاريي قام بقتل سليمان الأعرابي، فاستغل عبد الرحمن الخلاف بين سليمان الأعرابي والحسين الأنصاري ذلك، وتمكن من إنهاء هذه الفتنة ودخل سراقسطة، ويختلف المؤرخون في تاريخ ذلك، فمنهم من يرى ذلك في سنة ١٦١هـ والبعض الآخر يرى ذلك في سنة ١٦٤هـ .

٢ - لم تكن هذه المشكلات الوحيدة التي واجهت عبد الرحمن الداخل، فهناك مشكلات عديدة سواء من هشام بن عروة في طليطلة وهو أحد أنصار يوسف الفهري، أو من أحد زعماء البربر يدعى شقنة بن عبد الواحد الذي تمرد في شمال شرقي الأندلس، ولكن عبد الرحمن تمكن من القضاء على هذه الثورات والتمردات جميعها.



حكم شارلمان مملكة الفرنجة (الإمبراطوريةالكارولينجية) مناصفة مع شقيقه كارلومان حتى موت الأخير عام ٧٧١. عندها أمسى شارلمان الملك الوحيد لشعبه، فقام بحملات واسعة للسيطرة على الأراضي الأوروبية المجاورة لمملكته ولتنصيرها بالنصرانية، فهزم اللومبارديين في شمال إيطاليا وضم إقطاعياتهم عام ٧٧٤، وحاول طرد المسلمين من إسبانيا ولكنه فشل في ذلك عام ٧٧٨م، ونجح في السيطرة على بافاريا عام ٧٧٨. حارب شارلمان السكسون لسنوات عديدة فهزمهم وأدخلهم في النصرانية عام ٨٠٤م، وأخضع أيضاً الآفاريين المقيمين على الدانوب وسيطر على العديد من الدول السلافية. وهكذا تمكن من إنشاء إمبراطورية ضمت معظم الأراضي النصرانية في أوروبا الغربية باستثناء الجزيرة البريطانية، جنوبي إيطاليا وجزء من إسبانيا.

الحركات المناهضة للوجود الأموي في الأندلس

١. سليمان بن يقظان الكلبي (الأعرابي) يستعين بشارلمان ملك الفرنجة على عبد الرحمن الداخل، فقام جيش شارلمان وحاصر سراقسطة ولكن ثورة اندلعت في فرنسا فاضطر شارلمان للعودة إلى بلاده وفك الحصار عنها.

٣. ثار على الداخل ابن أخيه المغيرة بن الوليد طمعاً في الحكم فقتله الداخل وأرسل الأموال إلى أخيه الوليد وطلب منه الرحيل عن الأندلس.

لقد تمخض عن هذه الثورات في بلاد الأندلس ثمناً غالياً جداً، ففي السنوات الأربع من بداية دخول عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية إلى الأندلس، من سنة ١٣٨هـ= ٧٥٥ م وحتى سنة ١٤٢هـ= ٧٥٩ م سقطت كل **مدن المسلمين التي كانت في فرنسا**، وذلك بعد أن حكمها الإسلام طيلة سبع وأربعين سنة متصلة، منذ أيام موسى بن نصير - رحمه الله - وحتى زمن سقوطها هذا، وهكذا سنن الله الثوابت، ما إن شُغل المسلمون بأنفسهم إلا وكان التقلّص والهزيمة أمراً حتمياً...

وحين استتبّ الأمر لعَبْد الرّحْمَن الدّاخِل في أرض الأندلس، وبعد أن انتهى نسبياً من أمر الثورات بدأ يفكر فيما بعد ذلك، فكان أن اهتم بالأمور الداخلية للبلاد اهتماماً كبيراً، فعمل على ما يلي:

أولًا: بدأ بإنشاء جيش قوي. في بنائه لجيشه الجديد عمل على ما يلي:

١) اعتمد في تكوين جيشه على العناصر الآتية:

أ - اعتمد في الأساس على عنصر المولّدين، وهم الذين نشأوا - كما ذكرنا - نتيجة انصهار وانخراط الفاتحين بالسكان الأصليين من أهل الأندلس، وكانوا يمثّلون غالبية بلاد الأندلس.

ب - اعتمد كذلك على كل الفصائل والقبائل الموجودة في بلاد الأندلس، فضمّ إليه كل الفصائل المضرية سواء أكانت من بني أمية أو من غير بني أمية، وضمّ إليه كل فصائل البربر، كما كان يضمّ إليه رءوس القوم ويتألّفهم فيكونون عوامل مؤثّرة في أقوامهم، بل إنه ضم إليه اليمنيين مع علمه بأن أبا الصباح اليحصبي كان قد أضمر له مكيدة، الأمر الذي جعله يصبر عليه حتى تمكن من الأمور تماماً ثم عزله - كما ذكرنا - بعد إحدى عشرة سنة من تولّيه الحكم في البلاد.

ج - كذلك اعتمد على عنصر الصقالبة، وهم أطفال نصارى كان قد اشتراهم عَبْد الرّحْمَن الدّاخِل من أوروبا، ثم قام بتربيتهم وتنشئتهم تنشئة إسلامية عسكرية صحيحة.

وبرغم قدوم عَبْد الرّحْمَن الدّاخِل إلى الأندلس وحيداً، فقد وصل تعداد الجيش الإسلامي في عهده إلى مائة ألف فارس غير الرجّالة، مشكّل من كل هذه العناصر السابقة، والتي ظلّت عماد الجيش الإسلامي في الأندلس لدى أتباع وخلفاء وأمراء بني أمية من بعده.

٢) أنشأ - رحمه الله - دُوراً للأسلحة، فأنشأ مصانع السيوف ومصانع المنجنيق، وكان من أشهر هذه المصانع مصانع طليطلة ومصانع برديل.

٣) أنشأ أيضاً أسطولاً بحرياً قوياً، بالإضافة إلى إنشاء أكثر من ميناء كان منها ميناء طرطوشة وألمرية وإشبيليّة وبرشلونة وغيرها من الموانئ. د. راغب السرجاني (موقع قصة الإسلام).



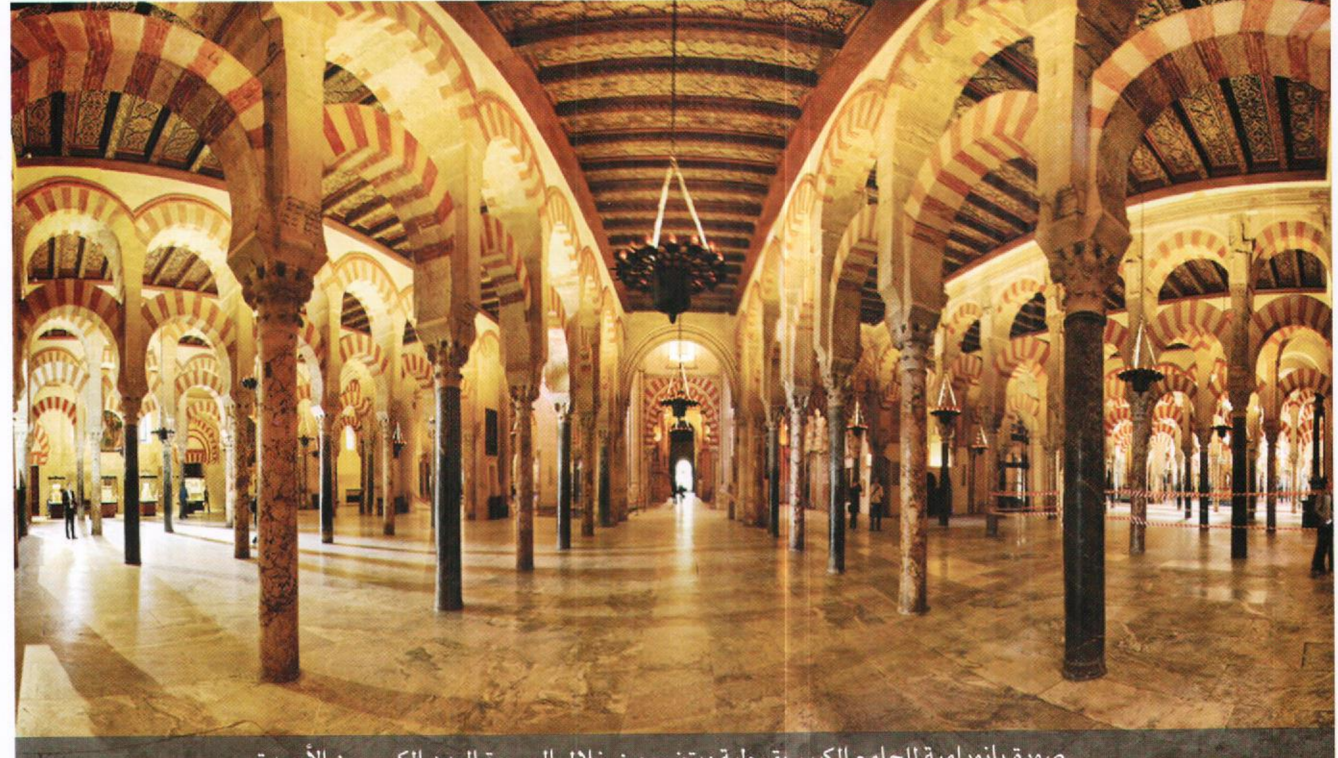
الدولة الأموية في الأندلس سنة ١٣٨ هـ

اهتم عبد الرحمن الداخل بدولته فأعد جيشاً قوياً؛ وتأميناً لحدود دولته الجديدة قام بخوض **مرحلتين مهمتين:**

المرحلة الأولى: كان عَبْد الرَّحْمَن الدَّاخِل يعلم أن الخطر الحقيقي إنما يكمن في دولتي "ليون" في الشمال الغربي، و"مملكة الفرنجة" في الشمال الشرقي من بلاد الأندلس، فقام بتنظيم الثغور في الشمال، ووضع جيوشاً ثابتة على هذه الثغور المقابلة لهذه البلاد النصرانية، وأنشأ مجموعة من الثغور كما يلي:

- الثغر الأعلى، وهو ثغر "سَرَقُسْطَة" في الشمال الشرقي في مواجهة لفرنسا.
- الثغر الأوسط، ويبدأ من مدينة سالم ويمتد حتى طُلَيْطُلَةَ.
- الثغر الأدنى، وهو في الشمال الغربي في مواجهة مملكة "ليون" النصرانية.

المرحلة الثانية: كان - رحمه الله - قد تعلم من آبائه وأجداده عادة عظيمة، وهي عادة الجهاد المستمر وبصورة منتظمة كل عام، فقد اشتهرت الصوائف في عهده، حيث كان المسلمون يخرجون للجهاد في الصيف، وبصورة منتظمة وذلك حين يذوب الجليد، وكان يتناوب عليهم فيها كبار قوّاد الجيش، وأيضاً كان يُخرّج الجيوش الإسلامية إلى الشمال كل عام بهدف الإرباك الدائم للعدو، وهو ما يسمونه الآن في العلوم العسكريه بالهجوم الإجهاضي المسبق.

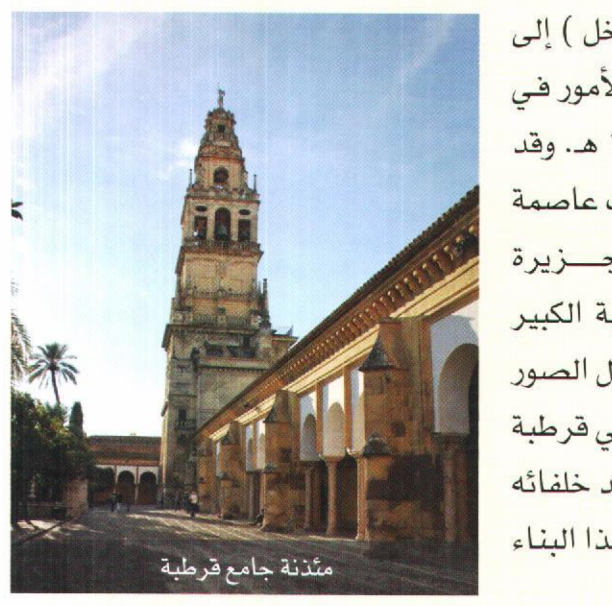


صورة بانورامية للجامع الكبير بقرطبة ويتضح من خلال الصورة العدد الكبير من الأعمدة

محراب المسجد وفن زخرفة الأقواس وجمال النقوش الكتابية الإسلامية التي تزين الجامع

البوابة الجنوبية (الجانب الشرقي) في الجامع الكبير بقرطبة يعود بناؤها إلى عصر المنصور

مع قدوم الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) إلى الأندلس هارباً من العباسيين، استولى على مقاليد الأمور في الأندلس الإسلامية وجعل **قرطبة** عاصمة له عام ١٣٨ هـ. وقد كان هذا بداية لعصر قرطبة الذهبي، حيث أصبحت عاصمة الأندلس الإسلامية بأكملها وأهم مدينة في شبه الجزيرة الإيبرية، وفي عهد الداخل بدأ العمل على جامع قرطبة الكبير الذي لا زال قائماً في المدينة اليوم كما هو واضح من خلال الصور في الصفحتين. فهو من قام بتأسيس المسجد الكبير في قرطبة عام ١٧٠هـ، ولم يكتمل البناء في عهده بل اكتمل في عهد خلفائه من الأمراء الأمويين فكل واحد منهم أضاف شيئاً في هذا البناء العظيم .


مئذنة جامع قرطبة

كانت **الهدنة** بين الطرفين تنص على توقف الحرب بين المسلمين والبيزنطيين مدة ثلاث سنوات، وتتعهد إيريني أن تدفع للمسلمين جزية سنوية وقدرها تسعون ألف قطعة دينار تؤديها في نيسان الأول من كل سنة وفي حزيران ، وأن تمدّ الجيش العباسي بالأدلاء ، وتيّسر لهم المؤن في الطريق عند كل منزلة.

الجبهة البيزنطية في عهد الخليفة العباسي المهدي

١ اتسمت الحروب بين المسلمين والبيزنطيين في هذا العهد **بالعلاقة الحسنة بين الطرفين أول الوقت**؛ إلا أنها سرعان ما تحولت إلى صراع دامي تمخض عنه قيام الإمبراطور (ليو الرابع) بشن هجوم على **سميساط** سنة ١٥٩ هـ، وأسر بعض المسلمين فيها؛ مما أغضب الخليفة المهدي، الذي أرسل جيشاً بقيادة عمه **العباس بن محمد**، توغل داخل الأراضي البيزنطية حتى وصل **أنقرة**، وفتح قلعة كاسن في كبادوكيا .

٢ الخليفة المهدي يرسل قائده المحنك **ثمامة بن الوليد** على رأس جيش إسلامي أغار على مرحب ومنطقة **مرج دابق**. مما دعا الإمبراطور البيزنطي أن يرسل جيشاً لمحاصرة **مرعش**، وفصل قوة إسلامية باتجاه **الحدث**، وبرغم ذلك لم يتمكن البيزنطيون من دخول مرعش وعادوا أدراجهم.

٣ الخليفة المهدي يرسل **الحسن بن قحطبة الطائي** لغزو الأراضي البيزنطية، مما أدى بهذا القائد التوغل بأرض الأناضول ومحاصرة **دوريليوم**، والإغارة على المناطق المجاورة، والاقتراب من **عموريه**.

٤ البيزنطيون يغيرون على **الحدث** سنة ١٦٢ هـ؛ فأرسل المهدي ابنه هارون للإغارة على الأراضي البيزنطية؛ ففتح عدداً من الحصون أهمها **صمالو**، وحدثت أحداث داخل بيزنطة، استغلها العباسيون، فأرسلوا حملة ضخمة لمهاجمة **القسطنطينية** بقيادة هارون بن المهدي، واستطاعت الحملة التوغل في كيليكيا والأناضول بهدف السيطرة عليها، ووصل هارون خليج القسطنطينية وهددها وخضعت (إيريني) الوصية على قسطنطين السادس بن ليو الرابع؛ لشروط **الهدنة** من القائد **هارون بن المهدي** الذي جعل أباه يسميه **(الرشيد)** بعد نجاحه في هذه الهدنة.

ومن الملفت للنظر أنه قبل انتهاء مدة الهدنة بأربعة أشهر تجدد القتال بين الطرفين ؛ لامتناع البيزنطيين عن دفع الجزية للمسلمين، ويظهر أن سوء الأحوال الاقتصادية كان سبباً مباشراً في ذلك، فقد رأت إيريني بنظرتها الخاطئة أن معالجة هذه الأوضاع لا يكون من الداخل؛ حتى لا تفقد محبة الناس لها وتستبعد عن الحكم، وبناء على ذلك تجاوزت عن كثير من الضرائب المقررة على السكان، وأمعنت في منح امتيازات للأديرة؛ لما للرهبان من أهمية في تأييدها ومساعدتها فرأت في الامتناع عن دفع الجزية تعويضاً لهذا؛ ظناً منها أن المسلمين بعيدون عن أراضيها وليس لهم في تلك الأموال أي حق يذكر، وأنهم لن يتمكنوا من عمل أي شيء في هذا الصدد.

وعليه فقد سيّر **المهدي** سرية على رأسها علي بن سليمان (والي الجزيرة وقنسرين) ويزيد بن بدر ابن البطال - سنة ١٦٨هـ/ ٧٨٤م – وصلت إلى بلاد الروم وقاتلت البيزنطيين وهدمت بعض القلاع التي على الحدود وغنموا وعادوا سالمين .

كما اصطدم معيوف بن يحيى الذي انطلق على رأس الصائفة سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م بالجيش البيزنطي الذي تحرك بأمر من إيريني ؛ لرد اعتبار الروم بعد هزيمتهم الأخيرة، وتقابل الجيشان في منطقة الحدث وهُزم البيزنطيون وتوغل المسلمون في بلاد الروم حتى بلغوا مدينة أُشْنُة وأصابوا غنائم وفيرة وأسروا خمسمئة رجل - تقريباً -.

وهكذا تعكرت العلاقات بين الخلافة العباسية والدولة البيزنطية في عهد المهدي بعد التحسن الذي طرأ عليها أول خلافته، لقد رأى المهدي ضرورة استمرار غزوات الصوائف والشواتي، مثلما كان عليه الحال في عهد أبيه المنصور؛ لأن إيقافها سيدفع البيزنطيين إلى التحرك لمهاجمة المسلمين كلما سنحت لهم الفرصة، ويلاحظ اعتماده في قيادتها على ابنه هارون، حيث كان محل ثقته من بين أبنائه ولذلك حققّ انتصارات كبيرة في معظم حملاته، حتى أشرف في أحدها – سنة ١٦٥هـ / ٧٨١م - على خليج **البحر الأسود** فكانت حملته تلك خاتمة الحملات العربية على البسفور، كما أفاد بعض المؤرخين المحدثين، حيث أظهر فيها من الحنكة والبطولة ما أهلّه لحمل **لقب الرشيد** قبل أن يتولى الخلافة.

وكان لانتصارات الرشيد على الإمبراطورية البيزنطية أثره في تشجيع البلغار على توجيه حملاتهم ضدها، وتمكنوا من إحراز عدة انتصارات عليها دون أن تستطيع القيام بعمل إيجابي ضدّهم، فلقد كانت إيريني - إلى جانب مواجهة المسلمين لها - تعاني من الاضطرابات الداخلية، فقد بدأ ابنها - قسطنطين السادس - بعد أن بلغ سنّ الرشد يطالب بالعرش ودخل معها في صراع مرير، وساندته بعض العناصر الكارهة لأمه، كما كان عليها أيضاً أن تواجه أطماع شارلمان في الغرب .

توسعة المسجد الحرام عبر التاريخ

توسعة المعتضد العباسي

توسعة أبي جعفر المنصور

توسعة المقتدر العباسي

توسعة محمد المهدي

الشمال

صفر ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ م



لقطة منظورية لمشروع توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - لتوسعة المسجد الحرام

- عهد قريش قبل الهجرة
- توسعة عمر بن الخطاب
- توسعة عثمان بن عفان
- توسعة عبد الله بن الزبير
- توسعة الوليد بن عبد الملك

التوسعة العباسية
- توسعة أبي جعفر المنصور
- توسعة محمد المهدي
- توسعة المعتضد العباسي
- توسعة المقتدر العباسي

- إعادة توسعة محمد المهدي العباسي في العهد العثماني
- التوسعة السعودية الأولى

التوسعة السعودية الثانية في عهد خادم الحرمين الشريفين
- إضافة سلالم متحركة مع تهيئة سطح التوسعة الأولى
- توسعة المسجد الحرام وعمارته


توسعة المسجد النبوي عبر التاريخ
توسعة الخليفة العباسي (محمد المهدي)
الشمال
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠م
مساحة المسجد في عهد الرسول ﷺ
توسعة الرسول بعد السنة السابعة للهجرة
توسعة عمر بن الخطاب
توسعة عثمان بن عفان رضي الله عنه
توسعة الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي
توسعة الخليفة محمد المهدي العباسي
توسعة السلطان عبد المجيد العثماني
التوسعة السعودية الأولى عام ١٣٧٢ هـ
التوسعة السعودية الثانية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز
المدينة النبوية من جهة باب الشامي في أوائل القرن الهجري الماضي
أروقة المسجد النبوي
باب الملك فهد بن عبد العزيز

موسـى الهـادي

١٦٩-١٧٠هـ / ٧٨٥-٧٨٦ م

هو **أبو محمد** موسى الهادي بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي ين عبد الله بن عباس، ولد سـنة ١٤٤هـ، ولاه أبوه العهد وسـنه ١٦سنة، كما ولاه قيادة الجيوش في المشرق ولما توفي أبوه المهدي أخذت له البيعة وكان ذلك في ٢٢محرم ١٦٩هـ ، وأمه أم ولد تدعى **الخيزران** .

أوصى المهدي ابنه موسى الهادي قبل أن يموت بقتل **الزنادقة**، وكان الهادي قوي البأس شهماً خبيراً بالملـك كريمـاً. فجدّ في أمرهم، وقتـل منهم الكثير. على أن الأمور بينه وبـين **العلويين** لم تكن على ما يـرام كمـا كانت في عهد أبيـه، فقد عادت إلى التوتر بعد مدة السـلام التي امتـدت طوال حقبة خلافة المهدي. ويرجع السـبب في ذلك إلى عامل المهدي على المدينة، فقد ظلم بعض آل علي -رضـي الله عنه- مما جعل الحسـين بن علي بن الحسـن بن الحسـن بن الحسـن بن علي بن أبي طالب يثور ويجتمع حوله كثـيرون ويقصـدون دار الإمـارة، ويخرجـون من في السـجون، ثم يخرج الحسـين إلى مكة فيرسـل له الهـادي: "محمـد بن سـليمان" وتتلاقـى جموعهم في **موقعة (فخ)** سـنة ١٦٩ هـ حاسـمة قتل فيها "الحسين" وحمل رأسه إلى موسى الهادي.

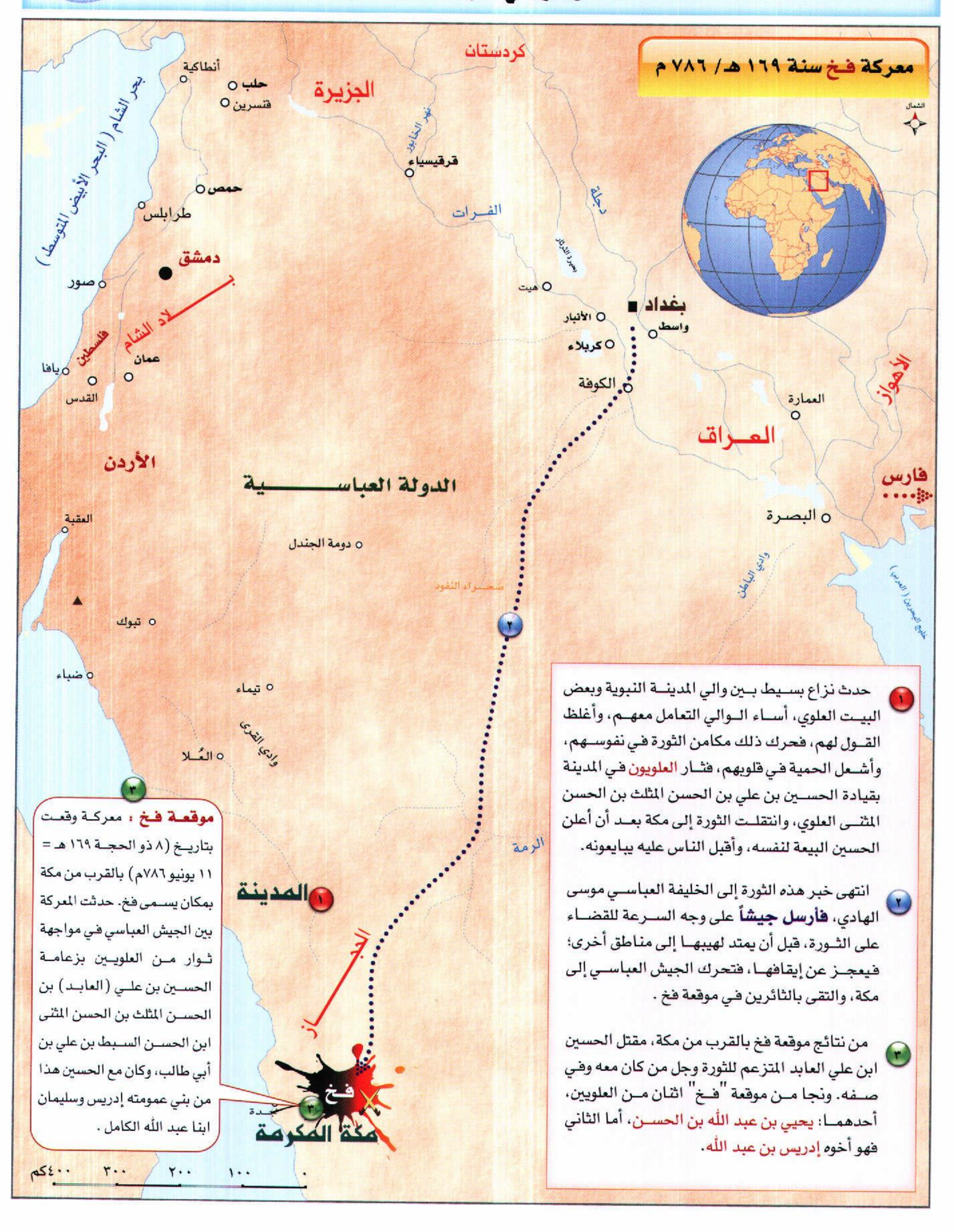
ونجـا مـن موقعة "فخ" اثنان من العلويين، **أحدهما : يحيي بن عبد الله بن الحسن**، **أما الثاني** فهو أخوه **إدريس بن عبد الله**. وقد ثار الأول: في عهد الرشـيد فقتل. أما الثاني: وهو إدريس بن عبد الله بن الحسن فقد تمكن من إثارة أهل المغرب الأقصى (المملكة المغربية حالياً) على العباسيين، حيث أسس هناك دولة الأدارسة.

وعلى الرغم من أن خلافة موسى الهادي كانت قصيرة فإن الفتوحات الإسلامية لم تتوقف مسيرتها؛ فقـد غـزا "معيوف بن يحيى" الروم ردّاً على قيام الروم بغزو "الحَدَث"، ولقد دخل معيوف بلاد الروم، وأصاب سبايا وأسارى وغنائم.

توفي الهادي سـنة ١٧٠ هـ، وكان رحمه الله موصـوفاً بالفصاحة، محبّاً للأدب ذا هيبة ووقار، قيل عن الليلـة التي مات فيهـا: هي ليلة مات فيها خليفة، وجلس فيها خليفة، وولـد فيها خليفة. فالخليفة الذي مات فيها هو الهادي، والذي جلس فيها على سريره هو الرشيد، والذي ولد فيها هو المأمون.

تنكيل الهادي بالزنادقة

ورث موسى الهادي عن أبيه محمد المهدي كراهيته للزنادقة، واقتدى بسياسته في تتبعهم والتنكيل بهم، فقتل منهم جماعة من بينهم، يزدان بن باذان وعلي بن ياقطين الذي روي عنه في أثناء حجه أنه نظر إلى الناس وهم يهرولون في الطواف، فقال: « ما أشبههم إلا بقر تدوس البيدر » .


معركة فخ سنة ١٦٩ هـ/ ٧٨٦ م
الشمال
كردستان
الجزيرة
أنطاكية
حلب
قنسرين
بحر الشام (البحر الأبيض المتوسط)
نهر الخابور
قرقيسياء
حمص
طرابلس
الفرات
دجلة
بحيرة الثرثار
دمشق
صور
بلاد الشام
هيت
بغداد
الأنبار
واسط
كربلاء
فلسطين
عمان
يافا
القدس
الكوفة
الأهواز
العمارة
العراق
الأردن
الدولة العباسية
فارس
البصرة
العقبة
دومة الجندل
صحراء النفود
وادي الباطن
خليج البحرين (العربي)
تبوك
ضباء
تيماء
وادي القرى
العُلا
الرمة
المدينة
الحجاز
فخ
جدة
مكة المكرمة
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠كم
موقعة فخ: معركة وقعت بتاريخ (٨ ذو الحجة ١٦٩ هـ = ١١ يونيو ٧٨٦م) بالقرب من مكة بمكان يسمى فخ. حدثت المعركة بين الجيش العباسي في مواجهة ثوار من العلويين بزعامة الحسين بن علي (العابد) بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، وكان مع الحسين هذا من بني عمومته إدريس وسليمان ابنا عبد الله الكامل.
١ حدث نزاع بسيط بين والي المدينة النبوية وبعض البيت العلوي، أساء الوالي التعامل معهم، وأغلظ القول لهم، فحرك ذلك مكامن الثورة في نفوسهم، وأشعل الحمية في قلوبهم، فثار العلويون في المدينة بقيادة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى العلوي، وانتقلت الثورة إلى مكة بعد أن أعلن الحسين البيعة لنفسه، وأقبل الناس عليه يبايعونه.
٢ انتهى خبر هذه الثورة إلى الخليفة العباسي موسى الهادي، فأرسل جيشاً على وجه السرعة للقضاء على الثورة، قبل أن يمتد لهيبها إلى مناطق أخرى؛ فيعجز عن إيقافها، فتحرك الجيش العباسي إلى مكة، والتقى بالثائرين في موقعة فخ.
٣ من نتائج موقعة فخ بالقرب من مكة، مقتل الحسين ابن علي العابد المتزعم للثورة وجل من كان معه وفي صفه. ونجا من موقعة "فخ" اثنان من العلويين، أحدهما: يحيي بن عبد الله بن الحسن، أما الثاني فهو أخوه إدريس بن عبد الله.

هارون الرشيد

١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م

هو **أبو جعفر** هارون الرشيد، أمير المؤمنين، بن محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو الخليفة العباسي الخامس، وهو أشهر الخلفاء العباسيين على الإطلاق.

ولد هارون بالري سنة ١٤٨ هـ ، حين كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان. نشأ الرشيد في بيت ملك، وأُعد ليتولى المناصب القيادية في الخلافة، وعهد به أبوه، الخليفة أبو عبد الله محمد المهدي بن جعفر المنصور، إلى من يقوم على أمره تهذيباً وتعليماً وتثقيفاً، ومنهم "الكسائي"، والمفضل الضبي، حتى إذا اشتد عوده واستقام أمره، ألقى به أبوه في ميادين الجهاد، وجعل حوله القادة الأكفاء، يتأسى بهم، ويتعلم من تجاربهم وخبراتهم، فخرج في عام (١٦٥ هـ= ٧٨١م) على رأس حملة عسكرية ضد الروم، وعاد محملاً بأكاليل النصر، فكوفئ على ذلك بأن اختاره أبوه ولياً ثانياً للعهد بعد أخيه أبو محمد موسى الهادي.

وكانت المدة التي سبقت خلافته يحوطه في أثنائها عدد من الشخصيات السياسية والعسكرية، من أمثال "يحيى بن خالد البرمكي"، و"الربيع بن يونس"، و"يزيد بن مزيد الشيباني" و"الحسن بن قحطبة الطائي"، و"يزيد بن أسيد السلمي"، وهذه الكوكبة من الأعلام كانت أركان دولته حين آلت إليه الخلافة، ونهضوا معه بدولته حتى بلغت ما بلغت من التألق والازدهار.

ولم تكن المدة التي قضاها الرشيد في خلافة الدولة العباسية هادئة ناعمة، وإنما كانت مليئة بجلائل الأعمال في داخل الدولة وخارجها، ولم يكن الرشيد بالمنصرف إلى اللهو واللعب المنشغل عن دولته العظيمة إلى المتع والملذات، وإنما كان "يحج سنة ويغزو كذلك سنة".

ظل عهده مزاوجة بين جهاد وحج، حتى إذا جاء عام ١٩٢ هـ فخرج إلى خرسان لإخماد بعض الفتن والثورات التي اشتعلت ضد الدولة، فلما بلغ مدينة **طوس** اشتدت به العلة، وتُوفي في ٣ جمادى الآخر ١٩٣هـ/ ٤ إبريل ٨٠٩م، وكان عمره خمساً وأربعين سنة بعد أن قضى في الخلافة أكثر من ثلاث وعشرين سنة، عدت العصر الذهبي للدولة العباسية.

كان **هارون الرشيد** حين تولى الخلافة يرغب في تخفيف بعض الأعباء المالية عن الرعية، وإقامة العدل، ورد المظالم، فوضع له "أبو يوسف" **هذا الكتاب (الخراج)** استجابة لرغبته، وكان لهذا الفائض المالي أثره في انتعاش الحياة الاقتصادية، وزيادة العمران، وازدهار العلوم، والفنون، وتمتع الناس بالرخاء والرفاهية. وأُنفقت هذه الأموال في النهوض بالدولة، وتنافس كبار رجال الدولة في إقامة المشروعات كحفر الترع و الأنهار، وبناء الحياض، وتشييد المساجد، وإقامة القصور، وتعبيد الطرق، وكان لبغداد نصيب وافر من العناية والاهتمام من قبل الخليفة الرشيد وكبار رجال دولته، حتى بلغت في عهده قمة مجدها وتألقها؛ فاتسع عمرانها، وزاد عدد سكانها حتى بلغ نحو مليون نسمة، وبُنيت فيها القصور الفخمة، والأبنية الرائعة التي امتدت على جانبي دجلة، وأصبحت بغداد من اتساعها كأنها مدن متلاصقة، وصارت أكبر مركز للتجارة في الشرق، حيث كانت تأتيها البضائع من كل مكان.

وغدت **بغداد** قبلة طلاب العلم من جميع البلاد، يرحلون إليها حيث كبار الفقهاء والمحدثين والقراء واللغويين، وكانت المساجد الجامعة تحتضن دروسهم وحلقاتهم العلمية التي كان كثير منها أشبه بالمدارس العليا، من حيث غزارة العلم، ودقة التخصص، وحرية الرأي والمناقشة، وثراء الجدل والحوار. كما جذبت المدينة الأطباء والمهندسين وسائر الصناع.



أهم الأحداث الداخلية والخارجية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد رحمه الله تعالى

الأوضاع الداخلية

١ العلاقة مع الطـــالبيين

٢ حركة الخــــــوارج

٣ الاضطرابات في بلاد الشام

٤ الاضطرابات في إفريقية

٥ الاضطرابات في المشرق

٦ نكبة البـــــرامكة

الأوضاع الخارجية

٧ العلاقة مع البيزنطيين

٨ العلاقة مع الفرنـجة

لم تشر المصادر الشرقية إسلامية كانت أم نصرانية إلى وجود سفارات بين هارون الرشيد وشارلمان ملك الفرنجة، والراجح وجود نوع من العلاقات التجارية والسياسية؛ لكنها لم تأخذ شكلاً من أشكال التحالف السياسي، وأن المسؤول عنها هم التجار اليهود الذين كانوا حلقة وصل بين الشرق والغرب في الجانب التجاري.

بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة سبع و سبعين و مئة



١

بعد ثورة موقعة (**فخ**) سنة ١٦٩ هـ/ ٧٨٦، بقيادة الحسين بن علي بن الحسن المثلث في ناحية مكة التي لم يكتب لها النجاح، استطاع إدريس بن عبد الله، أن ينجو من القتل ويفر من المكان باحثاً عن ملجأ يأوي إليه.

كانت أنظار العلويين، وهم في حالة المراقبة والاضطهاد التي يعانون منها، تتجه بالخصوص إلى المغرب، لبعده عن مركز الخلافة العباسية ولاشتهاره برفع راية العصيان والمعارضة لتلك الخلافة. وقبل العلويين اتجهت أنظار الخوارج لنفس المنطقة. وأمكنهم أن يؤسسوا بها **دولتين مشهورتين في تاهرت وسجلماسة**، مما يدل على أن البلاد كانت مرشحة لتكون مركزاً لثورة مضادة وربما لقيام خلافة مناهضة للخلافة العباسية.

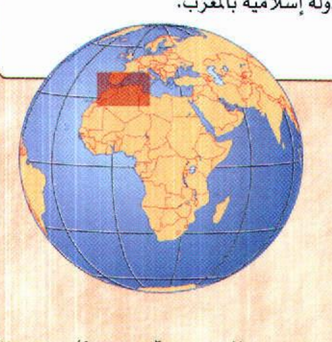
وصل إدريس بن عبد الله إلى المغرب صحبة مولاه راشد بعد أن حصل على مساعدة من والي مصر، وأفلت من مراقبة الشرطة العباسية، يفسره عزمه على الأخذ بثأر العلويين، من جهة، وطموحه إلى تأسيس دولة قادرة على مناوأة الخلافة العباسية والقضاء عليها إذا ما ساعدت الظروف على ذلك من جهة أخرى.

حينما وصل إدريس إلى المغرب توجه أولاً، إلى طنجة التي كانت تعد آنذاك حاضرة المغرب الكبرى. وكان لا بد له، ولا شك، من وقت للاطلاع على أحوال البلاد وسكانها وجس نبض أهلها، على المستوى السياسي. فأخذ يتصل بنفسه أو بواسطة مولاه راشد ببعض رؤساء القبائل الكبرى في المغرب لإسماع كلمته ونشر دعوته.وأدت الدعوة والاتصالات إلى نتائج إيجابية في أمد قصير، مما يدل على ذكاء، إدريس ودهاء مولاه راشد وهكذا لبت جملة من قبائل البربر الدعوة وقبلت أن تلتف حول إدريس. ولا شك أن انتماءه للأسرة النبوية كان له أثر قوي في هذا الإقبال، ولا سيما أن العلويين يومئذ كانوا يمثلون العنصر الثائر والمعارض. فالارتباط بدعوة إدريس معناه التحرر من كل تبعية للخلافة العباسية وضمان الاستقلال السياسي للمغرب.

الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى

٥ توجه إدريس بجيشه صوب الجهة الشرقية من المغرب الأقصى، فوصل إلى مدينة **تلمسان** وخيم قبالتها. فخرج إليه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوي فطلب منه الأمان، فأمنه إدريس، فقدم له محمد بن خزر بيعته، ودخل إدريس إلى تلمسان بعد أن بايعته قبائل زناتة بتلك الجهات.

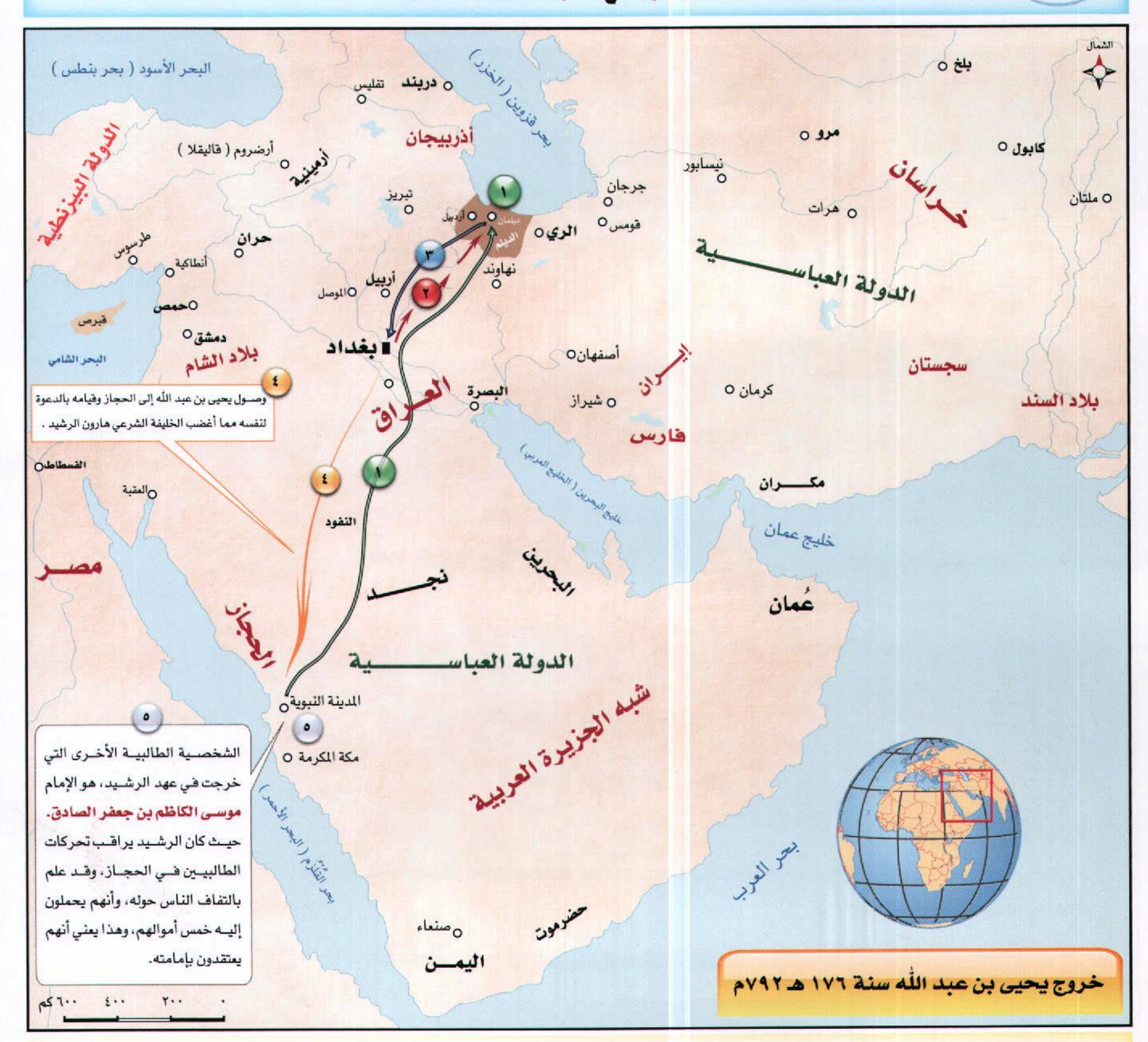
١ **إدريس الأول:** هو إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول محمد ابن عبد الله، ولد سنة ١٢٧ هـ، أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحرث الشاعر بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي. فهو إذن، قرشي من الأبوين، ومنزلته وجيهة في الأسرة العلوية. كان إدريس الأول مُؤسس أول دولة إسلامية بالمغرب.



٢ لجوء **إدريس بن عبد الله** بعد معركة فخ سنة ١٦٩ هـ إلى المغرب الأقصى بصحبة مولاه راشد بعد أن حصل على مساعدة من والي مصر وأفلت من مراقبة الشرطة العباسية.
أدت الدعوة والاتصالات إلى نتائج إيجابية في أمد قصير، مما يدل على ذكاء إدريس ودهاء مولاه راشد وهكذا لبت جملة من **قبائل البربر** الدعوة وقبلت أن تلتف حول إدريس. ولا شك أن انتماءه للأسرة النبوية كان له أثر قوي في هذا الإقبال.

٣ تحول إدريس إلى مدينة وليلي، حيث تمت بيعته يوم الجمعة ٤ رمضان سنة **١٧٢ هـ** الموافق ٦ فبراير ٧٨٩ م. وكانت قبيلة أوربة أول من بايعه من قبائل المغرب، نظراً لمنزلتها الكبرى في المنطقة. ثم تلتها قبائل زناتة وأصناف من قبائل أخرى مثل زواغة وزواوة ولماية وسدراته وغياثة ونفزة ومكناسة وغمارة ... الخ.

٤ كون إدريس بن عبد الله بعد مبايعته جيشاً من قبائل زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وقاده لفتح أقاليم مغربية أخرى وتوسيع مملكته. فاستولى على شالة، ثم على سائر بلاد تامسنا وتادلا. وعمل على نشر الإسلام بها. ثم عاد بجيشه إلى وليلي في آخر ذي الحجة من سنة ١٧٢ هـ. وتوقف مدة قصيرة بقصد إراحة الجنود. ثم عاد الكرة مرة ثانية في مناطق الأطلس المتوسط.

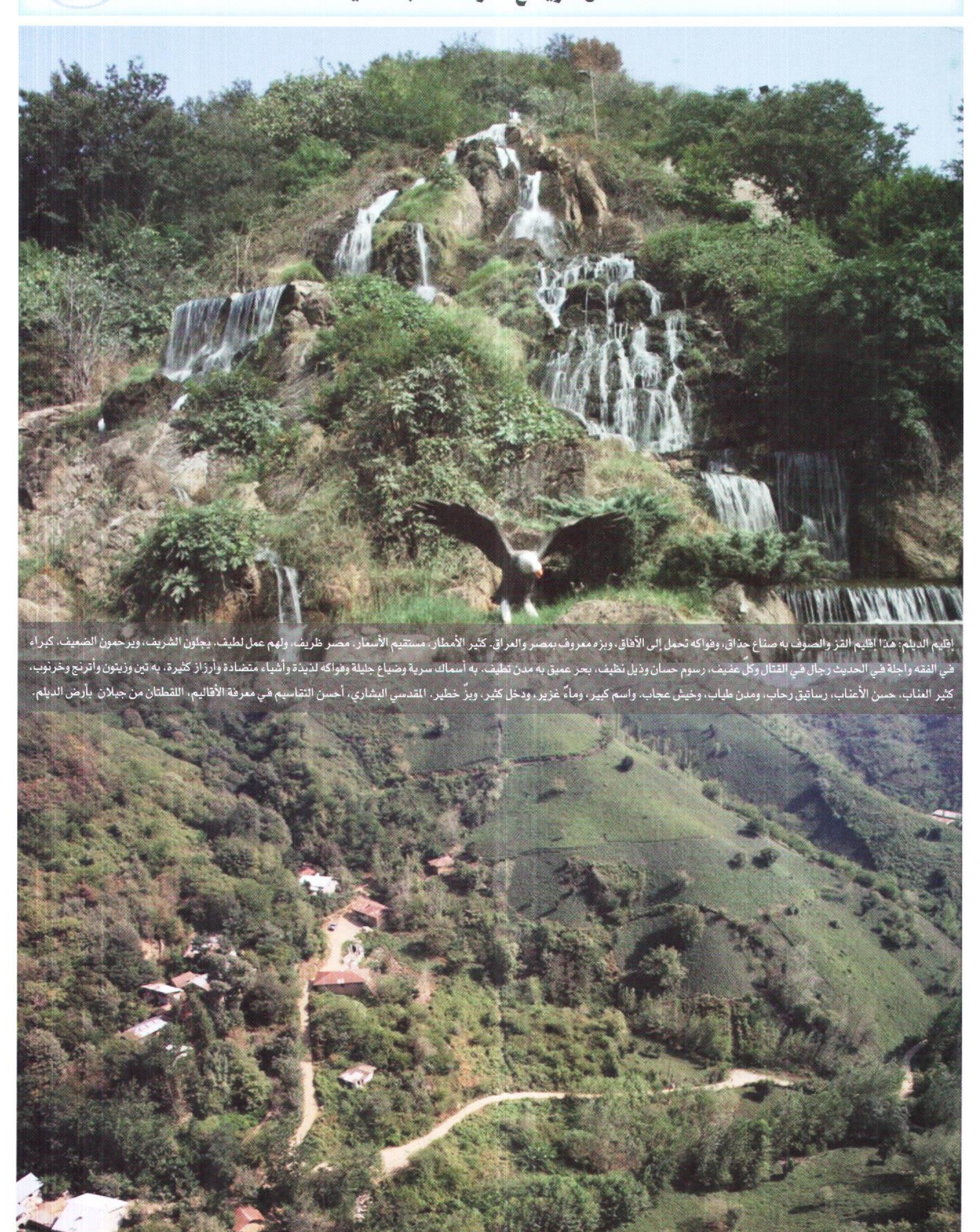


خروج يحيى بن عبد الله سنة ١٧٦ هـ ٧٩٢م

(١) بعد وصول يحيى بن عبد الله بن الحسن إلى بلاد الديلم، اشتدت شوكته فيها، وقوي أمره بما التفّ حوله من الأتباع. ثم أعلن خروجه في عام (١٧٦هـ / ٧٩٢م) فهدد سلامة الدولة، وأقلق بال الرشيد. ومما أعطى حركته قوة، بعد المنطقة التي خرج فيها عن بغداد، ومناعتها الطبيعية.

(٢) استقر رأي الخليفة هارون الرشيد على القضاء على حركة يحيى، فندب الفضل بن يحيى البرمكي لهذه الغاية، ونجح في استمالته بعد أن حشره إثر انفضاض أتباعه من حوله، فمال إلى الصلح. وكتب له الرشيد أماناً، واستقبله في بغداد.

(٣) لم يطمئن الخليفة إلى نوايا يحيى، وأدت الحاشية دوراً في إفساد العلاقة بينهما، فوضعه تحت رقابة الفضل بن يحيى. وقد أثَّر يحيى عليه حتى أطلقه بدون علم الخليفة وذهب إلى الحجاز. ثم نمى إلى الرشيد؛ أن يحيى يدعو إلى نفسه في الحجاز، فوافق ذلك ما كان في نفسه، فقبض عليه وسجنه ثم قتله.



إقليم الديلم: هذا إقليم القز والصوف به صناع حذاق، وفواكه تحمل إلى الآفاق، وبزه معروف بمصر والعراق. كثير الأمطار. مستقيم الأسعار. مصر ظريف، ولهم عمل لطيف. يجلون الشريف، ويرحمون الضعيف. كبراء في الفقه واجلة في الحديث رجال في القتال وكلٌ عفيف، رسوم حسان وذيل نظيف، بحر عميق به مدن تطيف. به أسماك سرية وضياع جليلة وفواكه لذيذة وأشياء متضادة وأرزاز كثيرة، به تين وزيتون وأترنج وخرنوب، كثير العناب، حسن الأعناب، رساتيق رحاب، ومدن طياب، وخيش عجاب. واسم كبير، وماءٌ غزير، ودخل كثير، وبزٌ خطير. المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، اللقطتان من جيلان بأرض الديلم.

الدولة الأغلبية

١٨٤ - ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩ م

كان مؤسس الأسرة **الأغلب بن سالم بن عقال التميمي** قائداً لجيش العباسيين، ثم أصبح ابنه إبراهيم والياً على إفريقية من طرف هارون الرشيد ابتداءً من سنة ١٧٠ هـ، غير أنه استقل بالأمر سنة ١٨٣ هـ بعد تراجع دور العباسيين. وقد عمل الرشيد على دعم إبراهيم حتى لا يستقل نهائياً كباقي الإمارات، بعد القضاء على عدة ثورات كانت أغلبها من طرف دعاة الأمازيغ، وكان من أهمها ثورة حمديس الكندي في المغرب الأدنى، وثورة أهل طرابلس سنة ١٨٩ هـ ،ثمّ استقر الأمر في عهد عبد الله بن إبراهيم (٨١٢-٨١٧).

ومات إبراهيم بن الأغلب سنة ١٩٦هـ بعد أن ترك إمارة قوية خلفه، في حكمها ابنه عبد الله أبو العباس، وكان سيء السيرة فقد اشتد مع الناس وزاد في الضرائب. وفي عام ٢٠١ مات عبد الله أبو العباس واستراح الناس من حكمه. ثم زيادة الله بن إبراهيم (٢٠١-٢٢٣) وقد شهدت دولة الأغالبة في عهده أزهى أيامها، برغم أنه ظل لفترة منشغلاً بإخماد ثورة منصور الطنبذي الذي حاصر القيروان وهدد وجود الدولة، إلا أن زيادة الله تمكن من الانتصار عليه. وبعد سنة ٢١١ هـ تم غزو صقلية من طرف الأغالبة، ثم الإستيلاء على مدينة باري -في إيطالية- عام ٢٢٦ هـ، ثم اجتياح رومية - روما- عام ٢٣١ هـ -إلا أنهم انسحبوا بعد ذلك- ثم سجلت الدولة حضوراً قوياً في العهود اللاحقة، كما سيتضح ذلك في صفحات الأطلس القادمة.

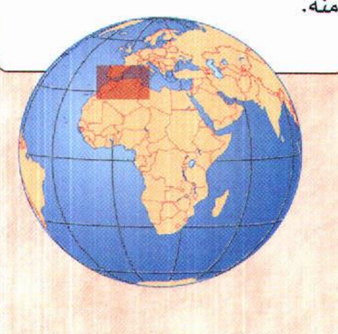


تعد فسقية « بركة الأغالبة » من أشهر المؤسسات المائية في الحضارة الإسلامية ومن تراث القيروان المسجل في قائمة التراث العالمي، وقد أقامها الأمير أبو إبراهيم أحمد بن الأغلب سنة ٢٤٨ هـ/٨٦٢م بعد عامين من العمل المتواصل، وتأنق في مظهرها وإبراز تفاصيلها الهندسية بما يتناسب مع مظهر عاصمته القيروان.

الدولة الأغلبية في المغرب الأدنى

٢ **دولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م)** أسرة عربية تنتسب إلى قبيلة تميم، حكمت إفريقية (تونس والقسم الأكبر من المغرب العربي) من نهاية القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الثالث/ القرن التاسع الميلادي. وكانت حدود دولة الأغالبة تتسع وتتقلص بحسب قوة أمرائها وضعفهم.

١ **إبراهيم** بن الأغلب بن سالم بن عقال ابن خفاجة بن سوادة التميمي (١٨٤ هـ-٨٠٠م): هو مؤسس الدولة، شخصية مرموقة، فقيه عالم أديب شاعر خطيب، ذو رأي وبأس وحزم ومعرفة بالحرب ومكائدها، لم يل إفريقية أحد قبله من الأمراء أعدل في سيرة، ولا أحسن في سياسة، ولا أرفق برعية، ولا أضبط بأمر منه.



٣ أسس الدولة "**إبراهيم بن الأغلب**" وكان والده الأغلب. الذي سميت الدولة باسمه. أول من دخل إفريقية من هذه الأسرة، التي كانت قد استقرت في مَرْو الرُّوذ في خراسان، منذ الفتح الإسلامي. وكان قيام هذه الدولة في عهد الخليفة هارون الرشيد. وقد تلقب حكام هذه الدولة بالأمراء، وظلوا خاضعين لسلطة الخلفاء العباسيين اسمياً، فسكوا النقود باسمهم، وخطبوا لهم على المنابر، من دون أن يسمحوا لهم بالتدخل في شؤونهم الداخلية.

٤ تمثل دولة الأغالبة ذات العلاقة الاسمية بالدولة العباسية تمثيلاً إيجابياً؛ بخلاف دولة الأدارسة التي كانت معادية للخلافة العباسية. حيث استطاع "**إبراهيم بن الأغلب**" أن يوقف الأدارسة. وبعد مناوشات بين الطرفين اقترحوا عليه ألا يعتدي أحد الطرفين على الآخر، وأن يبقى كل في إقليمه، فقبل "ابن الأغلب" ذلك.

٥ يذكر د. حسين مؤنس: بأن سياسة الرشيد كانت تهدف إلى تأمين ولاية إفريقية، لأنها كانت كل ما بقي لدولة بني العباس في الجناح الغربي لدولة الإسلام، وهكذا أصبحت إفريقية في بيت إبراهيم بن الأغلب. فأنشأ هذا الأخير مدينة العباسية على بعد ٣ أميال من القيروان، وعظم شأنه حتى أصبح يفد عليه سفراء شارلمان ملك الفرنجة بفرنسا ساعياً وراء عقد علاقات دبلوماسية مع المسلمين.

الاضطرابات في المشرق

كان هرثمة بن أعين، أميراً من قادة الدولة العباسية الشجعان والبناة، ولاه الرشيد مصر سنة ١٧٨هـ، ثم وجهه إلى إفريقيا (القيروان وما بعدها) لإخضاع عصيان اندلع فيها، فسار هرثمة إلى القيروان سنة ١٧٩ هـ، فأمن الناس وسكنهم، ولقي من أهلها ما يحب فأحسن معاملتهم، وكان إبراهيم بن الأغلب بولاية الزاب فلاطف هرثمة وتقرّب منه، فولاه ناحية هناك فحسن أمره فيها، ولكن الهدوء لم يطل، إذ جمع بعض الزعماء جموعهم وساروا لقتال هرثمة، فتقدم إليهم في جيش كثيف، ففرق جموعهم بعد أن قتل منهم خلقاً كثيراً، ودخل تاهرت ظافراً فأطاعته القبائل، وعاد إلى القيروان وبنى فيها قصر «المنستير» على يد زكريا بن قادم، كما بنى سور مدينة طرابلس الغرب، وظل والياً على إفريقيا سنتين ونصف السنة، ولكنه حين رأى كثرة ما بها من الخلافات والمنازعات كتب إلى الرشيد طالباً إعفاءه، فأمره بالقدوم عليه إلى العراق، ثم عقد له على خراسان، بعد أن اهتم ولاة هذا الإقليم بمصالحهم الشخصية، وتطلعوا إلى الإثراء وأهملوا شؤون الرعية، حتى إن بعضهم زاد الضرائب تعسفاً؛ لذلك رأى الخليفة هارون الرشيد أن يرسل هرثمة إلى خراسان؛ فذهب إليها وأقام فيها[١].

وحينما خرج رافع بن نصر بن سيار على طاعة الدولة العباسية في خراسان، حيث كان سبب خروجه سوء سيرة علي بن عيسى بن ماهان عامل الرشيد هناك، وجرت بينه وبين علي بن عيسى وقعات، فبلغ ذلك الرشيد فعزل علي بن عيسى واستعمل هرثمة على ما كان عليه، وقيل كانت ولايته سرّاً لم يطلع عليها الرشيد أحداً، وقيل: إنه لما أراد عزل علي بن عيسى استدعى هرثمة إليه، وأسرَّ إليه ذلك، وقال له: إن علي بن عيسى قد كتب إليّ يستمدني بالعساكر والأموال، فأظهر للناس أنك تسير نجدة إليه. وكتب له الرشيد ولاية بخط يده، وأمر كتابه أن يكتبوا إلى علي بن عيسى بأنه قد سيّر هرثمة نجدة له، فسار هرثمة ولا يعلم بأمره أحد، حتى أتى «مرو» فقبض على علي بن عيسى، وعلى أهله وأصحابه وأتباعه، وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف، وجمعت خزائنه وأمواله فبلغت حمل ألف وخمس مئة بعير، فأخذ الرشيد ذلك كله، وكان وصول هرثمة إلى مرو عاصمة خراسان سنة ١٩٢هـ[٢].



---

١ – ٢ ، عبدو محمد ، الموسوعة العربية، دار الفكر،مج ٢١ ، ص ٤٢٦ .

نكبـة البـرامكة سنة ١٨٧ هـ

البرامكة أو كما يسمون بالفارسية (برمكيان): أسرة من أشراف الفرس، ينتسبون إلى جدّهم بَرْمَك أو برموك، وهو لقب السادن الأكبر لمعبد النَّوْبهار ببلْخ. والنوبهار معبد كان ملوك الهند والصين وكابُل يقصدونه ويحجّون إليه. وكانت الفرس تعظمه وتحج وتهدي إليه، وقد اختلف في كونه معبداً بوذياً أو معبداً للنار.

أول من وصلت أخباره من البرامكة أبو خالد بَرْمك، الذي قدم على هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) فأسلم، وكان قد نشأ في الهند وتعلّم علم الطبّ والنجوم، وقد استخدم معرفته الطبية في معالجة مَسْلَمة ابن عبد الملك من مرض ألمّ به، كما كان كاتباً أديباً عنده علم بأخبار ملوك الفرس.

وقد كان للبرامكة منزلة عالية، واستحوذوا على الكثير من المناصب في الدولة العباسية، وكان لهم حضور كبير في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد، الذي أرضعته زوجة يحيى بن خالد البرمكي، الذي حفظ لهارون الرشيد ولاية العهد بعد أن أراد الخليفة الهادي خلع هارون الرشيد.

نهاية البرامكة: تعاظم نفوذ البرامكة في عهد هارون الرشيد، فقد بلغ واردهم السنوي عشرين ألف ألف درهم. وكان ما يقع تحت أيديهم من المال أكثر مما يقع تحت يد الخليفة نفسه. وكانوا يكثرون من العطايا ويبالغون فيها، وقد ضرب جعفر البرمكي دنانير خاصة للصلات قيمة كل منها ثلاثمائة دينار. وشعر الرشيد بتسلطهم المالي وغناهم حتى إنه كان يقول: «أغنيناهم وأفقروا أولادنا» ذلك أنهم ملكوا أحسن الضياع وعمروا أجمل البناء، فقد بنى جعفر البرمكي قصراً في بغداد، أنفق عليه أموالاً لا تعد ولا تحصى، لدرجة أن بعض حاشية الخليفة بدأت تضمر لهم شراً، واحتدم الصراع بين البرمكيين وخصومهم. إلى أن تمكن خصوم البرامكة بعد حشد كل طاقاتهم من اقناع الخليفة بالتخلص منهم. **ولقد سمم البرامكة الإمام موسى بن جعفر الكاظم بعد رحلة لهارون الرشيد** الذين قد وشوا وفتنوا على موسى بأنه يريد الانقلاب عليه، **بكى هارون على ابن عمه** وعرف هارون مخطط البرامكة. فقد كان هارون الرشيد ذكياً يعرف نفوذ البرامكة في الدولة، وأدرك أن التخلص منهم ليس بالأمر السهل. لذا لجأ للمكر، وقرر فجأة في سنة ١٨٧هـ القبض على جميع أفراد العائلة البرمكية، ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، وشرد بعضهم، وقتل الغادرين منهم، بينما أدخَل المشاغبين منهم السجون. وهكذا في غضون مدة وجيزة انتهت أسطورة البرامكة وانتهت سلطتهم داخل الدولة العباسية. وسميت معركة الرشيد ضدهم بـ "نكبة البرامكة".

١ - موسوعة المعرفة على الشبكة العنكبوتية.

طبيعة العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين في خلافة هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٨ م

كان للحقبة التي عاشـها الرشـيد مع أبيه المهدي ١٥٨ – ١٦٩هـ / ٧٧٤ - ٧٨٥م أثرها الواضـح في علاقته مع الروم بعد توليه الخلافة سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦م ، فقد اطلع بنفسه على خطر البيزنطيين على المسلمين ، ورأى أن خطرهم سيبقى قائماً طالما بقيت الحدود مفتوحة بين الجانبين، لذا عوّل على إتمام ما بدأه أسـلافه، فأنشـأ التحصينات على المناطق المخوّفة لتكون جميعاً بمثابة الحصن الحصين الذي يحمـي دار الإسـلام مـن ناحية، وليتخذوهـا قواعد لهم يشـنون منهـا حملاتهم على أراضـي الدولة البيزنطية من جهة أخرى.

كما أقام منطقة جديدة قريبة من أنطاكية أطلق عليها العواصـم، لأن المسـلمين كانوا يعتصمون بها، فتعصـمهم وتمنعهم من العدو البيزنطي – بإذن الله – إذا انصـرفوا مـن غزوهم وخرجوا من الثغر الشـامي، وأسـكنها جنداً عرفوا بجند العواصـم، واختار الرشـيد هذه الجهة دون غيرهـا؛ لأن الروم اعتادوا مهاجمة المسلمين منها، فأخذوا يغيرون عليهم بين مدة وأخرى.

واهتم بطرسـوس - وكانت على حدود بلاد الروم – ؛ للأخبار التي وصـلت إليه من عزم الروم على الاتجاه إليها وتحصينها، لتكون مركزاً إستراتيجياً يغزون المسلمين منه، ولهذا أرسل الرشيد سنة ١٧١ هـ / ٧٨٧م جيشـاً بقيادة هرثمـة بـن أعين، وأمره – بعـد أن ينتهي من غـزو الـروم – أن يهتم بأمر طرسوس، وينقل البنائين المهرة ليبنوا المساكن والحصون فيها، وينقل إليها الناس ليسكنوها، وتمصّر كبقية الأمصار الإسلامية الأخرى.

ولما أحرز هرثمة بن أعين النصـر على الروم بادر في تنفيذ ما أوصـاه به الرشـيد، ببناء المسـاكن والحصـون وتخطيط المدن، وطلب من الجميع أن يعسـكروا في المدائن، ريثما يسـتكمل بناء مسـاكن طرسـوس وحصـونها ومسـاجدها، وحـين انتهى البناء منها سـنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م نقـل إليها الجميع ومصّرها، وأقطع أهل طرسوس الخطط، وزاد كل رجل عشرة دنانير في أصل عطائه.

والحقيقـة أنه ترتب على سياسـة الرشـيد على الحدود مـع الروم أنهم لم يسـتطيعوا اختراق منطقة الثغور؛ لقوة تحصيناتها ومرابطة الجيوش الإسلامية الدائمة فيها، والذي مكّنهم من تسيير جيوشهم مرتين أو أكثر في السنة من غير تعب أو ملل [١].



١ – د . محمد بن ناصر الملحم، العلاقات بين البيزنطيين والمسلمين ، نسخة رقمية .



الجبهة البيزنطية في عهد الخليفة العباسـي هارون الرشيد

اختصت طبيعة العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين في خلافة هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٨ م على أمرين.

أ - العلاقة العدائية :

- تأمين الثغور الإسلامية .
- سياسة الصوائف والشواتي سنة١٧٠ - ١٨٢هـ / ٧٨٦ - ٧٩٨م.
- بين الرشيد ونقفور في المدة ١٨٧ - ١٩٣هـ / ٨٠٢ - ٨٠٨م.

ب - العلاقة السلمية :

- بين الرشيد وإيريني في المدة ١٨٣ - ١٨٦هـ / ٧٩٩ - ٨٠٢م.
- بين الرشيد ونقفور سنة ١٨٧هـ / ٨٠٢م .
- بين الرشيد و نقفور سنة ١٩٠هـ / ٨٠٥م .

بين الرشيد ونقفور في المدة ١٨٧ – ١٩٣هـ / ٨٠٢ - ٨٠٨م

تولى نقفور حكم الإمبراطورية البيزنطية بعد أن كان مسؤولاً عن الخزانة المالية فيها، فاهتم بتدعيم اقتصاد البلاد وإنقاذ الخزانة من الإفلاس، الذي نشأ عن إهمال حكومة إيريني، فألغى الأوامر التي أصدرتها إيريني، وامتنع عن دفع الجزية للمسلمين والبلغار، وأعاد الضرائب على سكان بيزنطة، فبذلك نقض إمبراطور الروم، نقفور، العهد بين المسلمين والبيزنطيين وكتب إلى هارون:

"من نقفور ملك الروم إلى ملك العرب، أما بعد فإن الملكة إيريني التي كانت قبلي أقامتك مقام الأخ، فحملت إليك من أموالها، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك، وإلا فالحرب بيننا وبينك".

فلما قرأ هارون هذه الرسالة ثارت ثائرته، وغضب غضباً شديداً، وكتب على ظهر رسالة الإمبراطور:

"بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام".

وخرج هارون بنفسه في (١٨٧ هـ= ٨٠٣م)، حتى وصل "هرقلة" وهي مدينة بالقرب من القسطنطينية، واضطر نقفور إلى الصلح والموادعة، وحمل مال الجزية إلى الخليفة كما كانت تفعل "إيريني" من قبل، ولكنه نقض المعاهدة بعد عودة الرشيد، فعاد الرشيد إلى قتاله في عام (١٨٨هـ= ٨٠٤ م) وهزمه هزيمة منكرة، وقتل من جيشه أربعين ألفا، وجُرح نقفور نفسه، وقبل الموادعة، وفي العام اللاحق (١٨٩هـ=٨٠٥م) حدث الفداء بين المسلمين والروم، ولم يبق مسلم في الأسر، فابتهج الناس لذلك.

غير أن أهم غزوات الرشيد ضد الروم كانت في سنة (١٩٠ هـ= ٨٠٦م)، حين قاد جيشاً ضخماً عدته ١٣٥ ألف جندي ضد نقفور الذي هاجم حدود الدولة العباسية، فاستولى المسلمون على حصون كثيرة، كانت قد فقدت من أيام الدولة الأموية، مثل "طوانة" بثغر "المصيصة"، وحاصر "هرقلة" وضربها بالمنجنيق، حتى استسلمت، وعاد نقفور إلى طلب الهدنة، وخاطبه بأمير المؤمنين، ودفع الجزية عن نفسه وقادته وسائر أهل بلده، واتفق على ألا يعمر هرقلة مرة أخرى.

مما قاله شاعر الزهد والحكمة (أبو العتاهية) في نصر هارون على نقفور:

بسطت لنا شرقاً وغرباً يَدُ العلا	فأوسعت شرقياً وأوسعت غربياً
ووشيت وجه الأرض بالجود والندى	فأصبح وجه الأرض بالجود موشياً
وأنت أمير المؤمنين فتى التقى	نشرت من الإحسان ما كان مطوياً
تجليّت للدنيا وللدين بالرضا	فأصبح نقفور لهارون ذمياً



حكم عبدالرحمن الداخل الأندلس ١٣٨- ١٧٢هـ أي أنه عاصر الخليفة العباسي هارون الرشيد مدة عامين، وعندما توفي تولى بعده ابنه **هشام الرضا**، وقد حكم الأندلس مدة ثمانية أعوام ١٧٢ - ١٨٠هـ، ووقع خلاف بينه وبين أخيه سليمان الذي هو أكبر منه، وقد أخذ سليمان البيعة لنفسه في **طليطلة**، ولكنه هزم أمام هشام سنة ١٧٤هـ، ونفي إلى المغرب. وبعد أن وطد هشام حكمه اتجه إلى قتال النصارى في الشمال فأرسل إليهم حملات، كما **أرسل جيوشاً إلى سبتمانيا في جنوبي فرنسا**.

وخلفه ابنه **الحكم الربضي**، واستمر حكمه حتى عام ٢٠٦هـ، ونازعه على الحكم عماه عبد الله وسليمان فقد كان في طنجة وعبر إلى الأندلس بقوة من المرتزقة ولكنه هزم وقتل عام ١٨٤هـ، وأما عمه الآخر عبدالله فقد كان عند **الإباضيين في تاهرت** بالمغرب الأوسط فانتقل إلى الأندلس غير أنه هزم، وعفا عنه ابن أخيه الحكم، وأجبره على الإقامة في الأندلس في بلنسية، ويدفع له مرتباً سنوياً ضخماً. كما قامت ضده عدة حركات منها ما حدث في طليطلة قضى عليها بالحيلة إذ ولى عليها عمروس بن يوسف الذي تظاهر بكره الأمير (الحكم) ودعا كبار أهل البلدة إلى وليمة بالقلعة وتخلص منهم عام ١٨١هـ.

(درب زبيدة التاريخي) من أبرز المنجزات الحضارية في عهد الخليفة هارون الرشيد

شهدت الجزيرة العربية في العصر الإسلامي ظهور وتطور لسبعة طرق رئيسة للحج والتجارة، هي: طريق الحج الكوفي (درب زبيدة)، وطريق الحج البصري، وطريق الحج الشامي، وطريق الحج المصري، وطريق الحج اليمني الساحلي، وطريق الحج اليمني الداخلي، وطريق الحج العُماني.

وتتصل هذه الطرق بعضها مع بعض في نقاط رئيسة، أو بواسطة طرق فرعية، ولقيت طرق الحج عناية فائقة من قبل الخلفاء المسلمين، والأمراء، والوزراء، والأعيان، ومن محبي الخير من التجار والوجهاء على مر العصور، وبعض الطرق استمر استخدامه حتى عهد قريب، والبعض الآخر اندثر بسبب الظروف المناخية، والاقتصادية، والهجرات السكانية.

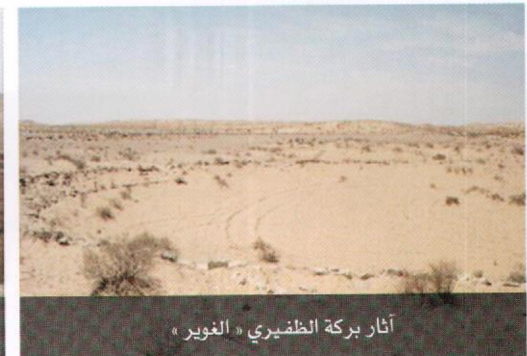
وأقيمت على طرق الحج منشآت عديدة، مثل: المحطات والمنازل والمرافق الأساسية من برك، وآبار، وعيون، وسدود، وخانات، ومساجد، وأسواق، كما أقيمت على هذه الطرق الأعلام، والمنارات، والأميال، التي توضح مسار تلك الطرق وتفرعاتها.

ويعد طريق الحج من الكوفة، إلى مكة المكرمة من أهم طرق التجارة والحج في العصر الإسلامي، وقد عرف هذا الطريق فيما بعد باسم **(درب زبيدة)**؛ نسبة إلى السيدة زبيدة بنت جعفر، زوجة الخليفة هارون الرشيد، والسيدة زبيدة كان لها أعمال كثيرة في إقامة بعض المنشآت على هذا الطريق، وفي مكة المكرمة، ومن أهم أعمالها: حفرها **عين زبيدة** التي لا تزال آثارها باقية حتى اليوم. وطريق (الكوفة – مكة) لا يستبعد أن يكون معروفاً قبل العصر الإسلامي؛ حيث كانت الحيرة عاصمة المناذرة بالقرب من الموقع الذي قامت فيه الكوفة فيما بعد سنة ١٤هـ، وربما كانت القوافل التجارية من مكة، والمدينة تتجه إلى الحيرة عبر هذا الطريق، وكانت توجد على الطريق مناهل للمياه قبل الإسلام توقف في بعضها الجيش الإسلامي بقيادة سعد بن أبي وقاص قبل دخوله العراق، ومن هذه المناهل: زرود، والثعلبية، وشرف، والعذيب، والقادسية.

غير أن الطريق انتظم استخدامه بعد فتح العراق، وانتشار الإسلام في المشرق الإسلامي، فتحولت مناهل المياه، وأماكن الرعي، والتعدين على الطريق إلى محطات رئيسة، وبدأ الطريق يزدهر بالتدريج منذ عصر الخلافة الراشدة، وحتى العصر الأموي؛ وبانتقال مركز الخلافة من الشام إلى العراق، في العصر العباسي، أصبح الطريق حلقة اتصال مهمة بين عاصمة الخلافة في بغداد والحرمين الشريفين، وبقية أنحاء الجزيرة العربية وحتى اليمن، وأعطى خلفاء بني العباس جل اهتمامهم بتأمين طرق المواصلات، وبالأخص طريق الكوفة من مكة، كما كان للأمراء، والوزراء، والقادة، والوجهاء، إصلاحات أخرى كثيرة على الطريق . بتصرف عن أ . د. سعد بن عبد العزيز الراشد، طرق الحج الرئيسة، النسخة الرقمية.



درب زبيدة : وينسب إلى زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، إحدى زوجات الخليفة العباسي هارون الرشيد - رضي الله عنه - قامت زبيدة بالإشراف على إنشاء طريق الحج، ويتمثل هذا الدرب في خدمة حجاج بيت الله الحرام من بغداد (عاصمة الخلافة العباسية) ، ومروراً بالكوفة إلى مكة المكرمة، حيث تم وضع علامات على الطريق؛ لإرشاد الحجاج ، وتم وضع برك لجمع الماء بطريقة ذكية، حيث تم وضع كل بركة أسفل واد صغير تجمع ماء المطر ويستفيد منها الحجاج للتزود بالماء، ومع مرور السنين استفاد حجاج بيت الله الحرام من هذا الطريق. ويبلغ طول هذا الدرب ١٤٠٠كم تقريباً ، وينتهي هذا الدرب في عين زبيدة التي تنبع من وادي نعمان، ثم تمر في عرفات فتقطع وادي عُرنة، ثم تنحدر إلى مكة المكرمة، وكانت مصممة بطريقة انسيابية هندسية متطورة .


آثار بركة الظفيري « الغوير »


بركة العمياء وتقع على بعد ١٣,٥ كم شمالي محطة القاع وهي محطة من الحجم المتوسط

بركة الظفيري « الغوير » : قال الناظم:

غزال نحا شيح الغوير وغاره   فدىً لغزال بالغوير شـــرودِ

هي أول البرك على درب زبيدة داخل الحدود السعودية، حيث تعرف باسم بركة (الظفيري) ، وتقع على بعد ١٢ كم شـمالي محطة العمياء، ثم يستمر الطريق بعدها حتى يصل إلى الكوفة التي ينشـأ منها بداية الطريق، وهذه البركة لها درج ومدخلان للمـاء، يتم توجيه المـاء إليهما بجدران صـممت لهذا الغرض، وللبركة مصفاة موصولة مع البركة بقناة.

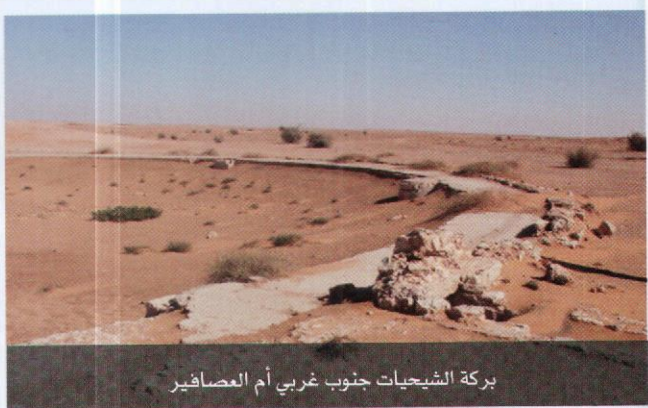

بركة القاع وهي من المحطات الكبيرة على درب زبيدة

بركة الثليمة في شمالي رفحاء

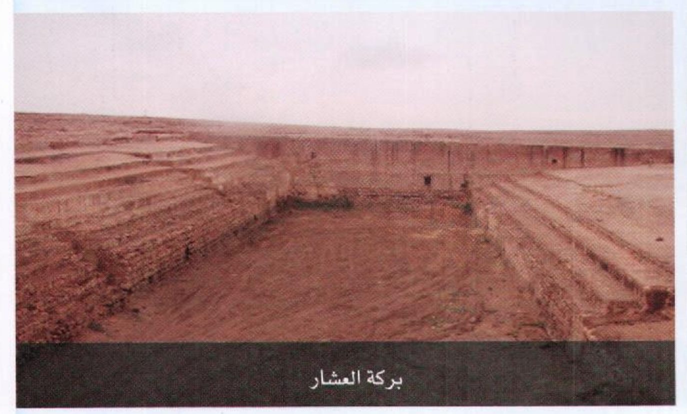


بركة الجميمة لقطات متنوعة

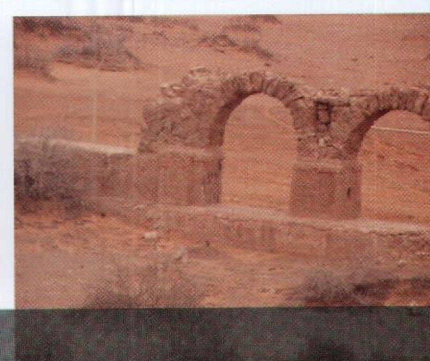
بركة زبالة بالقرب من رفحاء

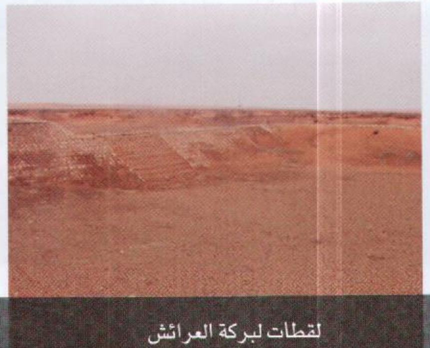


بركة الشيحيات جنوب غربي أم العصافير



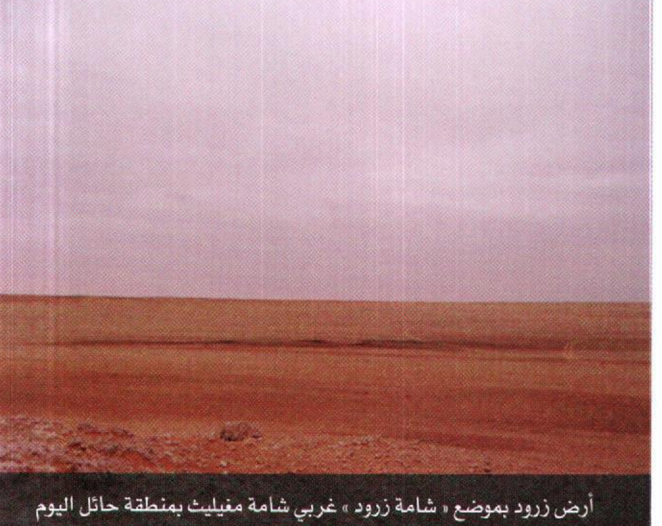
بركة العشار

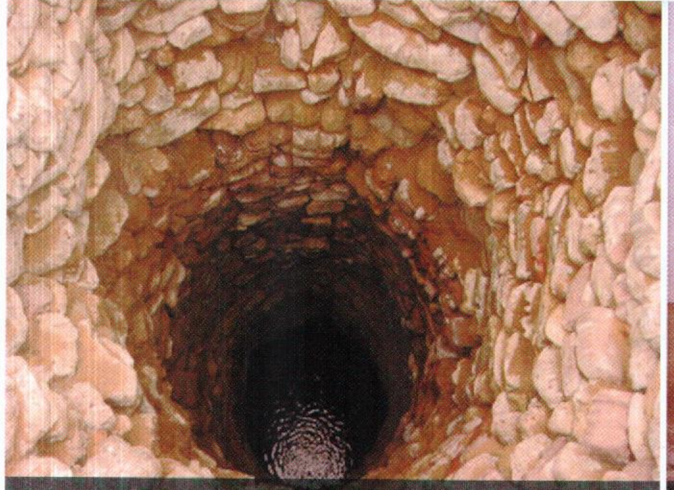






لقطات لبركة العرائش


أرض زرود بموضع « شامة زرود » غربي شامة مغيليث بمنطقة حائل اليوم

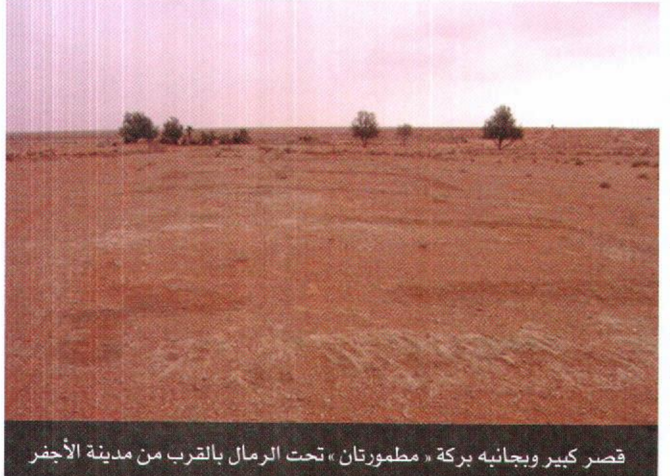

أحد الآبار بأرض زرود والتي يتزود منها الحجاج والتجار والمسافرون على درب زبيدة

زرود: يجوز أن يكون من قولهم: جمل زرود أي بلوع، والزّرد: البلع، ولعلّها سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحائب لأنّها رمال بين الثعلبية والخُزَيمية بطريق الحاج من الكوفة، وقال ابن الكلبي عن الشرقي: زرود والشُّقْرَة والرّبَذَة بنات يثرب بن قانية بن مهليل بن رخام بن عبيل أخي عوض بن إرم بن سام بن نوح، عليه السلام وتسمى زرود العتيقة، وهي دون الخزيمية بميل، وفي زرود بركة وقصر وحوض، قالوا أول الرمال الشيحة ثم رمل الشقيق، وهي خمسة أجبل: جبلا زرود وجبل الغَرّ ومُرَبخ، وهو أشدّها، وجبل الطريدة، وهو أهونها، حتى تبلغ جبال الحجاز. ويوم زرود: من أيّام العرب مشهور بين بني تغلب وبني يربوع؛ **وقد روي أن الرشيد حجّ في بعض الأعوام فلمّا أشرف على الحجاز تمثل بقول الشاعر:**

أقول وقد جزنا **زرود** عشية
وراحت مطايانا تؤمّ بنا نَجْدَا
على أهل بغداد السلام، فإنّني
أزيد بسيري عن بلادهمُ بُعدَا

وقال مهيار:

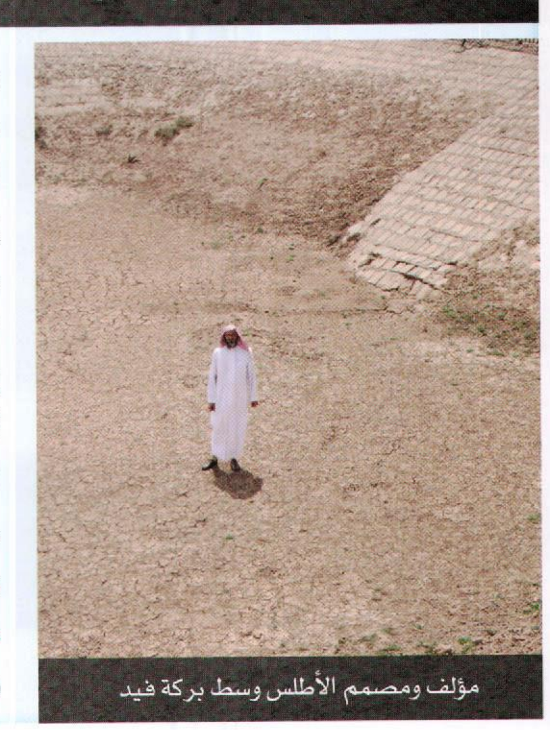
ولقد أحِنّ إلى زرود وطِينيَ
من غير ما جُبلتْ عليه **زرودُ**
ويشوقُني عجفُ الحجاز وقد طفا
ريفُ العراق وظلّه المدودُ
ويُغرّدُ الشادي فلا يهتزّ بي،
وينالُ مني السابق الغرّيدُ
ما ذاك إلاّ أن أقمار الحمى
أفلاكهنّ، إذا طلَعن، البيدُ


قصر كبير وبجانبه بركة « مطمورتان » تحت الرمال بالقرب من مدينة الأجفر

قال أبو العلاء المعري:

لا تَحْسَبي إبلي سُهَيْلاً طالِعاً
بالشأم فالمَرْئيُ شُعْلَةُ قابِس
هذي العواصِمُ فاسألينا ما بها
وذَرِي مَآرِبَ مِن **زَرُودَ** وراكِس
ولقد أظَلُّ تُظِلّني وصَحابَتي
والشمسُ مِثلُ الأَخْزَرِ المُتَشاوِس

فيد: مدينة صغيرة ذات حصنين وبها حمام وبركة بأبواب حديد وآثارات، لعضد الدولة يوجد بها كل خير وبها يودع الحاج ازوادهم وثم ثقات وبها عيون وآبار وبرك عذيبية، وبالبعد ماء حلو .. المقدسي البشاري؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. وهذه الصورة لبركة زبيدة بمدينة (فيد) بمنطقة حائل

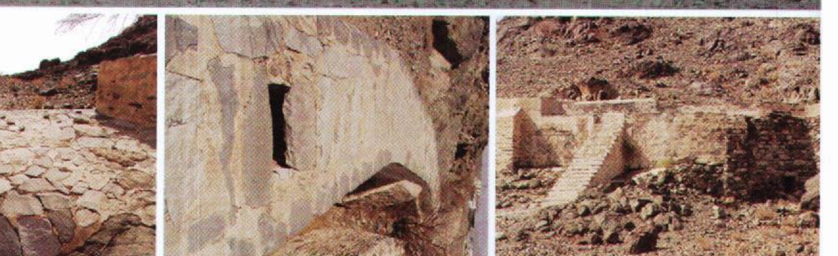


مؤلف ومصمم الأطلس وسط بركة فيد

وصـف ابن بطوطة في رحلته **حصن فيد** قائلاً : وهو حصـن كبير في بسيط من الأرض يدور به سـور وعليه ربض، وسـاكنوه عرب يتعيشـون مع الحاج في البيع والتجارة. وهنالك يترك الحجاج بعض أزوادهم حين وصولهم من العراق إلى مكة شـرفها الله تعالى، فإذا عادوا وجدوه وهو نصف الطريق من مكة إلى بغداد، ومنه إلى الكوفة مسـيرة اثني عشـر يوماً في طريق **سهل به المياه** في المصـانع، ومن عادة الركب أن يدخلوا هذا الموضـع علـى تعبئته وأهبة للحرب، إرهاباً للعـرب المجتمعين هنالك، وقطعاً لأطماعهم عـن الركب وهنالك لقينا أمـيري العرب، وهما فياض وحيار واسـمه " بكسـر الحاء وإهمالـه وياء آخر الحروف " ، وهما ابنا الأمير مهنا بن عيسى، ومعهما من خيل العرب ورجالهم مـن لا يحصـون كـثرة **فظهـر منهمـا المحافظـة علـى الحـاج والرحـال والحوطـة لهم**، وأتى العرب بالجمال والغنم واشـترى منهم الناس ما قدروا عليه، ثم رحلنا ونزلنا الموضع الأجفر، ويشتهر باسم العاشقين: جميل وبثينة ثم رحلنا ونزلنا البيداء، ثم نزلنا زرود، ... رحلة ابن بطوطة.

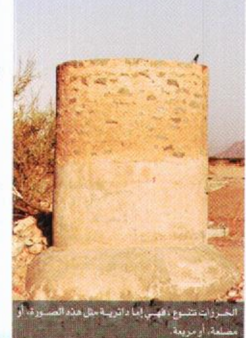
تبين هذه الصورة كيفية عمل الجسور التي تحمل الماء من عين زبيدة في مكة المكرمة :

قيل: إنه بلغ مجموع ما أنفقته السيدة "زبيدة" على هذا المشروع مليوناً وسبعمائة ألف مثقال من الذهب. أي ما يساوي خمسة آلاف وتسعمائة وخمسين كيلو غراماً. ولما تم عملها ، اجتمع العمال لديها وأخرجوا دفاترهم ليؤدوا حساب ما صرفوه، وليبرئوا ذممهم من عهدة ما تسلموه من خزائن الأموال. وكانت السيدة "زبيدة" في قصر مطل على نهر دجلة، فأخذت الدفاتر ورمتها في النهر، قائلة: "تركنا الحساب ليوم الحساب. فمن بقي عنده شيء من المال فهو له، ومن بقي له شيء عندنا أعطيناه". وألبستهم الخلع والتشاريف.





تصل قناة عين زبيدة إلى مشعر مزدلفة حيث يوجد مقر لعين زبيدة مجاور للمشعر الحرام، لتصب العين في برك وأحواض خُصصَ بعضها لسقيا الحجّاج، وبعضها الآخر للدواب لتتجه إلى منطقة العزيزية المتاخمة لمنى، لتصب في "بئر زبيدة" نهاية امتداد عمل قناة عين زبيدة



الخرزات تتنوع ، فهي إما دائرية مثل هذه الصورة، أو مضلعة، أو مربعة.

يُعد مشــروع « عين زبيدة الأثري » وهو مكمل لمشــروعها الســابق « درب زبيدة » حيث إن هذه العين تمتد من أعالي جبال الكر بوادي نعمان بالقرب من الطائف حتى مكة في ســقيا أهالي مكة المكرمة وحجاج بيت الله الحرام بالمياه العذبة وقد أمرت بتنفيذ هذا المشــروع المائي العملاق السيدة أمة العزيز« زبيدة » بنت جعفر بن المنصور زوجة الخليفة هارون الرشيد لما علمت حاجة مكة المكرمة وضيوف الرحمن إلى المياه بعد أن عانت هذه المدينة المقدسة من شح المياه ما عانت نتيجة جفــاف مياه الآبار، ورغم قلة الإمكانات والأيدي الهندســية الماهرة المؤهلة والمدربة، إلاّ ان الســيدة زبيدة اســتطاعت برجالها العاملين المخلصين أن ينفذوا هذا المشروع العملاق بطرق فنية متطورة تتساوى مع ما توصل إليه اليوم علم تقني هندسي، ولاسيما في قدرة العاملين آنذاك في ســحب المياه عبر تلك المســافة الطويلة التي تمتد لمســافات بعيدة وعبر مرتفعات ومنخفضات جبلية وأودية وصحاري، فعملوا المناسيب المناسبة لمجرى العين والخرزات والقنوات بالحجر والجص حتى استطاعت المياه الانسياب عبر هذه القنوات والمضخات البدائية بكل سهولة ويسر حتى وصلت إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة مروراً بمناطق المشــاعر المقدســة منى وعرفات ومزدلفة ولا تزال آثار القنوات المائية والخرازات قائمة إلى اليوم في ســفوح الجبال وكأنه قد تم عملها بالأمس رغم مرور الزمن.

يعد **الفضل بن سعيد الحـــــروري** من أوائل **الخوارج** الخارجين على خلافة **هارون** الرشيد.

بـدأت مـع مطلع **العصر العباسي الأول** حركة الأئمه الإباضـية الاسـتقلالية ١٣٥هـ (٧٥٢م)، حيث كان الإباضـيون ينتخبون بواسـطة أهل العلم على أن يوافق الجمهور على الاختيار، كما أنه لم يكـن هنـاك حكم بالوراثة، وكان الإمام يعزل أحياناً، ومن أبرز الأئمة الإباضـية وهو الأول : الإمام جلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندي الأزدي سنة ١٣٥هـ، وقتل بعد سنتين تقريباً من حكمه ، وكان مصرعه في حربه **ضد الجيش العباسي** . ومرت عمان عقب ذلك بفترة شغور وفوضى . ثم توالى مجموعة من الحكام عصر الأئمـة في عمان: . وأمتدت هذه الفتره من الحكم حتى القرن الخامس عشـر الميلادي، مع تسلسـل حيناً، وانقطاع حيناً آخر، ومع ظهور آل نبهان الذين كونوا لهم ملكاً عدة قرون حتى مجيء البرتغاليين لعمان سـنة ٩١٣هـ = ١٥٠٧م. سيرد تفصيل أوسـع في الصفحات القادمة عن تاريخ عُمان في العصر العباسي من هذا الأطلس أن شاء الله تعالى.

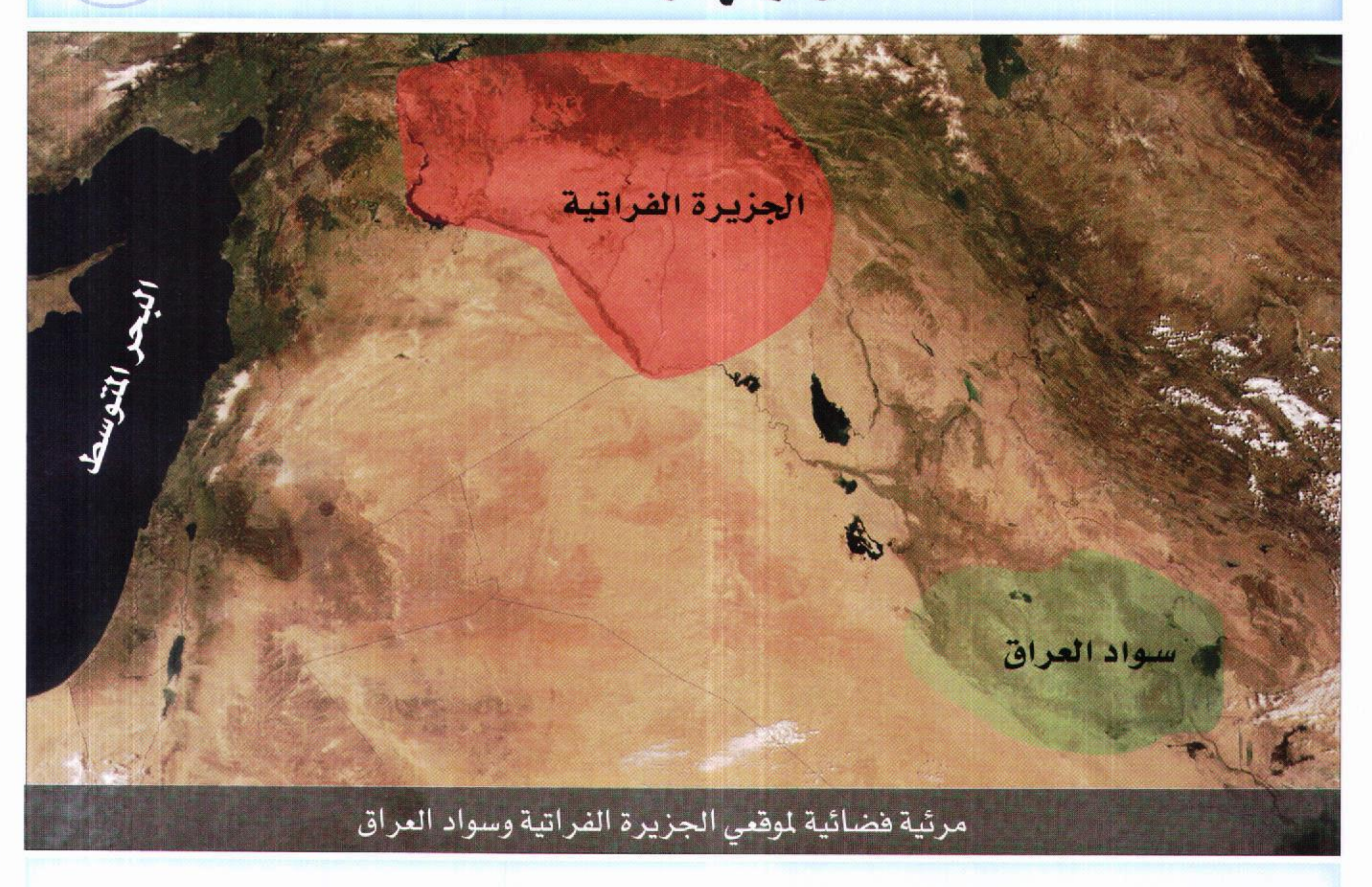
نشاط الخوارج على الجزء الشرقي من الخلافة العباسية



الوليد بن طريف الشاري الخارجي وهو رأس الخوارج كان مقيماً في **الجزيرة الفراتية** بنصيبين والخابور وتلك النواحي وخرج على الدولة في خلافة هارون الرشيد ففتك بإبراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين، ثم قويت شوكة الوليد فدخل إلى **أرمينية** وحصر خلاط (في تركيا اليوم) عشرين يوماً فافتدوا منه أنفسهم بثلاثين، ثم سار إلى **أذربيجان**، ثم إلى **حلوان** وأرض السواد، ثم عبر إلى غرب دجلة وقصد مدينة بلد فافتدوا منه بمائة ألف وعاث في أرض الجزيرة وبغى وحشد جموعاً كثيرة، فأرسل إليه هارون الرشيد جيشاً كثيفاً مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني (من قبيلة الوليد نفسها). فقتله في الأسبوع الأول من رمضان عام ١٧٩ هـ ، ودفن في « تل نهاكي ».



خرج في العام نفسه (١٧٩ هـ) في **خراسان حمزة بن أترك السجستاني**، وبدأ ينتقل من مكان إلى آخر حتى قوي أمره في عام ١٨٥ هـ فعاث فساداً في باذغيس من أرض خراسان، غلب، وفر باتجاه كابل .



مرئية فضائية لموقعي الجزيرة الفراتية وسواد العراق

أبرز الذين خرجوا على خلافة هارون الرشيد من الخوارج في أرض الجزيرة الفراتية وسواد العراق أيضاً:

١ - خراشة الشيباني سنة ١٨٠ هـ، فسار إليه مسلم ابن بكار العقيلي فقتله، وتتبع أعوانه من الخوارج.

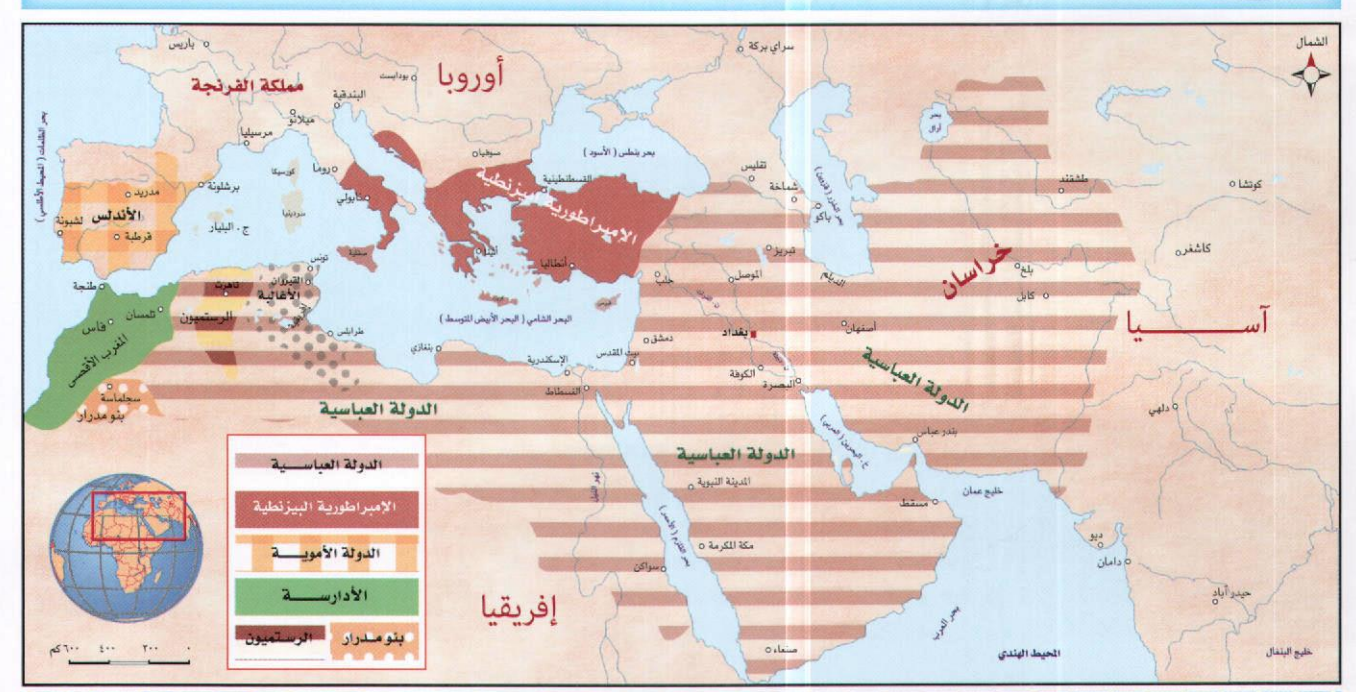
٢ - أبو عمرو الشاري، سنة ١٨٤ هـ خرج في الجزيرة لكنه سرعان ما تم تصفيته.

٣ - ثروان بن سيف، سنة ١٩١ هـ، خرج في سواد العراق؛ فوجه إليه هارون قائده طجوق بن مالك، فتمكن من الانتصار عليه وقتل أصحابه، وجرح ثروان، فظنه أنه قتل؛ لكنه فر جريحاً.

الخوارج في نظر الإباضية

الخوارج قديماً: هم طوائف من الناس من زمن التابعين رؤوسهم نافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر، وعبد الله بن الصفار ومن شايعهم، وسموا خوارج لأنهم خرجوا عن الحق، وعن الأمة بالحكم على مرتكب الذنب بالشرك، فاستحلوا ما حرم الله من الدماء والأموال بالمعصية. وحين أخطأوا في التأويل لم يقتصروا على مجرد القول، بل تجاوزوه إلى الفعل، فاستعرضوا النساء والأطفال والشيوخ. وهم باعتقادهم وعملهم قد خرجوا من الإسلام وخرجوا عن الحق فهم الذين يمكن أن ينطبق عليهم الحديث الوارد في المروق من الدين.

موقع شبكة الدفاع عن السُّنّة



حدود الدولة العباسية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد رحمه الله تعالى

مجموعة من الدنانير العباسية التي سكت في عهد أمير المؤمنين هارون الرشيد رحمه الله

وقف هارون الرشيد أمام السحاب ذات مرة، وقال لها : أمطري حيثما شئتي فسوف يأتني خراجك (أي زكاتك) بإذن الله تعالى

وفاة هارون الرشيد (رحمه الله تعالى)

خرج **هارون الرشيد** من بغداد في سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨ م، قاصداً خراسان لوضع حد لثورة رافع بن الليث، واستخلف ابنه محمد الأمين على بغداد، واصطحب معه ابنه عبد الله المأمون. وكان الرشيد يشكو من علة في بطنه ويرتدي حزاماً من حرير لتسكين الألم. ولما وصل إلى **طوس** في شهر صفر، اشتدت عليه العلة حتى عجز عن القيام، وتوفي في ٣ من جمادى الآخرة ١٩٣هـ / ٢٤ من مارس ٨٠٩م وتولى ابنه الأمين الخلافة من بعده، وهو الخليفة السادس في سلسلة خلفاء الدولة العباسية.

طوس : ... فتحت في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه وبها قبر علي بن موسى الرضا وبها أيضاً قبر هارون الرشيد،... . الحموي، معجم البلدان.

أين دفن هارون الرشيد رضي الله عنه؟

يروي ابن بطوطة في كتابه في وصف قبر الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم رحمه الله " وإزاء هذا القبر قبر هارون الرشيد أمير المؤمنين رضي الله عنه ، وعليه دكانة يضعون عليها الشمعدانات التي يعرفها أهل المغرب بالحسك والمنائر، وإذا دخل الرافضيّ للزيارة ضرب قبر الرشيد برجله، وسلم على الرضا " أ.هـ

أوصى الإمام علي بن موسى الرضا رحمه الله أن يُدفن بجوار قبر أمير المؤمنين هارون الرشيد !! ، وفي هذا منقبة لهذا الخليفة الصالح وأي منقبة !! " و في الخرائج روي عن الحسن بن عباد و كان كاتب الرضا « ع » قال: دخلت عليه و قد عزم المأمون بالمسير إلى بغداد، فقال يا ابن عباس ما ندخل العراق و لا نراه فبكيت و قلت: فآيستني أن آتي أهلي و ولدي، قال: ع أما أنت فستدخلها و إنما عنيت نفسي فاعتل و توفي في قرية من قرى طوس و قد كان تقدم في وصيته أن يحفر قبره مما يلي الحائط بينه و بين قبر هارون ثلاث أذرع" (بحار الأنوار ج : ٤٨ ص : ٣٢٤) فلا يوصي الرجل ان يُدفن بجوار رجل ميت . إلا وكان هذا الميت من الصالحين الأتقياء .. وهذا ما فعله الإمام علي بن موسى الرضا رضي الله عنه حينما جعل قبره مجاوراً لقبر أمير المؤمنين هارون الرشيد رضي الله عنه .

محمـد الأمـين

١٩٣-١٩٨هـ / ٨٠٩-٨١٣م

هو **أبو موسى** محمد الأمين بن هارون الرشيد، بن محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو الخليفة العباسي السادس وأمه زبيدة بنت جعفر. ولد بالرصافة سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م، وبويع له بالخلافة بعد وفاة والده الرشيد وبعهد منه.

كان الأمين جميل الصورة، فصيحاً على حظ وافر من الأدب، ينشد الشعر ويعطي عليه الجوائز الكثيرة، وكان أبو نواس شـاعره الأثير. تأدب على الكسـائي، وقرأ عليه القرآن. رماه أعداؤه بالانصـراف إلى اللهو والمجون، والحق أن ما كتب عنه افتراء محض.

بويـع بالخلافـة في بغداد فـي ١٩ جمادى الآخرة سـنة ١٩٣هـ/٨٠٩ م بعد وفاة أبيـه. وكان أبوه هارون الرشـيد قد جعله ولياً لعهده منذ سـنة ١٧٥هـ/٧٨١م، وجعل له ولاية العراق والشـام حتى أقصـى المغرب، ولقبه بالأمين. ثم ما لبث أن بايع الرشـيد ابنه عبد الله بعد الأمين في سـنة ١٨٢ هـ/٧٨٨م ولقبه بالمأمون على أن تكون له ولاية خراسـان وما يتصـل بها من الولايات الشرقية، وفي سنة ١٨٦هـ/٧٩٢م بايع الرشيد ابنه القاسم بعد أخيه المأمون ودعاه المؤتمن، وجعل له ولاية الجزيرة والثغور. وكتب الرشيد بذلك صحيفة أشـهد عليها القضاة والفقهاء وأكابر بني هاشم وعلقت في الكعبة. كما أنه تأكيداً لتنفيذ وصيته في ولاية العهد، دعا الأمين لكتابة كتاب يشهد فيه على نفسه بالوفاء للمأمون، كما دعـا المأمون إلى كتابة كتاب آخر بالوفـاء للأمين. ووضـع هذين الكتابين إلى جانب الصـحيفة التي كتبها للمؤتمن، وأشـهـد الجميع على ذلك[١].

لقد وضع الرشيد بذلك بذرة التفكك السياسي، وأوقع الخلافة في دهاليز مظلمة هي غنية عنهاكانت لها نتائجها الخطيرة على مسـتقبل الخلافة. وأدى فيها الوزيران الفضـل بن الربيع والفضـل بن سـهل الدور الأكبر في اندلاع نار العداوة والحرب بين الأخوين.

من أسباب الفتنة بين الأمين والمأمون: أن هارون الرشـيد ولّى عهده أولاً محمد الأمين، والمأمون أسـن منه، ولم يكن ما يزيد الأمين إلا أنه ابن زبيدة (زوجة الرشـيد عالية النسـب والحبيبة إلى قلبه). أراد الرشـيد بعد ذلك معالجة هذه الغلطة ففعل ما يزيدها شـراً بتولية المأمون العهد بعد الأمين، ولم يقتصـر على مجرد تولية العهد بل أعطاه من الامتيازات ما يجعله مستقلاً تمام الاستقلال بمنطقة خراسان والري عن أخيه الأمين.. فأصبح لكل من الأمين والمأمون جيشاً يتصرف فيه، ولم يقتصر الرشيد على ذلك بل أعطى أخاً لهم ثالثاً امتيازات أخرى وهي الجزيرة وأرمينية فأحس الأمين كأنه مقصـوص الجناحين منزوعاً من سـلطان أعظم بقاع الإسـلام وأكثرها أعواناً وجنداً. وزاد الأمر اشـتعالاً وجود الفضـل بن الربيع الذي جرّأ الرشـيد على إفسـاد ملكه وقتل البرامكة... فكان في فئة الأمين وهو الذي أغراه بأخيه المأمون ولم يكن الأمين ينوي قتاله إنما فعل الفضـل ذلك خوفاً على مصـالحه. لقد وصـل الخلاف بين الأخوين إلى الاقتتال، والحقيقة لم يكن للأمين حسـن تدبير بل كان مشغولاً باللهو والعبث، وكان عنده ثقة أنه سيقهر أخاه، بينما كان المأمون مشغولاً بتدبير أمره يجمع إلى مجلسه العلماء والفقهاء ويجلس معهم، حتى أُشرِبت قلوبُهم محبته، وباختصار فقد انتهى الأمر بمقتل الأمين على يد أحد قواد المأمون وبايع الناس المأمون. د. راغب السرجاني، موقع قصة الإسلام.

١ - أمينة بيطار، الموسوعة العربية، مج ٣، ص ٦٨٩، دار الفكر، دمشق - سوريا.

مرَّ النزاع بين الأمــين والمأمــون بمرحلتين:

١ - مرحلة المفاوضات السلمية التي انتهت في عام ١٩٥ هـ / ٨١١ م .

٢ - مرحلة الحسم العسكري التي انتهت بمقتل الأمين في عام ١٩٨ هـ / ٨١٣ م .

دينار عباسي يعود إلى عهد الخليفة الأمين

مراحل النزاع بين الأمين والمأمون



جهز الأمين سنة ١٩٥هـ/٨٠١م جيشاً بقيادة علي بن عيسى بن ماهان لقتال أخيه، ولكن طاهر بن الحسين، قائد جيش المأمون، هزمه وقتله بظاهر الرّي، وتتابعت جيوش الأمين إلا أنها أخفقت في إحراز النصر، واستولى طاهر على الجبل والأهواز وأعمالهما، وواسط والمدائن، ولمّا وصل هرثمة بن أعين مدداً لطاهر، توجه جيش المأمون إلى بغداد سنة ١٩٧هـ وحاصرها حتى اشتد الضيق بأهلها ونفد الطعام من بغداد واضطربت الأحوال فيها، واستولى جيش المأمون على ضياع من لم يستسلم من بني هاشم وقواد الأمين وغيرهم، واضطر الأمين إلى بيع كل ما يملك لينفق على من بقي من الجند وليحمّسهم ويبقيهم إلى جانبه، فلما استسلم عدد من بني هاشم ومن القواد إلى طاهر بن الحسين ومن هؤلاء صاحب شرطة الأمين، أدرك الخليفة أن لا فائدة من الاستمرار في القتال فقرر الاستسلام، وأرسل يطلب الأمان لنفسه فأمنه هرثمة وصار إليه الأمين فأركبه حَراقة وركب هو معه وأحسن لقاءه ولكن طاهر بن الحسين لم يرض عن صنيع هرثمة فأمر بنقب الحراقة ففرقت، واستطاع الأمين أن يسبح ونجا بنفسه، ثم لجأ إلى بيت رجل من العامة، ولكن جند طاهر ظفروا به وقتلوه، وأمر طاهر بنصب رأس الأمين فوق رمح ليراه الناس، ثم بعث به مع البردة والقضيب والنعل إلى المأمون كما بعث موسى وعبد الله ابني الأمين إلى عمهما المأمون.



بعد هذه الحادثة تأكدت طبيعة الصراع بين الأخوين الأمين والمأمون الذي انتهى بانتصار القوة الفارسية بزعامة المأمون وتخطيط كاتبه الفارسي (الفضل بن سهل) ، بينما أفلت التطلعات العربية بمقتل الأمين وتدبير الفضل بن الربيع كاتبه.

عبد الله المأمـــون

١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م

هو **أبو جعفر** عبد الله المأمون بن هارون الرشـيد، أمير المؤمنين، بن محمد بن المنصـور عبد الله ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وأمه فارسية يقال لها مراجل الباذ غيسية.

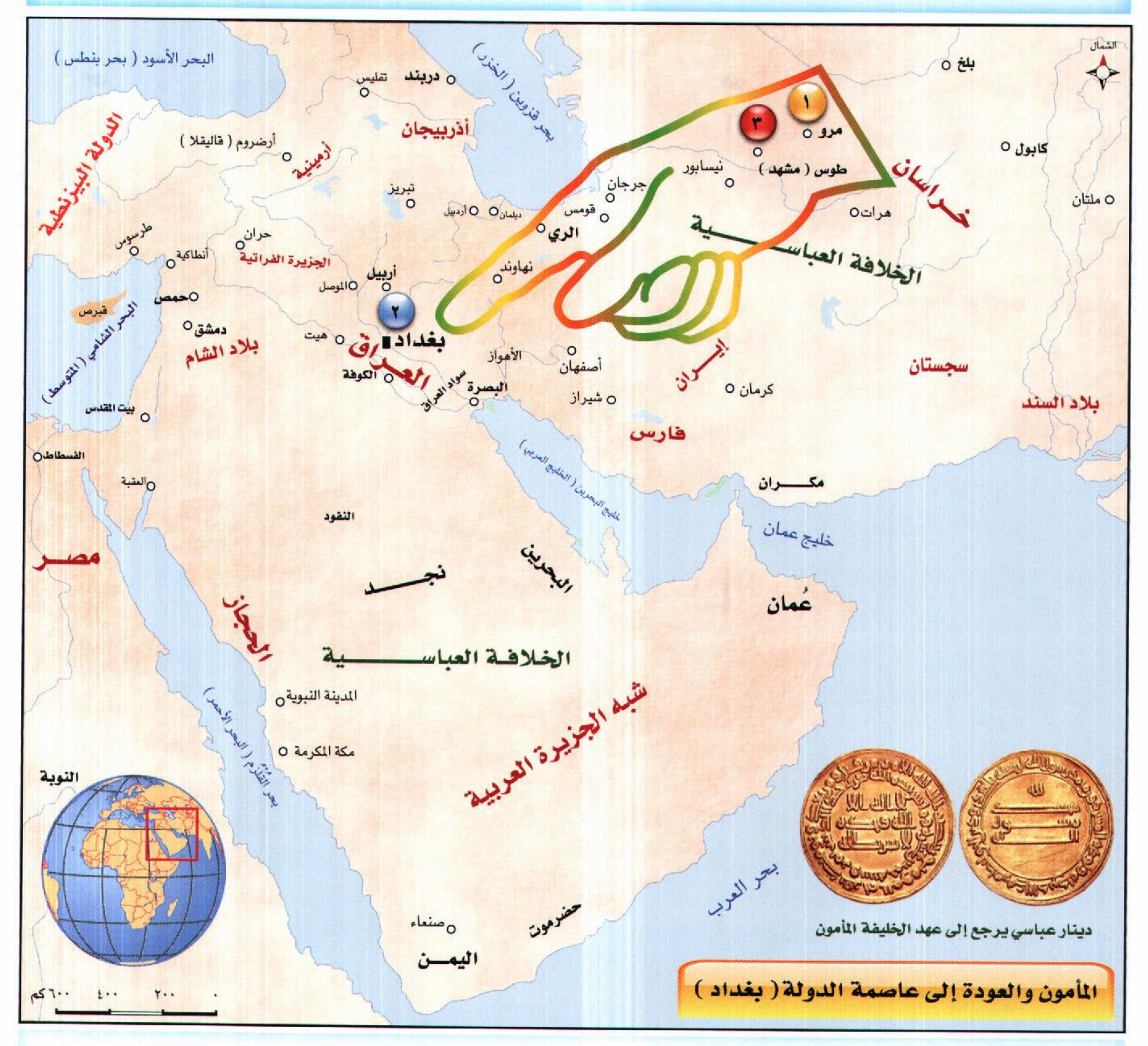
ولد سنة سبعين ومائة في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول وهي الليلة التي مات فيها الهادي واستخلف أبوه. قرأ العلم في صـغره، و سـمع الحديث من أبيه وهشـيم، وعباد بن العوام، ويوسـف بن عطية، وأبي معاوية الضرير، وإسماعيل ابن علية، وحجاج الأعور، وطبقتهم. وأدبه اليزيدي وجمع الفقهاء من الآفاق وبـرع فـي الفقه والعربية وأيام الناس ولما كبر عني بالفلسـفة وعلوم الأوائل ومهـر فيها. روى عنه: ولده الفضـل، ويحيـى ابن أكثـم، وجعفر بن أبي عثمان الطيالسـي، والأمـير عبد الله بن طاهـر، وأحمد بن الحارث الشيعي، ودعبل الخزاعي و غيرهم .

قال أبو معشـر المنجم: كان المأمون أماراً بالعدل، فقيه النفس يعد من كبار العلماء. وعن الرشـيد قال: إني لأعرف في عبد الله حزم المنصور، ونسك المهدي، وعزة الهادي؛ ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابع يعني نفسـه لنسـبته. أصبح الأمر في المشرق والمغرب تحت سـلطان المأمون وهو سابع خلفاء بني العباس، لقد كان المأمون في ذلك الوقت والياً من قبل والده على "خراسـان" وكان يقيم في عاصـمتها "مرو"، وكان من الطبيعى أن يفضّلها بعد أن انفرد بالخلافة.

إنها تضم أنصاره ومؤيديه، فهو هناك في أمان واطمئنان، وكان الفرس يودون أن يبقى "بمرو" لتكون عاصمة الخلافة، ولكنها بعيدة عن مركز الدولة، وهي أكثر اتجاهاً نحو الشرق، مما جعل سيطرتها على العرب ضـعيفة، بل إن أهل بغداد أنفسـهم دخلوا في عدة ثورات ضـد المأمون؛ حتى إنهم خلعوه أخيراً، وبايعـوا بدلاً منه عمه إبراهيم بن المهدي. واضـطر المأمون أخـيراً أن يذهب إلى بغداد وأن يترك "مرو" للقضاء على هذه التحركات في مهدها. موقع أسرة آل باوزير العباسية .

ولاية العهد لعلي الرضا (العلوي): كان معظم أعوان المأمون من الفرس، ومعظمهم من الشيعة، ولهذا اضطر المأمون لمالأة الشيعة وكسبهم إلى جانبه، فأرسل إلى زعماء العلويين أن يوافوه في عاصـمته (وكانت مرو فى ذلك الوقت)، فلما جاءوه أحسـن اسـتقبالهم، وأكرم وفادتهم، وما لبث بعد قليل أن عهد بولاية العهد إلى "علي الرضا" وهي طبعاً خطوة جريئة؛ لأن فيها نقلاً للخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي. ولم يكتفِ بهذا، بل غير الشعار من السواد وهو شعار العباسيين إلى الخضرة وهي شعار العلويين. وبرغم اعتراض أقاربه من العباسيين، فإن المأمون كان مصراً على هذا الأمر، إذ كان يعتقد أن ذلك من برِ علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-. وجاءت عمة أبيه زينب بنت سليمان بن علي، وكانت موضـع تعظيم العباسـيين وإجلالهم، وهي من جيل المنصـور، وسـألته: ما الذي دعاك إلى نقل الخلافة من بيتك إلى بيت علي؟ فقال: يا عمة، إنى رأيت عليّاً حين ولي الخلافة أحسن إلى بني العباس، وما رأيت أحداً من أهل بيتي حين أفضى الأمر إليهم (وصل إليهم) كافأه على فعله، فأحببت أن أكافئه على إحسانه. فقالت: يا أمير المؤمنين إنك على بِرّ بني عليّ والأمر فيك، أقدر منك على برهم، والأمر فيهم.

ولكن لم يلبث "علي الرضا" أن مات وكان ذلك في سنة ٢٠٣هـ/ ٨١٩م. وعلى كل حال لقد استطاع المأمون ببيعة "علي الرضا" أن يقوي من سلطانه؛ لأنه بهذه البيعة أمن جانب العلويين. ولكن قامت ضد الخليفة المأمون ثورات عديدة اختلفت في مدى عنفها وشدتها، واستطاع القضاء عليها جميعاً.



دينار عباسي يرجع إلى عهد الخليفة المأمون

المأمون والعودة إلى عاصمة الدولة (بغداد)

١ أدرك **الخليفة المأمون** بعد أن أطلعه **علي الرضا بن موسى الكاظم** على الأوضـاع المتردية في أنحاء الدولة ، أن لا جدوى من بقائه في مرو بخراسان، وأن بغداد لا تستطيع أن تعيش من دون خليفة.

٢ الخليفة المأمون يقرر في سنة ٢٠٢ هـ العودة إلى بغداد (العاصمة المركزية) ليؤكد بداية زوال التأثير الفارسي على توجهاته السياسية التي اصطبغت بها طوال المدة التي قضاها في مرو؛ مما أزعج وزيره الفارسي الفضل بن سهل (صاحب الرئاستين).

٣ لم يكد المأمون يبدأ رحلة العودة إلى بغداد، حتى تم تصفية وزيره؛ الفضل بن سهل - كما تزعم بعض الروايات - في شهر شعبان سنة ٢٠٢ هـ ، ثم استـأنف رحلة العودة إلى بغداد ؛ لكن هذه المرة توفي علي الرضـا فجأة في أوائل سـنة ٢٠٣ هـ ، فدفنه المأمون فيها بجوار قبر والده الرشيد، ومنذ ذلك اليوم أطلق أتباعه على طوس (مشهد). وكانت وفاة هذين الرجلين من الأسباب التي قلبت الأمر رأساً على عقب على المأمون .



أولاً : الحركات الطالبية

١ حركة أبي السرايا الشيباني الذي قام بأمر محمد بن إبراهيم بن إسماعيل (ابن طباطبا) في الكوفة.

٢ حركة محمد (الديباج) ابن جعفر الصادق سنة ٢٠٠ هـ في الحجاز، وبويع له في مكة بإمرة المؤمنين.

ثانياً : الحركات غير العلوية

١ حركة نصر بن شبث العقيلي في حلب.

٢ حركة الزط في جنوبي العراق (أرض البطائح).

٣ الاضطرابات في مصر.

٤ حركة بابك الخرمي.

ثالثاً : العلاقة مع البيزنطيين

١ ازدياد السجال بين المسلمين والبيزنطيين سنة ٢١٥ هـ ولاسيما بعد تحالف الخرمية مع البيزنطيين.



١- أبو السرايا: السري بن منصور الشيباني يدعو بأمر محمد بن إبراهيم (ابن طباطبا) في الكوفة ، حيث تعد حركته حلقة في سلسلة حركات الشيعة الزيدية.

٢- أبو السرايا بدأ ببسط نفوذه على البصرة والحجاز واليمن، وأوقع الهزيمة بالجيوش العباسية التي أرسلها الحسن بن سهل للتصدي لدعوته .

٣- أبو السرايا يغدر بصاحبه (ابن طباطبا) بالسم ويتخلص منه، ويولّي مكانه محمد بن محمد بن زيد العلوي (الغلام)، ويقوم بإرسال كسوة للكعبة المشرفة، ويسقط كسوة آل عباس، واستطاع خلال هذه المدة سك الدراهم النقدية.

٤- الحسن بن سهل يكلّف هرثمة بن أعين بالتوجه إلى الكوفة لإخماد حركة أبي السرايا، الذي لم يجد مفراً من الهروب من الكوفة إلى أرض **السوس** من بلاد الأهواز ، ثم إلى أرض الجزيرة لكن قبض عليه في **جلولاء**، وسيق إلى الحسن بن سهل في **النهروان** فضرب عنقه .



حركة نصر بن شبث بن كعب بن ربيعة العقيلي سنة ١٩٨ هـ

لم يرض **نصر بن شبث** عن سياسة المأمون باعتماده على الفرس فأبى مبايعته، وعلاوة على ذلك خرج عليه وثار في كيسوم وتغلب على ما جاورها من البلاد، وملك سُمَيْساط، واجتمع حوله كثير من الأتباع. فازدادت ثقته بنفسه وكبر طموحه وعبر الفرات إلى الجانب الشرقي سنة ١٩٨هـ. وقوي أمره في الجزيرة الفراتية، وحرّان، ودخل في خلاف مع العباسيين وقتل بعض رجالاتهم، واتصل به بعض أشياع الطالبيين وفاوضوه أن يبايع آل أبي طالب فرفض، وعندما عرضوا عليه البيعة لأحد الأمويين رفض ذلك، وقال: « إن بني أمية أدبر أمرهم وإنما هواي في بني العباس وما حاربتهم إلاّ محاماة عن العرب لأنهم يقدّمون العجم عليهم ». واستمر على موقفه المناوئ للخليفة المأمون. ومن الطبيعي ألا يرضى المأمون بذلك وألا يدع نصراً وشأنه واختار لمحاربته **عبد الله بن طاهر** الذي توجه إلى الرقة سنة ٢٠٦هـ، وطال أمدّ الحرب بينهما ولكن النتيجة لم تكن لمصلحة نصر فقد استظهر عليه عبد الله وحصره في حصن له وضيق عليه حتى اضطر إلى طلب الأمان، وهكذا أخفقت محاولة التفاوض بين المأمون ونصر بن شبث. فاشتد عبد الله في حربه وطال حصاره في كيسوم وضيق عليه الخناق حتى استسلم آخر الأمر، وطلب الأمان فكتب له المأمون كتاب أمان. فسيّره عبد الله إلى بغداد وهدم كيسوم وخربّها ودخل نصر بغداد سنة ٢١٠هـ.

كَيسُومُ: بالسين مهملة وهو الكثيرِ من الحشيش يقال روضةٌ أكسُوم ويكْسومْ وكيسوم فيعول منه وهي. قرية مستطيلة من أعمال سُمَيساط ولها عرض صالح وفيها سوق ودكاكين وافرة وفيها حصن كبير على تلعة كانت لنصر بن شَبث تحصَن فيه من المأمون حتى ظفر به عبد الله بن طاهر فأخرجه ثم أحدَثَ بعدُ فيها مياهاً وبساتين... .

الحموي، معجم البلدان،ج ٤، ص ٤٩٧.

حـركة الـزط

لـما قامت الدولة العباسـية عمل خلفاؤهـا جاهدين على الحفاظ على بلاد السـند الإسـلامية وسـعوا على توسـيع رقعتها، ففي عهد الخليفـة الأول أبـي العباس عهـد بأمر هذه الأقاليم إلى أبي مسـلم الخراسـاني الـذي بدوره أرسـل عـدداً من الـولاة إلى بلاد السـند لاسـتماله قلـوب النـاسـ هنـاك إلى دعوة بنـي العباسـ، كما جدد العباسيون بناء مدينة المنصورة وأقاموا بها مسجداً جديداً.

وعندمـا تولى أبو جعفر المنصـور الخلافة عني بأمر بلاد السـند وأرسل هشام بن عمرو التغلبي والياً عليها، فاتجهت همة هشام إلى توسيع رقعة إمارته، فجهز حملة بحرية على نارند والقندهار بقيادة عمرو بن جميل، كما ضـم إقليم الكجرات واستولى على بروج ميناء بحر العرب، كما أخضع الملتان وبلغت جنده كابل وكشمير.

أمـا عن الزط القاطنين فـي جنوبي العراق فقد تكاثر عددهم مع مرور الأيـام، وتزايدت قوتهم أثناء الفتنة بـين الأمين والمأمون مما شـجعهم علـى إثارة الفتن والقلاقـل رغبة في التخلص من الظلم والجور الذي لحق بهم ورغبة في تحسـين وضـعهم المعيشي السيء. ولذا اسـتغلوا وجود المأمون في مـرو في بداية خلافته وتمردوا على السلطة وجسدوا تمردهم بإثارة الاضطرابات وعدم الاستقرار حتى تغلبوا على طريق البصـرة، وبدأوا يغيرون على السـفن القادمة إلى بغـداد وينهبون غلاتها ويسـيطرون على الطريق المائـي المؤدي إلى بغداد فانقطع بذلك عنها جميع ماكان يحمل إليها من البصـرة في السفن.

ولما اسـتقر المأمون ببغداد سـنة ٢٠٤هـ / ٨١٩ م شـعر بخطرهم ورأى ضـرورة التخلص منهم، فأوكل هذه المهمة إلى عيسى بن يزيد الجلودي سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠ م .

أصـل الـزط

يفيـد لامبريـك اسـتناداً علـى المصـادر السنسـكريتية بأن **سكان السند** الأصـليين كانـوا يتألفون من **الزط والميد**، وأن الزط كانوا يعملون في البحر على السفن الصغيرة، بينمـا الميد كانـوا يشـتغلون بالرعـي، ولكنه يعتقـد بـأن هنـاك خطأ قد حصـل مـن قبل المترجمين والنسـاخ في اسـتخدام الاسـمين بحيث وضـع أحدهمـا مكان الآخـر، والدليل على ذلك أن ميد مكـرات لايزالون في الوقت الحاضـر يعملـون ويسـتخدمون البحـر فـي الأسـفار بينما نسـل الـزط يعملـون كرعاة، ويقول الجغرافـي أبو الفـداء: " أما البلوص المذكـورون فيقال لهم فـي زماننا الجت وهم طائفة تقترب لغتهم من الهندية " ويعني ذلك أن سـكان لوجستان يسـمون بالزط أيضاً وأن لغتهم قريبة من اللغة الهندية.

وهكـذا وجـدت آراء وروايـات مختلفـة لدى المؤرخين والجغرافيـين العرب وغيرهم تتعلق بمسـاكن الـزط والميـد وأعمـال كل منهمـا وطريقة معيشـتهما، ولذلك يمكـن أن نذهب إلى ماذهـب إليه الدكتـور عبدالله الطرازي، من أن قوم الـزط وقوم الميد كانوا فرقاً كثيرة تحمل أسـماء قبائل عديدة، وكانوا يسـكنون مناطق مختلفة في بلاد السند وكان أفراد كل من القومين يشـتغلون بالسـفن والقرصنة في البحر وكذلك بالرعي أو قطع الطريق في البر تبعـاً للبيئة والظروف المحيطة بهم، ويضـيف أن كلاً مـن القومـين كانـا خطراً علـى الأمن والدولة وكانـت الحكومات السـندية القديمة والحكومات العربية كثيراً ماتفشل في إخضاع هؤلاء الأقوام وتوجيههم نحو الحياة الكريمة.



يذكر د. عبدالله الطرازي:

أن **قوم الزط** وقوم **الميد** كانوا فرقاً كثيرة تحمل أسماء قبائل عديدة ، وكانوا يسكنون مناطق مختلفة في بلاد السند .

حركة الزط: لما استقر المأمون ببغداد سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩ م شعر بخطرهم في منطقة البطائح في جنوبي العراق، ورأى ضرورة التخلص منهم ، فأوكل هذه المهمة إلى عيسى بن يزيد الجلودي سنة٢٠٥هـ/ ٨٢٠ م .(٧٩) غير أنه أخفق في القضاء عليهم ، فولى المأمون داود بن ماسجور سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١ م ولاية البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين وعهد إليه **بمحاربة الزط** وحينما فشل هو الآخر في القضاء على انتفاضاتهم المتلاحقة لعدم تمكنه من التوغل وسط الأهوار والمستنقعات والآجام والأماكن التي يعتصم بها الزط . وقد أدى عدم تمكن قواد المأمون من السيطرة على فتنة الزط ان سخر منه نصر بن شبث العقيلي الذي امتنع عن بيعة المأمون وتغلب على كيسوم في شمالي حلب وما جاورها ومنع إرسال خراج منطقته إلى بغداد فولى المأمون عبدالله بن طاهر لمحاربته ، وأقام عبدالله على محاربته خمس سنين وضيق عليه حتى طلب الأمان . وقد قبل نصر أمان المأمون بشرط ألا يطأ بساطه ، وقد رفض المأمون ذلك وكتب إليه يهدده بالقضاء عليه وعلى أتباعه وحين سمع نصر ذلك علق عليه ساخراً " ويلي عليه وهو لم يقو على أربع مائة ضفدع تحت جناحه . يعني الزط . يقوى على حلبة العرب " ويدلنا تعليق نصر شبث الطريف هذا على أن **انتفاضة الزط في عهد المأمون** رغم قلة عددها . كانت قوية، حتى عجز قواده عن الانتصار عليهم ، كما يدل تشبه الزط بالضفادع على أنهم كانوا يسكنون منطقة المستنقعات المائية في منطقة **البطيحة** جنوبي العراق.

مواطن الزط في العراق الجنوبي

البطيحة : ، بالفتح ، ثم الكسر ، وجمعها البطائح ، والبطحاء واحد ، وهو مسيل فيه دقاق للحصى ، وقيل بطحاء الوادي ، تراب لين ، مما جزته السيول ، وتبطح السيل ، إذا اتسع في الأرض ، وبهذا سميت بطائح واسط ، وذلك لأن المياه تبطحت فيها وسالت واتسعت في الأرض .لسان العرب لابن منظور.

والبطائح: هي المنطقة الواقعة جنوبي العراق حيث الأهوار والمستنقعات التي تغذيها مياه نهري دجلة والفرات وتوابعهما ، وتقع تقريبًا بين واسط شمالاً والبصرة جنوبًا ، ولذلك تسمى أحيانًا ببطائح واسط ، أو بطائح البصرة نسبة إلى هاتين المدينتين المتجاورتين . وتبتدئ من القطر على دجلة ومن جنوب شرق الكوفة وتغمر المجرى السفلي لكل من دجلة والفرات .



سدة الكوت عاصمة محافظة واسط بجمهورية العراق



١ أحداث سنة ٢٠٦ هـ

اشترك جند مصر في خلافات الأمين والمأمون كل فريق في جانب، وبعد أن انتهى الخلاف بفوز المأمون، ظل الخلاف قائماً بين **جند مصر**، بزعامة السري بن الحكم وأصبح موضع الخلاف التنافس على خيرات مصر، فكان الجند يجمعون الخراج لا ليرسل للخليفة، بل ليحتفظوا به لأنفسهم.

وقد قامت جيوش المأمون كثيراً بمحاربتهم مع أهل مصر الذين شاركوا في هذه الثورات، ولكن هذه الثورات ما لبثت أن أشعلت من جديد حتى أرسل إليهم جيشاً ضخماً، فاستطاع القضاء على الثورة نهائياً، كما تمكن قائده "طاهر بن الحسين" من القضاء على ثورات العرب أنصار الأمين.

٢

ثارت القبائل العربية سنة ٢١٤ هـ في مصر السفلى بسبب سياسة الولاة العباسيين التعسفية وقتلوا نائب الوالي، فتصدى المأمون لذلك فأرسل أخاه المعتصم، ثم أعقبه بقائده التركي الأفشين الذي قضى عليها نهائياً سنة ٢١٥ هـ.

الاضطرابات في مصر أيام الخليفة المأمون



حركة بابك الخرمي

بابَك Babak اسم معرّب من الفارسية Pápak، وهو صاحب الثورة الكبيرة (٢٠١-٢٢٢هـ) وزعيم الخُرَّمية البابكية التي نشأت من طائفة الخُرّمية المزدكية. والخرمية فرق ونحل نشأت في خرّم (ناحية بأردبيل) تجمع على القول بالرجعة، وأن الرسل كلهم يحصلون على روح واحدة، وأن الوحي لا ينقطع أبداً، ويرون أن كل ذي دين مصيب إذا كان راجي ثواب وخاشي عقاب، وأصل معتقدهم القول بالنور والظلمة. وكان أتباع الخرّمية منتشرين في منطقة الجبال بين أذربيجان وأرمينية، وقد أحدث بابَك في مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والتنكيل .

يرى بعض المؤرخين أن بابَك الخُرّمي من سلالة أبي مسلم الخراساني، وأنه ثار في وجه العباسيين لينتقم لأبي مُسلم، وأن ثورته استمرار لثورة المقنّع الخراساني والراوندية وغيرها من الحركات المناهضة للإسلام. ويذهب أبو حنيفة الدينوري إلى أن بابك من ولد مطهّر بن فاطمة بنت أبي مسلم التي تنسب إليها الفاطمية من الخُرَّمية لا إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ. ويذكر آخرون أن أباه كان بائع دهن فقيراً من أهل المدائن، نزح إلى ثغر أذربيجان، فسكن قرية تدعى بلال أباذ من رستاق ميمَذ، وأن جاويذان بن سهل الذي كان من زعماء الخُرّمية بجبال البَذّ كان أستاذ بابك، التقاه في بلال أباذ واصطحبه إلى جبال البذ وأوكل إليه أمر ضياعه وأمواله لأنه وجده على رداءَة حاله وتعقد لسانه بالأعجمية فهماً خبيثاً. فلما توفي جاويذان، أقامت امرأته بابَك مكانه وادعت أن روح جاويذان حلّت جسد بابك، وأوعزت إلى رجال جاويذان بوجوب طاعته، لأن زوجها أخبرها بأن بابك «سيبلغ بنفسه وبالخُرّمية أمراً لم يبلغه أحد ولن يبلغه بعده أحد، وأنه سيملك الأرض ويقتل الجبابرة ويردّ المزدكية، ويعزّ به ذليلهم ويرفع به وضيعهم».

استغل بابَك اضطراب أمور الدولة إثر الصراع بين الأخوين الأمين والمأمون ومقتل الأمين ومكْث المأمون في مرو ليعلن ثورته سنة ٢٠١هـ/٨١٦م، **وكانت قاعدة الثوار البابكيين جبال البَذ**، ثم أخذوا يتوسعون في المناطق المجاورة ولاسيما منطقة الجبال بين همذان وأصفهان، وانتشروا بعد ذلك في طَبَرِستان وجُرجان وبلاد الديلم، يعيثون فساداً، ويثيرون الاضطراب، يساعدهم على ذلك انصراف المأمون إلى الشؤون الخارجية وانهماك قواته في حرب البيزنطيين فضلاً عن طبيعة البلاد الجبلية الحصينة التي اعتصم بها بابك وجماعته، مما جعل أمر القضاء عليه صعباً جداً؛ وتوفي المأمون سنة ٢١٨ هـ من دون أن يتمكن من القضاء على هذه الثورة، فلما جاء المعتصم لم يبخل بتسخير كل قوته لقتال بابك والقضاء على حركته[١].


من رساتيق أردبيل الأذرية في إيران

١ - أ .نجدة خماش، الموسوعة العربية ، وموسوعة المعرفة على الشبكة العنكبوتية.

موجز أحداث حـركة بابك الخـرمي في عصـر الخليفة المأمـون

سنة ٢٠١ هـ

بداية أمر بابك واتبعه طوائف من الرعاع والسذج والجويذانية (وهم أصحاب جاويذان بن سهل صاحب مدينة البذ) وادعى بابك أن روح جاويذان دخلت فيه وأخذ في العبث والفساد .

سنة ٢٠٤ هـ

حارب قائد المسلمين يحيى بن معاذ، بابك الخرمي فلم يظفر به .

سنة ٢٠٥ هـ

ولّى المأمون على أذربيجان وأرمينية عيسى بن محمد بن أبي خالد، وأمره بقتال بابك.

سنة ٢٠٦ هـ

غلب بابك عيسى بن محمد بن أبي خالد وبيته ليلاً .

سنة ٢٠٩ هـ

وفيها جرت حروب مع بابك الخرمي فأسـر بابك بعض أمراء الاسـلام وأحد مقدمي العسـاكر، فاشـتد ذلك على المسلمين.

سنة ٢١٢ هـ

وجـه المأمون محمد بن حميد الطوسـي على طريق الموصـل لمحاربة بابك الخرمي فـي أرض أذربيجان، فأخذ الطوسي جماعة من الملتفين على بابك فبعث بهم إلى المأمون .

سنة ٢١٤ هـ

التقى محمد بن حميد الطوسـي وبابك الخرمي لعنه الله، فقتل الخرمي خلقا كثيرا من المسـلمين ، وقتل الطوسي أيضا وانهزم بقية المسلمين .

وولى المأمون أصبهان وآذربيجان والجبال وحرب بابك علي بن هشام، فواقع بابك غير مرة.

سنة ٢١٧ هـ

قتل علي بن هشام في قتال الخرمية .

سنة ٢١٨ هـ

وفاة الحليفة العباسي المأمون وتولي زمام الخلافة المعتصم بالله .



لم يغفل المأمون عن قتال الروم، بل غزاهم أكثر من مرة، وخرج بنفسه على رأس الجيوش الإسلامية لغزوها سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م، فافتتح حصن "قرة" وفتح حصوناً أخرى من بلادهم، ثم رحل عنها، وعاود غزو الروم في السنة الثالثة سنة ٢١٦هـ، ففتح "هرقلة" ثم وجّه قواده فافتتحوا مدناً كبيرة وحصوناً، وأدخلوا الرعب في قلوب الرومان، ثم عاد إلى دمشق، ولما غدر الروم ببعض البلاد الإسلامية غزاهم المأمون للمرة الثالثة وللعام الثالث على التوالي سنة ٢١٧هـ، فاضطر الروم تحت وطأة الهزيمة إلى طلب الصلح.

الجبهة البيزنطية في عهد الخليفة العباسي المأمون

كادت الحرب أن تضع أوزارها بين المسلمين والبيزنطيين في عهد المأمون، فقد انهمك الخليفة في فض النزاع الذي قام بينه وبين أخيه الأمين مما أتاح لبيزنطة المنهكة فرصة لالتقاط أنفاسها.

لذلك شهدت الجبهة الإسلامية - البيزنطية (**منطقة الثغور**) ركوداً يكاد يكون تاماً باستثناء حالات قليلة . استمر هذا الوضع شبه المستقر حتى عام ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م، حين تجدد النشاط العسكري، نسبياً في عهد الإمبراطور ميخائيل الثاني. وقد استغل المأمون وميخائيل هذه الفتن والثورات التي قامت في وجه كل منهما لدعم موقفه. فعقد الأول اتفاقاً مع توماس الصقلبي الذي قاد ثورة مسلحة ضد النظام البيزنطي، في حين أجرى الثاني مفاوضات مع **الخرمية** الذين ثاروا في وجه المأمون .

والواقع أن الحملات الإسلامية النشطة على الأراضي البيزنطية ابتدأت في عام ٢١٥ هـ وجاءت رداً على الغارة التي نفذها الإمبراطور ثيوفيل ضد **زبطرة** بمساندة من القوات الخرمية. وقاد المأمون وابنه العباس **عدة حملات عسكرية** وتمكنا من فتح عدة حصون في منطقة كبادوكيا واستردا هرقلة ولؤلؤة .

فتح صقلية على يد القاضي أسد بن الفرات سنة ٢١٢ هـ

لقد رأى أسد بن الفرات النظر في حلال الله وحرامه فوق الإمارة، وأسمى منها، وأعلى منها مرتبة، فقال زيادة الله: "إني لم أعزلك عن القضاء، بل وليتك الإمارة، وأبقيت لك اسم القضاء، فأنت قاض أمير".

قبل ابن الفرات هذه الولاية، وعند الوداع في الميناء وقف المشيعون من العلماء وطلاب العلم والوجهاء ورجال الدولة وعامة الناس، يودعون قاضيهم وشيخهم ومعلمهم فكان مشهداً مؤثراً، وهو شيخ كبير قد جاوز السبعين من عمره، وانطلق ابن الفرات بتسع مئة فارس وعشرة آلاف راجل، وكان معظمهم من الجند المجاهدين في سبيل الله[١].

جزيرة صقلية جزيرة كبيرة واسعة فيها العديد من المدن والقرى والقلاع والحصون، وصلت الحملة بعد مسير خمسة أيام في البحر إلى جزيرة صقلية، ونزلوا في أقرب مدينة بها تسمى "مازارا" كان ذلك عام ٢١٢هـ.

انهزم البيزنطيون أمام أسد بن الفرات ممن كانوا في هذه المدينة وهربوا إلى مدينة أخرى تسمى "قصريانة"، وفتح المسلمون عدة حصون من الجزيرة ووصلوا إلى أحد القلاع، وقد اجتمع بها خلق كثير، فخادعوا ابن الفرات على الصلح وأداء الجزية، حتى استعدوا للحصار، ثم امتنعوا عليه فحاصرهم، عندها قام أسد بن الفرات في الناس خطيباً فذكرهم بالجنة وموعود الله -عز وجل- لهم بالنصر والغلبة وهو يحمل اللواء في يده ثم أخذ يتلو آيات من القرآن ثم اندفع للقتال والتحم مع الجيش الصقلي الجرار، واندفع المسلمون من ورائه ودارت معركة طاحنة لا يسمع منها سوى صوت قعقعة السيوف وصهيل الخيول والتكبير الذي يخترق عنان السماء، والأسد العجوز أسد بن الفرات الذي جاوز السبعين يقاتل قتال الأبطال الشجعان حتى إن الدماء كانت تجري على درعه ورمحه من شدة القتال وكثرة من قتلهم بنفسه وهو يقرأ القرآن ويحمس الناس[٢].

أسد بن الفرات (١٤٢-٢١٣هـ/ ٧٥٩-٨٢٨م)

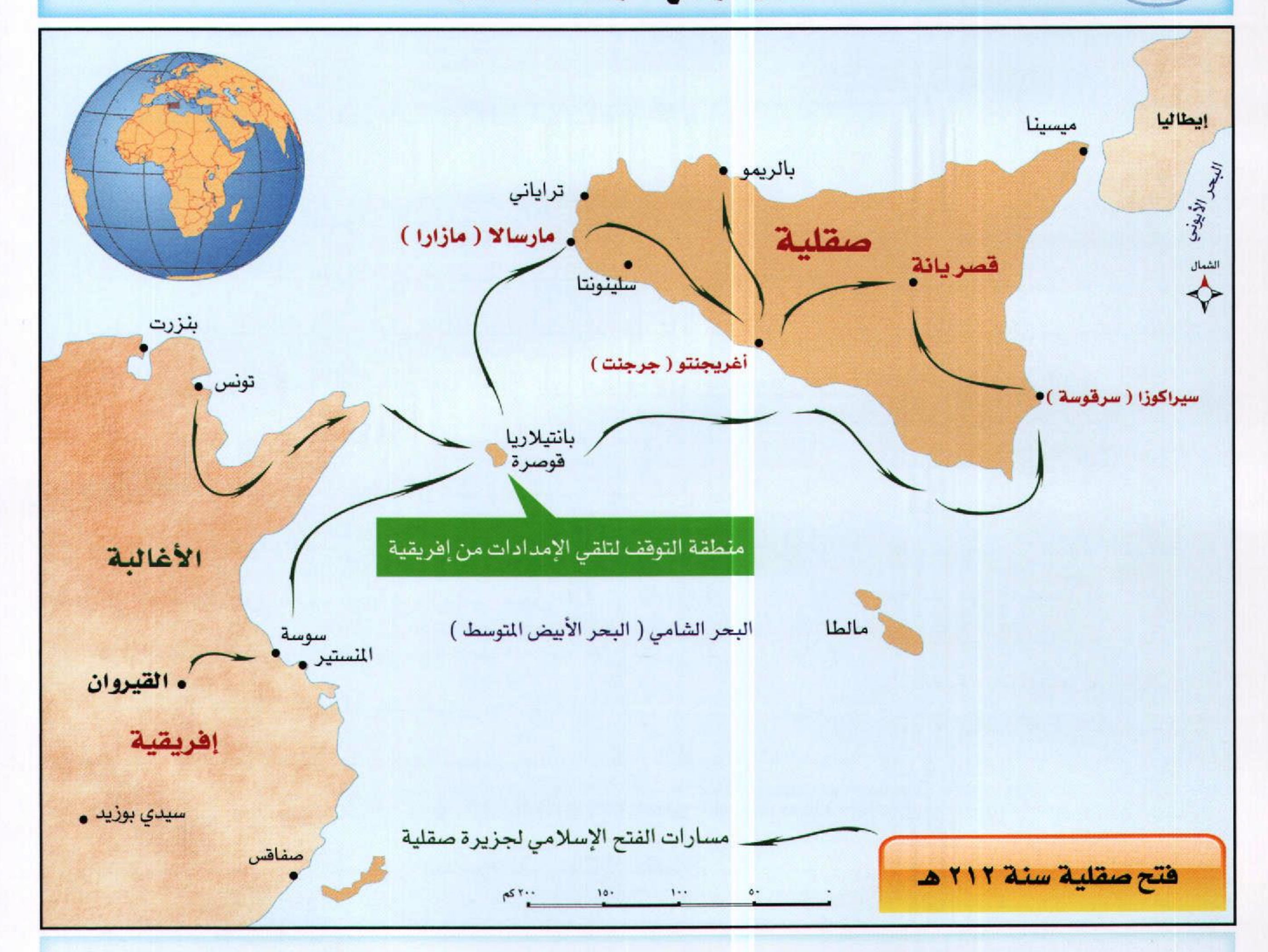
هو أبو عبد الله، أسد بن الفرات بن سِنان من موالي بني سُليم، فقيه قاض مصنّف وأحد القادة الفاتحين. ولد بحرّان، وكان أبوه خراسانياً من أفراد الجيش الذي أرسله الخليفة العباسي المنصور إلى إفريقية (تونس اليوم) بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي، فاصطحب الأب ابنه وعمره سنتان إلى القيروان فنشأ فيها ثم رحل إلى تونس وفيها قرأ القرآن وتلقى مبادئ العلوم واستكمل دراسته على يد زياد العبسي. اتخذ ابن الفرات فيما بعد من القيروان مقراً له بعد عودته، فأقبل عليه الناس من كل مكان، من المغرب والأندلس، واشتهر أمره، وظهر علمه، وارتفع قدره، وانتشرت إمامته، وجاءته الأسئلة من أقصى البلاد ليجيب عليها.

اتسعت دراسته في القيروان، فولّاه أمير الأغالبة في ذلك الوقت "زيادة الله" منصب القضاء، فأصبح هو القاضي في مدينة القيروان.

وكان أسد بن الفرات على عقيدة أهل السنة والجماعة، عقيدة السلف الصالح، لذلك كان من أشد علماء المغرب على أهل البدعة، معروفاً بنشر السنة.

---

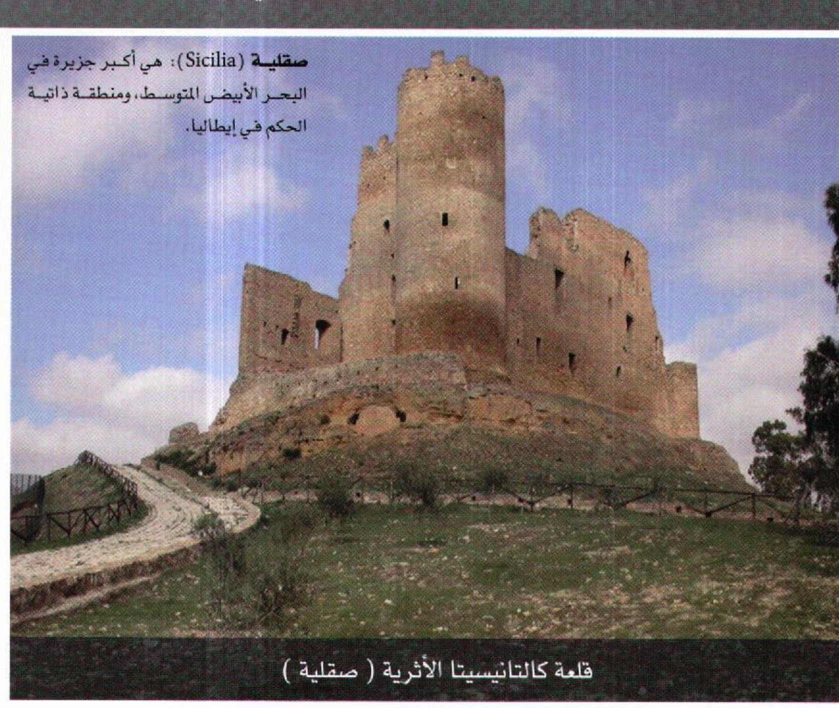
١ - ٢ ، أ. ناصر بن محمد الأحمد، فتح صقلية.



تزايدت عزائم المسلمين حتى هزموا الجيش الصقلي شر هزيمة، وفر بلاطه من أرض المعركة وانسحب إلى مدينة **قصريانة**، ثم غلبه الخوف من لقاء المسلمين ففر إلى إيطاليا وهناك قتل على يد بني دينه بسبب جبنه وإحجامه عن قتال المسلمين. وزحف البيزنطيون بعد ذلك إلى المسلمين وهم يحاصرون مدينة "سرقوسة"، واشتد حصار المسلمين لهذه المدينة براً وبحراً، وأصيب عدد كبير من المسلمين، وهلك عدد آخر، واشتد القتال عندما بعث الإمبراطور البيزنطي مدداً لصقلية، وجرح ابن الفرات وهو يبدي حسن التدبير، وصدق الإيمان، وقوة الإرادة، فمات -رحمه الله- متأثراً بجراحه، ودفن بمدينة "قصريانة".

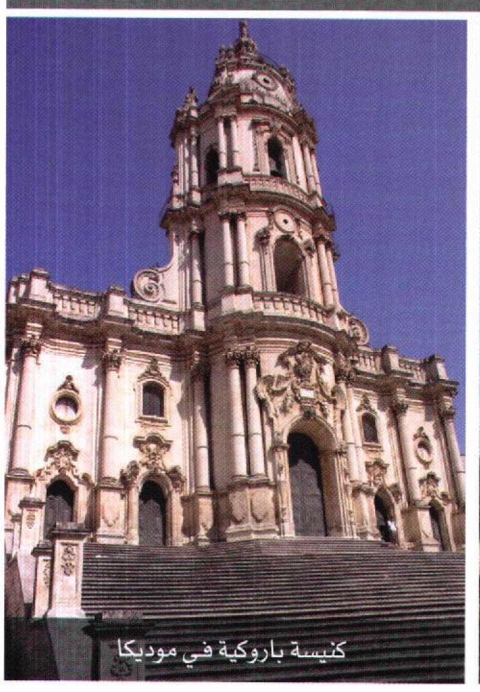
خلف ابن الفرات في القيادة محمد بن أبي الجواري، وجاء أسطول بيزنطي آخر، فتراجع المسلمون نحو الشمال، لكنهم فتحوا في طريقهم أحد الحصون، وحاصروا قصريانة مرة أخرى. وتوفي محمد بن أبي الجواري أيضاً، فتولى من بعده زهير بن عوف، وضاق الأمر بالمسلمين إلى أن وصل مدد إفريقية، وأسطول آخر من الأندلس من ثلاث مئة مركب بقيادة "الأصبغ"، فانتصر المسلمون، وتوفي الأصبغ أيضاً بطاعون انتشر في ذلك الوقت، غير أن الخلافات التي وقعت بين المسلمين الأندلسيين، والمسلمين الإفريقيين، قد أخرت إتمام فتح الجزيرة.

خارطة تاريخية لجزيرة صقلية في البحر الأبيض المتوسط تعود لبيري رئيس



صقليـة (Sicilia): هي أكبر جزيرة في البحـر الأبيض المتوسـط، ومنطقـة ذاتيـة الحكم في إيطاليا.

قلعة كالتانيسيتا الأثرية (صقلية)

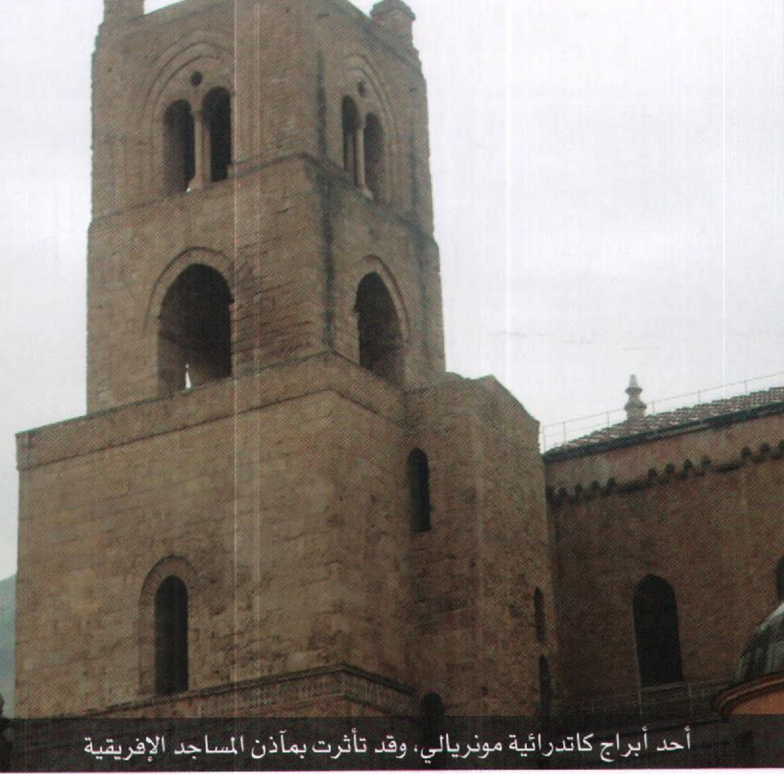


كنيسة باروكية في موديكا

مبنى (سان جيوفاني ديجلي إيريميتي)، وتظهر فيه القباب الحمراء كعناصر بارزة من تأثيرات العمارة الإسلامية



دينار أغلبي ضرب عام ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م في عهد إبراهيم بن الأغلب

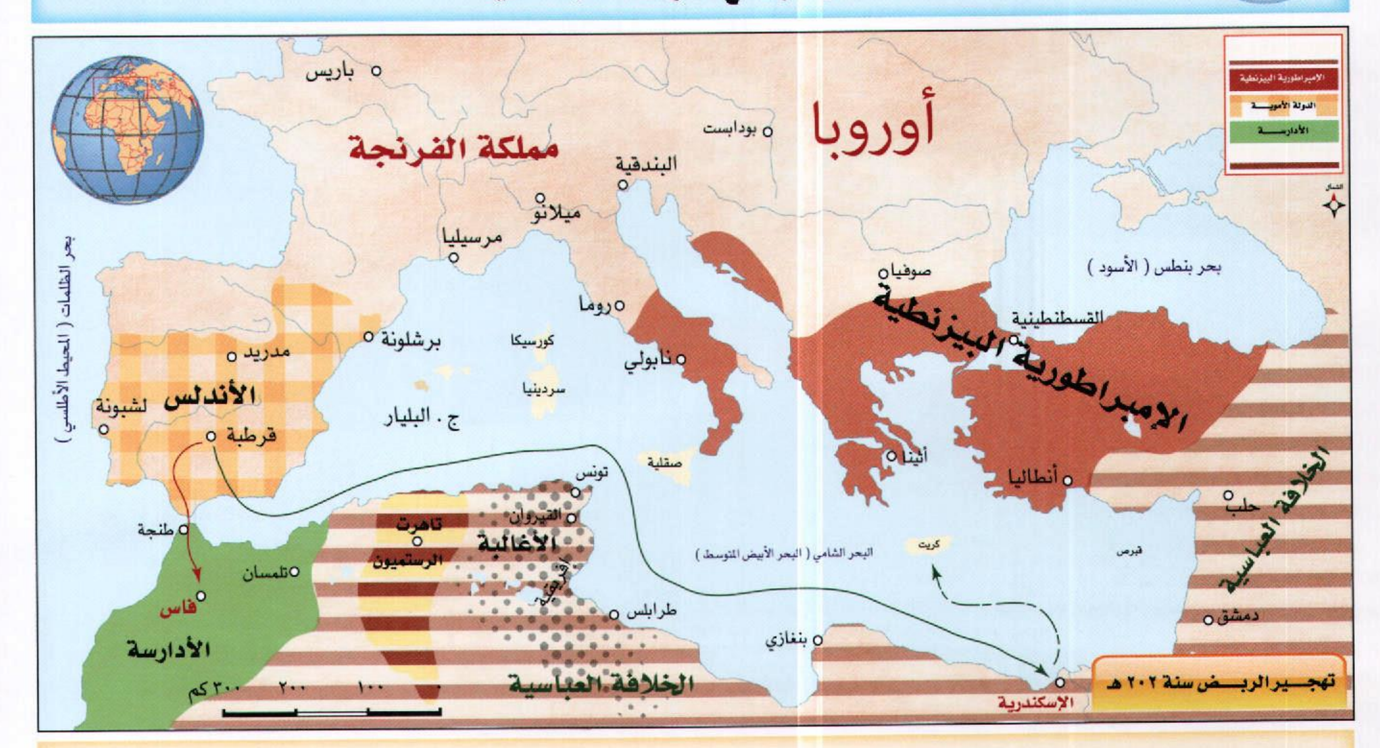


أحد أبراج كاتدرائية مونريالي، وقد تأثرت بمآذن المساجد الإفريقية



بنى **الأغالبة** مدينتين ملكيتين كانت أولاهما العباسية أو القصر القديم، وقد بناها إبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة، وبنى فيها قصره ومساكن حاشيته والمسجد الجامع، ودار سك النقود والدواوين، وأحاطها بالأسوار القوية، وجعل من خلفها خندقاً يحيط بها. وفي وسط المدينة ساحة واسعة عرفت بالميدان كانت تستخدم لعرض الفرسان، واتسعت العباسية، وأخذت تنافس القيروان بحماماتها الكثيرة وفنادقها وأسواقها.

أما المدينة الثانية فهي **رقّادة** التي بناها إبراهيم بن أحمد، وقد ابتدأ بها سنة ٢٦٣هـ/ ٩٧٧م وبنى فيها القصور، منها قصر بغداد، وقدر لهذه المدينة أن تنمو وتتسع باطراد، فأضاف إليها الأمراء من بعده قصوراً أخرى أشهرها قصر العروس الذي بناه زيادة الله الثالث بن عبد الله على أربع طبقات، وأنفق فيه ٢٣٢ ألف دينار. وبنى محمد بن أبي عقال الأغلب مدينة قرب تاهرت سماها العباسية. كما اهتم الأغالبة ببناء الصهاريج (خزانات المياه) التي عرفت باسم «ماجل» وكان يوجد خارج مدينة القيروان خمسة عشر ماجلاً للماء يستقي منها أهلها، لعل أعظمها شأناً ماجل أحمد بن الأغلب بباب تونس من أبواب القيروان. وهو مستدير متناهي الكبر، انظر ص (٩٨) من هذا الأطلس.



ثورة أهل الربض في الأندلس في عهد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، حيث كانوا يسكنون ضاحية من ضواحي قرطبة يفصلها عن المدينة واد شيد عليه هشام بن عبد الرحمن جسراً رابطاً المدينة بضواحيها الجنوبية. وكان سكان أهل الربض من الطبقة الشعبية واقعين تحت تأثير علماء الدين الذين ناصبوا العداء للحكم بن هشام؛ لما أبعدهم عنه وقلص نفوذهم فاستغلوا الحالة الاجتماعية لهؤلاء السكان وإحساسهم بالظلم والفقر فألبوهم على الأمير، فامتلأت كأسهم حنقاً على حكومتهم ولم تنقصهم سوى قطرة تفيض تلك الكأس، وكان أن وقع حادث بسيط اعتدى فيه جندي على حداد (صانع للسيوف) قتل فيه الإثنان وفاضت كأس الثورة، فخرج أهل الربض في جماعات كبيرة في أيديهم ما وصل إليها من سلاح واتجهوا صوب قصر الإمارة عبر الجسر وحاصروا قصر الحكم وحاولوا اقتحامه لقتل الأمير. ولم يكن الوقت يحتمل إلا سويعات ليُقضى على الحكم وذلك لبعد الجيش عنه، ولكنه بحنكته ودهائه تصدى للخطر الداهم بحيلة جبارة أخمدت الثورة وأشعلت النار بأعدائه:

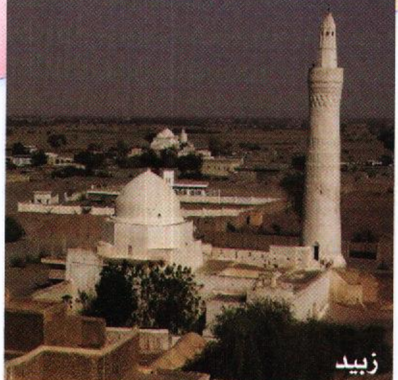
إذ أمر رئيس حراسه أن يستميت بما معه من جند في الدفاع عن القصر، وأرسل أحد أبناء عمومته وأمره أن يتسلل بسرعة في رهط من الرجال إلى مساكن أهل الربض ويشعل فيها النار، وتم له ذلك إذ استطاع ابن عمه أن يشعل مساكن الثوار الذين أسقط بعد ذلك في أيديهم لما رأو احتراق بيوتاتهم ففزعوا سراعاً تاركين قصر الحكم لإنقاذ صغارهم ونسائهم. وحاصرهم بعد ذلك جند الأمير الحكم الربضي **فأمرهم بعد هزيمتهم بالرحيل عن بلاد الأندلس** وأمهلهم ثلاثة أيام ثم أحرق جميع ديارهم وسواها بالأرض وجعلها حقولاً وأوصى بها ألا تسكن أبداً. وكانت الواقعة **حوالي سنة ٢٠٢ للهجرة** وارتبط اسم الربض بالأمير الحكم فصار كنية له (الحكم الربضي).

أما الربضيون فقد غادر جزء منهم جزيرة الأندلس عبر مضيق جبل طارق إلى بلاد المغرب العربي فاستقبلتهم دولة الأدارسة الناشئة حديثاً واستفادت منهم في مجال الصناعة والحرف باعتبار أن أغلبهم كانوا صناعاً وحرفيين مهرة فنقلوا إلى **فاس** مظاهر الحضارة الأندلسية.

وجزء آخر من أهل الربض ساروا شرقاً عبر البحر وهاجموا **الإسكندرية** فصدهم عنها والي العباسيين بمصر عبد الله بن طاهر بن الحسين بعد معارك كبيرة انتهت بتسليم أهل الربض، فأمرهم بعد ذلك بالارتحال عن كامل أراضي العباسيين وأعد لهم مراكب لإجلائهم فقصدوا جزيرة **كريت** وانتزعوها من يد البيزنطيين وأقاموا لهم فيها دولة إسلامية عرفت **بالدولة الكلبية**، وصارت هذه الدولة المجاهدة تتلقى المساعدات من مصر والشام وإفريقية بوقوفها سداً منيعاً في وجه البيزنطيين.

دولة بني زياد (٢٠٤ - ٤٣١هـ) (٨١٩ - ١٠٤٠م)

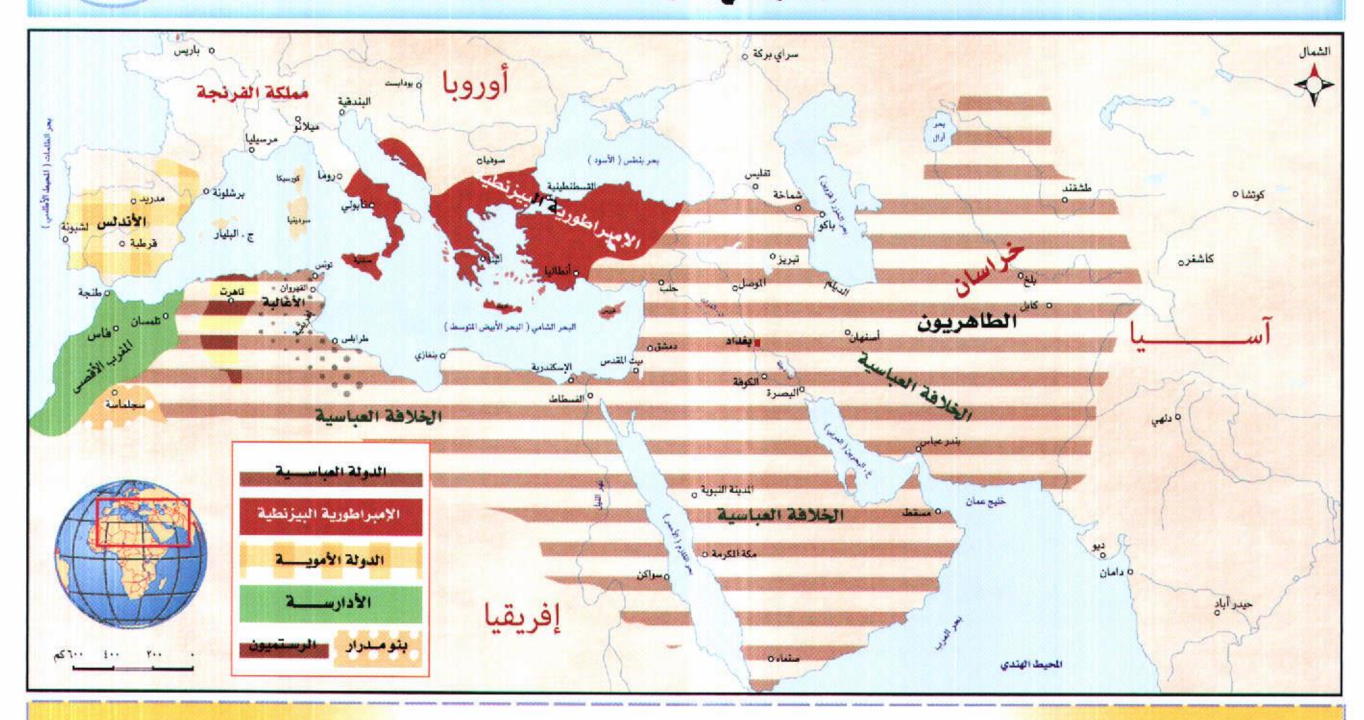
انتدب الخليفة العباسي؛ **المأمون** بن هارون الرشيد من عاصمة خلافته آنذاك (مرو) قبل استقراره ببغداد محمد بن عبد الله بن زياد وبرفقته حفيد سليمان بن هاشم بن عبد الملك وزيراً، ومحمد بن عبد الله بن هارون التغلبي قاضياً ومفتياً لزبيد سنة ٢٠٣هـ، فقدم زبيد بعد أن أدى فريضة الحج واختط **زبيد** عسكرياً سنة ٢٠٤هـ ومعنى الاختطاط إخضاع المنطقة عسكرياً بعد معارك حاسمة، وفي سنة ٢٠٥هـ بعد استقراره **اتخذ زبيد عاصمة**، وفي سنة ٢٠٦هـ قدم مولاه جعفر بن محمد بن شحار بجنود من الغزو الخراسانيين والقرشيين لإمداد ابن زياد ببسط نفوذه على اليمن فقيل (ابن زياد بجعفره) واستطاع أن يمد نفوذه إلى مناطق أخرى في اليمن. وقد استمر أحفاده في الحكم حتى عام ٤٣١هـ ١٠٤٠م فبنوا دولة السياسة والعلم.


زبيد

دينار زيادي ضرب زبيد



الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ/ ٨٢١-٨٧٣م): قامت هذه الدولة في خراسان، وقد أسسها **طاهر بن الحسين** أحد كبار قواد الجيش في عهد الخليفة **المأمون** وفي عصر المأمون، كان طاهر بن الحسين وابنه عبد الله من كبار رجال الدولة وخيرة قادتها في ذلك الوقت؛ الذى بدأ فيه الصراع بين الأمين والمأمون. ولقد وقف طاهر بن الحسين إلى جوار المأمون في كثير من المواقف الحرجة حتى تمكن من الخلافة. ولم يمرّ إلا عامان حتى أقدم "طاهر بن الحسين" على خطوة جريئة سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م. بقطع الدعاء في الخطبة للمأمون، وكان قطع الدعاء يعني الاستقلال عن الخلافة. وتوفي طاهر في العام نفسه، ثم تولى ابنه طلحة الحكم بعد أبيه بأمر من الخليفة المأمون، وظل الطاهريون يحكمون خراسان، ولكنهم يتبعون "الدولة العباسية" تبعية اسمية مما جعل الخلافة العباسية تلجأ إلى الطاهريين، تلتمس منهم المؤازرة والمساندة ضد الخارجين على سلطانهم.

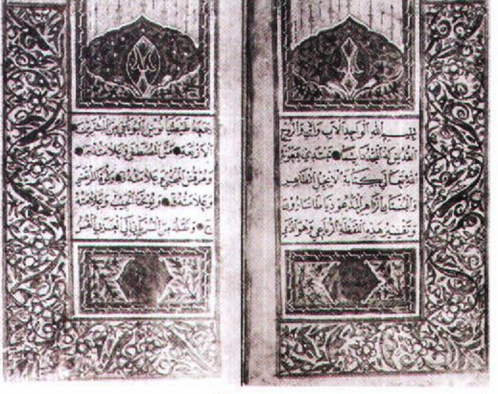


الدولة العباسية في عهد الخليفة المأمون





صفحتان مكتوبتان بالأبجدية السريانية الغربية، اكتشفت في دير القديسة كاترينا في سيناء وترقى للعصر العباسي قام بكتابتها السريان النصارى، وتبدأ بعبارة: "لخلون مطول دلبي مين آلوهو"، والتي تعني في العربية: من أجل جميع الشجعان في الله.



صورة للصفحتين الأوليتين من "المخطوط الفاتيكاني عدد ٢٥٠"، وهو ترجمة عربية من السريانية لإنجيل الدياسطرون، ويرقى المخطوط **للعصر العباسي**، ويتضح فيه تأثر النسخ العربي بطريقة عرض القرآن الكريم، وذلك من خلال وضع النساخ للقرآن الكريم لسورة الفاتحة مقابلة لأول آيات سورة البقرة كمنهج اعتمده المسلمون في نسخ القرآن الكريم عبر الطريقة التوقيفية.

لمزيد من الاطلاع على حركة الترجمة في عهد المأمون انظر الباب السادس من هذا الأطلس

محمد المعتصم

٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤١ م

هو **أبو إسماعيل** محمد المعتصم بن هارون الرشيد، بن محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو الخليفة العباسي الثامن، وأمه أم ولد من مولدات الكوفة، اسمها ماردة، وهي تركية وكانت أحظى النساء عند الرشيد. ولد سنة ثمانين ومائة كذا قال الذهبي، وقال الصولي: في شعبان سنة ثمان وسبعين ومئة.

وحينما مرض الخليفة المأمون في طرسوس، ولم يكن قد عقد لأحد بعده بولاية العهد، فاستدعى أخاه المعتصم وعهد إليه بالخلافة من بعده، دون ابنه العباس الذي كان موجودا معه في طرسوس للقيام بغزو الدولة البيزنطية، ورد هجماتها، لكن مرضه حال دون إتمام ذلك.

ولعل الذي جعل المأمون يؤثر أخاه بالحكم دون ابنه أن الخلافة العباسية كانت تتهددها الأخطار من الداخل والخارج في ثورة بابك الخرمي في فارس، وهجمات البيزنطيين، وكان المعتصم بطلاً شجاعاً متمرساً بالحرب خبيراً بشئونها، فآثر المأمون المصلحة العليا للخلافة بتولية من يصلح لهذه الحقبة، وتمت البيعة بعد وفاته في (١٩ من رجب ٢١٨هـ= ١٠ من أغسطس ٨٣٣م).

وكان المعتصم يتميز بقوته الجسدية وشدته في الحرب، حتى قيل عنه: إنه كان يصارع الأسود، ويحمل ألف رطل، ويمشي بها خطوات، غير أنه لم يكن معنيًا بالعلوم والآداب كأخويه الأمين والمأمون.

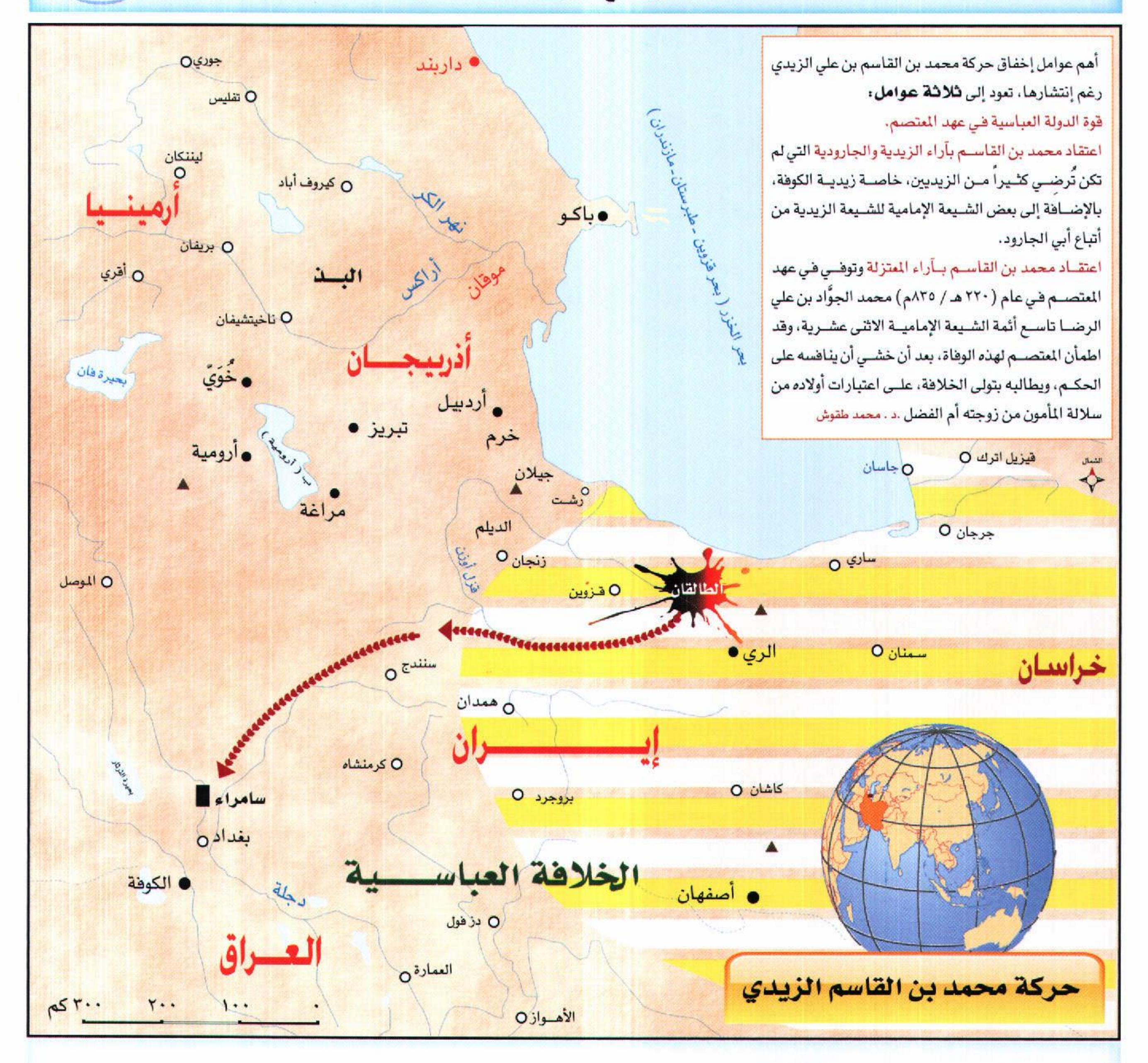
وبالغ بعض المؤرخين فذكر أنه كان أمياً لا يكتب، أو أنه كان ضعيف الكتابة على قول ابن خلّكان، وابن كثير، لكن ذلك لم يكن له أدنى تأثير في الحركة الفكرية والعلمية التي عمّت الخلافة، فقد كانت البلاد مدفوعة بطاقة عارمة نحو الرقي والتقدم.

وفي عهده تم تصفية الحركات الكبرى التي قامت في عهد المأمون مثل: حركة الزط والخرمية، وبنى مدينة سامراء وفتح عموريه سنة ٢٢٣ هـ.

من مآثر المعتصم: قال نفطويه والصولي: للمعتصم مناقب وكان يقال له المثمن لأنه ثامن الخلفاء من بني العباس، والثامن من ولد العباس، وثامن أولاد الرشيد وملك سنة ثمان عشرة، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، ومولده سنة ثمان وسبعين وعاش ثمانياً وأربعين سنة، وطالعه العقرب وهو ثامن برج، وفتح ثمانية فتوح، وقتل ثمانية أعداء، وخلف ثمانية أولاد ومن الإناث كذلك، ومات لثمان بقين من ربيع الأول.

وكان المعتصم كريم الخلق، متواضعاً، يحكي عنه أنه خرج مع أصحابه في يوم ممطر، وتفرق عنه أصحابه، فبينما هو يسير إذ رأى شيخاً معه حمار عليه حمل شوك، وقد وقع الحمار وسقط الحمل، والشيخ قائم ينتظر من يمر به فيساعده، فنزل المعتصم عن دابته، وخلص الحمار عن الوحل، ورفع عليه حمله وانتظر أصحابه حتى جاءوا، وأمرهم أن يسيروا مع الشيخ ليعينوه.

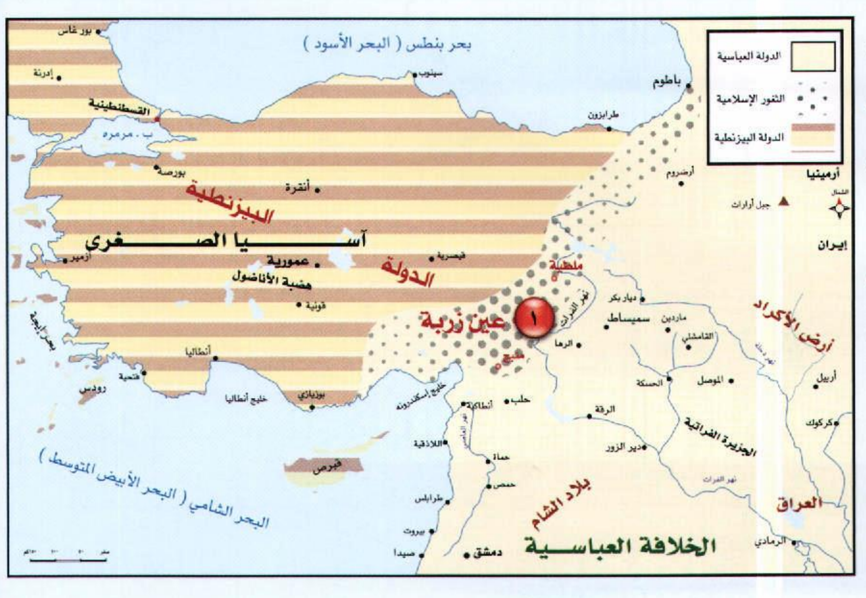
كما كان المعتصم سخياً، فلقد روى أحمد بن أبي داود: تصدق المعتصم على يدي، ووهب ما قيمته ألف ألف درهم، وفي عهده كثر العمران، وبنيت القصور وارتفع البنيان، وقد مرض المعتصم فأخذ يقول: ذهبت الحيلة، فليس حيلة، ولقي ربه في سنة ٢٢٧هـ بعد حياة حافلة بالأعمال النافعة للمسلمين.



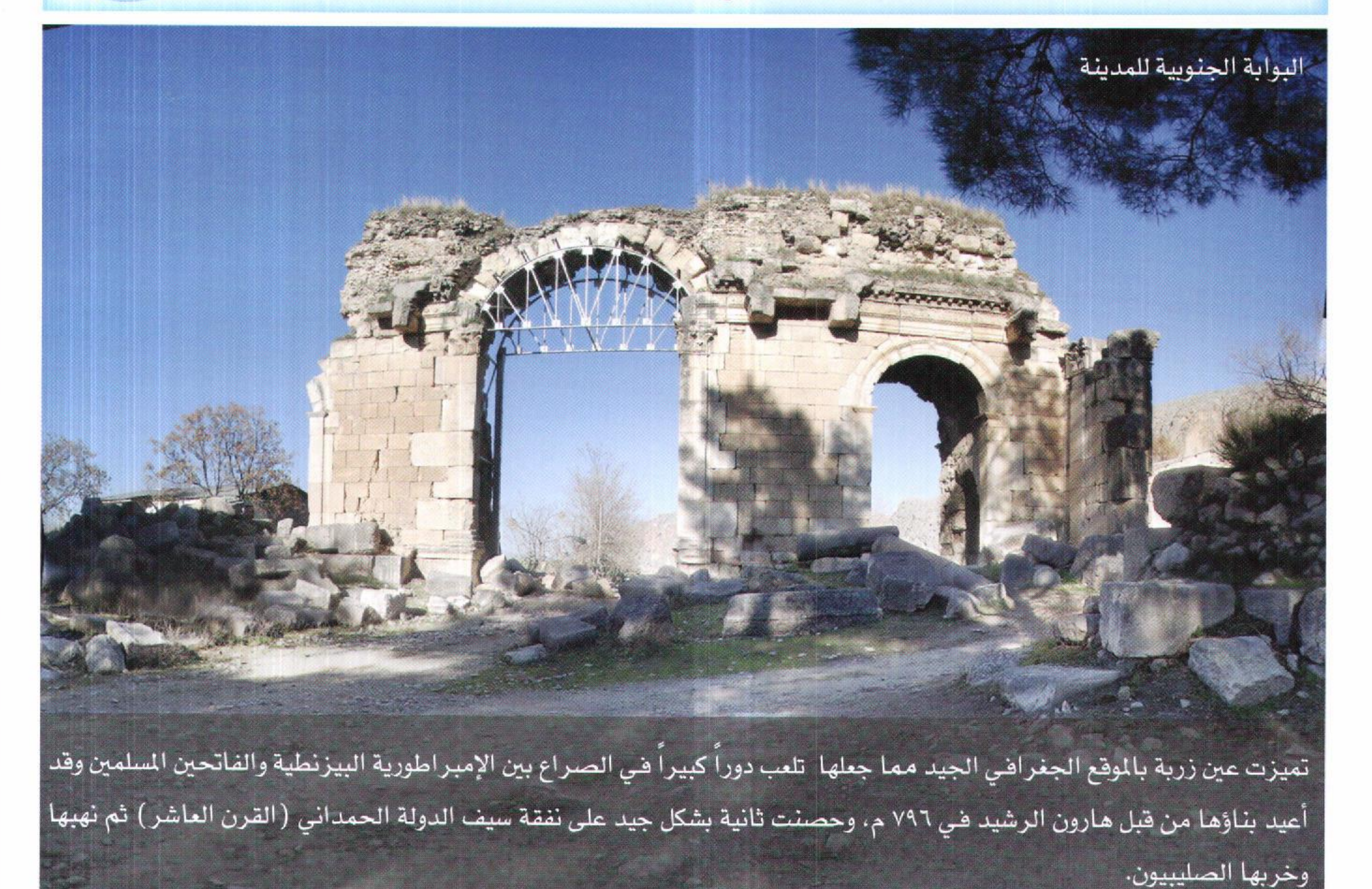
خرج من **الطالبيين** في عهد الخليفة المعتصم، محمد بن القاسم بن علي الزيدي في عام (٢١٩ هـ / ٨٣٤ م) بالطالقان، فالتف حوله كثير من سكان كور خراسان. ولكن حركته لم تكن منظمة، ولم تشكل خطراً جدياً على حكم المعتصم، الذي أمر قائده **عبد الله بن طاهر**، أمير خراسان، بالتصدي له، وتمكن هذا القائد من هزيمته، **وقبض عليه، وأرسله إلى سامراء حيث سجن فيها**، إلا أنه فَرّ من سجنه بمساعدة رجال من شيعته، وتوارى أيام المعتصم والواثق ثم أُخِذَ في أيام المتوكل، فسُجِن ومات في سجنه.

القضاء على حركة الزط في العراق الجنوبي

دينار عباسي يرجع إلى فترة حكم المعتصم بالله



(١) من المصاعب التي واجهت المعتصم وأثقلت كاهله في أثناء خلافته، **حركه الزط** الذين تمكنوا من السيطرة على طريق البصرة، وهددوا مرافق الدولة، وفرضوا المكوس على السفن، وحالوا دون وصول الإمدادات إلى بغداد، فوجّه إليهم قائده **عجيف بن عنبسة** في عام (٢١٩ هـ / ٨٣٤ م) لصدهم في البطيحة، وشدد عليهم، حتى طلبوا الأمان، فنفاهم المعتصم إلى عين الزربة .



البوابة الجنوبية للمدينة

تميزت عين زربة بالموقع الجغرافي الجيد مما جعلها تلعب دوراً كبيراً في الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية والفاتحين المسلمين وقد أعيد بناؤها من قبل هارون الرشيد في ٧٩٦ م، وحصنت ثانية بشكل جيد على نفقة سيف الدولة الحمداني (القرن العاشر) ثم نهبها وخربها الصليبيون.

عين زربة: قال ياقوت: من ثغور قرب المصيصة تذكر في العين أ . هـ وقديماً سميت أنازاربوس Anazarbus والآن اسمها نافارزا، وهي مدينة قديمة في قيليقية في الجمهورية التركية اليوم .

البوابة الغربية للمدينة التي تطل على قلعة عين زربة

القضاء على حركة بابك الخرمي

كان الخليفة المعتصم عند حسن الظن به، فقد صعَّد حربه ضد **البابية** حتى قضى على حركتهم في سنة ٢٢٣هـ /٨٣٥م فقد ركز جهوده - بعد استقرار الوضع الداخلي- على حرب بابك، وأرسل الحملة تلو الحملة ضده، ومن جهة أخرى فقد تفاقم خطر بابك بعد أن دخلت أذربيجان في حوزته، فنشر الرعب في المنطقة الممتدة حتى إيران في سنة ٢١٨ هـ /٨٣٣/م، وعين المعتصم في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م، أعظم قادته وهو **الأفشين « حيدر بن كاوس »** أميراً على الجبال، وأمره بقتال بابك، تميز هذا القائد بالحذر والخبرة الشديدة بالمسالك الجبلية. فاتبع خطة عسكرية مرنة تستند على التقدم البطيء. فعسكر في برزند من نواحي **تفليس**، وضبط الحصون والطرق فيما بينه وبين أردبيل، ووزع جنده على مختلف القلاع والمواقع، وكان المعتصم يمده بالإمدادات والمؤن، ونفقات الجند باستمرار،ورَتّب البريد، ومهّد الطرقات لتأمين المواصلات والاتصالات بسرعة وسلام، حتى أضحى تبادل الرسائل بين **سامراء ومعسكر الأفشين** يستغرق مدة أربعة أيام أو أقل، كما استعمل الحمام الزاجل لنقل الأخبار لأول مرة في هذه الحرب، وكان يشرف على سير المعارك من سامراء، ويضع الخطط العسكرية بنفسه. وبذلك أضحى للمسلمين سلسلة من الحصون المتماسكة في مواجهة بابك، ولجأ الأفشين إلى استعمال الأسلوب التجسسي كي يضعف خصمه، ويطلع على خططه؛ فكان يستقطب من يظفر به من جواسيس؛ فيضاعف لهم العطاء، ويسخرهم في التجسس له. أدرك بابك على الفور أنه يواجه هذه المرة قائداً محنكاً، وحتى يخفف الضغط عن قواته في أذربيجان، ناشد الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل أن يهاجم الأراضي الإسلامية، ووعده بأن يعتنق النصرانية. نتيجة هذا الاحتقان كان لابد أن يقع صدام بين الجانبين بعد هذه الاستعدادات العسكرية، فأصدر الخليفة أوامره إلى الأفشين ببدء العمليات العسكرية، وحدد له مدينة (البذ) كأول هدف عسكري بعد اضطرار بابك إلى التحصُّن فيها إثر معركة أرشق. لم يتسرع الأفشين في تقدمه نحو البذ، وأخذ يزحف متأنياً حتى وصلها وضرب عليها حصاراً مركزاً، واتخذ من مدينة روذ الروذ معسكراً جديداً لقواته، وحاول بابك في غضون ذلك استمالته لكنه لم ينجح، وبقي الأفشين محاصراً البذ حتى تمكن من دخولها يوم الجمعة في ١٠ رمضان سنة ٢٢٢ هـ / آب سنة ٨٣٧م هرب بابك، بعد سقوط البذ إلى أرمينيا[١].

---

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص ١٤٠ - ١٤١.



كتب **الأفشين** إلى ملوك وأمراء الجهات التي هرب إليها بابك بسد الطرق عليه، وتذكر المصادر أن البطريق سهل بن سنباط تعرّف على مكان اختبائه؛ فأمنه؛ ثم غدر به وسلمه إلى الأفشين. **وجِيء ببابك إلى سامراء** في شهر صفر عام ٢٢٣ هـ / شهر كانون الثاني عام ٨٣٨ م، ومعه أخوه عبد الله وكان يوم وصوله يوماً مشهوداً؛ فقد ألبسه الجند ثيابه الأرجوانية، ووضعوه على ظهر فيل، وطافوا به في شوارعه، وعندما أضحى في مجلس الخليفة نزع عنه الجند ماكان يلبس، ثم قطعوا يديه ورجليه، وراحوا يغرزون سيوفهم ببطء في جسده، متجنبين إصابته بمقتل ليطيلوا أمد عذابه، وأخيراً قطعوا رأسه وأرسله الخليفة إلى بغداد حيث عُرِضَ على الناس، بينما **صُلِبت جثته وعرضت في سامراء، وصلب معه أخوه عبد الله**، فانتهت بذلك هذه الحركة التي شغلت جانباً من اهتمامات الخلافة منذ عهد المأمون.

حركة المازيار

ماكادت دولة الخلافة العباسية تتخلص من الأخطار التي كانت تمثلها حركة **بابك الخرمي** في المناطق الواقعة إلى الغرب من بحر قزوين، حتى واجهتها **حركة فارسية أخرى**، تمثلت في حركة المازيار بن قارن آخر الأمراء القاريانيين **بطبرستان**، الذي اتخذ من موطنه مسرحاً لنشاطه الثوري المعادي للدولة.

اعتنق المازيار الإسلام وتسمى باسم محمد، وولاه المأمون على طبرستان ورويان ودنباوند، ولقبه الأصبهبذ، ويبدو أنه كان ذا نزعات استقلالية؛ فأراد الانفصال عن جسم الدولة، فاستغل الخصومة بين الطاهريين - الذين كان يكرههم، وبين الأفشين الطامع في ولاية خراسان ليرفع راية الثورة، وكان هذا الأخير قد كاتب المازيار وشجعه على إعلان العصيان على حكمهم، آملاً أن لا يتمكن هؤلاء من إخضاعه، فيتخذ- عندئذ- ذلك ذريعةً لانتزاع خراسان منهم؛ لكن هذه العلاقة بين الأفشين والمازيار لم تكن بهذه السطحية وأن الصلة التي جمعت الرجلين بعيدة الغور عميقة الجذور، فقد اعترف المازيار بأن الأفشين حرضه على الخروج والعصيان لمذهب اجتمعوا عليه، ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس، كما كان المازيار يكاتب بابك، ويعرض عليه المساعدة، والراجح أنه كان على مذهب الخرمية، ذلك المذهب الذي أضحى يمثل ثورة الوعي الفارسي ضد سلطان العباسيين وضد المجتمع الذي أقاموه، وأن الدوافع التي حركت بابك، هي التي حملته على العصيان خاصة،إذا علمنا أنه كان حديث عهد بالإسلام، أي أن هذه الدوافع كانت مزيجاً من الدوافع السياسية والعنصرية والدينية. وتدل التدابير التي نفذها المازيار بعد إعلان حركته، على نزعة الخرمية الاشتراكية إذ أراد مصادرة الأراضي من الملاك، وتوزيعها على الفلاحين، ولهذه النزعة معنى سياسي إلى جانب المعنى الاقتصادي خاصة إذا علمنا أن قسماً كبيراً من الملاك كانوا من العرب ومواليهم؛ لذلك أمر المازيار عامله على سرخستان بأن يجمع مئتين وستين من أبناء القادة ويسلمهم إلى الفلاحين ليقتلوهم بوصفهم أناساً يشكلون خطراً، كما أغرى هؤلاء بقتل أرباب الضِياع، وأباح لهم منازلهم وحُرمهم، في محاولة تهدف إلى ضم قوى الطبقات العامة ودفعها للتخلص من السلطان العربي. وقد وقف الخليفة على أهداف هذه الثورة، حين ضبط عبد الله بن طاهر رسالة من الأفشين إلى المازيار، وبعد أن حصل هو على الرسائل الأخرى من المازيار نفسه[١].

---

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص ١٤٢ - ١٤٣.

القضاء على حركة المازيار

أرمينيا
أذربيجان
إيران
العراق
طبرستان
جوري
تفليس
دربند
لينتكان
كيروف أباد
نهر الكر
باكو
بريفان
أقري
البذ
أراكس
موقان
ناخيتشيفان
بحر الخزر (بحر قزوين - طبرستان - مازندران)
قازانجيك
قيزيل أرفات
أردبيل
تبريز
خرم
جيلان
مراغة
رشت
الديلم
زنجان
قزل أوزن
قزوين
آمل
ساري
جاسان
قيزيل اترك
جرجان
الري
سمنان
سنندج
همدان
كرمنشاه
بروجرد
كاشان
سامراء
بغداد
الكوفة
دجلة
أصفهان
دز فول
العمارة
الأهواز
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ كم

حسب وصف ياقوت الحموي فقد كان طبرستان إقليماً واسعاً وكبيراً تمتد عبر مُعظمه أراضٍ جبلية وعرة وتكثر فيه المياه التي تتخلل أراضي شجرية كثيرة الفواكه والثمار. وحسب مُعجم البلدان أيضاً فقد كانت تعد مدن آمل وجرجان واستراباذ وداهستان من بلاد طبرستان. وهو يَصف أنه قد وقعت على أطراف طبرستان جبال وعرة جداً تسمى "جبال شروين"، التي كانت أكثر جبال طبرستان صعوبة ووعورة وأدغالاً (وقد كان فاتح هذه الجبال هو موسى بن حفص بن عمرو ابن العلاء).



عملة تعود إلى القرنين ٨ و ٩ الميلاديين

وواقع الحال أن هذه الحركة (حركة المازيار) ولدت ميتة؛ ذلك أن توقيت إعلانها في عام (٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م) لم يكن مناسباً، فقد كانت دولة الخلافة العباسية آنذاك في وضع مستقر، وعلى درجة عالية من القوة ولاسيما بعد أن تخلصت من العديد من الحركات المعادية التي قامت في وجهه، ومن ثم فإن القضاء على حركة المازيار لم يكلفها الكثير من الجهد، أما نهاية المازيار فقد كانت شبيهة بنهاية بابك حيث قتله الخليفة، ثم صلبه إلى جانب بابك الخرمي.

بناء مدينة سُرَّ من رأى

لم يكن قد انقضى على بناء بغداد قرن واحد حتى عرضت للمعتصم فكرة بناء عاصمة جديدة، بعدما ضاقت بغداد بجنده الأتراك الذين أكثر من استخدامهم في الجيش، ولم تسلم العاصمة من مضايقاتهم، حتى أكثر الناس الشكوى من سلوكهم.

واختار المعتصم بالله لعاصمته الجديدة مكاناً يبعد ١٣٠ كم رأساً من شمالي بغداد، شرقي نهر دجلة، وشرع في تخطيط عاصمته سنة (٢٢١هـ = ٨٣٦م) وبعث إليها المهندسين والبنّاءين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وغيرهم، وحمل إليها الأخشاب والرخام وكل ما يحتاج إليه البناء.

وعُني الخليفة بتخطيط المدينة وتقسيمها بوصفها مركزاً حضارياً ومعسكراً لجيشه، ففصل الجيش ودواوين الدولة عن السكان، واهتم بفصل فرق الجيش بعضها عن بعض، وامتدت المدينة على ضفة دجلة الغربية نحو ١٩ كم، وكان تخطيط المدينة رائعاً، يتجلى في شق عدة شوارع متوازية على طول النهر، يتصل بعضها ببعض عن طريق دروب عدة، وكان أهم شوارع المدينة بعد شارع "الخليج" الذي على دجلة "الشارع الأعظم"، وكان يمتد في عهد المعتصم ١٩ كم من الجنوب إلى الشمال بعرض مائة متر تقريباً.

و عُنِي المعتصم بزراعة القسم الغربي من دجلة تجاه المدينة، وشجع قادته على المساهمة في الزراعة، وحرص أن تكون عاصمته الجديدة مجمعاً للصناعات المعروفة في عهده، واهتم ببناء الأسواق، وجعل كل تجارة منفردة مثلما هو الحال في أسواق بغداد، وجعل شارع الخليج الذي على دجلة رصيفاً ومرسى لسفن التجارة.

وكانت المدينة الجديدة جميلة بقصورها الضخمة ومبانيها الرائعة وشوارعها المتسعة، ومسجدها الجامع وغيره من المساجد، فدعيت بـ "سُرَّ مَن رأى"، وزاد إقبال الناس على السكنى بها.

وتكشف الآثار الباقية من سامراء عن مدى التقدم العمراني والحضاري، الذي كانت عليه الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري [١].

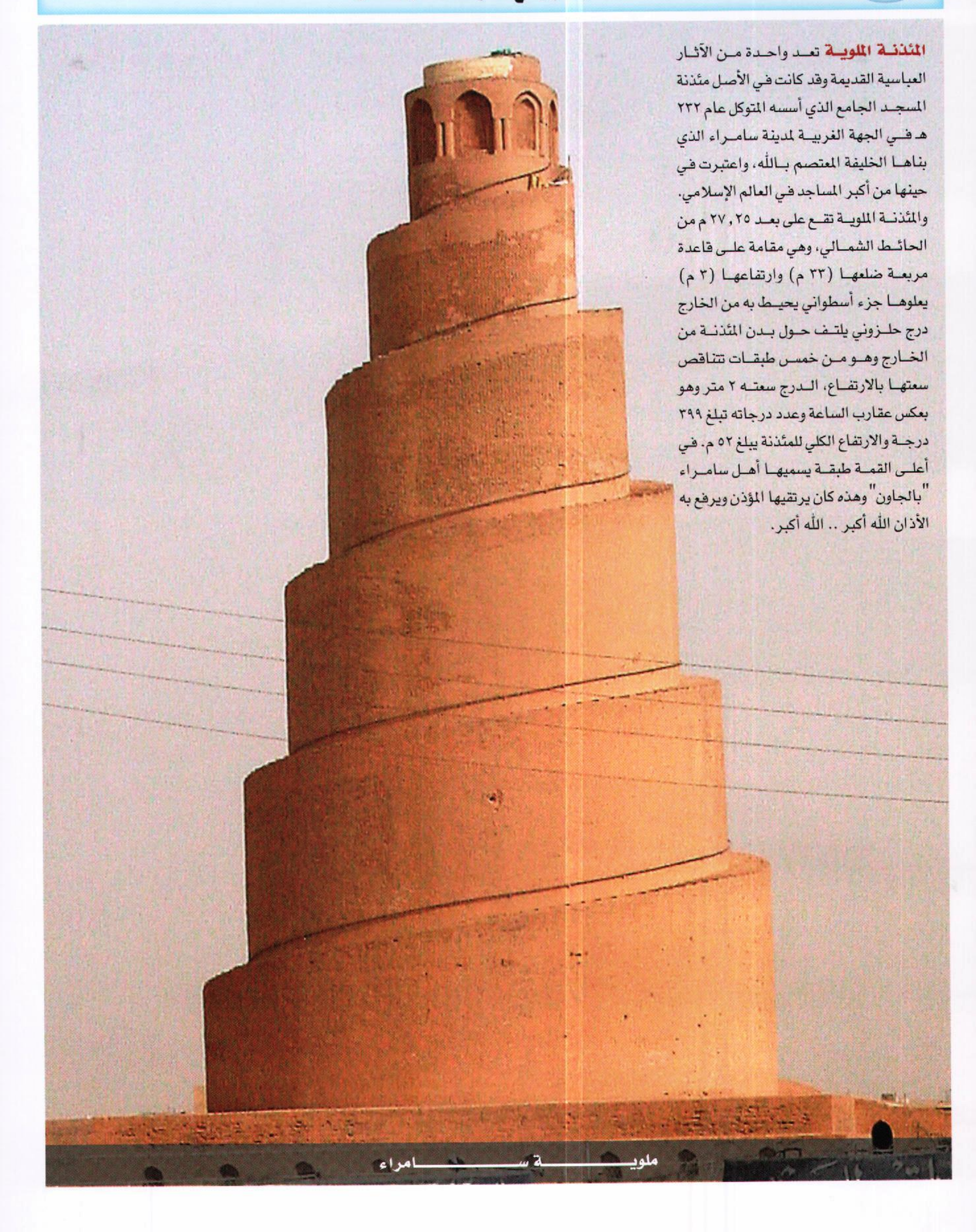
مصادر الجند الأتراك في عهد المعتصم، فقد تم جلبهم من أقاليم ما وراء النهر، مثل: سمرقند وفرغانة وأشروسنة والشاش وخوارزم، وكان ذلك إما عن طريق النخاسة، أي الشراء، وإما عن طريق الأسر في الحروب، وإما عن طريق الهدايا التي كان يؤديها ولاة هذه الأقاليم على شكل رقيق إلى الخليفة، ومن ثم أصبحت بلاد ما وراء النهر مصدراً مهماً للرقيق الترك. ومكَّن المعتصم للأتراك في الأرض، فقربهم إليه، وخصَّهم بالنفوذ، وقلَّدهم قيادة الجيوش، وجعل لهم مركزاً في مجال السياسة، وأسكنهم سامراء التى بناها خصيصاً لهم، ومن جهة ثانية حرم العرب مما كان لهم من قيادة الجيوش، ثم أسقط أسماءهم من الدواوين، وقطع أعطياتهم. د. طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص ١٤٥ .

---

١ - أحمد تمام، الخليفة المعتصم بالله، إسلام أون لاين .



لقد تفوقت سر من رأى على سائر المدن العباسية بقصورها ومساجدها وحدائقها، وبكل مظهر من مظاهر الترف والنعيم. وشاء الله أن تكون سامراء عاصمة الدولة العظمى؛ لثامن الخلفاء العباسيين المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد، فمنها تُنظم حياة الأمة - السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية....إلخ - من سواحل المحيط الأطلسي غرباً حتى تخوم الصين شرقاً، على الرغم من اختلاف أجناس الناس، واختلاف مشاربهم ولغاتهم. والجدير بالذكر فإن هذه العاصمة كان لها الجهد الكبير في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وتطورها العلمي والديني فضلا عن العمران الذي تمثل في قصورها، مما جعلها من أمهات العواصم آنذاك. إلا أنها في نهاية القرن الثالث خربت وهُجرت ولم تعد كما كانت، وذلك بسبب عودة الخلافة إلى بغداد، حيث استعادت مكانتها لتكون حاضرة الدنيا. د. رفيق السامرائي، الحديث والمحدثون بسر من رأى والواردين عليها منذ تأسيسها سنة ٢٢١ هـ إلى نهاية القرن ٤ هـ.



المئذنة الملوية تعد واحدة من الآثار العباسية القديمة وقد كانت في الأصل مئذنة المسجد الجامع الذي أسسه المتوكل عام ٢٣٢ هـ في الجهة الغربية لمدينة سامراء الذي بناها الخليفة المعتصم بالله، واعتبرت في حينها من أكبر المساجد في العالم الإسلامي. والمئذنة الملوية تقع على بعد ٢٧,٢٥ م من الحائط الشمالي، وهي مقامة على قاعدة مربعة ضلعها (٣٣ م) وارتفاعها (٣ م) يعلوها جزء أسطواني يحيط به من الخارج درج حلزوني يلتف حول بدن المئذنة من الخارج وهو من خمس طبقات تتناقص سعتها بالارتفاع، الدرج سعته ٢ متر وهو بعكس عقارب الساعة وعدد درجاته تبلغ ٣٩٩ درجة والارتفاع الكلي للمئذنة يبلغ ٥٢ م. في أعلى القمة طبقة يسميها أهل سامراء "بالجاون" وهذه كان يرتقيها المؤذن ويرفع به الأذان الله أكبر .. الله أكبر.

ملوية سامراء

المسجد الجامع في سر من رأى وهو من أهم الآثار العباسية طوله ٢٤٠ م وعرضه ١٦٠ م، وقد صلي فيه هذا العام (١٤٣٢ هـ) صلاة عيد الأضحى المبارك

قناة صرف

البركة المائية

قناة ري

بناء حديث متهدم

منشأة مائية للوضوء وسط المسجد الجامع بسر من رأى، اللقطات بواسطة الأخ د. رفيق السامرائي أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير محمد بن فهد

وامعتصماه .. وفتح عموريه

استغل **البيزنطيون** انشغال الخليفة المعتصم بالله في القضاء على فتنة بابك الخرمي، وجهزوا جيشاً ضخماً قاده الإمبراطور ثيوفيل، بلغ أكثر من مائة ألف جندي، هاجم شمال الشام والجزيرة، ودخل مدينة "زِبَطْرة" التي تقع على الثغور، وكانت تخرج منها الغزوات ضد الروم، وقتل الجيش البيزنطي من بداخل حصون المدينة من الرجال، وانتقل إلى "ملطية" المجاورة فأغار عليها، وعلى كثير من الحصون، ومثّل بمن صار في يده من المسلمين، وسَمَلَ أعينهم، وقطع آذانهم وأنوفهم، وسبى من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة.

وصلت هذه الأنباء المروعة إلى أسماع الخليفة، وحكى الهاربون الفظائع التي ارتكبها الروم مع السكان العزل؛ فتحرك على الفور، وأمر بعمامة الغزاة فاعتم بها ونادى لساعته بالنفير والاستعداد للحرب.

ويذكر بعض الرواة: أن امرأة ممن وقعت في أسر الروم قالت: **وامعتصماه**، فنُقل إليه ذلك الحديث، وفي يده قَدَح يريد أن يشرب ما فيه، فوضعه، ونادى بالاستعداد للحرب. وهذا ما عناه أبو تمام الطائي في قوله مادحاً للخليفة بعدما حقق نصر:

لبيّت صوتاً زِبَطرياً هَرَقْتَ لَهُ
كَأْسَ الْكَرَى وَرُضَابَ الْخُرّدِ الْعُرُبِ

وخرج المعتصم على رأس جيش كبير، وجهّزه بما لم يعدّه أحد من قبله من السلاح والمؤن وآلات الحرب والحصار، حتى وصل إلى منطقة الثغور، ودمّرت جيوشه مدينة أنقرة ثم اتجهت إلى عموريه في (جمادى الأولى ٢٢٣هـ= أبريل ٨٣٨م) وضربت حصاراً على المدينة المنيعة دام نصف عام تقريباً، ذاقت خلاله الأهوال حتى استسلمت المدينة، ودخلها المسلمون في ١٧ من رمضان سنة ٢٢٣هـ= ١٣ من أغسطس ٨٣٨ م بعد أن قُتل من أهلها ثلاثون ألفاً، وغنم المسلمون غنائم عظيمة، وأمر الخليفة المعتصم بهدم أسوار المدينة المنيعة وأبوابها، وكان لهذا الانتصار الكبير صداه في بلاد المسلمين، وخصّه كبار الشعراء بقصائد المدح[١].

الفتح المبين: تقدم الخليفة باتجاه عموريه بعد تدمير أنقرة؛ فوصلها في سبعة أيام وشرع في حصارها، وعلى الرغم من مناعتها وحصانتها إلا أنها استسلمت في السابع عشر من (شهر رمضان عام ٢٢٣ هـ / ٨٣٨ م) بعد أسبوعين من الحصار؛ فأسر المسلمون كثيرا من أهلها وغنموا غنائم وفيرة، وهدم المعتصم أسوارها، وأمر بالمقابل بترميم زبطرة وتحصينها. كشفت حملة المعتصم عن ضعف الإمبراطورية البيزنطية، مما شجع الخليفة على مواصلة زحفه باتجاه القسطنطينية، التي باتت الطريق إليها مفتوحة، إلا أنه اضطر للعودة إلى العراق لأنه كشف مؤامرة دبرها الجند لصالح العباس. د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص ١٥٠ .

---

١ - أحمد تمام، الخليفة المعتصم بالله، إسلام أون لاين.



فتـــــح عموريـــــة في ١٧ رمضـــــان سنة ٢٢٣هـ

١ رأى الإمبراطـور ثيوفيـل أن يعود إلى قتال المسلمين على الحدود الشرقية لإمبراطوريتـه، وقد شجعه على ذلك نجاح المفاوضات التي أجراها مع بابـك الذي وعـده باعتناق النصرانية مقابل مساعدته في قتالهم، وظناً منه أن باستطاعته إحراز نصر عسكري عليهم؛ فأغار على منطقة أعالي الفرات ليؤمن اتصالاً مع الخرمية في أرمينيا وأذربيجان، واستولى في طريقه على **زبطرة** مسقط رأس والدة الخليفة وأَسَرَ من فيها من المسلمين ومثّل بهـم **وسبى المسلمات**، كمـا هاجم **سميساط وملطية** وأحرقها. اعتـبر المعتصم هذه الغارة البيزنطية تحدياً شخصيـاً له قبل أن تكون تحدياً للخلافة العباسية، فقبل التحدي وعزم على أن يثأر لزبطرة .

٢ خـرج المعتصـم بـالله على رأس الجيش العباسي متجهاً صوب **عموريه** مسقـط رأس أسرة ثيوفيل، عازماً على تدميرهـا، والجدير بالذكر أن الاستيلاء على عمورية يُعد خطوة للوصول إلى **القسطنطينية** . غادر الخليفة سامراء وهو على تعبئة، وجعل أنقرة أول هدف للحملة، فعين أشناس التركي قائداً للمقدمة، وإيتاخ قائداً للميمنه، وجعفر بن دينار على الميسرة، وعجيف بن عنبسة على القلب، وشارك **الأفشين** في حملة على رأس فرقـة عسكريـة وكتب على ألوية الجيش وتروسه " عموريـه " وقرر دخول الأراضي البيزنطية من **ثلاثة محاور**، فتوجه جيش الشرق بقيادة الأفشين نحو مدينة سروج ليدخل الأراضي البيزنطية في يوم محدد عن طريق درب الحدث، أما جيش الغرب بقيادة أشناس فكان عليه أن يتقدم عبر جبال طوروس إلى مدينـة الصفصـاف الواقعة قرب قلعة **لؤلؤة** علـى أن يلتقي بجيش الشرق في سهل **أنقرة**. وقاد الخليفـة القسم الثالث من الجيش وزحف مباشرة نحو أنقرة، ورسم الخليفة خطته التكتيكية على أن تجتمع الأقسام الثلاثة عند سهل أنقرة لمهاجمة المدينة .

٣ لم يَسَـعْ ثيوفيـل بعـد هزيمته وسقوط أنقـرة، إلا أن يرسل إلى المعتصم يطلب الصلح معتذراً عن مذابح زبطـرة، ومتعهداً بإعادة بنائه، وإعادة السكان إليه، وإطلاق سراح من عنده من الأسرى المسلمين، إلا أن الخليفة رفض عرض الصلح،وتابع زحفه باتجاه عموريه حتى تم فتحها.

لمحات من قصيدة أبي تمام الطائي في مدح الخليفة المعتصم بالله بعد فتح عموريه

قال النويري [١]: لما فتح المعتصم **عموريه** أكثر الشعراء من ذكر هذا الفتح، فمن ذلك قول أبي تمامٍ حبيب بن أوسٍ الطائي من قصيدته التي يقول في أولها:

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لاسود الصفائح في ... متونهن جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الأرماح لامعةً ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب

جاء منها:

فتح الفتوح تعالى أن يحط به ... نظمٌ من الشعر أو نثرٌ من الخطب

فتحٌ تفتح أبواب السماء له ... وتبرز الأرض في أثوابها القشب

ومنها:

وبرزة الوجه قد أعيت رياضتها ... كسرى وصدت صدوداً عن أبي كرب

بكرٌ فما افترعتها كف حادثةٍ ... ولا ترقت إليها همة النوب

من عهد إسكندرٍ أو قبل ذاك فقد ... شابت نواصي الليالي وهي لم تشب

حتى إذا مخض الله السنين لها ... مخض الحليبة كانت زبدة الحقب

أتتهم الكربة السوداء سادرةً ... منها وكان اسمها فراجة الكرب

لما رأت أختها بالأمس قد خربت ... كان الخراب لها أعدى من الجرب

أشار في هذا البيت إلى **فتح أنقرة**. ومنها:

لبيت صوتاً زبطرياً هرقت له ... كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

قيل: كانت الروم لما فتحت زبطرة صاحت امرأةٌ من المسلمين: وا محمداه! وا معتصماه! فلما بلغه الخبر ركب لوقته يؤم الشام، وصاح: لبيك! لبيك! ولم يرجع إلى أن فتح أنقرة وعموريه. ومنها:

خليفة الله جازى الله سعيك عن ... جرثومة الدين والإسلام والحسب

إن كان بين صروف الدهر من رحم ... موصولة أو ذمام غير منقضب

فبين أيامك اللاتي نصرت بها ... وبين أيام بدرٍ أقرب النسب

---

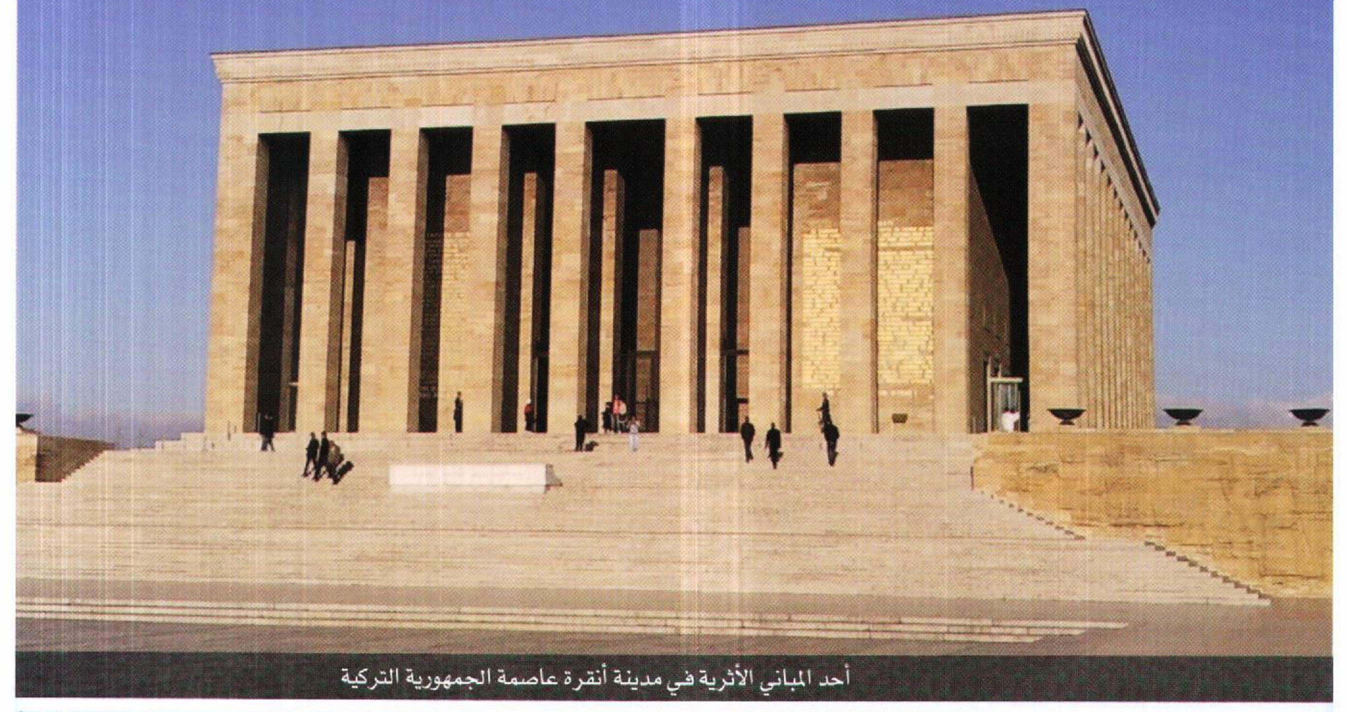
١ - نهاية الأرب في فنون الأدب، النسخة الرقمية، المرجع الأكبر ، مكتبة العريس، بيروت - لبنان .

قال ياقوت الحموي في معجمه: **أنقَرة:** بالفتح ثم السكون وكسر القاف وراء وهاء وهو فيما بلغني. اسم للمدينة المسماة أنكورية، وفي خبر امرىء القيس لما قصد ملك الروم يستنجده على قتلة أبيه هَوَتْهُ بنتُ الملك وبلغ ذلك قَيصر فوعده أن يتبعه الجنودَ إذا بلغ الشام أو يأمر من بالشام من جنوده بنجدَته فلما كان بأنقرة بعث إليه بثياب مسمومة فلما لبسها تساقط لحمُهُ فعلم بالهلاك، فقال: رب طَعنةٍ مُثْعَنجره ... وخُطبةٍ مسحنفِرَه .. تبقَى غداً بأنقِرَه .. وحينما فتحها المعتصم في طريقه إلى عَموريه قال أبو تمام:

يايوم وقعة عموريه انصرَفتْ ... عنك المنَى حُفلاً معسولةَ الحلب

جرى لها الفالُ بَرحاً يوم أنقرة ... إذ غُودرَت وحشة الساحات والرحب

لما رأت أختها بالأمس قد خرَبت ... كان الخرابُ لها أعدَى من الجرَب

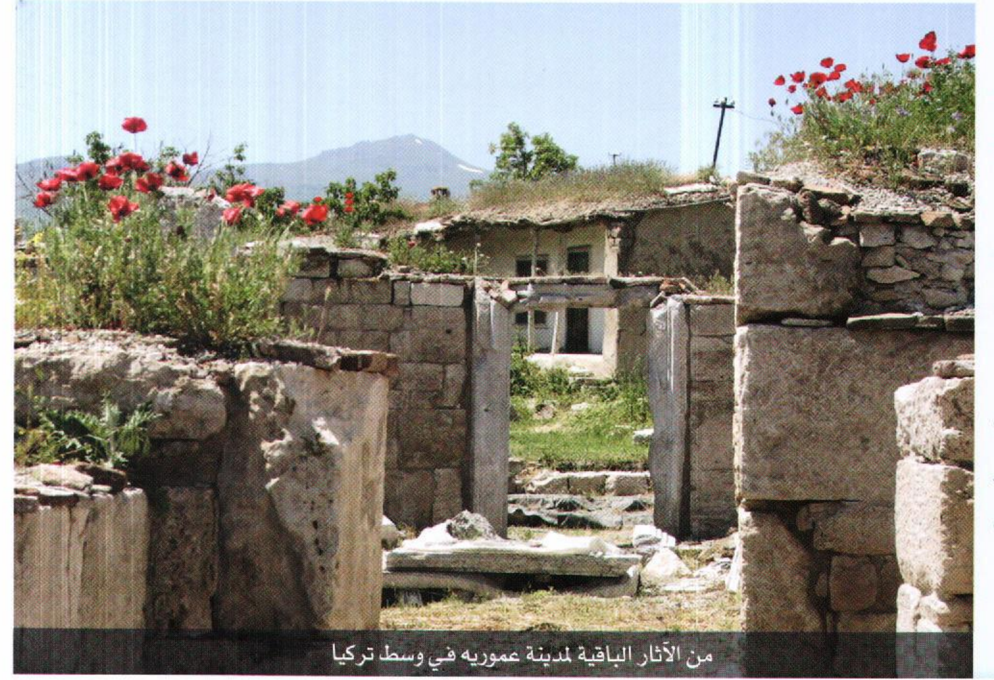


أحد المباني الأثرية في مدينة أنقرة عاصمة الجمهورية التركية

عَمُوريَه: بفتح أوله وتشديد ثانيه. بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم حين سمع شُراة العلوية ... وقد ذكرها أبو تمام فقال:

يا يوم وقعة عمُوريه انصرفت ... عنك المنى حفلاً معسولة الحلب

هي التي فتحها المعتصم في سنة ٢٢٣ وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية في قصة طويلة وكانت من أعظم فتوح الإسلام، الحموي، معجم البلدان.



من الآثار الباقية لمدينة عموريه في وسط تركيا

الواثق بن المعتصم

٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤١ - ٨٤٧ م

هو **أبو جعفر** هارون الواثق بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد، بن محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو الخليفة العباسي التاسع وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس.

ولي الخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم سنة ٢٢٧ هـ. أحسن الواثق لأهل الحرمين حتى قيل: إنه لم يوجد بالحرمين في أيامه سائل « أي فقير » . كان مشجعاً للعلماء. وكانت وفاته في سامراء بالحمى سنة (٢٣٢ هـ/٨٤٧) .

قامت عدة ثورات في عهده في الشام وفلسطين بسبب الاحتكاكات بين السكان العرب والجيوش التركية التي شكلها والده المعتصم، تم إخماد هذه الثورات، إلا أن جذوة النقمة تضاعفت بين الأهالي.

كانت خلافة أبي جعفر هارون الواثق خمس سنوات، قضى فيها على الثورات التي قامت في عهده، ولقّن الخارجين على الدين والآداب العامة دروساً لا تنسى، وعزل من انحرف من الولاة، وصادر أموالهم التي استولوا عليها ظلماً وعدواناً، وفي عهده استكمل فتح جزيرة "صقلية"، حينما أكمل فتحها الفضل بن جعفر الهمداني سنة ٢٢٨هـ/ ٨٤٣م.

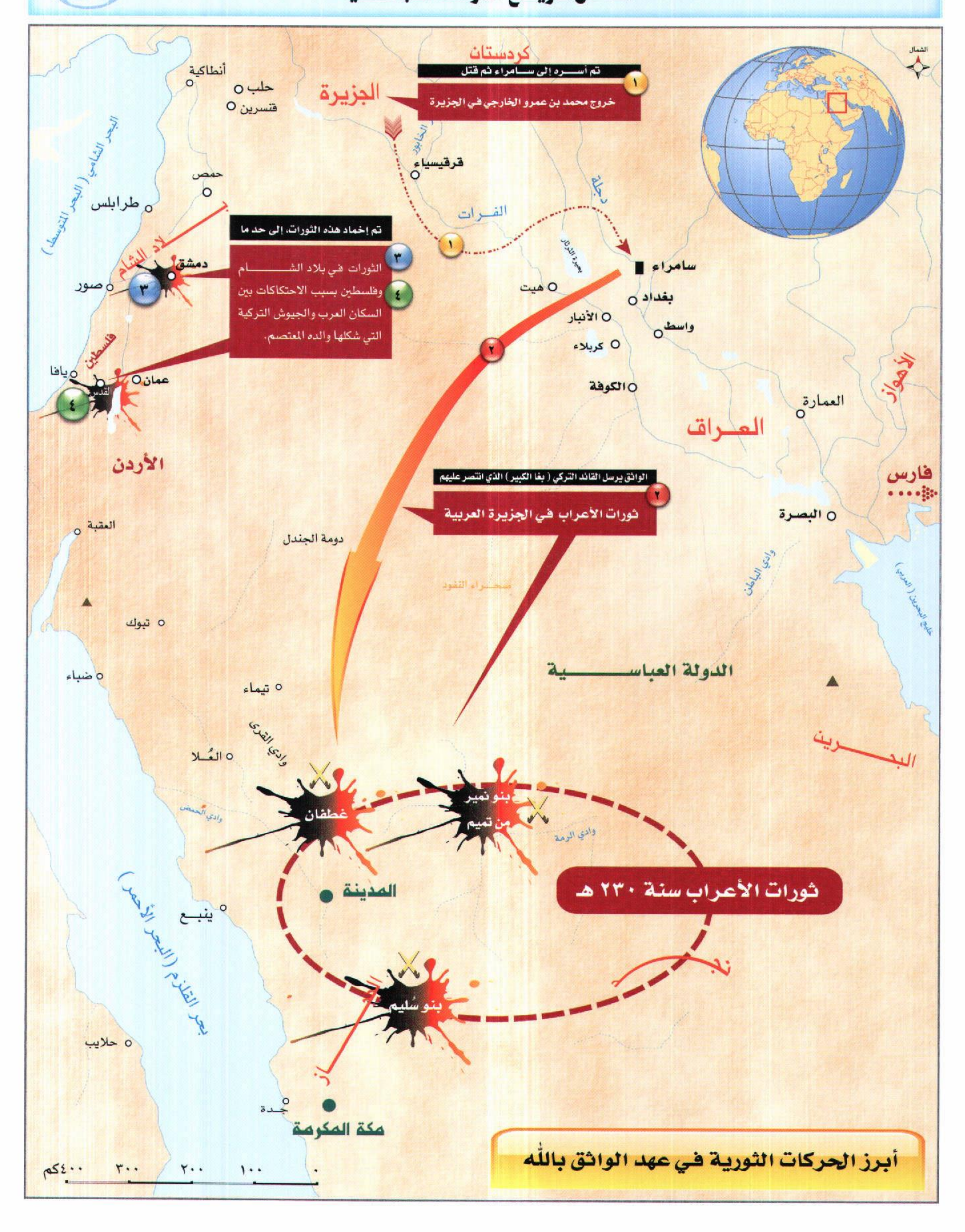
قال يحيى بن أكثم : ما أحسن أحد إلى الطالبيين ما أحسن إليهم الواثق، ما مات وفيهم فقير . وفي سنة إحدى وثلاثين : قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد ظلماً، وأمر بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن ، وافتك من أسر الروم أربعة آلاف وست مائة نفس ، فقال ابن أبي دؤاد : من لم يقل : القرآن مخلوق، فلا تفتكوه وكانت فتنة عظيمة افتتن بها المسلمون آنذاك.

قال الخطيب : استولى أحمد بن أبي دؤاد على الواثق ، وحمله على التشدد في المحنة ، والدعاء إلى خلق القرآن .وقيل: إنه رجع عن ذلك قبيل موته.

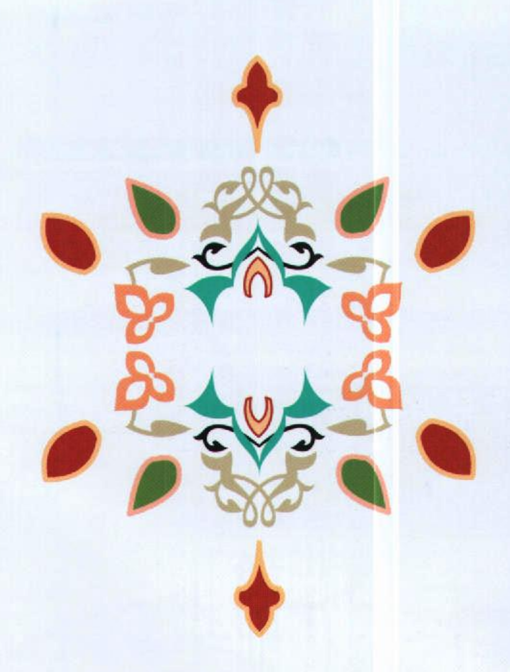
قال إبراهيم نفطويه : حدثنا حامد بن العباس ، عن رجل ، عن المهتدي بالله أن الواثق مات وقد تاب عن القول بخلق القرآن، وهذا لعمري من فضل الله عليه أن ختم الله له بالتبرء من هذه الفتنة .



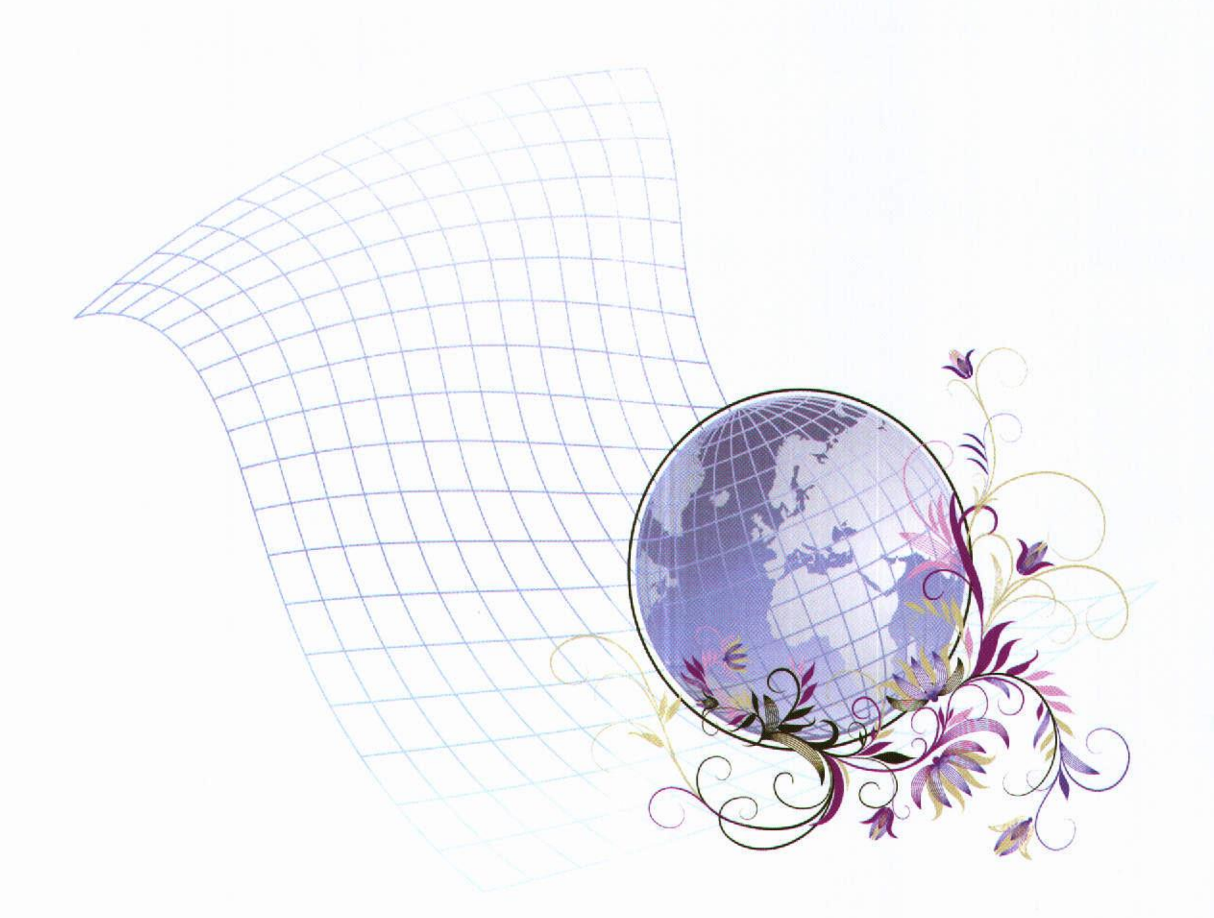
دينار الخليفة الواثق بالله-ضرب بمدينة السلام عام ٢٢٨هـ



كردستان
الجزيرة
تم أسره إلى سامراء ثم قتل
خروج محمد بن عمرو الخارجي في الجزيرة
أنطاكية
حلب
قنسرين
قرقيسياء
حمص
طرابلس
الفرات
دجلة
سامراء
تم إخماد هذه الثورات، إلى حد ما
الثورات في بلاد الشام وفلسطين بسبب الاحتكاكات بين السكان العرب والجيوش التركية التي شكلها والده المعتصم.
دمشق
صور
بلاد الشام
فلسطين
يافا
عمان
القدس
هيت
بغداد
الأنبار
واسط
كربلاء
الكوفة
العمارة
الأهواز
العراق
الأردن
فارس
الواثق يرسل القائد التركي (بغا الكبير) الذي انتصر عليهم
ثورات الأعراب في الجزيرة العربية
البصرة
العقبة
دومة الجندل
صحراء النفود
تبوك
الدولة العباسية
ضباء
تيماء
وادي القرى
العُلا
البحرين
غطفان
بنو نمير من تميم
ثورات الأعراب سنة ٢٣٠ هـ
المدينة
ينبع
بحر القلزم (البحر الأحمر)
نجد
بنو سليم
حلايب
جدة
مكة المكرمة
أبرز الحركات الثورية في عهد الواثق بالله
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠كم



الباب الثالث



العصر العباسي الثاني

٢٣٢ - ٣٣٤ هـ / ٨٤٧ - ٩٤٦ م

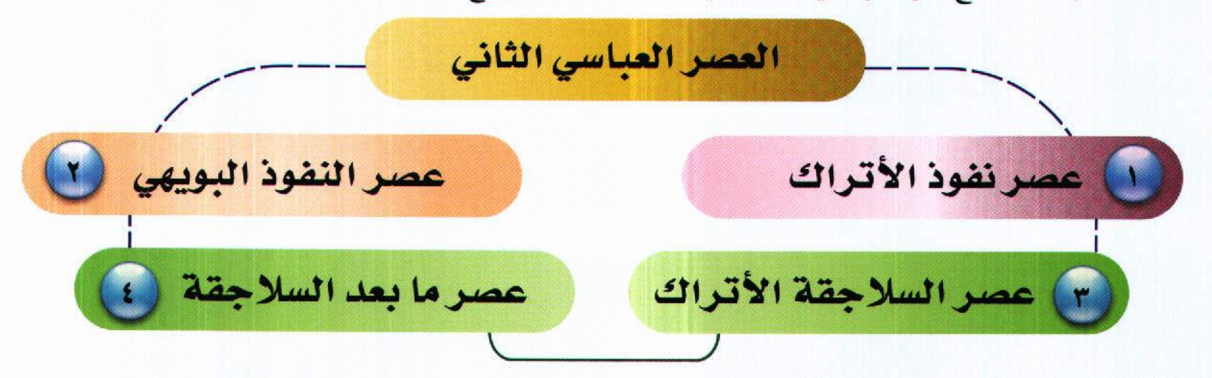
أولاً : عصر النفوذ التركي

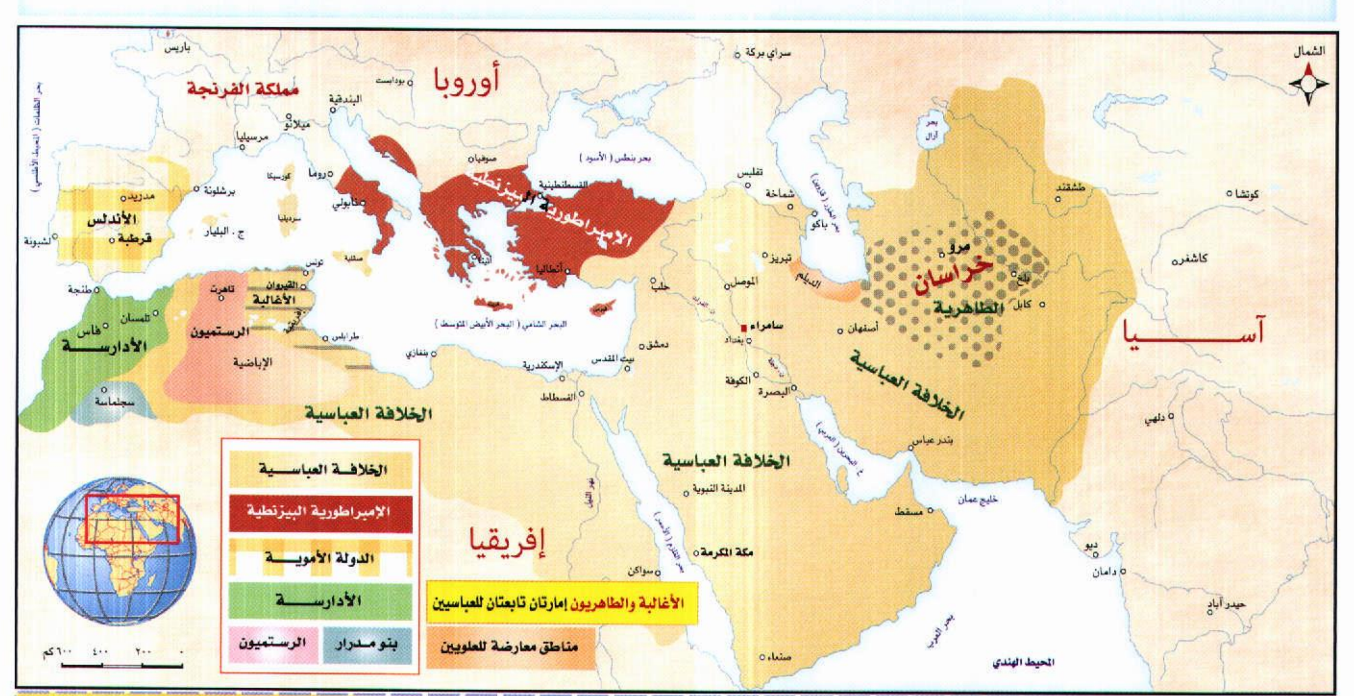


العصر العباسي الثاني ٢٣٢ - ٦٥٦هـ = ٨٤٧ - ١٢٥٨ م

النفوذ العسكري التركي

يمتد العصر العباسي الثاني أكثر من أربعة قرون، وقد قسم المؤرخون هذه الحقبة إلى أربعة عصور رئيسة، غالباً ما يدمج المؤرخون بين الحقبتين الثالثة والرابعة مع بعضهما البعض:





الدولة العباسية في مستهل العصر العباسي الثاني

من الآثار السلبية لاستقلال الدول عن الخلافة العباسية: تغيير موازين القوى في العالم الإسلامي من ناحية والدولة البيزنطية من ناحية أخرى لصالح البيزنطيين حيث سيطروا على مناطق ومدن إسلامية في شمالي الشام منتصف القرن الرابع هـ؛ إضافة إلى نجاح الغزو الصليبي في إقامة مستعمرات صليبية في بلاد الشام، ومن ثم سهولة تغلغل الغزو المغولي في تدمير الدول الإسلامية في شرقي وشمال العالم الإسلامي والقضاء على الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ، ناهيك عن رجحان كفة القوى النصرانية في بلاد الأندلس مما أدى إلى سقوطها نهائياً سنة ٨٩٧ هـ .

م	الخليفة	خلافته	أبرز الأحداث في عهده	نهايته
١	المتوكل على الله جعفر بن المعتصم	٢٣٢ – ٢٤٧ هـ	رد للإمام أحمد بن حنبل اعتباره وجعله من المقربين إليه، بعد أن اضطُهد في عهد المأمون والمعتصم والواثق؛ لعدم إقراره القول بخلق القرآن.	توفي
٢	المنتصر بالله محمد بن المتوكل	٢٤٧ – ٢٤٨ هـ	حاول التصدي للنفوذ التركي بكل حزم، ومن مآثر المنتصر بالله، خلال مدة حكمه القصيرة، إحسانه إلى العلويين .	قتل مسموماً
٣	المستعين بالله أحمد بن المعتصم	٢٤٨ – ٢٥٢ هـ	قيام الدولة الزيدية العلوية بطبرستان سنة ٢٥٠هـ = ٨٦٤م، على يد الحسن بن زيد العلوي الملقب بالداعي الكبير، واستمرت هذه الدولة حتى سنة ٣١٦هـ = ٩٢٨م .	قتل
٤	المعتز بالله محمد أبو عبد الله ابن المتوكل	٢٥٢ – ٢٥٥ هـ	قيام الدولة الصفّارية في فارس بزعامة يعقوب بن الليث الصفّار، وذهاب أحمد بن طولون إلى مصر سنة ٢٥٤هـ = ٨٦٨م نائباً عن واليها، وقيام ثورة الزنج .	قتل
٥	المهتدي بالله محمد بن الواثق ابن المعتصم	٢٥٥ – ٢٥٦ هـ	سيطرة الزنج على بعض المدن المهمة في العراق، مثل البصرة وواسط والأهواز، ووصولها إلى البحرين (هجر)، وارتكابها مذابح بشعة ضد السكان الآمنين،	توفي
٦	المعتمد على الله أحمد بن المتوكل ابن المعتصم	٢٥٦ – ٢٧٩ هـ	عُرف باسم صحوة الخلافة في العصر العباسي الثاني، وتم القضاء على فتنة الزنج .	توفي
٧	المعتضد بالله أحمد ابن الموفق طلحة ابن جعفر المتوكل	٢٧٩ – ٢٨٩ هـ	قضى على ثورة الخوارج في الموصل بزعامة هارون بن عبد الله الشاري الذي وقع في الأسر، وضرب عنقه سنة ٢٨١ هـ ، وظهور قرامطة البحرين – وإعلان الدعوة العبيدية في المغرب، وظهور البرقعي بالأهواز.	توفي

م	الخليفة	خلافته	أبرز الأحداث في عهده	نهايته
٨	المكتفي بالله أبو محمد علي ابن المعتضد	٢٨٩ – ٢٩٥ هـ	ازدياد خطر القرامطة وتهديدهم للشام والحجاز واليمن، وجرت على أيديهم مذابح بشعة ضد حجاج بيت الله الحرام وعامة الناس، ونشروا الفزع في أنحاء العالم الإسلامي.	توفي
٩	المقتدر بالله أبو الفضل جعفر ابن محمد	٢٩٥ – ٣٢٠ هـ	تدهورت الأوضاع في عهده لصغر سنه، وازداد خطر القرامطة سنة ٣١٧هـ، حينما دخلوا مكة وقتلوا الحجاج في المسجد الحرام، واستولوا على الحجر الأسود وأخذوه إلى مركزهم الرئيس في القطيف.	خلع
١٠	القاهر بالله أبو منصور محمد ابن المعتضد	٣٢٠ – ٣٢٢ هـ	ظهور النفوذ البويهي في بلاد فارس سنة ٣٢١ هـ = ٩٣٣م، وكان ذلك مقدمة لامتداد نفوذهم إلى العراق وسيطرتهم على مقاليد الأمور هناك في سنة ٣٣٤هـ.	خلع
١١	الراضي بالله أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد	٣٢٢ – ٣٢٩ هـ	انقطع الحج من بغداد في عهده بسبب القرامطة، وظهر في الدولة منصب أمير الأمراء. وظهور الخلافة الأموية في الأندلس. وازدادت الحركات الاستقلالية عن الدولة.	توفي
١٢	المتقي لله أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر	٣٢٩ – ٣٣٣ هـ	سلسلة من الصراع بين كبار رجال الدولة على منصب أمير الأمراء، مما أضاف مزيداً من الاضطراب والفوضى إلى الأوضاع الداخلية، فازداد الوضع سوءاً.	خلع
١٣	المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله ابن علي المكتفي	٣٣٣ – ٣٣٤ هـ	تدهورت الأحوال الداخلية في عهده بشكل غير مسبوق؛ فتطلع البويهيون إلى بسط سلطانهم على العراق، وقد نجحوا في ذلك سنة ٣٣٤هـ.	توفي
١٤	المطيع لله الفضل ابن جعفر المقتدر	٣٣٤ – ٣٦٣ هـ	خرج في الكوفة المتبرقع وادعى أنه هاشمي سنة ٣٥٣ هـ، وكانت الدولة منشغلة بحروب الحمدانيين في الموصل، وفي الديلم خرج عبد الله بن محمد ابن الحسين مدعياً الهاشمية.	توفي

م	الخليفة	خلافته	أبرز الأحداث في عهده	نهايته
١٥	الطائع لله عبدالكريم بن الفضل المطيع، أبو بكر	٣٦٣ – ٣٨١ هـ	كان شديد الميل إلى الطالبيين، سقطت هيبة الخلافة في أيامه جداً حتى هجاه الشعراء. استطاع العبيديون الشيعة الاستيلاء على الحرمين الشريفين .	توفي
١٦	القادر بالله أحمد ابن إسحاق المقتدر	٣٨١ – ٤٢٢ هـ	عرف بالتقى والصلاح والعلم، صنف كتاباً في فضل الصحابة، وإكفار من قال بخلق القرآن، واستتاب القادر فقهاء المعتزلة، فتبرؤوا من الاعتزال والرفض .	توفي
١٧	القائم بأمر الله عبد الله بن القادر	٤٢٢ – ٤٦٧ هـ	عرف بالصلاح والتقى وظهرت فتنة البساسيري مما أدى إلى استنجاده بالسلاجقة، ودخل طغرل بك بغداد سنة ٤٧٧ هـ .	توفي
١٨	المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد ابن القائم	٤٦٧ – ٤٨٧ هـ	ظهور الإسماعيلية في قلعة آلموت في جنوبي بحر قزوين، وانتصر المسلمون في ملاذكرد، وفي الأندلس حقق المسلمون نصراً عظيماً في موقعة الزلاقة سنة٤٧٩ هـ .	أخرج من بغداد
١٩	المستظهر بالله أحمد بن المقتدي	٤٨٧ – ٥١٢ هـ	بداية الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي سنة ٤٨٩ هـ، وبداية تأسيس الإمارت الصليبية في بلاد المسلمين .	قتل
٢٠	المسترشد بالله الفضل بن المستظهر	٥١٢ – ٥٢٩ هـ	أحيا دور الخلافة العباسية وحاول إعادة هيبتها؛ قتله الإسماعيلية غيلة قال منصور بن إسماعيل الفقير يوم أسره: فَلا عجبٌ للأُسد أن ظَفرت بها ... كلابُ الأعادي من فصيح وأعجَم فحربةُ وحشيٍّ سقت حمزةَ الرّدى ... ومَوتُ عليٍّ من حُسام ابْنِ مُلجمِ	قتل
٢١	الراشد بالله منصور ابن المسترشد	٥٢٩ – ٥٣٠ هـ	كان أديباً شجاعاً جواداً حسن السيرة، محباً للعدل مؤثراً السلامة؛ لكن الباطنية الإسماعيلية هي من نفذت قتله.	قتل

م	الخليفة	خلافته	أبرز الأحداث في عهده	نهايته
٢٢	المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر	٥٣٠ – ٥٥٥ هـ	استطاع عماد الدين زنكي استرداد الرها من أيدي الصليبيين، وفي عهده بدأ الضعف ينخر في جسد الدولة العبيدية.	توفي
٢٣	المستنجد بالله يوسف بن المقتفي	٥٥٥ – ٥٦٦ هـ	عرف بالتقى والصلاح والعدل وحب الأدب، قال شعراً: عيرتني بالشيب وهو وقار ليتها عيرتني بما هو عار إن تكن شابت الذوائب مني فالليالي تزينها الأقمار	توفي
٢٤	المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد	٥٦٦ – ٥٧٥ هـ	محباً للسُّنَّة قامعاً للبدعة، قال الذهبي: في أيامه ضعف الرفض في بغداد ووهى، قضى صلاح الدين الأيوبي على دولة العبيديين في مصر.	توفي
٢٥	الناصر لدين الله أحمد بن الحسن المستضيء بالله	٥٧٥ – ٦٢٢ هـ	انتصار المسلمين العظيم على الصليبيين في حطين سنة ٥٨٣هـ، واسترداد بيت المقدس. وقوي أمر خوارزمشاه واسقطوا السلاجقة .	أخرج من بغداد
٢٦	الظاهر بأمر الله أحمد بن المقتدي	٦٢٢ – ٦٢٣ هـ	أعاد سُنَّة العمرين، حيث أعاد الأموال المغصوبة، والأملاك المأخوذة في أيام أبيه وقبلها شيئاً كثيراً، وأبطل المكوس، وأزال المظالم.	توفي
٢٧	المستنصر بالله منصور بن الظاهر	٦٢٣ – ٦٤٠ هـ	أحيا دور الخلافة العباسية وحاول إعادة هيبتها؛ وضع في بغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة، وجعل فيها دار حديث وحماماً ودار طب.	توفي
٢٨	المستعصم بالله عبد الله بن منصور المستنصر بالله	٦٤٠ – ٦٥٦ هـ	استجاب لنصيحة ابن العلقمي بتقليل الجند، ومصانعة المغول وإكرامهم، حتى سقطت بغداد في أيدي القائد (هولا كو).	قتله المغول

في عهد الخلافة العباسية استقلَّت بعض الدول عنها استقلالاً تاماً، بينما أخذ بعضها يتجه نحو استقلال جزئي تصبح البلاد فيه تابعة للخلافة اسماً (فقط) بحيث تستمد منها مكانتها الروحية وقدرها العظيم في نفوس المسلمين.

ويقف المؤرخون والمحللون أمام قيام بعض الدول وانهيار أخرى وقفات تأملية يبحثون عن الأسباب والعوامل التى أدت إلى قيام هذه وانهيار تلك.

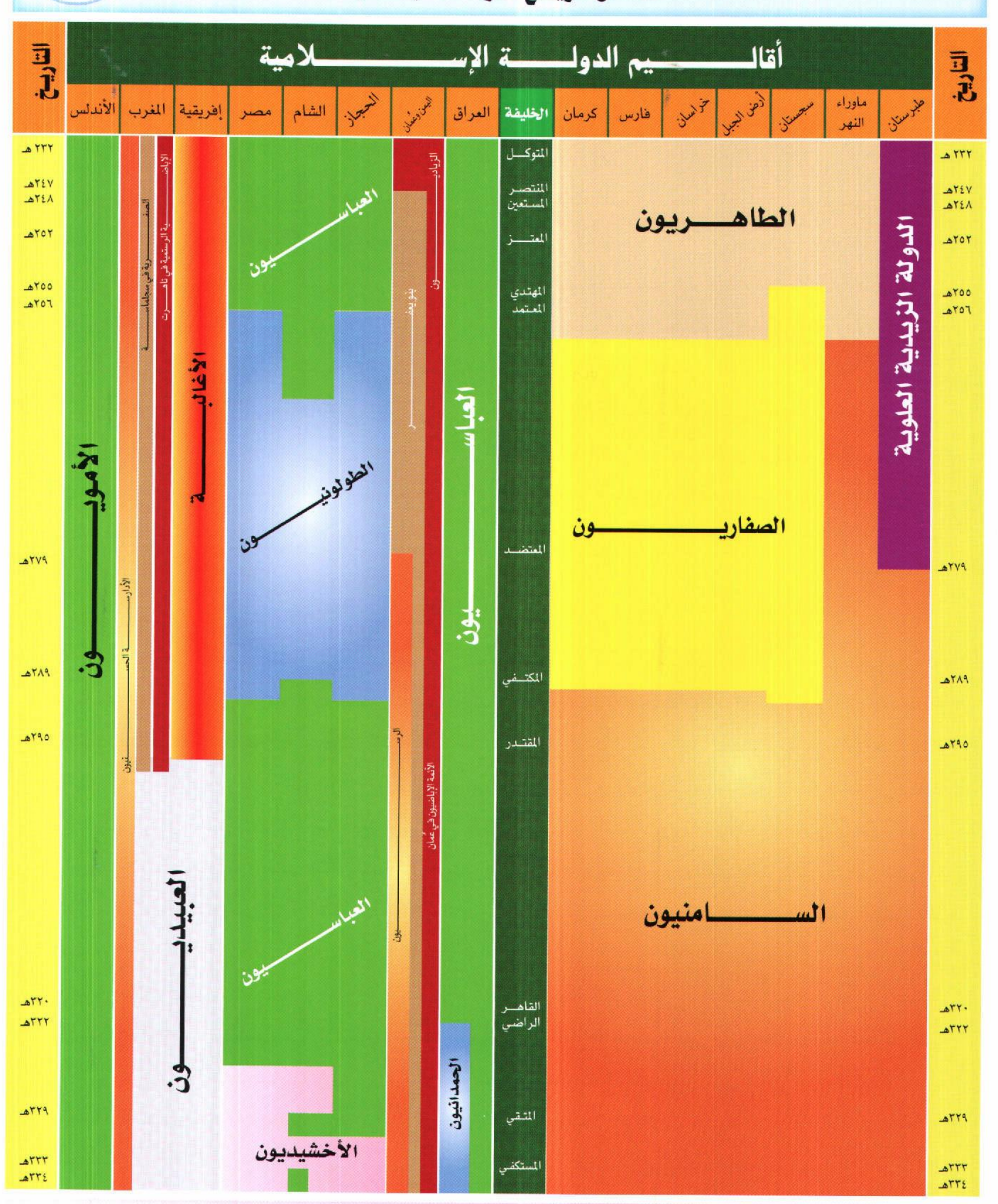
وعلى كلٍّ، فقد كان قيام الدويلات نتيجة لضعف الخلافة، وسبباً لمزيد من الانحلال، وخطوة على طريق النهاية، لقد قامت أولى هذه الدويلات - كما تطرقنا في الباب الثاني من هذا الأطلس - في أقصى الغرب؛ لبعده عن عاصمة الدولة، ومركز السلطان فيها، فقامت دولة الأمويين في الأندلس، وبقيامها في سنة ١٣٨ هـ/٧٥٦م ضعف نفوذ العباسيين على الغرب، وسرعان ما نشأت الدويلات في شمال إفريقيا.

وحين تطرق الضعف إلى جسد الخلافة العباسية جميعاً، نشأت الدويلات في بقية أجزاء الدولة، وقد تسببت هذه الدول في ضعف الدولة العباسية وانحلالها؛ ذلك لأنَّ علاقة هذه الدويلات بالدولة العباسية كانت مختلفة اختلافاً كبيراً، فقد انفصل بعضها عن الدولة انفصالاً تامّاً، ونافسها بعضها على تولي الخلافة نفسها.

كما ظل قسم آخر على علاقة اسمية بالدولة، فيكفي الخليفة أن يذكر اسمه على المنابر، ويصك اسمه على العملة، وفي حقيقة الأمر أنها دولة مستقلة تماماً لا تخضع له في شيء. وهناك دويلات ظلت على صلة متغيرة بالدولة، تقوى حيناً، وتضعف حيناً آخر تبعاً لتغير الأحوال.

العلاقات بين الدول المستقلة والخلافة العباسية

علاقة ولاء وتبعية	علاقة تبعية مع قدر من الاستقلال الذاتي	علاقة متقلبة حسب المصالح	علاقة عدائية واضحة
وقد قامت دول هذا النوع بتوجيه وإذن من الخلافة العباسية لتحقيق مصالح معينة للدولة العباسية مثل: دولة الأغالبة في تونس، والدولة الطاهرية في خراسان، والدولة الإخشيدية في مصر والشام.	وقد قامت دول هذا النوع دون إذن الخلافة مع استمرارها بالاعتراف بالخلافة العباسية والدعاء للخليفة العباسي فوق المنابر وسك العملة باسمه مثل: الدولة الحمدانية في الموصل والشام، والدولة الغزنوية في الهند، والدولة الأيوبية في مصر والشام، ودولة المرابطين والموحدين في المغرب.	مثل الدولة الطولونية في مصر، والدولة الصفارية في خراسان، والدولة الخوارزمية في بلاد ما وراء النهر.	وذلك بسبب العداء الدائم الذي يرتكز على تناقض في المصالح السياسية مثل: الدولة الأموية في الأندلس، والدولة الإدريسية في المغرب، أو على الأسس المذهبية في المعتقد مثل الدولة العبيدية الشيعية في إفريقية ومصر.



مصفوفة زمنية للإمارات السياسية في عهد القادة الأتراك خلال العصر العباسي الثاني

بتصرف من كتاب التاريخ الإسلامي للشيخ / محمود شاكر

العصر العباسي الثاني:

أولاً: عصر النفوذ التركي (٢٣٢ - ٣٣٤ هـ / ٨٤٧ - ٩٤٦ م)

يبدأ العصر العباسي الثاني (عصر نفوذ الأتراك) بخلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م، وينتهي في ٣٣٤ هـ/ ٩٤٦م، في خلافة المستكفي بالله عبدالله بن المكتفي بن المعتضد.

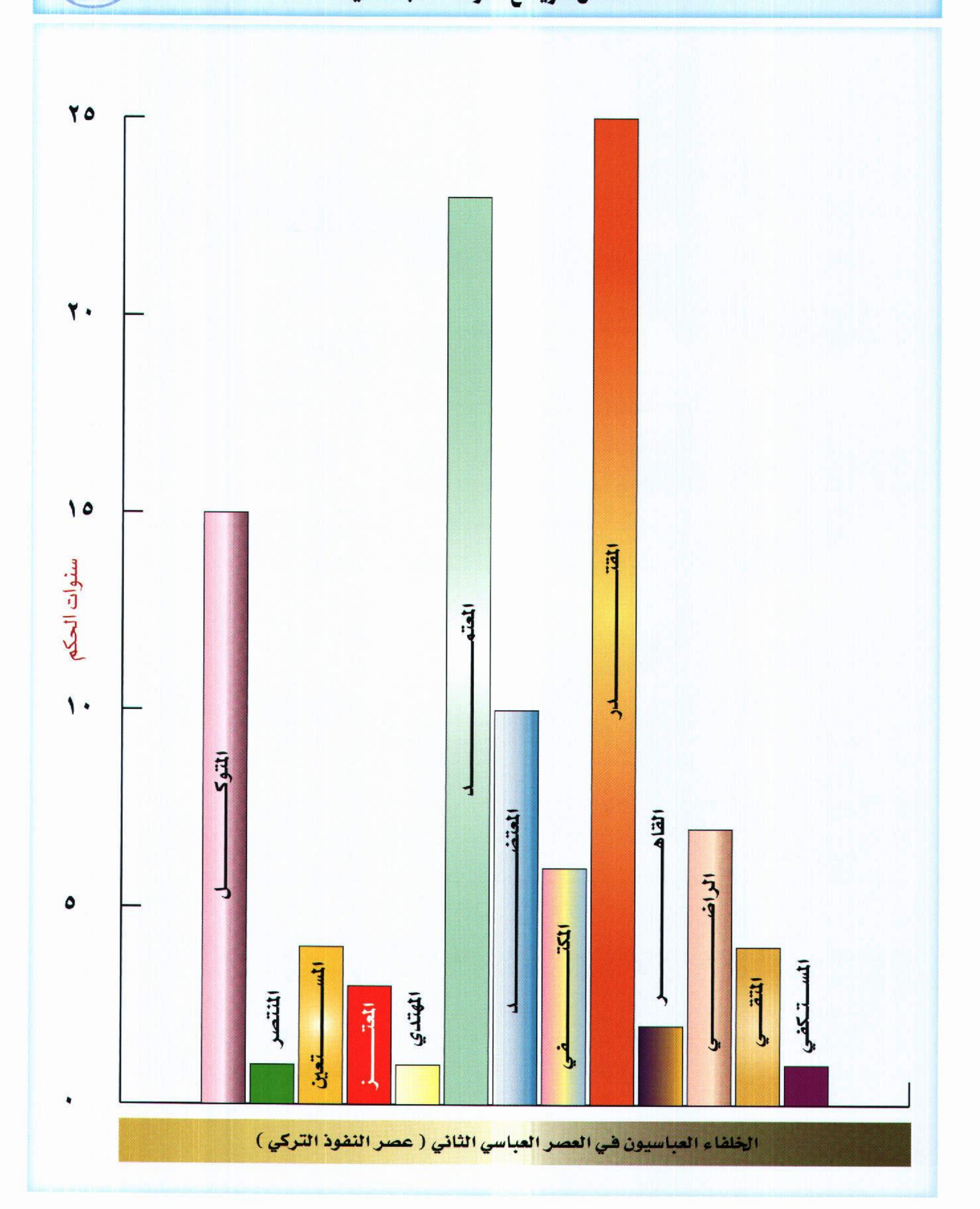
ويعرف العصر العباسي الثاني بعصر "نفوذ الأتراك" حيث برز العنصر التركي، واستأثر بالمناصب الكبرى في الدولة، وسيطر على الإدارة والجيش. وقد تمت الاستعانة بهذا العنصر التركي المجلوب من إقليم "تركستان" و"بلاد ما وراء النهر"، منذ عهد المأمون والمعتصم في العصر "العباسي الأول".

وظهرت بوادر هذا الضعف في مستهل هذا العصر الذي تختلف ملامحه عن العصر العباسي الأول، فبعدإقدام القادة الأتراك على **قتل الخليفة المتوكل على الله** في الخامس عشر من شهر شوال سنة ٢٤٧ هـ، لهو تأكيد على استبداد القادة بالسلطة، وكيف أصبح الخليفة طوع إرادتهم وأسير هواهم، وقد عبر عن ذلك شاعر فقال:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

وقد أصبح مصير الخلافة في أيديهم، فمن شاءوا خلعوه ثم قتلوه، ومن شاءوا ألزموه خلع نفسه وسملوه وصادروا أمواله. وحين خلع الخليفة أحمد المستعين بالله، وهو أول خليفة خلع، لم يلبث أن قتل بعد خلعه. وشهدت خلافة المستعين بالله قيام **الدولة الطاهرية** في خراسان، كما استقلت طبرستان تحت حكم **الدولة العلوية** بزعامة الحسن بن زيد الملقب بـ**«الداعي إلى الحق»**، وحصرت وظيفة السلطان بعائلة بغا التركي، مما مهد لظهور الفتن بين الأتراك أنفسهم، فحاصر المتمردون قصر الخليفة في سامراء فهرب إلى بغداد، عندها بايع الجند الثوّار المعتز بالله خليفة، فأرسل جيشاً بخمسين ألف مقاتل إلى بغداد، التي قام أهلها بخلع المستعين ومبايعة المعتز، حقناً للدماء، بل إن المستعين نفسه بايع المعتز، إلا أن الخليفة الجديد قتل سلفه.

وفي خلافة المعتز بالله قامت **الدولة الطولونية** في مصر، والتي لم تترك للخليفة سوى الخطبة والسكة، واستولى **يعقوب الصفار** على بلاد فارس، مما دفع المؤرخ محمد فريد بك للقول بإن أملاك الخلافة العباسية لا تزيد عن ربع ما كانت قبلاً لدولة بني أمية. ورغم مسالمة المعتز للأتراك وتعيين من شاؤوا في مناصب الدولة العليا، إلا أنهم قد خلعوه عام ٢٥٦ هـ لتردي الوضع الاقتصادي ونضوب خزينة الدولة، وبايعوا المهتدي بالله بن الواثق بالخلافة، وقد مات المعتز في سجنه من العطش والجوع. وهكذا توالت الفواجع على بني العباس خلال هذه الحقبة كما سيتضح لنا من خلال المرتسمات والتعليقات القادمة في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

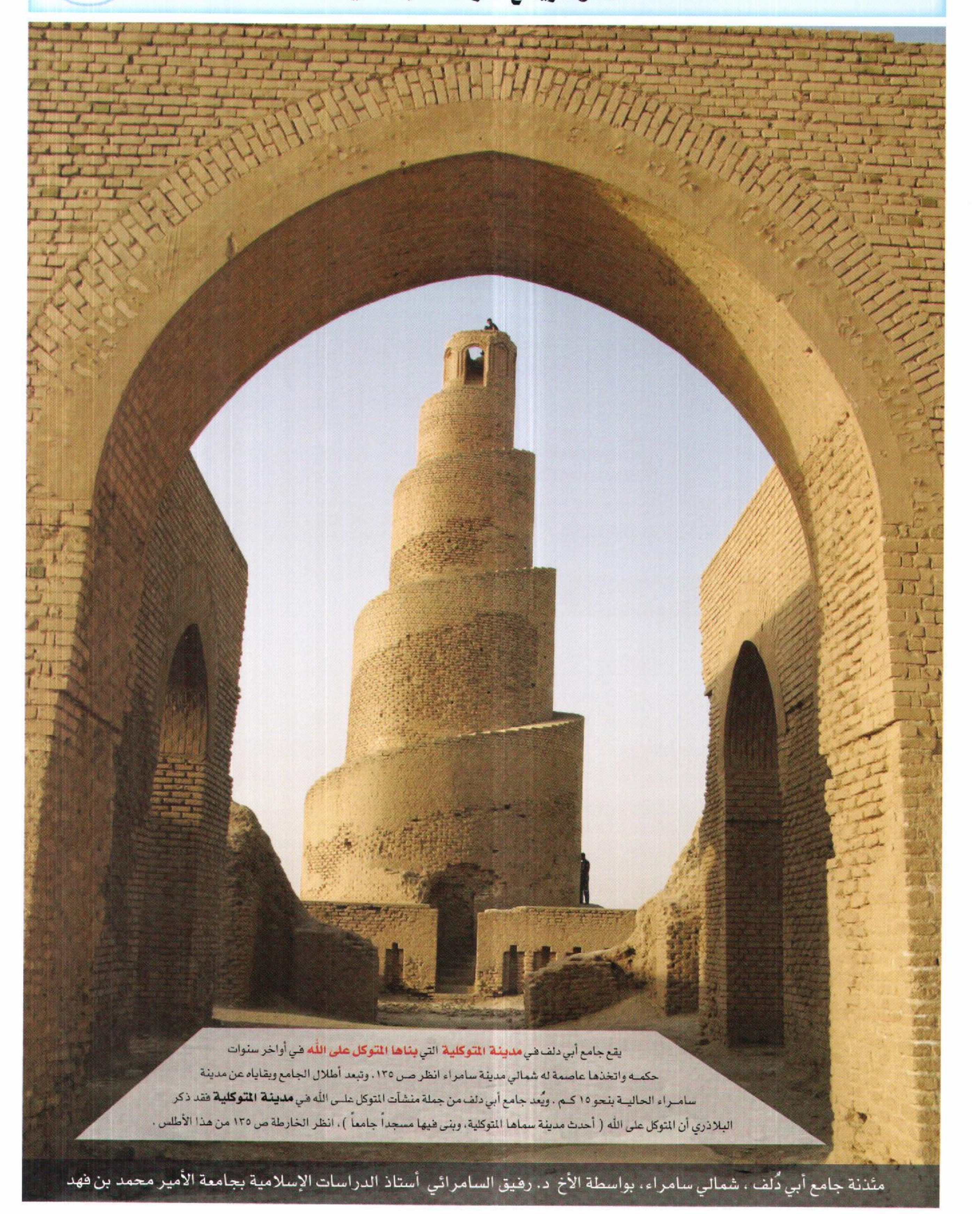

٢٥
٢٠
١٥
١٠
٥
٠
سنوات الحكم
المتوكل
المنتصر
المستعين
المعتز
المهتدي
المعتمد
المعتضد
المكتفي
المقتدر
القاهر
الراضي
المتقي
المستكفي
الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الثاني (عصر النفوذ التركي)

نجح **المتوكل على الله جعفر بن المعتصم** ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٧ - ٨٦١م، في البداية في التخلص مـن أخطـر العناصر التركية في عهده، وهـو **إيتاخ** الذي استفحـل خطره حتى إنه همَّ يومـاً بقتل الخليفة المتوكل حين تبسّط معه في المزاح، لكن الخليفة نجح في التخلص منه سنة ٢٣٥هـ = ٨٤٩م، كما عزم على التخلص من قادة الأتراك ووجوههم، مثل وصيف وبُغا، إلا أنهما استغلوا ما بينه وبين ابنه وولي عهده محمد المنتصـر من خـلاف وجفوة، ودبروا مؤامرة انتهـت بقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقـان في الخامس من شوال سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١ م، وبايعوا ابنه المنتصر خليفة.

وقـد استطـاع المتوكل في عهده أن يظفر بمكانة عظيمة في قلوب جماهير المسلمين، حين منع النقاش في القضايـا الجدليـة التي أثارهـا المعتزلة، **مثل قضـية خلق القرآن**، كمـا رد للإمام **أحمـد بن حنبل** اعتبـاره وجعله مـن المقربين إليه، بعد أن اضطُهد فــي عهد المأمون والمعتصم والواثـق؛ لعدم إقراره القول بخلق القرآن، كما أمر المتوكل الفقهاء والمحدّثين أن يجلسوا للناس ويحدثوهم بالأحاديث التي فيها رد على المعتزلـة فأثنى الناس عليه، حتى قالـوا: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق قاتل أهل الرِّدَّة حتى استجابوا له، وعمر بن عبد العزيز رد مظالم بنى أمية، والمتوكل قمع البدع وأظهر السُّـنَّة.

وكان المتـوكل علـى الله قد أمر سنة ٢٣٦ هـ بهدم **ضـريح الحسـين بن علـي** - رضي الله عنهما - في كربـلاء وهذا نص الطبري فــي تاريخه: (هدم قبر الحسين وما حوله، وحرث وإسقاء وضع القبر) أ. هـ، أما ما ذكره ابن الأثير في الكامل مؤكداً على بغض المتوكل لعلي وأهل بيته، بل كان يبغض من كان محباً لعلي من الخلفاء قبله ؟ وهل صحيح أن « ندماء المتوكل كانوا مشهورين بالبغض لعلي ؟ هذا فيض من غيض من تحامـل ابـن الأثير على المتوكل ؟! وإذا كان الإمام أحمد من مستشاري المتوكل فهل لهذا اكتفى بالإشارة إلى وفاتـه مجـرد إشارة وهـو علم من علماء المذاهب السنيـة الأربعة وعلماء الحديث النبـوي ؟ !. ووصف ابن الأثـير المتوكل بأن فيه (نصب) - والعياذ بالله - وهـذا أمر غاية في الخطورة، فهل سليل العباس بن عبد المطلب يعادي ابن عمه علي بن أبي طالب من الناحية العقدية (إن هذا لظلم عظيم)؛ وهل يستحق من ابن الأثـير أن يقـول عنـه : « إن هذا من الأسباب التـي استحل بها المنتصر قتله ! ويقـول: إن هذه السيئة غطت جميـع حسناتـه ؟ ! وهـو الخليفـة الذي أثنى عليـه طائفة من العلمـاء، فقال : خليفة بـن خياط (ت ٢٤٠ تقريباً) :استخلف المتوكل فأظهر السنة - وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وبسط السنة ونصر أهلها .

وقال ابن خلكان : رفع المحنة في الدين وأخرج أحمد بن حنبل من الحبس وخلـع عليه. وقال ابن تيمية : « وفــي أيـام المتوكل عز الإسـلام حتى ألزم أهل الذمـة بالشروط العمرية، وألزموا الصغـار، فعزت السنة والجماعة، وقمعت الجهمية والرافضة ونحوهم » .



يقع جامع أبي دلف في **مدينة المتوكلية** التي **بناها المتوكل على الله** في أواخر سنوات حكمـه واتخذها عاصمة له شمالي مدينة سامراء انظر ص ١٣٥. وتبعد أطلال الجامع وبقاياه عن مدينة سامـراء الحاليـة بنحو ١٥ كـم . ويُعد جامع أبي دلف من جملة منشآت المتوكل علـى الله في **مدينة المتوكلية** فقد ذكر البلاذري أن المتوكل على الله (أحدث مدينة سماها المتوكلية، وبنى فيها مسجداً جامعاً) ، انظر الخارطة ص ١٣٥ من هذا الأطلس .

مئذنة جامع أبي دُلف ، شمالي سامراء، بواسطة الأخ د. رفيق السامرائي أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير محمد بن فهد


أبرز فرق الشيعة في العصر العباسي
١ علي بن أبي طالب رضي الله عنه
فاطمة الزهراء رضي الله عنها
خولة الحنفية رضي الله عنها
٢ الحسن
٣ الحسين (شهيد كربلاء)
محمد ابن الحنفية
غيبة كيسانية
زيد بن الحسن
الإمامة - عند الإمامية - واقفة على الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .
ملاحظة : لا يدخل الاثنا عشرية أبناء الحسن بن علي - رضي الله عنهما - معهم في الإمامة .
الكيسانية
الهاشمية : ترى أن محمد ابن الحنفية مات والإمام بعده عبد الله بن محمد ابنه وكان يكنى أبا هاشم وهو أكبر ولده وإليه أوصى أبوه فسميت هذه الفرقة الهاشمية بأبي هاشم .
عبد الله بن محمد ابن الحنفية
الهاشمية (فرقة)
٤ علي زين العابدين (السجاد)
زيد بن علي
٥ محمد الباقر
الجارودية
السليمانية
البترية
الزيدية
٦ جعفر الصادق
ملاحظة : لا يُدخل الاثنا عشرية إسماعيل بن جعفر رقم (٧) مكرر معهم في الإمامة.
٧ إسماعيل بن جعفر
٧ موسى الكاظم
الإسماعيلية
الاثنا عشرية (الإمامية)
٨ - أحمد (الوافي)
٧ - محمد بن إسماعيل المكتوم (غيبة السبعية)
مذاهب أصبحت عقائد مستقلة :
البهائية
البابية
الدرزية
الأصولية
الشيخية
الإخبارية
٨ علي الرضا
٩ محمد الجواد
١٠ علي الهادي
١١ حسن العسكري
١٢ محمد المهدي
١١ - عبيد الله المهدي (العبيديون - الفاطميون)
١٠ - عبد الله (الزكي)
٩ - محمد (التقي)
١٣ - المنصور إسماعيل
١٢ - القائم بأمر الله القاسم
١٦ - الحاكم بأمر الله
١٥ - العزيز بالله نزار
١٤ - المعز لدين الله
١٩ - نزار بن المستنصر بالله
١٨ - المستنصر بالله
١٧ - الظاهر علي
٢١ - الطيب ابو القاسم (إمام مستور)
٢٠ - علي بن نزار (الهادي)
الدروز : وهم يسوقون الامامة إلى الحاكم بأمر الله (السادس عشر) ، ثمّ يقولون بغيبته وينتظرون ظهوره.
النزارية : وهؤلاء يسوقون الإمامة إلى المستنصر بالله، ثمّ يقولون بإمامة ابنه الآخر نزار ، وقد انقسمت النزارية إلى : مؤمنية وقاسمية المعروفة بالآغاخانية.
النزارية
وجد في قلعة آلموت
العلويون « النصيرية » : طائفة من الشيعة الإمامية، تنسب إلى محمد بن نصير النميري. عقيدتهم هي نفس العقيدة الإمامية الجعفرية ولهم نفس تسلسل الأئمة الاثنا عشر وقد افترقوا عن الاثنا عشرية ما بعد الإمام الحادي عشر الحسن العسكري، وكان الاختلاف في المرجعية والزعامة وفي بعض الأمور التي جرت عليها العادة عند الإمامية.
صاحب الغيبة في سرداب سامراء
مدة إمامته ممتدة لأن الشيعة الاثنا عشرية يعتقدون أنه حي ومرتقب الظهور . انظر الصفحة المقابلة من هذا الأطلس.



الترميمات الحديثة على ضريحي الامامين علي الهادي و الحسن العسكري في (مدينة سامراء) التي أنشأها الخليفة العباسي المعتصم بالله

ولادة الإمام المهدي وغيبته في سرداب سامراء عند الشيعة (الاثنا عشرية) - كما هي في معتقدهم ومصادرهم - .

أحاط الإمام العسكري (ع) ولادة الإمام المهدي (عج) بستار من السرية. كما أسهمت إرادة الله عز وجل في أن تكون ولادته معجزة إذ لم تظهر آثار الحمل على والدته "نرجس" إلاّ في الليلة التي وُلِدَ فيها صلوات الله عليه، وخَفِيَ أمر ولادته إلاّ على جماعة قليلة من الموالين المخلصين.. إحباط المخطط العباسي: تسلّم الإمام المهدي الإمامة الفعلية سنة ٢٦٠هـ. بعد وفاة والده الإمام العسكري (ع). وكان محاطاً بالسرّية التامة كما تقدّم، بحيث خفي أمره عن السلطة العباسية التي جهدت في إطفاء نوره عبر إعتقال زوجات الإمام العسكري في أشهر الحمل. بل خفي أمر ولادته حتى عن خادم بيت الإمام العسكري (ع). وأيضاً شاركت شخصية "جعفر الكذاب" عم الإمام المهدي (عج) في لعب دور مضلل ومدعوم من قبل السلطة التي قدّمته للصلاة على جنازة الإمام العسكري (ع) بصفته الوريث الشرعي الوحيد للإمام.

ولكن المفاجأة كانت عندما تقدّم فتىً في الخامسة من عمره يخرج من الدار ويأخذ برداء عمّه جعفر إلى الوراء قائلاً: "تأخر، فأنا أحق منك بالصلاة على أبي" فيتأخر جعفر من دون أن تبدر منه آية معارضة. وباءت جهود السلطة بالفشل. وأحبطت المخططات التي حاولت النيل من إمامة الإمام الحجة (عج) الغيبة الصغرى: ونتيجة لإلحاح السلطة الحاكمة على تعقّب الإمام المهدي (عج) توارى الإمام عن الأنظار في غيبة سميت الغيبة الصغرى، وقد شغل منصب النيابة عن الإمام في إدارة شؤون الأمة ولمدة سبعين سنة أربعة نواب عرفوا بالسفراء، هم: ١- عثمان بن سعيد العمري. ٢- محمد بن عثمان بن سعيد العمري. ٣- أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي. ٤- أبو الحسن علي بن محمد السمري. وقد قام السفراء الأربعة بجهود عظيمة في سبيل الحفاظ على خط ونهج أهل البيت (ع) من خلال المحافظة على بقاء الإمام (ع) في الخفاء إلا في الحالات الضرورية. وإزالة الشكوك التي أثيرت بشأن المهدي (عج) والتصدي للغلاة.. فعملوا على تهيئة أذهان الأمة وتوعيتها لمفهوم الغيبة الكبرى وتعويد الناس تدريجياً على الاحتجاب، بالاضافة إلى رعاية شؤون الأمة والتوسط بينها وبين الإمام..

الغيبة الكبرى: إمتدت الغيبة الصغرى منذ وفاة الإمام العسكري (ع) سنة ٢٦٠هـ. حتى سنة ٣٢٩هـ. وبعد أن حققت الغيبة الصغرى أهدافها فحصّنت الشيعة من الانحراف وجعلتهم يتقبلون فكرة النيابة التي تحوّلت من أفراد منصوص عليهم إلى خط عام هو خط المرجعية... بدأت الغيبة الكبرى التي ستمتد حتى يأذن الله تعالى!؟. موقع كربلاء لازالت كرب وبلاء، منتدى الوداد على الشبكة العنكبوتية.

الدولة الزيدية في طبرستان

يُعد الحسن الزيدي مؤسس **أول دولة للشيعة الزيدية** في التاريخ الإسلامي في منطقة طبرستان وجرجان في شمال غربي إقليم خراسان، والأمير الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وجده إسماعيل أخو السيدة نفيسة نزيلة القاهرة والمشهورة بين أهلها.

وُلد «الحسن» في مدينة «الري» ونشأ فيها وظل مقيماً فيها حتى **سنة ٢٥٠ هـ**، وهي السنة التي ظهر فيها الحسن «الزيدي» وكان سبب ظهوره، أن والي منطقة **طبرستان** قد أساء السيرة مع أهلها وتمادى في غيه معهم، فاعتدى على عشيرة الديلم وهم مسالمون لأهل طبرستان، فاتفق الديلم والطبريون على خلع طاعة هذا الوالي الظالم، واستدعاء رجل من آل البيت ليبايعوه ويولوه عليهم، وبالفعل تم استدعاء «الحسن الزيدي» من «الري» وبايعه الجميع وأطاعوه، وأخرجوا عمال الخليفة من منطقتهم.

خاض الحسن الزيدي معارك كثيرة ضد والي خراسان «محمد بن عبد الله ابن طاهر» لعدة سنين استطاع خلالها «الحسن» أن ينتصر على جيوش الخلافة، بل ويضم منطقة **جرجان** إليه، واستفحل أمره حتى أخذ أيضاً **«الري»** مسقط رأسه، وقد ساعده على القيام والبقاء انشغال الخلافة العباسية بالعديد من الفتن العاتية مثل فتنة **صاحب الزنج** وحالة الفوضى الداخلية حيث تعاقب العديد من الخلفاء على منصب الخلافة في حقبة وجيزة، والحصانة الطبيعية لطبرستان.

لم تكن دولة «الحسن الزيدي» دولة شيعية صرفة أو حتى تجبر السكان على التشيع كما فعلت دول أخرى مثل الدولة الصفوية الطائفية، بل كانت دولة تميل إلى التشيع وفقاً لمبادئ المذهب الزيدي الذي وضعه «زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب» وقد لقب «الحسن» باسم «الداعي» ذلك لأنه أخذ في نشر الإسلام في قبائل الديلم والأتراك. توفي الحسن الزيدي في ٧ شعبان ٢٧٠هـ. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

أصول الزيدية العلوية

ترجع الزيدية إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهما (٨٠-١٢٢هـ/٦٩٨-٧٤٠م)، قاد ثورة شيعية في العراق ضد الأمويين أيام هشام بن عبد الملك، فقد دفعه أهل الكوفة لهذا الخروج ثم ما لبثوا أن تخلوا عنه وخذلوه عندما علموا بأنه لا يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر ولا يلعنهما، بل يترضى عنهما، فاضطر لمقابلة جيش الأمويين وما معه سوى ٥٠٠ فارس حيث أصيب بسهم في جبهته أدى إلى وفاته عام ١٢٢هـ.

تنقل في البلاد الشامية والعراقية باحثاً عن العلم أولاً وعن حق أهل البيت في الإمامة ثانياً، فقد كان تقياً ورعاً عالماً فاضلاً مخلصاً شجاعاً وسيماً مهيباً مُلماً بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. تلقى العلم والرواية عن أخيه الأكبر محمد الباقر الذي يعد أحد الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية. اتصل بواصل بن عطاء رأس المعتزلة وتدارس معه العلوم، فتأثر به وبأفكاره التي نقل بعضها إلى الفكر الزيدي، وإن كان هناك من ينكر وقوع هذا التتلمذ، وهناك من يؤكد وقوع الاتصال دون التأثر.

المرجع السابق



على مدى عشرين سنة من حكم **الحسن بن زيد** قامت قواته بمهاجمة مناطق الري، زنجان، وقزوين، وفي عام الثورة نفسه بعث الحسن أحد العلويين ويدعى محمّد بن جعفر إلى الري، ولكنّه وقع في قبضة الطاهريين وفي سنة (٢٥١هـ) انتفض الحسن بن أحمد العلوي في قزوين، وتمكّن من طرد المسؤولين الحكوميين التابعين للطاهريين. كما ثار أخوه الحسين بن زيد في منطقة لارجان وقصران شمال الري (طهران حالياً) وأخذ البيعة لأخيه الحسن، يقول الطبري في أحداث سنة (٢٥٠ هـ) « فاجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان الرّي إلى حدّ همدان ».

الدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠هـ/ ٨٦٨-٩٠٣م)

قضى **يعقوب بن الليث الصفار** على الدولة الطاهرية، وأقام دولته على أنقاضها، وقد لقب بهذا اللقب؛ لأنه كان فى بداية أمره يحترف صناعة النحاس الأصفر بسجستان، ثم اشتهر بالفروسية، فتطوع لقتال الخوارج مع رجل صالح كان يظهر التطوع لقتال الخوارج في سجستان بجنوبي خراسان، فقاتل معه يعقوب، ثم مع من خلفه حين مات، فصار الأمر إليه، فراح **يحارب الخوارج** في **"سجستان"** معلناً ولاءه للخليفة المعتز، ومظهراً شجاعة خارقة في قتالهم حتى سيطر على سجستان، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وصار يمد نفوذه على الأقاليم المجاورة حتى ملك "هراة"، وكانت تابعة للدولة الطاهرية.

وقد توجه "الصَّفَّار" إلى "كِرْمَان"، وبسط نفوذه عليها، ثم توجه إلى فارس فأخذها بعد قتال عنيف مع غريمه "علي بن الحسين" الذى وقع أسيراً جريحاً في يده.

ولم يكتفِ بهذا، بل توجه إلى خراسان، وحاصر العاصمة "نيسابور" ودخلها سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م -خلافاً لما أمره بهِ الخليفة- بحجة أن أهل خراسان طلبوه للضعف الذي يعانيه الطاهريون في عهد الخليفة العباسي "المعتمد"، وقبض على جميع الطاهريين بها، واستولى على البلاد التي كان يحكمها الطاهريون.

وتقدم "الصّفار" في البلاد بعد أن هزم خصومه، وذهب إلى "طَبَرِسْتان" فدخلها سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م، وهزم صاحبها "الحسن بن زيد العلوي" الذى عاد إليها مرة أخرى في العام نفسه ٢٦١هـ/٨٧٥م.

ويدرك الخليفة خطره، فقد اتجه إلى بغداد، ولم يبْقَ في يد الخليفة إلا هي، بعد استيلائه على "الأهواز"، فأمر الخليفة أن يجهز جيشاً بقيادة أخيه الموفق لمواجهة "يعقوب"، وذلك في عام ٢٦٢هـ/ ٨٧٦م، ويشاء الله أن تدور الدائرة على يعقوب فيهزم، ولكن "المعتمد" يرى الاحتفاظ بولائه للخلافة، فمثله يمكن الاعتماد عليه في مواجهة الثورات والانتفاضات، فبعث إليه يستميله ويترَضّاه، ويقلده أعمال فارس وغيرها مما هو تحت يديه، ويصل رسول الخليفة إليه، وهو في مرض الموت، ولكن بعد أن كَوَّنَ دولة، وبسط سلطانه عليها.

ويظهر أخوه (عمرو) من بعده ولاءَهُ للخليفة، فيوليه الخليفة خراسان، وفارس، وأصبهان، وسجستان، والسند، وكرمان، والشرطة ببغداد، وكان "عمرو" كأخيه ذا أطماع واسعة، فانتهز فرصة تحسن العلاقة بينه وبين الخليفة وراح يتمم رسالة أخيه. لقد اتجه بنظره إلى إقليم ما وراء النهر الذى كان يحكمه السامانيون، ولكن قوتهم لا يستهان بها، فما العمل؟

كتب إلى الخليفة المعتضد ليساعده على تملك هذا الإقليم، ولكنْ على الباغي تدور الدوائر، وما طار طائر وارتفع إلا كما طار وقع، لقد هُزم عمرو بن الليث الصفار هزيمة ساحقة ماحقة، ووقع أسراً في أيدي السامانيين، وأرسل به إلى بغداد ليقضى عليه فيقتل سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م. ولم تكد تمر ثماني سنوات حتى كان السامانيون قد قضوا نهائياً على الصفاريين واستولوا على أملاكهم، والأيام دول[١].

---

١ - موقع التاريخ الإسلامي

الدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠هـ/ ٨٦٨-٩٠٣م)

الخلافة العباسية

الدولة الصفارية

سجستان

خراسان

إيران

أرض السند

الهند

طبرستان

تركمانستان

أوزبكستان

طاجكستان

أذربيجان

فارس

عمان

بحر العرب

بحر قزوين (الخزر)

خليج البحرين (الخليج العربي)

بحر أرال

زارنج • زابل • كرمان • زاهدان • مكران • كابول • هرات (هراة) • نيسابور • مرو الشاهجان • بخارى • سمرقند • طشقند • أصفهان • الأهواز • بيرجند • فرح

- الدولة الصفارية
- الدولة الزيدية بطبرستان

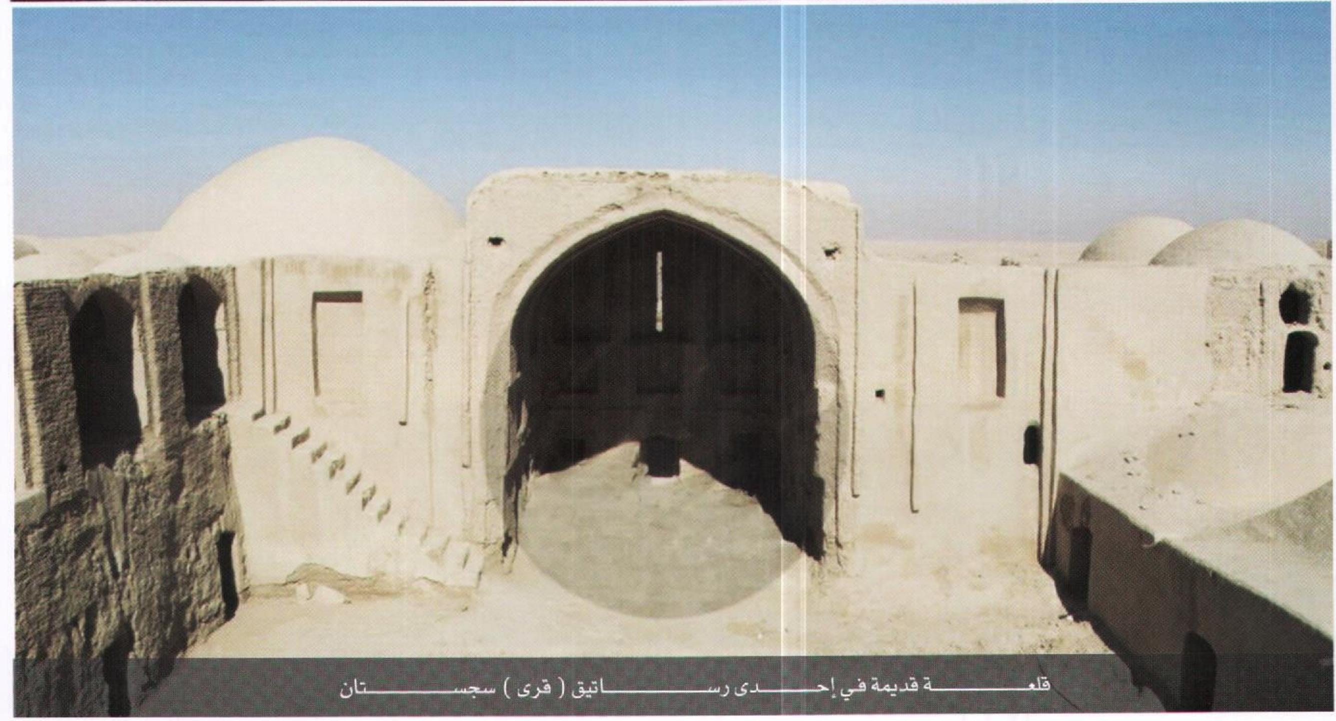
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ كم



درهم عباسي ضرب سجستان

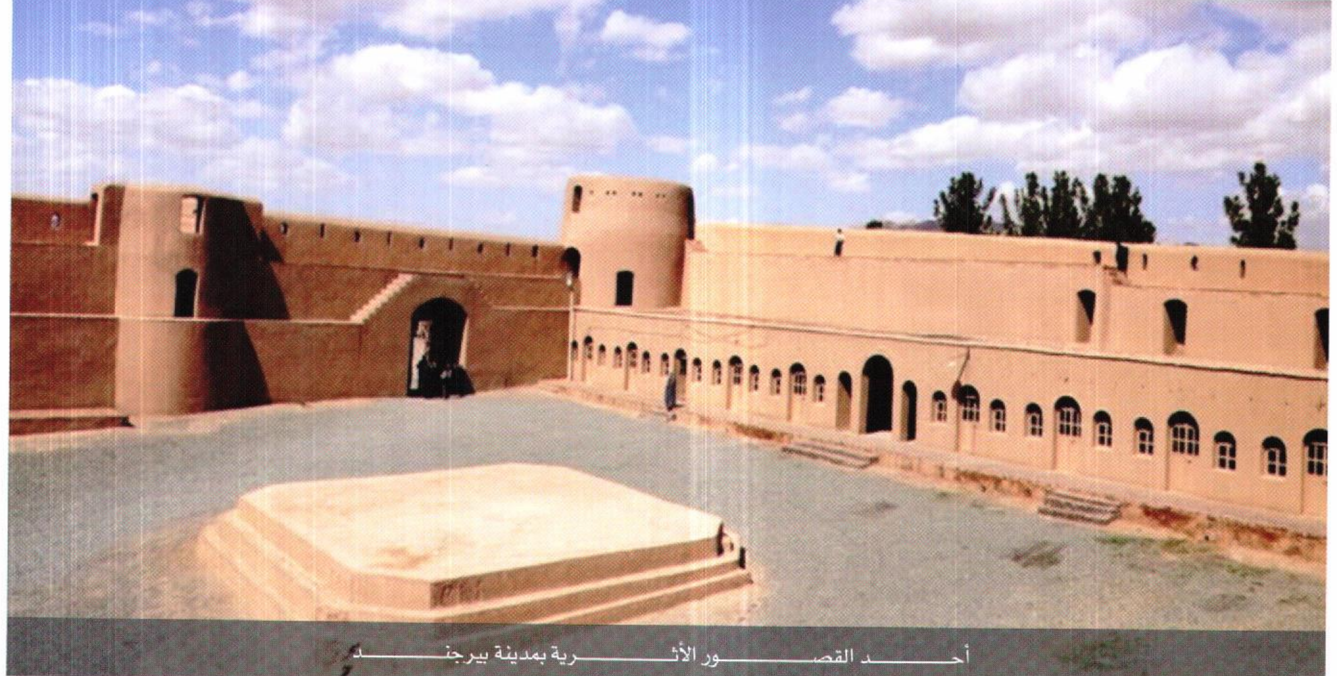
ربع دينار ذهبي صفاري ضرب سجستان سنة ٣٥١ هـ

أحد الجوامع السُّنّية في مدينة زاهدان بإقليم سجستان الإيراني



قلعة قديمة في إحدى رساتيق (قرى) سجستان

القلعة الأثرية بمدينة فرح الساجستانية



أحد القصور الأثرية بمدينة بيرجند

الدولة الطولونية (٢٥٤ـ ٢٩٢هـ/ ٨٦٨ـ ٩٠٥م)

أسرة تركية حكمت مصر والشام وتنتسب إلى والد مؤسسها أحمد بن طولون الذي تقلد ولاية مصر سنة ٢٥٤هـ، نيابة عن بايكباك، الذي كان قد عينه الخليفة المعتز بالله (٢٥١ـ٢٥٥هـ) والياً على مصر، ثم حصل أحمد على وثيقة رسمية سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م من الخليفة بتوليه الشام والثغور، فتوحدت مصر والشام في عهده.

كان للنزاع الذي حدث بين أحمد بن طولون والموفق أخي الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦ـ٢٧٩هـ) والمفوض في إدارة الدولـة أثـره في موقف ابن طولون في الشام والثغور، وأثره في موقفه العسكري، فثارت ضده بعض المدن وحلت به الهزيمة في طرسوس.

توفـي أحمـد بن طولون سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م فخلفه ابنه خمارويـه، وظلت أملاك الطولونيين في مصر والشام فـي عهـد خمارويه، كما كانت في عهد أبيه، محـط أطماع المتنافسين من القواد الأتـراك، ومثار حسد الموفق، ولذلك فإن الموفق لم يجب خمارويه على كتابه الذي طلب فيه إقراره على سائر البلاد التي في يده.

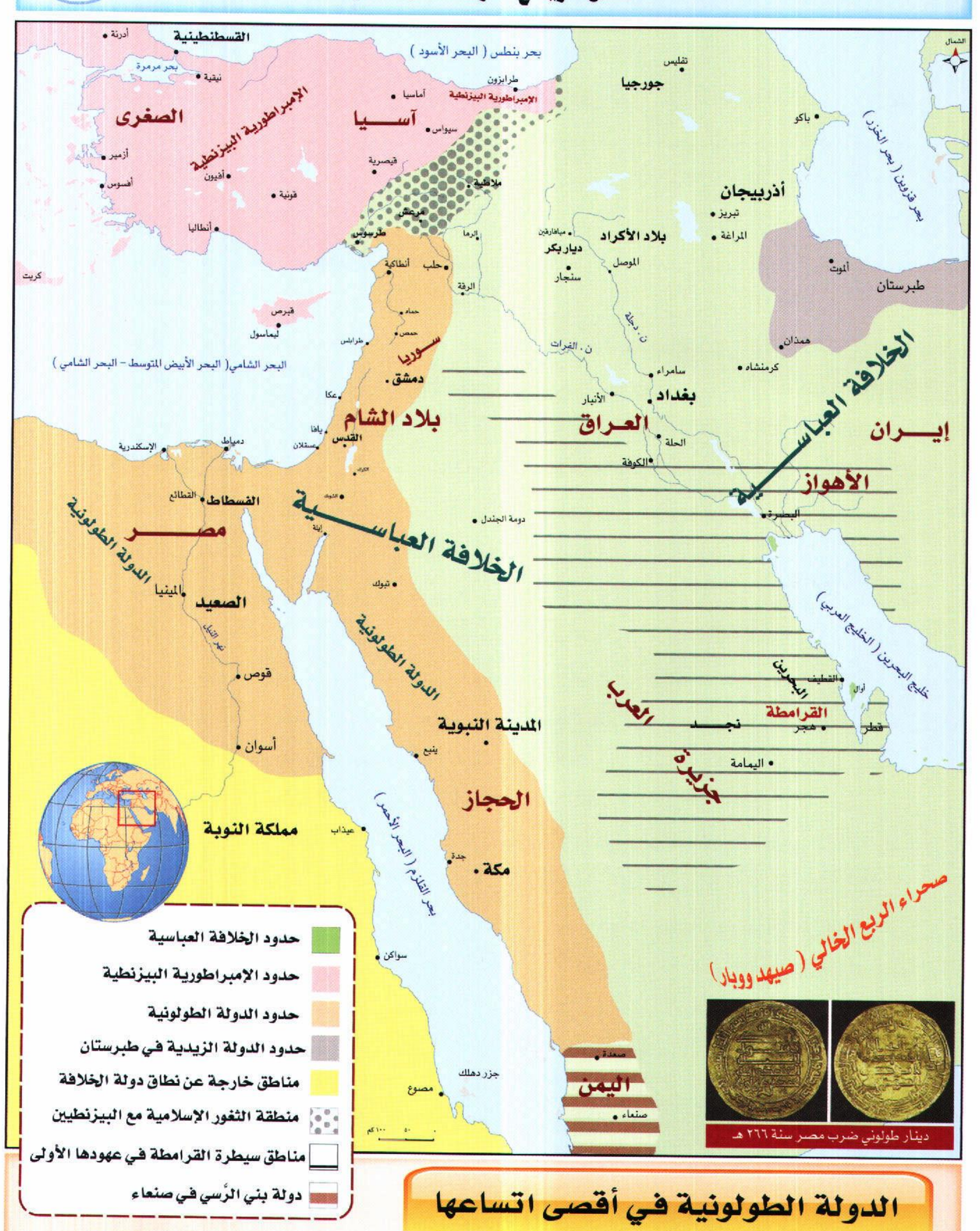
أدرك خمارويـه أن ولايته لن تكون مستقـرة وأن حكمه لن يكون شرعياً ما لم يحصل على اعتراف الخليفة، وأن أعـداءه سـوف يكيدون له مستغلين ذلك، وحدث ما كان يتوقعه، فقد أيدت الخلافة العباسية مطامع إسحاق بن كنـداج أحـد قادة الأتراك في أخذ الشام، ولكن إسحاق فشل فـي تحقيق مبتغاه، فاعترف الخليفة المعتمد على الله وأخـوه الموفـق سنة ٢٧٣/٨٨٦م بولايـة خمارويه على مصر والشام والثغور لـمدة ثلاثين سنة، على أن يحمل خمارويـه إلى الخلافـة مبلـغ ٢٠٠ألف دينار بعـد أن يكون قد قام بجميـع مصاريف المنطقة التابعـة له وأرزاق أجنادها.

وفي سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م تزوج الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ـ٢٨٩هـ) (وهو ابن الموفق) من ابنة خمارويه قطر الندى، وكانت احتفالات الزواج رائعة استمر ذكرها[١].

اضطربت أحوال الدولة الطولونية بعد موت خمارويه سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م، وتدخل الجند في الحكم واشتعلت الفتن والثورات، وكان ابنه جيش صبياً أرعَنَ لم يتجاوز الرابعة عشر من العمر، إلا أنه كان أكبر أولاد خمارويه، وتـولى طغـج بن جف حاكم دمشـق أخذ البيعة له مـن قواد الجيش، ولم يكـن جيش بن خمارويـه على مستوى المسؤولية التي حملها فلم يستطع أن يقوم بالمهمات التي يتطلبها مركزه كحاكم لمصر والشام، ومدافع عن الثغور الشاميـة، ولم تكـن مشكلات الإمارة تنحصر في سوء سياسة جيش، بل إنه تسلم الحكم والخزانة فارغة، وزاد مـن مشكلات الإمارة تفكك الأسر الطولونية وتنافس أفرادها للوصول إلى كرسي الإمارة. وما لبثت بلاد الشام أن خرجت عن طاعة جيش وحكم طغج بن جف ما بيده من أعمال الشام دون أن يقدم الطاعة للأمير[٢].

---

١ - ٢ ، عبد الرحمن البيطار، الموسوعة العربية، دار الفكر - دمشق - سوريا.



دينار طولوني ضرب مصر سنة ٢٦٦ هـ

الدولة الطولونية في أقصى اتساعها

في سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م تولى الحكم أخوه هارون الذي كان أقل خبرة من أخيه، وزاد الأمر سوءاً عدم اعتراف الخليفة العباسي المعتضد بإمارته حتى سنة ٢٨٦هـ وفق شروط تتعلق بالثغور والأموال التي يجب أن يقدمها هارون للخلافة، إضافة إلى إرسال مولى تركي من قبل الخليفة للإشراف على هارون أمير مصر. وافق هارون على شروط الخلافة مقابل اعتراف الخليفة به أميراً للبلاد، وخاصة أنه وجد أن الثغور قد خرجت فعلاً من يده، وأن الخليفة المعتضد بدأ يتدخل مباشرة في أمورها بعد أن قدم وفد من أهالي طرسوس يناشدونه العناية بشؤونهم وضبط أمور ثغرهم وتعيين من يقودهم في الجهاد.

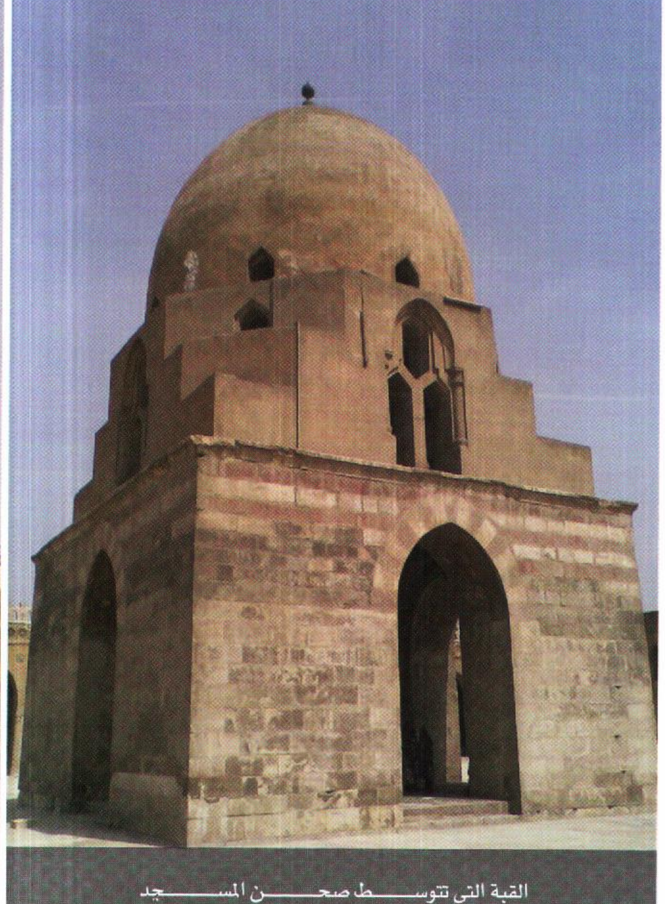
في ذلك الوقت كذلك نشطت حركة القرامطة في بلاد الشام، وأخفقت الجيوش الطولونية في القضاء عليهم، بل كثيراً ما انهزمت أمامهم انهزاماً مخزياً، وتنبهت الخلافة العباسية إلى ضعف الطولونيين فصممت على استرداد مصر من أيديهم. وفي سنة ٢٩٢هـ أرسل الخليفة المكتفي بالله جيشاً إلى مصر بقيادة محمد بن سليمان الكاتب الذي دخل مدينة القطائع ودمرها ولم يستبق منها سوى الجامع، وبذلك عادت مصر والشام إلى حكم العباسيين بعد أن تمتعا باستقلال ذاتي مدة تقرب من أربعين سنة[١].

حصن ابن طولون ولاية مصر وأعدّ الجيش وسلّحه وأنشأ السفن الحربية، وضرب دنانير خاصة، واهتم الطولونيون بالعمارة إلى درجة كبيرة، وبذل أمراؤهم الأموال الطائلة على المباني الفخمة والمتنزهات، ومن جملة ذلك بناء أحمد بن طولون مدينة القطائع قرب الفسطاط، كما بنى فيها المسجد المعروف باسمه حتى اليوم الذي ضم مئذنة على نمط المئذنة الملوية في جامع سامراء، وبنى البيمارستان وألحق به صيدلية. تابع خمارويه اهتمامه بمدينة القطائع، ومع أن هذه المدينة ضاعت معالمها، فإن المراجع التاريخية تعطي صورة واضحة لهذه المدينة الجميلة، فيروي المقريزي في خططه وأبو المحاسن في النجوم الزاهرة أن خمارويه حوّل الميدان الذي كان أمام القصر لعرض الجند إلى بستان جميل تأنق في تنسيقه فغرس فيه الرياحين والزهور، كذلك جعل جزءاً من البستان حديقة للحيوانات والطيور المختلفة وخصص لها ضياعاً لزراعة غذائها، وبنى خمارويه في البستان بركة مربعة الشكل طول كل ضلع من أضلاعها خمسون ذراعاً، وملأها بالزئبق، ثم وضع فوقها حشية (مرتبة) من الجلد تنفخ بالهواء ثم تشد بسيور من الحرير إلى أعمدة من الفضة في أركانها الأربعة، فكان الفراش يتحرك عليها بحركة الزئبق فيجلب لخمارويه نوماً هادئاً لأنه كان يعاني الأرق[٢].

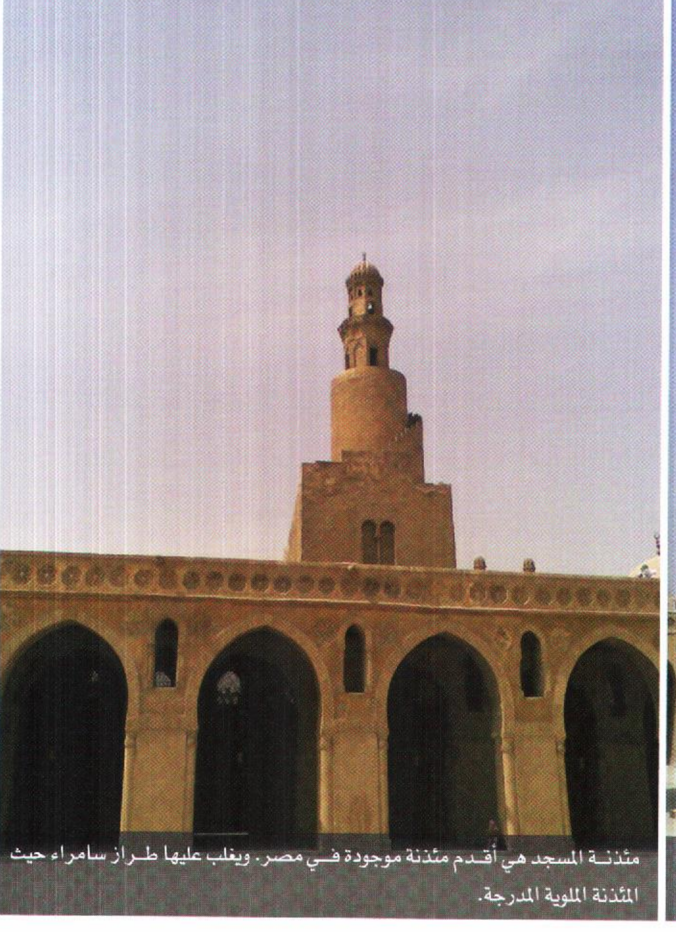


١ - ٢ ، عبد الرحمن البيطار، الموسوعة العربية، دار الفكر - دمشق - سوريا.

مسجد ابن طولون هو مسجد أقامه أحمد بن طولون عام ٢٦٣ هـ، وأنفق عليه ١٢٠ ألف دينار في بنائه، وقد اهتم بالأمور الهندسية في بنائه



القبة التي تتوسط صحن المسجد



مئذنة المسجد هي أقدم مئذنة موجودة في مصر. ويغلب عليها طراز سامراء حيث المئذنة الملوية المدرجة.

ثورة الزنج سنة (٢٥٥-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م)

تعددت دوافع الاستجابة لثورة الزنج ما بين سياسية، واقتصادية واجتماعية:

الدوافع السياسية:

بسبب تردي أوضاع الخلافة، نتيجة تصاعد نفوذ الأتراك إلى جانب صراع خفي بين المترفين والعبيد وجد متنفسًا له في دعوة علي بن محمد.

الدوافع الاقتصادية:

نتيجة الأوضاع المالية المتدهورة وظاهرة التكوين الطبقي داخل المجتمع الإسلامي من طبقة ثرية إلى طبقة تجار فالطبقة العامة العاملة.. واتسعت الهوة مع مرور الزمن بين هؤلاء وبين الطبقة الإقطاعية، وبلغ التناقض الاجتماعي مداه، مما كان دافعًا للاستجابة لنداء الثورة الذي أطلقه علي بن محمد.

الدوافع الاجتماعية:

بفعل نمط حياة فئات العبيد التي كانت تعيش في ظروف قاسية وسيئة من خلال عملها في تجفيف المستنقعات وإزالة السباخ عن الأراضي، ثم نقل الملح إلى حيث يعرض ويباع، لقاء وجبة طعام، فأرادت هذه الفئات التخلص من هذا العمل الشاق ومن ضنك العيش.

وقد سيطر علي بن محمد خلال عشرة أعوام (٢٥٥ـ ٢٦٥هـ) على رقعة واسعة تمتد بين **الأهواز وواسط**، وهدد بغداد، عندئذ عهد الخليفة المعتمد إلى أخيه أبي أحمد الموفق طلحة بمحاربته؛ فاصطدم بمجموع الزنج وقتل علي بن محمد، واستسلم من بقي من أتباعه ومات العديد.

وبإخماد الثورة، أُسدِلَ الستار على هذه الحركة التي قضّت مضاجع الخلافة لعباسية، وكلفتها الكثير من الجهد والأموال والأرواح والتي دامت أكثر من أربعة عشر عاماً (٢٥٥. ٢٧٠هـ).

أصل الزنج

كانت البصرة أهم المدن في جنوب العراق وكان مشحوناً بالرقيق والعمال الفقراء الذين يعملون في مجاري المياه ومصابها ويقومون بكسح السباخ والأملاح، وذلك تنقية للأرض وتطهير لها، كي تصبح صالحة للزراعة وكانوا ينهضون بعملهم الشاق هذا في ظروف عمل قاسية وغير إنسانية للغاية تحت إشراف وكلاء غلاظ قساة ولحساب ملاك الأرض من أشراف العرب ودهاقنة الفرس في العراق، أما العبيد فكانوا مجلوبين من إفريقيا السوداء زنوجاً وأحباشاً ونوبيين وقرمطيين إضافة إلى فقراء العرب العراقيين الذين كان يطلق عليهم في ذلك الوقت تسمية الفراتيين، فهم لا يتقاضون أجراً عن عملهم، ويقتاتون قليلاً من الدقيق والتمر والسويق، ولذلك فإنهم كانوا مستعدين لتلبية نداء دعاة التحرر الاجتماعي.



أثارت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة لهؤلاء الزنوج اهتمام أحد المغامرين، وهو **علي بن محمد الذي زعم أن نسبه ينتهي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه،** وادّعى ادعاءات أخرى ليثبت مركزه ويزيد عدد أنصاره، فهو فضلاً عن ادعائه النسب العلوي، نادى بالمبادىء الديمقراطية التي يتطلع إليها العديد من أفراد الطبقة الدنيا، كما ادعى علم الغيب وزعم أن له آيات عَرَف بها ما في ضمائر أصحابه، وتمكّن بفضل ذلك كله من أن يضم إليه هؤلاء الزنوج إضافة إلى العبيد الفارين من القرى والمدن المجاورة تخلصاً من سوء حالهم.

أما فيما يتعلق بأصله الحقيقي فإن الطبري يورد أن اسمه هو علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في عبد القيس، وأمه ابنة علي بن رحيب من بني أسد بن خزيمة من ساكني قرية من قرى الري يقال لها وَرْزَنِين كان بها مَولده ومنشؤه.

بدأ طموح **علي بن محمد** الذي عرف **بصاحب الزنج** بالظهور منذ سنة ٢٤٩هـ عندما أقام في البحرين، وأخذ يبشر بمذهبه حتى كَثُرَ أتباعه وعَظُم مقامه، ولكنه اضطر إلى مغادرة البحرين إثر فتنة وقعت بينه وبين المناوئين له، فنزل البصرة سنة ٢٥٤هـ، ونزل في بني ضُبَيْعة فاتبعه جماعة كثيرة، منهم علي بن أبان المُهلَّبي الذي صار من كبار قادته، إلا أن قوة والي البصرة محمد بن رجاء الحضاري أجبرته على ترك البصرة فالتجأ إلى بغداد ليعود بعد سنة إلى البصرة إثر عزل واليها ابن رجاء.

أخذ صاحب الزنج يُحرض الزنوج على هجر أسيادهم والانضمام إليه واعداً إياهم بتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، ولم نجمه منذ أن استطاع استمالة بعض غلمان البصرة الذين أقبلوا عليه لمبادئه في تحرير العبيد وتحسين أوضاع الفقراء، وقد وعدهم بأن يجعلهم قواداً ويرئسهم ويملكهم الأموال وحلف لهم الأيمان المغلظة ألاَّ يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئاً من الإحسان إلا أتى إليهم، وقد نفذ وعده حين سمح لهؤلاء بضرب سادتهم الذين جاؤوا لمفاوضة صاحب الزنج لردّهم مقابل خمسة دنانير عن كل منهم.

كانت حركة صاحب الزنج في بادئ الأمر حركة ضد كبار الملاّكين، ثم تطورت فصارت حركة مناهضة للدولة «لأن الخلفاء والولاة ظالمون ينتهكون حرمة الله»، فسمح صاحب الزنج لرجاله بسلب السلاح والأموال لاستخدامها في قتال أعدائهم وأن من يأسِر رجلاً يغدو هذا الرجل عبداً له، وبذلك تحولت جموع هؤلاء إلى قوى مسلحة واستطاعوا أن ينتصروا على جيوش الخلافة فتملكوا الأُبلّة وعبادان والأهواز سنة ٢٥٦هـ، واستولوا سنة ٢٥٧هـ على البصرة وقتلوا الكثير من أهلها، وأُحرقت البصرة في عدة مواضع وعظم الخطب وعمها القتل والنهب والإحراق، ثم اجتاحت جموع صاحب الزنج واسط ورامهرمز وأصابوا مالاً كثيراً، وصار هؤلاء الزنوج يملكون السادة من البيض.سيّر الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م) الكثير من مشهوري قواده من أمثال موسى بن بغا الذي قتل عدداً كبيراً منهم، غير أن هذه الانتصارات التي حققها بعض القواد لم تفل شوكتهم بل ظل خطرهم يتزايد وانتصاراتهم على جيوش الخلافة تتوالى حتى أمسك زمام المبادرة أبو أحمد الموفق أخو الخليفة المعتمد الذي انتقلت إليه السلطة الحقيقية في الإدارة والجيش، ولم يكد الموفق يفرغ من معالجة مشكلة الصفّارين الذين ثاروا في سجستان حتى عمد إلى تعبئة الجيوش وإعدادها للقضاء على ثورة الزنج، وخرج من بغداد إلى واسط سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨١م، ونجح في إجلاء الزنج عن الأهواز وأحرز عدة انتصارات إلا أنها لم تكن حاسمة، لأن الثوار كانوا متحصنين في مناطق صعبة المسالك، فعزم الموفق على أن يحاصر «المختارة» مدينتهم، وبنى إزاءها مدينة سماها «الموفقية» وأمر ابنه أبا العباس أحمد (المعتضد بالله) بقطع الميرة عن مدينة صاحب الزنج فاستولى الجزع عليهم وطلب جماعة من وجوه أصحابه الأمان، فأمّنهم الموفق وخلع عليهم ووصلهم بصلات كثيرة،

وكان ذلـك كمـا يقول ابن الأثير: من أنجح المكايد لأن هذا شجع آخرين على الانضمام إلى الموفق، وفي أواخـر ذي الحجة ٢٦٧هـ، أجمـع الموفق على العبور إلى «**المختارة**» مدينتهـم بجيوشه أجمع وأمر الناس بالتأهـب، وجمع المعابـر والسفن وفرّقها عليهم. وقصد الموفق إلى ركن مـن أركان المدينة وهو أحصن ما فيهـا، وعليـه من المجانيق والآلات للقتال ما لا حدّ له، فأمر الموفق غلمانه بالدنو من ذلك الركن، فتسلقوا السـور بسـلالم كانت معهم، ونصبوا على الركن علماً من أعـلام الموفق **فانهزم الزنج** وتخلوا عن الركن بعد قتال شديد، وكان أبو العباس قصد ناحية أخرى فتوجه علي بن أبان لمقاتلته فهزمه أبو العباس، وقتل جمعـاً كثـيراً من أصحابه، ولمّـا حلّ الظلام أمر الموفـق الناس بالرجوع، وهبّت ريـح عاصفة وقوي الجزر فغاصـن أكـثر السفن فـي الطـين، فهاجمهم الـزنج وقتلوا منهم جماعـة وأسروا جماعة وهـذا ما أضعف أصحاب الموفق، ثم أقام الموفق لا يحارب ليريح أصحابه حتى شهر ربيع الآخر سنة ٢٦٨هـ، ثم قصد الموفق مدينة الزنج المختارة وفرّق قواده على جهاتها، وجعل مع كل طائفة منهم جماعة من النّقابين وأخرى لهدم السور، وأمرهم أن يهدموا السور فقط ولا يدخلوا المدينة. وفـي تلك السنة عينها أوقع أبو العباس أحمد بن الموفـق بقوم من الأعـراب كانوا يحملون الميرة إلى عسكر صاحب الزنج وأرسـل إلى البصرة من أقام بها لقطـع الميرة، وسـيّر رشيقاً مولى أبـي العباس فأوقع بقوم مـن بني تميم كانوا يجلبون المـيرة إلى الزنج، وبذلك انقطعت الميرة كلها عنهم فأضر بهم الحصار وأضعف أبدانهم فكثر المستأمنون عند الموفق، فكان يعرضهـم، فمـن كان ذا قوة وجلد أحسـن إليه وخلطه بغلمانه، ومن كان ضعيفـاً أو شيخاً أو جريحاً كساه وأعطـاه دراهـم وأمر به أن يحمل إلى معسكـر صاحب الزنج فيلقى هناك لكي يذكر مـا رأى من إحسان الموفـق إلى من صـار إليه، فتهيأ له بذلك استمالة الزنج، وجعل الموفق وابنه العباس يتناوبان قتال صاحب الـزنج، حتـى كان الثالث من محرّم سنة ٢٧٠هـ، حـين انضم لؤلؤ غلام ابن طولـون إلى الموفق في جيش عظيم فأكرمه الموفق وخلع عليه وعلى أصحابه، وطلب من لؤلؤ أن يتأهب لقتال صاحب الزنج، وأقام الموفق حتى الأول من صفر يصلح ما يحتاج الناس إليه وفي الثاني من صفر عبر بالناس وأمر برد السفن وسار بهـم إلى المكان الذي قدر أن يلقاهم فيه، فوجـد الموفق المتسرعين من فرسان غلمانه والرجالة قد سبقوا الجيش **وأوقعوا بصاحب الزنج وأصحابه وقعة هزموهم بها**، وتفرقوا لا يلوي بعضهم على بعض، وتبعهم أصحاب الموفق يقتلون ويأسرون من لحقوا به منهم، **وقُتل صاحب الزنج في ذلك اليوم**، وأتى غـلام مـن أصحاب لؤلؤ برأسه فعرضه الموفق على جماعة ممن كان بحضرته من قواد المستأمنة فعرفوه، فخرّ لله ساجداً وسجد أبو العباس وسجد معه قواد موالي الموفق وغلمانه شكراً لله، وأمر الموفق برفع رأس صاحـب الزنج على قناة ونصبه بين يديه لكي يراه الناس ويعرفوا صحة الخبر بقتله. نجدة خماش، الموسوعة العربية، دار الفكر دمشق.

الدولة السامانية ٢٦١-٣٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٩٩م

ينتسب **السامانيون** إلى جد الأسرة سامان خداه - كما ذكر بعض المؤرخين - من أحفاد بهرام ابن جوبين البطل الساساني، و يصل نسبهم عند مؤرخين آخرين إلى كيومرث أول ملوك العجم، ولقبُ « خداه » الذي أُطلق على سامان بن ميّا، كان يطلق على أمراء بخارى ودهاقنتها.

اعتنق سامان خداه الإسلام على يد الوالي الأموي أسد بن عبد الله القسري في خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) وحظي بحماية هذا الوالي فسمّى ابنه أسداً اعترافاً بفضل حاميه ومحبته له، وظهر أولاد أسد بن سامان في عهد الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) فولي نوح بن أسد سمرقند سنة ٢٠٤ هـ/٨١٩م وأحمد بن أسد فرغانة، ويحيى بن أسد الشاش وأشروسنة، وإلياس بن أسد هراة ولما ولى المأمون طاهر بن الحسين خراسان أقرّهم في هذه الأعمال.

كان لأحمد بن أسد سبعة أولاد، اشتهر منهم إسماعيل ونصر الذي تولى حكم سمرقند وما يليها من قبل الطاهريين، ثم ولاه **الخليفة المعتمد** بلاد ما وراء النهر سنة ٢٦١هـ فولّى أخاه إسماعيل على بخارى، ولكنّ النزاع لم يلبث أن وقع بين الأخوين بسبب إثارة خصومهما العداوة والبغضاء بينهما، فقامت الحرب بينهما سنة ٢٧٥هـ وظفر إسماعيل بأخيه نصر فلما حُمل إليه عامل معاملة كريمة وأعاده والياً على سمرقند.

توفي نصر سنة ٢٧٩هـ فآلت زعامة السامانيين إلى أخيه إسماعيل الذي يُعَد المؤسس الفعلي للدولة السامانية، وقد اعترف الخليفة المعتضد بإسماعيل سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م حاكماً شرعياً في بلاد ماوراء النهر وخراسان بعد انتصاره على عمرو بن الليث الصفّاري (ت٢٨٩هـ). و غدا السامانيون قوة كبيرة تحكم أراضي شاسعة امتدت من جهة إلى ممتلكات البويهيين في العراق، ومن الجهة الأخرى إلى أطراف أفغانستان المتصلة بحدود الهند.

كانت علاقة السامانيين بالخلافة العباسية علاقة مميزة، فقد اعتمد العباسيون على أمراء البيت الساماني في إقرار سلطانها في بلاد المشرق، وعلى ذلك قام السامانيون بحملات مستمرة لتأمين وصول القوافل التجارية، وحماية الأراضي الإسلامية من غزوات الأتراك.

في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بدأت علامات الضعف والتدهور تظهر على الدولة السامانية، وظهر هذا في عدد من الثورات التي قادها بعض القادة العسكريين الذين أصبحت غالبيتهم من الأتراك، وتفاقمت الأوضاع بين السامانيين والبويهيين لاختلاف في العقائد والمطامح التوسعية، وكان لاعتلاء عدد من الأمراء العرش بعد إسماعيل، والذين كانوا دونه في المقدرة ومستوى الأحداث أن نجح الغزنويون والقراخانيون في الإجهاز على الدولة السامانية ووراثتها[١].

١ - سميحة أبو الفضل، الموسوعة العربية، دار الفكر - دمشق - سوريا.

الدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٩٩م)

الدولة السامانية

الدولة الزيدية بطبرستان

كان **للدولـة السـامانية** دور حضاري بمـا حققته من تقدم في مجال العلم والأدب والعمران، وقد تجمع في مدينة **بخارى** الدولة السامانية كبراء الدولة والعلماء والتجار وأرباب الصناعات.

ويشـار إلى أن اللغـة الفارسية التي كاد استخدامها يتلاشى بسبـب سيطرة اللغة العربية، ظلّت مستخدمة على نطاق شعبي في المناطق الشرقية من الخلافة العباسية، وأخذت تعود للاستخدام الثقافي منذ مطلع القرن الرابع الهجري، **متخذة الحرف العربي** مادة كتابتها.





ضرب السامانيون عملاتهم من معدني الذهب والفضة، وتعكس كتاباتها ونقوشها حقيقة الأوضاع السياسية للأمراء الذين ظهرت أسماؤهم على العملات إلى جانب أسماء الخلفاء العباسيين من أمثال المقتدر بالله، والقاهر بالله، بالإضافة إلى اسم المعتمد على الله [١].

فعلى وجه الدنانير نجد كتابة مركزية تتوج بلفظ الجلالة "**الله**"، ثم اسم الرسول صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله واسم الخليفة العباسي، وأخيراً اسم الوالي الساماني نصر بن أحمد أو إسماعيل بن نصر، وفي هامش الوجه الاقتباس القرآني محمد رسول الله «**أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**».

أما الظهر فكانت تسجل في مركزه ثلاثة أسطر متوازية "**لا إله إلا الله وحده لا شريك له**"، بينما تتوزع كتابات الهامش بين هامش داخلي يحتوي الاقتباس القرآني الذي طرأ على النقود العباسية منذ استيلاء المأمون على الخلافة «**لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله**»، وهامش خارجي يحتوي عبارة السك التي حملت إشارات إلى دور السك المختلفة التي ضرب بها **السامانيون** دنانيرهم ودراهمهم مثل بخارى، وسمرقند، ونيسابور، ومرو.

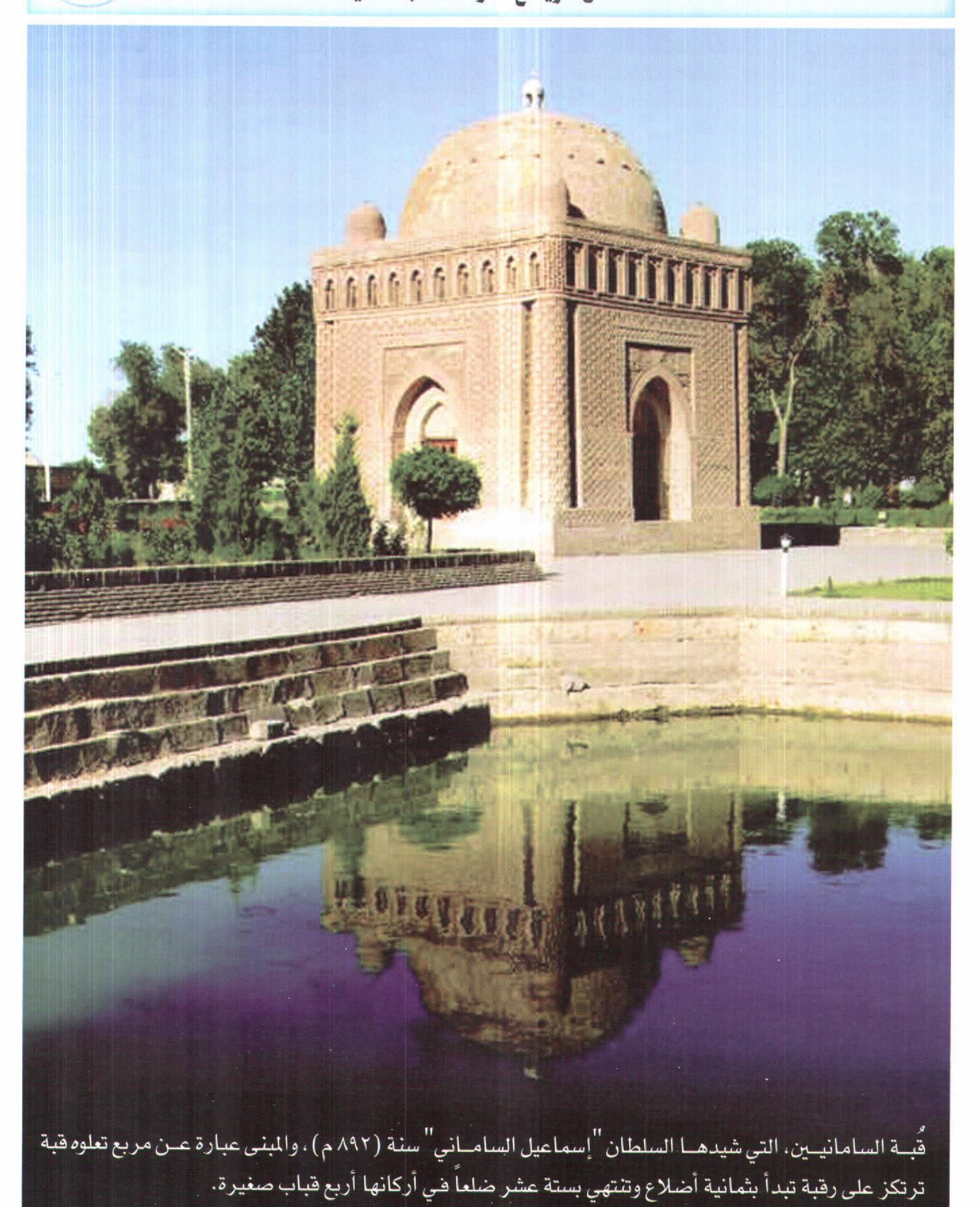
وتميزت نقوش الدنانير السامانية بثبات واضح لالتزامها الشديد بالطراز العام للدنانير العباسية، ولا يكاد يفرق بينها وبين مثيلاتها المضروبة في مدن الخلافة المختلفة سوى أسماء الحكام السامانيين التي كانت تنقش أسفل أسماء الخلفاء على مركز الوجه، وأيضاً الإشارة إلى اسم دار الضرب الواقعة في خراسان، أو بلاد ما وراء النهر.

ولا توجد استثناءات من هذه القاعدة سوى دينار ضرب سنة ٣٠٦هـ بمدينة نيسابور في ولاية إسماعيل ابن أحمد حيث نقش أسفل عبارة التوحيد بمركز الظهر "**لا إله إلا / الله وحده / لا شريك له**" اسم أحمد بن سهيل في ذات المكان الذي كان يخصص في الدنانير العباسية لاسم ولي العهد [٢].

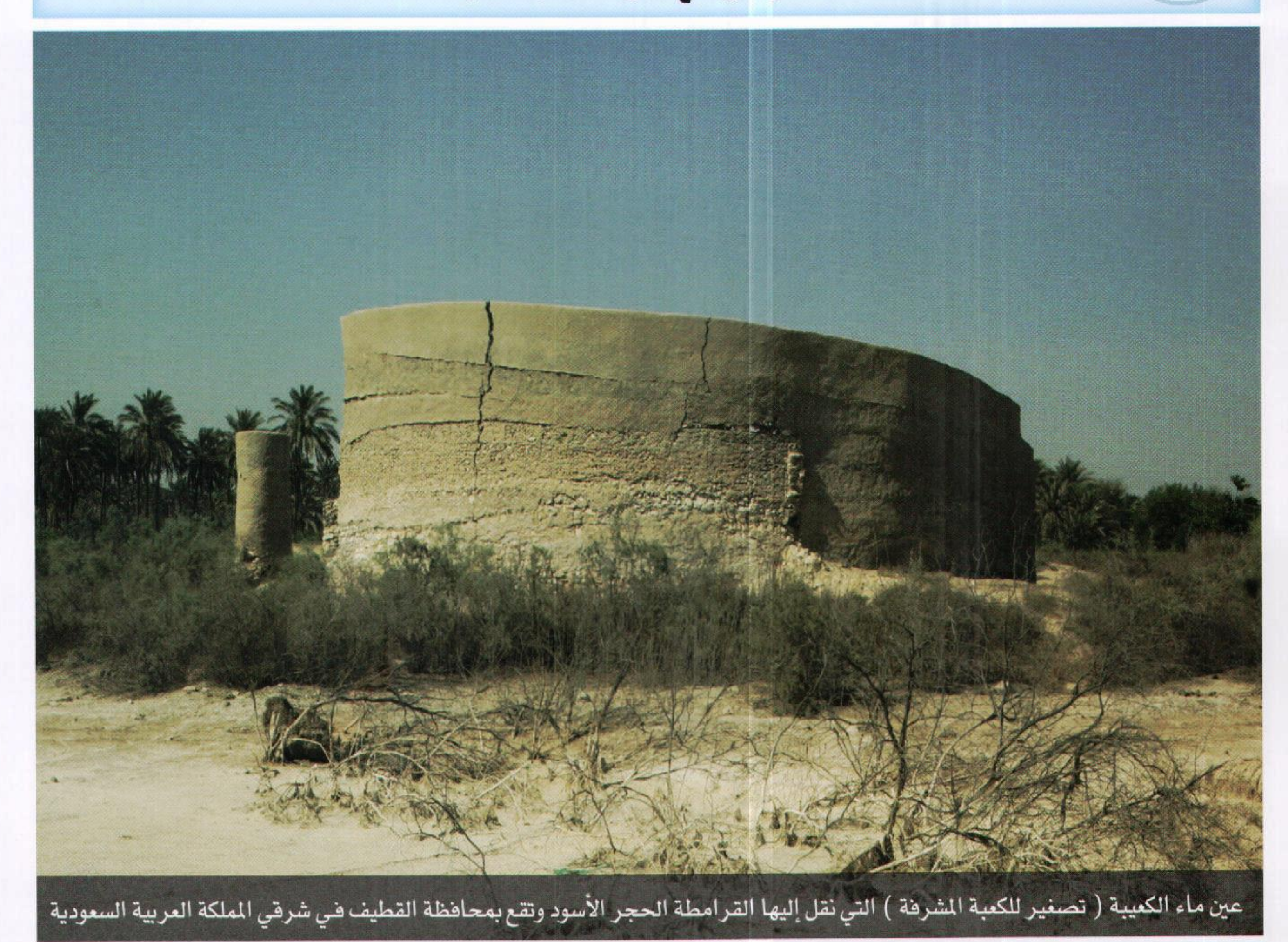
---

١ - د. أحمد الصاوي، جريدة الاتحاد الإماراتية، الأربعاء ١٠ أكتوبر سنة ٢٠٠٧ م.

٢ - د. أحمد الصاوي، المصدر نفسه.



قُبـة السامانيـين، التي شيدهـا السلطان "إسماعيل السامـاني" سنة (٨٩٢ م)، والمبنى عبارة عـن مربع تعلوه قبة ترتكز على رقبة تبدأ بثمانية أضلاع وتنتهي بستة عشر ضلعاً في أركانها أربع قباب صغيرة.



عين ماء الكعيبة (تصغير للكعبة المشرفة) التي نقل إليها القرامطة الحجر الأسود وتقع بمحافظة القطيف في شرقي المملكة العربية السعودية

الأفكار والمعتقدات لدى القرامطة:

- حينما قام القرامطة بحركتهم أظهروا بعض الأفكار والآراء التي يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها، فقد نادوا بأنهم يقاتلون من أجل آل البيت، وإن لم يكن آل البيت قد سلموا من سيوفهم.
- ثم أسسوا دولة شيوعية تقوم على شيوع الثروات وعدم احترام الملكية الشخصية.
- يجعلون الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة فلا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عن إخوانه، وأشاعوا أن ذلك يعمل زيادة الألفة والمحبة (وهذا ما كان عليه المزدكيون الفارسيون من قبل).
- إلغاء أحكام الإسلام الأساسية كالصوم والصلاة وسائر الفرائض الأخرى.
- استخدام العنف ذريعة لتحقيق الأهداف.
- يعتقدون بإبطال القول بالمعاد والعقاب وأن الجنة هي النعيم في الدنيا، والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد .

• ينشرون معتقداتهم وأفكارهم بين العمال والفلاحين والبدو الجفاة وضعفاء النفوس وبين الذين يميلون إلى عاجل اللذات، وأصبح القرامطة بذلك مجتمع ملاحدة وسفاكين يستحلون النفوس والأموال والأعراض.

• يقولون بالعصمة، وإنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يؤول الظاهر ويساوي النبي في العصمة،ومن تأويلاتهم:

- الصيام: الإمساك عن كشف السر.
- البعث: الاهتداء إلى مذهبهم.
- النبي : عبارة عن شخص فاضت عليه من الإله الأول قوة قدسية صافية.
- القرآن: هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه ومركب من جهته وسمي كلام الله مجازاً.

• يفرضون الضرائب على أتباعهم إلى حد يكاد يستغرق الدخل الفرديّ لكل منهم.

• يقولون بوجود إلهين قديمين: أحدهما علة لوجود الثاني، وأن السابق خلق العالم بواسطة اللاحق لا بنفسه، الأول تام والثاني ناقص، والأول لا يوصف بوجود ولا عدم، فلا هو موصوف ولا غير موصوف.

• يدخلون على الناس من جهة ظلم الأمة لعلي بن أبي طالب وقتلهم الحسين.

• يقولون بالرجعة وأن علياً يعلم الغيب، فإذا تمكنوا من الشخص أطلعوه على حقيقتهم في إسقاط التكاليف الشرعية وهدم الدين.

• يعتقدون بأن الأئمة والأديان والأخلاق ليست إلا ضلالاً.

• يدعون إلى مذهبهم اليهود والصابئة والنصارى والمجوسية والفلاسفة وأصحاب المجون والملاحدة والدهريين، ويدخلون على كل شخص من الباب الذي يناسبه.

الانتشار ومواقع النفوذ:

دامت هذه الحركة قرابة قرن من الزمان، وقد بدأت من جنوبي فارس، وانتقلت إلى سواد الكوفة والبصرة، وامتدت إلى الأحساء وأوال (البحرين الحالية) واليمن وسيطرت على رقعة واسعة من جنوبي الجزيرة العربية والصحراء الوسطى وعمان وخراسان. وقد دخلوا مكة واستباحوها واحتلوا دمشق ووصلوا إلى حمص والسلمية. وقد مضت جيوشهم إلى مصر وعسكرت في عين شمس قرب القاهرة، ثم انحسر سلطانهم وزالت دولتهم وسقط آخر معاقلهم في الأحساء والبحرين [١].

---

١ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، (الندوة العالمية للشباب الإسلامي).

الحكام العبيديون:

- المنصور بالله (أبو طاهر إسماعيل) ٣٣٤ - ٣٤١هـ.
- المعز لدين الله (أبو تميم معد): وفي عهده غزا مصر سنة ٣٦١هـ وانتقل إليها المعز في رمضان سنة ٣٦٢هـ.
- العزيز بالله (أبو منصور نزار) - ٣٦٥- ٣٨٦هـ.
- الحاكم بأمر الله (أبو علي المنصور) - ٣٨٦ - ٤١١هـ.
- الظاهر (أبو الحسن علي) - ٤١١ - ٤٢٧هـ.
- المستنصر بالله (أبو تميم) وتوفي سنة ٤٨٧هـ.

• وبوفاته انقسمت الإسماعيلية العبيدية إلى **نزارية شرقية**، و**مستعلية غربية**، والسبب في هذا الانقسام أن الإمام المستنصر قد نص على أن يليه ابنه نزار لأنه الابن الأكبر. لكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي نحَّى نزاراً وأعلن إمامة المستعلي وهو الابن الأصغر، كما أنه في الوقت نفسه ابن أخت الوزير. وقام بإلقاء القبض على نزار ووضعه في سجن وسدَّ عليه الجدران حتى مات.

• استمرت الإسماعيلية العبيدية المستعلية تحكم مصر والحجاز واليمن بمساعدة الصليحيين والأئمة هم:

- المستعلي (أبو القاسم أحمد) - ٤٨٧ - ٤٩٥هـ.
- الآمر (أبو علي المنصور) - ٤٩٥ - ٥٢٥هـ.
- الظافر (أبو المنصور إسماعيل) - ٥٤٤ - ٥٤٩هـ.
- الفائز (أبو القاسم عيسى) - ٥٤٩ - ٥٥٥هـ.
- العاضد (أبو محمد عبد الله) - من ٥٥٥هـ حتى زوال دولتهم على يدي صلاح الدين الأيوبي.

الإسماعيلية الحشاشون:

• وهم إسماعيلية نزارية انتشروا بالشام، وبلاد فارس والشرق، ومن أبرز شخصياتهم:

• الحسن بن الصباح: وهو فارسي الأصل وكان يدين بالولاء للإمام المستنصر قام بالدعوة في بلاد فارس للإمام المستور، ثم استولى على قلعة آلموت وأسس الدولة الإسماعيلية النزارية الشرقية - وهم الذين عرفوا بالحشاشين لإفراطهم في تدخين الحشيش، وقد أرسل بعض رجاله إلى مصر لقتل **الإمام الآمر بن المستعلي**، فقتلوه مع ولديه . توفي الحسن بن الصباح عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤م.

• كيابزرك آميد توفي سنة ١١٣٥م.
• محمد بن كيابزرك آميد توفي سنة ١١٦٢م.
• الحسن الثاني بن محمد توفي سنة ١١٦٦م.
• محمد الثاني بن الحسن توفي سنة ١٢١٠م.

- الحسن الثالث بن محمد الثاني توفي سنة ١٢٢١م.
- محمد الثالث بن الحسن الثالث توفي سنة ١٢٥٥م.
- ركن الدين خورشاه: من سنة ١٢٥٥م إلى أن انتهت دولتهم وسقطت قلاعهم أمام جيش هولاكو المغولي الذي قتل ركن الدين فتفرقوا في البلاد وما يزال لهم أتباع إلى الآن.

إسماعيلية الشام:

- وهم **إسماعيلية نزارية**، لقد أبقوا خلال هذه الأحقاب الطويلة على عقيدتهم يجاهرون بها في قلاعهم وحصونهم غير أنهم ظلوا طائفة دينية ليست لهم دولة بالرغم من الدور الخطير الذي قاموا به، ولا يزالون إلى الآن في منطقة سلمية بالذات وفي مناطق القدموس ومصياف وبانياس والخوابي والكهف.

- ومن شخصياتهم (راشد الدين سنان) الملقب بشيخ الجبل، وهو يشبه في تصرفاته الحسن بن الصباح، ولقد كون **مذهب السنانية** الذي يعتقد أتباعه بالتناسخ فضلاً عن عقائد الإسماعيلية الأخرى.

الإسماعيلية البهرة:

- وهم **إسماعيلية مستعلية**، يعترفون بالإمام المستعلي ومن بعده الآمر ثم ابنه **الطيب**، ولذا يسمون **بالطيبية**، وهم إسماعيلية الهند واليمن، تركوا السياسة وعملوا بالتجارة فوصلوا إلى الهند، واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا وعرفوا بالبهرة، والبهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر.

- الإمام الطيب دخل الستر سنة ٥٢٥هـ والأئمة المستورون من نسله إلى الآن لا يعرف عنهم شيئ، حتى إن أسماءهم غير معروفة، وعلماء البهرة أنفسهم لا يعرفونهم.

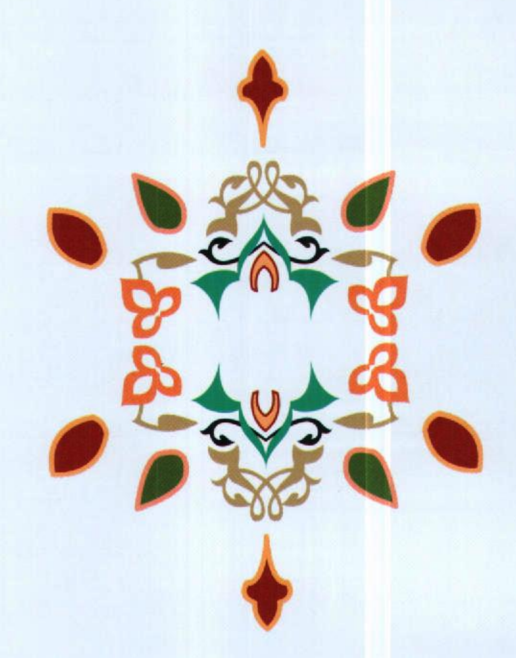
- انقسمت البهرة إلى **فرقتين**:

- البهرة الداوودية: نسبة إلى قطب شاه داوود: وينتشرون في الهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجري وداعيتهم يقيم في بومباي.
- البهرة السليمانية: نسبة إلى سليمان بن حسن وهؤلاء مركزهم في اليمن حتى اليوم.

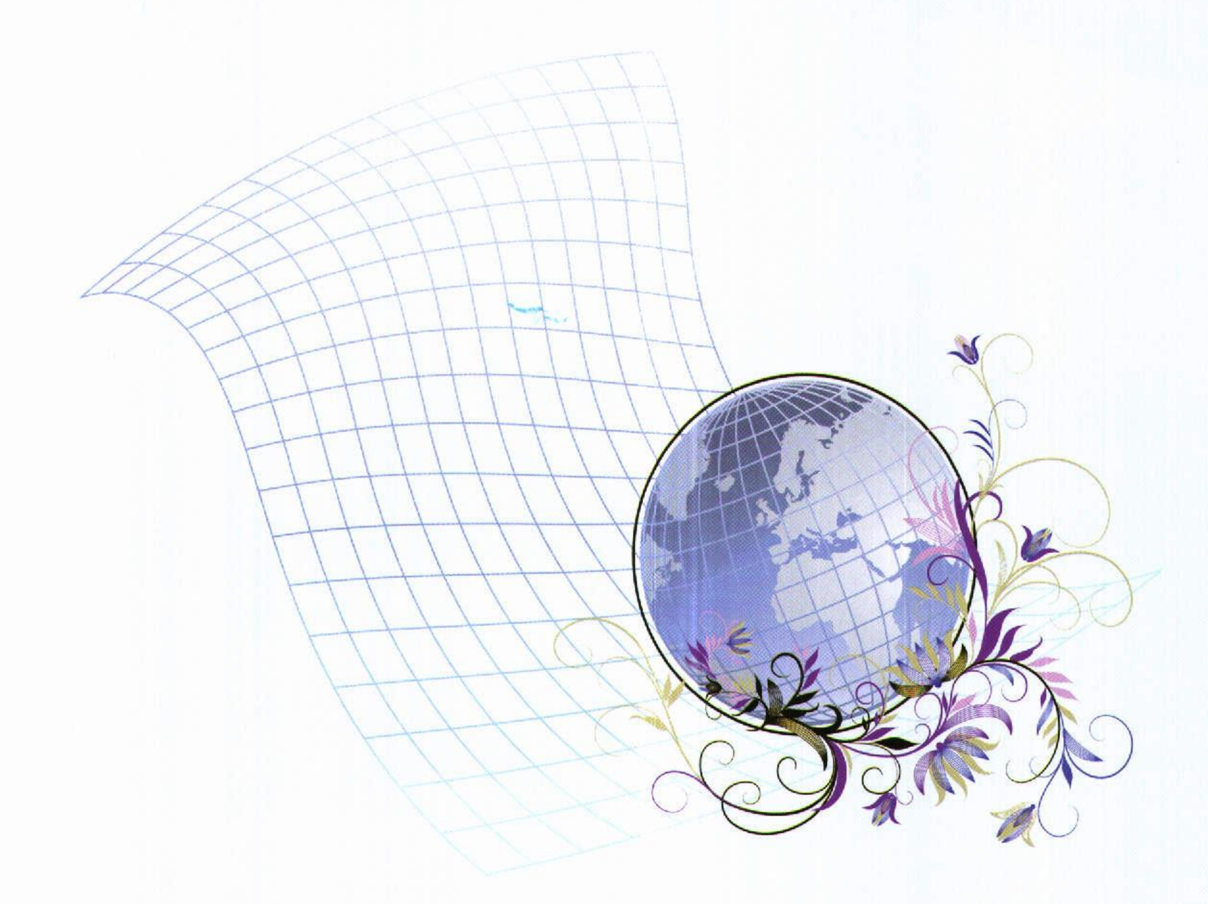
الإسماعيلية الأغاخانية:

- ظهرت هذه الفرقة في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وترجع عقيدتهم إلى الإسماعيلية النزارية، ومن شخصياتهم:

- حسن علي شاه: وهو الأغاخان الأول: الذي استعمله الإنجليز لقيادة ثورة تكون ذريعة لتدخلهم فدعا إلى الإسماعيلية النزارية، ونفي إلى أفغانستان ومنها إلى بومباي، وقد خلع عليه الإنجليز لقب آغاخان، مات سنة١٨٨١م.
- أغا علي شاه وهو الأغاخان الثاني:١٨٨١م - ١٨٨٥م .



الباب الرابع



العصر العباسي الثاني

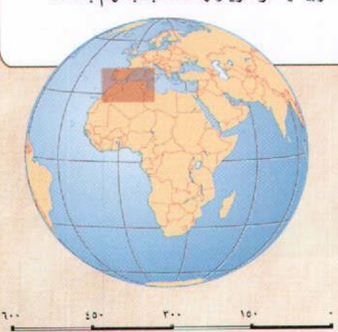
٣٣٤-٤٤٧هـ /٩٤٦ -١٠٥٦م

ثانياً: عصر النفوذ البويهي الفارسي

الدول المغاربية عند مجيء العبيديين

أسس عبيد الله المهدي أول دولة إسماعيلية عبيدية بإفريقية (تونس) واستولى على رقادة سنة ٢٩٧هـ، ثم انتقل إلى المهدية وتتابع بعده العبيديون وهم:
- المنصور بالله (أبو طاهر إسماعيل) ٣٣٤ - ٣٤١هـ.
- المعز لدين الله (أبو تميم معد): وفي عهده غزو مصر سنة ٣٦١هـ وانتقل إليها المعز في رمضان سنة ٣٦٢هـ.
- العزيز بالله (أبو منصور نزار) ٣٦٥ - ٣٨٦هـ.
- الحاكم بأمر الله (أبو علي المنصور) ٣٨٦ - ٤١١هـ.
- الظاهر (أبو الحسن علي) ٤١١ - ٤٢٧هـ.
- المستنصر بالله (أبو تميم) وتوفي سنة ٤٨٧هـ.

(١) كان محمد بن إسماعيل بن جعفر يعتمد في نشر دعوته على ميمون القداح الذي يقول عنه الإسماعيلية إنه من نسل سلمان الفارسي؛ لكن الحقيقة أن جده كان يهودياً، وبوفاة محمد تولى ابنه الإمامة (عبد الله الرضي) الذي أمعن في التخفي في سلمية بسوريا واتخذ من عبد الله بن ميمون القداح داعية له، حيث انتشرت الدعوة في اليمن وبعض مناطق الجزيرة العربية، وتوالت الزعامة المتسترة إلى الحفيد عبيد الله بن الإمام الحسين بن أحمد في سلمية، الذي قدم عليه وفد من كتامة المغربية يدعوه لزيارتها فاستجاب لهم بذلك.



(٢) وصول **عبيد الله المهدي** قادماً من الفسطاط إلى طرابلس، ثم قام فبعث رسلاً إلى داعيته أبي عبد الله الشيعي يخبره بوصوله إليه؛ لكن أمير الأغالبة قبض على أحد هؤلاء الرسل في القيروان ليتعرف على مكان عبيد الله، لكن عبيد الله استطاع بفضل الأموال التي أعطاها لعامل طرابلس أن يهرب مع أتباعه إلى سجلماسة.

(٣) ظل عبيد الله المهدي يغدق الأموال على والي سجلماسة اليسع بن مدرار؛ لكن الأمور تبدلت بعد انتصار أبي عبد الله الشيعي الصنعاني على الأغالبة سنة ٢٩٦ هـ، فتم إيداع المهدي السجن فيما أخذت حركة أبي عبد الله الشيعي في التوسع في الأراضي المغاربية، بل استطاع أن يمد نفوذه إلى سجلماسة، ويقوم بتخليص عبيد الله المهدي من سجنه، ومن ثم أخذ البيعة له.

(٤) رحل عبيد الله المهدي من سجلماسة إلى إفريقية (تونس) في حفل كبير من العساكر، وكان أبو عبد الله الشيعي ورؤساء كتامة مشاة بين يديه وولده من خلفه فلما اقترب من رقادة واتخذها حاضرة له في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٧ هـ وأمر بذكر اسمه في الخطبة على منابر البلاد وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين، وبذلك قامت الخلافة العبيدية في شمال إفريقية، ونظراً لمكانة أبي عبد الله في صفوف الكتاميين، رأى المهدي أن يقوم بتصفيته مع أخيه أبي العباس في جمادى الآخرة سنة ٢٩٨ هـ.

المهدية : مدينة بناها عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين وإليه تنسب، وكان ابتداء بنائه لها سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م ، وجعلها دار مملكته. وأول ما ابتنى منها سورها الغربي الذي فيه أبوابها، ثم أمر بحفر مرسى المدينة، وكان حجراً صلداً، فنقره نقراً وجعله حصناً لمراكبه الحربية، وأقام على فم هذا المرسى سلسلة من حديد رفع أحد طرفيها عند دخول السفن ثم تعاد كما كانت، تحصيناً للمرسى من دخول مراكب الروم وابتنى " دار الصناعة " ...



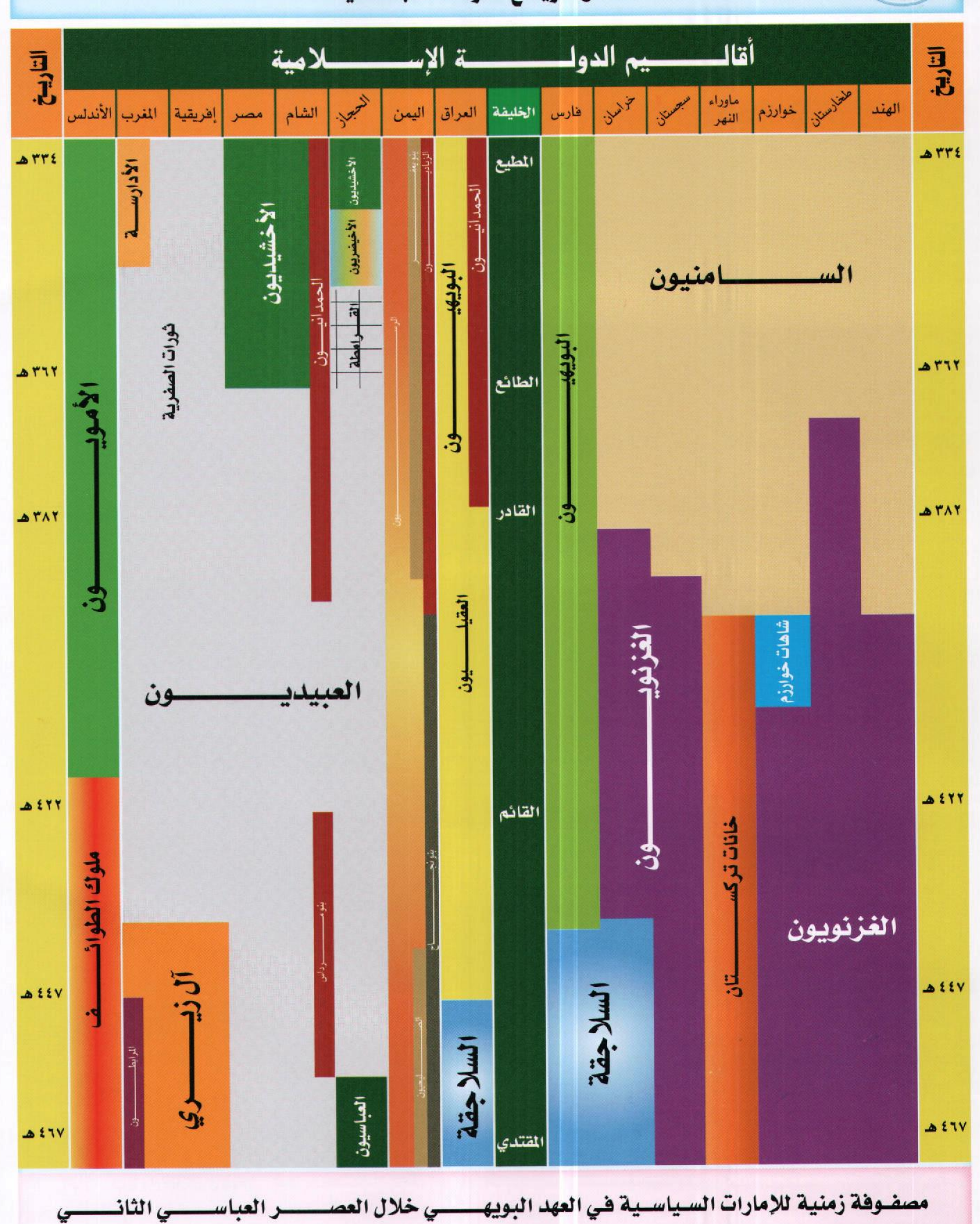
النص التأسيسي لتشييد القصر



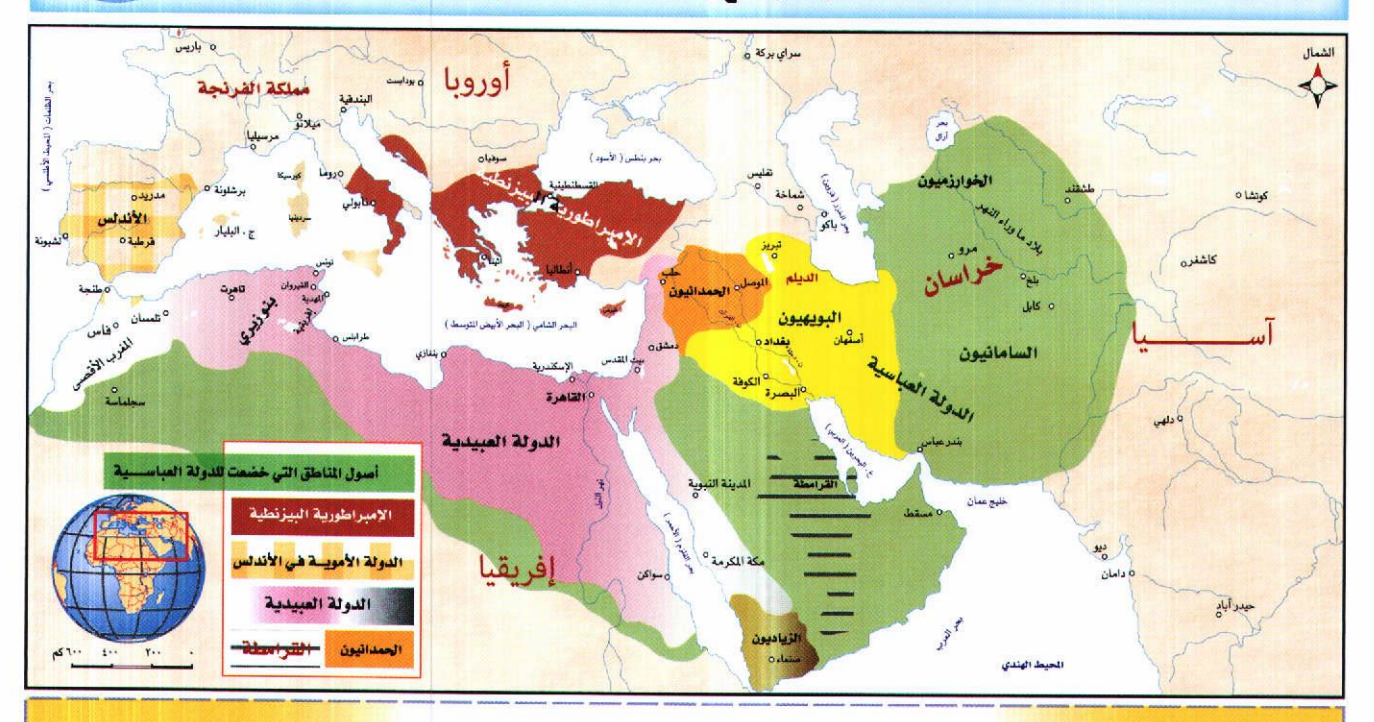
قصر القائم بأمر الله العبيدي بالمهدية التونسية؛ بناه عبيد الله المهدي في أوائل القرن العاشر م لابنه وخليفته القائم بأمر الله، وتواصل استعماله كقصر من قبل الأمراء الزيريين



لقطات متنوعة من داخل وخارج القصر ويرى المؤلف أمام أحد المقصورات الداخلية



مصفوفة زمنية للإمارات السياسية في العهد البويهي خلال العصر العباسي الثاني



الخلافة العباسية في عهد السيطرة البويهية

ينتسب **البويهيون** إلى أبي شجاع بويه الذي نشأ في **بلاد الديلم** التي تقع جنوب غربي بحر قزوين (الخزر) بين منطقتي طبرستان والجبال. وكانت هذه البلاد معقلاً لنفوذ العلويين، فانتشر فيها التشيع، ورغم أن أبا شجاع بويه كان فقيراً فإنه كان يتحلى بروح المغامرة والشجاعة، كما تشرب الروح الشيعية التي كانت سائدة في بلاد الديلم، وقد انضم أبو شجاع إلى العلويين في صراعهم مع السامانيين، ومع ذلك فلم يكن هو المؤسس الحقيقي لأسرة بني بويه، وإنما كان أبناؤه الثلاثة علي، وحسن، وأحمد هم الذين قاموا بذلك، فقد التحق أبناؤه بخدمة ماكان بن كاكي أحد القادة البارزين المناصرين للداعية الشيعي الحسن بن علي، الملقب بالأطروش، وأبرزوا تميزاً في خدمته فارتقوا من مرتبة الجنود إلى رتبة القادة، ثم حدث صراع بين ماكان ومرداويج بن زيار أحد القادة الفرس في منطقة الديلم، وأحس أبناء بويه أن كفة مرداويج هي الراجحة في هذا الصراع، فانضموا إليه، فيما بين عامي ٣١٦و٣١٧هـ = ٩٢٨ و ٩٢٩م وكان ذلك بداية تمكن نفوذهم في فارس والمناطق المحيطة بها، و قد ظهر بنو بويه -أو البويهيون- على مسرح الأحداث في أواخر عصر نفوذ الأتراك، فبدءوا منذ عام ٣٢١ هـ = ٩٣٣م يؤسسون لأنفسهم مناطق نفوذ تخضع لسيطرتهم التامة، فاستولوا على فارس، وشيراز وأصبهان، والري، وهمذان والكرج وكرمان، وأغراهم ذلك على التطلع إلى مد نفوذهم إلى العراق موطن الخلافة العباسية، و قد ساعدهم على ذلك تضاؤل النفوذ التركي، واشتداد الصراع على منصب أمير الأمراء الذي ابتدعه الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٤هـ = ٩٣٦م، مما أدى إلى تمزق الكلمة وضعف الجبهة التي يمكن أن تحمي دار الخلافة فلم يجد أحمد بن بويه أي صعوبة في دخول بغداد والسيطرة عليها بدون قتال في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة٣٣٤هـ = يناير سنة ٩٤٦م.

دولة بني يعفر: ٢٤٧-٣٩٣هـ/٨٤٠-١٠٠٢م

تنسب دولة بني يعفر إلى إبراهيم بن يعفر الحوالي نسبة إلى ذي الحوال الحميري أحد أقيال اليمن، بدأت هذه الدولة سنة ٢٢٥ هـ/٨٣٩م من مدينة **شبام**، وامتد نفوذها إلى الشمال بعد أن انضم إليها عدد كبير من القبائل، وفي أعقاب دخول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى اليمن سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م جرت معارك عنيفة بين أتباعه وآل يعفر وحلفائهم (آل الضحاك وآل طريف). ومن أشهر تلك المعارك **معركة أثافت** ٢٨٥هـ/٨٩٨م، والمعارك التي دارت حول سور صنعاء سنة ٢٨٨هـ/٩٠١م، وانتهت بدخول آل يعفر إلى صنعاء التي أصبحت عاصمة لهم، واستمرت المواجهات **بين آل يعفر والزيدية** سنين طويلة بلغت ذروتها في معركة **بيت بوس** (ضاحية جنوب صنعاء) ٢٩٠هـ/٩٠٢م التي أسر فيها محمد المرتضى ابن الإمام الهادي، وبقي في أسره نحو عام.

وفي عهد أسعد بن أبي يعفر ٢٨٢-٣٣١هـ دارت معارك طاحنة بينه وبين علي بن الفضل القرمطي بنواحي صنعاء وشبام استمرت حتى نهاية القرن الثالث الهجري، قتل فيها عدد كبير من أنصار القرمطي من بينهم ولده عبد الله الذي أرسل رأسه مع رؤوس أنصاره إلى **الخليفة العباسي في بغداد**، وقد بلغ عدد سلاطين هذه الدولة ستة، كان آخرهم أسعد بن عبد الله الذي انتهت الدولة اليعفرية في أيامه بدخوله في طاعة الإمام الزيدي القاسم بن علي العياني سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م.

ترتيب حكام بني يعفر

١ - يعفر بن عبد الرحيم (٢٤٧ هـ - ٨٦١ م).

٢ - محمد بن يعفر (٢٥٩ هـ - ٨٧٢ م).

٣ - عبد القادر أحمد بن يعفر (٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م).

٤ - إبراهيم بن محمد (٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م).

٥ - أسعد بن إبراهيم (٢٨٥ هـ - ٨٩٨ م).

فترة حكم القرامطة: (٢٨٨- ٢٩٩ هـ) الموافق (٩٠١ - ٩١٦ م).

٦ - أسعد بن إبراهيم (٣٠٣ هـ - ٩١٦ م).

٧ - محمد بن إبراهيم (٣٣٢ هـ- ٩٦٣ م).

٨ - عبد الله بن قحطان (٣٥٢ - ٣٨٧ هـ) الموافق (٩٦٣ - ٩٩٧ م).

دولة بني يعفر ثاني دولة تحكم اليمن

بعد دولة بني زياد ولكنها انتهت قبل نهاية الزياديين. أسسها يعفر بن عبد الرحيم بن إبراهيم الحوالي عام (٢٤٧ هـ - ٨٦١ م) من طرف الخليفة المعتمد العباسي واتخذ من صنعاء عاصمة له. وحكمها بواسطة نائبه إبراهيم بن محمد بن يعفر. وقد احتل القرامطة صنعاء من عام (٢٨٨ - ٣٠٣ هـ) الموافق (٩٠٠ - ٩١٦ م) حتى استردها أسعد بن إبراهيم مرة أخرى. واستمرت تلك الدولة حتى عام (٣٩٣ هـ - ١٠٠٢ م).



أثافت: بضم أوله، وبالفاء بعدها معجمة باثنتين من فوقها. قال الهمداني: وبعضهم يقول أثافة، على لغة من يقول في تابوت: تابه. وهو في بلاد همدان، وهي دار الكباريين، من ولد ذي كبار بن سيف بن عمرو بن سبع بن البيع بن صعب بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد. أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم

بيت بوس: هي منطقة تعد من ضواحي صنعاء اليوم كان يسكنها اليهود سابقاً سميت نسبة إلى بوس بن شرحبيل أحد ملوك حمير، وكانت أرضاً زراعية، وبها قلعة عظيمة، دارت على ثراها معركة حاسمة في العصر العباسي.



حكام السلاطين البويهيين في الري وأصفهان وهمذان:

١- ركن الدولة أبو علي حسن (٣٢٠- ٣٦٦هـ/ ٩٣٢- ٩٧٦م).
٢- مؤيد الدولة أبو منصور (٣٦٦- ٣٧٣هـ/ ٩٧٦- ٩٨٣م).
٣- فخر الدولة أبو الحسن علي (٣٧٣- ٣٨٧هـ/ ٩٨٣- ٩٩٧م).
٤- شمس الدولة أبو طاهر (في همذان فقط) (٣٨٧- ٤١٢هـ/ ٩٩٧- ١٠٢١م).
٥- مجد الدولة أبو طالب رستم (في الري فقط) (٣٨٧- ٤٢٠هـ/ ٩٩٧- ١٠٢٩م).
٦- سماء الدولة أبو الحسن (في همذان فقط) (٤١٢- ٤١٤هـ/ ١٠٢١- ١٠٢٣م).

في العاشر من المحرم سنة ٣٥٢هـ أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم، ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يُظهروا النِّياحة، ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء منشّرات الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنهما. ففعل الناس ذلك، ولم يكن للسُّنَّة قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة، ولأن السلطان معهم. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٥.

الدولة البويهية في عيون المؤرخين:

يرى الإمام السيوطي: أن الدولة البويهية ظهرت فيها بعض الأفكار الهدّامة، التي تبعد كل البُعد عن الدين الإسلامي، ويتضح ذلك في أثناء حديثه عن التناسخية حيث يقول: "وفي سنة ٣٤١هـ ظهر قوم من التناسخية فيهم شابٌّ يزعم أن روح عليٍّ انتقلت إليه، وامرأته تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها، وآخر يدّعِي أنه جبريل؛ فضُرِبوا فتعزَّزوا بالانتماء إلى أهل البيت، فأمر معز الدولة بإطلاقهم لميله إلى أهل البيت، فكان هذا من أفعاله الملعونة". السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٤٥ .

ويرى الأستاذ محمود شاكر: أن الدولة البويهية الشيعية لم تكن دولة إسلامية بالمعنى الصحيح، فهي تخالف عقائد وفكر أهل السُّنَّة مخالفة واضحة؛ فلذلك بدرت منها أفعال منكرة تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، ويتضح ذلك من قوله: "لقد كانت أسرة آل بويه شيعيّة، فبدرت منهم أعمال منكرة". محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية ١٤٢/٦.

أما الدكتور محمد طقوش فيقول: "كان من المتوقع أن يعيد البويهيون الاستقرار والوحدة إلى أقاليم الخلافة بفرض سيطرتهم عليها، وكبح جماح جندهم، وإفساح المجال أمام الخلافة كي تضطلع بمسئولياتها، وتجنب إثارة الفتن المذهبية إلا أن ذلك لم يتحقق؛ لأنهم دخلوا بغداد يحملون روح العداء للخلفاء العباسيين المخالفين لهم في المذهب، وقد فكّر معز الدولة بعد دخوله بغداد وسيطرته على مقاليد الأمور فيها، في إلغاء الخلافة العباسية وإقامة خلافة شيعية على أنقاضها، وتنصيب أحد الزعماء الشيعة الزيديّة، وكان بإمكانه تحقيق ذلك، إلا أنه أحجم بعد استشارة أصحابه؛ لأن مثل هذا التغيير كان سيعرِّض العالم الإسلامي لهزات عنيفة، إضافةً إلى زعزعة الحكم البويهي. ومن ثم فإن شيعة العراق الذين حاول معز الدولة استمالتهم إليه كانوا على مذهب الإمامية، وهذا يدل على أن تنصيب خليفة زيديّ سيكون مماثلاً في نظرهم، بالمقارنة مع الخليفة العباسي؛ لهذا أدرك معز الدولة من خلال فكرته السياسية الثاقبة بأن البقاء على الخلافة العباسية أجدر متبعًا للمبدأ الزيدي القائل: "بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل". وأجاز على هذا الأساس الذي أقره المبدأ الزيدي، وعلى أساس المصلحة السياسية أن يدين بالولاء لخليفة سُنِّي، إلا أنه اتّبع سياسة ترمي إلى الحدِّ من سلطته مقابل تقوية نفوذه. د. طقوش: تاريخ الدولة العباسية ص٢٢٣، ٢٢٤.

ويرى كثير من المؤرخين بأن بني بويه أذلوا الخلفاء العباسيين وسلبوهم سلطانهم، ولم يتورعوا عن التعدي على أشخاصهم أحياناً، وأن الخلافة فقدت هيبتها وضعف شأنها في عهدهم، وأن الخليفة أضحى ألعوبة في أيديهم، يمثّل رمزاً دينياً ليس له من الأمر شيء سوى الاسم فقط، أما السلطة الفعلية في الدولة فكانت في يد الأمير البويهي. د. محمود و د. الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ص٥٢٤.

حركة القرامطة (٢٧٧ - ٤٧٠هـ/ ٨٩٠-١٠٧٨م)

القرامطة[١]: حركة باطنية هدامة تنتسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث، ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه، وهو من خوزستان في **الأهواز**، ثم رحل إلى **الكوفة**. وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية.

بدأ عبد الله بن ميمون القداح رأس الأفعى القرمطية بنشر المبادئ الإسماعيلية في جنوبي فارس سنة ٢٦٠هـ. ومن ثم كان له داعية في العراق اسمه الفرج بن عثمان القاشاني المعروف بذكرويه الذي أخذ يبث الدعوة سراً. وفي سنة ٢٧٨ هـ نهض حمدان قرمط بن الأشعث يبث الدعوة جهراً **قرب الكوفة** ثم بنى داراً سماها **دار الهجرة** وقد جعل الصلاة خمسين صلاة في اليوم. هرب ذكرويه واختفى عشرين عاماً، وبعث أولاده متفرقين في البلاد يدعون للحركة. استخلف ذكرويه أحمد بن القاسم الذي بطش بقوافل التجار والحجاج وهزم في **حمص** وسيق ذكرويه إلى بغداد وتوفي سنة ٢٩٤هـ. التف القرامطة في **البحرين** حول الحسن بن بهرام ويعرف **بأبي سعيد الجنابي** الذي سار سنة ٢٨٣هـ البصرة فهزم. قام بالأمر بعده ابنه سليمان بن الحسن بن بهرام ويعرف **بأبي طاهر** الذي استولى على كثير من بلاد الجزيرة العربية ودام ملكه فيها ٣٠ سنة، ويعد مؤسس دولة القرامطة الحقيقي ومنظم دستورها السياسي الاجتماعي، بلغ من سطوته أن دفعت له حكومة بغداد الإتاوة، ومن أعماله الرهيبة أنه:

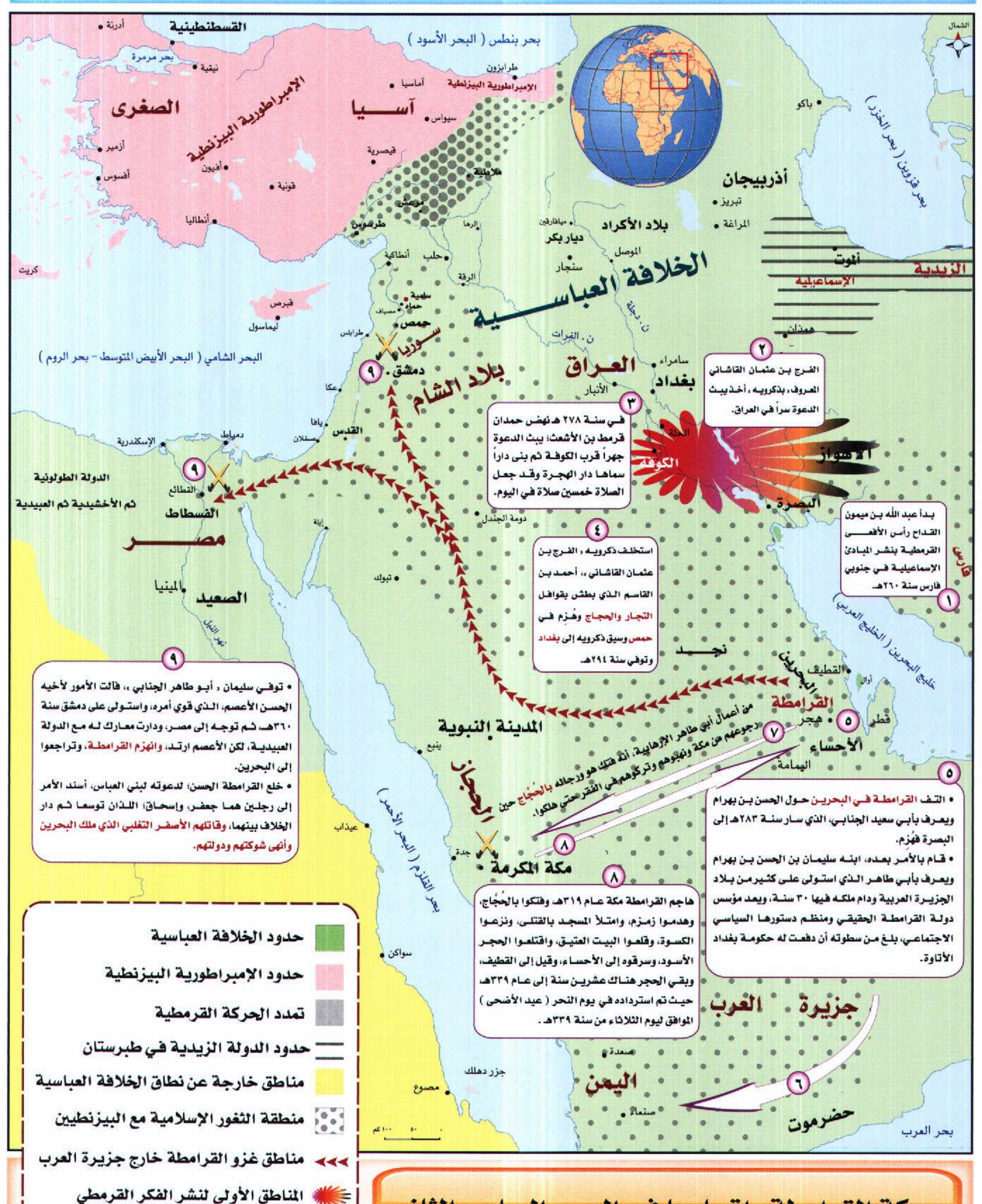
- فتك هو ورجاله بالحُجاج حين رجوعهم من مكة ونهبوهم وتركوهم في القفر حتى هلكوا.
- ملك الكوفة أيام المقتدر ٢٩٥- ٣٢٠هـ لمدة ستة أيام استحلها فيها.
- هاجم **مكة عام ٣١٩هـ**، وفتك بالحجاج، وهدم زمزم، وملأ المسجد بالقتلى، ونزع الكسوة، وقلع البيت العتيق، واقتلع الحجر الأسود، وسرقه إلى الأحساء في إحدى الروايات وفي أخرى إلى القطيف (انظر الصورة ص ١٩٤)، وبقي الحجر هناك عشرين سنة إلى عام ٣٣٩هـ.

توفي سليمان فآلت الأمور لأخيه الحسن الأعصم الذي قوي أمره واستولى على دمشق سنة ٣٦٠هـ، ثم توجه إلى مصر ودارت معارك له مع الدولة العبيدية، لكن الأعصم ارتد وانهزم القرامطة وتراجعوا إلى الأحساء.

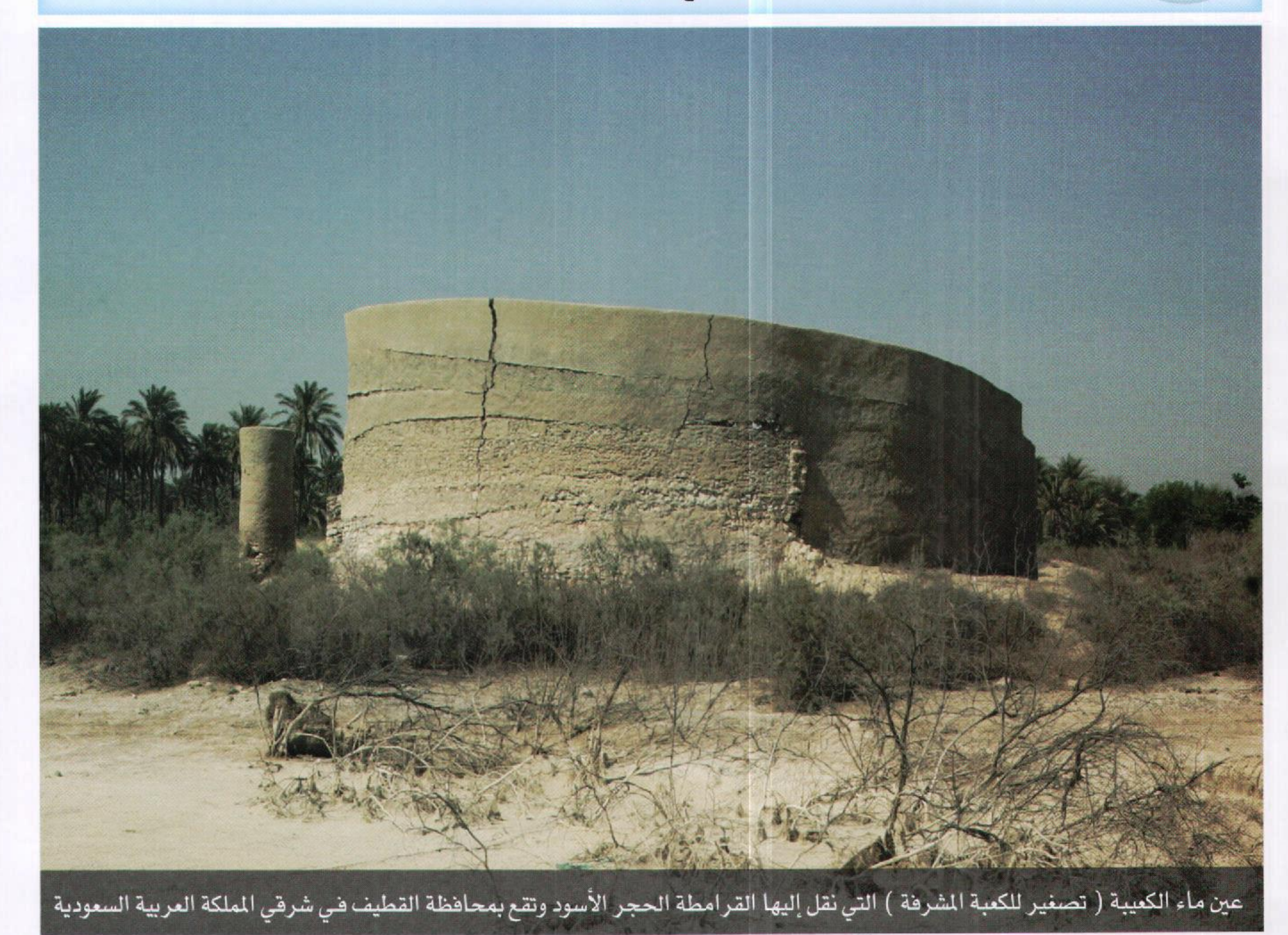
خلع القرامطة الحسن لدعوته لبني العباس، أسند الأمر إلى رجلين هما جعفر وإسحاق اللذان توسعا ثم دار الخلاف بينهما وقاتلهم الأصفر التغلبي الذي ملك البحرين والأحساء وأنهى شوكتهم ودولتهم.

---

١ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، (الندوة العالمية للشباب الإسلامي).



حركة القرامطة واتساعها في العصر العباسي الثاني



عين ماء الكعيبة (تصغير للكعبة المشرفة) التي نقل إليها القرامطة الحجر الأسود وتقع بمحافظة القطيف في شرقي المملكة العربية السعودية

الأفكار والمعتقدات لدى القرامطة:

• حينما قام القرامطة بحركتهم أظهروا بعض الأفكار والآراء التي يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها، فقد نادوا بأنهم يقاتلون من أجل آل البيت، وإن لم يكن آل البيت قد سلموا من سيوفهم.

• ثم أسسوا دولة شيوعية تقوم على شيوع الثروات وعدم احترام الملكية الشخصية.

• يجعلون الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة فلا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عـن إخوانـه، وأشاعـوا أن ذلك يعمل زيـادة الألفة والمحبـة (وهذا مـا كان عليه المزدكيـون الفارسيون من قبل).

• إلغاء أحكام الإسلام الأساسية كالصوم والصلاة وسائر الفرائض الأخرى.

• استخدام العنف ذريعة لتحقيق الأهداف.

• يعتقدون بإبطال القول بالمعاد والعقاب وأن الجنة هي النعيم في الدنيا، والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد.

• ينشرون معتقداتهم وأفكارهم بين العمال والفلاحين والبدو الجفاة وضعفاء النفوس وبين الذين يميلون إلى عاجل اللـذات، وأصبـح القرامطـة بذلـك مجتمـع ملاحـدة وسفاكـين يستحلـون النفوس والأمـوال والأعراض.

• يقولـون بالعصمـة، وإنـه لا بـد فـي كل زمـان مـن إمام معصوم يـؤول الظاهـر ويسـاوي النبي في العصمة،ومن تأويلاتهم:

- الصيام: الإمساك عن كشف السر.

- البعث: الاهتداء إلى مذهبهم.

- النبي : عبارة عن شخص فاضت عليه من الإله الأول قوة قدسية صافية.

- القرآن: هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه ومركب من جهته وسمي كلام الله مجازاً.

• يفرضون الضرائب على أتباعهم إلى حد يكاد يستغرق الدخل الفرديّ لكل منهم.

• يقولـون بوجـود إلهـين قديمين: أحدهما علة لوجود الثاني، وأن السابق خلق العالم بواسطة اللاحق لا بنفسه، الأول تام والثاني ناقص، والأول لا يوصف بوجود ولا عدم، فلا هو موصوف ولا غير موصوف.

• يدخلون على الناس من جهة ظلم الأمة لعلي بن أبي طالب وقتلهم الحسين.

• يقولـون بالرجعـة وأن علياً يعلم الغيب، فإذا تمكنوا من الشخص أطلعوه على حقيقتهم في إسقاط التكاليف الشرعية وهدم الدين.

• يعتقدون بأن الأئمة والأديان والأخلاق ليست إلا ضلالاً.

• يدعـون إلى مذهبهـم اليهود والصابئـة والنصارى والمجوسية والفلاسفـة وأصحاب المجون والملاحدة والدهريين، ويدخلون على كل شخص من الباب الذي يناسبه.

الانتشار ومواقع النفوذ:

دامـت هـذه الحركـة قرابـة قرن من الزمـان، وقد بدأت مـن جنوبي فارس، وانتقلت إلى سـواد الكوفة والبصـرة، وامتـدت إلى الأحساء وأوال (البحرين الحالية) واليمـن وسيطرت على رقعة واسعة من جنوبي الجزيـرة العربية والصحراء الوسطى وعمان وخراسان. وقد دخلوا مكة واستباحوها واحتلوا دمشق ووصلوا إلى حمص والسلميـة. وقد مضت جيوشهـم إلى مصر وعسكرت في عين شمس قـرب القاهرة، ثم انحسر سلطانهم وزالت دولتهم وسقط آخر معاقلهم في الأحساء والبحرين [١].





---

١ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، (الندوة العالمية للشباب الإسلامي).

دولة بني الرَّسي ٢٨٤ - ٤٤٤ هـ / ٨٩٧ - ١٠٥٢ م

فـي سنـة ٢٨٤هـ قامت دولة **بني الرسّي** في اليمـن التي تعد **أول دولـة تستقل عن الخلافـة العباسية استقلالاً كاملاً .**

أسس هـذه الدولة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ابن القاسم الرَّسي الذي دعا لنفسه بصعدة، فالتف الناس حوله، فملك **صعدة وأعمالها** ومعظم شمالي اليمن، وقطع الخطبة لبني العباس **وضرب السكة باسمه**. « انظـر العملـة التي سكت باسمه في الصفحـة المقابلة » توفي الإمام الهادي إلى الحق سنـة ٢٩٨هـ ، بعد أن نجح في تكوين **دولة يمنية زيدية المذهب** في بعض أقاليم اليمن. وبعض المراجع التاريخية المعاصرة تذكر أن هذه الدولة شيعية إمامية [١] ، وتزامن مع قيام دولة بني الرسّي الزيدية ظهور الدعوة الإسماعيلية الشيعية في اليمن، ولكن في مناطـق الجنوب، وبعـد وفاة الهادي تولى بعده ابنه محمد المرتضى الذي ساءت الأمـور في عهده، فأعلن تنازله عن الحكم لأخيه الناصر أحمد، الذي استطاع أن يضبط أمور دولته ويبسط نفوذه على كثير من البلدان اليمنية.

وبوفـاة الناصـر أحمد سنة ٣٢٢هـ ضعفت الدولة الزيدية وتدهورت، وذلك بسبب الخلافات والحروب التي حدثت بين أبناء الناصر على السلطة .

استمـرت الأوضـاع تـزداد سوءاً فوق سوء، وما أن تـولى الإمام أبو الفتح بن ناصر الديلمـي سنة ٤٣٩هـ ، حتى واجه العديـد من الثورات الداخلية والأخطار الخارجية التي كانت تنبـئ بنهاية الدولة الزيدية، ففي سنة ٤٤٤هـ استطاع علـي بن محمد الصليحي هزيمة الإمام أبي الفتح وقتله، وضـم البلاد التي كانت خاضعة للأئمة الزيدية إلى ملكه، وبذلك سقطت الدولة الزيدية الأولى في اليمن .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسيني العلوي الرَّسّي

ولـد فـي المدينـة المنـوّرة، وكان يسكن الفُرْع من أرض الحجاز مع أبيه وأعمامه. والهادي من أئمة الزيدية الذين يرون أن الإمام الحق يجب أن تتوافر فيه صفات خاصة : كالشجاعـة والعلـم والعـدل إلى جانب الفضيلة والزهد، **راسله أحد ملوك اليمن** ويدعى أبا العتاهية الهمـداني يدعوه للخروج إلى اليمن، فخرج سنة ٢٨٣هـ حتى بلغ موضعـاً يقـال له **الشرفة بالقرب مـن صنعاء** فبايعه الناس وأطاعوه، ثم خذله بعضهم وانصرفوا عنه؛ مما ترك عنـده ردة فعل بعدم الرغبة في متابعة الأمر لعدم ثقته برسل أهل اليمن.

سـار بمـن معـه حتى وصـل «**صعدة**» سنة ٢٨٤ هـ، وبايعه أبو العتاهيـة الهمداني وعشائره، وبعضـ قبائل خولان، وبنو الحـارث بن كعب، وبنو عبد المـدان، فأمرهم بالمصالحـة لوجـود فتنـة بينهم وكان له ما أراد، ثم عاهدوه على الطاعـة والقيام بأمر الله وخوطب بلقب أمير المؤمنين، وتلقب «الهـادي إلى الحق»، وأصلح أمور أتباعه وحكـم فيهـم بالعـدل ثم ولّى الولاة على المخاليف «القرى» وكتب لكل والٍ عهداً بذلك، وقد تضمن العهد الذي كتبه كيفية التعامل مع الناس بما يحقق العدل ويرضي الله وحدد لكل والٍ حدود صلاحياته وطريقة عمله.

ثـم سـار يريـد نجران في عسكر كبير وتبعته قبائل وادعة وشاكر وثقيف ويام والأحلاف، وبايعوه، وخطب فـي أهالي نجران . ثم بعث الولاة وأمرهم بتقوى الله وحدد أسس العلاقـات الاجتماعيـة والاقتصادية بين المسلمين وأهل الذمة وفق ما أقـره الشرع ومصلحة المجتمع. وبعد ضم نجران ملك صنعاء سنة ٢٨٨هـ وامتد ملكه فخطب له بمكة سبع سنين وضربت السكة باسمه. وفي سنة ٢٩٤هـ ظهر الفساد بنجران، كما ظهر أتباع القرامطة في بني الحارث واليامين، وظهر علي بن الفضل القرمطي الذي تغلب على أكثر البـلاد ويقـال إنه حـاول قصد الكعبة ليهدمها فحاربه الهادي، واستمرت مواجهاتـه طويلاً مع القرامطة، وقد استردوا منهم صنعاء أكثر مـن مرة فكانت الحرب بينه وبينهم سجالاً، وقد استعادها آخر مرة سنة ٢٩٧هـ ونكّل بكثير من دعاة القرامطة. عبد الكريم العلي، الموسوعة العربية ، مج ٢١، ص ٣٨٧ .

١ - د. أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف في مصر، ص ٢١١ .

الدولة الرَّسِّيّة

١ أبو العتاهية الهمداني (أحد ملوك اليمن) يراسل يحيى بن الحسين ابن القاسم بن إبراهيم الحسيني العلوي الرّسّي في وادي الفُرع من أرض الحجاز لمبايعته إماماً زيدياً على اليمن. فخرج يحيى سنة ٢٨٣هـ حتى من الحجاز إلى اليمن فبلغ موضعاً يقال له **الشرفة بالقرب من صنعاء** فبايعه الناس وأطاعوه، لكنهم أنصرفوا عنه فيما بعد .

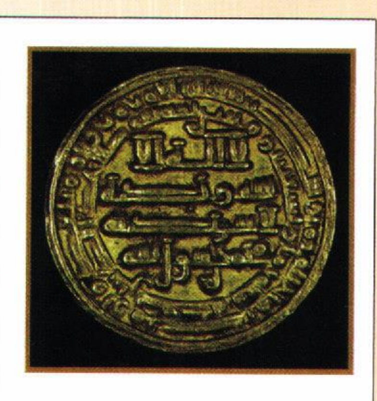
٢ سار يحيى بمن معه حتى وصل **«صعدة»** سنة ٢٨٤ هـ، وبايعه أبو العتاهية الهمداني وعشائره، وبعض قبائل خولان، وبنو الحارث ابن كعب، وبنو عبد المدان، فأمرهم بالمصالحة لوجود فتنة بينهم وكان له ما أراد، ثم عاهدوه على الطاعة والقيام بأمر الله وخوطب بلقب **أمير المؤمنين**، وتلقب «الهادي إلى الحق».

٣ المسير إلى نجران وضمها تحت حكمه

٤ بعد ضم يحيى لنجران ملك صنعاء سنة ٢٨٨هـ

أبها، تهامة، بنو طرف عثر، جازان، نجران، جبل رزح، صعدة، حرض، حوث، عبس، حجة، عمران، قمران، الزيدية، صنعاء، اليمن، مأرب، بنو الرسّي، بنو يعفر، شبام، تريم، شبوة، حضرموت، ذمار، رداع، يريم، زبيد، إب، بنو زياد، تعز (عدينة)، زفر، بحر القلزم (الأحمر)، حنيش الكبرى، المخا، عصب، ج. فاطمة، التربة، ج. بريم، مضيق باب المندب، شقرة، أحور، إرقة، جعار، لحج، زنجبار، عدن، بحر العرب، المكلا، رأس الكلب، الشمال، أرض الحبشة، خليج عدن

٠ ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ ١٢٠ كم



١ - دينار بني الرسي ضرب في صعدة سنة ٢٩٨هـ

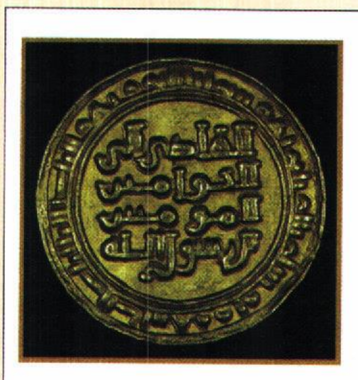
الوجه: المركز: لا إله إلا/ الله وحده/ لا شريك له محمد رسول الله

هامش: بسم الله ضرب هذا الدينار بصعدة سنة ثمان وتسعين ومائتين

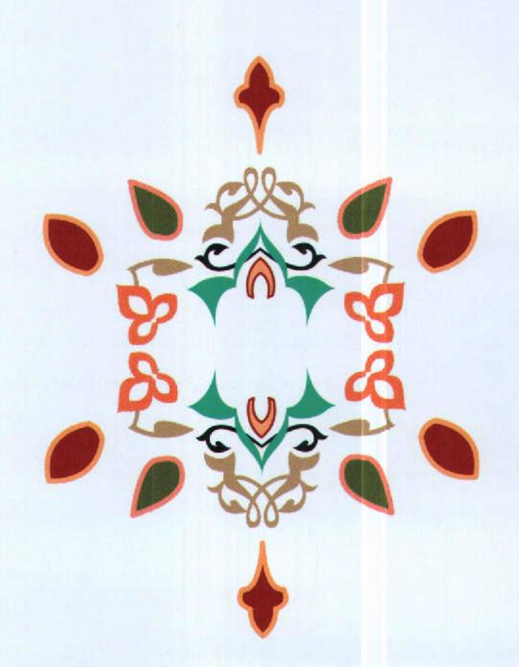
هامش خارجي: لله الأمر.....

الظهر: الهادي إلى/ الحق أمير/ المؤمنين/ بن رسول الله

الهامش: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا



المصدر . الدينار عبر العصور الإسلامية



الباب الرابع



العصر العباسي الثاني

٣٣٤-٤٤٧هـ /٩٤٦ -١٠٥٦م

ثانياً: عصر النفوذ البويهي الفارسي



العصر العباسي الثاني:

ثانياً: عصر النفوذ البويهي الفارسي (٣٣٤ - ٤٤٧هـ/ ٩٤٦ - ١٠٥٦م)

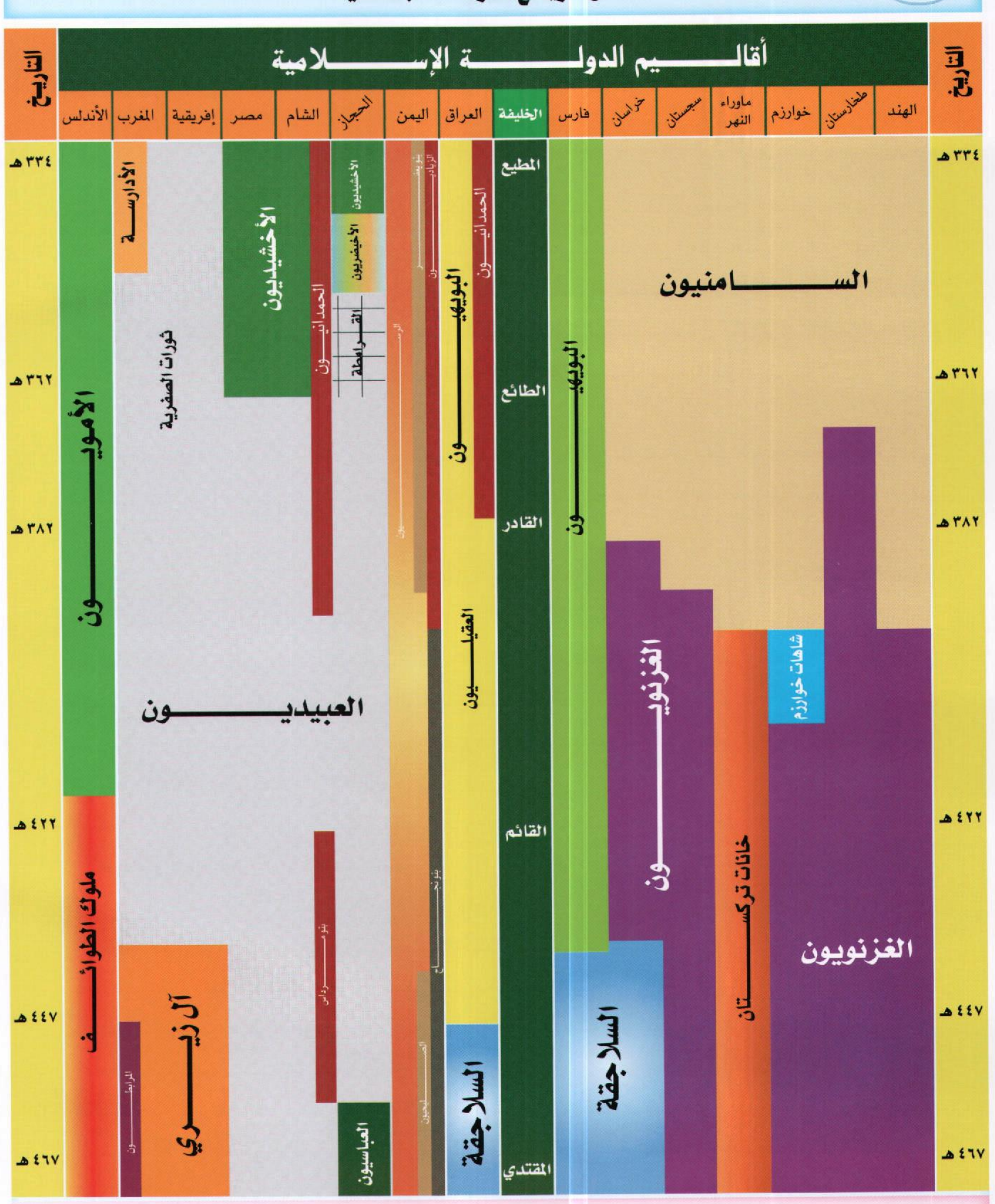
لم يكن دخول البويهيين إلى بغداد شبيهاً بدخول الأمراء الآخرين، وما كان مجرد استبدال أمير بأمير، فقد أنشأ البويهيون إمارة وراثية في قلب عاصمة الخلافة منفصلة عن الخليفة نفسه، كما أنهم جاؤوا على رأس جيش أجنبي استولى على عمل الخليفة وعاصمته. فساد الاتجاه العسكري في مؤسسات الدولة، ويلاحظ ذلك في كل أعمالهم وفي طريقة الإدارة التي اتبعوها، **وكان بنو بويه شيعة لا يعترفون بحق العباسيين في حكم العالم الإسلامي**، ولم يُبق البويهيون هؤلاء الخلفاء إلا لاعتبارات سياسية، فقد أراد معز الدولة نقل الخلافة للمعز لدين الله الفاطمي أو لغيره من العلويين، فحذّره خواصه من سخط الناس ومخالفتهم، وبينوا له الخطر على مركزه في حالة تعيين خليفة علوي قائلين: «ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا»[١].

تميز موقف الأمراء البويهيين من الخلفاء بعدم احترامهم والتعدي على سلطتهم وألقابهم وشاراتهم. وتجلّى هذا في مظاهر كثيرة من عزل وإهانة وسجن ومصادرة. وسلب البويهيون الخليفة كل سلطة سلباً شرعياً، فقد جعلوا الخلفاء يفوضونها إليهم تفويضاً رسمياً، ففي سنة ٣٦٧هـ وفي حفل مهيب فوّض الطائع إلى عضد الدولة السلطان قائلاً: « قد رأيت أن أفوّض إليك ما وكّل الله تعالى إليّ من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها وتدبيرها في جميع جهاتها سوى خاصتي وأسبابي، فتولّ ذلك مستخيراً الله ». وفي سنة ٣٨١هـ اجتمع الأشراف والقضاة والشهود عند الخليفة القادر (٣٨١-٤٢٢هـ) وسمعوا يمينه بالوفاء لبهاء الدولة وبتقليده ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة.

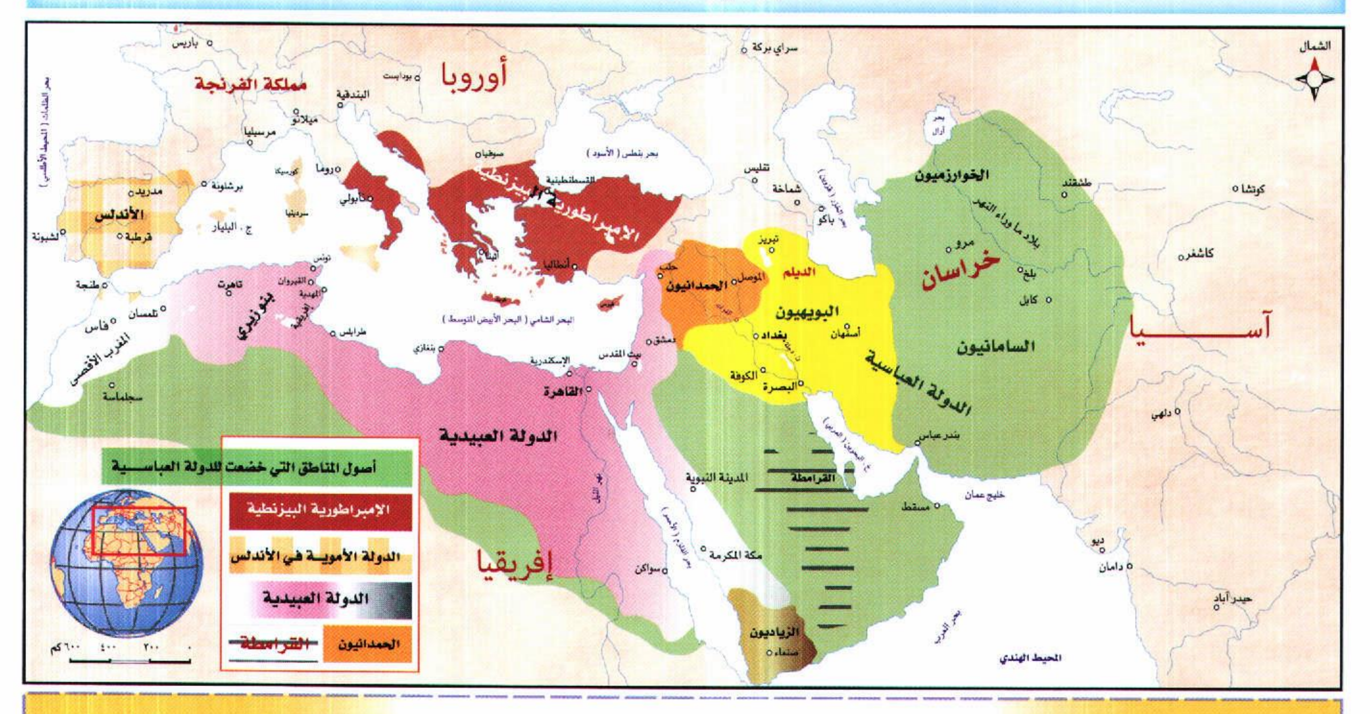
لم يقتنع البويهيون بالسلطة وحيازتها، بل شاركوا الخلافة في امتيازاتها الأخيرة، فالخطبة في بغداد كانت رمز السيادة السياسية للخليفة، ولكن لم يمض ربع قرن حتى اغتصب البويهيون هذا الامتياز، وأدخلوا اسمهم مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة، وتسلم البويهيون السكة وهي الرمز الثاني للخليفة، فحذفوا لقب أمير المؤمنين واكتفوا بذكر اسم الخليفة في حين ذكر الأمير البويهي اسمه ولقبه وكنيته. ويعلق البيروني: « إن الذي بقي في أيدي العباسية إنما هو أمر ديني اعتقادي لا ملكي دنيوي ». وقد اضطر البويهيون على طموحهم وتطاولهم على الخليفة أن يراعوا سلطانه الشرعي، فلم يكن الأمير منهم يعد شرعياً ما لم يصدر عهد الخليفة بتوليته، ويجري تسليم العهد في حفل رسمي، ويختم بقسم الخليفة للأمير بخلوص النية، ومن الأمير للخليفة بالولاء وصدق الطاعة، وبقي للخليفة كذلك سلطة منح الألقاب[٢].

---

١ - ٢ ، نجدة خماش، الموسوعة العربية ، دار الفكر - دمشق - سوريا

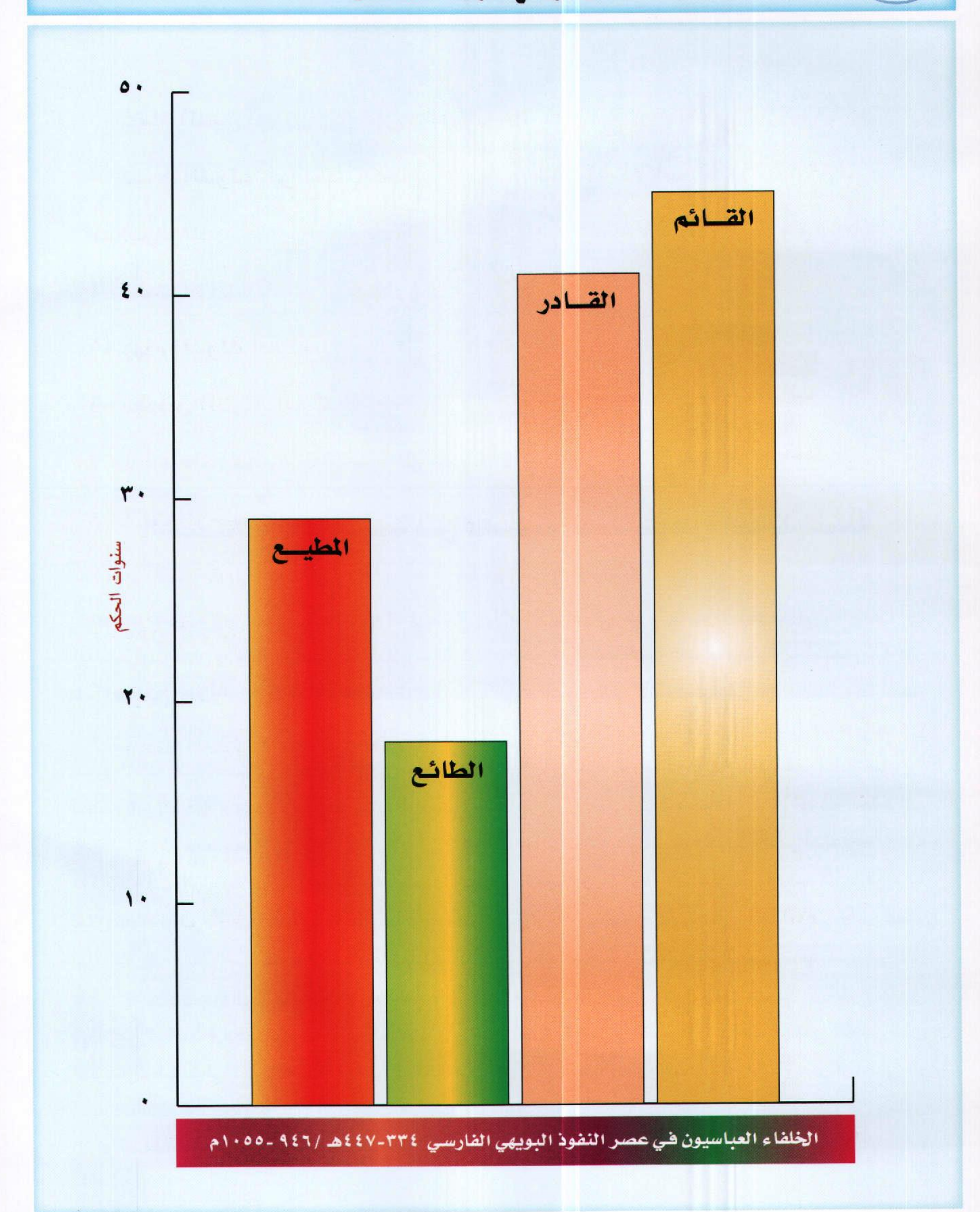


مصفوفة زمنية للإمارات السياسية في العهد البويهي خلال العصر العباسي الثاني



الخلافة العباسية في عهد السيطرة البويهية

ينتسب **البويهيون** إلى أبي شجاع بويه الذي نشأ في **بلاد الديلم** التي تقع جنوب غربي بحر قزوين (الخزر) بين منطقتي طبرستان والجبال. وكانت هذه البلاد معقلاً لنفوذ العلويين، فانتشر فيها التشيع، ورغم أن أبا شجاع بويه كان فقيراً فإنه كان يتحلى بروح المغامرة والشجاعة، كما تشرب الروح الشيعية التي كانت سائدة في بلاد الديلم، وقد انضم أبو شجاع إلى العلويين في صراعهم مع السامانيين، ومع ذلك فلم يكن هو المؤسس الحقيقي لأسرة بني بويه، وإنما كان أبناؤه الثلاثة علي، وحسن، وأحمد هم الذين قاموا بذلك، فقد التحق أبناؤه بخدمة ماكان بن كاكي أحد القادة البارزين المناصرين للداعية الشيعي الحسن بن علي، الملقب بالأطروش، وأبرزوا تميزاً في خدمته فارتقوا من مرتبة الجنود إلى رتبة القادة، ثم حدث صراع بين ماكان ومرداويج بن زيار أحد القادة الفرس في منطقة الديلم، وأحس أبناء بويه أن كفة مرداويج هي الراجحة في هذا الصراع، فانضموا إليه، فيما بين عامي ٣١٦و٣١٧هـ = ٩٢٨ و ٩٢٩م وكان ذلك بداية تمكن نفوذهم في فارس والمناطق المحيطة بها، وقد ظهر بنو بويه -أو البويهيون- على مسرح الأحداث في أواخر عصر نفوذ الأتراك، فبدءوا منذ عام ٣٢١ هـ = ٩٣٣م يؤسسون لأنفسهم مناطق نفوذ تخضع لسيطرتهم التامة، فاستولوا على فارس، وشيراز وأصبهان، والري، وهمذان والكرج وكرمان، وأغراهم ذلك على التطلع إلى مد نفوذهم إلى العراق موطن الخلافة العباسية، وقد ساعدهم على ذلك تضاؤل النفوذ التركي، واشتداد الصراع على منصب أمير الأمراء الذي ابتدعه الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٤هـ = ٩٣٦م، مما أدى إلى تمزق الكلمة وضعف الجبهة التي يمكن أن تحمي دار الخلافة فلم يجد أحمد بن بويه أي صعوبة في دخول بغداد والسيطرة عليها بدون قتال في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٣٣٤هـ = يناير سنة ٩٤٦م.



الخلفاء العباسيون في عصر النفوذ البويهي الفارسي ٣٣٤-٤٤٧هـ / ٩٤٦-١٠٥٥م

حكام السلاطين البويهيين في فارس:

١- عماد الدين أبو الحسن علي بن بويه (٣٢٠- ٣٣٨هـ/ ٩٣٢- ٩٤٩م).

٢- عضد الدولة أبو شجاع خسرو (٣٣٨- ٣٧٢هـ/ ٩٤٩- ٩٨٢م).

٣- شرف الدولة أبو الفوارس شيرزاد (٣٧٢- ٣٧٩هـ/ ٩٨٢- ٩٨٩م).

٤- صمصام الدولة أبو كاليجار المرزبان (٣٧٩- ٣٨٨هـ/ ٩٨٩- ٩٩٨م).

٥- بهاء الدولة أبو نصر (٣٨٨- ٤٠٣هـ/ ٩٩٨- ١٠١٢م).

٦- سلطان الدولة أبو شجاع (٤٠٣- ٤١٥هـ/ ١٠١٢- ١٠٢١م).

٧- عضد الدولة أبو كاليجار المرزبان (٤١٥- ٤٤٠هـ/ ١٠٢٤- ١٠٤٨م).

٨- الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز (٤٤٠- ٤٤٧هـ/ ١٠٤٨- ١٠٥٥م).

حكام السلاطين البويهيين في العراق والأهواز وكرمان:

١- معز الدولة أبو الحسين أحمد (٣٢٠- ٣٥٦هـ/ ٩٣٢- ٩٦٧م).

٢- عز الدولة بختيار (٣٥٦- ٣٦٧هـ/ ٩٦٧- ٩٧٧م).

٣- عضد الدولة أبو شجاع خسرو (٣٦٧- ٣٧٢هـ/ ٩٧٧- ٩٨٢م).

٤- شرف الدولة أبو الفوارس شيرزاد (٣٧٢- ٣٧٩هـ/ ٩٨٢- ٩٨٩م).

٥- بهاء الدولة أبو نصر (٣٧٩- ٤٠٣هـ/ ٩٨٩- ١٠١٢م).

٦- سلطان الدولة أبو شجاع (٤٠٣- ٤١٢هـ/ ١٠١٢- ١٠٢١م).

٧- مشرف الدولة أبو علي (٤١٢- ٤١٦هـ/ ١٠٢١- ١٠٢٥م).

٨- أبو طاهر جلال الدولة (٤١٦- ٤٣٥هـ/ ١٠٢٥- ١٠٤٣م).

٩- أبو كاليجار مرزبان (٤٣٥- ٤٤٠هـ/ ١٠٤٣- ١٠٤٨م).

١٠- الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز (٤٤٠- ٤٤٧هـ/ ١٠٤٨- ١٠٥٥م).



حكام السلاطين البويهيين في الري وأصفهان وهمذان:

١- ركن الدولة أبو علي حسن (٣٢٠- ٣٦٦هـ/ ٩٣٢- ٩٧٦م).

٢- مؤيد الدولة أبو منصور (٣٦٦- ٣٧٣هـ/ ٩٧٦- ٩٨٣م).

٣- فخر الدولة أبو الحسن علي (٣٧٣- ٣٨٧هـ/ ٩٨٣- ٩٩٧م).

٤- شمس الدولة أبو طاهر (في همذان فقط) (٣٨٧- ٤١٢هـ/ ٩٩٧- ١٠٢١م).

٥- مجد الدولة أبو طالب رستم (في الري فقط) (٣٨٧- ٤٢٠هـ/ ٩٩٧- ١٠٢٩م).

٦- سماء الدولة أبو الحسن (في همذان فقط) (٤١٢- ٤١٤هـ/ ١٠٢١- ١٠٢٣م).

في العاشر من المحرم سنة ٣٥٢هـ أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم، ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يُظهروا النِّياحة، ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء منشّرات الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنهما. ففعل الناس ذلك، ولم يكن للسُّنَّة قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة، ولأن السلطان معهم. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٥ .

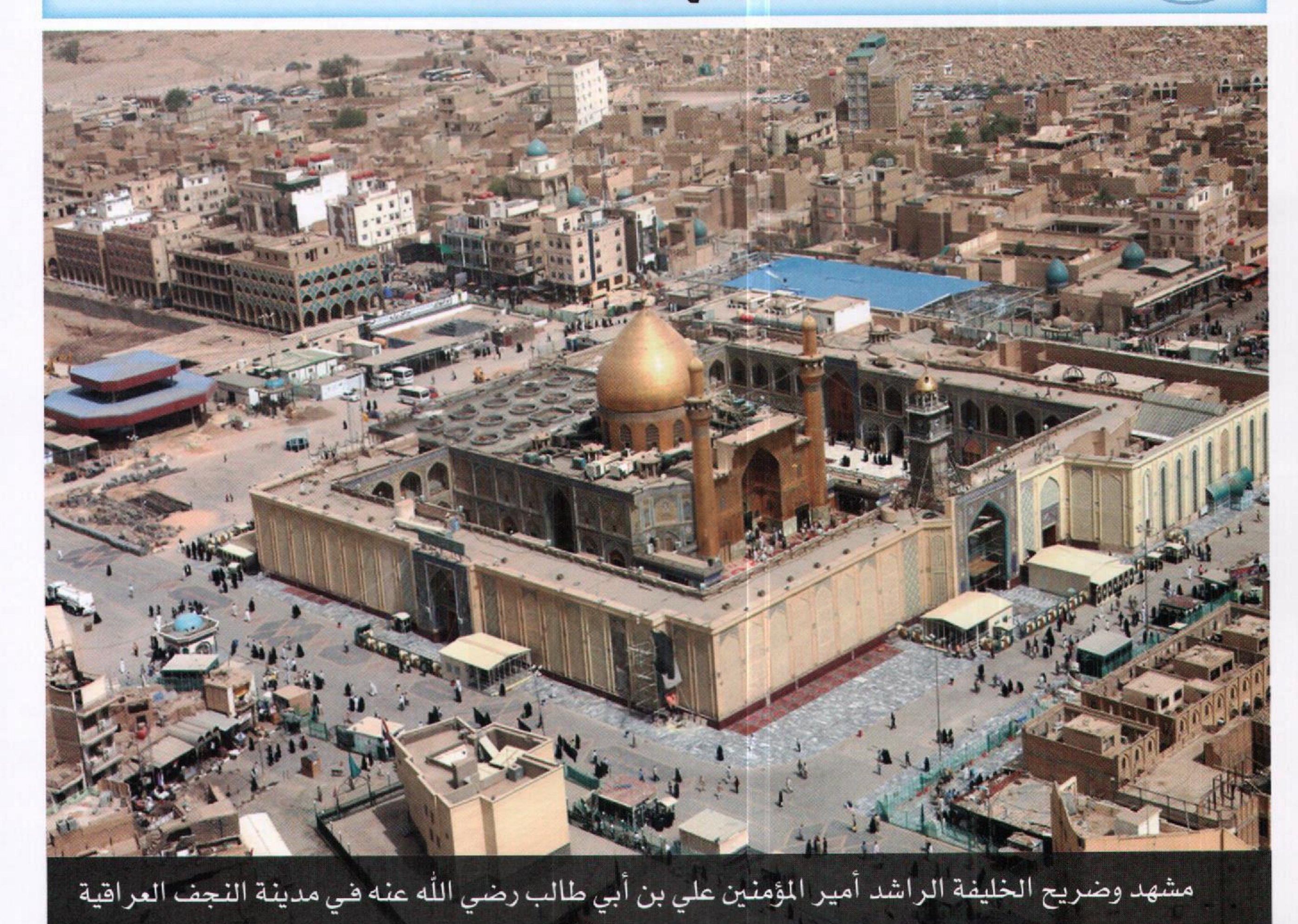
الدولة البويهية في عيون المؤرخين:

يرى الإمام السيوطي: أن الدولة البويهية ظهرت فيها بعض الأفكار الهدّامة، التي تبعد كل البُعد عن الدين الإسلامي، ويتضح ذلك في أثناء حديثه عن التناسخية حيث يقول: "وفي سنة ٣٤١هـ ظهر قوم من التناسخية فيهم شابٌ يزعم أن روح عليٍّ انتقلت إليه، وامرأته تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها، وآخر يدّعي أنه جبريل؛ فضُربوا فتعزَّزوا بالانتماء إلى أهل البيت، فأمر معز الدولة بإطلاقهم لميله إلى أهل البيت، فكان هذا من أفعاله الملعونة". السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٤٥ .

ويرى الأستاذ محمود شاكر: أن الدولة البويهية الشيعية لم تكن دولة إسلامية بالمعنى الصحيح، فهي تخالف عقائد وفكر أهل السُّنَّة مخالفة واضحة؛ فلذلك بدرت منها أفعال منكرة تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، ويتضح ذلك من قوله: "لقد كانت أسرة آل بويه شيعيّة، فبدرت منهم أعمال منكرة". محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية ١٤٢/٦.

أما الدكتور محمد طقوش فيقول: "كان من المتوقع أن يعيد البويهيون الاستقرار والوحدة إلى أقاليم الخلافة بفرض سيطرتهم عليها، وكبح جماح جندهم، وإفساح المجال أمام الخلافة كي تضطلع بمسئولياتها، وتجنب إثارة الفتن المذهبية إلا أن ذلك لم يتحقق؛ لأنهم دخلوا بغداد يحملون روح العداء للخلفاء العباسيين المخالفين لهم في المذهب، وقد فكّر معز الدولة بعد دخوله بغداد وسيطرته على مقاليد الأمور فيها، في إلغاء الخلافة العباسية وإقامة خلافة شيعية على أنقاضها، وتنصيب أحد الزعماء الشيعة الزيديّة، وكان بإمكانه تحقيق ذلك، إلا أنه أحجم بعد استشارة أصحابه؛ لأن مثل هذا التغيير كان سيعرِّض العالم الإسلامي لهزات عنيفة، إضافةً إلى زعزعة الحكم البويهي. ومن ثم فإن شيعة العراق الذين حاول معز الدولة استمالتهم إليه كانوا على مذهب الإمامية، وهذا يدل على أن تنصيب خليفة زيديّ سيكون مماثلاً في نظرهم، بالمقارنة مع الخليفة العباسي؛ لهذا أدرك معز الدولة من خلال فكرته السياسية الثاقبة بأن البقاء على الخلافة العباسية أجدر متبعًا للمبدأ الزيدي القائل: "بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل". وأجاز على هذا الأساس الذي أقره المبدأ الزيدي، وعلى أساس المصلحة السياسية أن يدين بالولاء لخليفة سُنّي، إلا أنه اتّبع سياسة ترمي إلى الحدّ من سلطته مقابل تقوية نفوذه. د. طقوش: تاريخ الدولة العباسية ص٢٢٣، ٢٢٤.

ويرى كثير من المؤرخين بأن بني بويه أذلوا الخلفاء العباسيين وسلبوهم سلطانهم، ولم يتورعوا عن التعدي على أشخاصهم أحياناً، وأن الخلافة فقدت هيبتها وضعف شأنها في عهدهم، وأن الخليفة أضحى ألعوبة في أيديهم، يمثّل رمزاً دينياً ليس له من الأمر شيء سوى الاسم فقط، أما السلطة الفعلية في الدولة فكانت في يد الأمير البويهي. د. محمود و د. الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ص٥٢٤.



مشهد وضريح الخليفة الراشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مدينة النجف العراقية

في أواخر القرن الرابع الهجري سيطرت الإمارات الشيعية على معظم العالم الإسلامي آنذاك: كنتيجة لضعف الحكام العباسيين، وجاءت إمارة آل بُوَيه فعَزمَ **عضدُ الدولة البويهي ت ٣٧٢ هـ** على إقامة أعظم عمارة للنجف، فبذل الأموال الطائلة وجلب البنائين ومواد البناء والصنّاع وأهل الخبرة، ونقلَ الأخشاب والصخور من أماكن عديدة، وأنشأ قريباً من المكان المعروف ببئر ملاحة مصاهر للطابوق والجصّ، وكان ينقل ماء الشرب على ظهور الجِمال، ثمّ حفر قناة للماء تصعد من الفرات إلى النجف، وهي اليوم موجودة تعرف بقناة آل بويه، وأنهض رواقاً عالياً عقد عليه قبة بيضاء، وأقام عضد الدولة أمام الرواق بهواً كان يجلس فيه، وفي هذا البهو وتحت الرواق عُقدت حفلة للافتتاح.

وأقام الغرف والإيوانات وأنشأ داراً للضيافة وبذل الطعام للزائرين ثلاثة أيّام، وأجرى الجرايات وبثّ العطاء للذين ينوون الإقامة والمجاورة، وتمكّثت عمارة عضد الدولة إلى أواخر القرن الثامن للهجرة، ثمّ كانت تُجَدّد وترمم من قبل البعض.

وقد شاهد الرحالة ابن بطّوطة، عمارة عضد الدولة البويهي، ووصفها حين وروده النجف، سنة ٧٢٧ هـ بأنها: (معمورة أحسن عمارة، وحيطانها مزينة بالقاشاني، وهو شبه الزليج عندنا لكنّ لونه أشرق، ونقشه أحسن، وإذا ما دخل زائر يأمرونه بتقبيل العتبة، وهي من الفضّة وكذلك العضادتان، ثمّ يدخل بعد ذلك إلى القبة، وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه، وبها قناديل الذهب والفضة، منها الكبار والصغار، وفي وسط القبة مسطبة مربعة، مكسوّة بالخشب، عليها صفائح الذهب المنقوشة المُحكمة العمل، مسمّرة بمسامير الفضة، قد غلبت على الخشب، لا يظهر منه شيء، وارتفاعها دون القامة، وفوقها ثلاثة من القبور، يزعمون أن أحدها قبر آدم عليه السلام، والثاني قبر نوح عليه السلام، والثالث قبر الإمام علي عليه السلام) أ. هـ. **قلت:** والقبران الأولان ادعاء من دون سند، لمزيد من الإيضاح ينظر في كتابنا أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، ط. ١١ طبع ونشر مكتبة العبيكان.

الحمدانيون (٣١٧- ٣٩٤هـ/ ٩٢٩- ١٠٠٣م)

ينتسب **الحمدانيون** إلى قبيلة تغلب بن وائل من أعظم بطون ربيعة بن نزار، وكانوا من نصارى العرب في الجاهلية الذين لهم محل في الكثرة والعدد.

وكانت مواطنهم في الجزيرة وديار ربيعة، ثم ارتحلوا مع هرقل إلى بلاد الروم، ثم رجعوا إلى بلادهم، ونزلوا ساحل "الرقّة" الفسيح، ومنها انتقل حمدان بن حمدون إلى "الموصل".

وكان حمدان جد الأمراء الحمدانيين رئيس قبيلة أنجبت عدة أولاد اعتمدوا على أنفسهم، وألقوا بأنفسهم في ميادين المغامرة والحرب، فانتصروا وخذلوا، وكانت حياتهم تتصف بالعنف والقوة، ولا تعرف الهدوء والسلم إلا قليلاً. وقد رافقت نشأة الحمدانيين ضعف الدولة العباسية، وغروب شمسها. ورافق ظهور الأسرة الحمدانية ارتقاء "المتقي" عرش الخلافة، وقد تسلمها وهي على ما هي عليه من التفكك والانحلال، على يد الأتراك أصحاب وظيفة "أمير الأمراء" في بغداد؛ حيث استبد أولئك الأمراء بالسلطة دون الخليفة العباسي، وراحت بعض القبائل العربية التي سكنت بادية الشام ووادي الفرات تستغل ضعف الخلافة العباسية، وتستقل بالمدن والقلاع الواقعة في أرضها. ويعد ما قامت به قبيلة "تغلب" مثلاً لهذا الذي كان يقع في حقبة ضعف الخلافة وسيادة الأمراء.فقد استطاعت "قبيلة تغلب" بفضل أبناء زعيمها "حمدان بن حمدون" أن تؤسس دولة في شمالي العراق، وأن تتخذ من مدينة "الموصل" عاصمة لها (٣١٧-٣٥٨هـ/ ٩٢٩-٩٦٩م). وتعصبت هذه الدولة للعروبة، وساءها استبداد الأتراك بالخلافة العباسية، فجاء زعيمها "الحسن بن عبد الله الحمداني" إلى بغداد، ومعه أخوه لمناصرة الخليفة المتقي بالله سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م. وكافأ الخليفة هذا الزعيم الحمداني بأن عينه في وظيفة "أمير الأمراء"، ومنحه لقب "ناصر الدولة"، ثم منح الخليفة المتقي أخاه لقب "سيف الدولة الحمداني". وعاش الأخوان: "ناصر الدولة" و"سيف الدولة" ببغداد إلى جانب الخليفة الذي عرف لهما قدرهما، ولكن ذلك لم يعجب الأتراك، فاستطاعوا بزعامة قائدهم "توزون" أن يطردوا الحمدانيين، وأن يحملوهم على العودة إلى الموصل سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م. وتطلع سيف الدولة بعد خروج الحمدانيين من بغداد إلى القيام بمغامرة حربية تعلي من شأن دولته بالموصل فسار سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م إلى شمالي الشام واستولى على "حلب" وأخرج منها حاكمها التابع للدولة الإخشيدية، صاحبة السيادة حين ذاك على مصر والشام. وكانت هذه النزاعات بين أقاليم الأمة المسلمة الواحدة وراء التعجيل بنهاية هذه الدولة، وأصبح سيف الدولة بذلك صاحب الدولة الحمدانية وعاصمتها حلب التي استمرت في شمالي الشام حتى سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م. موسوعة الأسرة المسلمة

الدولة العباسية
الثغور الإسلامية
الدولة البيزنطية
موقعة بين الطرفين

الجيش الحمداني بقيادة سيف الدولة الحمداني
الجيش البيزنطي
معركة مرعش سنة ٣٤١ هـ

الصراع بين الحمدانيين والبيزنطيين في مناطق الثغور

خارطة الدولة الحمدانية (٣١٧-٣٩٩هـ/ ٩٢٩-١٠٠٩م)



فرقة النصيرية الباطنية

النصيرية: حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يُعدّون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجوداً إلهياً في علي وألهوه به، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، وهم مع كل غاز لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم العلويين تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الباطنية. الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

يُعد مؤسس **النصيرية** أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري (ت ٢٧٠هـ) عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة وهم علي الهادي (العاشر) والحسن العسكري (الحادي عشر) ومحمد المهدي (الموهوم) (الثاني عشر).

يستوطن **النصيريون** منطقة جبال النصيريين في اللاذقية، ولقد انتشروا مؤخراً في المدن السورية المجاورة لهم.

- يوجد عدد كبير منهم أيضاً في غربي الأناضول ويعرفون باسم (التختجية والحطابون) فيما يطلق عليهم شرقي الأناضول اسم (القزل باشيه).
- ويعرفون في أجزاء أخرى من تركيا وألبانيا باسم (البكتاشية).
- هناك عدد منهم في فارس وتركستان ويعرفون باسم (العلي إلهية).
- وعدد منهم يعيشون في لبنان وفلسطين.

مراحل تأسيس النصيرية في العصر العباسي

الإخشيديون (٣٢٣- ٣٥٨هـ/ ٩٣٥- ٩٦٩م)

الدولة الإخشيدية التركية، أسسها في مصر «محمد بن طغج الإخشيد» من أولاد ملوك فرغانة، وقد حكمت من سنة ٣٢٣هـ= ٩٣٥م إلى سنة ٣٥٨هـ= ٩٦٩م. وكان طغج -والد محمد- قد ساهم في القضاء على الدولة الطولونية، وتوفي في سجن بغداد. توالى على الحكم مجموعة من الملوك أولهم، محمد الإخشيد بن طغج (٣٢٢-٣٣٥هـ=٩٣٥-٩٤٦م). حيث يُعد مؤسس الدولة الإخشيدية، أصبح والياً على مصر من قبل الخليفة العباسي في عام ٣٢٣هـ= ٩٣٥م فأبدى كفاءة ونشاطاً في الحكم، **وصد الخارجين على الخلافة، وامتد سلطانه حتى حكم دمشق سنة ٣٢٨ وقلده الخليفة حكم مكة والمدينة، واليمن**، وجعل الحكم من بعده وراثياً في عقبه، غير أن ابنه (أبا القاسم الوجور) كان حدثاً صغيراً، فأقيم كافور الإخشيدي وصياً على عرشه، وقد استأثر كافور بالحكم نهائياً بعد موت سيده، ثم مات كافور فلم تقم لدولة الإخشيديين من بعده قائمة، واستولى على مصر العبيديون (الفاطميون).

مات محمد بن طغج في دمشق سنة ٣٣٥هـ=٩٤٦م ونقل إلى بيت المقدس فدفن فيها، وقد استبد في دمشق وصادر أموال أغنيائها واستصفى أموالهم. ثم توالى على الحكم مجموعة من الحكام كان من أبرزهم **الإخشيد الحسن بن عبيد الله بن طغج أبو محمد**، ابن الأخشيد، ولد سنة ٣١٢هـ= ٩٢٤م، وهو تركي الأصل، كان صاحب الرملة، وأخذها منه **القرامطة** فانتقل إلى **مصر** وتمكن بها، ثم ولي **دمشق** سنة ٣٥٨هـ، وحارب المغاربة القادمين من مصر مع جعفر بن فلاح، فأسر وأرسل إلى مصر، فبعث به القائد جوهر الصقلي إلى المغرب، فبايع للمعز العبيدي، وأعيد إلى مصر فتوفي فيها سنة ٣٧١هـ=٩٨٢م

وكان يطلق على ملوك فرغانة (الإخشيد)، ودخل هذا اللقب في الإسلام، وكثر استعماله في العصر العباسي حين ضعف نفوذ الخلفاء واستبد بالسلطان الأتراك وغيرهم، فأحبوا ألقاب ملوكهم وتقاليدهم.

وقع الإخشيد في خلاف شديد مع سيف الدولة الحمداني، حول حكم بلاد الشام واتخذت الخلافة العباسية موقف المتفرج، على الرغم من أن الخليفة كان قد جعل حكم بلاد الشام للإخشيد وأبنائه من بعده. وكان الحمدانيون يرون أنهم لا يقلون شأناً عن أصحاب تلك الدويلات المستقلة ورأوا افتقار شمال بلاد الشام إلى سلطة مركزية قوية، تفرض وجودها أمام خطر الإمبراطورية البيزنطية، التي مرت في الثلث الثاني من القرن الرابع الهجري بحقبة من أحقاب الإحياء، التي كانت تمر بها من وقت لآخر، وبخاصة أن الخلافة العباسية كانت تعاني من الضعف والعجز عن حماية هذه المنطقة أمام الخطر البيزنطي، حتى إن المنطقة الساحلية في بلاد الشام ومنطقة الجزيرة الفراتية، أصبحت بين خاضعة للسيادة البيزنطية، أو مهددة بذلك. موقع التاريخ الإسلامي.


الدولة الإخشيدية في أقصى اتساعها
(٣٢٣ - ٣٥٨هـ/ ٩٣٥ - ٩٦٩م)
حدود الخلافة العباسية
حدود الإمبراطورية البيزنطية
حدود الدولة الإخشيدية
حدود الدولة الزيدية في طبرستان
مناطق خارجة عن نطاق دولة الخلافة
منطقة الثغور الإسلامية مع البيزنطيين
مناطق تمدد القرامطة في عهودها اللاحقة
الدولة الحمدانية
القسطنطينية
آسيا الصغرى
الإمبراطورية البيزنطية
بحر بنطس (البحر الأسود)
جورجيا
أرمينيا
أذربيجان
بحر قزوين (بحر الخزر)
طبرستان
بلاد الأكراد
ديار بكر
الحمدانيون
الموصل
الجزيرة الفراتية
حلب
دمشق
بلاد الشام
البحر الشامي (البحر الأبيض المتوسط - بحر الروم)
العراق
بغداد
الخلافة العباسية
إيران
الأهواز
البصرة
مصر
الفسطاط
الدولة الإخشيدية
الصعيد
نجد
القرامطة
الأحساء
المدينة النبوية
الحجاز
مكة
جزيرة العرب
صحراء الربع الخالي (صيهد ووبار)
اليمن
مملكة النوبة
بحر القلزم (البحر الأحمر)
خليج البحرين (الخليج العربي)
دينار إخشيدي ضرب فلسطين سنة ٣٣٣ هـ

دخول العبيديين إلى مصر بقيادة جوهر الصقلي سنة ٣٥٨ هـ

تعددت محاولات العبيديين دخول مصر لضمها إلى دولتهم التي كانت قد قامت بالمغرب منذ سنة ٢٩٦ هـ، فقد أرسلوا ثلاثة جيوش لتحقيق هذا الهدف في السنوات ٣٠١هـ، و٣٠٧هـ، و٣٢١هـ، في الحقبة بين سقوط الدولة الطولونية وقيام الدولة الإخشيدية، ولم يرسلوا بجيوش ذات قيمة طوال عهد الدولة الإخشيدية، ولكنهم اكتفوا بإرسال الدعاة الذين ينشرون دعوتهم، ويبشرون بمزايا حكمهم، ويجمعون الأنصار والمؤيدين حولهم.

ونتيجة للضعف الذي أصاب الدولة العباسية في بغداد تمكن العبيديون من تحقيق أطماعهم في الاستيلاء على مصر، وبوفاة "كافور الإخشيدي" سنة ٣٥٥هـ ضعفت الدولة الإخشيدية فانتهز "المعز لدين الله العبيدي" رابع الخلفاء العبيديين الفرصة وبدأ في إعداد جيش كبير من مائة ألف مقاتل ليرسله إلى مصر لغزوها وضمها إلى دولته، وعهد إلى "جوهر الصقلي" قيادة هذا الجيش، وسارت حملة "جوهر" من إفريقية (تونس اليوم) إلى مصر في ١٤ ربيع الآخر سنة ٣٥٨ هـ. زود "المعز" جيشه بالأموال الوفيرة للإنفاق على الجيش وما يلزمه فى مرحلة السفر، كما صحب الجيش البري إرسال عدد من السفن البحرية لترسوا على ميناء الإسكندرية دعماً للجيش العبيدي. ووصل "جوهر" إلى الإسكندرية واستولى عليها دون مقاومة، وفي عاصمة مصر (الفسطاط) لم يكن الحال مختلفاً، فقد رأى المسؤولون بها أنه لا طاقة لهم بمقاومة الجيوش العبيدية الكثيفة، ولم يكن للخلافة العباسية في بغداد أي تواجد سياسي أو قوة عسكرية تصد العبيديين.

حكم جوهر الصقلي مصر لمدة أربع سنوات نائباً عن سيده الخليفة المعز، ثم لإنشائه مدينة القاهرة لتكون عاصمة للخلافة العبيدية بمصر. ويعود مولد جوهر الصقلي إلى جزيرة صقلية، حيث نشأ في كنف الدولة العبيدية وكان المعز يقربه إليه ويعامله معاملة خاصة لما لمسه فيه من إخلاص وتدين ومواهب متعددة مميزة. أما خبراته الحربية فظهرت وتأكدت عندما كلف المعز بقيادة جيش لضم ما تبقى من أقاليم المغرب، وظل جوهر يحاول ضم فاس التي استعصت عليه حتى تم له ذلك، وبضمها يكون "جوهر" قد أتم ضم المغرب في أقل من سنة، ولهذا لم يكن غريباً أن يختاره "المعز لدين الله" ليقود جيشه لغزو مصر.[١]

بعد أن توطد سلطان العبيديين في مصر، صار تحدي الإسماعيلية للنظام العباسي والفكر السني أكثر قرباً وأشد خطراً، وصار للعبيديين دولة واسعة الأرجاء، شملت وهي في ذروة قوتها، مصر وسورية وشمالي إفريقيا وصقلية واليمن والحجاز - أحياناً - وسيطر العبيديون على جيش من الدعاة، وعلى ولاء عدد لا يحصى من الأتباع في الأراضي التي كانت خاضعة للحكم العباسي فعلياً أو اسمياً.

---

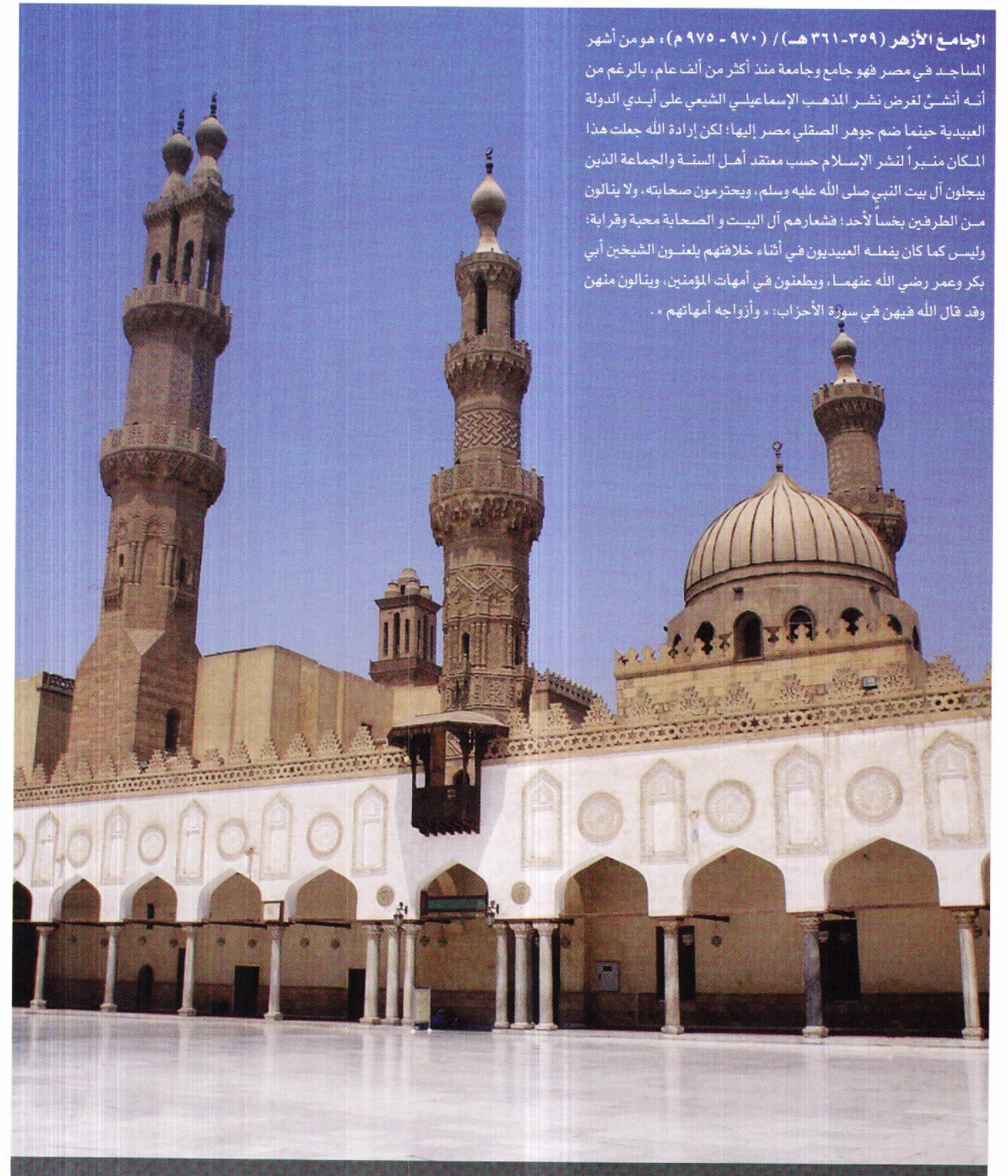
١ - أشرف السيد الشربيني، مصر في عهد الدولة الفاطمية.



امتداد الدولة العبيدية إلى مصر في عهد السيطرة البويهية على الخلافة العباسية

لم تكن ردود أفعال **السُّنَّة والخلافة العباسية** تجاه قيام الدولة العبيدية في البداية فاعلة، إذ لم تتعَدّ بعض إجراءات أمن ضد الدعاة، وحرباً دعائية ضد السلالة العبيدية، التي اتهمت في محضر نشر في بغداد سنة ٤٠٢ هـ/١٠١١م، بأنها لا تمت بنسب صحيح إلى فاطمة وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -، ومع الأيام بدأت جذوة الحركة العبيدية تخبو لانكشاف حقيقتها، وأخذ الإسلام السني يسترد نشاطه، وكانت أهم أسباب إخفاق الدعوة العبيدية ما عانته من تمزق داخلي وظهور الأتراك على مسرح الأحداث وإقامتهم للدولة السلجوقية.

وكان من أهم الأحداث التي واجهت الدولة العبيدية، انفصال شمالي إفريقيا عن جسم الدولة، ففي عهد الأمير الزيري المعز بن باديس (٤٠٧-٤٥٤هـ) تم الانفصال عن العبيديين رسمياً، وعندما لم تستطع الخلافة إيقاف حركة الانفصال هذه، شجعت عدداً من القبائل العربية التي كانت قد هاجرت إلى مصر، وعلى رأسها قبائل سليم وهلال، على عبور النيل والاتجاه غرباً بعد أن كانوا يمنعونهم منه، واجتاز هؤلاء مصر إلى الغرب موجة إثر موجة، وأقامت سليم في ليبيا وانتشر بنو هلال في ولاية إفريقية، ولكن هذه الهجرة لم تحقق عودة إفريقية للحكم العبيدي لاختلاف المعتقد، فصبغت شمالي إفريقيا بالصبغة العربية نهائياً. كذلك عانت الخلافة أمورَ السيطرة على فلسطين وغيرها من أجزاء الشام ونجم عن ذلك ردود أفعال شديدة، ولاسيما بين صفوف القبائل وسكان المدن، فلقد ثارت قبيلة آل جراح من طيء في وجه الغزو العبيدي، وحاول زعماء القبائل إنشاء خلافة في فلسطين، فجلبوا أحد أفراد الأسرة الحسنية من الحجاز، ونصبوه خليفة ولكن محاولتهم باءَت بالفشل.



الجامع الأزهر (٣٥٩-٣٦١ هـ) / (٩٧٠ - ٩٧٥ م): هو من أشهر المساجد في مصر فهو جامع وجامعة منذ أكثر من ألف عام، بالرغم من أنه أنشئ لغرض نشر المذهب الإسماعيلي الشيعي على أيدي الدولة العبيدية حينما ضم جوهر الصقلي مصر إليها؛ لكن إرادة الله جعلت هذا المكان منبراً لنشر الإسلام حسب معتقد أهل السنة والجماعة الذين يبجلون آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ويحترمون صحابته، ولا ينالون من الطرفين بخساً لأحد؛ فشعارهم آل البيت و الصحابة محبة وقرابة؛ وليس كما كان يفعله العبيديون في أثناء خلافتهم يلعنون الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويطعنون في أمهات المؤمنين، وينالون منهن وقد قال الله فيهن في سورة الأحزاب: «وأزواجه أمهاتهم».

بعدما أسس جوهر الصقلي مدينة القاهرة شرع في إنشاء هذا الجامع الأزهر وأتمه في شهر رمضان سنة ٣٦١ هجرية = ٩٧٢م فهو أقدم أثر عبيدي قائم بمصر. وقد اختلف المؤرخون في أصل تسمية هذا الجامع، والراجح أن العبيديين سموه بالأزهر لمكانة فاطمة الزهراء رضي الله عنها في قلب كل مسلم.

أوروبا
مملكة الفرنجة
باريس
بودابست
البندقية
ميلانو
مرسيليا
برشلونة
مدريد
الأندلس
قرطبة
لشبونة
ج . البليار
كورسيكا
سردينيا
روما
نابولي
صوفيا
القسطنطينية
الإمبراطورية البيزنطية
بحر بنطس (الأسود)
أثينا
أنطاليا
سراي بركة
تفليس
شماخة
باكو
بحر الخزر (قزوين)
تبريز
الديلم
البويهيون
أصفهان
بغداد
الكوفة
البصرة
الموصل
حلب
الحمدانيون
سلمية
مصياف
دمشق
بيت المقدس
الإسكندرية
القاهرة
البحر الشامي (البحر الأبيض المتوسط)
تونس
القيروان
المهدية
تاهرت
بنو زيري
طرابلس
بنغازي
طنجة
تلمسان
فاس
المغرب الأقصى
سجلماسة
بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)
الدولة العبيدية
إفريقيا
نهر النيل
بحر القلزم (الأحمر)
المدينة النبوية
مكة المكرمة
سواكن
القرامطة
غ . البحرين (العربي)
الزياديون
صنعاء
الشمال

أصول المناطق التي خضعت للدولة العباسية
الإمبراطورية البيزنطية
الدولة الأموية في الأندلس
الدولة العبيدية
الحمدانيون
القرامطة

تأسيس الدولة ٢٩٧ هـ
توسع العبيديين
٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧٢ هـ

٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ كم

الدولــة العبيديــة في أقصــى اتســاع لهــا ٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧٢ هـ



دينار فاطمي (عبيدي) ضرب طرابلس

دينار فاطمي (عبيدي) ضرب مصر سنة ٤٤٦ هـ

إعلان الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٣١٦ هـ

بعد وفاة عبد الرحمن الداخل تعاقب خلفاؤه على الإمارة، واستطاعوا الحفاظ على الدولة بتوحيد أراضي الأندلس الإسلامية ومحاربة الممالك النصرانية في الشمال، حتى وصلت إلى أوجها في عهد عبد الرحمن الأوسط، الذي شهد عهده ازدهار حركات الآداب والعلوم والعمارة وفنونها، وبلغت الأندلس مرحلة متقدمة من المدنية، فأصبحت الدولة الأموية في بلاد الأندلس مركزاً حضارياً كبيراً في غربي العالم الإسلامي. بل وتطورت عسكرياً، فاستطاعت صدّ الغزوات البحرية للنورمان على الموانىء الإسلامية في المحيط الأطلسي.

لحقت هذه المرحلة مرحلة اضطراب نتيجة تعرض الإمارة إلى ثورات داخلية من المولدين والنصارى والبربر وبعض القبائل العربية وهجمات خارجية من النورمان والممالك النصرانية في الشمال في محاولة استعادة الأراضي التي دخلت تحت حكم الإسلامي في عهد الأمراء محمد بن عبد الرحمن وابنيه المنذر وعبد الله، وكان أخطرها ثورة ابن حفصون. لكن مع تولي عبد الرحمن الناصر لدين الله (انظر المستند) استعادت البلاد وحدتها السياسية وقوتها العسكرية بعد أن خاض حروباً طويلة استطاع من خلالها استعادة السيطرة على البلاد.

وفي عام ٣١٦ هـ/٩٢٨م، **أعلن الناصر نفسه خليفة للمسلمين** في الأندلس، لتقوية مركزه الديني ليساعده ذلك على مواجهة الدولة العبيدية في شمال إفريقية، التي سبقته لإعلان اتخاذهم لقب خليفة. ولمواجهة هذا الخطر حصّن الناصر الموانئ الجنوبية للأندلس، وضم موانئ المغرب المواجهة للأندلس في مليلة وسبتة وطنجة، إضافة إلى دعم القبائل البربرية المعادية للفاطميين في المغرب مادياً وعسكرياً. كما استطاع التصدي لأطماع الممالك النصرانية في الشمال كمملكة قشتالة وليون ونافار.

عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ

ولد عبد الرحمن في الأندلس عام ٢٧٨ هـ واعتنى بتربيته جده لأبيه بعد وفاة والده وهو صغير. تولى إمارة الأندلس بعد وفاة جده عام ٣٠٠ هـ وكان عمره ٢٢ سنة، فتطلعت الأنظار نحو هذا الشاب وتعلقت الآمال به، فاستطاع توحيد الأندلس بعد التمزق، وأعاد القوة والعظمة لها.

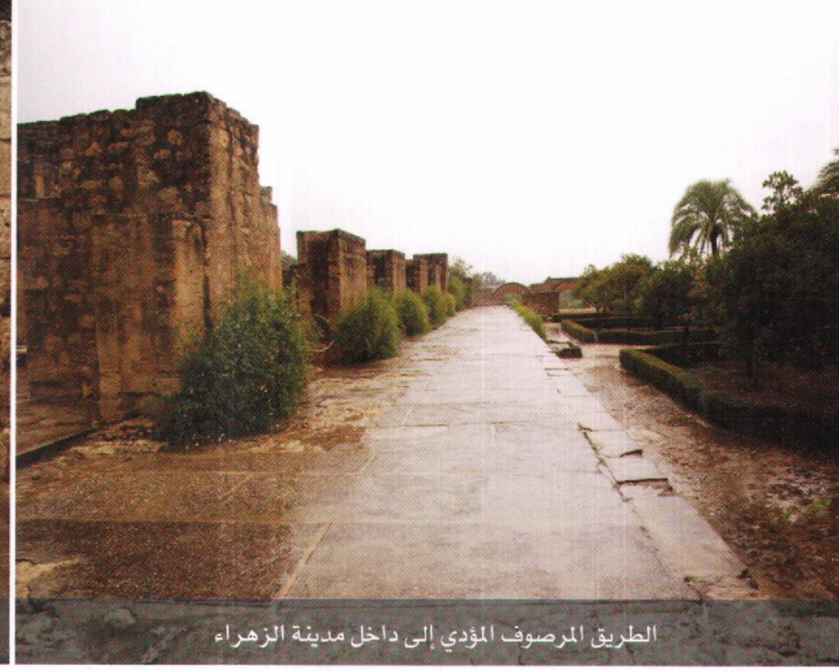
استمر حكمه خمسين عاماً. واتسم عهده بالقوة والعظمة والنهضة العمرانية، فقد خضع له كل حكام أوروبا آنذاك. وقام بأعظم عمل عمراني عندما استقرت الأمور فبنى مدينة الزهراء عام ٣٢٥ هـ على بعد ٣٠ كم من الشمال الغربي من قرطبة. وهو أول من تلقب بالخليفة من أمراء الدولة الأموية بالأندلس، وتسمى بها لما رأى ما آلت إليه الخلافة العباسية من ضعف وفساد ووهن إضافة إلى قيام العبيديين بتلقيب أنفسهم بذلك، حيث استطاع الناصر وقف مد النفوذ العبيدي الشيعي نحو الغرب والأندلس؛ إضافة إلى الصراع مع عمر بن حفصون الذي انتهز فرصة الفوضى التي مرت بها الأندلس بعد وفاة عبد الرحمن الأوسط، وأخذ يهدد العاصمة قرطبة وعندما تسلم عبد الرحمن الناصر الخلافة استطاع القضاء عليه سنة ٣٠٥هـ.

مستند عبد الرحمن الناصر

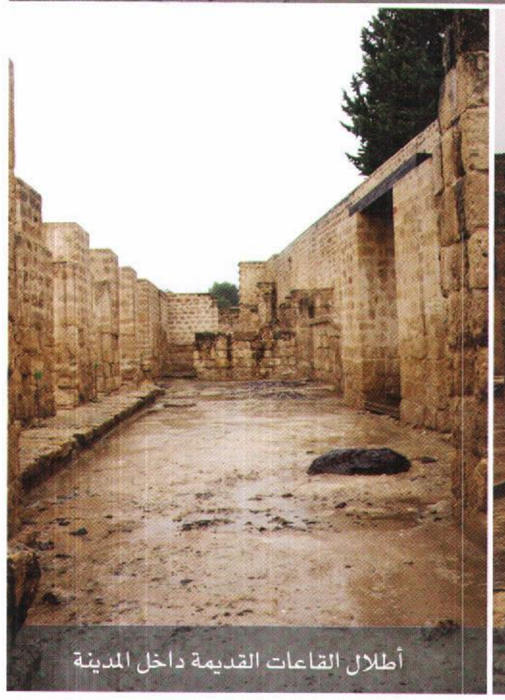


كان نظام الحكم والإدارة في الأندلس في عهد الدولة الأموية متطوراً بالمقارنة بنظائره في الشرق الإسلامي أو الغرب النصراني. كان الخليفة متربعاً على قمة هرم السلطة، ويعاونه "الحاجب" وهو منصب يعادل رئيس الوزراء، إضافة إلى مجموعة من الأشخاص الذين يتولون شئون إدارة البلاد المالية والقضائية والأمنية سواء الداخلية المتمثلة في صاحب الشرطة أو الخارجية متمثلة في قائد الجيش.

أطلال المسجد الجامع في مدينة الزهراء في قرطبة الأندلسية



الطريق المرصوف المؤدي إلى داخل مدينة الزهراء



أطلال القاعات القديمة داخل المدينة

أطلال مدينة الزهراء الساحرة في الأندلس

اهتم الأمويون في الأندلس بالعمارة الدينية والمدنية، فقد اعتنوا ببناء القصور كقصور الخلافة والرصافة والدمشق في قرطبة، وشيّدوا مدناً للاستجمام كمدينة الزهراء التي أسسها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م، والزاهرة التي بناها محمد بن أبي عامر عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م، وقد ظلت الزهراء مقراً لحكم الأمويين لأربعين عاماً في عهدي عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم، إلى أن نقل ابن أبي عامر مقر الحكم إلى مدينته الزاهرة في عهد هشام المؤيد بالله.

ضمت الزهراء قاعات احتفال ومساجد ودوراً حكومية وحدائق وداراً لسك العملة وورشاً للعمال، وثكنات ومساكن للجند وحمامات، كما تم إمدادها بالمياه عبر قنوات. كما شيدوا الكثير من القصاب في العديد من المدن الأندلسية كقصبة ألمرية وبطليوس وجورماز التي بناها عبد الرحمن الداخل.



جانب آخر لأطلال مدينة الزهراء الساحرة في الأندلس

جانب من حديقة قصر الخلافة في قرطبة



دينار أموي إسباني ضرب الأندلس ٣٣١هـ

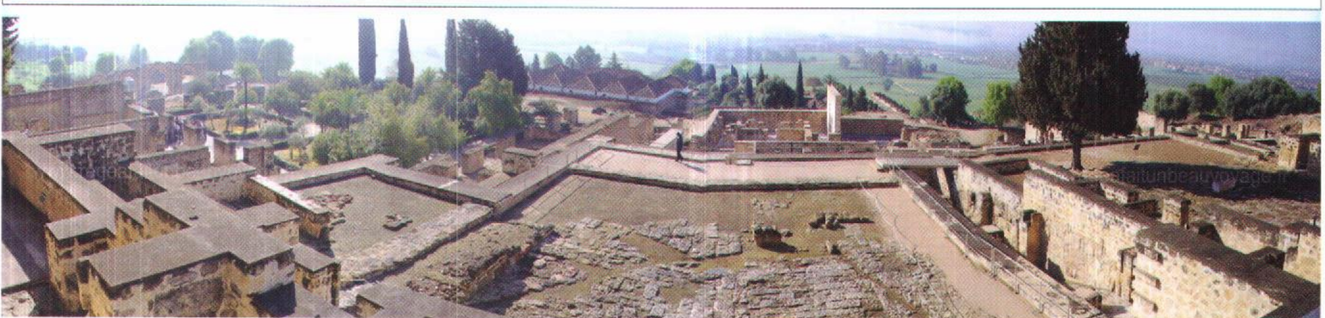
عبدالرحمن الثالث

الوجه: لا إله إلا/ الله وحده/ لا شريك له/ محمد

الظهر: الإمام الناصر/ لدين الله عبدالرحمن/ أمير المؤمنين

بسم الله ضرب هذا الدينر بالأندلس سنة إحدى وثلثين وثلث مائة.

القطر: ٢ سم م. ص. الدينار عبر العصور الإسلامية



تُعد مدينة الزهراء بالأندلس رمز الحضارة الأندلسية عام ٣٢٥ هـ، وتبعد ٣٠ كم من الشمال الغربي من قرطبة، واستغرق بناؤها أربع سنين، وقد بناها عبد الرحمن الناصر لتماثل دمشق عاصمة الدولة الأموية قديماً. كما بنى فيها (قصر الزهراء) وحمل إليها الرخام والمرمر من أقطار الغرب، وأقام فيها أربعة آلاف وثلاثمائة سارية، وأهدى له ملك الفرنجة أربعين سارية من الرخام.

الأشراف في الحجاز في العصر العباسي

كان **العلويون** في بلاد الحجاز كثيراً ما يصطدمون مع العباسيين، فلما قضى خلفاء العصر العباسي الأول على حركاتهم ضعف أمرهم واستكانوا، وظل ولاة بني العباس يتولون الحكم في بلاد الحجاز حتى شُغِلَ الخلفاء العباسيون بالفتن والثورات التي أثارها الأتراك في أواخر القرن الثالث الهجري، فاستغل هذه الفرصة بعض العلويين الطامحين إلى النفوذ والسلطان[١].

وكنتاج طبيعي ظلت سيادة العباسيين قائمة بمكة بعد أن تقلد ولايتها الإخشيديون في مصر، **فلما استولى بنو بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ** شاركوهم هذه السيادة، فأقيمت الخطبة بمكة للمطيع العباسي مع معز الدولة بن بويه، ثم عمل البويهيون على ألا يكون للأخشيديين نفوذ في الأراضي المقدسة ببلاد الحجاز، وقام الخلاف سنة ٣٤٢ هـ مع أمير الحج المصري وأمير الحج العراقي على الخطبة لابن بويه أو ابن الإخشيد، وتطور النزاع إلى نشوب الحرب بين أنصار كل منهما، فلما انهزم المصريون أقيمت الخطبة لمعز الدولة بن بويه، على أن ذلك لم يقض نهائياً على نفوذ الإخشيديين بمكة، فقد ولَّى **الخليفة المطيع** كافور الإخشيدي ببلاد الحجاز بالإضافة إلى مصر والشام، وصار يدعى له بمقتضى هذه التولية على منابر هذه البلاد مع الخليفة العباسي. ثم دُعي بعد وفاته للحسن بن عبيد الله بن طغج الإخشيد[٢].

وعن بروز الأشراف خلال هذه الفترة يذكر البلادي في توطئة جميلة جاء فيها[٣]: أنه عندما تكاثرت ذرية الحسن، والحسين رضي الله عنهما، كانت تدعى **الأشراف** بلا تفريق بين حَسَني وحُسيني، إلاّ أنه فيما بعد -وفي الحجاز خاصة- كانت **الشرافة** علماً على أولاد الحسن بن علي، ودعي أبناء الحسين **السادة**، على أن هذا ما كان مطرداً، فتجد مؤرخي مكة، يقولون: السيد الحسن بن عجلان، والسيد بركات بن الحسن، وهما حسنيان.

فمن هم الأشراف مدار موضوعنا؟

هم **أولاً**: ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب، من أبناء فاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وسلم. وهم **ثانياً**: الذين حكموا الحجاز خلال مدة تقرب من ألف سنة، من (٣٥٨-١٣٤٤ هـ) كما قدمنا، ثم حكموا فيما بعد أقاليم أخر، وكانت دولتهم تمتد حتى تصل إلى نجران وجيزان جنوباً، وجبلي طيء شمالاً، وإلى الأحساء شرقاً، ومع هذا كان أحدهم يتشرف بأن يقال له: (شريف مكة)، شرفها الله تعالى.

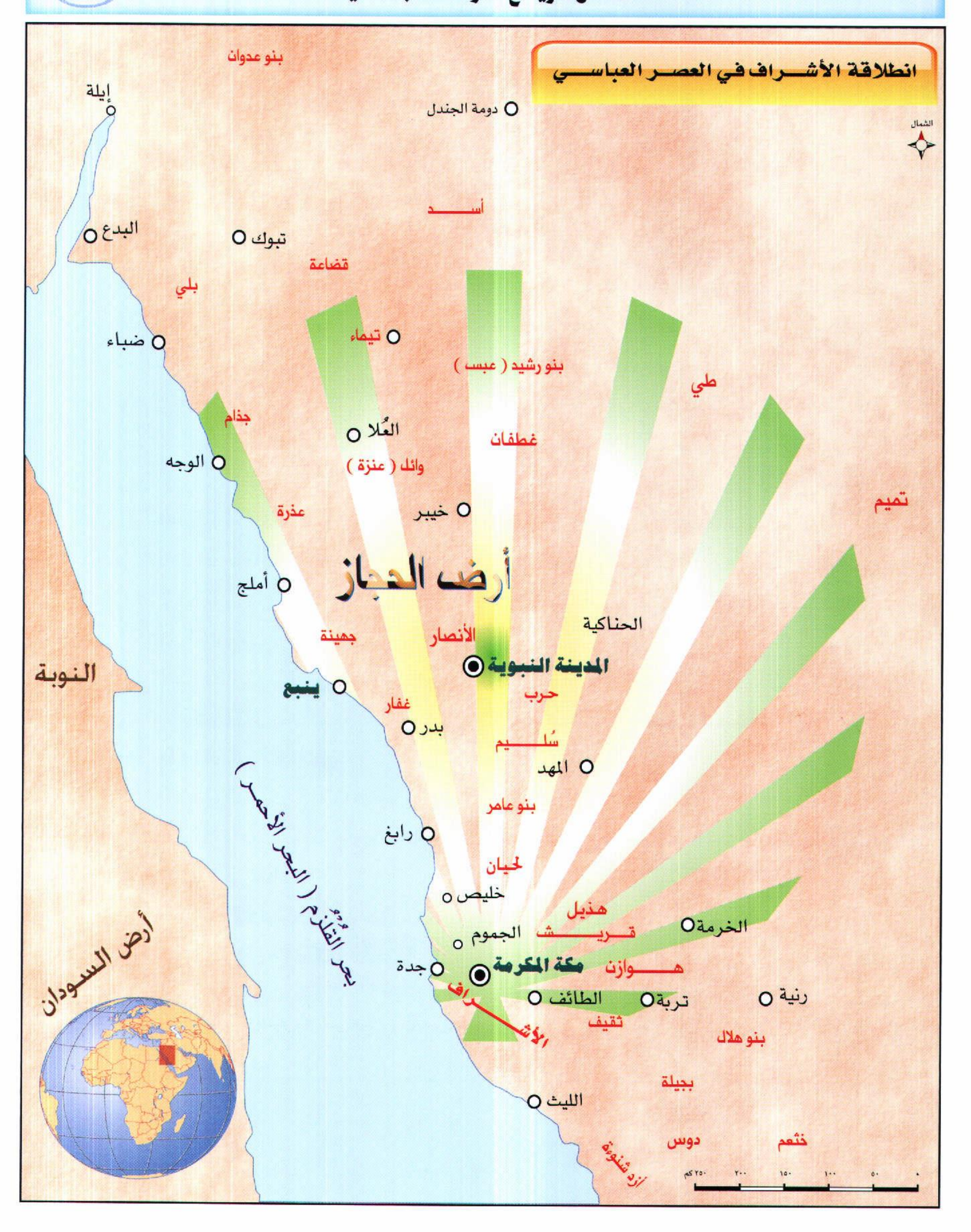
لذا سنقوم بتسليط الضوء - في هذا الأطلس التاريخي - على دور هذه الدول خلال هذه المرحلة بشكل يتناسب والأدوار التي قامت فيها خلال العصر العباسي بشكل موجز.

---

١ - د. محمد جمال سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١٨٩.

٢ - د. محمد جمال سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١٩٠ - ١٩١.

٣ - عاتق بن غيث البلادي، الإشراف على تاريخ الأشراف، موقع أشراف الحجاز بالمملكة العربية السعودية.


انطلاقة الأشراف في العصر العباسي
الشمال
بنو عدوان
إيلة
دومة الجندل
أسد
البدع
تبوك
قضاعة
بلي
ضباء
تيماء
بنو رشيد (عبس)
طي
جذام
العُلا
غطفان
الوجه
وائل (عنزة)
خيبر
تميم
عذرة
أرض الحجاز
أملج
الحناكية
جهينة
الأنصار
المدينة النبوية
النوبة
ينبع
حرب
غفار
بدر
سُليم
المهد
بحر القلزم (البحر الأحمر)
بنو عامر
رابغ
لحيان
أرض السودان
خليص
هذيل
الخرمة
قريش
الجموم
جدة
مكة المكرمة
هوازن
الأشراف
الطائف
تربة
رنية
ثقيف
بنو هلال
بجيلة
الليث
دوس
خثعم
أزد شنوءة
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كم

أولاً: دولة الأشراف الموسويين (٣٥٨ - ٤٥٣ هـ/٩٦٨ - ١٠٦١ م)

قال البلادي [١]: تنسب هذه **الدولة** إلى جعفر بن محمد بن الحسين، وقيل: جعفر بن الحسين بن محمد الثائر بن **موسى الثاني** بن عبد الله بن موسى الجَوْن بن عبد الله المَحْض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن **علي بن أبي طالب**، رضي الله عنهما. كذا ذكره الدحلان في (خلاصة الكلام)، ثم قال: تغلب جعفر المذكور على مكة **زمن الإخشيد**، قبل أن يملك **العُبيديون** مصر، بعد موت كافور، وكان موت كافور سنة ثلاثمائة وست وخمسين، وتغلب جعفر سنة (٣٥٨هـ)، وقيل سنة ست وخمسين، وقيل ثلاثمائة وستين، ثم ذكر أسباباً، ولم يذكر نهاية ولايته، إنما قال: ولما توفي جعفر المذكور تولى ابنه (عيسى ابن جعفر) ودامت ولايته إلى سنة ثلاثمائة وأربع وثمانين (٣٨٤هـ)... وذكره تقي الدين الفاسي، فقال: جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد، وبقية النسب كما تقدم، إلاّ أن الفاسي حذف الألقاب، كالثائر والثاني والجَوْن، ... إلخ ثم قال: **أمير مكة**، كذا نسبه ابن حزم في الجمهرة، وقال -أي ابن حزم-: إنه غلب على مكة في أيام الإخشيدية، وولده إلى اليوم - في عهد ابن حزم- ولاة مكة، منهم عيسى بن جعفر المذكور، لا عقب له، **وأبو الفتوح الحسن بن جعفر المذكور، وشكر بن أبي الفتوح**، وقد انقرض عقب جعفر المذكور، لأن أبا الفتوح لم يكن له ولد إلاّ شكر، ومات شُكر ولم يولد له قط. وذكر شيخنا ابن خلدون -الكلام للفاسي- في تأريخه، في نسب جعفر والد عيسى وأبي الفتوح، ما يخالف ما ذكره ابن حزم، لأنه لما نسبه قال: هو جعفر بن أبي هاشم الحسن بن محمد بن سليمان بن داود، وذكر أن محمد بن سليمان، جد جعفر، قام بمكة سنة إحدى وثلاثمائة، **وخطب في موسمها لنفسه بالإمامة ودعا لنفسه، وخلع المقتدر العباسي.**

وذكر أن محمد بن سليمان (**الناهض**) هذا من ولد محمد بن سليمان الذي دعا لنفسه بالمدينة، أيام المأمون وتسمى **بالناهض**، وذكر أن سليمان والد محمد بن سليمان، هو سليمان بن داود بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

ويرى البلادي أن المرجع في نسبه هو: جعفر بن محمد بن الحسن، وبقية النسب كما تقدم **وهو أول مؤسس للشرافة في مكة كما قدمنا**، وليس هو من كبار الأشراف المصنف هذا البحث من أجلهم ولكن له شرف الريادة والتأسيس، ولذا كان الافتتاح به أليق، وقد بقيت الشرافة بعده في ولد الحسن بن علي - رضي الله عنهما - نحو ألف سنة إلا قليلاً. فهو من الأشراف الحسنيين كأبي العباس في العباسيين.

وبالإجمال فأخباره قليلة، ومؤرخوه ينقل بعضهم عن بعض، وشذ فيه العصامي، كما رأيت، بما لم يأت به غيره [٢].

١، ٢ - عاتق بن غيث البلادي، الإشراف على تاريخ الأشراف، موقع أشراف الحجاز بالمملكة العربية السعودية.



الطبقة الأولى: الأشراف الموسويون في الحجاز
تشير المصادر التاريخية في عهد الخلافة العبيدية أن عشائر طيء، هيمنت في البلقاء، وباديتها، وصولاً إلى القدس، والشراة، ومن أوائل أمرائها الذين برزوا على الساحة السياسية، في ذلك العصر، الأمير الجراح الطائي، وهو أمير عرب طيء في القرن الثالث الهجري.
الحاكم بأمر الله العبيدي يستشيط غضباً لخروج أبي الفتوح أمير مكة للبلقاء ومبايعة بني الجراح الطائيين له بالخلافة؛ وتحت سلاح التهديد اعتذر أبو الفتوح للعبيدي وعاد أميراً لمكة تابعاً له.
حكام المدينة من (آل مهنا من البيت الحسيني) من قبل العباسيين سنة ٣٨٠ هـ ثم العبيديين.
اتفق بنو الجراح سنة ٤٠١ هـ على استدعاء أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسني أمير مكة ليبايعوه بالخلافة، فأوفدوا إليه الوزير أبا القاسم بن المغربي ليغريه بالخروج على الحاكم بأمر الله العبيدي ويحرضه على طلب الخلافة، كما حثه على الخروج إلى الرملة إجابة لرجاء حسان بن مفرج بن الجراح الطائي الذي سيكون عوناً له بعد الله في تثبيت سلطته، فرحب الأمير أبو الفتوح بهذه الدعوة وأقام الخطبة لنفسه وتلقب بالراشد بالله وسار إلى الرملة وتم مبايعته فيها وأقيمت له الخطبة في كثير من بلاد الشام.
الطبقة الأولى الأشراف الموسويون:
ويقال لهم بنو موسى، وهم من بني جعفر بن أبي جعفر محمد الأمير بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضا بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -. وأول من تولى إمرة مكة المكرمة - حرسها الله تعالى - جعفر بن محمد بن الحسين، وكان الأولى أن تسمى هذه الطبقة بالأشراف الجعفريين نسبة إلى أول من تولى إمرتها.
معنى الطبقة: الفترة التي حكم فيها أحد فروع الأشراف الحسنيين الأربعة مكة المكرمة زادها الله تعالى شرفاً.
الشمال
الخلافة العباسية
بغداد
الكوفة
العراق
البصرة
شبه الجزيرة العربية
خليج البحرين (العربي)
القرامطة
البحرين
نجد
بنو الأخيضر
ج. قبرص
البحر الشامي (المتوسط)
حماة
حمص
بيروت
دمشق
إمارة بني الجراح
أرض الشام
القدس
الرملة
غزة
البلقاء
الأردن
معان
العبيديون
إيلة
سيناء
أرض مدين
البدع
تبوك
ضباء
وادي القرى
خيبر
الوجه
أملج
مصر
المدينة النبوية
ينبع
بدر
أرض الحجاز
الأشراف
مكة المكرمة
جدة
الشعيبة
النوبة
البحر الأحمر (بحر القلزم)
الليث
بيشة
القنفذة
أبها
المخلاف العثري
نجران
عثر
جازان
ج. فرسان
أرض اليمن
صنعاء
الصليحيون
الحديدة
تعز
المخا
عدن
شقرة
٥٠٠ كم ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ٠

عُمان في العصر العباسي [١]

بقيام **الدولة العباسية** فوض الخليفة أبو العباس السفاح أخاه أبا جعفر المنصور على أقاليم عُمان واليمامة والبحرين وقد اختار أبو جعفر جناح بن عبادة بن قيس الهنائي عاملاً على عُمان فظل في منصبه مدة قصيرة حتى حل محله ابنه محمد بن جناح الذي حسنت سيرته في أهل عُمان فأحبوه، وقد تأثر كثيراً بالأفكار الأباضية مما دعاه إلى الاعتراف بنفوذهم فبادر أهل عُمان وعقدوا الإمامة للجلندي ابن مسعود الذي يُعَدُّ **المؤسس الحقيقي للإمامة الأباضية** - تقدم ذكره -، وبذلك خرجت عُمان من يد العباسيين زمن أبي العباس السفاح.

بيد أن الخلافة العباسية كان لا يمكن أن يطول سكوتها عما كان يحدث في عُمان مما يشكل سابقة خطيرة تؤدي إلى تمزق الدولة العباسية وانفصال أطرافها، لذا فقد أرسل الخليفة **أبو العباس السفاح سنة ١٣٤هـ** حملة بحرية بقيادة خازم بن خزيمة لإخماد الثورة التي تأججت في جزيرة ابن كاوان القريبة من عُمان وإخضاع عُمان لنفوذ الخلافة العباسية، وفي الحروب التي دارت بين الجيش العباسي وبين الجلندي بن مسعود قتل الأخير وبضعة آلاف من رجاله في موقعة **جلفار**، ومع ذلك فإن أوضاع عُمان لم تستقر طويلاً ولم يستطع الولاة العباسيون أن يسيطروا على البلاد بسبب معارضة العُمانيين لهم.

لقد تركت وفاة الجلندي فراغاً سياسياً كبيراً وصدمة بين أتباعه، وعلى الرغم من ذلك فلم يستطع العباسيون إخضاع عُمان، فالعُمانيون لم يستكينوا للوالي العباسي وظلوا يناوئون العباسيين ويعارضون حكمهم.

لم يلبث العُمانيون أن ثاروا سنة ١٧٧هـ وخلعوا الطاعة للخلافة العباسية واختاروا محمد بن عبد الله بن عفان اليحمدي إماماً، إلا أنه كان شديداً تنقصه المرونة فأجمع العلماء على عزله، واختاروا الوارث بن كعب الخروصي، وفي عهده استقرت الأمور وساد النظام والأمن بفضل حزمه وعزمه.

لم يرض **هارون الرشيد** عن الوضع فأرسل حملة كبيرة بقيادة عيسى بن جعفر بن سليمان لإخضاع عُمان **سنة ١٨٩هـ**، ولكن هذه الحملة باءت بالفشل، الأمر الذي أغضب الخليفة هارون الرشيد الذي لم يلبث أن توفي قبل أن يثأر من عُمان وأهلها.

اجتمعت كلمة أهل عُمان على مبايعة غسان بن عبد الله اليحمدي بالإمامة بعد وفاة الوارث بن كعب سنة ١٩٢هـ وقد بقي إماماً خمس عشرة سنة وسبعة أشهر، وفي عهده امتد نفوذ عُمان إلى أقاليم أخرى من

---

١ - عمان والدولة العباسية، موقع مجالسنا العُمانية.

عُمان في العصر العباسي



عُمان كما يعرفها رسام الخرائط الإدريسي في القرن السادس الهجري وتظهر في الخارطة صور وقلهات وصحار وجلفار (جهة اليسار)

بعد سقوط **الخلافة العباسية** في بغداد على أيدي التتار في أواسط القرن السابع الهجري ولم يكن للتتار قوة بحرية ليفرضوا سيطرتهم على الخليج، لذا فقد بقيت **عُمان** بمنأى عن سيطرتهم، ومضت في طريقها بعيداً عن نفوذ التتار، ولم تلبث أن دخلت منتصف القرن السادس للهجرة في عصر بني نبهان.

شبه الجزيرة العربية مثل اليمامة وحضرموت فضلاً عن بعض الجزر القريبة مثل سقطرى .

وبوفاة الإمام غسان بن عبدالله اليحمدي انتقلت الإمامة إلى عبدالملك بن حمير بن ماء السماء الأزدي، وخلال إمامته حدثت العديد من المشكلات والفتن الداخلية، إلى أن اختير الإمام مهنا بن جيفر اليحمدي الذي بويع عام ٢٢٦هـ وقد تنبه إلى المخاطر التي كانت تتعرض لها عُمان، وكان أكثرها يأتي من ناحية البحر، لذا فقد أخذ في تقوية الأسطول الذي وصل في عهده إلى ثلاثمائة سفينة كاملة التسليح، مهيأة لخوض غمار الحرب، أما جيشه البري فقد وصل إلى درجة أن حامية نزوى وحدها كانت تضم عشرة آلاف مقاتل وسبع مئة ناقة وست مئة فرس .

ثمة إمام آخر عظيم الهمة هو الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي، الذي بويع بالإمامة في نفسه اليوم الذي مات فيه الإمام مهنا في السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٢٣٧هـ، وقد بويع الصلت على ما بويع عليه أئمة العدل من قبله، إصلاح في الداخل، وجهاد في الخارج، وكانت أرض عُمان في عهده مترامية الأطراف إذ كانت **سقطرى والمكلا وحضرموت والمهرة كلها تحت الحكم العُماني** وفي عهده اعتدى النصارى الأحباش بإسطولهم على سقطرى، وأطلقوا الأجراس وجعلوها نصرانية واستغاثت به إمرأة من أهل سقطرى وكانت بمنزلة (وامعتصاه) التي أطلقتها امرأة مسلمة في عموريه، وإذا كان المعتصم قد قاد جيشاً من الفرسان حتى ظفر وانتصر فإن الإمام الصلت بعث أسطولاً من مائة سفينة حربية تحمل جنوداً أشاوس وفرساناً يحتسبون أرواحهم في سبيل الله وتمكنوا من استعادة الجزيرة من مغتصبيها وقد أمضى الإمام الصلت في الحكم خمساً وثلاثين سنة من ٢٣٧- إلى ٢٧٢هـ الموافق ٨٥١ إلى ٨٨٥م.

وفي عهد الإمام الصلت **استقلت عُمان عن الدولة العباسية استقلالاً كاملاً** وقد عاصر هذا الإمام العادل ستة من خلفاء بني العباس هم المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد.

وفي أواخر القرن الثالث الهجري دخلت إمامة عُمان مرحلة من مراحل الضعف حيث إشتدت الصراعات بين القبائل، ولجأ بعضهم إلى الاستعانة **بالوالي العباسي في البحرين** ضد خصومه ومنافسيه، مما أغرى محمد بن نور الوالي العباسي في البحرين **بغزو عُمان سنة ٢٨١هـ/٨٩٣م** فاستولى على سواحل عُمان **وأقام الخطبة للخليفة العباسي المعتضد**، وفرض على العُمانيين خراجاً سنوياً، ومع ذلك فقد ظل العُمانيون يختارون أئمتهم بعيداً عن سطوة العباسيين.

لقد بقيت عُمان متماسكة قوية في ظل أئمتها العظام من أمثال: الصلت بن مالك إلى أن تولى أمر عُمان عدد من الأئمة لم يكن الواحد منهم يبقى في منصبه إلا بقدر ما يكيد له الآخرون، وفي عهد الإمام عزان

ابن تميم وقعت حرب أهلية طال أمدها وأتسع مداها إلى أن أكلت الأخضر واليابس .

وفــي أوائـل **القرن الرابع الهجري** - أي العاشر الميلادي - **تعرضت عُمان لهجمات القرامطة** الذيـن اتخـذوا **البحرين** مقراً لهم، ولم تحل **سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م** إلا وكان القرامطة قد سيطروا على بعض أجزاء عُمان في الوقت الذي أخذت فيه الخلافة العباسية طريقها نحو الإنحلال والضعف، **وازداد نفـوذ بنـي بويه في الدولـة**، وانعكس ذلك بشكل واضح على عُمان التـي تغلب عليها يوسف بن وجيه، وهو رجل مغامر سبق له أن حاول احتلال البصرة مرتين، إلا أنه فشل في محاولاته سنة ٣٣١هـ وسنة ٣٤١ هـ ، فقد تمكن يوسف من الاستقلال بعُمان بعيداً عن الخلافة العباسية. وتشير المصادر التاريخية إلى أن العُمانيـين لم يرضخـوا لسلطة يوسف بن وجيه واختاروا سعيد بن عبـدالله بن محمد الرحيل إماماً عليهم سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٠م .

واستطـاع هـذا الإمام انتـزاع عُمان الداخل من قبضة يوسف بن وجيه الـذي بقي محصوراً فـي المناطق الساحليـة وبعـد استشهـاد الإمـام سعيد بن عبـدالله بالقرب مـن الرستاق سنـة ٣٢٠هـ/٩٣٩م، اختار العُمانيـون راشـد بن الوليد إماماً لهم وواصل الحرب ضد مغتصبي بـلاده، وحقق انتصارات متوالية على يوسف بن وجيه الذي اغتاله مولاه نافع سنة ٣٤٢هـ، وتولى الأمر مكانه **وأعلن ولاءه للعباسيين** ووجدها **السلطـان البويهـي (معز الدولة)** فرصة لغزو عُمان، إلا أن محاولاته جميعها باءت بالفشل، وبلغ من سوء الأحوال عندئذ أن بعض المتنافسين على السلطة في عُمان استعانوا بالقرامطة في البحرين سنة ٣٥٥ هـ مما عرَّض عُمان لخطر القرامطة من جديد.

لقـد أفـزع هذا الوضع المخلصين من العُمانيين فنظمـوا صفوفهم وتمكنوا من **طرد القرامطة نهائياً من عُمان سنة ٣٧٥هـ**، واتبعوا ذلك بالعمل على استئصال نفوذ الخلافة العباسية من عُمان. لقد ظلت عُمـان خاضعـة للـولاة مدة خمسة وستين عامـاً منذ وفاة الإمـام راشد بن الوليد سنـة ٣٤٢هـ حتى اختير الخليـل بن شاذان إمامـاً في العقد الأول من القرن الخامس الهجري. وقد انتعشت **الإمامة الإباضية**، بسبـب هـذه الانتصارات المتلاحقـة، وأحـس **بنو مكرم** وهم مـن أعيان أهل عُمـان بمنافسة الإئمة لهم فاشتد الصراع بين الطرفين ووقعت الاضطرابات والحروب الأهلية مرة ثانية، ولم يجد العُمانيون مخرجاً من هذا الوضع المتردي إلا بالاتفاق حول الإمامة الإباضية .

وبعد أن سقطت الخلافة العباسية في بغداد على أيدي التتار في أواسط القرن السابع الهجري لم يكن للتتار قـوة بحرية ليفرضوا سيطرتهـم على الخليج، لذا فقد بقيت عُمان بمنأى عـن سيطرتهم، ومضت في طريقها بعيداً عن نفوذ التتار ولم تلبث أن دخلت منتصف القرن السادس للهجرة في عصـر بني نبهان.

الدولة الزيرية ٣٦٢-٥٤٣هـ/٩٧٣-١١٤٨م

الزيريون: أسرة حكمت إفريقية (تونس) وقسماً من المغرب الأوسط، ينتسبون إلى قبيلة صنهاجة البربرية، إلا أنهم يرفعون نسبهم إلى قبائل حمير القحطانية، وكانوا يقطنون الأطراف الشمالية للمغرب الأوسط (الجزائر اليوم).

أول أمير برز من صنهاجة هو **زيري بن مناد التلكاتي** (ت٣٦٠هـ/٩٧١م) الذي خدم القائم بالله العبيدي (٣٢٢-٣٣٤هـ)، ثم ابنه المنصور بالله إسماعيل (٣٣٤-٣٤١هـ) ولاسيما في أثناء **ثورة أبي يزيد الخارجي** صاحب الأتان، فكانت مكافأة العبيديين له أن ثبتوا سلطته في قومه، وسمحوا له بتأسيس عاصمة لصنهاجة، فكانت «**أشير**» على بعد مئة ميل من الجزائر الحالية، في جنوبها وشرقيها انتصب برج مراقبة لتحركات قبائل **زناتة البربرية المناوئة لصنهاجة**، وقاعدة عسكرية لقمع ثوراتهم المتكررة، مثلما كانت المسيلة (المحمدية) التي أسسها القائم بالله شرقي الجزائر وأسند إمارتها مع الزاب كله إلى جعفر بن حمدون.

أسس زيري عاصمته أشير سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م وتوفي سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م في حرب مع جعفر بن حمدون المنقلب مع زناتة على المعز لدين الله العبيدي، وبقيت إمارة صنهاجة في بني زيري، **فعرفوا بالزيريين أو الأسرة الزيرية.**

أصبح **بنو زيري نواباً للعبيديين في المغرب،** حيث أسند المعز لدين الله العبيدي ولاية إفريقية والمغرب إلى بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح، حين عزم على التحول إلى عاصمته الجديدة **القاهرة** جعله نائباً عنه في سياسة البلاد وجبايتها وحربها، واستثنى منها صقلية وكانت لبني أبي الحسين الكلبيين، والأعمال الليبية شرقاً وكانت لولاة من قبيلة كتامة. عمل بلقين في السنوات العشر من ولايته (٣٦٢-٣٧٣ هـ/٩٧٣-٩٨٤م) على تثبيت الحكم العبيدي والحفاظ على الطقوس الشيعية والشعارات الإسماعيلية في إمارته.

ولم يقر لبلقين قرار بالقيروان أو المنصورية عاصمة العبيديين، فقد كان يجوب المغربين الأوسط والأقصى في ملاحقة **زناتة ومغراوة وبرغواطة**، ومحاصرة أنصار الأمويين من تاهرت إلى سجلماسة ومن فاس إلى تلمسان، حتى أدركته المنية راجعاً من سجلماسة سنة ٣٧٣هـ، واعترافاً له بكفاحه لإعلاء كلمة العبيديين أسندوا إليه حكم **المسيلة وإمارة الزاب** بعد انخذال الأمراء الحمدونيين ولجوئهم إلى الأندلس، ثم أسندوا إليه حكم طرابلس وسرت وأجدابية، ومع انشغاله بالحرب لم يهمل بلقين العمران، فقد أسس بالمغرب الأوسط مدينتي **مليانة والمريّة** وخطط لمدينة **الجزائر**.



تسلسل	الحاكم الزيري	فترته الزمنية
١	أبو الفتوح سيف الدولة بلكين بن زيري	٩٧٣-٩٨٣ م
٢	أبو الفتح المنصور بن بلكين بن زيري	٩٨٣-٩٩٥ م
٣	أبو قتادة ناصر الدولة باديس بن منصور	٩٩٥-١٠١٥ م
٤	شرف الدولة المعز بن باديس	١٠١٥-١٠٦٢ م
٥	أبو طاهر تميم بن المعز	١٠٦٢-١٠٨٧ م
٦	أبو طاهر يحي بن تميم	١١٠٨-١١١٥ م
٧	علي بن يحي بن تميم	١١١٥-١١٢١ م
٨	أبو الحسن الحسن بن علي	١١٢١-١١٤٨ م

الحكام الزيريون في بلاد المغرب العربي

تولى الحكم بعد وفاة بلقين ابنه **منصور** (٣٧٣-٣٨٧هـ/ ٩٨٤-٩٩٧م) الذي أقلع عما كان يقوم به والده وسلالته من قبل، وهو مهاجمة زناتة وأعداء العبيديين وملاحقتهم حتى فاس والمغرب الأقصى، واكتفى بالوقوف عند المغرب الأوسط، ومع ذلك لم تكن سلطته تستقر دائماً هناك، إذ كادت تاهرت تخرج من يد السلالة، وفي أحيان أخرى يقوم **الزناتيون** بالتقدم حتى أشير قاعدة السلالة الأصلية، وقد عالج باديس ابن المنصور (٣٨٧-٤٠٦هـ) هذا الأمر بتركيز قوة زيرية في المغرب الأوسط، فعهد **لعمه حماد** الذي كان قد قاد بعض الحملات الناجحة ضد زناتة في أيام أبيه، بمحاربتهم من جديد وسمح له بأن يضم إلى إمارته كل أرض يفتحها من العصاة، وانقسمت بذلك الدولة إلى **قسمين بانفصال القسم الغربي منها بما فيه أشير وحكم فيه حماد**، ثم توارث الحكم بعده أبناؤه وأحفاده.

وقدر لأيام حكم الأمير المعز بن باديس (٤٠٦ - ٤٥٤هـ/ ١٠١٥ - ١٠٦٢م) أن تشهد أكثر الحوادث الحاسمة في تاريخ السلالة، **إذ نبذ المعز بن باديس الدعاء للخليفة العبيدي وصار يدعو لبني العباس سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩م**، وحدث في عهده الانفصال عن العبيديين رسمياً. واختلف المؤرخون في تاريخ بداية القطيعة، على أن الأحداث الممهدة لها بدأت منذ تولي المعز الإمارة في سنة ٤٠٧هـ بحرب الشيعة بالقيروان وامتدت إلى المهدية وتونس، ويبدو أن الأمير لم يتحرك بالحزم اللازم لإيقاف هذه الحرب، وعلى الرغم من ذلك فإن الحاكم العبيدي أرسل إلى المعز في آخر السنة سجلاً أسند له فيه لقب « شرف الدولة » وقد بالغت الكتب السنية ولاسيما كتب المناقب. في الانتصار لهذا الغضب ضد الشيعة وجعلوا لمؤدب المعز، محرز ابن خلف، دوراً كبيراً في التحريض على الانتقام.

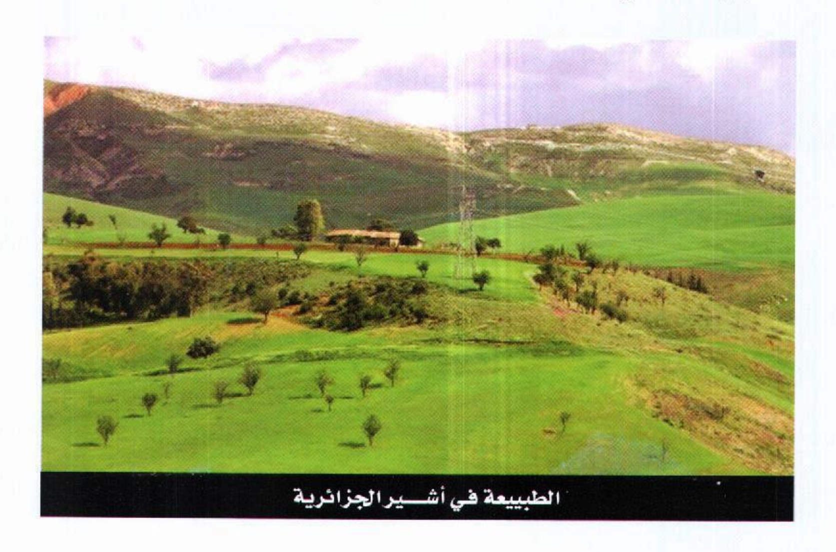
نتج من القطيعة الرسمية عن العبيديين، **زحفة بني هلال المعروفة**، ذلك أن وزير المستنصر العبيدي (٤٢٧ - ٤٨٧هـ/ ١٠٣٦ - ١٠٩٤م) الحسن بن علي اليازوري، نصح الخليفة بتسريح أعراب بني هلال وسليم وبطون أخرى من عامر بن صعصعة إلى إفريقية ليخلص الصعيد المصري منهم، وقد كثر فيه عيثهم، ولينتقم من الزيريين من جهة أخرى، فكان لزحفهم على القيروان وتخريبها، وانسحاب المعز إلى المهدية المحصنة ما هو معروف ومردد في كتب التاريخ، مع التفاوت في المبالغة والتخفيف، فمن الدارسين من يصف قدومهم بالكارثة ومنهم من يقلل فيهزأ بأسطورة الكارثة.

تضافرت عوامل عديدة أدت إلى انقراض الدولة الزيرية، منها: الانشقاق في الأسرة الحاكمة الزيرية وما تبع ذلك من حروب وحصار وهزائم وانتصارات بين الزيريين في إفريقية والحماديين الذين اتخذوا مدينة القلعة الحصينة مركزاً لهم. وتبعه انقسام ثان باستقلال مدينة تونس عن الإمارة الزيرية الملتجئة إلى المهدية بسبب استيلاء بني هلال على القيروان ومعظم مدن إفريقية، فاستقلت تونس بإمارة عرفت بدولة بني خراسان (٤٤٧ - ٥٥٩هـ/ ١٠٥٥ - ١١٦٣م) وهم أمراء عينهم عليها الناصر بن علَناس الحمادي.

ومن عوامل الانقراض **سيطرة الأعراب على إفريقية وإنشاؤهم إمارات بقفصة وقابس وصفاقس، شأن ملوك الطوائف بالأندلس**، واستيلاء النورمانديين على صقلية سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م هذا مع استمرار التحاسد والتناحر في الأسرة المالكة للرقعة المتقلصة بالمهدية ودب الهرم في دولة تميم ابن المعز (٤٥٤-٥٠١هـ/١٠٦١-١١٠٧م) وابنه يحيى بن تميم (٥٠١-٥٠٩هـ/١١٠٧-١١١٦م) الذي راجع الولاء العبيدي فلم يفده شيئاً - وكان ولوعاً بالصناعة أي الكيمياء التي تحول المعدن الرخيص إلى ذهب نفيس، فكان هذا الوهم سبباً لقتله غيلة من إخوة له متنكرين في زي مغاربة زعموا أنهم مختصون في هذا الفن، ولم ينجح آخر الأمراء الزيريين الحسن بن علي بن يحيى ٥١٥-٥٤٢هـ في رد الهجمات النورماندية الصقلية على سواحل إفريقية، **فاحتل النورمانديون المهدية** واضطر الحسن إلى الهروب إلى المعلقة قرب قرطاج سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م. وتم الخلاص على يد عبد المؤمن الموحدي سنة ٥٥٥هـ-١١٦٠م الذي حرر المهدية من النورمانديين وجعل حكم إفريقية إلى الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي.

المنجزات الحضارية: لم يبق من أعمالهم المعمارية في إفريقية آثار متميزة عن أسلافهم العبيديين، وقد ذكر لهم المؤرخون القدامى تقدماً في الزخرفة في الأقمشة والجلد والمصاحف مما وصفه حسن حسني عبد الوهاب إجمالاً من دون تدقيق كاف. وخصص ج. مارسي في كتابه عن الفنون الإسلامية بعض الصفحات عن النقوش المعمارية في عهدهم.

وتحدث المعاصرون عن ازدهار الأدب ببلاط المعز بالقيروان وتميم بالمهدية، وأشادوا بتشجيعهم للشعراء والأدباء كالحصريين علي وإبراهيم والنهشلي والعلمين المتنافسين ابن رشيق وابن شرف. وذكروا مكانة العلم عندهم باختصاصهم بابن أبي الرجال العالم الفلكي والرياضي البارع والوزير المقتدر[1].



الطبيعة في أشير الجزائرية

١ - محمد اليعلاوي، الموسوعة العربية، مج ١٠، ص ٥٠٦، دار الفكر - دمشق - سوريا.

الدولة الغزنوية ٣٦٦ - ٥٧٩ هـ / ٩٧٦ - ١١٨٢ م

كانــت "غزنــة" بأفغانستان (طخارستان) ولاية نائية، تخضـع للدولة السامانية التي تحكم خراسان وما وراء النهـر، ويقـوم عليهـا ولاة من قِبلها، وشاءت الأقـدار أن يلي غزنة سنة (٣٦٦هـ= ٩٧٦م) والٍ يسمى "سبكتكين" كان يتمتع بهمة عالية وكفاءة نادرة، وطموح عظيم، فنجح في أن يبسط نفوذه على البلاد المجـاورة، وشـرع في غزو أطراف الهند، وسيطـر على كثير من المعاقل والحصـون هناك، حتى تمكن من تأسيس دولة كبيرة في جنوبي غرب آسيا، وتوفي سنة (٣٨٧هـ=٩٩٧م).

ولاية محمود بن سبكتكين:

بعد موت سبكتكين خلفه ابنه إسماعيل، بعد أن عهد إليه أبوه بالملك من بعده، غير أن أخاه الأكبر محمود -وكان سنـد والـده في غزواتـه وحروبه- رفض أن يقر لأخيه بالملـك لضعفه وسوء تدبـيره، فنهض عليه واستطـاع بعـد سبعـة أشهر أن ينتزع الملـك لنفسه، ويقبض علـى زمام الأمور، وبدأ عهـد جديد لم تشهده المنطقـة مـن قبل، فلم يكد يستقـر الأمر له، حتى بدأ نشاطـاً واسعاً في الفتوح، وأثبـت أنه واحد من كبار الفاتحين في تاريخ الإسلام [١].

قضى محمود الغزنوي الفترة الأولى من حكمه في تثبيت أركان دولته، وتوسيع رقعتها على حساب الدولة السامانيـة التـي دبّ الضعف في أوصالها، فرأى الفرصة سانحة للقضـاء عليها، وتم له ذلك في (جمادى الأولى ٣٨٩هـ= أبريـل ٩٩٩م) بعد انتصاره على عبد الملك بن نوح الساماني في موقعة حاسمة عند **مرو**، وأصبحت خراسان خاضعة له، **ثم تصدى للدولة البويهية**، وانتزع منها الري وبلاد الجبل وقزوين.

فتح الهند:

بعد أن استقرت الأحوال لمحمود الغزنوي واستتب له الحكم، **وأقرته الخلافة العباسية** على ما تحت يـده من بـلاد، تطلّع إلى بسط سيطرته على بلاد الهند، ومد نفوذه إليهـا ونشر الإسلام بين أهلها؛ ولذلك تعـددت حملاتـه على الهند حتى بلغت أكثر من **سبع عشرة حملـة**، وظل يحارب دون فتور نحواً من سبع وعشريـن سنة، بدأت من عـام (٣٩٠هـ= ١٠٠٠م)، حيث قاد حملته الأولى علـى رأس عشرة آلاف مقاتل، والتقـى عند مدينة بشاور بجيش **"جيبال"** أحد ملوك الهندوس، وحقق نصر غالياً، ووقع الملك الهندي فـي الأسـر، الذي لم يستطع أن يتحمـل هزيمته والعار الذي لحق به، فأقدم على حـرق نفسه، بعدما أطلق الغزنوي سراحه مقابل فدية كبيرة [٢].

---

١ - ٢ ، أحمد تمام ، موقع إسلام أون لاين.نت .



الدولة الغزنوية ٣٦٦ - ٥٧٩ هـ / ٩٧٦ - ١١٨٢ م

غزنة : مدينة أفغانية تقع جنوب غربي العاصمة كابول. كانت عاصمة الدولة الغزنوية، كما كانت من أهم مراكز الثقافة والآداب في العالم الإسلامي. وإلى غزنة نسب جماعة من العلماء منهم سراج الدين أبو حفص عمر، الفقيه الحنفى. وفد إلى القاهرة وولى قضاء الديار المصرية، وترك آثاراً مختلفة منها: كتاب "الشامل" في الفقه وكتاب "شرح عقيدة الطحاوي" وتوفي سنة (٧٧٣هـ).

ثم تعددت حملات الغزنوي، وفي كل مرة كان يحقق نصراً، ويضيف إلى دولته رقعة جديدة، ويبشر بالإسلام بين أهالي المناطق المفتوحة، ويغنم غنائم عظيمة، حتى توج فتوحاته في الهند بفتح بلاد **"الكجرات"**، ثم توجه إلى مدينة **"سومنات"** سنة (٤١٦هـ= ١٠٢٥م) وكان بها معبد من أكبر معابد الهند، يحوي صنماً اسمه "سومنات" وكان الهندوس يعظمونه ويحملون إليه كل نفيس، ويغدقون الأموال على سدنته، وكانت مدينة سومنات تقع في أقصى جنوب الكجرات على شاطئ بحر العرب، فقطع الغزنوي الصحاري المهلكة حتى بلغها، واقتحم المعبد، وهزم الجموع الغفيرة التي حاولت إنقاذ المعبد، ووقع آلاف الهندوس قتلى، وسقط المعبد في أيدي المسلمين [١].

وغنم الغزنوي أموالاً عظيمة قُدرت بنحو عشرين مليون دينار، وعاد إلى غزنة سنة (٤١٧هـ=١٠٢٦م) وظلت ذكرى هدم معبد سومنات عالقة في ذاكرة الهندوس لم يمحها كرّ السنين، ولا تغيرها الأحوال، حتى إذا ما ظفرت الهند باستقلالها عمدت إلى بناء هذا المعبد من جديد في احتفال مهيب. (معركة سومنات "فتح الهند الأعظم")

ولم يكن الغزنوي مدفوعاً في فتوحاته برغبة جامحة في كسب الغنائم أو تحقيق مجد يذكره له التاريخ، ولكن قاده حماسه لنشر الإسلام، وإبلاغ كلمة التوحيد في مجتمع وثني، وكانت تلك الحملات مسبوقة بطلب الدخول في الإسلام، وإلى هذا أشار السير "توماس أرنولد" في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" بقوله: وفي الحق أن الإسلام قد عُرض في الغالب على الكفار من الهندوس قبل أن يفاجئهم المسلمون.

وكانت حصيلة جهود محمود الغزنوي أن أتمّ فتح شمال شبة القارة الهندية، ففتح إقليم كابلستان، وملتان، وكشمير، وأخضع البنجاب، ونشر الإسلام في ربوع الهند، وفتح طريقاً سلكه من جاء بعده [٢].

وقد نظر المؤرخون المسلمون إلى أعماله نظر إعجاب وتقدير، فقد بلغ بفتوحاته إلى "حيث لم تبلغه في الإسلام راية، بعد محمد بن القاسم الثقفي، وأقام بدلاً من بيوت الأصنام مساجد الإسلام".



١ - دينار غزنوي ضرب نيسابور ٣٨٩هـ
أبو القاسم محمد بن سبكتكين
المركز: عدل/ لا إله إلا/ الله وحده/ لا شريك له/ القادر بالله.
الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار بنيسابور سنة تسع وثمانين وثلثمائة.
الهامش الخارجي: لله الأمر من قبل...
المركز: لله/ محمد رسول الله/ الأمير السيد أمير/ الدولة وأمين ا/ لملة أبو القاسم ولي/ أمير المؤمنين.
الهامش: محمد رسول الله...
القطر: ٢.٥سم . م . ص . الدينار عبر العصور الإسلامية



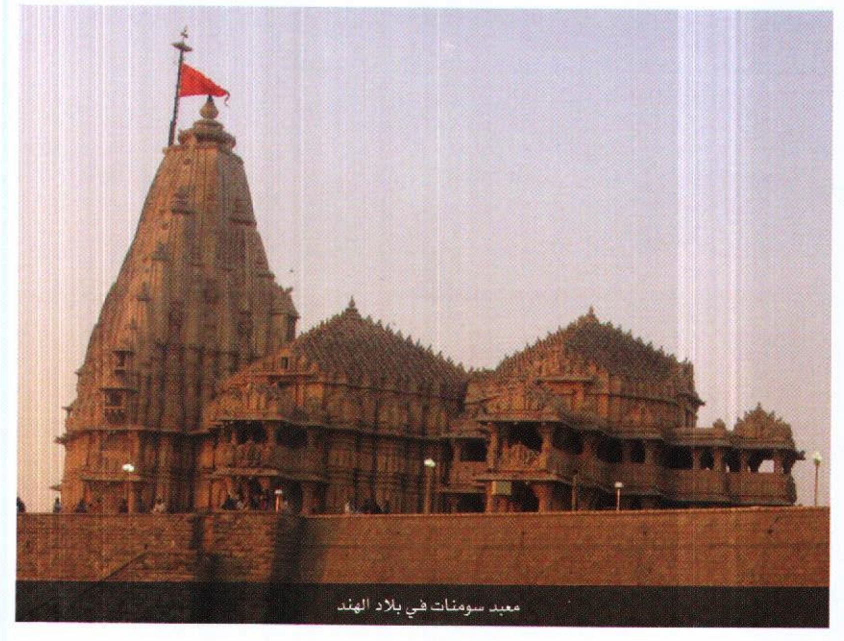
١ - ٢ ، أحمد تمام ، موقع إسلام أون لاين.نت .

الفتح الإسلامي للهند

الصين
الهملايا
كشمير
إسلام أباد
طخارستان
غزنة
لاهور
ملتان
قندهار
نهر السند
دهلي (دلهي)
نيبال
قمة إيفرست
بوتان
قناوج
براهمابترا
الديبل
عُمان
خليج عُمان
نهر الغانج
بنغلاديش
دكا
ميانمار (بورما)
نهر نرمادا
كجرات
سوارات (سومنات)
الهند
ماهانادي
جودفاري
كرشنا
البحر العربي
يانغون
خليج البنغال
سريلانكا
٠ ٢٥٠ ٥٠٠ كم
الشمال

الغزنويون: سلالة من أصل تركي اتخذت غزنة (هي الحد بين خراسان والهند وقصبة زابلستان) عاصمة لها، واستمرت في الحكم مدة تزيد على ٢٠٠ سنة، من سنة ٣٦٦هـ إلى سنة ٥٧٩هـ، في أفغانستان، وبعد ذلك في أجزاء من البنجاب.

مؤسس هذه السلالة سَبُكتكين من قادة السامانيين وولاتهم، اتخذ لنفسه لقب أمير، فلما كان عهد إبراهيم وهو الحاكم الثاني عشر اتخذ لنفسه لقب سلطان، وهو أول من اتخذ هذا اللقب كما يتبين من دراسة النقد الغزنوي.


معبد سومنات في بلاد الهند

النهضة الحضارية والثقافية في عهد محمود الغزنوي

اكتسب محمود الغزنوي مكانته في التاريخ بفتوحاته التي لم تُسبق على أرض الهند، وبجهوده الحضارية التي يشغله عنها فتوحاته وغزواته، وكان الغزنوي نفسه مولعاً بعلم الحديث، يستمع إلى علمائه كما كان فقيهاً له مؤلفات، ولا يكاد يسمع بعالم له مكانة حتى يستدعيه إلى دولته، فاستقدم "أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني" المتوفى سنة (٤٤٠هـ= ١٠٤٩م) الذي نبغ في علوم كثيرة، في مقدمتها الرياضة والفلك، وعُدّ من أعظم رجال الحضارة الإسلامية، وتُرجمت كتبه إلى اللغات الأوروبية، وأطلقت روسيا اسمه على جامعة أنشأتها حديثاً.

وعني السلطان محمود بالشعر وكان له به شغف، ومن أشهر الشعراء الذين ازدانت بهم دولته الشاعر الفارسي "عنصري" وكان نديماً للسلطان وشاعراً له، منحه لقب "ملك الشعراء" في مملكته، و"المسجدي"، و"الفرخي" وهو شاعر فارسي عظيم قيل فيه: إن الفرخي لدى الفرس بمثابة المتنبي لدى العرب.

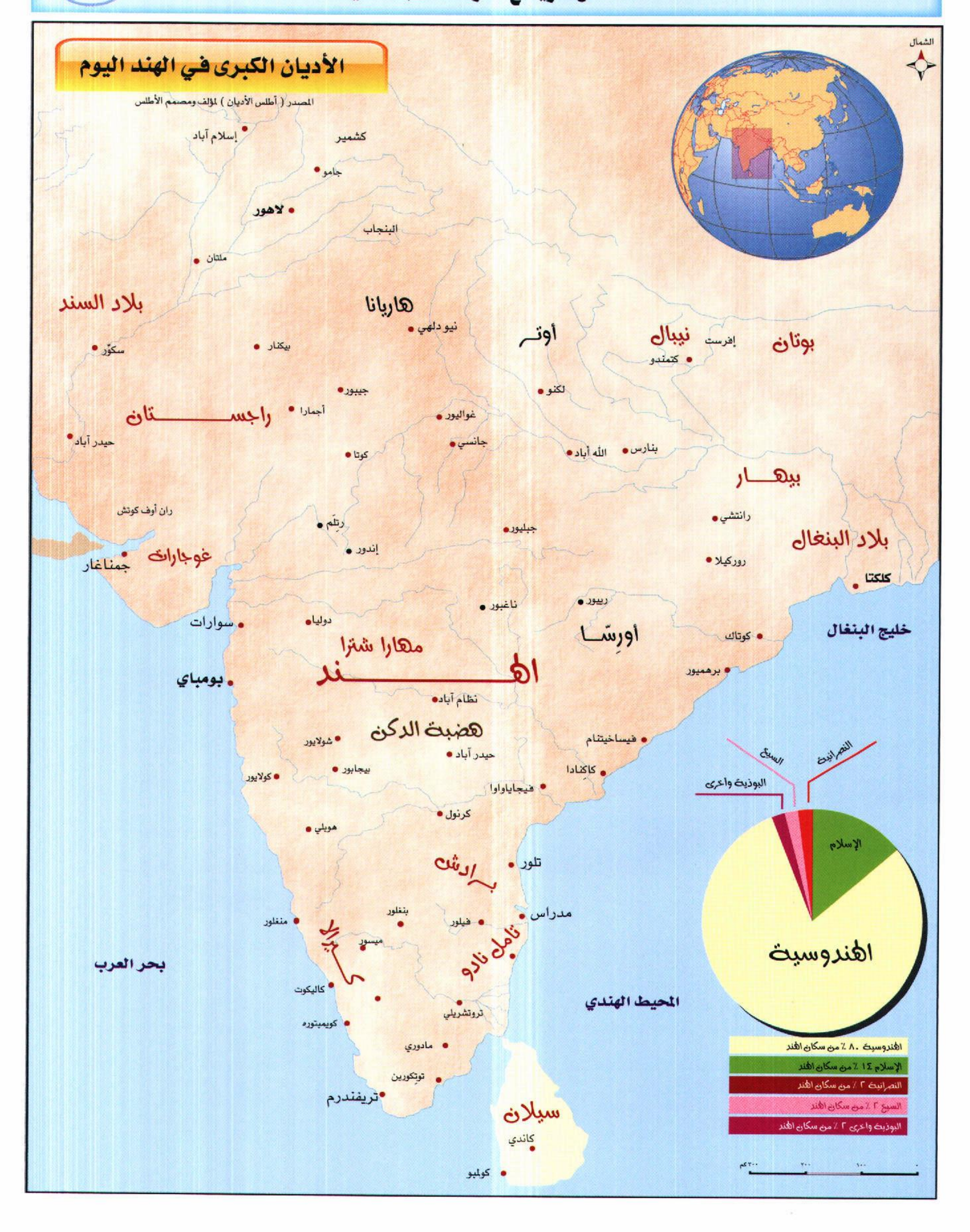
أما أبرز الشعراء في هذا العصر فهو "الفردوسي" صاحب "الشاهنامة" التي نظمها في خمسة وعشرين عاماً من الجهد والإبداع، وتشمل أخبار الفرس القدامى، وهي من عيون الأدب العالمي.

ومن أبرز كتّاب الدولة ومؤرخيها "أبو الفتح البستي" وكان كاتباً للسلطان وموضع سره ومستشاره في كثير من الأمور، وله شعر رائق ونظم جيد، و"أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي" مؤرخ الدولة الغزنوية وكاتب السلطان مع أبي الفتح البستي، له كتاب "اليميني" نسبة إلى يمين الدولة، لقب السلطان محمود الغزنوي، تناول فيه تاريخ الدولة الغزنوية.

وأصبحت غزنة في عهد السلطان محمود منارة للعلم ومقصداً للعلماء، وغدت عامرة بالمساجد والقصور والأبنية التي لا تقل بهاءً وجمالاً عن المنشآت الهندية التي اشتهرت بدقة التصميم وجمال العمارة.

قال عنه ابن العماد في كتابه شذرات الذهب "لم يزل يفتح بلاد الهند إلى أن انتهى إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية". وقال عنه الذهبي: "كان صادق النية في إعلاء الدين، مظفراً كثير الغزو، وكان مجلسه مورد العلماء، وقبره في غزنة وقد خُطِبَ له في خراسان والسند والهند وطبرستان وأذربيجان".





الأديان الكبرى في الهند اليوم
المصدر (أطلس الأديان) لمؤلف ومصمم الأطلس
الشمال
إسلام آباد
كشمير
جامو
لاهور
البنجاب
ملتان
بلاد السند
هاريانا
نيو دلهي
أوتر
نيبال
إفرست
بوتان
كتمندو
سكّور
بيكنار
جيبور
لكنو
أجمارا
راجستان
غواليور
حيدر آباد
جانسي
كوتا
الله آباد
بنارس
بيهار
ران أوف كوتش
رتلم
جبلبور
رانتشي
بلاد البنغال
إندور
غوجارات
جمناغار
روركيلا
كلكتا
ناغبور
ريبور
سوارات
دوليا
أورِسا
كوتاك
خليج البنغال
مهارا شترا
الهند
برهميور
بومباي
نظام آباد
هضبة الدكن
شولابور
فيساخيتنام
حيدر آباد
بيجابور
كاكنادا
كولابور
فيجاياواوا
كرنول
هوبلي
تلور
مدراس
بنغلور
فيلور
منغلور
ميسور
كيرالا
تامل نادو
بحر العرب
كاليكوت
المحيط الهندي
تروتشريلي
كويمبتوره
مادوري
توتكورين
تريفندرم
سيلان
كاندي
كولمبو
النصرانية
السيخ
البوذية وأخرى
الإسلام
الهندوسية
الهندوسية ٨٠ ٪ من سكان الهند
الإسلام ١٤ ٪ من سكان الهند
النصرانية ٢ ٪ من سكان الهند
السيخ ٢ ٪ من سكان الهند
البوذية وأخرى ٢ ٪ من سكان الهند
٣٠٠ كم

دولة بني حماد (٣٩٨-٥٤٧هـ/١٠٠٧-١١٥٢م)

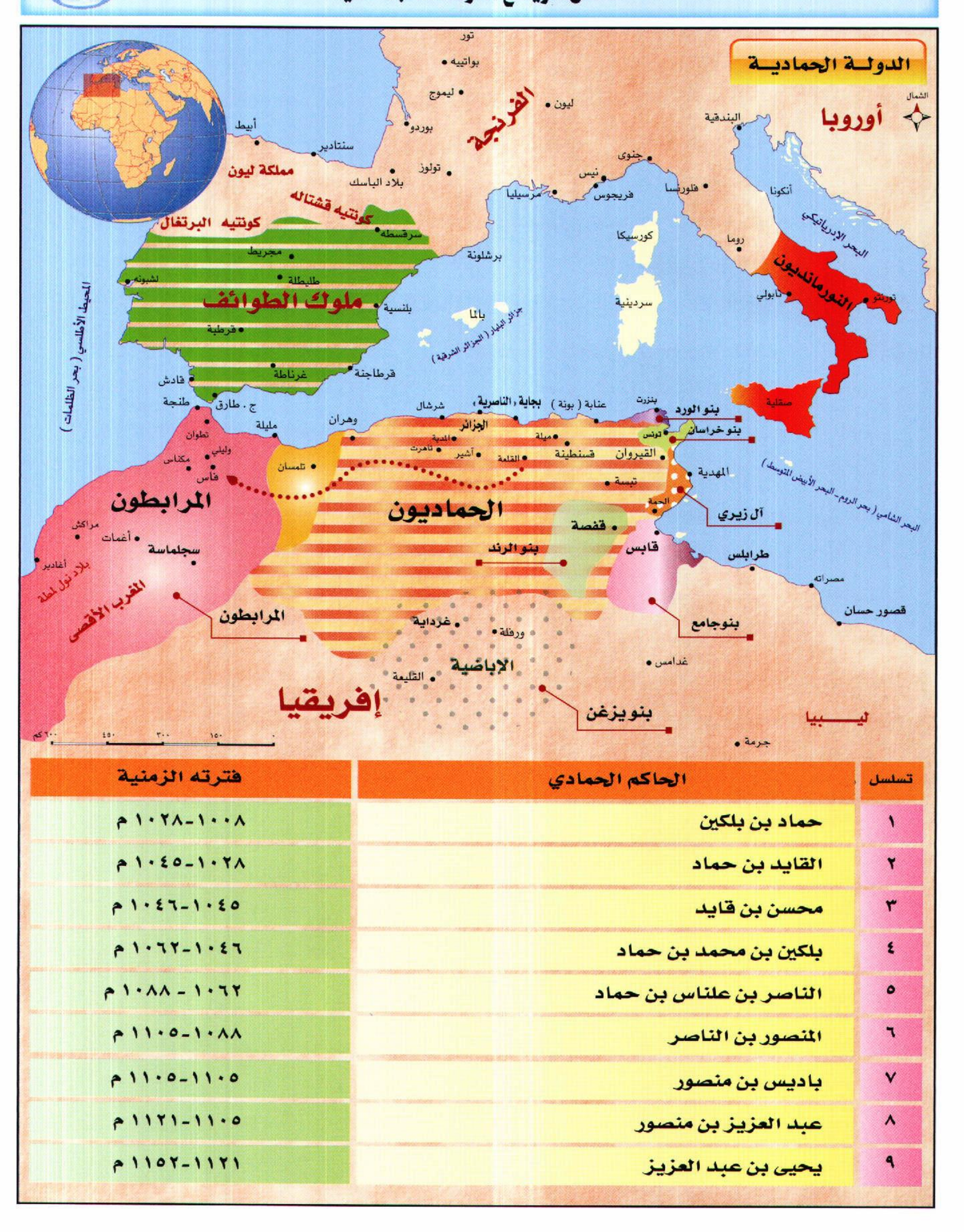
بنو حماد : قبيلة صنهاجية، إحدى أكبر القبائل في المغرب الأوسط، وكان من زعمائها المشهورين زيري بن مناد الصنهاجي، وكان قيام **دولة بني حماد** نتيجة الانشقاق الذي حصل في الأسرة الزيرية الحاكمة في عهد المنصور بن يوسف أمير الدولة الزيرية (٣٧٣-٣٨٦هـ/٩٨٣-٩٩٦م) حين ثارت قبيلة زناتة، فعقد المنصور لأخيه **حماد بن يوسف** على ولايتي **المسيلة وأشير**، وطلب إليه قتال زناتة، فقاتلها حماد وأعادها إلى الطاعة وهذا ما أتاح لبني زيري أن يوسعوا ملكهم إلى المغرب الأوسط.

أقر باديس بن المنصور (٣٨٧-٤٠٦هـ/٩٩٧-١٠١٦م) عمه حماداً على ولايته وعهد إليه أمر قتال زناتة التي ثارت ثانية عام ٣٩٥هـ/١٠٠٥م، **وشرط له ولاية أشير والمغرب الأوسط وكل بلد يفتحه**، بذل حماد جهداً كبيراً في **محاربة الزناتيين** والقضاء على تمردهم، **ثم شرع ببناء مدينة القلعة عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م قرب مدينة أشير وشمال شرقي مدينة المسيلة**، وشيد بنيانها وأسوارها وأكثر فيها المساجد والفنادق، فرحل إليها طلاب العلوم وأرباب الصنائع من الثغور والبلاد البعيدة.

توفي حماد فخلفه ابنه « القائد بن حماد » (٤١٩-٤٤٦هـ/١٠٢٨-١٠٥٤م) الذي تابع سياسة أبيه في التوسع غرباً حتى **دخل ملك فاس**، حمامة بن زيري بن عطية المغراوي في طاعته، وفي سنة ٤٣٤هـ حاول المعز بن باديس (٤٠٦-٤٥٣هـ) أن يستولي على بعض المناطق التابعة للحماديين، وحاصر القلعة مدة، ولكن القائد صالحه فرجع المعز عائداً من حيث أتى بعد أن حاصر مدينة أشير دون جدوى؛ وحينما ساءت علاقة المعز بن باديس بالعبيديين أعاد القائد علاقته بالعبيديين وأمر بالدعاء للخليفة العبيدي على المنابر فمنحه الخليفة العبيدي لقب شرف الدولة.

بعد وفاة القائد تولى الحكم ابنه محسن الذي كان جباراً قوياً، فقتله ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد لتسعة أشهر من ولايته، وتولى الأمر بعده (٤٤٧-٤٥٤هـ/١٠٥٥-١٠٦٢م)، وأكثر بلكين غزواته لبلاد المغرب، **وحينما بلغه استيلاء يوسف بن تاشفين أمير المرابطين** على أرض المصامدة اتجه لقتالهم سنة ٤٥٤هـ فتراجع المرابطون نحو الصحراء وتوغل بلكين في ديار المغرب، ونزل فاس وحمل معه في أثناء عودته رهائن من أكابر أهلها وأشرافهم لكي يضمن ولاءهم وطاعتهم؛ ثم انكفأ راجعاً إلى القلعة حيث قتله عمه الناصر علناس وقام بالأمر من بعده.

ولّى الناصر علناس بن حماد (٤٥٤-٤٨١هـ/١٠٦٢-١٠٨٨م) إخوته وأبناءه على المناطق المختلفة، وعظم أمر الحمّاديين في أيامه، فكتب إليه حمو بن مليل البرغواطي من صفاقس وبعث إليه بهدية، ووفد عليه أهل قسنطينة بزعامة يحيى بن وطاس، فأعلنوا طاعتهم، وأجزل الناصر صلتهم وردهم إلى بلادهم،



تسلسل	الحاكم الحمادي	فترته الزمنية
١	حماد بن بلكين	١٠٠٨-١٠٢٨ م
٢	القايد بن حماد	١٠٢٨-١٠٤٥ م
٣	محسن بن قايد	١٠٤٥-١٠٤٦ م
٤	بلكين بن محمد بن حماد	١٠٤٦-١٠٦٢ م
٥	الناصر بن علناس بن حماد	١٠٦٢ - ١٠٨٨ م
٦	المنصور بن الناصر	١٠٨٨-١١٠٥ م
٧	باديس بن منصور	١١٠٥-١١٠٥ م
٨	عبد العزيز بن منصور	١١٠٥-١١٢١ م
٩	يحيى بن عبد العزيز	١١٢١-١١٥٢ م

ووفد عليه شيوخ من تونس طالبين منه إرسال والٍ إليها؛ فأرسل الناصر **عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان**، الذي حكم تونس مع مجلس من الشيوخ، كما غزا الناصر إفريقية على رأس تحالف ضخم ضم رجالات الأثبج، ولكن تميم بن المعز (٤٥٣-٥٠١هـ/١٠٦١-١١٠٧م) استطاع بدعم من قبائل رياح العربية أن يهزم الناصر هزيمة منكرة، وأدى هذا الانتصار إلى **سيطرة القبائل الهلالية** على إفريقية والأثبج على المغرب الأوسط، فاضطر الزيريون إلى التخلي عن القيروان والتراجع إلى المهدية، **وتخلى الحماديون** عن القلعة وتمركزوا في بجاية التي عرفت أيضاً بالناصرية نسبة إلى الناصر الذي بناها واتخذها مركزاً له بعد سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨-١٠٦٩م، ونقل إليها الناس، وأسقط الخراج عن ساكنيها، وشيد فيها الكثير من المباني العجيبة، فقد كان قصر اللؤلؤ الذي بناه من أعجب قصور الدنيا كما يذكر ابن خلدون، وقد ضعف في عهده أمر الزيريين من جراء فتنة العرب الهلاليين وكثرة الثائرين عليهم والمتنازعين من أهل دولتهم.

خلف المنصور أباه بعد وفاته (٤٨١-٤٩٨هـ/١٠٨٨-١١٠٤م) واتخذ **بجاية** معقلاً وعاصمة له، وجدد قصورها وشيد جامعها وهو الذي حضّر ملك بني حماد كما يذكر ابن خلدون، فقد تأنق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين.

كان على المنصور بن الناصر أن يولي اهتمامه إلى الغرب الذي كان قد سيطر عليه المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين، الذين وصلوا حتى الجزائر، ومن **تلمسان** بدأ المرابطون بمهاجمة أراضي صنهاجة بدعم من زناتة وبنى مخّوخ، فعاقب المنصور بني مخوخ وهاجم تلمسان بعنف، دفعت يوسف بن تاشفين إلى طلب الصلح، وشهدت سنة ٤٧٩هـ/١١٠٤م **نهاية العداوة بين المرابطين والحماديين بتوقيع هدنة بينهما** فتفرغ المنصور لحرب زناتة في المغرب الأوسط. وقد قدم على المنصور معز الدولة بن صمادح صاحب المرية، بعد أن قضى يوسف بن تاشفين على **ملوك الطوائف**، فأكرم المنصور وفادته وأقطعه بادس وهي آخر بلاد الزاب.

لم يستمر باديس بن المنصور الذي كان سفاكاً في الحكم أكثر من سنة، فخلفه أخوه العزيز بن المنصور (٥٠٠-٥١٥هـ/١١٠٥-١١٢١م) الذي شجع العلم والعلماء، وكان العلماء والفقهاء يتناظرون في مجلسه، ولقد قام بمصالحة زناتة، وأصهر إلى بني مخوخ واستطاع أسطوله أن يخضع جزيرة جربة في تونس، في سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، ثم حاصر مدينة تونس وأجبر أحمد بن عبد العزيز الخراساني على تقديم ولائه له، وعهد إلى ابنه يحيى مهمة استرجاع القلعة من العرب الهلاليين[١].

---

١ - فارس بوز، الموسوعة العربية، مج ٨، ص ٥١٠، دار الفكر - دمشق - سوريا.



كانت مدينة القلعة التي بناها حماد تتمتع بميزات إستراتيجية مهمة تفوق مدينة أشير، فقد صارت مركزاً أو محطة للقوافل التجارية إثر الخراب الذي بدأ يدب في القيروان والمغرب الأدنى، خاصة وأنه أنشئ لها فيما بعد منفذ على البحر يتمثل ببجاية (الناصرية) التي كانت قبل ذلك ميناء صغيراً للصيد، فأعمرها الناصر وجعلها عاصمة له.

دولة بني نجاح في اليمن: ٤٠٣ - ٥٥٥ هـ/١٠١٢ - ١١٦٠م

بنو نجاح أسرة حبشية ينسبون إلى الأمير **نجاح أحد موالي بني زياد،** أعلن نفسه سلطاناً على تهامة بعد زوال نفوذ الأسرة الزيادية، **واتصل بالخليفة العباسي** معلناً دخوله في طاعته، فأجازه الخليفة، ولقبه بالمؤيد نصير الدين. لم يكن بنو نجاح أقل عراقة من العرب، وصفهم نجم الدين عمارة اليمني فقال: «لم يكن ملوك العرب يفوقونهم في الحسب، فلهم الكرم الباهر، والعز الظاهر، والجمع بين الوقائع المشهورة، والصنائع المذكورة، والمفاخر المأثورة، وفيهم فضلاء وعلماء». كانت عاصمتهم **زبيد**، من أشهر سلاطينهم سعيد بن نجاح الملقب بالأحول. جرت بينه وبين الصليحيين معارك عديدة أهمها **معركة المهجم** التي قتل فيها علي بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م، وأُسرت زوجته السيدة أسماء بنت شهاب. و**معركة الشعر** سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م التي انتهت بمقتل سعيد بن نجاح، وأسرت زوجته أم المعارك في خبر طريف. بلغ عدد ملوك هذه الدولة ثمانية، آخرهم فاتك بن محمد، تقلد الحكم سنة ٥٣١هـ/١١٥٨م، وكان ضعيف السلطان فتعرضت مناطق نفوذه لهجمات متكررة من قبل بني المهدي الحميري الذين طالت هجماتهم مدينة زبيد مما دفع الأهالي إلى مكاتبة الإمام الزيدي أحمد بن سليمان، فتصدى **لآل المهدي (الخوارج)**، لكنه ما لبث أن استولى على زبيد بعد مقتل السلطان فاتك، وبمقتله قضي على تلك الدولة. الموسوعة العربية، دار الفكر - دمشق - سوريا.

ترتيب حكام بني نجاح

١ - **الأمير نجاح:** ٤٠٣-٤٥٢ هـ/ ١٠١٢-١٠٦٠ م.

٢ - **سعيد بن نجاح:** ٤٥٢-٤٨١ هـ/ ١٠٦٠-١٠٨٨ م.

٣ - **جياش بن نجاح:** ٤٨٢-٤٩٨ هـ/ ١٠٩٠-١١٠٤ م.

٤ - **فاتك بن جياش:** ٤٩٨-٥٠٣ هـ/ ١١٠٤-١١٠٩ م.

٥ - **منصور بن فاتك:** ٥٠٣-٥٢١ هـ/ ١١٠٩-١١٢٧ م.

٦ - **فاتك بن منصور:** ٥٢١-٥٣١ هـ/ ١١٢٧-١١٣٦ م.

٧ - **محمد بن إبراهيم** (٥٣٢ هـ- ٩٦٣ م).

٨ - **فاتك بن محمد بن فاتك:** ٥٣١-٥٥٣ هـ/ ١١٣٦-١١٥٨ م.

بنو نجاح: شرع نجاح في مراسلة **الخليفة العباسي القادر بالله** ببغداد معلناً ولاءه وطاعته للدولة العباسية، فأجازه بذلك ونعته بالمؤيد نصير الدين. كما اتسمت إمارته **بالسُّنِّية** بحكم تبعيتها **للعباسيين** والتي كسبت بها رضى اليمنيين في منطقة نفوذها، بل وساعدتها في مقاومة الصليحيين في الحروب الطويلة والتقليدية التي قامت بين الدولتين طيلة عهديهما تقريباً. وبعد مقتله بالسم عام (٤٥٢ هـ) عن طريق جارية جميلة أهداها إليه علي بن محمد الصليحي استولى بنو صليح على المدينة وضموها إليهم حتى استردها سعيد بن نجاح عام (٤٧٣ هـ - ١٠٨٠ م).



دينار بني نجاح: قام بنو نجاح بضرب دينارهم الذهبي في مدينة زبيد، ونقشوا عليه **العبارات السنية** التي تدل على مذهب الدولة، كما نقشوا أسماءهم على تلك الدنانير إضافة إلى نقش اسم الخليفة العباسي طيلة حكم بني نجاح في إشارة إلى ولائهم للخليفة العباسي في مدينة السلام.

امتاز الدينار النجاحي كغيره من الدنانير اليمنية المعاصرة بخفة الوزن وتميز عنها بنقاء المعدن والعناية بنقش العبارات التي ترد على الدينار الذي امتاز أيضاً بجودة سبكه.

كما امتازت النقود النجاحية، وخاصة الدنانير المضروبة في عهد الملك النجاحي الفاتك بن محمد ، بظهور لقب فريد نقشه على دنانيره مقروناً باسمه وبترتيب معين على مركز وجه وظهر الدينار (كهف، أمر به الملك، الأجل الفاتك، الموحدين) أما مركز الظهر فيحمل تكملة اللقب (مخيف الملحدين). موقع قديم للتراث والتحف، شبكة الفلق الثقافية

الدولة الصليحية في اليمن: ٤٣٩ - ٥٣٢ هـ/١٠٤٧ - ١١٣٧م

تنسب الدولة الصليحية إلى مؤسسها علي بن محمد الصليحي، الذي أعلن ثورته في سنة ٤٣٩هـ في **جبل مسار** في **منطقة حراز باليمن**، وكان خلالها يدعو للمستنصر الخليفة العبيدي بمصر.

استفحل أمر الصليحي شيئاً فشيئاً، حتى استطاع أن يملك زبيداً وسائر تهامة ولم تمض سنة ٤٥٥هـ إلا وقد ملك معظم بلاد اليمن، استمر الصليحي يحكم اليمن باسم الخليفة العبيدي، يعزل ويولّي من يشاء حتى كانت سنة ٤٥٨هـ، وفيها عزم الصليحي على الحج، وفي طريقه إلى مكة هاجمه سعيد الأحول بن نجاح وأخوه جياش عند ساحل المهجم فقتل علي بن محمد الصليحي وعدداً كبيراً من آل الصليحي.

تولى من بعده ابنه المكرم أحمد بن علي الذي أعد العدة للانتقام من بني نجاح، فقصد سعيد بن نجاح في زبيد فقاتله وهزمه سنة ٤٦٠هـ وملك زبيداً وتلقب بالمكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين، غير أن المكرم انصرف فيما بعد للهو، تاركاً تصريف أمور الدولة إلى زوجته السيدة **أروى بنت أحمد** (انظر ترجمتها في الصفحات القادمة). مات المكرم سنة ٤٨٤هـ، فملك بعده ابن عمه أبو حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي، غير أن الأمور ظلت تدار من قبل السيدة أروى حتى مات سنة ٤٩٢هـ، فاستقلت السيدة أروى بالحكم لنفسها، وظلت تدير شؤون الدولة الصليحية بكل شجاعة وحسن تدبير، إلى أن توفيت سنة ٥٣٢هـ، وبوفاتها تنتهي دولة بني الصليحي في اليمن. الموسوعة العربية، دار الفكر - دمشق - سوريا.



بوابة منطقة الحصن شاهدة على ابتداء الدولة الصليحية التي انطلقت منه والتي كان لها الحصن مبتدءاً ومنطلقاً إلى بقية أرجاء اليمن، في مشهد يوحي بدقة الاختيار للموقع ليروي قصة الصليحيين على ارتفاع أكثر من ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر.

تأسيس الدولة الصليحية

قامت دولة (الصليحيين) على يد مؤسسها (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي)، وذلك في عام (٤٣٩ هـ)، وينسب (آل الصليحي) إلى قبيلة (الأصلوح) التي تعد حياً من (الأحجور) الحاشدية الهمدانية، من بني عبيد بن أوام بن حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. أما موطنه الذي نشأ فيه فهو (الأخروج) من بلاد الحيمة إحدى نواحي لواء صنعاء، وكان والده القاضي (محمد الصليحي) يقيم في حصن (يناع) من بلاد الحيمة، وكان سني المذهب نافذ الكلمة في قومه؛ بينما لم يبلغ ولده (علي) الحلم حتى كان قد تضلع بمذهب الإسماعيلية على يد آخر دعاتها (سليمان بن عبد الله الزواحي)، وكان الدافع لهذا إلى العناية بتربية (علي بن محمد الصليحي) وتعليمه مذهب الإسماعيلية ما لاح له من مخائل النبل فيه والاستعداد لحمل أعباء الدعوة العبيدية بعد موته. ولما حضرت الداعي (سليمان الزواحي) الوفاة أوصى بكتبه وبمال وفير لعلي بن محمد الصليحي بعد أن وافق الخليفة العبيدي المستنصر (معد بن الطاهر العبيدي) على ذلك، ساعد (أبا الحسن الصليحي) كل ذلك على الاضطلاع بالمسؤولية دعوة وحكماً وعلى أكمل وجه. الجمهورية اليمنية، موقع رئاسة الجمهورية، المركز الوطني للمعلومات.

امتداد نفوذ أبي الحسن الصليحي إلى الحجاز

لم يكتف (أبو الحسن الصليحي) بما بلغه من نفوذ في اليمن، بل تطلع إلى بسط نفوذه إلى الحجاز، لأن الحجاز في نظره هو أقرب البلدان الإسلامية إلى اليمن، وفيه الأماكن المقدسة، وكجزء مما كان يطمح إليه من تحقيق وحدة إسلامية، تدين بالولاء للعبيديين في أكثر من بلد إسلامي، بما فيها العراق، بعد القضاء على العباسيين.

وقد انتهز فرصة خروج والي الحجاز (أبي عبد الله شكر بن أبي الفتوح الحسني) عن الدعوة العبيدية وقطع الخطبة للإمام المستنصر العبيدي، **وخطب للخليفة العباسي**، فاستأذن الإمام المستنصر بغزو الحجاز، وإزالة الشريف شكر عن حكمه، وضم الحجاز إليه لضمان دوام نفوذ الدعوة والدولة العبيدية فيه، فأذن له الإمام المستنصر بغزو الحجاز على ألا يسفك الدماء في مكة.

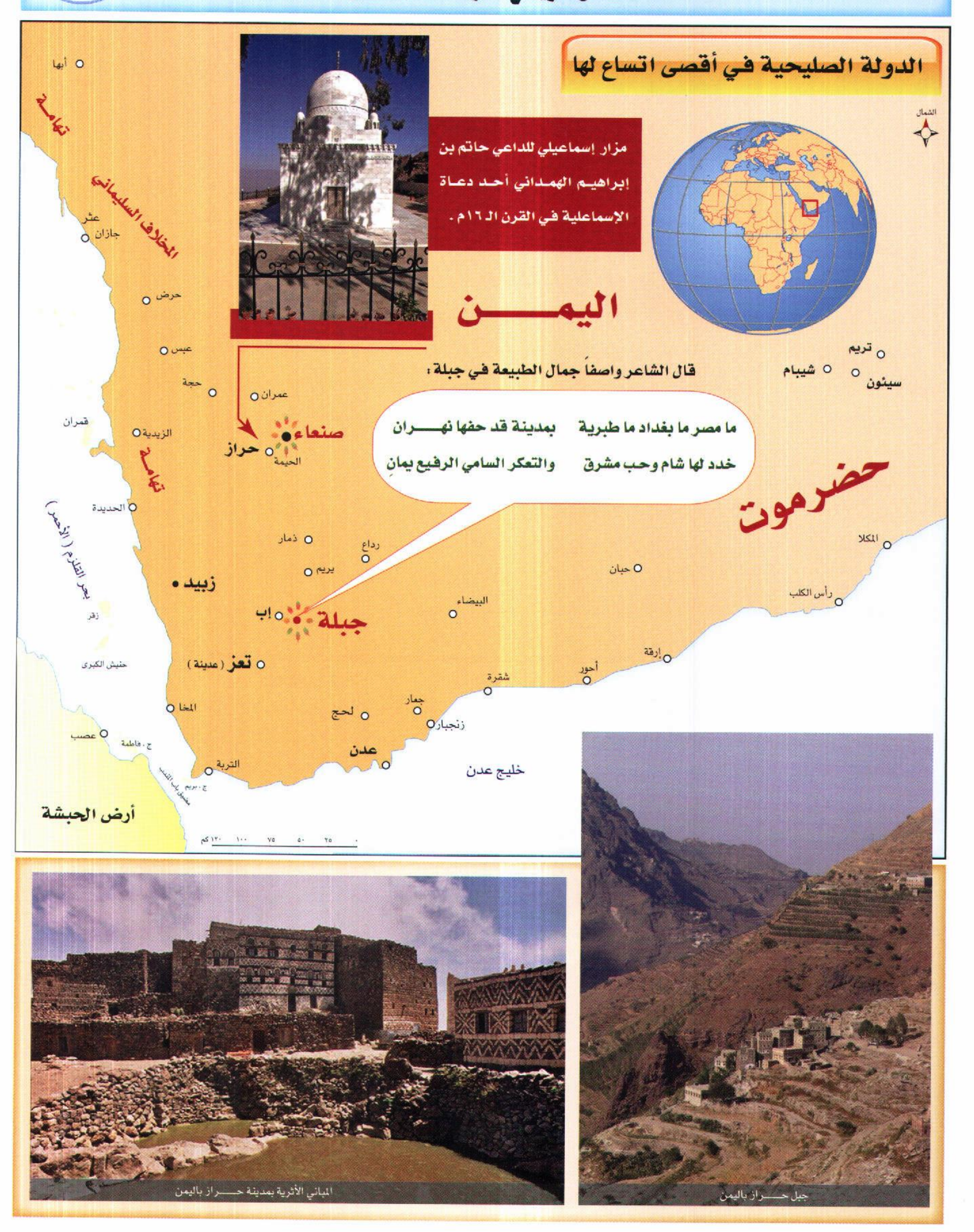
وتحرك (أبو الحسن الصليحي) من اليمن نحو الحجاز بقوة كبيرة من الفرسان في شهر ذي الحجة من عام (٤٥٤ هـ)، واستصحب معه ملوك اليمن وزعماءه، ودخل مكة وقضى مناسك الحج، ولكنه لم يصل مكة إلا وقد توفي الشريف شكر بن أبي الفتوح، وخلفه الشريف (محمد بن جعفر بن أبي هاشم الحسيني).

وأقام (أبو الحسن الصليحي) في مكة حتى يوم عاشوراء من عام (٤٥٥ هـ)، أجزل للناس فيها الهبات والصدقات، وكسى الكعبة بالديباج الأبيض، ثم عاد إلى اليمن مطمئناً إلى ولاء الشريف محمد بن جعفر المذكور للإمام العبيدي، والدعوة له، ولكنه لم يلبث بعد عودة الصليحي إلى اليمن أن خرج عن الولاء **للعبيديين وأعلن ولاءه للعباسيين** [١].

تسلسل	الحاكم الصليحي	فترته الزمنية
١	علي بن محمد الصليحي	٤٣٩-٤٥٨ هـ/ ١٠٤٧-١٠٦٦ م
٢	المكرم بن علي بن محمد	٤٥٨-٤٨٤ هـ/ ١٠٤٧-١٠٦٦ م
٣	سبأ بن أحمد بن المظفر	٤٨٤-٤٩٢ هـ/ ١٠٩١-١٠٩٩ م
٤	سيدة بنت أحمد الصليحي	٤٩٢-٥٣٢ هـ/ ١٠٩٩-١١٣٨م

أشهر حكام الدولة الصليحية (صنعاء - جبلة) (٤٣٩ - ٥٣٢ هـ/ ١٠٤٧ - ١١٣٨ م)

١ - محمد يحي الحداد ، تاريخ اليمن السياسي.



المباني الأثرية بمدينة حـــراز باليمن

جبل حـــراز باليمن

الملكة أروى الصُليحية (٤٤٠-٥٣٢هـ / ١٠٤٨-١١٣٨م)

هي أروى بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي [١]، وأمها رداح بنت الفارع بن موسى، ملكة حازمة مدبرة، زوجة المكرم أحمد بن علي الصليحي ملك اليمن، من الأسرة الصليحية التي حكمت اليمن بعد أن وحدت معظم إماراته (٤٣٩-٥٣٣هـ) ونشرت الدعوة الإسماعيلية العبيدية المستعلية فيه، عرفت بلقب السيدة الحرّة حتى غلب على اسمها في كتب التاريخ.

ولدت في حصن مسار من جبال **حراز** باليمن، ونشأت في رعاية أسماء بنت شهاب زوجة الملك علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية، بعد وفاة والدها أحمد الصليحي وزواج والدتها من عامر بن سليمان بن عامر بن عبد الله الزواحي. عرفت الملكة الحرّة بالجمال والشخصية النافذة، وكانت قارئة كاتبة، تحفظ الأشعار والأخبار والتواريخ، وكان الملك علي معجباً بها فكان يوصي زوجته فيقول لها: «أكرميها فهي والله كافلة ذرارينا وحافظة هذا الأمر على من بقي فينا».

تزوجها المكرم أحمد بن علي سنة ٤٥٨هـ في حياة أبيه، وتولى الحكم من بعده (٤٥٩-٤٨١هـ) فأنجبت منه ولدين وبنتين، ومات ولداها سنة ٤٦٧هـ وفوّض الأمور إلى زوجته أروى، فكان أول ما قامت به، بعد أن غادرت صنعاء، أن اتخذت مقرها في قصر بناه زوجها في حصن ذي جبلة ونقل إليه ذخائره، وقامت بتدبير المملكة خير قيام، وبسطت سلطانها على القبائل اليمانية، فخضع الناس لها، ومنحها الخليفة العبيدي المستنصر بالله منصب داعي الدعاة ولقبها: «السيدة الحرّة، وحيدة الزمن، سيدة ملوك اليمن، عمدة الإسلام، ذخيرة الدين، عصمة المؤمنين، كهف المستجيبين، وليّة أمير المؤمنين، كافلة أوليائه الميامين»، وعدّها المثل الأعلى للحاكم لكفايتها في تدبير شؤون الحكم، وكانت المراسلات المستنصرية العبيدية تصدر إلى اليمن باسمها. وبعد وفاة زوجها المكرم سنة ٤٨١هـ اختلف الصليحيون والزواحيون فيمن يتولى الحكم، وكان زوجها قد أوصى أن تسند أمور الدعوة إلى الأمير المنصور سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي الذي طمح إلى الزواج بالسيدة الحرّة، فلم ترض أروى بهذا الاختيار، واحتكم سبأ إلى الخليفة المستنصر بالله العبيدي الذي أمر أروى أن تقبل بسبأ زوجاً، فوافقت بعد تردد، ولكنّ هذا الزواج ظلّ صورياً، وظلّت أروى تمسك بمقاليد الحكم الفعلية، وتُرفع إليها الرقاع، ويجتمع عندها الوزراء، ويدعى لها على منابر اليمن، فيخطب أولاً للخليفة العبيدي ثم لسبأ ابن أحمد ثم للسيدة الحرّة أروى. ولم تلبث أن استقلت بأمر الحكم بعد وفاة زوجها الثاني سبأ سنة ٤٩٢هـ، واعتمدت في تدبير أمور الملك على عدد من الثقات، منهم: المفضّل بن أبي البركات، وزريع بن أبي الفضل، وعليّ بن إبراهيم بن نجيب الدولة وغيرهم، وامتدت أيام حكمها بعد ذلك أربعين سنة، استطاعت في أثنائها أن تمارس سيادتها على الإمارات اليمنية الصغيرة من دون إخضاعها.

ولّما قدم ابن نجيب الدولة إلى اليمن موفداً من الخليفة العبيدي الآمر بأحكام الله سنة ٥١٣هـ وداعياً له، فأقام الحدود وأخضع الإمارات المتمردة، عزّ جانب الحرّة وانقمع أهل اليمن، إلا أنه بدأ منذ سنة ٥١٩هـ يسيء إلى الحرّة ويستخفّ بأمرها ويدّعي أنها قد خرفت واستحقت أن يحجر عليها، وحاول أن ينتزع الحكم منها، ولكنّ أمراء البلاد وشيوخها ساندوها واتهموا ابن نجيب الدولة بالتآمر على الخلافة والدعوة للنزارية، فأمر الخليفة بالقبض عليه وإعادته إلى مصر، ولكن السفينة التي كانت تقلّه غرقت في أثناء الرحلة، وأسندت الحرّة أمر الدعوة إلى سبأ بن أبي السعود **من آل زريع** (وهو أول بني زريع الذين خلفوا الصليحيين).

وقد عملت أروى إبّان حكمها على تشجيع البناء والعمارة وأولت إنشاء المدارس والمستشفيات والمساجد اهتمامها الزائد، ولم يقف نفوذها عند حدود اليمن، فقد عهد إليها الخليفة المستنصر بالله ومن بعده الآمر بأحكام الله بالإشراف على الدعوة العبيدية في عُمان والهند.

عُمّرت أروى طويلاً، فلمّا ماتت تبارى الشعراء في رثائها، ودفنت في مسجد كانت قد بنته بذي جبلة، **وقبرها لا يزال حتى اليوم مزاراً يسعى إليه أتباع المذهب ويتبركون به.**

وعلى إثر وفاتها دبّ الضعف في **جسد الدولة الصليحية الإسماعيلية** وتفككت أوصالها، وصار الأمر فيها إلى الأمراء من آل زريع، وكانت الدولة العبيدية في مصر تعاني الانهيار أيضاً، وانتهى أمر الصليحيين تماماً بعد أن غزا الأيوبي طوران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين اليمن سنة ٥٦٩هـ.

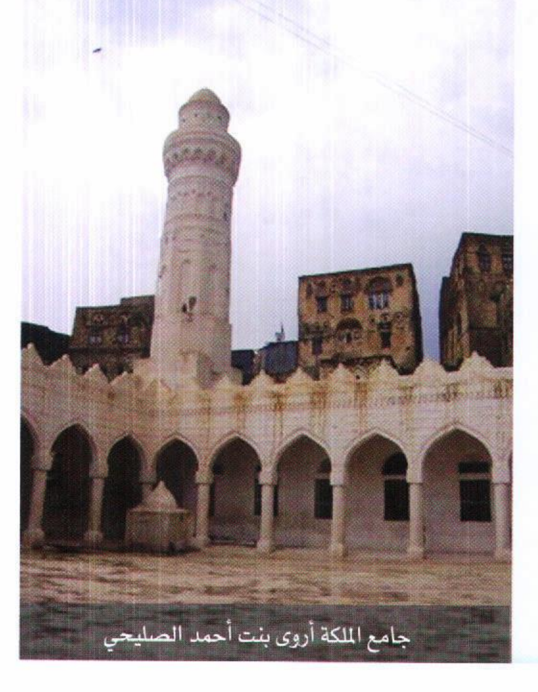
---

١ - بتصرف عن الموسوعة العربية، مج ١، ص ٩٧٦.

دار العـز - قصـر ملوك الدولة الصليحية بمدينة جبلة اليمنية

جبلة : تقع جنوب غربي مدينة إب على بعد نحو (٧) كيلومترات تقريباً. وترتفع عن مستوى سطـح البحـر نحو (١٣٥٠) مـتراً. على هضبة مسطحـة في السفح الشمالي مـن جبل التعكر الشهير. كما تطل على وادٍ ضيق متخذة شكلاً نصف دائري بمحاذاة الوادي. وكان يطلق عليها فـي القدم اسم مدينة النهرين لأنها تقـع وسط نهرين كبيرين .. مياههما دائمة الجريان على مـدار العام. وبها الكثير من الأراضي الخصبة مـن حولها موقوفة لصالح المشتغلين بالعلم من أساتـذة وطـلاب.. ومازالت إحدى مدارس مدينة جبلة قائمة، وهي مـن ملحقات جامع الملكة السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحي.

أول من ابتنى مدينة جبلة هو الأمير الكبير عبدالله بن محمد الصليحي عام ٤٥٨ هـ ١٠٦٦ م، وسماهـا جبلة نسبة إلى اسم أحد الصنـاع الحرفيين، والذي كان من اليهود يبيع الفخار فيها قبـل أن تعمـر . وفي عام ٤٥٨ هــ انتقلت إليها الملكـة أروى بنت أحمد الصليحـي من صنعاء، لتحكم اليمن بعد وفاة زوجها ولتكون أول ملكة يمنية تحكم اليمن في العصور الإسلامية.


جامع الملكة أروى بنت أحمد الصليحي

القوى الإسلامية في بلاد الشام والعراق وديار بكر في عهد السيطرة البويهية وأوائل الهيمنة السلجوقية .

بنوعقيل في الموصل

بنو عُقيل ٣٨٠ ـ ٤٨٩هـ قبيلة كبيرة، تنسب إلى عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، من قيس عيلان ابن مضر. كانت مساكنهم قبل الإسلام في البحرين، طُردَ بني عقيل من البحرين، فساروا إلى الجزيرة الفراتية، وأصبحوا رعايا لبني حمدان (حكام الموصل)، يؤدون لهم الأتاوى، وينفرون معهم في الحروب. كما استقر بعض العقيليين في منطقة حوران والبثنية، وقد تزعمهم ظالم بن موهوب العقيلي زمن العبيديين. وفي العراق قطن منهم بنو المُنتَفِق حول البصرة. وبنو خفاجة في صحراء العراق، وبنو عبادة سكنوا المنطقة الواقعة بين الكوفة وواسط والبصرة. وكلهم من عقيل.

إمارة بني منقذ في شيزر

يُعدّ علي بن منقذ الكناني، جد أسامة بن منقذ هو المؤسس الحقيقي لإمارة بني منقذ، حيث استرد شيزر من الروم (البيزنطيين) عام ٤٧٤هـ.

إمارة بني مروان الكردية

بعد وفاة عضد الدولة البويهي (٣٧٢هـ)، قام أحد قادة العشائر الكردية (بنو مروان) واسمه أبو علي بن مروان (٣٧٩-٣٨٦هـ) بإنشاء إمارة مستقلة في ديار بكر وملاذكرد. بسبب الحروب المتواصلة مع جيرانهم، وضع المروانيون أنفسهم تحت حماية العبيديين.

إمارة بني مزيد في الحلة

بنو مزيد من بني أسد في صحراء القادسية (صحراء النجف) على الساحل الأيسر لنهر دجلة، أسسها أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي في عام ٣٨٨هـ.

المرداسيون في حلب

المرداسيون ٤١٥ ـ ٤٧٤هـ من قبائل كلاب البدوية المنحدرة من عامر بن صعصعة من عرب الشمال، كانت مساكنهم في الجاهلية حمى الربذة في جهات المدينة المنورة وفدك والعوالي، ثم هاجر قسم منهم، واستقر على شواطئ الفرات الشامية، وفي بدايات القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وصلت موجة جديدة من قبائل عامر ابن صعصعة فيها بنو عقيل الذين سكنوا منطقة الموصل، وقشير التي توطنت حول قلعة جعبر التي كانت تدعى قديماً قلعة دوسر، ونمير التي وصلت إلى منطقة حران والرها.

إمارة آل الجراح في الرملة

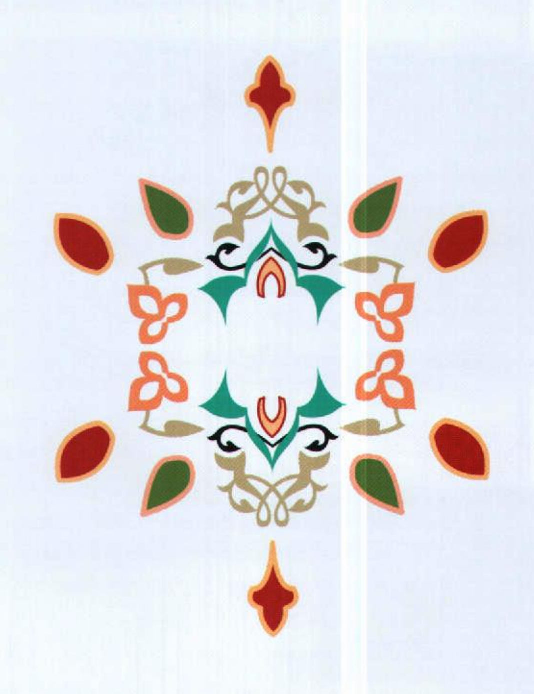
بنو الجراح الطائيون في الرملة والبلقاء هم الذين استدعوا الشريف الهاشمي الحسن بن جعفر أبو الفتوح ليبايعوه خليفة للمسلمين؛ سنة ٤٠١هـ مما أغضب العبيدين.

إمارة بني عمار في طرابلس

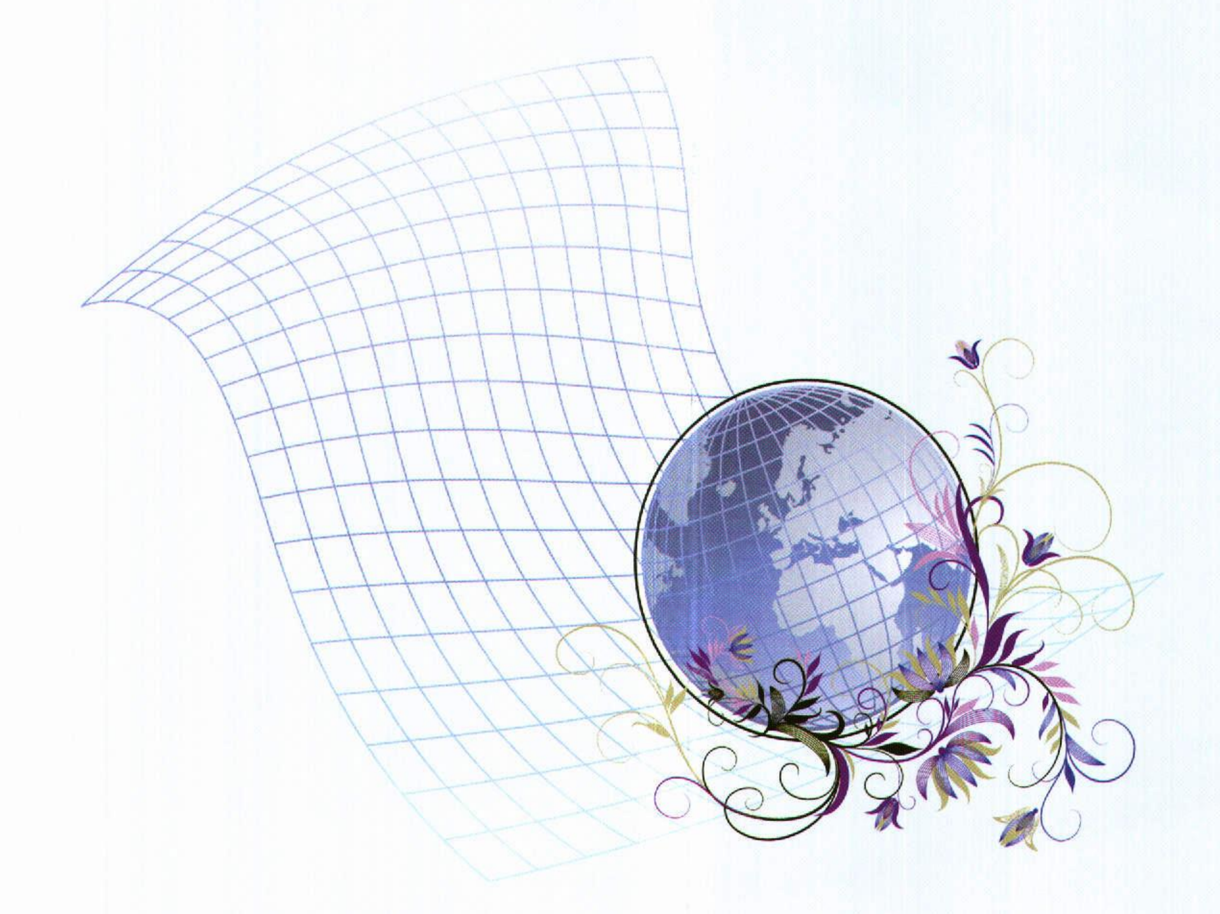
بنو عمار ٣٨٦ - ٥٠١هـ أسرة تعود أصولها إلى قبيلة كتامة المغربية الإفريقية، وعند قيام الدولة العبيدية كان شيوخها لهم الصدارة لإرتباطهم في مذهب واحد.



القوى الإسلامية في بلاد الشام والعراق وديار بكر قبل قيام الدولة الزنكية
مملكة الخزر
الأتراك الغزية
بحر آرال
خوارزم
الشاش
ماوراء النهر
طشقند
بحر بنطس (الأسود)
القسطنطينية
تفليس
شماخة
بحر الخزر (قزوين)
باكو
مملكة إرمينية
الإمبراطورية البيزنطية
ديار بكر
المروانيون
تبريز
السامانيون
مشهد
بلخ
حلب
النميريون
الموصل
الإسماعيلية
بنوزيار
الري
العقيليون
همذان
البويهيون
هراة
كابول
غزنة
قبرص
بنومنقذ
الرقة
البحر الشامي (البحر المتوسط)
دمشق
بغداد
أصفهان
الخلافة العباسية
الغزنويون
الإسكندرية
الرملة
بيت المقدس
الشام
بنو الجراح
الحلة
بنومزيد
الكوفة
الأهواز
العراق
البصرة
شيراز
فارس
كرمان
سجستان
هندوستان
القاهرة
مصر
العبيديون
بندر عباس
القرامطة
البحرين
المدينة النبوية
نجد
خليج عمان
مسقط
النوبة
جزيرة العرب
مكة المكرمة
بحر القلزم (الأحمر)
سواكن
ديو
دامان
أرض السودان
الصليحيون
صنعاء
زبيد
بحر العرب
المحيط الهندي
٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ كم
الخلافة العباسية
البيزنطيون
النميريون
بنومزيد
الدولة العبيدية
المروانيون
المرداسيون
الصليحيون
النفوذ البويهي
العقيليون
بنو الجراح
القرامطة



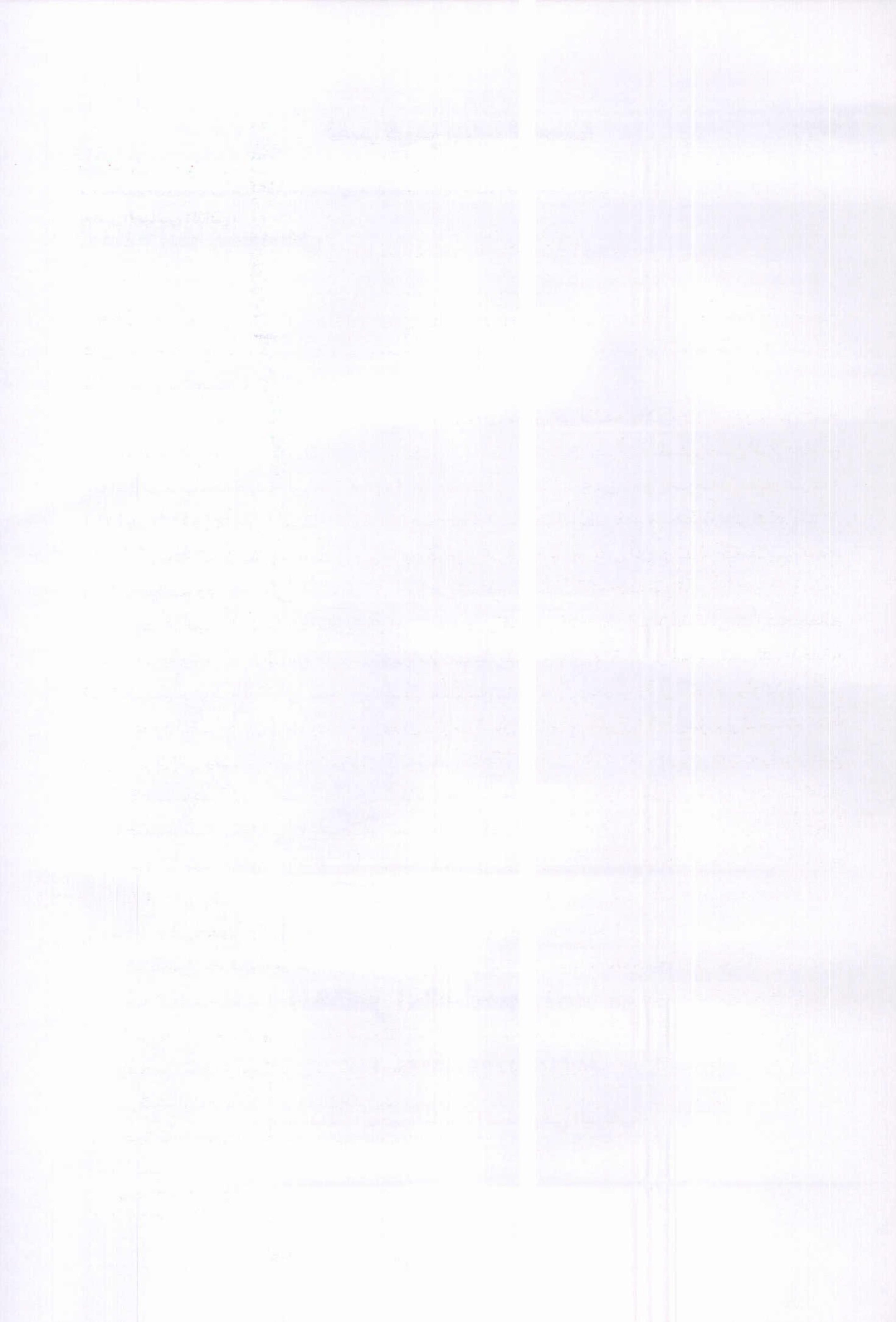
الباب الخامـــــس



العصر العباسي الثاني

٤٤٧-٦٥٦هـ / ١٠٥٥ -١٢٥٨م

ثالثاً: عصر النفوذ السلجوقي التركي



العصر العباسي الثاني:

ثالثاً: عصر النفوذ السلجوقي التركي ٤٤٧-٦٥٦هـ / ١٠٥٥-١٢٥٨م

يطلق **مصطلح السلاجقة** على مؤسسي الدولة السلجوقية، وهي من أهم الدول الإسلامية التي ظهرت على مسرح التاريخ في العصر العباسي الثاني، حيث اشتبكت في قتال مع الغرب النصراني الذي أدى إلى قيام الحروب الصليبية آنذاك.

والسلاجقة: مجموعة من القبائل التركية تنتمي في الأصل إلى طائفة (الأوغوز) استقرت في إقليم ما وراء النهر في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين بعد أن أسلمت وحسن إسلامها، ثم انتقلت بعد سنوات قليلة إلى **خراسان** وكونت جيشاً قوياً تمكنت به من دخول مدينة نيسابور في عام (٤٢٩ هـ ١٠٢٧م) فأعلن زعيمها **طغرل بك** قيام دولة السلاجقة ونادى بنفسه سلطاناً على هذه الدولة، وكان قيام دولة السلاجقة حدثاً بارزاً في تاريخ إيران والعراق بخاصة، وفي تاريخ العالم الإسلامي بعامة، وكانت موقعة (داندا نقان) (٤٣١ هـ ١٠٢٩م) من المواقع الحاسمة الفاصلة في تاريخ كل من الغزنويين والسلاجقة لأنها كانت موجهة لتاريخ كل من الدولتين، ولقد أدى انتصار السلاجقة إلى ظفرهم بمغانم كثيرة مادية ومعنوية، فأحكموا بعدها سيطرتهم على خراسان وما وراء النهر، وظفروا باعتراف الخليفة العباسي وقيام دولتهم وأخذوا يستعدون لبسط سلطانهم على إيران والعراق وآسيا الصغرى والشام[١].

وفي غمرة الصراع بين السلاجقة والغزنويين في خراسان استطاع **طغرل بك** أن يؤسس لنفسه سلطنة في العراق إلى جانب الخليفة العباسي «القائم» (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م). وظلت خراسان تتبع الدولة السلجوقية في العراق، وكان السلاجقة أيضاً يغيرون من خراسان إلى ما وراء النهر لقتال الإيلكخانية حلفائهم القدامى بحجة أن السلاجقة يمثلون الخليفة العباسي، فاحتلوا سمرقند، وأوصلوا سلطتهم إلى شرق ما وراء النهر (٤٨٢هـ/١٠٨٩م). وكان طغرل بك قد قدم بالسلاجقة إلى بغداد عام ٤٤٧هـ/١٠٠٥م لإنقاذ الخليفة من قائد يدعى **«البساسيري»** كان يعمل على الدعوة في بغداد **للخلافة العبيدية** في مصر، واضطره إلى الفرار، وعاد طغرلبك إلى حاضرته الري.

وقدم طغرل بك ثانية بعد عامين إلى بغداد بعد أن استأذن الخليفة بالقدوم، ولما قدمها بموكب فخم استقبله الخليفة ولقبه **«سلطان المشرق والمغرب»**، وكان ذلك إيذاناً بقيام سلطنة السلاجقة في العراق،ودخول الخلافة العباسية في عهد جديد دعي بعصر النفوذ السلجوقي[٢]. كما انتزعوا مكة والمدينة من سلطة العبيديين الشيعة. ونتيجة للأوضاع السيئة التي كانت تسيِّر الأوضاع من قبل العبيديين والحركات الباطنية الأخرى إضافة إلى ضعف مركز الخلافة في بغداد أدى إلى مواجهة سلاجقة الروم في بادئ الأمر للخطر الفرنجي في آسيا الصغرى (الحروب الصليبية).

---

١ - أ. د/ عزت الصاوي، وزارة الأوقاف المصرية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٢ - مظهر شهاب، الموسوعة العربية، مج ١١، ص ٤٠.



الخلافة العباسية في عهد السيطرة السلجوقية التركية

من أبرز حكام السلاجقة الأتراك الذين حكموا إيران والعراق وسورية وأجزاء من آسيا الصغرى في أواخر القرن العاشر الميلادي:

أولاً : السلاجقة الكبار وحكموا في الحقبة من ٤٢٩ -٥٥٢ هـ / ١٠٣٧ – ١١٧٥ م. مؤسسها **طغرل بك**، وجغري بك، حفيدا سلجوق، واشتهر منهم ألب أرسلان وملكشاه وبركياروق.

ثانياً : سلاجقة كرمان، وحكموا من ٤٣٢ - ٥٧٦ هـ/ ١٠٤١ – ١١١٨م. مؤسسها قرة أرسلان.

ثالثاً : سلاجقة الشام، وحكموا من ٤٨٦ – ٥١١ هـ. مؤسسها تتش بن أرسلان.

رابعاً : سلاجقة العراق وكردستان، وحكموا من ٥١١ - ٥٩٠ هـ. مؤسسها مغيث الدين محمود.

خامساً : سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وحكموا من ٥١١ - ٦٩٩ هـ / ١١٧٧ - ١٣٠٠ م.

قام أحفاد سلجوق، **طغرل بك** (٤٢٩-٤٥٥ هـ) وجغري (٤٣٠-٤٥١ هـ) بتقسيم المملكة السلجوقية إلى قسمين. **القسم الغربي** وقاعدته **أصفهان**، **والقسم الشرقي** وقاعدته **مرو**. بعد انتصاره على الغزنويين سنة ٤٣١ هـ بالقرب من دنكان، ثم توسعت مملكة طغرل بك إلى الغرب أكثرحيث ضمت فارس إليها سنة ٤٣٣ هـ، ثم بعض الأجزاء من الأناضول (آسيا الصغرى)، وأخيراً العراق بعد القضاء على دولة البويهيين فيها حيث دخل طغرل بك بغداد في ٢٥ رمضان ٤٤٧هـ/٢٣ ديسمبر ١٠٥٥ م.

يطلـق علـى عهـود سلاطـين السلاجقة فـي العراق. السبعـة الأوائـل. عصر السلاجقـة العظام (بين ٤٤٧-٥٥٢هـ/١٠٥٧-١١٥٧م) لأن سلطتهـم كانت تمتد مـن بلاد الشام إلى حدود الصـين. أما من جاء بعدهـم من السلاطـين فقد أشغلتهم الحروب فيمـا بينهم، وانفصلت عن سلطتهـم بعض المناطق. وكان عصر ثالث السلاطين العظام ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٣-١٠٩٢م) **العصر الذهبي** لسلطنة سلاجقة العـراق، وقـد اهتـم السلطان بالإصـلاح ونشر العـدل والأمن، وشق عـدداً من الطرق، كمـا خفف بعض الضرائـب. وبنـى وزيـره المصلح «**نظـام الملك**» عدداً مـن المدارس فـي أنحاء مختلفة، وقـد دعيت هذه المدارس بالمدارس النظامية نسبة إليه، **مما** أدى إلى انتشار العلم ولاسيما علمي الفلك والرياضيات[١].

استطاع شقيق ملكشاه تتش دخول دمشق عام (٤٦٨ هـ/١٠٧٥م). وكان قد سبقه إليها قائده آتسز في العـام نفسه **وانهى حكـم العبيديين فيها**. وحاول تتش أن يتوسـع في بلاد الشام فدخل حلب (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ولما حـاول أن ينازع ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه (٤٨٧-٤٩٨هـ/١٠٩٤-١١٠٤م) على السلطنة. قُتل في إيران عام ٤٨٨ هـ/١٠٩٥م قرب الري، وخلف تتش على حكم حلب ابنه رضوان كما حكم ابنـه الآخـر دقاق دمشق. وخلف دقاق عند وفاته عام ٤٩٧هـ/١١٠٥م قائـد جيشه طغتكين وبه يبدأ **حكم الأتابكـة** بدمشق. كما انتقل حكم حلب عند وفاة رضوان (٥٠٧هـ/١١١٣م) إلى واحدٍ من أتابكته. وكان سلاجقة الشام قد أسهموا في قتال الفرنجة في الحملة الصليبية الأولى.

أما سلاجقة كرمان في جنوب غربي إيران فيعود تأسيسها إلى أحد أمراء السلاجقة ويدعى قاورت بن داود بـن ميكائيـل في حاضرتـه التي تحمل الاسم نفســه (كرمان) من أيام ثـاني السلاجقة العظام ألب أرسـلان ٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م، وانفصـل قاورت عن السلطـة السلجوقية عـام ٤٣٣هـ/١٠٤١م، وأسس سلالة حاكمة فيها، وتوالى على الحكم فيها أحد عشر أميراً إلى أن انتقل الحكم إلى أحد أتابكتهم عام ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م. وقد اهتم سلاجقة كرمان بإعمار المنطقة وبالزراعة، ولاسيما زراعة النخيل وتربية المواشي.

وكان النصـر الـذي أحـرزه **ألـب أرسلان** عـام ٤٦٣هـ/١٠٧١م علـى البيزنطيين وأسـره الإمبراطور البيزنطـي فـي معركة ملا ذكـرت (ملاذكرد)، بين بحيرة **وان** ومدينة **أرض روم**، سبباً في قيام دولة سلجوقيـة جديـدة في آسيـا الصغرى (الأناضـول)، كان حاكمهـا الأول سليمان بن قتلمش ابن عم ألب أرسـلان (٤٧٠-٤٧٩هـ/١٠٧٧-١٠٨٦م). وتعززت الدولة الجديدة بما كان يصل إلى الأناضول من قبائل تركية. **وبدأت منذ ذلك الحين آســيا الصغـرى تتحول من رومية بيزنطية إلى تركية**[٢].

---

١ - ٢. مظهر شهاب، الموسوعة العربية، مج ١١، ص ٤٠.



دينار سلجوقي ضرب نيسابور ٤٣٣هـ
ركن الدين (طغرل بك).

أقصـــى مدى لدولـــة السـلاجقة الأتـــراك في القـــرن الخامـــس الهجـــري

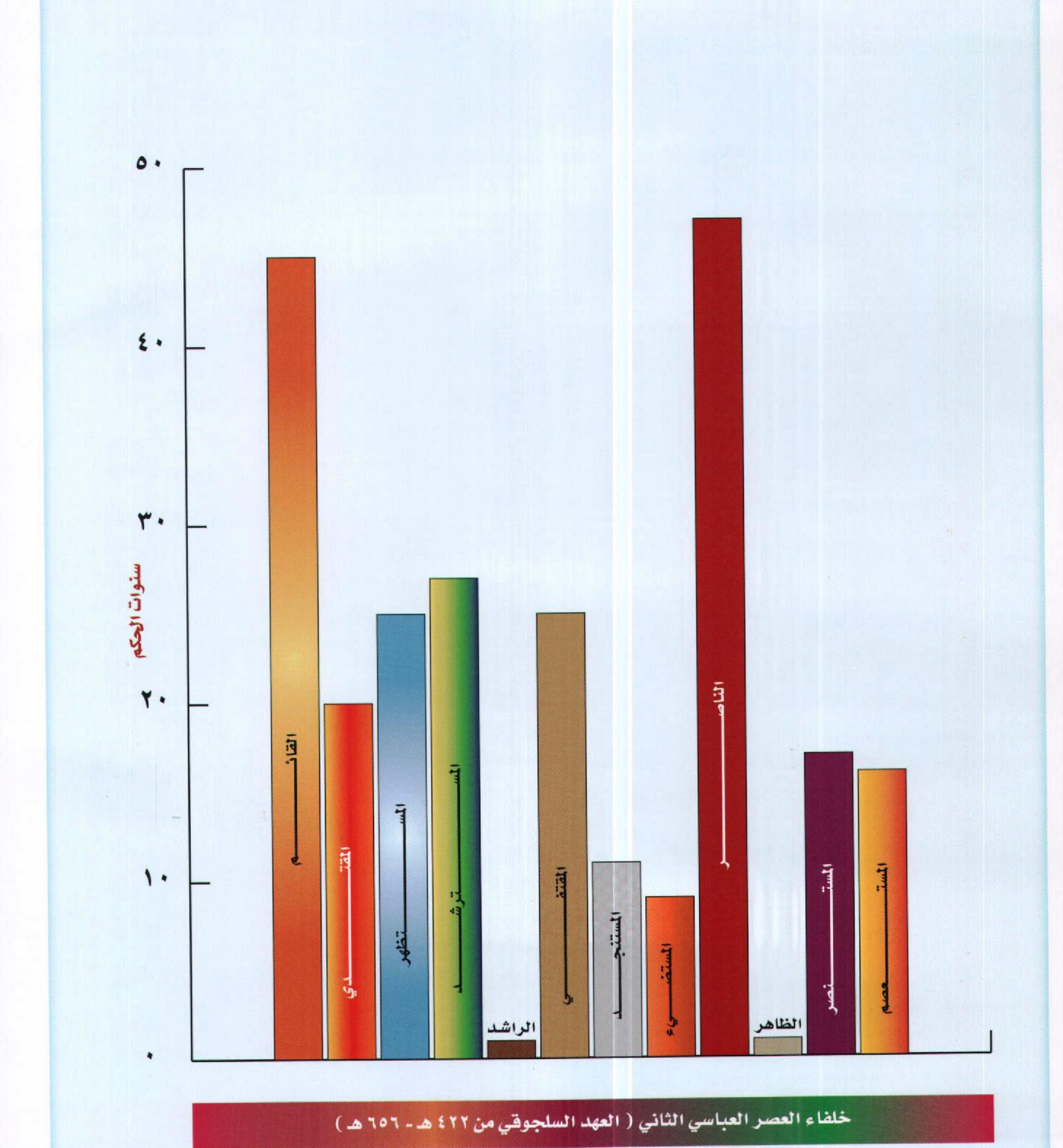
- دولة السلاجقة
- الإمبراطورية البيزنطية
- مملكة أرمينيا الصغرى والكبرى
- الدولة العبيدية
- الإمامة الإباضية
- الدولة الغزنوية
- مناطق الاحتلال الصليبي
- الإسماعيليون (الحشاشون) في ألموت
- الصليحيون
- العيونيون

موقعة ملاذكرت (ملاذكرد) سنة ٤٦٥ هـ

★ استطاع حكام سلاجقة الأناضول انتزاع المزيد من الأراضي مـن البيزنطيين واتخـذوا لأنفسهم مدينة قونيـة عاصمة لهـم وكانت دولة سلاجقـة الأناضول أطول عمراً من بقية دول السلاجقة .



مصفوفة زمنية للإمارات السياسية في العهد السلجوقي التركي خلال العصر العباسي الثاني



خلفاء العصر العباسي الثاني (العهد السلجوقي من ٤٢٢ هـ - ٦٥٦ هـ)

صفحتان من مخطوطة للداعي **الدرزي** حمزة بن علي مؤسس الطائفة (الديانة) الدرزية ووزير الحاكم العبيدي (الفاطمي) في الرد على **النصيرية** . وهي معنونة « الرسالة الدامغه للفاسق علي النصيري لعنه المولى في كل كور ودور » .

للأهمية ؟

انظر ص ١٥٨ من هذا الأطلس

مصدر المخطوطة . مكتبة الإسكندرية - جمهورية مصر العربية

جهاد الدولة في عهد السلاجقة العظام ☆

كان **ألب أرسلان** كعمه طغرل بك – قائداً ماهراً مقداماً وقد اتخذ سياسة خاصة تعتمد على تثبيت أركان حكمه في البلاد الخاضعة لنفوذ السلاجقة، قبل التطلع إلى إخضاع أقاليم جديدة، وضمها إلى دولته، كما كان متلهفاً للجهاد في سبيل الله، ونشر دعوة الإسلام في داخل الدولة النصرانية المجاورة له، كبلاد الأرمن وبلاد الروم، وكانت روح الجهاد الإسلامي هي المحركة لحركات الفتوحات التي قام بها ألب أرسلان وأكسبتها صبغة دينية، وأصبح قائد السلاجقة زعيماً للجهاد، وحريصاً على نصرة الإسلام ونشره في تلك الديار، ورفع راية الإسلام خفاقة على مناطق كثيرة من أراضي الدولة البيزنطية، لقد بقي سبع سنوات يتفقد أجزاء دولته المترامية الأطراف، قبل أن يقوم بأي توسع خارجي، وعندما أطمأن على استتباب الأمن وتمكُّن حكم السلاجقة في جميع الأقاليم والبلدان الخاضعة له، أخذ يخطط لتحقيق أهدافه البعيدة، وهي فتح البلاد النصرانية المجاورة لدولته، وإسقاط الخلافة العبيدية في مصر، وتوحيد العالم الإسلامي تحت راية الخلافة العباسية السنية ونفوذ السلاجقة، فأعد جيشاً كبيراً اتجه به نحو بلاد **الأرمن وجورجيا** فافتتحها وضمها إلى مملكته، كما عمل على نشر الإسلام في تلك المناطق . وأغار ألب أرسلان على شمالي الشام وحاصر الدولة المرداسية في حلب، التي أسسها صالح بن مرداس على المذهب الشيعي سنة ٤١٤هـ وأخبر أميرها محمود بن صالح بن مرداس على إقامة الدعوة للخليفة العباسي بدلاً من الخليفة العبيدي سنة ٤٦٢هـ ، ثم أرسل قائد الترك أتسنسر بن أوق الخوارزمي في حملة إلى جنوبي الشام فانتزع الرملة وبيت المقدس بدلاً من العبيديين، ولم يستطع الاستيلاء على عسقلان التي تُعَدُّ بوابة الدخول إلى مصر، وبذلك أضحى السلاجقة على مقربة من قاعدة الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي.

أبو شجاع ألب أرسلان

هو السلطان الكبير، الملك العادل، عضد الدولة، أبو شجاع ألب أرسلان، محمد بن السلطان جغر بيك داود ميكائيل بن سلجوق بن تُقاق بن سلجوق التركماني، الغُزِّي، من عظماء ملوك الإسلام وأبطالهم، ملك بعد عمه طغرل بك، وكان عادلاً سار في الناس سيرة حسنة، كريماً رحيماً، شفوقاً على الرعية رفيقاً على الفقراء، بارّاً بأهله وأصحابه ومماليكه، كثير الدعاء بدوام ما أنعم به عليه، كثير الصدقات يتصدق في كل رمضان بخمسة عشر ألف دينار، ولا يعرف في زمانه جناية ولا مصادرة، بل يقنع من الرّعايا بالخراج في قسطين، رفقاً بهم. اعتمد ألب أرسلان في الوزارة على نظام الملك، وكان وزير صدق، يكرم العلماء والفقراء، ولما عصى الملك شهاب الدولة قُتُلمش، وخرج عن الطاعة، وطمع في أخذ الملك من ألب أرسلان وكان من بني عم طغرل بك، فجمع وحشد واحتفل له ألب أرسلان فقال له الوزير : أيها الملك، لا تخف؛ فإني قد استخدمت لك جنداً ليلياً يدعون لك وينصرونك بالتوجه في صلواتهم وخلواتهم، وهم العلماء والصلحاء، فطابت نفسه بذلك، فحين التقى مع قتلمش لم ينتظره أن كسره، وقتل خلقاً من جنوده، وقُتل قتلمش في المعركة واجتمعت الكلمة على ألب أرسلان ، وعظم أمره، وخطب له على منابر العراق والعجم وخراسان ودانت له الأمم.

م . د . عليّ بن محمد الصلابي، المرجع نفسه

☆ د. علي بن محمد الصلابي، دولة السلاجقة، وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي.

وفي سنة ٤٦٢هـ ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبي هاشم إلى السلطان يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم وللسلطان، وإسقاط خطبة مصر "للعبيدي"، وترك الأذان بحي على خير العمل، فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وقال له: إذا فعل أمير المدينة كذلك أعطيناه عشرين ألف دينار، وكان حريصاً على إقامة العدل في رعاياه وحفظ أموالهم وأعراضهم، بلغه أن غلاماً من غلمانه أخذ إزاراً لبعض التجار، فصلبه فارتدع سائر المماليك به، خوفاً من سطوته، وكتب إليه بعض السُّعاة في نظام الملك، فاستدعاه وقال له: إن كان هذا صحيحاً فهذّب أخلاقك، وأصلح أحوالك، وإن لم يكن صحيحاً فاغفر لهم زلتهم بمُهمّ يشغلهم عن السعاية بالناس، وكان كثيراً ما يقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم، وأحكام الشريعة، ولمّا اشتهر بين الملوك حُسن سيرته، ومحافظته على عهوده أذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع، وحضروا عنده من أقاصي ما وراء النهر إلى أقاصي الشام.

وضع السلطان **ألب أرسلان** نصب عينيه تحقيق هدفي السلاجقة وهما التوسع باتجاه الأراضي البيزنطية وطرد العبيديين في بلاد الشام والحلول مكانهم، ثم استخلاص مصر منهم، وقد آثاره احتمال تقارب بين البيزنطيين والعبيديين فحرص على أن يحمي نفسه من بيزنطة بفتح أرمينية والاستقرار في ربوعها، قبل أن يمضي في تحقيق الهدف الثاني وهو مهاجمة العبيديين. والواقع أنه كان من الصعب على السلطان السلجوقي، من الناحية العسكرية والسياسية، أن يتجاوز محور الرها إلى جنوبي بلاد الشام ثم مصر دون تقدير الموقف البيزنطي من جهة، ومواقف أمراء الجزيرة وبلاد الشام من جهة أخرى، إذ إن أي اضطراب في العلاقة مع هذه الأطراف من شأنه أن يهدد بقطع خط الرجعة على جيشه الذي سيكون بعيداً عن قواعده الخلفية، واشتدت في هذه الأثناء غارات الأتراك على أراضي الدولة البيزنطية، وتوغلوا فيها، ففتح هارون بن خان أرتاح عام ٤٦٠هـ بعد أن حاصرها خمسة أشهر، ونهض الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينوس ليوقف تقدم المغيرين، ومنعهم من التوغل أكثر في عمق الأراضي البيزنطية، وقاد حملتين عسكريتين ضد الأجزاء الشمالية لبلاد الشام بين عام ٤٦١هـ - ٤٦٢هـ فهاجم منطقة حلب، عقدة المواصلات التجارية والعسكرية بين العراق وأرمينية والأناضول وبلاد الشام، واصطدمت قواته بقوات محمود بن نصر المرداسي وبني كلاب، وابن حسان الطائي ومن معهم من جموع العرب وانتصر عليهم، إلا أن الإمبراطور انسحب من المنطقة على عجل دون أن يستثمر انتصاره، بعد ورود أخبار عن توغل قوات تركية بقيادة الأفشين في عمق الأراضي البيزنطية، وفتحها مدينة عمورية، وأنها بصدد التوجه نحو القسطنطينية، كما أن نفاد المؤن كان سبباً آخر دفعه إلى العودة إلى بلاده. وكان السلطان ألب أرسلان ينتظر فرصة سانحة ليحقق حلمه بضم بلاد الشام ومصر إلى الأملاك السلجوقية.

وأتاح له النزاع الذي حصل بين أركان الحكم في مصر من أجل السيطرة والتسلط على المستنصر العبيدي هذه الفرصة، كان ناصر الدولة الحسين بن الحسن الحمداني أحد أبرز القادة في القاهرة، وقد انتصر على تحالف ضم الوزير ابن أبي كدية وألدكوز قائد عسكر الأتراك وذلك في عام ٤٦٢هـ، وتمادى في تخطيطه وقرّر القضاء على الدولة العبيدية وإقامة الدعوة العباسية، فأرسل أبا جعفر محمد ابن البخاري قاضي حلب، إلى السلطان السلجوقي يطلب منه أن يرسل جيشاً إلى مصر، يساعده في تحقيق هدفه وفور تسلمه الدعوة، جهز ألب أرسلان جيشاً كبيراً وخرج على رأسه من خراسان متوجهاً إلى بلاد الشام لإخضاعها لسيطرة السلاجقة، ومن ثمّ متابعة زحفه إلى مصر لإسقاط الدولة العبيدية وضمَّ هذا البلد إلى السلطنة السلجوقية، لكن تحركه كان بطيئاً بسبب ما صادفه من عقبات كانت أولاها في الرها الواقعة تحت الحكم البيزنطي، فحاصرها في عام ٤٦٣هـ وقاوم الرهاويون الحصار ببسالة بقيادة باسيل ابن أسار الذي عينه الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينوس حاكماً على المدينة، وقطع السلاجقة أشجار الحدائق وطمروا الخنادق بجانب الأسوار الشرقية كي يعبروا عليها، وقذفوا المدينة بالمجانيق، وشرع النقابون في حفر فجوات في السور، ولكن دون جدوى، واستعصت المدينة على السلطان ألب أرسلان واضطر إلى التفاهم مع سكانها بعد نيف وثلاثين يوماً من الحصار المتواصل ثم تابع طريقه إلى حلب، لضمها حتى يمنع أي محاولة التفاف من جانب البيزنطيين من جهة الجنوب، غير أن قسماً من جيشه تقاعس عن المضي معه بسبب تأخير أرزاقهم، فاضطر أن يتابع زحفه بمن بقي معه من الجيش وعددهم أربعة آلاف مقاتل، فعبر نهر الفرات ٤٦٣هـ ودخل أراضي الإمارة وقدم له جميع أمراء الجزيرة الولاء أمثال شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي أمير الموصل، ونصر بن مروان أمير ميا فارقين، وابن وثاب أمير حرّان، بالإضافة إلى أمراء الترك والديلم.

واصل السلاجقة ضمهم لبعض الإمارات، حيث تمكنوا من ضم حلب وإخضاعها للسلطنة السلجوقية صلحاً فوافق السلطان على بقاء محمود أميراً على حلب، على أن يكون تابعاً له ويدعو للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي، وفعلاً خرج محمود في اليوم التالي من حلب، وتوجّه إلى معسكر السلطان وحمل معه مفاتيح البلد، واصطحب معه والدته، فاستقبلها السلطان، ورحب بهما وأكرمهما وأحسن إليهما، وأعلن بقاء محمود أميراً على حلب، وكتب له توقيعاً بذلك، وقد أضحى بموجبه، تابعاً فعلياً ورسمياً للسلطان، ومتولياً من قبله وبتوقيعه، وليس أميراً حاكماً بقوته يستطيع في كل لحظة نقض الولاء.

غادر السلطان ألب أرسلان المنطقة بعد ذلك، وعاد إلى بلاد ما وراء النهر للقتال هناك، وترك بعض عسكره وأتباعه بقيادة أتسز بن أوق الخوارزمي وكان معه إخوته، جاولي والمأمون وفزلو وشكلي، وأذن لهم بالاصطدام بالعبيديين وإخراجهم من بلاد الشام، وكان القاضي أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن

محمد ابن عمار قد استبدَّ بحكم طرابلس وخلع طاعة أمير الجيوش بدر الجمالي، وضم مدينة جبيل الواقعة على الساحل اللبناني إلى نفوذه، واضعاً بذلك النواة الأولى لقيام إمارة بني عمار المستقلة، وحتى يدعم موقفه في طرابلس تقرّب من السلاجقة، فأرسل إليه السلطان ألب أرسلان، قبل أن يغادر المنطقة قوة عسكرية بقيادة أحد كتابه هو جابر بن سقلاب الموصلي، لم يوضِّح المؤرخون ما تقرّر بين السلطان ألب أرسلان وأمير طرابلس، لكن يغلب على الظن أن معاهدة عدم اعتداء عقدت بين الطرفين يسمح بموجبها لجماعة من الأتراك بالإقامة في أعمال طرابلس، وتنفيذاً لأوامر السلطان قاد محمود ابن نصر وايتكين السليماني قواتهما وتوجها جنوباً لمهاجمة دمشق وانتزاعها من أيدي العبيديين وذلك في ٤٦٤هـ وتوقفا في بعلبك ليخططا لحملتيهما، وعلم محمود بن نصر وهو في بعلبك بأن عمه عطية هاجم حلب بالتعاون مع البيزنطيين في أنطاكية، وأحرق قسماً من معرة مصرين، فاضطر للعودة إلى مقر إمارته للدفاع عنها، واشتبك مع البيزنطيين في عدة معارك، فانهزم أمامهم، وعندما وجد نفسه عاجزاً عن الوقوف في وجههم استعان بأتسز وإخوته، وكانوا في الجنوب يحاولون انتزاع فلسطين من أيدي العبيديين، فلبوا دعوته، وقدموا إلى حلب، وتمكّن محمود بن نصر بفضل مساعدتهم من :

- صَّد البيزنطيين، ووقف أعمالهم ضد أراضيه.
- استعاد الرحبة من مسلم بن قريش في عام ٤٦٥هـ.

وبعد أن قضى منهم ما أراد، وأمن جانب البيزنطيين، طلب منهم أن يغادروا حلب، وأغراهم بالمال والخيل، فغادروا إلى الجنوب. ويبدو أنهم تركوا قسماً منهم في خدمته يبلغ ألف فارس بقيادة أحمد شاه، بدليل أنه عندما أغار البيزنطيون على أراضي حلب عام ٤٦٦هـ، صدّهم محمود بن نصر بمساعدة الأتراك الموجودين في حلب كما فتح قلعة السن الواقعة تحت الحكم البيزنطي وضمّها أملاكه.

توجه الأتراك بزعامة أتسز، بعد رحيل السلطان ألب أرسلان عن المنطقة إلى دمشق بهدف ضمِّها، فضربوا عليها حصاراً مركزاً، وأغاروا على أعمالها، وقطعوا الميرة عنها، ورعوا زرعها، ومع ذلك فقد فشلوا في اقتحامها، فغادروها إلى فلسطين، فضموا الرملة، وبيت المقدس، بعد حصار، وطردوا منها الحامية العبيدية وانتزعوا طبرية من أيديهم، وحاصروا يافا، فهرب حاكمها رزين الدولة العبيدي، وألغى أتسز الدعوة للمستنصر العبيدي، وخطب للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي وأرسل إلى بغداد يخبر بما حقَّقه في بلاد الشام [1].

---

١ - د. علي بن محمد الصلابي، دولة السلاجقة، وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي.

بلاد المغرب العربي والأندلس في العصر العباسـي الثاني (العهد السلجوقي)

كانت **الدولة العبيدية** التي تحكم مصر خلال هذه الفترة قد فقدت سيطرتها على الشمال الإفريقي لعدم رغبة المجتمع المغاربي المسلم لعقائد هذه الدولة الشيعية وتصرفاتها الغريبة، ولم يبق لها إلا السيطرة المحدودة على مصر وبعض المناطق الجنوبية من بلاد الشام، **ولا سيما أن مكة والمدينة أخذت تدعو للخليفة العباسي الشرعي تاركة الدعاء للخليفة العبيدي.**

بيد أن هذه الدولة انقسمت على نفسها في سنة (٤٨٧هـ) ١٠٩٤م، - كما ذكرنا ذلك سابقاً - حينما تُوفي خليفتهـم المستنصر، وتكوَّنت فرقتـان كبيرتان؛ **الأولى :** هي التي تقطن بمصـر وتحكمها، وهي المستعلية (نسبـة إلى المستعلي بن المستنصـر). أما الفرقة **الثانية :** هي فرقة الإسماعيليـة النزارية (انظر خارطة القلاع الإسماعيلية في إيران وبلاد الشام).

وكانت تونس (إفريقية) تحت **حكم آل زيري** وهي سلالة أمازيغية من قبيلة صنهاجة الأمازيغية حكمت فـي شمـال إفريقيا تونس والجزائر ما بين ٣٦٠ - ٥١٨ هـ. واتخذت من الناصرية (بجاية حالياً) مقراً لها منـذ عـام ٣٦٠ هـ، ثم القيروان منذ عام ٤٣٩ هـ، ثم المهدية منذ عـام ٤٦٧ هـ، إلا أن هذه الدولة دخلت في طـور مـن الضعف؛ مما أدى إلى فَقْد ثغر مـن أعظم الثغور الإسلامية، وهي جزيـرة صقلية، حيث استطاع الإيطاليـون النورمانيون أن يسيطروا عليها تماماً سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، وزال نفوذ آل زيري عنها، وبالتبعية زال وجود المسلمين من الجزيرة بعد حكم دام مائتين وسبعين سنة متصلة.

أمـا بقية بـلاد المغرب العربي والأندلـس: فقد أخذ يشهد ولادة قوة إسلامية فـي ذلك الزمن، فكان بلاد المغـرب العربي وغـرب إفريقيا والأندلس؛ حيث كانت هذه المناطق تابعـة **لدولة المرابطين** العظيمة تحت قيادة قائدهم الفذِّ يوسف بن تاشفين رحمه الله، وهو من أعظم القادة في تاريخ الإسلام، وهو الذي أنزل بالصليبيـين القادمين من شمال إسبانيا وفرنسا الهزيمة الساحقة في معركة الزّلاّقة سنة (٤٧٩هـ) ١٠٨٦م فـي وسط بـلاد الأندلس (سيرد تفصيلها في الصفحات القادمة من هـذا الأطلس). وهذه الدولة الكبيرة -علـى قوتهـا- لم تكن تستطيع أن تساعد بلاد المشرق في حروبهم ضد الحملات الصليبية، لا لبُعد المسافة فقـط ولكن لانشغالهم الشديد في حرب الصليبيين شمـال الأندلس، والوثنيين في غربي إفريقيا ووسطها.

فهذه كانت نظرة عامة على بلاد العالم الإسلامي في أواخر القرن الخامس الهجري (أواخر القرن الحادي عشر الميلادي).



قام المعز بن باديس الزيري (٤٠٦-٤٥٣ هـ) سنة ٤٣٦ هـ، بالتنصل من المذهب الشيعي القائم على الغلو في أهل بيته عليه السلام، وسب الشيخين أبـي بكـر وعمر (رضـي الله عنهما)، والطعن في أمهات المؤمنـين (رضي الله عنهن)، والنيل من صحابة رسـول الله صلى الله عليه وسلم، الذين أوصلوا الإسلام إليهم، والتأكيد على رغبة المغاربة بالعودة إلى المذهب المالكي السني والدعوة للخليفة العباسي في بغداد.

وكـرد فعـل علـى هذا العمل الصحوي، قام العبيديون الشيعة ومنذ ٤٤٨ هـ بالتخلص من قبائـل بني هلال وبني المعقل وبني سليم الأعرابية التـي هاجـرت من غربي الجزيـرة إلى مصر، وضايقوا العبيديين في مصر من خلال تشكيكهم بحقيقـة النسب الفاطمي، وذلك عن طريق توجيههم إلى غزو إفريقيا لمضايقة المغاربة ؛ لكن الله رد كيدهم في نحورهم حين أصبح هؤلاء من أداة فوضى واضطراب إلى أداة مصاهرة وتعريب. كما هو الحال حينما تم إنشاء الجامع الأزهر لنشر الفكر الشيعي في مصر لكن المصريين رفضوا هذا الفكر وعادوا من خلال منابر الأزهر لينشروا العقيدة الإسلامية البعيدة عن الغمز واللمز في رموز الأمة والذي أثنى الله عليهم في كتابه الكريم.

الأندلس في عهد ملوك الطوائف (٤٢٢ - ٤٨١ هـ)

لم تكن حال **الأندلس** بأفضل من حال **المغرب** حين وصل يوسف بن تاشفين إلى سدة الحكم. فبعد زوال الخلافة الأموية في الأندلس في صدر المائة الخامسة الهجرية، **استقل الحكام بمدنهم** وتقسمت البلاد إلى دول وإمارات. فكانت هناك إمارة بني جهور في قرطبة، وإمارة بني حمود في الجزيرة الخضراء ومالقة، ودولة بني عباد في إشبيلية، ودولة بني زيري في غرناطة، وهكذا... وهذا ما أطلق عليه اسم عصر ملوك الطوائف الذي ينطبق عليه قول ابن الخطيب:

حتى إذا سلك الخلافة انتثر
قام بكل بقعة مليك
وذهب العين جميعاً والأثر
وصاح فوق كل غصن ديك

وكان ملوك الطوائف منغمسين في ترفهم، يسعى بعضهم إلى توسيع أملاكه على حساب بعضهم الآخر، وانشغلوا عن **مجاهدة العدو** بخلافاتهم المستمرة وبمحاربة بعضهم بعضاً، بل كان كثير منهم يتحالف مع العدو على إخوانه المسلمين، أو يذعن للعدو فيدفع له الجزية. وهكذا فإن ملوك الطوائف كانوا يحملون الألقاب الرنانة الطنانة دون أن تكون لهم القوة أو السلطة التي قد توحي بها تلك الألقاب. ولهذا قال الشاعر:

مما يزهدني في أرض أندلس
ألقاب مملكة في غير موضعها
ألقاب معتضد فيها ومعتمد
كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

ونتيجة لهذه الأوضاع المزرية المتدهورة، أقدم ألفونس السادس صاحب قشتالة على شق الأندلس شقاً حتى وصل جزيرة طريف واحتل في طريقه مدينة طليطلة وحاصر مدينة سرقسطة. فكتب المعتمد بن عباد ملك إشبيلية إلى يوسف بن تاشفين يستدعيه للحوز برسم الجهاد ونصر البلاد. فأجابه يوسف بن تاشفين بقوله لا يمكنني ذلك إلا إذا ملكت طنجة وسبتة، ولما تزايد الخطر النصراني ضد مسلمي الأندلس بعد حادثة بربشتر سنة ٤٥٦ هـ وجه أبو حفص عمر بن حسن الهوزني رسالة إلى المعتضد ابن عباد (٤٣٣ - ٤٦٢ هـ) دعاه فيها إلى الجهاد، كما بين فيها شدة معاناة المسلمين، وسبب تزايد الخطر النصراني عليهم، وأنه لا خلاص للمسلمين إلا بالرجوع إلى الله ثم ضم المرابطين لهم، وهذا ما حدث سنة ٤٨١ هـ .



ملوك الطوائف في بلاد الأندلس

ملوك الطوائف: هي فترة تاريخية في الأندلس بدأت بحدود عام **٤٢٢ هـ** لما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية في الأندلس، مما حدا بكل أمير من أمراء الأندلس ببناء دويلة منفصلة، وتأسيس أسرة حاكمة من أهله وذويه. وتنتهي بضم المرابطين لها سنة ٤٧٩ هـ.

ملوك الطوائف		مملكة الفرنجة		مملكة ليون	
قطلونية		ريباجورثا		كونتيه البرتغال	
مملكة أرجون		مملكة قشتاله		نبرة	
المرابطون					

التسلسل الرقمي لانفصال الدولة — مثال: ١٣ رنده — اسم المملكة المنفصلة

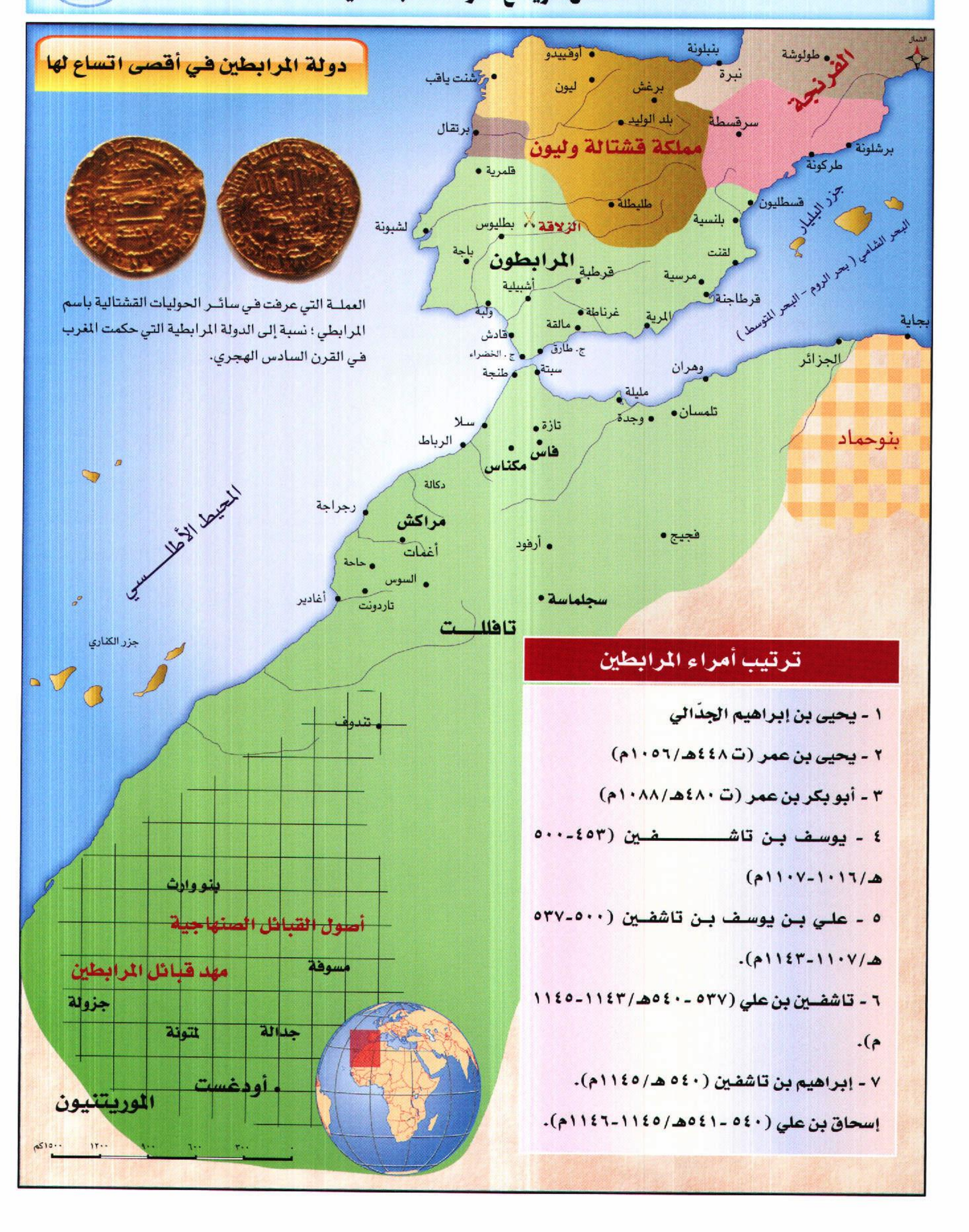
دولة المرابطين (٤٤٨ـ٥٤١هـ/١٠٥٦ـ١١٤٧م)

نشأت دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري على يد قبائل صنهاجة المغربية التـي تتزعمها قبيلة جدالة، ورئيسها يحيى بن إبراهيم بن قرغوت الجدالي الذي ذهب إلى الحج، وهناك قابل أحد الدعاة وطلب منه الذهاب معه لتعليم القبائل الصنهاجية الإسلام، وكان هذا الداعية هو عبد الله بن ياسـين الجـدولي. وصل عبد الله بـن ياسـين إلى مناطق قبائـل صنهاجة يعلمهـم الإسـلام، فلقـي نجاحاً كبـيراً في قبيلـة لمتونة، واستطـاع تكوين جماعة سميت المرابطين، نظمهم للجهاد في سبيل الله. وبدأ المرابطون من عـام ٤٤٧هـ الجهاد في سبيل الله، وفتح بعض بلاد المغرب؛ بقيادة أبى بكر بـن عمر وابن عمه يوسف بـن تاشفين وهو الذي قاد الحركة المرابطية منذ ذلـك الحين، وأسـس الدولة الكبرى فـي المغرب أولاً، ثم اتجـه يوسف بن تاشفـين إلى المعتمد بن عبـاد لينقذه، وحقق جيش المرابطين نصر ملوك الطوائف بالزلاقة ودعاهم إلى الوحدة والتآلف لمواجهة النصارى.

بعـد عـودة يوسف بن تاشفـين إلى أرض المغرب، حدثـت الصراعات بين أمـراء المؤمنين الموجودين في بلاد الأندلس بسبـب الغنائم وتقسيم البلاد المحـررة. وهنا ضج علماء الأندلس وذهبـوا يستنجدون بيوسف بن تاشفين من جديد، لا لتخليصهم هذه المرة من النصارى، وإنما أنقذنا من أمرائنا. يتـورع يوسـف بن تاشفين عن هذ الأمر، إذ كيـف يهجم على بلاد المسلمين وكيف يحاربهم؟! فتأتيه - رحمه الله - الفتاوى من كل بلاد المسلمين تحمّله مسؤولية ما يحدث في بلاد الأندلس إن هو تأخر عنها، وتحذره من ضياعها إلى الأبـد، وتطلـب منه أن يضمهـا إلى أملاك المسلمين تحـت دولة واحدة ورايـة واحدة، هي دولة المرابطين. فجاءته الفتوى بذلك من بلاد الشام من أبـي حامـد الغزالي صاحب "إحيـاء علوم الدين"، وقـد كان معاصراً لهذه الأحـداث، وجاءته الفتوى من أبي بكـر الطرطوشي العالم المصري الكبير، وجاءتـه الفتوى من كل علماء المالكية في شمال إفريقيا. فاستجاب لهم في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة من الهجرة فضم الأندلس إلى دولته.

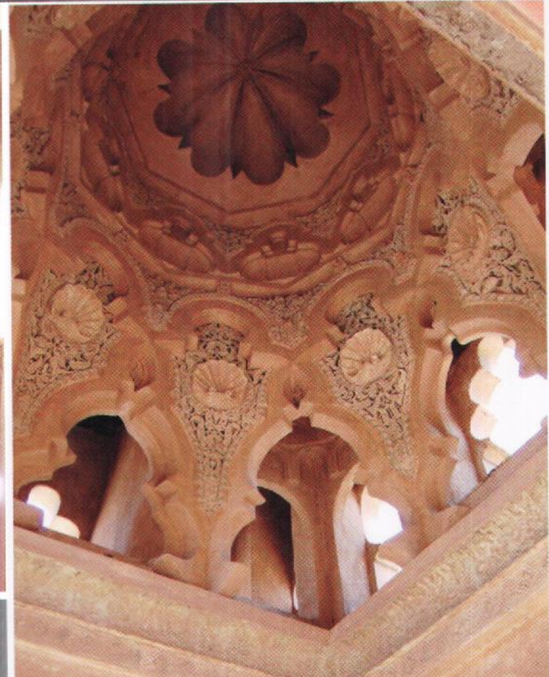
الدعاء للخليفة العباسي

كانـت دولـة المرابطين من الـدول التي عـبرّ زعماؤها عـن اعترافهـم بالسيـادة الروحـيـة **للخليفـة العباسي** بسك اسمه على النقـود والدعـاء لـه علـى المنابر، وبدأ ذلك منذ أيام أبي بكر بن عمر كما تشهد علـى ذلـك النقـود التـي سكهـا، ثم سـار يوسف بن تاشفين علـى سنته وطلب مـن الخليفـة العباسـي المستظهـر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ) تقليـده حكـم المغـرب، فجـاءه التقليـد واعـترف الخليفة بلقبـه «أمـير المسلمـين وناصـر الدين» في الكتاب الذي وصلـه على ما يرجح فـي رجـب سنـة ٤٩١هـ حزيران/يونيـو ١٠٩٨م وقد عدّ الخليفة يوسف في كتابه أيضـاً نائب الخليفة والقائـم بدعـوة أمـير المؤمنين وقائد جيوشه في المغرب.


دولة المرابطين في أقصى اتساع لها
العملة التي عرفت في سائر الحوليات القشتالية باسم المرابطي؛ نسبة إلى الدولة المرابطية التي حكمت المغرب في القرن السادس الهجري.
أوفييدو
بنبلونة
طولوشة
شنت ياقب
ليون
برغش
نبرة
الفرنجة
برتقال
بلد الوليد
سرقسطة
مملكة قشتالة وليون
برشلونة
طركونة
قلمرية
طليطلة
قسطليون
جزر البليار
لشبونة
بطليوس
الزلاقة
بلنسية
البحر الشامي (بحر الروم - البحر المتوسط)
باجة
المرابطون
لقنت
قرطبة
مرسية
أشبيلية
قرطاجنة
ولبة
غرناطة
المرية
بجاية
قادش
مالقة
ج. طارق
ج. الخضراء
الجزائر
طنجة
سبتة
وهران
مليلة
تلمسان
وجدة
سلا
تازة
الرباط
فاس
بنوحماد
مكناس
المحيط الأطلسي
دكالة
رجراجة
مراكش
أغمات
فجيج
أرفود
حاحة
السوس
أغادير
تاردونت
سجلماسة
تافللت
جزر الكناري
تندوف
بنو وارث
أصول القبائل الصنهاجية
مسوفة
مهد قبائل المرابطين
جزولة
جدالة
لمتونة
أودغست
الموريتنيون
ترتيب أمراء المرابطين
١ - يحيى بن إبراهيم الجدّالي
٢ - يحيى بن عمر (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)
٣ - أبو بكر بن عمر (ت ٤٨٠هـ/١٠٨٨م)
٤ - يوسف بن تاشفين (٤٥٣-٥٠٠ هـ/١٠١٦-١١٠٧م)
٥ - علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧ هـ/١١٠٧-١١٤٣م).
٦ - تاشفين بن علي (٥٣٧-٥٤٠هـ/١١٤٣-١١٤٥ م).
٧ - إبراهيم بن تاشفين (٥٤٠ هـ/١١٤٥م).
إسحاق بن علي (٥٤٠-٥٤١هـ/١١٤٥-١١٤٦م).

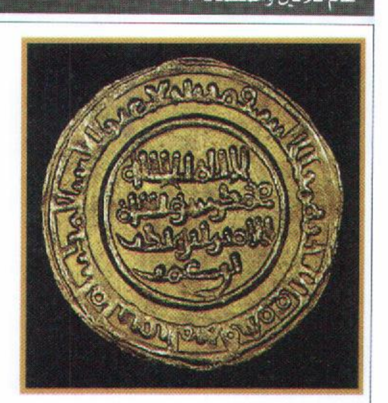
مراكش: هي ثالث أكبر مدينة مغربية تقع في جنوبي وسط المغرب، ؛ بناها السلطان المجاهد يوسف بن تاشفين عام ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م، كعربون محبة لزوجته زينب النفزاوية. يرجع اسم مراكش إلى الكلمة الأمازيغية أمورن ياكوش: أي بلاد الله حيث يستعمل الأمازيغ كلمة تامورت أو أمور التي تعني البلاد كثيراً في تسمية البلدان والمدن.





جانب من فن الزخرفة في عهد المرابطين على إحدى القباب في مدينة مراكش

النص التأسيسي لمسجد أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين في تلمسان بالجزائر « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم هذا مما أمر بعمله الأمير الأجل... أيده الله وأعز نصره وأدام دولته، وكان إتمامه على يد الفقيه الأجل القاضي الأوصل أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي أدام الله عزهم فتم في شهر جمادى الأخير عام ثلاثين وخمسمائة ».



١ - دينار مرابطي - سجلماسه ٤٧١هـ

أبو بكر عمر اللمتوني

الوجه: المركز: لا إله إلا الله/ محمد رسول الله/ الأمير أبو بكر/ بن عمر

الهامش: ومن يبتغِ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين

الظهر: **المركز:** الامام/عبد/ الله/ أمير المؤمنين

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار بسجلماسه سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

القطر: ٢.٤سم



دينار مرابطي - قرطبة سنة ٤٩٥ هـ

السلطان يوسف بن تاشفين

م . العملات، الدينار عبر العصور الإسلامية، ص ١٦٧ - ١٦٨

دولة الأشراف السليمانيين في مكة المكرمة (٤٥٣ - ٤٥٥ هـ/١٠٦١ - ١٠٦٣ م)

قال البلادي [١]: وهم **الطبقة الثانية** من أشراف الحجاز. ينسب **الأشراف السليمانيون** إلى جدهم **سليمان** بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما.

سكن السليمانيون مكة المكرمة بجوار بني عمهم الموسويين، فلما توفى شكر بن أبي الفتوح الموسوي، سارع السليمانيون إلى الاستيلاء على الحكم، **فكونوا دولة لم تدم طويلاً**، فهاجمهم بنو عمهم الهواشم فانتزعوا ملك مكة منهم، فجلى السليمانيون إلى المخلاف السليماني (منطقة جازان اليوم) فانتشروا هناك ثم صارت لهم دول في ذلك المخلاف، ولهم اليوم فروع منتشرة في منطقة جازان ومحافظة القنفذة التابعة لإمارة مكة المكرمة، من أهمها: آل القطبي، وآل الخواجي، وآل الذروي وغيرهم، وفي محافظة القنفذة:: آل ابن حمزة، الفداحية، آل شبير، وغيرهم.

أبو الطيِّب بن عبد الرحمن بن قاسم بن أبي الفاتك بن داود بن سليمان بن عبد الله بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن (المثنى) بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - .هو ابن عم أبي الفتوح الحسني أمير مكة. ذكر بعض المؤرخين أن **الحاكم العبيدي** ولاه الحرمين لما خرج ابن عمه أبو الفتوح عن طاعته.

وفي سنة (٤٥٥هـ) قدم إلى الحج صاحب اليمن علي بن محمد الصليحي، فدخل مكة في سادس ذي الحجة وملكها وانتزعها من بني أبي الطيب، واستعمل العدل والإحسان لأهل مكة فرخصت الأسعار واستراح الناس جداً وكثر الدعاء له، واستمر بمكة إلى يوم عاشوراء، وقيل إلى ربيع الأول، فقام الأشراف الحسنيون عليه، وقالوا له: اخرج إلى بلدك واجعل لك بمكة نائباً. فجعل على مكة محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن هاشم.

أما الشيخ أحمد السباعي - رحمه الله - شيخ مؤرخي مكة في هذا العصر، فذكر **دولة السليمانيين**، فقال: الطبقة الثانية من الأشراف «السليمانيون». ثم يقول: ولم يتمتع السليمانيون طويلاً بهذا الحكم، فقد اقتحم عليهم **الصليحي صاحب اليمن** بعد سنتين من استئثارهم بالحكم، ولم يذكر مؤرخو مكة أسماء من تولى مكة منهم إلاّ اسم محمد بن عبد الرحمن من أحفاد أبي الفاتك. أ هـ، ما قاله السباعي. وقد ذيل في هامش ص (٢٠١) بقوله: هم أولاد سليمان بن عبد الله بن موسى الجون.. إلخ. **ولم أر من ذكر مدى اتساع دولة السليمانيين**، غير أنه من الواضح أنهم لم يجمعوا بين الحرمين الشريفين [٢].

١، ٢ - عاتق بن غيث البلادي، الإشراف على تاريخ الأشراف، موقع أشراف الحجاز بالمملكة العربية السعودية.


الطبقة الثانية: الأشراف السليمانيون في الحجاز
الطبقة الثانية الأشراف السليمانيون:
وهم بنو سليمان بن عبد الله الرضا بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -.
تذكر بعض الروايات أن آل سليمان استقلوا بالإمارة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة شكر بن أبي الفتوح سنة ٤٥٣ هـ.
١ الأشراف السليمانيون أمراء لمكة المكرمة
النفوذ السليماني
الأشراف الهواشم يهاجمون بني عمهم السليمانيين وينتزعون حكم مكة منهم، فجلى السليمانيون إلى المخلاف السليماني (منطقة جازان اليوم) فانتشروا هناك ثم صارت لهم دول في ذلك المخلاف. ٢
في سنة (٤٥٥هـ) قدم إلى الحج صاحب اليمن علي بن محمد الصليحي، فدخل مكة في سادس ذي الحجة وملكها وانتزعها من بني أبي الطيب، واستعمل العدل والإحسان لأهل مكة فرخصت الأسعار واستراح الناس جداً وكثر الدعاء له، واستمر بمكة إلى يوم عاشوراء، وقيل إلى ربيع الأول، فقام الأشراف الحسنيون عليه، وقالوا له: اخرج إلى بلدك واجعل لك بمكة نائباً. فجعل على مكة محمد بن جعفر بن محمد ابن عبد الله بن هاشم.
الشمال
إيلة
سيناء
البدع
تبوك
صنافر
تيران
شدوان
ضباء
تيماء
العُلا
الوجه
وادي القرى
مصر
خيبر
أملج
المدينة النبوية
ينبع
المهد
بحر القلزم (البحر الأحمر)
رابغ
جدة
مكة المكرمة
الطائف
الليث
أرض السودان
أبها
نجران
عثر
فرسان
جازان
المخلاف السليماني
المرمص
الصليحيون
صنعاء
أرض اليمن
الحديدة
لحج
أرض الأحباش
بحر العرب
صفر ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ كم

دولة الأشراف الهواشم في مكة المكرمة (٤٥٦ - ٥٩٧ هـ/١٠٦٣ - ١٢٠٠ م)

قال البلادي[١]: يسمون **الهواشم** ويسمون الأمراء، أما تسميتهم بالهواشم فنسبة إلى جدهم محمد أبي هاشم مؤسس دولتهم، الآتي ذكره، أما تسميتهم بالأمراء فنسبة إلى جدهم: الحسين الأمير، قال ابن عنبة: وأما محمد الأكبر بن موسى الثاني، ويقال له: الثائر، فأعقب من صلبه خمسة رجال وهم: عبد الله الأكبر والحسين الأمير.. إلخ، وذريتهم اليوم منتشرون في مكة ومرّ الظهران.

وفي قصة الصليحي صاحب اليمن السابقة تبين كيف تم استيلاؤه على مكة والحج بالناس سنة (٤٥٥هـ)، فلما قضى حجه، يقول الفاسي: وأقام إلى يوم عاشوراء -أي سنة (٤٥٦هـ)- وراسله **الحسنيون**، وكانوا قد أبعدوا عن مكة: اخرج من بلدنا ورتّب منا من تختاره، فرتّب محمد بن أبي هاشم في الإمارة، ورجع إلى اليمن. ومحمد هذا هو صهر شكر على ابنته، وأمّره على الجماعة -أي الصليحي- وأصلح بين العشائر، واستخدم له العساكر، وأعطاه مالاً وخمسين فرساً وسلاحاً... إلخ.

قلت[٢]: ويكاد يجمع المؤرخون على أن محمداً هذا هو محمد أبو هاشم بن جعفر بن محمد أبي هاشم بن عبد الله بن محمد أبي هاشم بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجَون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -. حيث دامت ولاية أبي هاشم ثلاثين سنة، أي من (٤٥٦-٤٨٦هـ).

ولكن حفيد هؤلاء الهواشم الشاب: إبراهيم بن منصور، مؤلف كتاب: (الأشراف الهواشم الأمراء) يستدرك قائلاً: وهم من بني أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني -إلى آخر ما تقدم- ثم أول من تولى **إمرة مكة منهم أبو هاشم الأصغر** محمد بن عبد الله بن أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير، بخلاف ما قرره المؤرخون من أن طبقة الهواشم عرفت من عهد أبي هاشم محمد بن جعفر.

وإتمام رواية الفاسي في شفاء الغرام:... **وأقام محمد بن أبي هاشم بمكة نائباً عنه (الصليحي)** فقصده الحسنيون بنو سليمان مع حمزة بن أبي وهاس، فلم يكن له به طاقة فحاربهم وخرج من مكة فتبعوه، فرجع فضرب واحداً منهم ضربة فقطع ذراعه وفرسه وجسده ووصل (السيف) إلى الأرض، فدهشوا ورجعوا عنه، وكان تحت فرس تسمى «دنانير» لا تكل ولا تمل، وليس لها في الدنيا شبيه. ومضى إلى **وادي ينبع** وقطعه الطريق عن مكة... إلى أن يقول: ولعل حمزة بن وهاس المذكور في هذا الخبر حفيد أبي الطيب المشار إليه. وذكر شيخنا ابن خلدون ما يقتضي أن ابن أبي هاشم ولي مكة في سنة (٤٥٤هـ) بعد أن قاتل السليمانيين (قوم شكر) وغلبهم ونفاهم عن الحجاز، والله أعلم بذلك.

١، ٢ - عاتق بن غيث البلادي، الإشراف على تاريخ الأشراف، موقع أشراف الحجاز بالمملكة العربية السعودية.

وعاد ابن أبي هاشم بعد خروجه من مكة إلى إمرتها، ودامت ولايته عليها - فيما أحسب - إلى أن مات فـي سنـة بضع وثمانين، كما ذكر ابن الأثير وغيره[١]، ورأيت فـي تأريـخ ابن الأثير: أن هؤلاء (التركمان) طلبـوا مـن ابن أبي هاشم أمـوال الكعبة التي أخذها وأنهم نهبوا مكة.. إلخ. وهـو -أي أبو هاشم- أول من أعـاد الخطبـة العباسية بمكة، بعـد قطعها من الحجاز نحو مائـة سنة، ونال بسبب ذلك مـالاً عظيماً من السلطان **ألب أرسـلان السـلجوقي**، فإنه خطب له بمكة بعد **القائم الخليفة العباسـي، (خلافته: ٤٢٢ - ٤٦٨هـ)**، وصـار بعد ذلك يخطب حيناً للمقتدي بن القائـم العباسي، وحيناً للمستنصر العُبَيدي صاحب مصر، ويقدم في ذلك من تكون صلته أعظم، ولعل ذلك سبب إرسال التركمان إليه، وذكر شيخنا ابـن خلـدون أن مـدة إمرته على مكة ثلاثـون سنة، وأنه ملـك المدينة، أ. هـ عن شفاء الغـرام بقليل من الاختصار[٢].

أما النجم ابن فهد، فيقول في حوادث سنة (٤٥٦هـ): فيها في المحرم بعث **الأشراف الحسنيون** إلى علـي بـن محمد الصليحي -وكانوا قد هربوا عن مكة لما دخلهـا الصليحي-: أن اخرج من بلادنا ورتّب منا مـن تختـاره. فرتـب أبا هاشم محمد بـن جعفر بن محمد بن عبـد الله بن أبي هاشـم محمد بن الحسين (الأمـير)... إلـخ النسب المعروف. وكان صهر شكر بن أبي الفتوح علـى ابنته، وأمرّه -أي الصليحي- على الجماعـة، إلى آخر مـا نقلناه سابقاً عن رحلتـه إلى اليمن متخوفاً من الأشـراف العلويين، لأنهم تجمعوا، فكان أن وقع الوباء في أصحابه، فمات منهم سبعمائة رجل، ولم يبق منهم إلاّ نفر يسير، فأقام بمكة -نائباً عنـه- أبا هاشم ثم سـار إلى اليمن. ثم الروايـة المتقدمة، وقصة محاربة السليمانيـين له، وفرسه دنانير وضربة السيف البتار، وسفره إلى ينبع... إلخ.

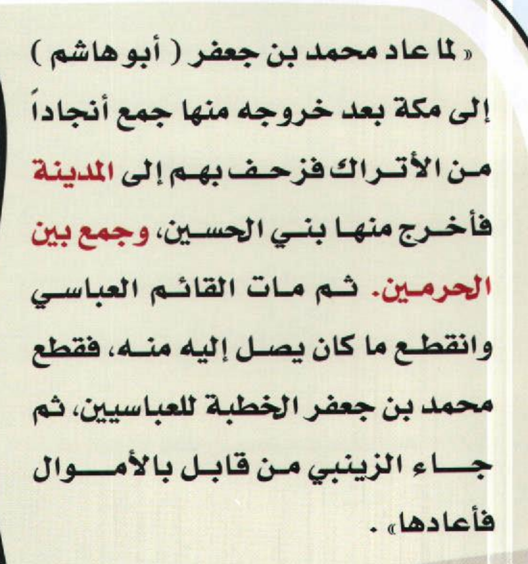
وعنـد مراجعـة كتـاب العز بن فهد؛ نجـده لم يشذ عن أبيه ومـن تقدمه، فينقل عن صاحـب المرآة حج الصليحـي سنة (٤٥٥هـ)، وما فعله الصليحي ومـا فعله الأشراف في نهاية الحج، وتولية محمد بن جعفر الأمير. إلا أن العز يورد: وذكر بعضهم أنه لما **افتتح الخطبة العباسية** قال:

الحمـد لله الذي هدى بأهل بيته إلى الـرأي المصيب، وعوّض بنيه بلبسة الشباب بعد المشيب، وأمال قلوبنا إلى الطاعـة، ومتابعـة أهل الجماعة. وترك الأذان بحي على خير العمل وكان فعله ذلك سنة (٤٦٢هـ). ثم يقـول: فلما لم يصل -فـي سنــة (٤٦٧هـ)- من جهة الخليفة العباسي ما كان يصل لأمير مكة، قطع خطبة المقتدي العباسي، وصادف مع ذلك أن المستنصر (العبيدي) أرسل إليه بهدايا وتحف ليخطب له، وقال له: إنمـا كانت أيمانك وعهودك للقائم وللسلطان ألب أرسلان، وقد ماتا، فخطب للمستنصر، ثم قطع خطبته في سنة (٤٦٨هـ) وخطب للمقتدي: عبد الله بن محمد الذخيـرة بن القائم العباسـي. وصار يخطـب تارة

٢،١ - عاتق بن غيث البلادي، الإشراف على تاريخ الأشراف، موقع أشراف الحجاز بالمملكة العربية السعودية.

لبني العباس وتارة لبني عبيد. قال العز بن فهد: ثم هرب ابن أبي هاشم من مكة في سنة (٤٨٤هـ) إلى **بغـداد** لما استولى عليها التركمان الذين أرسلهم السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي **للاستيلاء على الحجاز واليمن**، إلى أن يقول: وذكر شيخنا ابن خلدون أن ابن أبي هاشم هذا جمع جموعاً من الترك، وزحف بهم إلى المدينة، وأخرج منها بني حسين وملكها، وجمع بين الحرمين، وأن ولايته كانت (٣٣) سنة[١].

ثم عاد محمد بن جعفر إلى مكة بعد خروجه، واستمر متولياً إلى أن مات في سنة (٤٨٧هـ) **وهو أول من أعاد الخطبة العباسية** بعد أن قطعت نحو مائة سنة. وقد بالغ ابن الأثير في ذمه، فقال: ما له ما يمدح به. قال الفاسي: ولعل ذلك لنهبه الحاج، وقتله خلقاً كثيراً منهم في سنة ست وثمانين، وذكر ابن خلدون أن إمرته على مكة كانت ثلاثين سنة، وأنه ملك المدينة أيضاً[٢].







سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي

٢،١ – عاتق بن غيث البلادي، الإشراف على تاريخ الأشراف، موقع أشراف الحجاز بالمملكة العربية السعودية .



٢

في ٤٦٢هـ، الأمير محمد بن جعفر يفتتح **الخطبة العباسية** بقوله: الحمد لله الذي هدى بأهل بيته إلى الرأي المصيب، وعوّض بنيه بلبسة الشباب بعد المشيب، وأمال قلوبنا إلى الطاعة، ومتابعة أهل الجماعة. وترك الأذان بحي على خير العمل ....

١

الطبقة الثالثة «الأشراف الهواشم»

وهم من بني أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضا بن موسى الجون ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -.

معنى الطبقة: الفترة التي حكم فيها أحد فُروع الأشراف الحسنيين الأربعة مكة الكرمة زادها الله تعالى شرفاً.

٣

قال صاحب سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي:

انحرف المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبيدي صاحب مصر عن الأشراف الهواشم، ومال إلى الأشراف السليمانيين، وكتب إلى علي بن محمد الصليحي صاحب دعوتهم باليمن أن يعينهم الأشراف (السليمانيين) على استرجاع ملكهم، وينهض معهم إلى مكة، فنهض وانتهى إلى المهجم.

معركة ملاذكرت[1] (ملاذكرد) ٤٦٣ هـ ١٠٧١ م

أغضبت فتوحات ألب أرسلان الإمبراطور البيزنطي رومانوس (أرمانوس) ، فصمم على القيام بمعركة مضادة للدفاع عن إمبراطوريته، ودخلت قواته في مناوشات ومعارك كان أهمها ملاذكرت (ملاذكرد) عام ٤٦٣ هـ، وتعد معركة "ملاذكرت" من أيام المسلمين الخالدة، مثلها مثل بدر، واليرموك، والقادسية، وحطين، وعين جالوت، والزلاقة، وغيرها من المعارك الكبرى التي غيّرت وجه التاريخ، وأثّرت في مسيرته، وكان انتصار المسلمين في ملاذكرت نقطة فاصلة؛ حيث قضت على سيطرة دولة الروم البيزنطية على أكثر مناطق آسيا الصغرى وأضعفت قوتها، ولم تعد كما كانت من قبل شوكة في حلق المسلمين، حتى سقطت في النهاية على يد السلطان العثماني المسلم محمد الفاتح.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة وفيها أقبل ملك الروم أرمانوس في جحافل أمثال الجبال من الروم والكرج والفرنج، وعدد عظيم وعُدد، ومعه خمسة وثلاثون ألفاً من البطارقة، مع كل بطريق مائتا ألف فارس، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفاً، ومن الغزاة الذين يسكنون **القسطنطينية**، خمسة عشر ألفاً، ومعه مائة ألف نقاب وحفار، وألف روزجاري، ومعه أربعمائة عجلة تحمل النعال والمسامير، وألف عجلة تحمل السلاح والسروج والغرادات والمناجيق، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رحل، ومن عزمه - قبحه الله - أن يبيد الإسلام وأهله، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى بغداد، واستوصى نائبها بالخليفة خيراً، فقال له: أرفق بذلك الشيخ فإنه صاحبنا، ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة، فاستعادوه من أيدي المسلمين، والقدر يقول: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ الحجر: ٧٢ فالتقاه السلطان **ألب أرسلان** في جيشه وهم قريب من عشرين ألفاً، بمكان يقال له الزهوة، في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة، وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم ، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال حين يكون الخطباء يدعون للمجاهدين، فلما كان ذلك الوقت وتواقف الفريقان وتواجه الفتيان، نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عزوجل، ومرغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره، فأنزل نصره على المسلمين، ومنحهم أكتافهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأسر ملكهم أرمانوس، أسره غلام رومي، فلما أوقف بين يدي الملك ألب أرسلان ضربه بيده ثلاث مقارع وقال: لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل ؟ قال: كل قبيح، قال: فما ظنك بي ؟ فقال: إما أن تقتل وتشهرني في بلادك، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء وتعيدني. قال: ما عزمت على غير العفو والفداء. فافتدى نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار. فقام بين يدي الملك وسقاه شربة من ماء

---

١ - سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ص ١٦ - ١٧ ، مكتبة العبيكان .


معركة ملاذكرت (ملاذكرد) سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م
الجيش السلجوقي التركي المسلم
الجيش البيزنطي
بحر بنطس (البحر الأسود)
أرمينية الكبرى
ملاذكرد
القسطنطينية
الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع
الإمبراطورية البيزنطية
نيقية
دورليوم
آسيا الصغرى
نهر دجلة
القائد ألب أرسلان
سلطنة السلاجقة
الرها
قونية
أفسوس
أظنة
أرمينية الصغرى
أنطاكية
نهر الفرات
حمص
طرابلس
قبرص
بيروت
العراق
ليماسول
سوريا
صور
دمشق
بحر الروم (البحر الشامي البحر الأبيض المتوسط)
عكا
الخلافة العباسية
القدس
غزة
الكرك
الدولة العبيدية
إيلة
جزيرة العرب
مصر
صفر
٢٠٠
٤٠٠

وقبَّل الأرض بين يديه، وقبَّل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالاً وإكراماً، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها، وأطلق معه جماعة من البطارقة وشيعه فرسخاً، وأرسل معه جيشاً يحفظونه إلى بلاده، ومعهم راية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلما انتهى إلى بلاده وجد الروم قد ملكوا عليهم غيره، فأرسل إلى السلطان يعتذر إليه، وبعث من الذهب والجواهر ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار وتزهد ولبس الصوف ثم استغاث بملك الأرمن فأخذه وكحله وأرسله إلى السلطان يتقرب إليه بذلك.

وهذه المعركة هي التي مهدت للحروب الصليبية بعد ازدياد قوة السلاجقة المسلمين وعجز دولة الروم عن الوقوف في وجه الدولة الفتية، وترتب على ذلك الحملة الصليبية الأولى. (انظر كتابنا الموسوم أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى) .



مرتسم أوروبي قديم يصور سقوط الإمبراطور البيزنطي (رومانوس) بعد معركة ملاذكرت (ملاذكرد) أسيراً في أيدي المسلمين، حيث تبين الصورة وقوع الإمبراطور ذليلاً تحت قدم لسلطان السلجوقي المسلم (ألب أرسلان).

ولا شك أن هذه الصورة من مبالغات الرسامين الأوروبيين آنذاك؛ لشحن روح العداء والكراهية ضد المسلمين، حيث لا تمت قيم وأخلاق المسلمين لمثل هذا العمل غير الأخلاقي!؟ ولا سيما أن نبل ألب أرسلان وشهامته، وحسن تواضعه عند النصر تتنافى مع هذا النهج المعجوج.

أتاحت **معركة ملاذكرد ٤٦٣هـ** للسلاجقة الانسياب إلى جوف آسيا الصغرى، وشجعتهم النزاعات والحروب الداخلية التي نشبت بين البيزنطيين على الاستقرار في ربوعها، وتأسيس سلطنة عُرفت في التاريخ باسم "سلطنة سلاجقة الروم ٤٧٠هـ - ٤٧٩هـ " أسّسها سليمان بن قتلمش الذي يعد بحق جد سلاطين آسيا الصغرى، أخذ سليمان على عاتقه إدارة شؤون المنطقة الشمالية الغربية بعد رحيل ألب أرسلان عن آسيا الصغرى، وعزم على أن يقيم لنفسه سلطنة في قونية وآقسرا وغيره من المدن التي كانت تحت حكم قُتلمش، ويتولى حكمها مع الاعتراف بسيادة ملكشاه سلطان السلاجقة العظام الذي خلف أباه ألب أرسلان وكان الأول قد عهد إليه بإدارة المنطقة لصالح الأتراك، وقد ساعد سليمان على تحقيق غايته عاملان[١] :

أ- التغير الديمغرافي الناتج عن الفتوح، إذ أضحت المناطق الشمالية والشرقية شبه خالية بعد أن هجرها سكانها، ذلك أن القبائل التركية التي ساندت سليمان في فتوحه، كانت تطوق أرجاء الأناضول تلتمس الماء والكلاء، فاضطر السكان إلى مغادرة قراهم ومزارعهم إلى مناطق أكثر أمناً فدخل إليها السلاجقة واستقروا فيها وغيّروا معالمها.

ب- الأوضاع البيزنطية المضطربة، استفاد السلاجقة خلال الأعوام التي انقضت بعد ملاذكرد من الأوضاع المضطربة داخل الأجهزة البيزنطية، وراحوا يتدخلون في الشؤون الداخلية لأطراف النزاع وظهروا، كحلفاء ومساعدين لبعضهم، مما يسّر لهم التوغل بعيداً حتى وصلوا، إلى المقاطعات الغربية في آسيا الصغرى.

وقد أزدادت الفوضى في بلاد الأناضول نتيجة استمرار الانتفاضات على الحكومة المركزية، بالإضافة إلى التوسع السلجوقي، وفقدت الدولة البيزنطية سيطرتها على المنطقة، وتعطلت طرق المواصلات بفعل تدمير البدو لها، ولم يكن ثمة سياسة بيزنطية مدروسة، ويبدوا أن ما جرى من استخدام القوات التركية هيّأ للسلاجقة الاستقرار والإقامة في غربي آسيا الصغرى، واعترف الأتراك بسليمان زعيماً، ولم تكاد تنتهي سنة ٤٧١هـ إلا وكانت حامية نيقية السلجوقية قد أعلنت العصيان على نقفور الثالث الذي أقامها في هذه المدينة، وبذلك فقدت الإمبراطورية البيزنطية أهم مدنها بعد أن سيطر عليها السلاجقة. وكان السلطان ملكشاه يراقب تحركات سليمان ونشاطه في آسيا الصغرى عن بعد، ورأى أن يعينه حاكماً على سلاجقة الروم بعد أن ضمّ إليه قونية وآقسرا وقيصرية وتوابعها، وفي الحقيقة استطاع سليمان أن يضع أساس سلطنة سلاجقة الروم، وأن يجعل من مدينة نيقية عاصمة لها[٢] .

١، ٢ - د. علي بن محمد الصلابي، دولة السلاجقة، وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ص ٨٩ .

مركز مدينة **قونية** التركية (عاصمة سلاجقة الروم)

أحد المساجد القديمة في قونية وبجواره أحد المزارات الصوفية

الدولة العباسية في العصر السلجوقي

الدولة البيزنطية

مناطق نزاع بين البيزنطيين والمسلمين

سـلاجقة الروم

مملكة أرمينيا الصغرى

بحر بنطس (البحر الأسود)

بور غاس
إدرنة
القسطنطينية
ب . مرمره
بورصة
أزمير
بحر إيجة
رودس
فتحية
أنطاليا
خليج أنطاليا
سينوب
إمارة طرابزون
طرابزون
باطوم
أرضروم
إمارة دانشمند
أنقرة
آسـيا الصـغرى
عمورية
قيصرية
سـلاجقة الروم
قونية
ملطية
زبطرة
الحدث
مرعش
هرقلية
أضنة
طرسوس
مرسين
المصيصة
بوزيازي
خليج إسكندرونة
منبج
مرج دابق
أنطاكية
حلب
نهر الفرات
ديار بكر
سميساط
ماردين
القامشلي
الرها
الحسكة
الموصل
الرقة
دير الزور
الجزيرة الفراتية
نهر دجلة
أرض الأكراد
أربيل
كركوك
نهر العاصي
اللاذقية
حماة
حمص
طرابلس
بيروت
صيدا
دمشق
قبرص
بلاد الشام
الدولة العباسـية
العراق
نهر الفرات
البحر الشامي (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
الشمال

السلاجقة الأتراك في آسيا الصغرى (سلاجقة الروم)



فلس سلجوقي من البرونز (عصر سلاجقة الروم) يحمل كتابات عربية، ورسومات للسلطان على فرسه

الدولة الخوارزمية ٤٧٠ هـ - ١٠٧٧ م / ٦١٧ هـ - ١٢٢٠ م

ظهر في عهد السلطان السلجوقي "ملكشاه" مملوك نابه في بلاطه، يسمى "**أنوش تكين**" نجح في أن يحظى بتقدير السلطان ونيل ثقته، فجعله والياً على **إقليم خوارزم**، وظل على ولايته حتى وفاته سنة (٤٩٠ = ١٠٩٧)، فخلفه ابنه محمد وكان على مقدرة وكفاية مثل أبيه، فظل يحكم باسم الدولة السلجوقية ثلاثين عاماً، نجح في أثنائها في تثبيت سلطانه، ومد نفوذه، وتأسيس دولته وعُرف باسم **خوارزم شاه**، أي أمير خوارزم، والتصق به اللقب وعُرف به. وبعد وفاته سنة (٥٢٢ = ١١٢٨) خلفه ابنه "أتسز" بموافقة السلطان السلجوقي سنجر، وكان أتسز والياً طموحاً مد بصره فرأى دولة السلاجقة توشك على الانهيار، فتطلع إلى بسط نفوذه على حسابها، واقتطاع أراضيها وإخضاعها لحكمه، ودخل في حروب مع السلطان سنجر الذي وقف بالمرصاد لطموحات أتسز، ولم يمكنه من تحقيق أطماعه، وأجبره على الاعتراف بتبعيته له، وظل يحكم خوارزم تحت سيادة السلاجقة حتى وفاته في سنة (٥٥١ = ١١٥٦). وفي الوقت الذي بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة السلجوقية كانت الدولة الخوارزمية تزداد قوة وشباباً، حتى تمكنت من إزاحة دولة السلاجقة والاستيلاء على ما كان تحت يديها من بلاد، وكان السلطان "تكش" بطل هذه المرحلة، وتعد فترة حكمه التي امتدت أكثر من ربع قرن (٥٦٨ - ٥٩٦ هـ = ١١٧٣ - ١٢٠٠م)

العصر الذهبي للدولة الخوارزمية :

لما توفي "تكش" سنة (٥٩٦ = ١١٩٩) خلفه ابنه "علاء الدين محمد"، وكان كأبيه طموحاً يتطلع إلى توسيع دولته وبسط نفوذها، فدخل في حروب مع جيرانه، فاستولى على معظم إقليم خراسان، وقضى على دولة القراخطاي سنة (٦٠٦ = ١٢٠٩)، واستولى على بلاد ما وراء النهر، وأخضع لسلطانه مكران وكرمان والأقاليم الواقعة غربي نهر السند، وسيطر على **ممتلكات دولة الغور في أفغانستان، وبلغت بذلك الدولة أقصى اتساعها في عهده، حيث امتدت من حدود العراق العربي غرباً إلى حدود الهند شرقاً، ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالاً إلى الخليج العربي والمحيط الهندي جنوباً.**

ظهور جنكيز خان : تزامن مع اتساع الدولة الخوارزمية وازدياد نفوذها **ظهور المغول** وبروز دولتهم على يد "تيموجين" المعروف بجنكيزخان الذي نجح في السيطرة على قبائل المغول، وإحكام قبضته عليهم، وما كاد يهل عام (٦٠٢ = ١٢٠٦) حتى كان قد أخضع لسلطانه كل بدو صحراء جوبي، واتخذ من مدينة "قراقورم" مقراً له، ووضع للقبائل الخاضعة لها نظاماً يحكمها وقوانين يحتكمون إليها، سميت بالياسا، وهو دستور اجتماعي وعسكري صارم، أساسه الطاعة العمياء للسلطان. وبعد أن رسخت أقدام جنكيزخان ووثق من قوته تطلع إلى توسيع رقعة دولته، ومد بصره إلى بلاد الصين، حيث الخصب والنماء، فشن حملات عليها، وتوج جهوده بالسيطرة على العاصمة بكين سنة (٦١٢ = ١٢١٥).

نشأة الدولة الخـوارزمية



ترتيب سلاطين الخوارزمية

١ - أنـوش تكـين غارتشاي ١٠٧٧-١٠٩٧م .

٢ - إكينچي ١٠٩٧م .

٣ - قطب الدين محمد ١٠٩٧-١١٢٧م .

٤ - علاء الديـن أتسـز عزيـز الخوارزمي ١١٢٧-١١٥٦ م.

٥ - إل أرسـلان ١١٥٦-١١٧٢ م.

٦ - سـلطان شاه ١١٧٢-١١٩٣ م.

٧ - عـلاء الدين تكش ١١٧٢-١٢٠٠ م.

٨ - علاء الدين محمد الخـوارزمي ١٢٠٠-١٢٢٠ م.

٩ - جلال الدين منكبرنو منكبرنو ١٢٢٠-١٢٣١ م.

بـلاد مـا وراء النهـر.. والنهر هنا هو نهر **جيحون**، وهو الحد الفاصل إلى حد ما بين الأقوام الناطقة بالفارسية، والتركية أي « إيران، وتوران »، فما كان في شماله أي ورائه من أقاليم سماها العرب ما وراء النهر وهو نهر جيحون، أما عن أصل تسميته فهو اسم أعجمي هو من جاحَهُ إذا استأصلَه ومنه الخطوب الجوائح، وقد سمي بذلك لاجتياحه الأراضين.

وأصل الاسـم بالفارسية: هرون وهو اسم لوادي خراسان على وسط مدينة يقال لهـا جيهان فنسبَه الناس إليها وقالوا: جيحون على عادتهم في قلب الألفاظ.

الإسماعيلية النزارية "الحشاشون" سنة ٤٧٨ - ٦٥٤ هـ

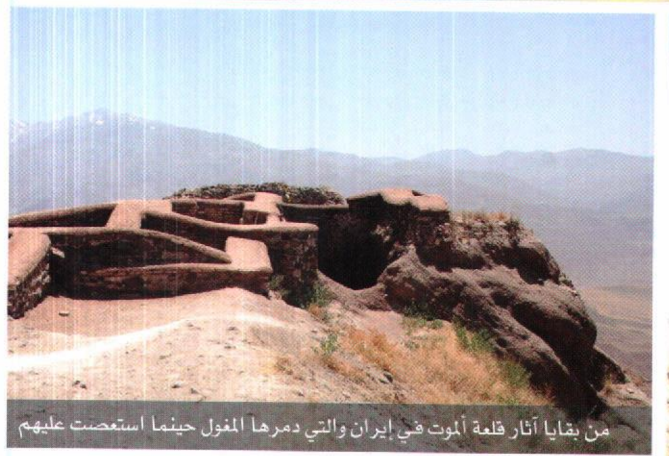
تعد **الإسماعيلية النزارية** طائفة وفرقة من أكبر الطوائف والفرق الإسماعيلية في العصر الحاضر، حيث بدأ انفصال هذه الفرقة وتكونها بعد وفاة المستنصر العبيدي عام ٤٧٨ هـ، وكان حسب تقاليد الإسماعيلية قد نص على إمامة ابنه نزار؛ لكن الوزير الجمالي صرف النص إلى أخيه المستعلي – ابن أخت الوزير – وحصل من جراء ذلك انقسام الإسماعيلية إلى مستعلية ونزارية وعلى الرغم من القضاء على نزار وقتله في الإسكندرية على يد وزير المستعلي الأفضل بن بدر الجمالي ولم يكن له عقب مستتر أو ظاهر، وعلى الرغم من ذلك فإن أحد دعاة الإسماعيلية ويدعى بالحسن بن الصباح انتصر لنزار وأصبح يدعو له ولأبنائه من بعده وجعل نفسه نائباً للإمام المستور من ولد نزار، وأصبح يدعو له وبذلك تكونت هذه الفرقة وأصبح يطلق عليها الإسماعيلية النزارية نسبة إلى نزار بن المستنصر كما يطلق عليها اسم الدعوة الجديدة تمييزاً لها عن الدعوة الإسماعيلية الأولى، كما يطلق عليها الإسماعيلية الشرقية نسبة إلى مكان ظهورها وانتشارها وإشارة إلى انفصالها عن الإسماعيلية الأم التي تسمى الإسماعيلية الغربية. ويسميها بعض الكتّاب المعاصرين بإسماعيلية إيران نسبة إلى مكانها، وجميع هذه المسميات دالة عليها ومحددة لها وقد عاصر ظهور هذه الفرقة عالمان كبيران تولى كل واحد منهما فضح هذه الفرقة وبيان باطنيتها وشدة خطرها وعظم ضررها على الإسلام والمسلمين، وهما: الإمام الغزالي الذي ألف كتابه (فضائح الباطنية)، والشهرستاني الذي أفرد لهم حديثاً خاصاً بهم عند قوله ثم إن أصحاب الدعوة الجديدة.. إلخ، وحفاظاً على بقاء هذه الفرقة وإظهارها، ادعى منظموها أن لنزار بن المستعلي ولداً ثم له نسلاً استمرت الإمامة فيهم وبقيت ولكنهم – أي النزاريون – فيما بعد كذبوا أنفسهم، حيث ادعوا الإمامة للحسن بن الصباح ومن جاء بعده ممن خلفه في قيادة دولة الحشاشين أو الفدائيين، ولا أدل على ذلك من ادعاء الحسن الثاني من نسل الحسن بن الصباح في عام ٥٥٩هـ أنه هو الإمام من نسل نزار بن المستنصر وأصبح اسمه لا يذكر إلا مقروناً (على ذكره السلام) كما يطلق في العادة في الأئمة المستقرين، وبذلك أصبح حكام ألموت بعد الحسن الثاني الذين جاءوا بعده من النسب الفاطمي - كما يزعمون - وهكذا أتى الحسن الثاني بثلاثة تجديدات ما لبث النزارية في كل مكان أن قبلوها على درجات متفاوتة، أهمها أنه أعلن نفسه خليفة لله في أرضه ولم يعد مجرد داع كما كان أسلافه. ويعد الحسن بن الصباح العقل المدبر الذي نظم هذه الطائفة ووجهها ومن ثم نشرها في بلاد فارس مما نتج عن هذه الجهود قيام دولة الحشاشين أو الفدائيين[١].

---

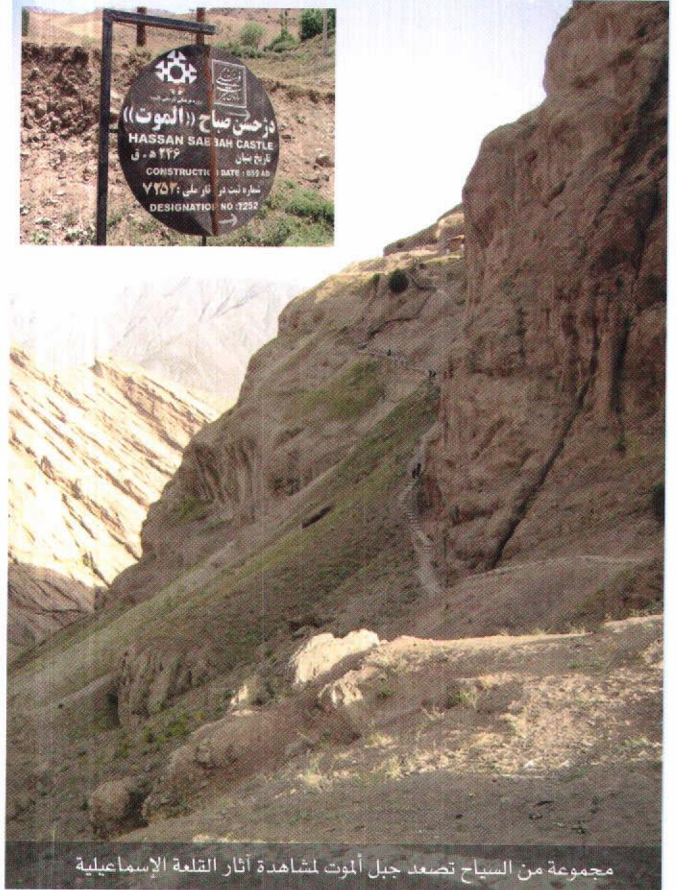
١ – موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، المبحث الثالث: نشأة الطائفة الإسماعيلية النزارية (الحشاشون)، موقع الدرر السنية.



أبرز القلاع الإسماعيلية في إيران وبلاد الشام


من بقايا آثار قلعة ألموت في إيران والتي دمرها المغول حينما استعصت عليهم

لم يكد الحسن الصبَّاح يستولي على **قلعة** ألموت في إيران حتى بادر بالاستيلاء على القلاع المجاورة، فأطلق دعاته لتحقيق هذا المأرب . ولم يمض وقت طويل حتى كان الصبَّاح قد استولى على المنطقة الواقعة جنوبي بحر قزوين برمتها بعد أن سيطر دعاته على القلاع المتناثرة في أرجائها، التي تبلغ نحو الستين قلعة، كانت هذه القلاع تقع في الغالب وسط وديان صالحة للزراعة وبالقرب من موارد ثابتة للمياه.

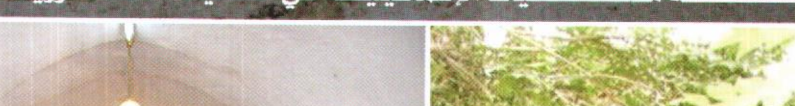


مجموعة من السياح تصعد جبل ألموت لمشاهدة آثار القلعة الإسماعيلية

دولة الإسماعيلية النزارية السنانية (الحشاشين في الشام)

بعد أن بدأت دولة الحشاشين أو الإسماعيلية النزارية في ألموت في الأفول ظهر داعية إسماعيلي نزاري في بلاد الشام واسمه **راشد الدين سنان ويلقب بشيخ الجبال**، وحاول تجميع طائفة الإسماعيلية من جديد حيث إن دعوة الإسماعيلية في بلاد الشام ترجع إلى وقت مبكر ولاسيما في مدينة سلمية التي كانت مقراً للأئمة المستورين والإمام الظاهر عبيد الله المهدي. ومن أساليبهم التي حاولوا بها نشر مذهبهم وتقوية سلطتهم الاستيلاء على الحصون والقلاع، ولذا يقول الدكتور محمد كامل حسين: وما زال الإسماعيلية النزارية في الشام يشترون الحصون أو يستولون عليها حتى بلغ عدد حصونهم الرئيسة في الشام في القرن السابع للهجرة ثمانية حصون، هي: القدموس ومصياف وبانياس والكهف والخوابي والمنيقة والقليقة والرصافة، ثم يضيف قائلاً: وازدادت قوة الإسماعيلية بالشام بظهور شخصية فذة وداعية داهية في سياسته وفي مواهبه وهو (راشد الدين سنان) الذي استطاع بمقدرته وكفايته أن يجمع كل إسماعيلية الشام، فقد كان الإسماعيلية في الشام يدينون بإمامة أصحاب قلعة ألموت في فارس فجاء سنان وكون مذهب السنانية واعترفوا بإمامته، غير أنهم عادوا بعد موته إلى طاعة الأئمة بألموت، وبالرغم من تحولهم هذا فإن إسماعيلية الشام إلى الآن يذكرون الإمام راشد الدين على أنه أعظم شخصياتهم على الإطلاق. وقد تعاصر شيخ الجبل مع القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وكانت بينهما مساجلات كلامية حادة في أول الأمر، ولكن صلاح الدين رحمه الله لما تبين له أنهم بقيادة شيخ الجبل يبيتون له ولجنده من أهل السنة أمراً ويضمرون لهم شراً، حيث حاول عدد من الإسماعيلية اغتيال صلاح الدين، بعد ذلك عزم على قتالهم والقضاء عليهم، ففي سنة ٥٧٢هـ **قصد صلاح الدين بلد الإسماعيليين وانتصر عليهم**، كما حاصر قلعة مصياف واضطروا بعد ذلك إلى طلب الصلح. وظل أمر الإسماعيلية النزارية في الشام بعد ذلك يضعف تارة ويقوى تارة أخرى، إلى أن استسلمت آخر قلاعهم للظاهر بيبرس عام ٦٧٢هـ، وخفت أمرهم من الحياة السياسية حتى لم يسمع عنهم شيئاً ولم تنقل الكتب التاريخية عنهم أحداثاً تذكر، ويبدو أنهم لجأوا إلى التقية والدعوة سراً إلى أن ظهر في إيران رجل شيعي يدعى حسن علي شاه ما بين سنة ١٢١٩هـ إلى سنة ١٢٩٨هـ جمع حوله عدداً من الإسماعيلية وغيرهم وقام بأعمال هدد بها الأمن وأقلق بها السلطات في إيران حتى ذاع صيته وأصبح أسطورة على ألسنة الناس وانضمت إليه جماعات كثيرة إعجاباً به أو طمعاً في مكاسب آنية تأتيهم عن طريقه، وواكب ظهور هذه الثورة التي هددت الأسرة القاجارية الحاكمة في إيران ظهور الإنجليز الذين وقفوا مع دعوته ... [1].

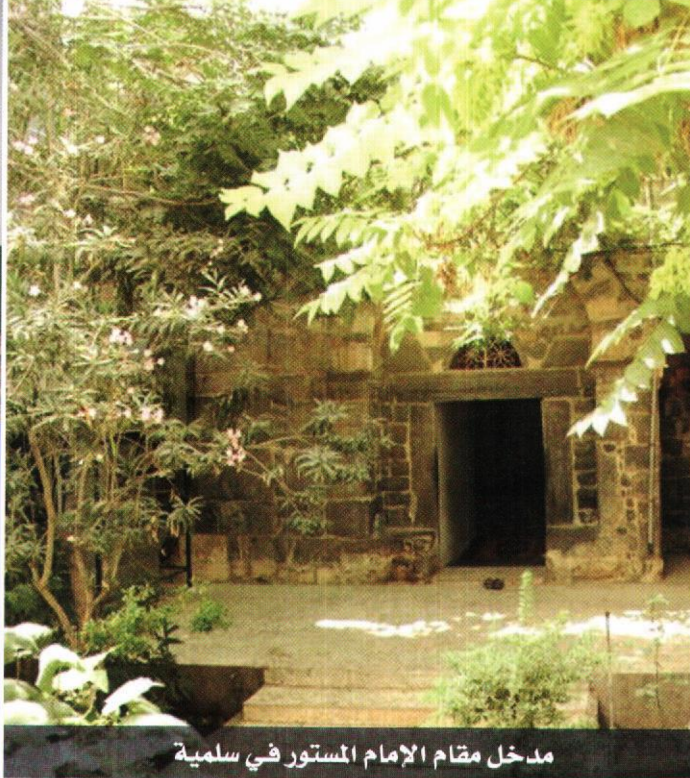
١- موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، المبحث الثالث: نشأة الطائفة الإسماعيلية النزارية (الحشاشون)، موقع الدرر السنية.



قلعة مصياف الإسماعيلية في مصياف السورية



هذه صورة مسجد الرفنة الأثري من الداخل حيث يظهر تأثر البناء بأسلوب البناء العبيدي بقناطره الهندسية، والباب الواضح في الصورة يفضي إلى ضريح شيخ الإسماعيلية محمد الرفني.

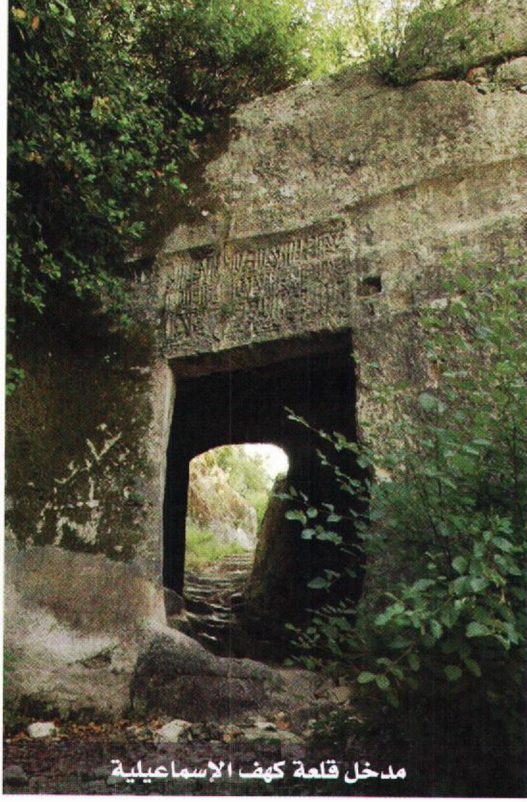


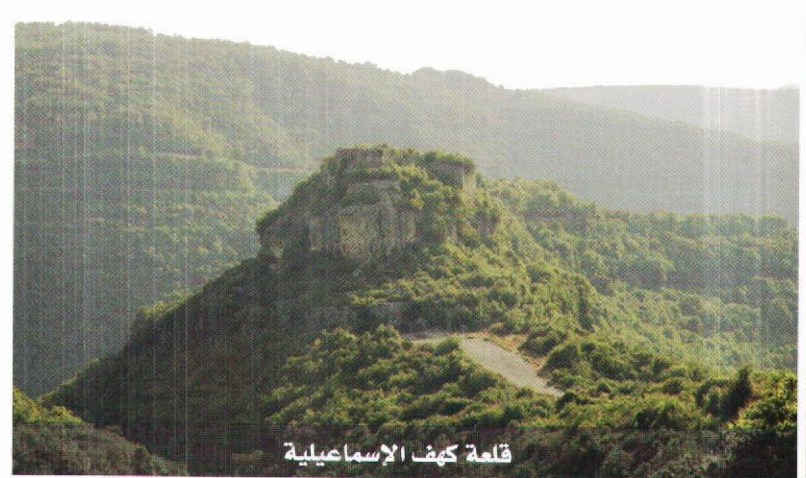
مدخل مقام الإمام المستور في سلمية

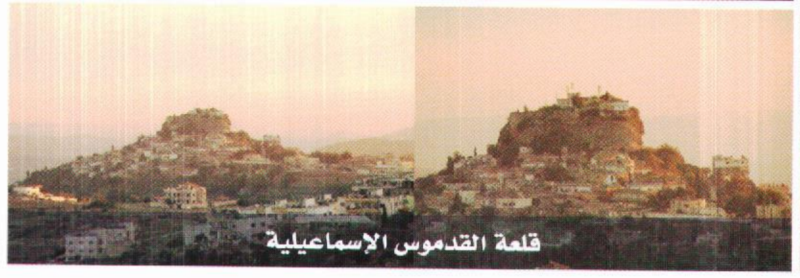


صورة لمدخل قلعة مصياف الإسماعيلية

قلعة الخوبي الإسماعيلية


مدخل قلعة كهف الإسماعيلية


قلعة كهف الإسماعيلية


قلعة القدموس الاسماعيلية

معركة الزلاقة في ١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٠٨٦ م

سقطت الخلافة الأموية في الأندلس إثر سقوط الدولة العامرية سنة (٤٠٠ هـ = ١٠٠٩م) وتفككت الدولة الأندلسية الكبرى إلى أكثر من عشرين دويلة صغيرة يحكمها ملوك الطوائف، ومن أشهرهم: بنو عباد في أشبيلية، وبنو ذي النون في طليطلة، وبنو هود في سرقسطة، وزعمت كل طائفة من هذه الطوائف لنفسها الاستقلال والسيادة، ولم تربطها بجارتها إلا المنافسة والكيد والمنازعات والحروب المستمرة، وهو ما أدى إلى ضعف، وأعطى الفرصة للنصارى المتربصين في الشمال أن يتوسعوا على حسابهم. وفي مقابل التجزئة والفرقة الأندلسية في عصر الطوائف كان النصارى يقيمون اتحاداً بين مملكتي ليون وقشتالة على يد فرديناد الأول الذي بدأ حرب الاسترداد التي تعني إرجاع الأندلس إلى النصرانية بدلاً من الإسلام.

وعندما احتل ألفونسو السادس طليطلة يوم ٢٧رمضان ٤٧٨هـ/٢٥أيار ١٠٨٥م، وكان ذلك ناقوس الخطر لملوك الطوائف ينذرهم أن ألفونسو لم يعد يرضى بالمال بل يبغي القواعد أيضاً، وأسهم ذلك في توفير الدوافع للاستنجاد **بقوة المرابطين المجاورة القادرة على الوقوف في وجهه.**

ترد الرواية الشائعة والمشهورة عن كيفية دخول المرابطين إلى الأندلس في العديد من المصادر القديمة، ومؤداها بشكل عام، أن المعتمد بن عباد (ت٤٨٤هـ) كبير ملوك الطوائف آنذاك اختلف مع سفارة لألفونسو يرأسها يهودي جاءت لقبض الجزية، ورفض اليهودي قبول عيار نقودها، وهدد بأنّ سيده لن يقنع فيما بعد إلا بأخذ القواعد والبلاد، فغضب المعتمد وقتل اليهودي وأسر بقية أعضاء السفارة، ولكنه خاف مغبة الأمر، وأيقن من توجه ألفونسو إليه، فاتصل بيوسف بن تاشفين (ت٥٠٠هـ) أمير المرابطين في غرة جمادى الأولى ٤٧٨هـ/١٤آب ١٠٨٥م، يطلب منه القدوم للأندلس للجهاد، وقد أقدم على ذلك، ضارباً عرض الحائط بنصائح بعض من حوله بعدم إدخال المرابطين إلى الأندلس خشية أن يسلبوه ملكه، فقال قولته المشهورة بأنه خير له أن يصبح راعي جمال في المغرب من أن يصبح راعي خنازير في قشتالة.

بدأت الجيوش المرابطية العبور من سبتة إلى الجزيرة الخضراء، ثم عبر أميرهم يوسف بن تاشفين في يوم الخميس منتصف ربيع الأول ٤٧٩هـ/٣٠ يونية ١٠٨٦م، ثم تحركت العساكر إلى إشبيلية، وعلى رأسهم ابن تاشفين، ونزل بظاهرها، وخرج المعتمد وجماعته من الفرسان لتلقيه، وتعانقا، ودعوَا الله أن يجعل جهادهما خالصاً لوجهه الكريم [(١)].

استقر الجيش أياماً في إشبيلية للراحة، ثم اتجه إلى بطليوس في الوقت الذي تقاطرت فيه ملوك الطوائف بقواتهم وجيوشهم. سار هذا الموكب من الجيش الإسلامي إلى موضع سهل من عمل بطليوس

---

١ - محمد عبد الحميد عيسى، الزلاقة معركة كسبها الإيمان وضيع ثمارها الخلاف، مجلة الفسطاط التاريخية.


خليج بسكاية
بلاد الغال (فرنسا)
مملكة الفرنجة
مملكة ليون
نبرة
أرجون
ريباجورثا
قطلونية
كونتيه قشتاله
كونتيه البرتغال
المحيط الأطلسي
ملوك الطوائف
مناطق نزاع بين المسلمين والنصارى
استيلاء ألفونس السادس على مدينة "طليطلة" سنة (٤٧٨هـ = ١٠٨٥م) أهم المدن الأندلسية وأكبر قواعد المسلمين هناك.
جزر البليار
البحر الشامي (بحر الروم - البحر المتوسط)
المغرب الأقصى
المرابطون
خيخون
أبيط
لك
كوفادونغا
شنت ياقب
ليون
إشترقة
فيغو
بنبلونة
شبرب
جاقة
تطيلة
وشقة
بيليارش
بلد الوليد
سمورة
برتغال
نهر دويرو
نهر أبرو
سرقسطة
أفراغة
لاردة
برشلونة
تركونة
طرطوشة
مرتلة
مدينة سالم
بازو
قلمرية
وبدة
قونكة
طلبيرة
طليطلة
قورية
نهر تاجو
ترغالة
قصر إيش
قسطلونة
بريانة
بلنسية
لشبونة
يابرة
ماردة
بطليوس
شاطبة
دانية
باجة
نهر شقورة
لقنت
نهر الوادي الكبير
قرطبة
ميرتله
تدمير (مرسية)
إشبيلية
أكشونية
ولبة
شلب
لورقة
قرطاجنة
غرناطة
فارو
البيرة
شدونة
قادش
المرية
مالقة
ج. طارق
طريف
مضيق جبل طارق
سبتة
طنجة
أصيلة
مليلة
تلمسان
٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ ١٢٥ كم
الشمال
معركة الزلاقة (٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م)
مسار القوات الإسلامية (المرابطين) بقيادة يوسف ابن تاشفين القادمة من المغرب الأقصى.
مسار القوات النصرانية المنطلقة من طليطلة بعد سقوطها بقيادة ألفونسو السادس.
موقع معركة الزلاقة بين الطرفين
مملكة ليون
مملكة الفرنجة
ملوك الطوائف
المرابطون
كونتيه البرتغال
ريباجورثا
قطلونية
نبرة
مملكة قشتاله
مملكة أرجون

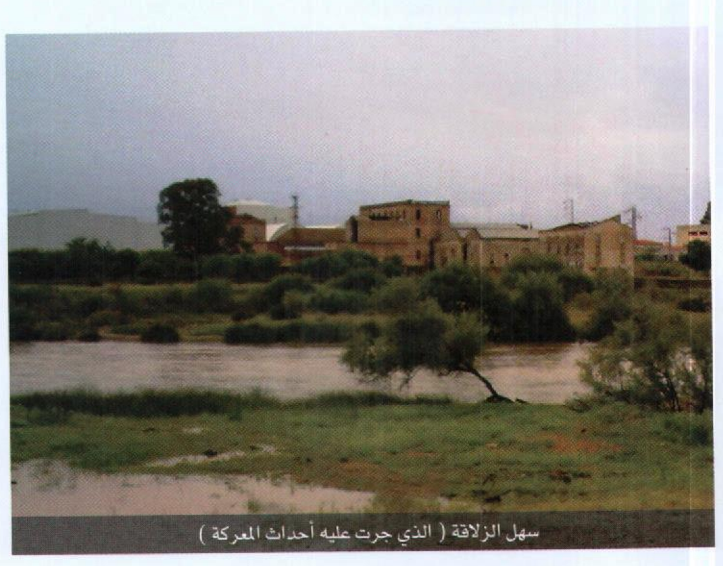
ويسمى في المصادر الإسلامية **بالزلاقة** على مقربة من بطليوس.

فلمـا كان صبـاح الجمعة الثاني عشر مـن رجب سنة ٤٧٩ هـ زحف ألفونسو بجيشـه على المسلمين، ودارت معركـة حاميـة، ازداد وطيسُها، وتحمّل جنودُ الأندلس من المسلمين الصدمة الأولى، وأظهر ابنُ عباد بطولة رائعـة، وجرح فـي المعركة، واختل جيش المسلمين، واهتزّت صفوفـه، وكادت تحيق به الهزيمة، وعندئذ دفع ابـن تاشفين بجيوشه إلى أتون المعركـة، ثم حمل بنفسه بالقوة الاحتياطيـة إلى المعسكر القشتالي فهاجمه بشدة، ثم اتجه صوبَ مؤخرته فأثخن فيه وأشعل النار، وهو على فرسه يرغب في الاستشهاد، وقرْعُ الطبول يدوي في الآفاق، قاتل المرابطون في صفوف متراصة ثابتة، مثل بقية أجنحة المعركة.

مـا إن حـل الغروب حتى اضطر الملك القشتالي، وقد أصيب في المعركة، إلى الانسحاب حفاظاً على حياته وحيـاة مـن بقي من جنـده، وطُورِدَ الفـارُّون في كل مـكان حتى دخل الظـلام، فأمر ابنُ تاشفـين بالكفّ. استمـرت المعركة يوماً واحـداً لا غير – وقد حطم الله شوكة العدو الكافر، ونصـرَ المسلمين، وأجزل لديهم نعمه، وأظهر بهم عنايته، وأجمل لديهم صنعه.

وتجمِـع المصادر الإسبانية علـى أن الملك القشتالي ألفونسو السادس قد نجـا بأعجوبة في نحو خمسمائة فارس فحسب، من مجموع جيوشه الجرارة التي كان سيهزم بها الجن والإنس والملائكة – حسب قوله –.

سَـرَتْ أنباء النصر المبـين إلى جميع أنحاء الأندلس والمغرب، وسرى البشرُ بين الناس، وأصبح هذا اليوم مشهـوداً من أيام الإسـلام، لا على أرض شبه الجزيرة فحسب، وإنما على امتـداد الأرض الإسلامية كلها، ونجح ذلك اليوم في أن يمدّ في عمر الإسلام والمسلمين على الأرض الإسبانية ما يقرب من أربعة قرون من الزمان [١].



سهل الزلاقة (الذي جرت عليه أحداث المعركة)

إن مـا حدث فعلاً هو عـودة المرابطين إلى إفريقيا، وعودة أمراء الأندلس إلى الصراع فيما بينهم، وكأن شيئـاً لم يقـع، وقد أعطى ذلـك الفرصة مـرة ثانية للملـك ألفونسـو السادس أن يستجمـع قواه، ويضمد جراحـه، ويعمل على الانتقام مـن الأندلسيين، وكان حقـده شديـداً علـى المعتمـد ابن عبـاد، فعـاد إلى مهاجمة بلاده، وركز غاراته على أشبيلية، وتمكن من الاستيلاء على حصـن لبيط مما اضطـر ابن عباد إلى العودة مرة ثانية إلى الاستنجاد بالمرابطين.

---

١ – محمد عبد الحميد عيسى، الزلاقة معركة كسبها الإيمان وضيع ثمارها الخلاف، مجلة الفسطاط التاريخية.

سهل الزلاقة

بطليوس

موقع الزلاقة بالقرب من بطليوس

لقد أحرز المسلمون النصر في هذه المعركة، الفاصلة التي تماثل معركة حطين في المشرق العربي، بفضل الوحدة والإيمان بنصر الله لهم والثقة بالنفس ونبذ الخلافات وتقديم المصلحة العليا على المصالح الخاصة وصدق وعد الله لهم في قوله تعالى:

« يا أيها الذين أمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »(محمد ٧).



سهل الزلاقة من الفضاء الخارجي بواسطة قوقل إرث

الدويلات التي قامت في اليمن قبل مجيء الأيوبيين

دولة بني زريع: ٤٧٠ - ٥٦٩ هـ/١٠٧٧ - ١١٧٣م

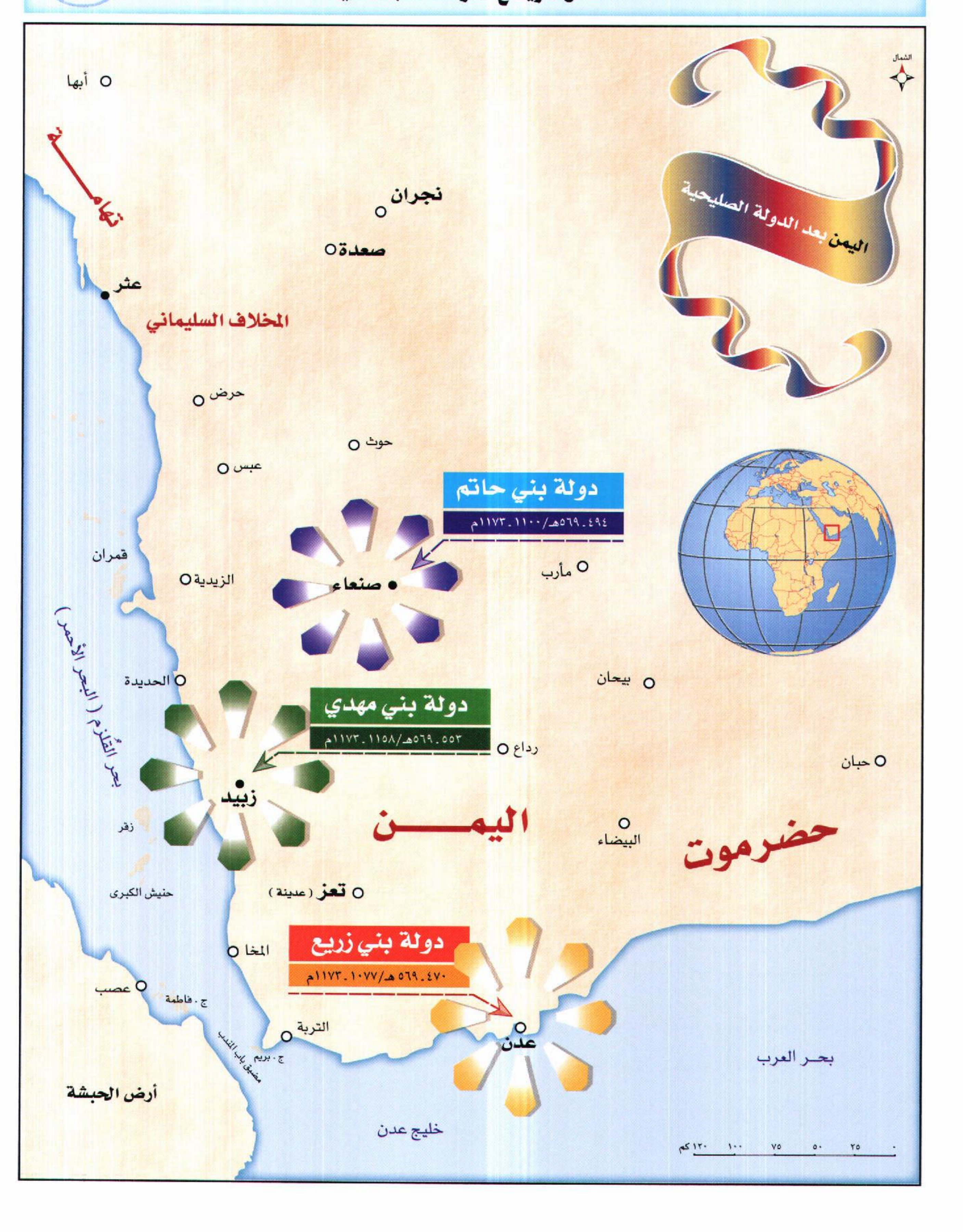
بنو زريع: (شيعة إسماعيلية) يمانيون من قبيلة همدان استخدمهم الصليحيون أمراء على **عدن** بعد أن أمر المكرم الصليحي بتقسيمها إلى منطقتين، **المنطقة الأولى** ومقرها حصن التعكر في أعلى جبل شمسان المطل على عدن، تولى حكمها العباس بن المكرم اليامي الهمداني المعروف بابن زريع وأفراد أسرته من بعده. و**الثانية** مقرها حصن الخضراء بعدن أيضاً، وكان الحكم فيها للمسعود بن المكرم اليامي الهمداني ولأفراد أسرته من بعده على أن يسوق كل منهم مبلغاً معيّناً من المال لبني صُلَيح، وبعد وفاة الملكة أروى الصليحية استقل بنو زريع بتلك النواحي إلى أن قضي على دولتهم من قبل **طوران شاه شقيق السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م**، وقد بلغ عدد حكّام هذه الأسرة في كلا القسمين أحد عشر سلطاناً، آخرهم أبو الدر جوهر المعظمي مولى بني زريع.

دولة بني حاتم: ٤٩٤ - ٥٦٩هـ/١١٠٠ - ١١٧٣م

بنو حاتم: تنسب هذه الدولة إلى حاتم بن علي المغلس الهمداني الذي استغل وفاة سبأ ابن أحمد الصليحي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، فتغلب على **صنعاء** وما حولها، وأسس ما يعرف بدولة بني حاتم التي بلغ عدد سلاطينها ستة، آخرهم علي بن حاتم بن أحمد بن عمر، انتهت باستيلاء الأيوبيين على أملاكهم، وإلى أحمد بن حاتم بن علي المغلس مؤسس الدولة تنسب روضة حاتم المتنزّه المعروف شمال صنعاء اليوم.

دولة بني مهدي ٥٥٣ - ٥٦٩هـ/١١٥٨ - ١١٧٣م

بنو المهدي: (متصوفة وقيل خوارج) ينسب بنو مهدي إلى مهدي بن محمد الرعيني الحميري الزاهد المتبتل من أهل قرية العنبرة بوادي سهام. أما الدولة فقد نشأت على يد ولده علي بن مهدي الذي تمرد على بني نجاح، وحث قومه على احتلال عاصمتهم **زبيد**، فتم له ذلك ودخلها عنوة، وتابع ولده من بعده، فقام بإرسال الحملات إلى تعز وإب والجند والمعافر، وقد استمرت دولة بني مهدي أكثر من خمسة عشر عاماً تداول الحكم فيها أربعة سلاطين، آخرهم عبد الله بن علي بن مهدي الذي زالت الدولة في عهده بدخول **طوران شاه الأيوبي إلى زبيد سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م**.

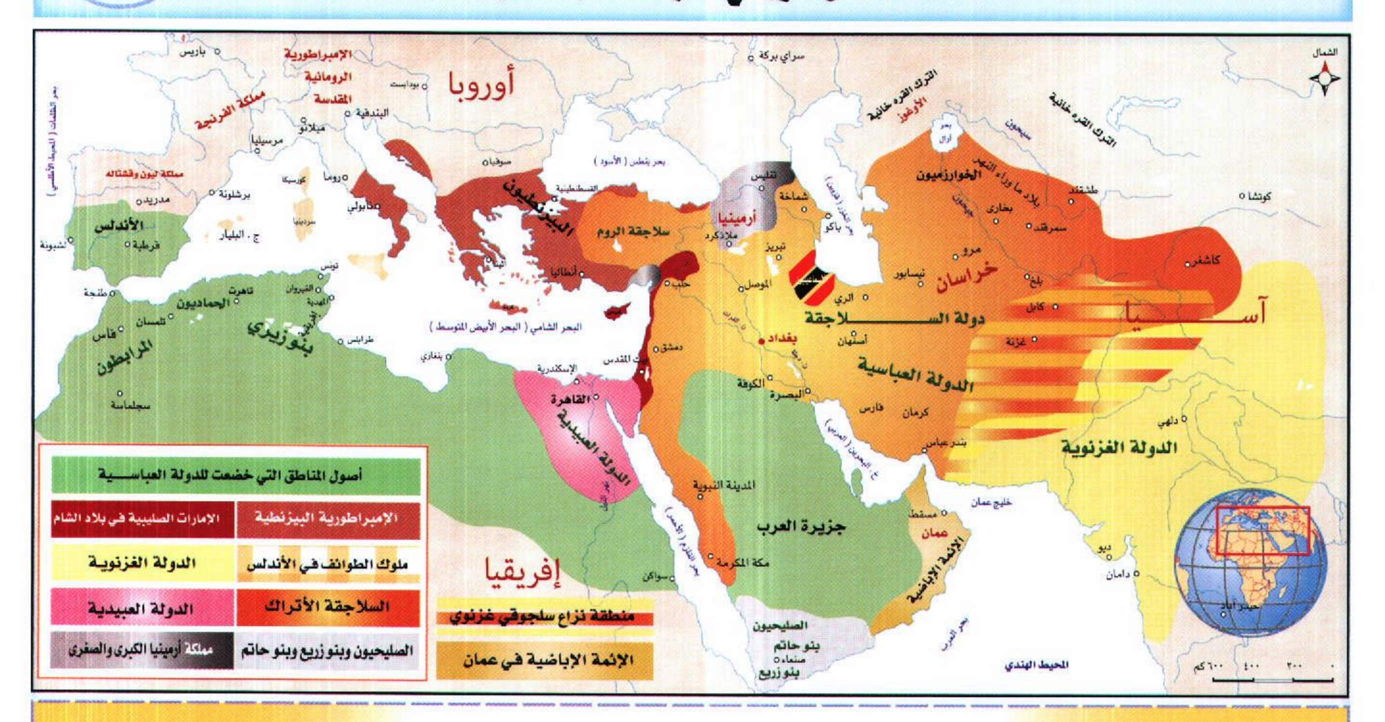

اليمن بعد الدولة الصليحية
الشمال
أبها
تهامة
نجران
صعدة
عثر
المخلاف السليماني
حرض
حوث
عبس
دولة بني حاتم
٤٩٤-٥٦٩هـ/١١٠٠-١١٧٣م
قمران
الزيدية
صنعاء
مأرب
بحر القلزم (البحر الأحمر)
الحديدة
بيحان
دولة بني مهدي
٥٥٣-٥٦٩هـ/١١٥٨-١١٧٣م
رداع
حبان
زبيد
اليمن
البيضاء
حضرموت
زقر
حنيش الكبرى
تعز (عدينة)
دولة بني زريع
٤٧٠-٥٦٩ هـ/١٠٧٧-١١٧٣م
المخا
عصب
ج. فاطمة
التربة
عدن
ج. بريم
مضيق باب المندب
بحر العرب
أرض الحبشة
خليج عدن
٠ ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ ١٢٠ كم

بداية الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م

في الوقت الذي كانت الحروب مستعرة في شرقي العالم الإسلامي كانت الحروب مستمرة في غربيه بين مسلمي الأندلس والدول النصرانية الغربية (شمال إسبانيا وفرنسا في الأساس)، وكانت الأيام دُولاً بين الفريقين؛ فيوم للمسلمين ويوم للصليبيين، إلا أن القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) كان في معظمه للصليبيين، وهو العصر الذي عُرِف في التاريخ بعهد ملوك الطوائف، حيث تفرقت كلمة المسلمين؛ مما أدى إلى اجتياح صليبي لقطاع كبير من شمالي الأندلس،خاصةً في زمن ألفونسو السادس ملك ليون وقشتالة، الذي أسقط في سنة (٤٧٨هـ) ١٠٨٥م مدينة طليطلة العتيدة؛ مما أحدث دوياً هائلاً في العالمين الإسلامي والنصراني، غير أن نهاية هذا القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) كانت سعيدة للمسلمين؛ حيث ظهرت دولة المرابطين القوية بالمغرب وغربي إفريقيا، وعبرت إلى بلاد الأندلس، وأنزلت بالصليبيين هزيمة فادحة في موقعة الزَّلاَّقَة سنة (٤٧٩هـ) ١٠٨٦م، (انظر ص ٢٩٦ من هذا الأطلس) أي بعد عام واحد من سقوط طليطلة، وبسطت دولة المرابطين سيطرتها على أجزاء كبيرة من الأندلس، إلا أنهم فشلوا في استرجاع طليطلة[١]. لكن النصارى واصلوا هدفهم من خلال ما عرف في التاريخ بحروب الاسترداد المسيحي الذي في ضوئه سقطت بلاد الأندلس سنة ١٤٩٢ م.

وكتقييم عام للموقف في نهاية القرن الخامس الهجري (نهاية القرن الحادي عشر الميلادي)، فإن العالم الإسلامي كان منقسماً بين **الخلافة العباسية الشرعية تحت سيطرة السلجوقيين وبين الدولة العبيدية في القاهرة**، وكانت نهايات القرن الخامس الهجري تمثِّل ضعفاً وفُرقة واضحين في الشرق الإسلامي، بينما كانت نهاية القرن الخامس الهجري في الأندلس تحمل قوة بارزة للمسلمين - كما أسلفنا - بظهور دولة المرابطين الفتيَّة تحت قيادة القائد الفذّ يوسف بن تاشفين رحمه الله.

لقد كانت الساحة مهيئة لاندلاع حروب بين الطرفين، ولا سيما بعد استنجاد البيزنطيين بالغرب اللاتيني بعد معركة ملاذكرت (ملاذكرد) والتي على أثرها تم أسر الإمبراطور البيزنطي (رومانوس الرابع)، وقيام الحاكم بأمر الله العبيدي بهدم كنيسة القيامة؛ كتصرف شاذ لا ينسجم وسماحة الإسلام وتعاليمه الداعية إلى إعطاء الحرية لأهل الكتاب بممارسة شعائرهم الدينية داخل دور العبادة، ناهيك عن تحين الغرب الصليبي لمثل هذه الفرصة السانحة، فقد وجه البابا حديثه إلى جنس الفرنجة من أجل التركيز على البعد الأثني أو العرقي في هذه الحروب، وأوضح - حسب مزاعمه - أن الله تعالى قد ميزهم بموقع بلادهم، وبعقيدتهم الكاثوليكية، وعمل على تذكيرهم بالبعد التاريخي من خلال أمجاد شارل مارتل وشارلمان وما قدماه للمسيحية من خدمات جليلة.



العالم الإسلامي عشية الحروب الصليبية

الحركة الصليبية : هي رد الفعل النصراني تجاه الإسلام، تمتد جذورها إلى بداية ظهوره، وخروج المسلمين من جزيرتهم العربية واصطدامهم بالدولة البيزنطية، وأن هذه الحركة تطورت كالكائن الحي على مدى القرون لاتكاد تخرج من طور إلا لتدخل في طور جديد، وما كانت الفترة الزمنية الممتدة بين سنتي (٤٨٩ هـ - ٦٩٠هـ/ ١٠٩٥ – ١٢٩١م) إلا أحد أطوارها فقط، وأن بروز هذا الطور بهذا الشكل الذي كاد أن يطغى على باقي أطوارها يعود إلى عوامل عديدة معقدة ومتشابكة يستطيع الباحث أن يتلمسها في الدوافع والأسباب التي أدت إلى إطلاق الموجة الصليبية العاتية من عقالها في هذه الفترة[١].

تصالح المؤرخون على إطلاق **الحروب الصليبية** على الحركة الاستعمارية الصليبية التي ولدت في غربي أوروبا واتخذت شكل هجوم مسلح على بلاد المسلمين في الشام والعراق والأناضول، ومصر وتونس لاستئصال شأفة الإسلام والمسلمين والقضاء عليهم واسترجاع بيت المقدس وما يزعم بقبر المسيح، وجذور هذه الحركة نابع من الأوضاع الدينية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية التي سرت في غربي أوروبا في القرن الحادي عشر واتخذت من الدين وقوداً لتحقيق أهدافها[٢].

---

١ - د. ممدوح حسين، ود . شاكر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري، ص ١٠.

٢ - د. محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٥.

الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي

بادر الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين بإرسال رسله إلى البابا " أوربان الثاني " (٤٨٨ هـ - ٤٩٩ م) مستصرخاً إياه، لإرسال نجدة عسكرية لإنقاذ أراضي الإمبراطورية البيزنطية من خطر الزحف السلجوقي، و كان البابا " أوربان الثاني " في ذلك الوقت يرأس مجمع بياكنزا الديني (مارس ١٠٩٥ م) ، و حضر رسول " الكسيوس كومنين " هذا المجمع و تحدث بفصاحة عما يلاقيه البيزنطيون الشرقيون من مصاعب و مخاطر في آسيا الصغرى.

و سارع البابا أوربان الثاني إلى عقد مجمع ديني في " كلير مونت " (نوفمبر ١٠٩٥ م) افتتحه بخطبة طويلة شرح فيها المقصود بالحرب المقدسة، دعا فيها أهالي غربي أوروبا النصارى إلى التكاتف من أجل استرجاع بيت المقدس من أيدي المسلمين، و تأمين طريق الحج إلى الأماكن المقدسة ببلاد الشام، حيث عمل البابا حينها على إثارة مطامع سامعيه في ثروات الشرق، فأوضح أن الأرض في الغرب الأوروبي ولاسيما في فرنسا ضاقت بسكانها، وطلب من الناس الذهاب إلى الشرق حيث أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً وفي ذلك الدليل الجلي الذي لا يقبل ارتياب مرتاب على أن البعد الاقتصادي للحركة الصليبية، قد تم الإعلان عنه بصراحة كاملة منُذ اللحظات الأولى لميلادها. كذلك وعد البابا كل من يحمل السلاح ويتجه إلى الشرق بأن تغفر ذنوبه وآثامه وبمعنى آخر قدم لهم الغفران الكنسي، أما إذا مات المرء في سبيل تحقيق هدفه فإنه يعد شهيداً من شهداء النصرانية الأبرار، وجميعها مغريات مهمة في عصر سادته ظاهرة الهوس الديني العاطفي في العالم النصراني الأوروبي.

وبعد انفضاض مجمع كليرمونت أخذ " بطرس الناسك " على عاتقه مهمة نشر قرارات مجمع كليرمونت في مختلف بلاد غربي أوروبا فطاف معظم أرجاء أوروبا داعياً أهلها إلى الانضمام و المشاركة في الحروب المقدسة (الصليبية) ، فلبت الجموع ذلك عبر حملات سيأتي الحديث عنها مفصلاً.

قراءة في خطاب أوربان الثاني

كان البابا أوربان الثاني بارعاً في عرض أفكاره وكذلك في إخفاء بعضها، وقد ركز على أمر بيت المقدس حتى يقدم طريقاً واحداً على الغرب الأوروبي السير فيه دون تردد ويخلق لمعاصريه (وحدة الهدف) من خلال وحدة المؤسسة الدينية الداعية له في صورة البابوية، وعلى هذا الأساس، لم يرد في الخطاب المذكور أية عبارات عن رغبته العارمة في توحيد الكنائس وإخضاع كنيسة القسطنطينية لسيطرة الكنيسة الأم في روما.

أن الخطاب الذي ألقاه البابا في مجمع كليرمونت يعد على جانب كبير من الأهمية التاريخية، فلم نسمع من قبل في تاريخ أوروبا القرون الوسطى أن خطاباً كان معبراً عن عصره بمثل هذه الصورة كما لم نسمع عن خطاب حرك الجماهير الأوروبية الغفيرة عن مواطنها الأصلية إلى الشرق بمثل تلك الدرجة التي تحدثنا بها المصادر التاريخية المعاصرة، ولذلك لا ننظر إليه على أنه مجرد خطاب عادي، بل إنه إعلان ما يشبه " الحرب العالمية " في العصور الوسطى من جانب الغرب الأوروبي ضد الشرق الإسلامي، وذلك دونما مبالغة أو قولية أو اعتساف في الأحكام، بل من خلال شواهد التاريخ التي وقعت في أعقابه. ويلاحظ أنه في أعقاب إلقاء البابا لخطابه صاح الحاضرون صيحة واحدة وهي الله يريد ذلك، وكانت صيحة المسيحية لمحاربة الإسلام وأهله، وأتخذوا الصليب شعاراً ومن هنا كانت تسميتهم بالصليبيين .

الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ص ٦٩



خارطة أوروبا في العصر الحديث ليسهل من خلالها توضيح بعض المسميات التاريخية عن انطلاق الحملات الصليبية في العصور الوسطى

الدوافع الرئيسة للحملات الصليبية



١

كانت هزيمة ملاذكرت (ملاذكرد) سنة ٤٦٣ هـ هزيمة قاسية للإمبراطورية البيزنطية؛ الأمر الذي دعا بالإمبراطور البيزنطي بالاتصال بالبابوية في روما على رغم الخلاف الحاد بينهما من أجل الوقوف صفاً واحداً أمام تنامي قوة السلاجقة الأتراك المسلمين؛ إضافة إلى ما أثاره (بطرس الناسك) الراهب الفرنسي الأصل، الذي جاء لزيارة "بيت المقدس"، وزعم أنه أسيئت معاملته مع غيره من الزوّار، وفور عودته إلى بلاده، مر **بروما** وقابل البابا (أوربان الثاني) ودعاه إلى إنقاذ الأماكن المقدسة. ثم أخذ يجوب ألمانيا وفرنسا وبلجيكا محرضاً الجماهير في خطبه على الزحف لإنقاذ ما يسمى **"قبر المسيح"**، **قال تعالى:** ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ النساء ١٥٥ - ١٥٨

فكان لتلك الخطب الحماسية، وتشجيع البابا لهذه الحركة؛ أثر كبير في قلوب الناس؛ لتهييج مشاعرها، وإثارة عواطفها. وكانت أولى ثمار هذا التحرك، انعقاد مؤتمر كليرمونت في تشرين الثاني ١٠٩٥م برئاسة البابا، وكان له تأثير كبير في الدعوة للحروب الصليبية ورعايتها، فعمل على المقاربة وإزالة الخلاف بين الكنيستين الشرقية (البيزنطية) والغربية (اللاتينية)، إذ رفع قرار الحرمان الذي كان موقعاً من الإمبراطور البيزنطي. كما أعطى هذا البابا توجيهاته للأمراء ورجال الدين وكبار التجار الإيطاليين المشاركين في "مجمع كلير مونت"، بأن يحيك كل محارب صليباً من القماش الأحمر على ردائه الخارجي من ناحية الكتف، رمزاً للفكرة التي خرج ليحارب من أجلها، وقد تم تحديد سنة ١٠٩٧ م موعداً للحملة الصليبية الأولى. وقد أخرج البابا علامة الفداء المقدسة وهي (صليب الخلاص) عندهم، وقال: (احملوه على عواتقكم، أو على صدوركم، وليشرف فوق أسلحتكم وفي رؤوس سناجقكم)، ولم يكتف البابا عند هذا الحد بل أخذ بالتنقل بين المدن والبلدان داعياً لهذه الحرب المقدسة.

المصدر: أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى للمؤلف

٢

كان الملوك والأمراء الذين أسهموا في الحركة الصليبية يسعون وراء أطماع سياسية لم يستطيعوا إخفاءها سواء قبل وصولهم الشام وفلسطين أو بعد استقرارهم فيهما، والمعروف أن النظام الإقطاعي ارتبط دائماً بالأرض، وبقدر ما يكون الاقطاع كبيراً والأرض واسعة بقدر ما تكون مكانة الأمير سامية في المجتمع، وهذا ما تأكد حينما هبوا ملبين لدعوة البابا أوربان الثاني لشن الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي؛ إضافة إلى ما حل بالعالم الإسلامي من فرقة وتناحر واضحين نتيجة الانقسام بين الخلافة العباسية الشرعية تحت سيطرة السلاجقة، وبين الدولة العبيدية في القاهرة، فالسلاجقة حاربوا البويهيين وسيطروا على الخلافة في بغداد، واتجهوا إلى العبيديين في مصر والشام، فطهروا منهم الشام وألجاؤوهم إلى مصر، وفي نيتهم القضاء على دولتهم كلها، ثم التفت السلاجقة على البيزنطيين في القسطنطينية فحصنوا آسيا الصغرى (تركيا اليوم)، واستولوا على مدينة **نيقية** التي تطل على الساحل الشرقي لبحر مرمرة وتقابل مدينة القسطنطينية، وحصنوها وأعدوها لحروب طويلة. وهذا الأمر أخاف البيزنطيين ولا سيما بعد هزيمتهم في معركة ملاذكرد، فاتصلوا ببابا الكاثوليك لنجدتهم وأغروه بالمقدسات النصرانية ببلاد المسلمين؛ علماً أن بيت المقدس قد عاد إلى حكم العبيديين منذ بضعة أشهر فقط، ويحكمه في أثناء الزحف الصليبي أمير يسمى(افتخار الدولة) من قِبل الخليفة العبيدي(المستعلي بالله) تؤيده حامية لا تتجاوز ألف جندي.

٣

مثَّل طبقه الفلاحين في أوروبا نسبة كبيرة من المجتمع الأوروبي الإقطاعي، وكانت هذه الطبقة تعيش حياة قاسية تفتقر الأمان والاستقرار؛ إضافة إلى أن الأراضي الزراعية قد خربت وأصابها البوار من جراء الهجمات الشمالية فخربت الجسور وغطت المياه الأراضي، كما أن النبلاء كانوا يرفضون تحويل غاباتهم إلى أراض زراعية، وذلك لرغبتهم في الاحتفاظ بهذه الغابات للصيد واللهو، وبذلك لم تعد الموارد تكفي حاجات السكان فتوجهوا إلى الحرب.

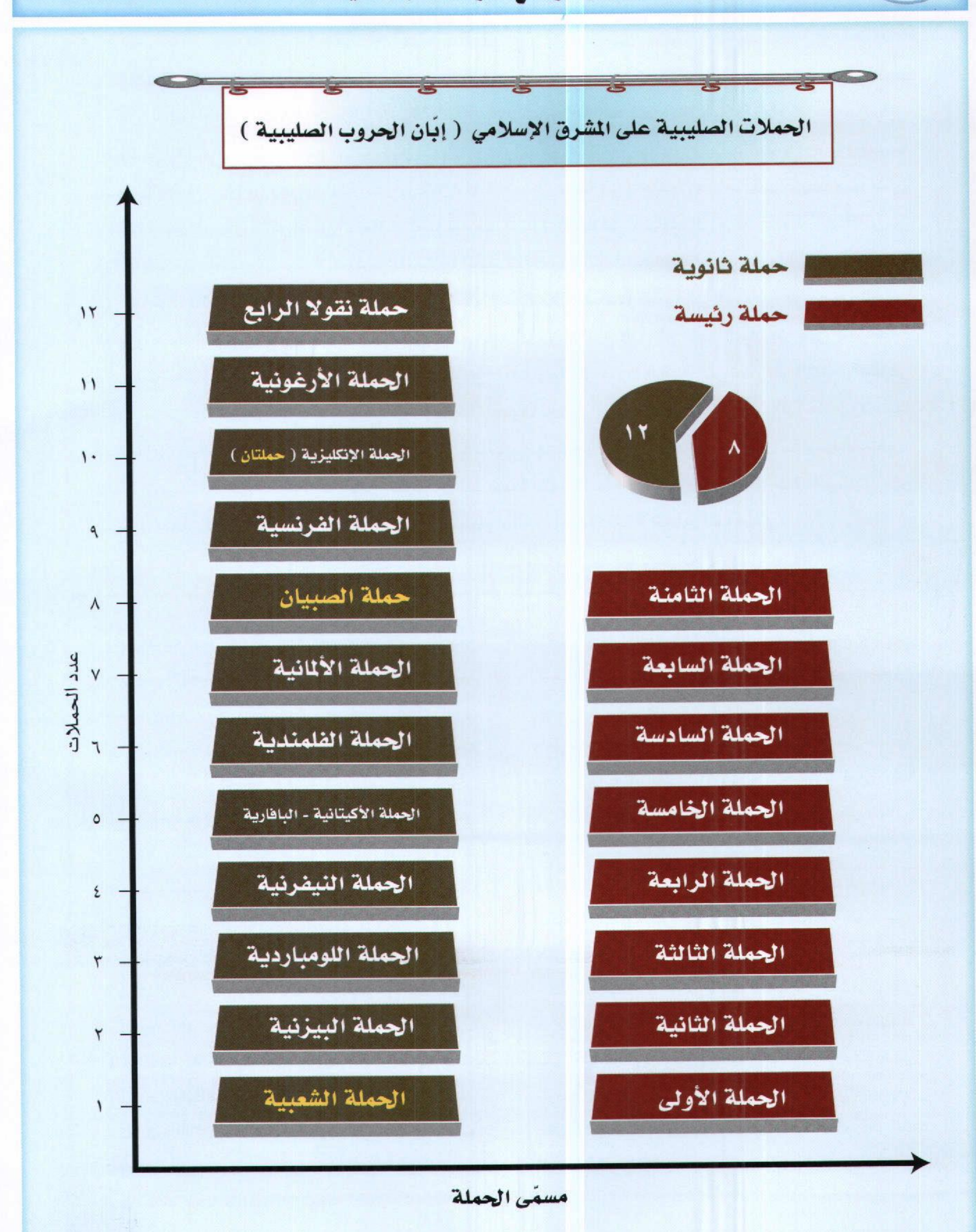
كما وجدت عوامل خاصة شجعت طبقة النبلاء على الاشتراك في الحروب الصليبية وهي أن الاقطاعات في أوروبا لم تعد تكفي أفراد العائلات النبيلة خاصة بعد تطبيق نظام ينص على منح الابن الأكبر للسيد الإقطاعي اقطاعه بعد وفاة والده.

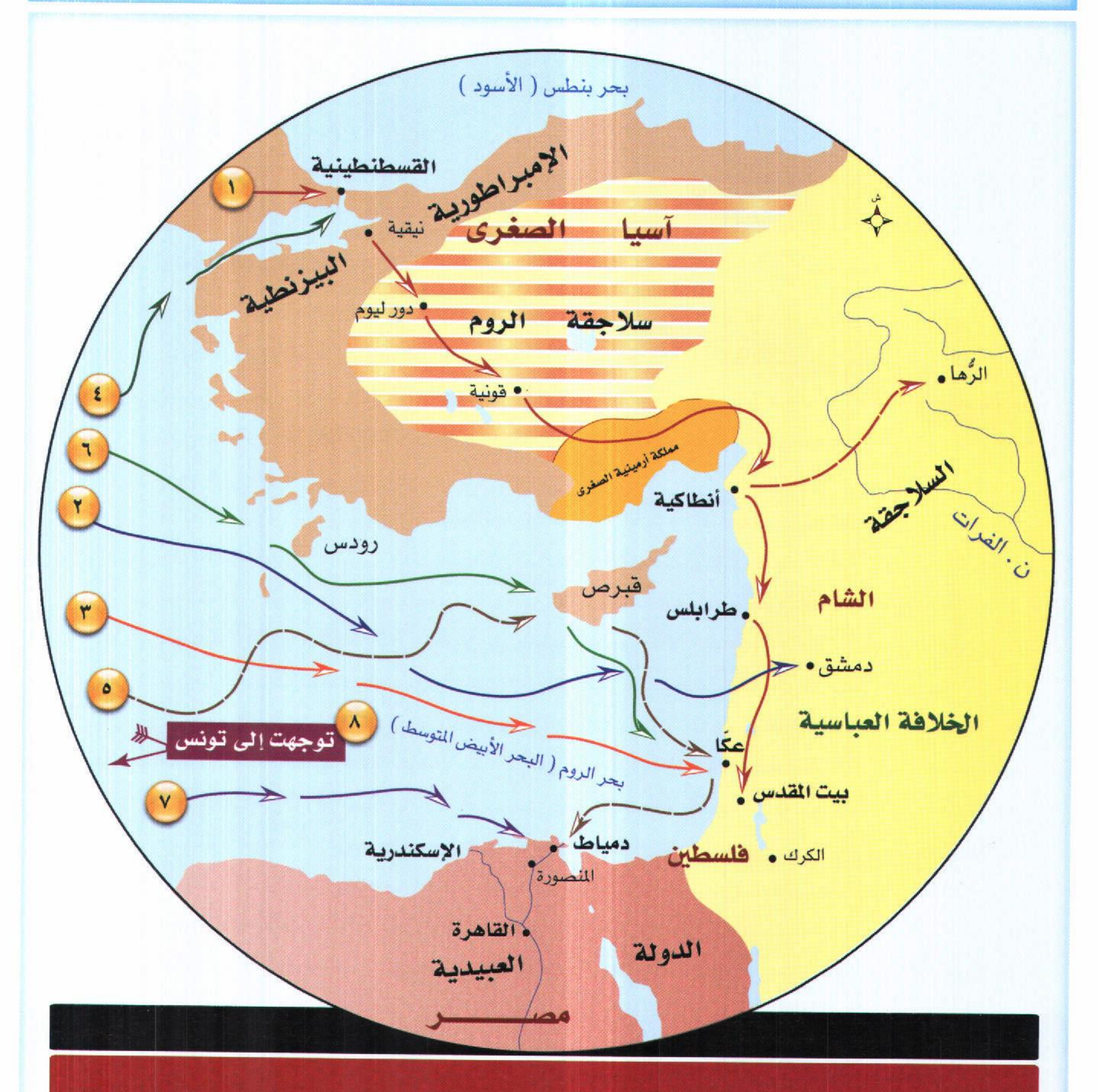
كما أيضاً انتشرت التنبوأت بقرب ظهور السيد المسيح عليه السلام فأسرع الجميع بالتوبة والاشتراك في الحروب الصليبيه و الحج لكنيسة القيامة.

٤

برزت على الناحية الاقتصادية في المجتمع الأوروبي آنذاك الدور التجاري للمدن الإيطالية (بيزا- جنوة- البندقية) التي كانت راغبة في توسيع رقعة تجارتها، ولعل ما دفعها إلى ذلك هو سيطرت النورمان على صقلية وجنوبي إيطاليا بعد أن كانت تحت حكم المسلمين ردحاً من الزمن، وبعد سيطرة القوى النصرانية على شمالي الأندلس منذ سنة ١٠٨٥ م ؛ أدى إلى ثراء المدن الإيطالية وسيطرتها على البحر المتوسط وتطلعت إلى توسيع رقعتها التجارية على حساب الدول الإسلامية في الجزء الشرقي من البحر المتوسط.

كذلك التحفيز الديني أيضاً للحث على الاشتراك في هذه الحروب قد نجح هذا الجزء نجاحاً باهراً بالاعتماد على أكاذيب كثيرة عن وحشية المسلمين وما يفعلونه في النصارى ومقدساتهم، خصوصاً عندما أقدم العبيديون على حرق كنيسة القيامة، وتصرفات الحاكم بأمر الله العبيدي الموتورة.


الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي (إبّان الحروب الصليبية)
حملة ثانوية
حملة رئيسة
١٢
٨
حملة نقولا الرابع
الحملة الأرغونية
الحملة الإنكليزية (حملتان)
الحملة الفرنسية
حملة الصبيان
الحملة الألمانية
الحملة الفلمندية
الحملة الأكيتانية - البافارية
الحملة النيفرنية
الحملة اللومباردية
الحملة البيزنية
الحملة الشعبية
الحملة الثامنة
الحملة السابعة
الحملة السادسة
الحملة الخامسة
الحملة الرابعة
الحملة الثالثة
الحملة الثانية
الحملة الأولى
عدد الحملات
١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
مسمّى الحملة



خارطة مجملة لوصول الحملات الصليبية الثمانية إلى المشرق الإسلامي

استطاع البابا «أوربان الثاني» أن يوحّد شعوب الغرب في مشروع عام على الرغم من أن لغات هذه الشعوب وعاداتها المحلية، واهتمامات أبنائها كانت تختلف اختلافاً بيناً. ولكن الفكرة الصليبية التي جمعت جماهير الغرب الأوروبي لم تكن لتنجح لو لم تكن متوافقة مع حركة المجتمع ومع هذا التوافق بين الفكر والواقع.

الحملة الصليبية الأولى

سنة ٤٨٩ هـ - ١٠٩٦ م - ١٠٩٩ م

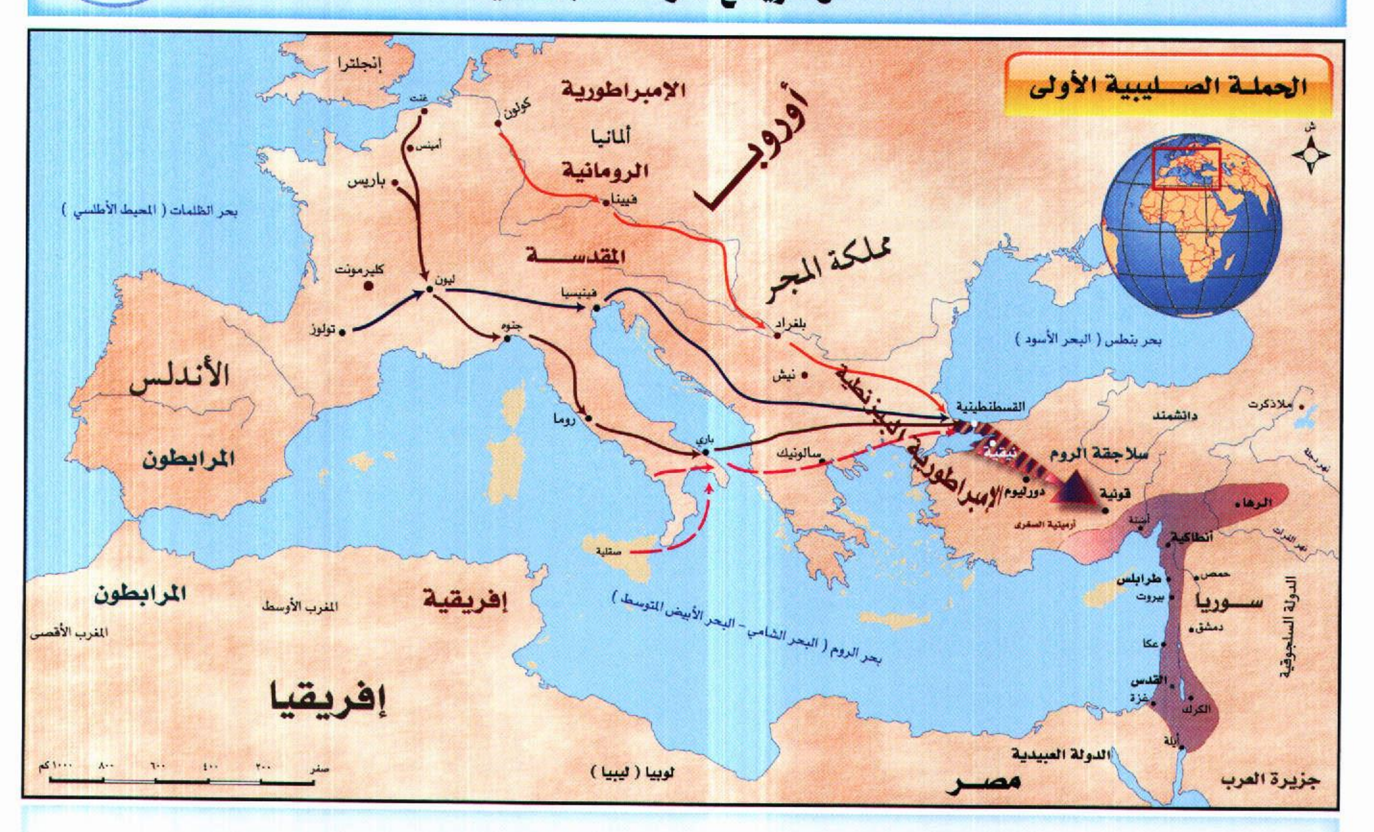
قادة الحملة : ريموند دي صنجيل ، روبارت كورت هوز، وغود فري بويون، وبوهيموند .

سبب الحملة ومسارها :

أطلقها البابا **أوربان الثاني** بعد مؤتمر كليرمونت سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥م؛ لإعادة السيطرة النصرانية على المدينة المقدسة (القدس) وعموم الأراضي المقدسة النصرانية من أيدي المسلمين. وما بدأ كدعوة للمساعدة!! تحول بسرعة إلى هجرة جماعية وسيطرة وغزو لمناطق خارج أوروبا؟ وارتحل العديد من الفرسان والأقنان بغير كثير من الإدارة المركزية عبر البر والبحر من مناطق غربي أوروبا.

وصلت الحملة الصليبية الأولى إلى أبواب **القسطنطينية** - بعد **الحملة الشعبية** التي قادها بطرس الناسك وآلت إلى الفشل-، وخاف إمبراطورها منهم فاتفق مع بعض القادة على أن يمدهم بالمؤن والذخيرة على ألا يدخلوا المدينة وأن يردّوا عليه ما يستولون عليه من أملاكه، فاجتازوا البوسفور، ووصلوا إلى **نيقية** فحاصروها، ونقل أميرها قليج أرسلان مقره إلى **قونية**، واتفق مع الإمبراطور أن يدخل جنده **نيقية** دون القادمين من أوروبا وبهذا غضب الصليبيون لأن الإمبراطور بهذا التصرف لم يسمح لهم بنهب المدينة، وبهذا يكون الإمبراطور البيزنطي قد دعم الصليبيين بكل قوته وسار معهم نحو **نيقية**، وحصل خلاف بين الصليبيين القادمين من أوروبا والبيزنطيين، إذ وجد الإمبراطور أنه لا يستطيع التفاهم مع هؤلاء القادمين فانصرف لاسترداد **آسيا الصغرى من السلاجقة** فاتجه نحو الغرب ودخل **إزمير وأفسوس** وأخذهما من أمراء السلاجقة لانقطاعهم عن دولة السلاجقة، ولم يعد يدعم الصليبيين بل حرص أن يضم له ما أخذوه ، فكان دعمه بقتال المسلمين بجهات ثانية ثم بعد مدة عاد لتقديم الدعم.

لقد اختلف القادة الصليبيون بعضهم مع بعض، فاتجه بعضهم إلى **الرُّها** تلبية لدعوة أميرها الأرمني فدخلها وأسس بها **إمارة نصرانية لاتينية** وكان يطمع بتأسيس دولة صليبية في أرمينيا وقد دعمه في الأمر الأرمن. وسار باقي القادة إلى **أنطاكية** فألقوا الحصار عليها ودخلوها عنوة عام ٤٩١ هـ بعد حصار دام سبعة أشهر وقتلوا من أهلها أكثر من عشرة آلاف، ومثلوا بالقتلى وبالناس، وفعلوا أبشع الجرائم، وولوا عليها أحدهم وقد استقبل النصارى من أهلها والأرمن الصليبيين بكل ترحاب، ثم اتجهوا بعدها نحو **بيت المقدس**، فسار لقتالهم **"كربوقا"** صاحب الموصل، وصاحب دمشق **"دقاق"**، وصاحب حمص **"جناح الدولة"** غير أن الصليبيين قد انتصروا عليهم ودخلوا **معرّة النعمان**، ووصلوا إلى **بيت المقدس** ودخلوها عام ٤٩٢ هـ فقتلوا من أهلها أكثر من **سبعين ألفاً** وخاضت خيولهم ببحر من الدماء، وانتخب **غودفري ملكاً على بيت المقدس**، وأخذ لقب حامي **ما يسمى** « قبر المسيح » . وكان العبيديون قد استغلوا تقدم الصليبيين من الشمال فتقدموا هم من الجنوب ودخلوا القدس وطردوا السلاجقة منها (قبل وصول الصليبيين إليها) وجرت مفاوضات بين الأفضل بن بدر الجمالي الوزير العبيدي وبين الصليبيين على أن يكون شمال بلاد الشام للصليبيين، وجنوبها للعبيديين ثم نقض الصليبيون العهد عندما شعروا بالنصر.



في الوقت الذي كان السلاجقة الأتراك يتعرضون فيه للزحف الصليبي في آسيا الصغرى و شمالي بلاد الشام، استغل العبيديون الفرصة فاحتلوا **صور** ٤٩٠ هـ، وسيطروا على **بيت المقدس** في شباط / فبراير ٤٩١ هـ، في أثناء حصار الصليبيين لأنطاكية، واستقل بطرابلس **القاضي بن عمار أحد أتباع العبيديين**، بل أرسل العبيديون للصليبيين في أثناء حصارهم لأنطاكية سفارة للتحالف معهم وعرضوا عليهم قتال السلاجقة بحيث يكون القسم الشمالي «سوريا» للصليبيين، وفلسطين للعبيديين، وأرسل الصليبيون وفداً إلى مصر ليدللوا على « حسن نيَّاتهم » !!، وهكذا... ففي أثناء انشغال السلاجقة بحرب الصليبيين كان العبيديون منشغلين بتوسيع نفوذهم في فلسطين على حساب السلاجقة الأتراك حتى إن حدودهم امتدت حتى نهر الكلب شمالاً ونهر الأردن (الشريعة) شرقاً..!!

وظهرت الخيانات وانكشف التخاذل من إمارات المدن التي حرصت كل منها على نفوذها، وكسب ود الصليبيين أثناء توسعهم، ومن ذلك ما حدث من اتصال صاحب إقليم شيزر بالصليبيين (انظر القلعة في كتابنا الموسوم أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى)، حيث تعهد بعدم اعتراضهم وتقديم ما يحتاجون من غذاء ومؤن؛ بل وأرسل لهم دليلين ليرشداهم على الطريق !!، وقدمت لهم **حمص** الهدايا!! وعقدت معهم **مصياف** الإسماعيلية اتفاقية !!.. أما **طرابلس** فدفعت لهم الجزية، ودفعت **بيروت** المال، وعرضت عليهم الدخول في الطاعة إذا نجحوا في احتلال بيت المقدس!!

احتلال بيت المقدس وقيام مملكة صليبية (لاتينية) فيه

تحركت باقي جموع الصليبيين نحو **بيت المقدس** بعد أن مكثوا نحو خمسة عشر شهراً في شمالي بلاد الشام، نجحوا خلالها في احتلال كثير من المدن والقرى، (انظر كتابنا الموسوم أطلس الحملات الصليبية)، وفي الطريق إلى بيت المقدس كان بعض الحكام المسلمين يدخلون في طاعة الصليبيين، مؤثرين السلامة على المواجهة، ولم يكتفوا بذلك بل نزلوا على شروط الصليبيين بتقديم العون والمساعدة لهم، وتوالى سقوط المدن الساحلية وغيرها في أيدي الصليبيين حتى بلغوا أسوار بيت المقدس في (١٥ من رجب ٤٩٢هـ= ٧ من يونيو ١٠٩٩م).

وكان "**افتخار الدولة**" حاكم بيت المقدس من قبل الدولة العبيدية قد اتخذ استعداده لمواجهة الصليبيين، فسمم آبار المياه وقطع موارد المياه، وطرد جميع من بالمدينة من النصارى لشعوره بخطورة وجودهم في أثناء الهجوم الصليبي، وتعاطفهم معهم، وقوى استحكامات المدينة.

كانت قوات **الصليبيين** التي تحاصر المدينة المقدسة تقدر بأربعين ألفاً، وظلت ما يقرب من نحو خمسة أيام قبل أن تشن هجومها المرتقب على أسوار المدينة الحصينة، وكان الجند في غاية الشوق والحماسة لإسقاط المدينة، فشنوا هجوماً كاسحاً في يوم الإثنين الموافق (٢٠ رجب ٤٩٢هـ= ١٢ من يونيو ١٠٩٩م) انهارت على إثره التحصينات الخارجية لأسوار المدينة الشمالية، لكن طبيعة السجال في الحرب بين الطرفين أفشلت الهجوم الضاري إلى حد ما، وقتلت الحماس المشتعل في نفوس الصليبيين، فتراجعت القوات الصليبية بعد ساعات من القتال.

كان موقف الصليبيين سيئاً، فهم يعانون العطش وقلة المؤن، وكان يمكن للحامية العبيدية أن تشن هجوماً مضاداً على الصليبيين وهم في هذه الحالة من الإنهاك، فتستأصل شأفتهم وتقضي عليهم، لكنها لم تفعل ثقة منها في مناعة أسوارها، وعدم قدرة الصليبيين على الاستمرار وهم في هذه الحالة، ثم قدر الله - تعالى - أن تصل سفن حربية من جنوة الإيطالية إلى يافا لتستولي عليها، وتمد الصليبيين بالمؤن والإمدادات والأسلحة والمواد اللازمة لصناعة آلات وأبراج الحصار، وكان لهذه النجدة أبلغ الأثر في نفوس الصليبيين فقويت عزائمهم وثبتت أركانهم، وطمعوا في الفوز المرتقب وهو احتلال بيت المقدس.

تسليم القدس للصليبيين

استطاع النصارى بواسطة البرج الثاني وتحت رماية مكثفة من المنجنيق والرماح من الصعود إلى أسوار الحصن، وبدأ القتال على أسوار القدس، وسقطت أخيراً الحامية العبيدية، واستسلمت القدس للنصارى، **والواقع أن الذي سلم القدس للنصارى هم العبيديون**، فهم لم يرسلوا جيشاً لمساعدة المسلمين، ولم يقدموا يد العون لحاميتهم في القدس، وتعد هذه خيانة عظمى في تاريخهم، بتصرف عن د. طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، ص ١١٤.

فحق ضائع وحمى مباح
وسيف قاطع ودم صبيب
وكم من مسجد جعلوه ديراً
على محرابه نصب الصليب
أمور لو تأملهن طفل
لطفل في عوارضه المشيب

المستعمرات الصليبية في بلاد المشرق الإسلامي



تألفت الجيوش الأساسية التي أرسلها **البابا** من الفرنسيين المدربين جيداً والفرسان النورمنديين. وشارك فيها غودفري البولوني، وريموند كونت تولوز، وروبرت الفلاندري، وبوهيموند من تارنتو. وانضمت إليهم القوات البيزنطية في القسطنطينية وتمكن الجيش الموحد من الاستيلاء على نيقية عام ٤٩١هـ، ١٠٩٧م.

وبعد ذلك، انقسم الجيش وسار الأوروبيون الغربيون نحو القدس، وخاضوا العديد من المعارك الدموية على طول الطريق، وكان أكثرها صعوبة حصار أنطاكية (مدينة تركية الآن)، حيث هلك الكثيرون بسبب الهزيمة التي ألحقها بهم الأتراك، ورحل الآخرون. ووصل الأوروبيون القدس في صيف ٤٩٣هـ، ١٠٩٩م، واستولوا على المدينة المقدسة **(بيت المقدس)** بعد ستة أسابيع من القتال، ثم عاد معظمهم لأوطانهم. وقسّم القادة الأراضي التي احتلوها إلى أربع دول سمّوها دول الصليبيين اللاتينية، وتضم مقاطعة إديسا (الرُّها) وإمارة أنطاكية، ومقاطعة طرابلس، ومملكة بيت القدس.

م. خ. سامي بن عبد الله المغلوث، **أطلس** الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى.

مجزرة الصليبيين في بيت المقدس

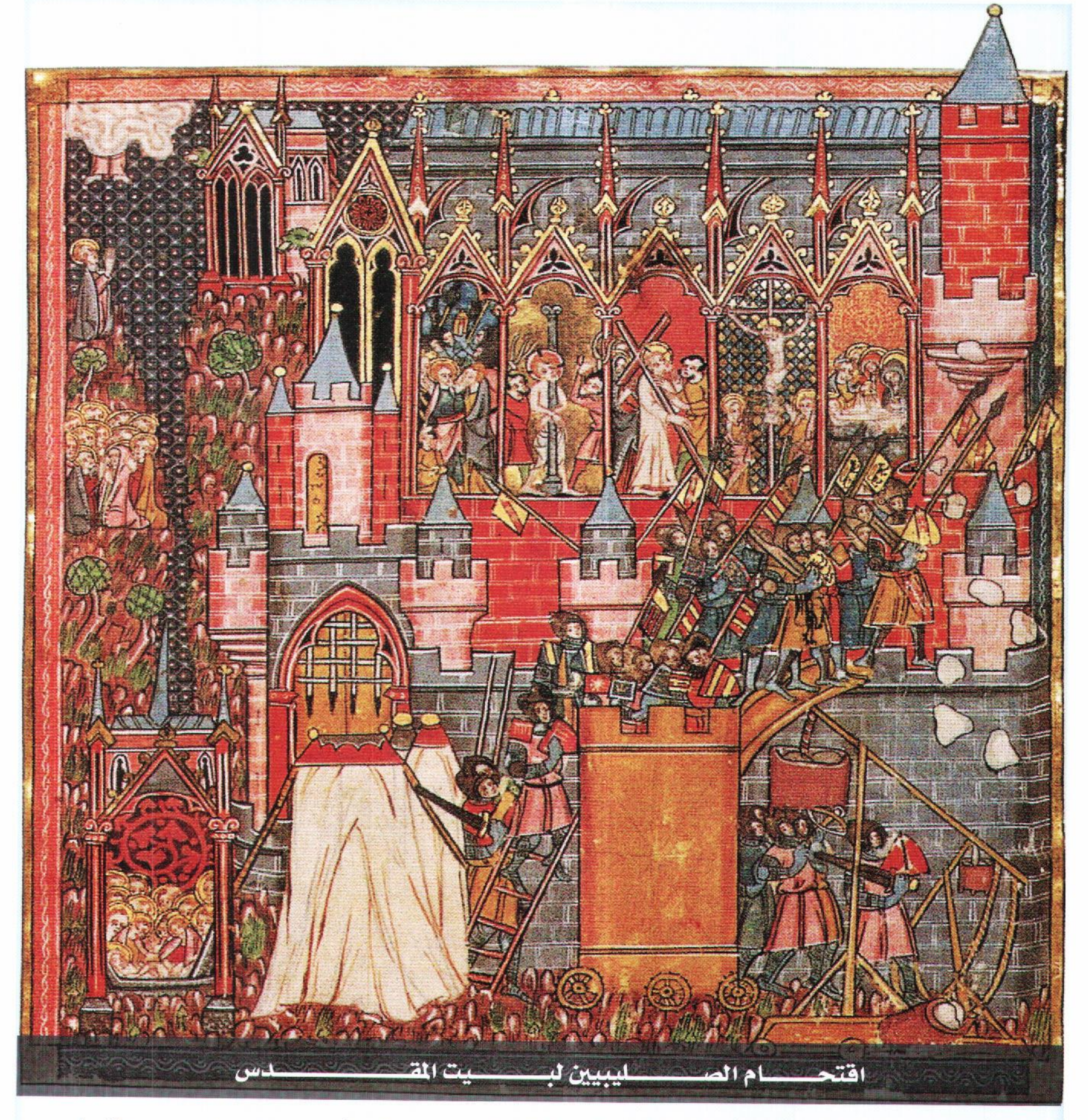
تعد المستشرقة الألمانية الراحلة «زيجريد هونكه» من أوسع المستشرقين اطّلاعاً على تاريخ الإسلام، وقد وصفت بعبارات مؤثّرة انتصارَ الصليبيين على المسلمين، واستيلاءهم على القدس، فقالت: "عقبَ وصول الصليبيين إلى هدفهم المنشود «بيت المقدس» طغت حماستهم فجرفت أمامها كلّ السدود، وانطلقوا سيلاً بشعاً بربريا يأتي على الأخضر واليابس، وقد أجّج ذلك صيامُهم ثلاثين يوماً حماسةً متعصبة ونذراً للرب تقرباً. ولقي هذا كله ردّ فعلٍ لدى سفاكي الدماء ... من فرسان "الفرنجة" من فرنسيين ونورمان وجموعهم التي انحدرت في طرقات بيت المقدس تحصد الأرواح حصداً، لا تقع على إنسان إلا قتلته ... رجالاً ونساءً وشيوخاً وولداناً. وتذكر مصادرُنا الغربيةُ ذاتها أن ذلك الحصاد الوحشي بلغ عشرة آلاف ذبيح. ويصف المؤرخ الأوروبي ميشائيل دارسيرر كيف كان البطريرك نفسه يعدو في زقاق بيت المقدس وسيفه يقطر دماً حاصداً به كلّ من وجد في طريقه، ولم يتوقّف حتى بلغ كنيسة القيامة - وما يسمى - قبر المسيح، فأخذ في غسل يديه تخلصاً من الدماء اللاصقة بها، مردّداً كلمات المزمور التالي: " يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقا، إنّ للصديق مكافأة، وإن في الأرض إلها يقضي " . أما الميدان الذي يتحلّق قبة الصخرة والمسجد الأقصى الذي لجأ إليه معظم الأهالي المسلمين الهاربين هلعاً واحتماءً به، فقد تحوّل تحت زحف الفرنجة المدمر ... إلى حمام دماء خاض فيه مهاجمو النصارى حتى الكعبين، مواصلين الإجهاز على المسلمين. لقد كانت الحملة الصليبية الأولى ... (١٠٩٥م) بمنزلة المقدمة الإنشادية الحزينة لواحدة من كبريات مآسي العبث في تاريخ الإنسانية. لقد حفر ذلك اليوم حفراً يتأبى على المحو أبداً في ذاكرة التاريخ ... ولئن كانت الحملة الصليبية الأولى قد انتهت لوقت مؤقت معلوم بالغلبة الساحقة لمقاتلي النصارى دفاعاً عن المسيح!، فإنّها كانت في الوقت نفسه هزيمةً أخلاقيةً مهولة سجّلها تاريخ الإنسانية بحروفٍ من الخزي ... ولقد أيقظت تلك الحملة البربرية ما أيقظت في نفوس المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي ... ولن تزال تلك الحملة الصليبية الأولى بقعة عارٍ وخزيٍ لاصقة بالغرب مشيرةً إليه بإصبع الاتهام " ص ٢١-٢٢.

شهادة للتاريخ

رصد التاريخ الإسلامي الحدث عن مجزرة الصليبيين في بيت المقدس بكثير من التفصيل والدقة.

قال ابن الأثير: إن المذبحة استمرت طوال يوم الدخول وليلته، واقتحم النصارى المسجد الأقصى في صباح اليوم التالي، وأجهزوا على من احتموا فيه، وصبغت ساحات المسجد بدماء العباد والزهاد الركع السجود، وتوجه قائد الحملة (ريموند) في الضحى لدخول ساحة المسجد، متلمساً طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبته، وكان النظر لايقع إلا على أكوام من الرؤوس والأيدي والأقدام المقطعة في الطرقات والساحات، نهب النصارى جميع الأمتعة وخربوا أثاث المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ونهبوا القناديل التي بلغت نيفاً وأربعين قنديلاً، كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمئة درهم، وأخذوا نيفاً وعشرين قنديلاً من ذهب) .

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١ ص ١٩٤.



اقتحـام الصـليبيين لبـيت المقـدس

يـروي المـؤرخ الفرنسي (جوستاف لوبون) هذه القصة عن الكاهن (ريمـون دوجلوس) الذي حضر مشهد مجزرة الصليبيين فـي بيت المقدس، ويقول: (لقد أفـرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان حتى صارت الجثث تعوم على الدماء، وصارت الأيـادي والرجـل تسبح، وما عاد الجنود يطيقون رائحة البخار الذي يخرج من الجثث !!) . و يروي أيضاً في قصة أخرى عن (دوهمـن): اقتيـد الأسرى الباقون فجمعوا في بـرج القصر، وأكثرهم من الأطفال والنساء والعجائـز والشيوخ، فأمر الحاكم الصليبي بذبح الأطفال والنساء والعجائز والشيوخ، وإبقاء الشباب على قيد الحياة، ثم تم أخذهم عبيداً وبيعوا في أنطاكية.

يقظة العالم الإسلامي بعد الحملة الصليبية الأولى

تحت ضغط العلماء وجهدهم الدؤوب لتنشيط وإشعال الحماس في قلوب الشعب والحكام، بدأ أول تحرك مضاد من قبل المسلمين بحركة جهادية بقيادة العلماء، واستجاب لهم حاكم **الموصل** فقط بين جميع البلاد الإسلامية، وكان يحكم الموصل **رجل تركي مسلم** اسمه (**مودود**) دعا هذا الرجل للجهاد ؛ فاستجاب له خلق كثير، وبدأ الناس يتوافدون إليه، ثم ما لبث أن قاد جيشه هذا نحو (**الرُّها**) واستطاع أن يفتحها ويقتل العدو المغتصب ويأسر بعضهم، ومن الأسرى أخذ بعض الأرمن الذين تعاونوا معهم، وبدأ بعض الأمل يعود للمسلمين بهذا الفتح.

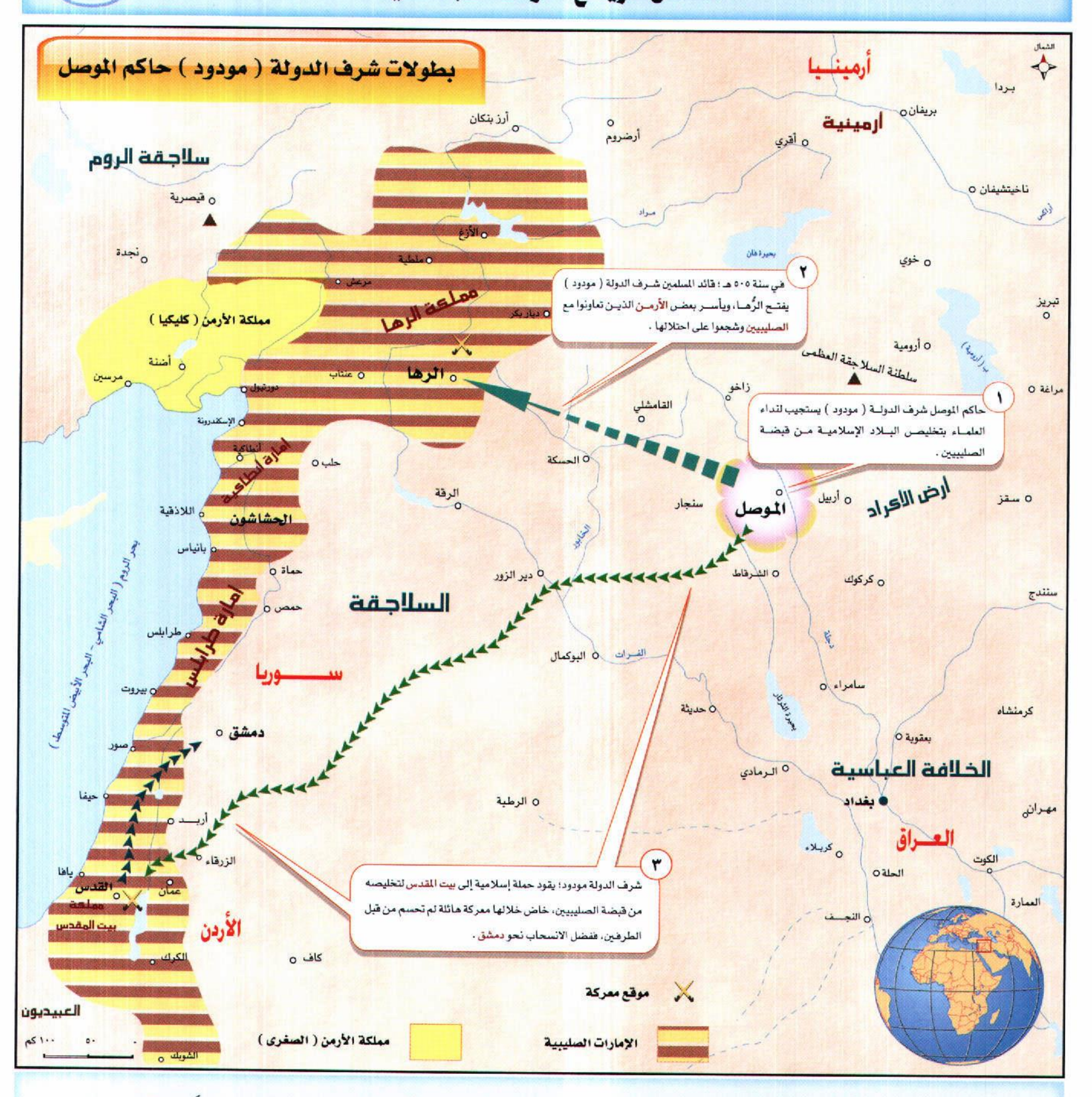
في عام **٥٠٧ هـ ١١١٣ م**، توافدت جموع من المسلمين الذين بعثتهم بوادر الأمل إلى (مودود) فشكل منهم جيشاً وتحرك نحو **القدس**، وشعر النصارى بخطر الجيش الزاحف نحوهم، ولم يكن لدى مودود إلا جيش بسيط متناثر الأطراف، في مواجهة قوة عظيمة من النصارى كانت قد تجمعت بعتاد وأعداد ضخمة، ثم اشتبك الطرفان في معركة هائلة لم يستطع أحد الطرفين أن يحسمها لصالحه، ورأى مودود أن يعيد ترتيب صفوفه فانسحب نحو دمشق، وكانت لا تزال تابعة له، وفي **دمشق** نزل في المسجد الأموي يوم الجمعة فتربص له أحد رجال (الحشاشين) وهي فرقة باطنية ضالة، وقتلته غيلة. ولعل في ذلك قمة الخيانة أن يعمد أحد ممن يدعون الانتساب للإسلام فيقتل مجاهداً مسلماً بعث الله فيه أمل الأمة المكلومة، ولكن هذا - كان ولا يزال - ديدن الفرق المنحرفة والباطنية، فهم يضمرون العداء للمسلمين ومن خالفهم أكثر من عدائهم للكفار والنصارى واليهود ومن والاهم.

معركة قسطوان ٥١٣ هـ ١١١٩ م

وُئدت هذه الحركة الجهادية في مهدها، ولم يكتب لها التوفيق والنجاح، لكن العلماء لم يلبثوا أن بثوا العزيمة والحماس في نفس حاكم آخر، وهو حاكم مدينة ماردين فجمع هذا الأخير جيشاً وتحرك به مرة أخرى نحو **الرُّها**، وبعد معركة بسيطة تسمى معركة (**قسطوان**) استطاع الجيش المسلم التغلب على النصارى ودحرهم، وانتشر مجدداً الأمل والتفاؤل بين الناس بهذا القائد الجديد، وبدأت عمليات استعدادات الجهاد والنهضة في الأمة مرة أخرى .د. السويدان ، فلسطين التاريخ المصور، ص ١١٥ - ١١٦ .

من تاريخ الحشاشين الباطنيين

هم من غلاة الإسماعيلية ويطلق عليهم النزارية، ومؤسس دولتهم الحسن بن الصباح، وتذكر كتب التاريخ: أن فخر الدين الرازي كان يعلم الناس في حلقته في المسجد ما يراه حقاً، ولم يكن لدى المسلمين آنذاك شبهة فصل الدين عن الحياة، وفي ذلك الزمان كانت فتنة **الحشاشين** قد ذرّت ، وبدأت تنشر الإرهاب واغتيال قادة المسلمين، **فاغتالوا، شرف الدولة مودود**، ونظام الملك، وحاولوا اغتيال صلاح الدين أكثر من مرة، **وكل ذلك إرضاءً للصليبيين**، ووصولاً إلى أهدافهم الباطنية، وكان أحد هؤلاء الحشاشين قد انتظم في حلقة الفخر الرازي لمدة طويلة، ليراقب الشيخ ثم يسكته عن النقد أو يغتاله، وسئل ذات يوم عنهم فشرح رأيه في الحشاشين وبين خطورتهم على الإسلام وأهله، ثم خرج الشيخ إلى داره ، وفي ناحية من الطريق انفرد الحشاش بالشيخ - وكان الحشاش ضخماً قوياً - وعدا على الفخر وصرعه أرضاً، ثم جلس على صدره ، وسل خنجره وقال : عدني ألا تعود إلى نقد الحشاشين مرة أخرى وإلا قتلتك الآن، فتخلص منه الشيخ بالوعد الذي أراده، وفي يوم آخر سأل أحد الحاضرين الشيخ عن الحشاشين فقال له: يا بني هؤلاء القوم لا أقول فيهم شيئاً، لأن لهم حججاً ثقيلة؛ وأخرى حادة !؟ . بتصرف عن د. محمد حامد الأحمري ، أطراف القضية الجزائرية.



قال الذهبي: ثم سار المسلمون للغلا فنهبوا بلاد الفرنج وضياعهم ما بين القدس إلى عكّا. وردّت عساكر الموصل، وتخلّف مقدّمهم مودود عند طغتكين بدمشق وأمر العساكر بالقدوم بالربيع فوثب على **مودود** باطنيٌّ يوم جمعة فقتله، وقتلوا الباطنيّ. ودفن مودود عند دقاق بخانكاه الطواويس ثم نقل إلى إصبهان. العبر في خبر من غبر - (ج ١ / ص ٢٣٧).

وقال ابن القلانسي في " تاريخه " : قام هو (**أي مودود**) وطغتكين حولهما الترك والأحداث بأنواع السلاح من الصوارم والصمصامات والخناجر المجردة، كالأجمة المشتبكة، فوثب رجلٌ لا يؤبه له، ودعا لمودود، وشحذ منه، وقبض بند قبائه، وضربه تحت سرته ضربتين، والسيوف تنزل عليه، ودفن بخانقاه الطواويس، ثم نقل، وكان بطبرية مصحف أرسله عثمان رضي الله عنه إليها، فنقله طغتكين إلى جامع دمشق. سير أعلام النبلاء - (ج ١٩ / ص ٤١٠).

قيام الدولة الزنكية سنة ٥٢٠ - ٥٦٩ هـ / ١١٢٧ - ١١٧٤ م

بعد تأسيس الدولة الزنكية استطاع **عماد الدين زنكي** بفضل الله ثم بجهوده الميمونة؛ أن ينتزع من الصليبيين إمارة **الرُّها** التي تأسست في الشرق الإسلامي سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م بزعامة بلدوين الأول وكان تحريرها في عام ٥٣٩هـ، وقد ساعد عماد الدين زنكي عوامل عديدة في فتح الرُّها من أهمها؛ تنامي حركة الجهاد الإسلامي حتى عصره وحصاد تجربة المسلمين في ذلك المجال، فلا ريب في أن التجارب السابقة أثبتت أن إمارة الرُّها مرشحة أكثر من غيرها لكي تكون أولى الإمارات الصليبية المعرضة للسقوط في أيدي قادة الجهاد الإسلامي حينذاك، وقد أجهدها أمر الإغارات المستمرة من جانب **أمراء الموصل** خلال فترة تزيد على أربعة عقود من الزمان على نحو مَثَّلَ: (موتاً بطيئاً لها) إلى أن تم الإجهاز عليها في العام المذكور، ويضاف إلى ذلك براعة عماد الدين العسكرية، الذي فاجأ تلك الإمارة الصليبية بالهجوم، بعد أن اطمأن الصليبيون إليه وتصوروا أنه لن يهاجم فاستغل فرصة غياب أميرها جوسلين الثاني عنها، ووجه لها ضربته القاضية التي انتهت بإسقاطها، وهكذا أثبت ذلك القائد الكبير أنه اختار التوقيت الملائم لذلك العمل العسكري العظيم لقد حقق عماد الدين زنكي بفتح الرُّها؛ أهم إنجازاته التي قام بها ضد الصليبيين طوال مدة حكمه، وكان لهذا النصر نتائج مهمة في العالمين الإسلامي والنصراني ومن **أهم تلك النتائج على الإجمال**[1]:

١- تأكد للمسلمين أن حركة الجهاد الإسلامي وصلت ذروتها دون أن يكون ذلك إجحاف بإنجازات القادة السابقين على زنكي ولاسيما الأمير مودود بن التونتكين، وإذا كانت أولى الإمارات الصليبية تهاوت تحت أيديهم فإنها البداية، واليوم إسقاط الرُّها وغداً إسقاط باقي الكيان الغازي الدخيل والتقدم إلى الأمام بكل ثقة، وإباء.

٢- تأكد منطق التاريخ من أن مثل تلك الكيانات الصليبية غير الشرعية لن تستمر على الأرض المسلمة، لأن أبناء المنطقة أصحاب الهوية الدينية الموحدة لن يقبلوا بذلك الوضع السياسي والعسكري الدخيل، ومن ثم عاد التجانس لمنطقة شمالي العراق ولم تعد الرُّها تمثل دور الفصل والكيان الصليبي الحاجز المانع من الاتصال بين كل من **سلاجقة آسيا الصغرى، وسلاجقة الروم، وكذلك سلاجقة بلاد فارس.**

٣- كما أدى سقوط الرُّها بمثل هذه الصورة إلى تحرك الحلف الدفاعي الإستراتيجي القائم بين الكيان الصليبي في الشرق والرحم الأم، فلم يكن ذلك الغرب يسمح لامتداده السياسي، والتاريخي في الشرق أن ينهار قطعة قطعة، بل لا بد من التدخل من أجل إعادة الأمور إلى نصابها وإجهاز فعاليات **إمارة الموصل**، ومن ثم كان قيام **الحملة الصليبية الثانية سنة ٥٤٢هـ** وهي من النتائج المباشرة **لإسقاط الرُّها**، وهو أمر يوضح لنا بجلاء كيف أن قادة الجهاد الإسلامي حاربوا قوى عالمية، ولم تكن مجرد قوى محلية محدودة التأثير والفعالية، وأنهم بالفعل كانوا جزءاً من صراع قاري أو عالمي على نحو يجعل لهم مكانة بارزة في تاريخ المسلمين، وقد مدح الشعراء الإنجاز الكبير الذي قام به عماد الدين لفتحه إمارة الرُّها.

---

١ - د. علي محمد محمد الصَّلاَّبي، عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، النسخة الرقمية



آل زنكي : ينتمي عماد الدين بن آق سنقر بن عبدالله آل ترغان إلى قبائل (السبايو) **التركمانية**، وقد حظي والده أبو سعيد آق سنقر الملقب بقسيم الدولة، والمعروف بالحاجب، باهتمام المؤرخين بسبب الدور الذي لعبه على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية للدولة السلجوقية، وكان آق سنقر من أصحاب السلطان ملكشاه الأول و أترابه، وقيل إنه كان لصيقه، ومن أخصّ أصدقائه، فقد نشأ الرجلان وترعرعا معاً، ولما تسلم ملكشاه الحكم عينه حاجباً له، وحظي عنده فكان من المقرّبين، ووثق به حتى أفضى إليه بأسراره، واعتمد عليه في مهماته، فكان أبرز قادته. ومن أقوى الدلائل على الحظوة التي حازها آق سُنقُر عند السلطان، منحه لقب "قسيم الدولة" ، وهذا يعني الشريك، وكانت الألقاب في تلك الآونة مصونة لا تُعطى إلا لمستحقيها، ويبدو أنه قاسم ملكشاه شؤون الحكم والإدارة، بالإضافة إلى ذلك، فإن آق سُنقُر كان يقف إلى يمين سدة السلطنة ولا يتقدمه أحد، وصار ذلك أيضاً لعقبه من بعده. د. علي الصلابي، المرجع السابق.

القائد التركي؛ نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (رحمهما الله)

ولـد **نـور الدين محمود بن عماد الدين زنكي**، في ١٧ شوال سنة ٥١١هـ، وهو ثاني أولاد عماد الدين زنكي بعد سيف الدين غازي، وقد تأثر أبناء عماد الدين بما كان لأبيهـم من خلال طيبة وفضائل جمّة، فكانوا جميعاً مـن رجال الجهاد وفرسانه، على تفاوت في ذلك بينهم.

وبعـد وفـاة عماد الديـن زنكي، اقتسم ولداه: سيف الدين غـازي ونور الدين محمود دولته، فحكـم الأول **الموصل** وثبّت أقدامه بها، وانفرد الآخر بحكم **حلب**، وكان الحد الفاصـل بين أملاك الأخوين هو **نهر الخابور** في الجزيرة الفراتية، وكان كلا الأخوين مؤهـلاً لما وجهته له الأقدار، فكان سيف الدين غـازي صاحب سياسة وأناة، على حين كان نـور الدين مجاهـداً مخلصاً جياش العاطفة صادق الإيمـان، ميالاً إلى جمع كلمة المسلمين وإخراج الأعداء من ديار المسلمين، مفطوراً على الرقة ورهافة الشعور؛ وهو ما جذب الناس إليه، وحبب القلوب فيه.

وكان على **نور الدين** أن يواصل سياسة أبيه في جهاد الصليبيين، يدفعه إلى ذلك طبيعته المفطورة على حب الجهاد، وملازمته لأبيه في حروبه معهم. وقرب إمارته في حلب في شمالي سوريا من الصليبيين جعله أكثر الناس إحساساً بالخطر الصليبي.

كيف قُتل عماد الديـن زنكـي؟

فكر الصليبيون في كيفية التخلص من **عماد الديـن زنكي**، وبعد تفكير وتقليب فيمـن سيقـوم بهـذه المهمة قـرروا إسنـاد مهمـة الاغتيـال إلى جماعـة معروفة بذلك وبالفعل وفي ٦ ربيع الآخر سنـة ٥٤١ هـ والبطل الفذ عماد الدين زنكي يحاصر أحد القلاع المطلة على نهر الفرات واسمها **قلعة جعبر** قامت مجموعة من **الباطنية الحشاشين** بالاتفـاق مـع الصليبيين بعـد أن قبضـوا الثمـن بالتسلـل إلى معسكـر عمـاد الدين زنكـي واندسوا بـين حراسه وفي الليـل دخلوا خيمته وهـو نائـم وقتلـوه - رحمـه الله - وهكـذا مـات البطل وترجـل الفارس وحـط الراكـب بعد حيـاة طويلة كلها جهاد وكفاح ونصرة للإسلام وأهله، وبعد أن أحيا ما كان مندثراً وأعاد ما كان مفقوداً، ووضع الأساس المتين لمن جـاء بعده فرحمـه الله رحمة واسعة، وغفر له ما كان من خطايا وزلات.

استهـل **نـور الدين** حكمه في سوريا بالقيام ببعض الهجمات على إمارة **أنطاكية** الصليبية، واستولى على عدة قلاع في شمالي الشام ومنطقة الساحل السوري، ثم قضى على محاولة "**جوسلين الثاني**" لاستعادة **الرُّها** التي **فتحها عماد الدين زنكي** وكانت هزيمة الصليبيين في الرُّها أشد من هزيمتهم الأولى، وعاقب نور الدين من خان المسلمين من **أرمن** الرُّها، وخاف بقية أهل البلد من النصارى على أنفسهم فغادروها.

كان نـور الديـن دائم السعـي إلى استمالة القوى الإسلامية المتعددة في الشام وشمال العراق وكسب ودهـا وصداقتها؛ لتستطيع مواجهة العدو الصليبي، فعقد معاهدة مع "معين الدين أنر" حاكم **دمشق** سنة (٥٤١هـ = ١١٤٧م) وتزوج ابنته، فلما تعرض أنر لخطر الصليبيين وكانت تربطه بهم معاهدة وحلف، لم يجـد غـير نور الدين يستجير به بعد الله سبحانه، فخرج إليه، وسارا معاً؛ صاحب دمشق، ونور الدين، واستوليا على **بصرى وصرخد** في جنوبي سوريا قبـل أن يقعـا فـي أيدي الصليبيين، ثم غادر نور الديـن دمشق؛ حتى يبعث في قلب حاكمها الأمان، وأنه لا يفكر إلا فـي القضاء على الصليبيين؛ فتوجه إلى حصون إمارة أنطاكية، واستولى على أرتاح وكفر لاثا وبصرفوت وغيرها.

وعلـى أثـر ذلـك ملك الرعـب قلوب الصليبيين من نور الدين، وأدركوا أنهـم أمام رجل لا يقل كفاءة وقدرة عن أبيه عماد الديـن، وكانوا قد ظنوا أنهم قد استراحوا بموته، لكن أملهم تبدد أمام حماسة ابنه وشجاعته، وكانت سنه إذ ذاك تسعاً وعشرين سنة، لكنه أوتي من الحكمة والتدبير خيراً كثيراً.

وفـي سنـة (٥٤٢هـ = ١١٤٧م) وصلت **الحملة الصليبية الثانية** على الشام بزعامـة لويس السابع وكونراد الثالث، لكنها فشلت في تحقيق أهدافها، كمـا سيتضح لنا في الصفحة ما بعد القادمة، وعجزت عن **احتـلال دمشق** أهم مدن الشام، **ويرجع الفضل فـي ذلك لصبر المجاهدين واجتماع كلمة جيش المسلمين ووحدة صفهم**، وكان للقوات التي جاءت مع سيف الدين غازي وأخيه نور الدين أكبر الأثر في فشل تلك الحملة، واستغل نور الدين هـذه النكبـة التي حلّـت بالصليبيين وضياع هيبتهم للهجوم على أنطاكية بعد أن ازداد نفوذه في الشـام، فهاجم في سنة (٥٤٤هـ=١١٤٩م) الإقليم المحيط بقلعـة **حـارم** الواقعـة على الضفة الشرقية لنهر العاصي، ثم حاصر قلعة إنب، فنهض "ريموند دي بواتيـه" صاحب أنطاكية لنجدتها، والتقى الفريقان في (٢١ من صفر ٥٤٤هـ= آخر يونيو ١١٤٩م) ونجح المسلمون في تحقيق النصر وكان من جملة القتلى صاحب أنطاكية وغيره من قادة الفرنج.



٣ لم يقف نور الدين محمود مكتوف اليدين أمام ما جرى على أرض الرُّها، حيث لبى طلب الحامية التركية المتمركزة فيها، وأسرع من حلب على رأس جيشه ومن انضاف إليه من التركمان وغيرهم، في زهاء عشرة آلاف فارس، قاصداً الرُّها . ولما وصل إليها أقام الحصار عليها، فيما كانت الحامية التركية في القلعة، تمطر المحاصرين بسهامها، فتزرع الفوضى بينهم، وتبددهم. وعندما تحقق جوسلين من قوة الحصار، وتراخي مقاومة الأرمن، وتباطؤ الإفرنج بالمجيء لمعاونته، حاول الخروج من المدينة مع أهاليها الأرمن، واقتحموا جميعاً، جيش المسلمين، بغية اختراقه، والإفلات من الطوق، بالهرب، ولكن أين لهم أن ينفذوا ؟ وقد أحاطت بهم قوى ذلك الجيش من جميع الجهات بسرعة، وأطبقت عليهم فأبادتهم، ولم يسلم من جيش أمير الرُّها السابق، سوى قلة ضئيلة من فرسانه، استطاعوا الفرار برفقته لسرعة جيادهم. أما الأهالي الأرمن الذين وقعوا بيد نور الدين، فقد عوقبوا بما يستحقونه، فهلكوا جميعاً، ومن لم يقتل منهم، أسر وبيع رقيقاً في أسواق حلب في ٣ تشرين الثاني سنة ١١٤٦ م - ٥٤١ هـ وكانت حصيلة هذا الخطأ الذي ارتكبه جوسلين الثاني، بدخوله الرُّها، بعد فتحها من قبل عماد الدين، ما ينوف عن ٤٥٠٠٠ ضحية، ما بين قتيل وأسير من إفرنج وأرمن، وبعد هزيمته، لجأ جوسلين الثاني إلى سُميساط وتحصن في قصره على الجانب الآخر من الفرات .

الحملة الصليبية الثانية

سنة ٥٤١هـ-٥٤٣هـ-١١٤٧-١١٤٩م

قادة الحملة: كورنراد الثالث ملك ألمانيا، ولويس السابع ملك فرنسا

سبب الحملة ومسارها:

استطاع المسلمون بقيادة عماد الدين زنكي ومن ثم ابنه نور الدين محمود من استرجاع **الرُّها** من أيدي الصليبيين كما أوضحنا ذلك في الصفحات السابقة.

وتحتل الرُّها مكانة دينية كبرى لدى النصارى - لكثرة ما فيها من الأديرة والكنائس، ويؤمن النصارى: أن بكنيستها العظمى منديل المسيح عليه السلام!؟ كما بها معالم إسلامية؛ كجامع ينسب للخليل عليه السلام، وأماكن تاريخية أخرى - فخشي الأوروبيون بعد فقدان الرُّها على مصير الإمارات الصليبية الباقية نتيجة لهذه الصحوة الإسلامية المباركة.

وكان الداعي المحرض لهذه الحملة الصليبية **الراهب الفرنسي** (سان برنارد) وكان البابا إذ ذاك (أوجان الثالث)، حيث عقد مجمع كنسي في مدينة فيزولاي في مارس ٥٤٠ هـ - ١١٤٦ م، واستجاب لذلك ملك فرنسا (لويس السابع) وإمبراطور ألمانيا (كونراد الثالث).

سار إمبراطور ألمانيا مع مسار الحملة الصليبية الأولى نفسه واصطدم مع السلاجقة الأتراك المسلمين في **قونية** مما أدى إلى رجوعه إلى **نيقية** ثم **القسطنطينية** لاستخدام سفن حربية للوصول لبيت المقدس بحراً؛ بينما سلك لويس الفرنسي طريق الساحل الأناضولي (انظر الخارطة في الصفحة المقابلة لتوضيح ذلك)، ثم واصل من أنطاكية إلى بيت المقدس حيث كان يريد اللحاق بملك ألمانيا قبل أن يصل إلى بيت المقدس. **فسار أكبر جيشين في أوروبا الغربية** لاسترداد **الرُّها** وتعزيز الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي.

كانت نتائج الحملة الصليبية الثانية إلى الشرق فشلاً كبيراً للصليبيين، ونصراً عظيماً للدويلات الإسلامية. وأدت نتائجها إلى استرجاع المسلمين للقدس كما سيتضح ذلك في الصفحات القادمة، وقيام الحملة الصليبية الثالثة في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي بعد سلسلة من الأحداث في الشام.

كان النصر الصليبي الوحيد في تلك الحملة على الجانب الآخر من البحر الأبيض المتوسط، حيث توقفت سفن الصليبيين الإنجليز في أثناء عبورهم للبحر قرب لشبونة مصادفة، فساعدوا جنود قشتالة في السيطرة عليها عام ١١٤٧ م. وفي تلك الأثناء، في أوروبا الشرقية، كانت أولى الحملات الصليبية الشمالية لتحويل القبائل الوثنية للنصرانية قد بدأت، واستمرت تلك الحملات بعد ذلك قروناً حتى أذعنت جميعها بالنصرانية.

الحملة الصليبية الثانية

بحر بنطس (البحر الأسود)
الإمبراطورية البيزنطية
القسطنطينية
بحر مرمرة
نيقية
آسيا الصغرى
سلاجقة الروم
أسيرون
بحر إيجة
مملكة الأرمن الصغرى
قونية
الرُّها
طرسوس
أنطاكية
حلب
الدولة الزنكية
لوديكيا
أفسوس
اليونان
أنطالية
بلاد الشام
قبرص
طرابلس
سوريا
الخلافة العباسية
كريت
بحر الروم (البحر الشامي - البحر الأبيض المتوسط)
دمشق
بانياس
حيفا
الأردن
بيت المقدس
الكرك
الشوبك
العقبة
ليبيا
الإسكندرية
مصر
القاهرة
الدولة العبيدية
صفر ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ كم



دولة الموحدين (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م)

الموحدون :أتباع حركة دينية سياسية، قامت على **أنقاض دولة المرابطين** وإمارات أخرى، وكانت أطول عمراً من دولة المرابطين وأكثر اتساعاً، إذ ضمّت كل الجزء الباقي كله من الشمال الإفريقي، وفي حين كانت حركة المرابطين حركة فقيه مالكي مثلُها الأعلى تطبيق الشرع وفق أحكام هذا المذهب الفقهي، كانت حركة الموحدين تجمع بين تيارات الفكر الإسلامي آنذاك. ارتبطت نشأة الحركة ونشر مبادئها الدينية والسياسية **بمحمد بن تومرت** الذي ولد في إيجليز الواقعة على منحدرات الأطلس الصغير، ونشأ في وسط قبيلة «هرغة» وما يجاورها من القبائل المصمودية التي تعمر كل الأطلس.

في سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م ارتحل ابن تومرت إلى الأندلس ومنها إلى مصر والشام والديار المقدسة والعراق، حيث كان يأخذ العلم ويلتقي المفكرين أينما حلّ، وفي رحلة العودة سنة ٥١٠ هـ/١١١٦م عبر مصر ثم طرابس وبعدها تونس ثم قسنطينة ومنها إلى بجاية، وأخيراً في **ملالة** وعلى مقربة منها التقى **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**.

بعد مغادرة ابن تومرت ملالة برفقة عبد المؤمن تدخل رحلة عودته مرحلة جديدة، إذ ستدخل في الأراضي الخاضعة لسلطان المرابطين، وأصبح المضمون السياسي واضحاً في تصرفاته ممتزجاً بعمله آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر؛ لأنه أخذ يتعرض للحكام المرابطين والسلاطين، فطُرد من فاس بأمر من حاكمها إثر تحريض مجموعة من الفقهاء عليه، وفي مرّاكش تعرّض لكبار الموظفين المرابطين، ومن بعدهم لأفراد الأسرة الحاكمة بل للأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، فأُجبر على مغادرة مراكش، فتوجه نحو جبال الأطلس ليستقر في مسقط رأسه **إيجليز**، وفي أثناء تنقله كان يجمع بعض الأتباع من المصامدة لعلّ أشهرهم أبو حفص **عمر بن يحيى الهنتاتي**، الذي كان له دور بارز في بناء دولة الموحدين، وعندما حاول أن ينتقل من ضم الأفراد إلى ضم قبائل مصمودية كاملة عن طريق إرسال المبعوثين، أدرك المرابطون خطر هذه الدعوة الدينية عليهم، فحاولوا القضاء عليه وكادوا ينجحون في ذلك، فانتقل ابن تومرت إلى قلب الأطلس الأعلى ونزل في قرية **تينمل** التي كانت غاية في المنعة والحصانة، وفي هذا الحصن نظّم دعوته التي قامت على مبادئ دينية في الأصل ولكنها ذات أهداف سياسية تهدف إلى تحطيم سلطان المرابطين [١].

---

١ - نجدة خماش، الموسوعة العربية العالمية، مج ١٩، ص ٨٤٥، دار الفكر - دمشق - سوريا .



ينتسب **بنو غانية** إلى قبيلة مسوفة الأمازيغية الطوارقية التي كانت تستوطن ما يعرف الآن بالصحراء الغربية وموريتانيا و الجزائر. أمهم غانية، وكان المرابطون كثيراً ما ينسبون أبناءهم لأمهاتهم لعادت عندهم، وكانت أسرة بني غانية من كبار الأسر في الدولة المرابطية. فهي إذن أسرة أمازيغية قادت ثورة في إفريقية من ٦ شعبان ٥٨٠هـ /١٣ نوفمبر ١١٨٤م إلى ٦٣١هـ/١٢٣٣م (نحو ٥٠ سنة) هدفت إلى إحياء دولة المرابطين والقضاء على دولة الموحدين.

حيث كان أحد أبناء أسرة بين غانية إسحاق بن غانية والياً على الجزر الشرقية باسم المرابطين (منروقة ويابسة وميورقة أو جزر البليار حالياً) فلما رأى ما حل بدولتهم استقل بالجزر، ولكنه رأى أنه من الأحسن له موادعة الموحدين للقوة الكبيرة التي أصبحت عليها هذه الدولة خاصة بعد سيطرتها على كل المغرب (المغرب والجزائر وتونس وليبيا) وأجزاء كبيرة من الأندلس. لكن الموحدين ما إن أكملوا سيطرتهم على الأندلس في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حتى أرسلوا سنة ٥٧٩هـ الرسل له تباعاً يدعونه للدخول في طاعتهم ويحذرونه من مغبة العصيان؛ وهنا تردد إسحاق في البت في الموضوع وخرج في غزوة إلى قطلونيا (كاتالونيا) فاستشهد في هذه الغزوة دون أن يبت الأمر. فلما تولى ابنه محمد بن أسحاق بن غانية الحكم أظهر استعداداً لقبول طاعة الموحدين، غير أن إخوته رفضوا ذلك وعزلوه وولوا عليهم أخاهم علي بن غانية.

وهكذا نرى أن **دعوة ابن تومرت**، وإن كانت قد تغلغلت في قلوب العامة والسذج من الناس، في بعض بلاد المغرب الأقصى والأندلس، فإن ما تحمله من باطل وزيف قد بدا لمن كان عنده شيء من العلم، مما دفع العقلاء من الموحدين وهم حماتها إلى العمل على إزالتها، والسعى لبيان وجه الخطأ فيها، فالمنصور ثالث أمراء الموحدين بعد ابن تومرت عمل على بيان باطلها وسعى لتقويضها ولم يمضِ على انتشارها بين الناس سوى نصف قرن، وهي مدة قصيرة في عمر الدعوات، لكن ما تحمله هذه الدعوة من غلو وشطط جعلت أقرب الناس منها يسعون لتقويضها - كما بينا في السطور السابقة -.

وهنا قد يرد تساؤل وهو: لماذا لم يعلن المنصور الموحدي للناس صراحة بطلان ما دعا إليه ابن تومرت ويعمل جاداً للقضاء على دعوته؟

وللإجابة عن هذا التساؤل يقال: إن الكثير من الناس ببلاد المغرب الأقصى لاسيما العامة وشيوخ الموحدين وزعماء القبائل قد تعلقوا بدعوة ابن تومرت واقتنعوا بصحة ما قال به ودعا إليه، فلو واجههم المنصور بالنقد الصريح أو العمل الجاد للقضاء على دعوة ابن تومرت لنشأ عن ذلك رد فعل خطير من قبل أولئك القوم، وهذا بلا شك جعله يكتفي ببيان موقفه منها دون اتخاذ أي خطوات عملية ضدها[١].

في **بلاد السوس** أسس ابن تومرت مسجداً يجتمع به مع تلاميذه وزعماء قبيلته، حيث التف حوله الكثير من المؤيدين والأنصار فاختار منهم نخبة لتكون قاعدة لدعوته، حيث شرع في تدريسهم على شكل حلقات ودروس منظمة ومن خلال تلك الدروس بث أفكاره بين تلاميذه، وأخذ يعدهم إعداداً خاصاً ، فألف لهم كتاباً سماه كتاب التوحيد بلسانهم البربري قسمه إلى سبعة أحزاب عدد أيام الأسبوع، وأمرهم بقراءة حزب واحد منه في كل يوم بعد صلاة الصبح ، ويحتوي هذا الكتاب على معظم أفكار ابن تومرت والأسس العقدية لدعوته ، ولهذا يذكر ابن أبي زرع أن ابن تومرت قال لتلاميذه : من لا يحفظ هذا (التوحيد) فليس بمؤمن وإنما هو كافر لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته، فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز.

عقيدة الموحدين

أكمل صورة لعقيدة الموحدين نجدها في كتاب «أعز ما يطلب» الذي جمع فيه عبد المؤمن بن علي خليفة المهدي بن تومرت كل تعاليمه، وأول ما يميز هذه التعاليم كونها خليطاً متنافراً غير متجانس من الأفكار، تجتمع منه كل المذاهب والتيارات التي سار معها ابن تومرت كلياً أو جزئياً في إطار السنة، وجعل مبدأ تنزيه وحدانية الله حجر الزاوية بالنسبة إلى مبادئه حتى سُمي الذين آمنوا بدعوته بالموحدين، ولكنه خالفها بأجمعها ودفعة واحدة بقوله **بعقيدة الإمامة والمهدوية على الطريقة الشيعية**، وعدّ الإمامة ركناً من أركان الدين، وعدّ اعتقادها والعمل بها والتزامها ديناً، ومن مقتضيات هذا الالتزام، الهجرة إلى الإمام، كما عدّ أن الإمام لايكون إلا معصوماً من الباطل لهدم الباطل.

ظل محمد بن تومرت يعمل في تينمل مع أصحابه على نشر عقيدته، وتنظيم المجتمع الموحدي، ومحاربة المرابطين.

السحيباني المرجع نفسه

١ - د. حمد بن صالح السحيباني، مجلة البيان، مج ١٨، ص ٦٠.

تسلسل	الحاكم الموحدي	فترته الزمنية
١	أبو عبد الله محمد بن تومرت	٥١٥-٥٢٤هـ/١١٢١-١١٢٨م
٢	عبد المؤمن بن علي	٥٢٧-٥٥٨هـ/١١٣٢-١١٦٣م
٣	أبو يعقوب يوسف الأول	٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٣-١١٨٤م
٤	أبو يوسف يعقوب المنصور	٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٩م
٥	محمد الناصر لدين الله	٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٩-١٢١٣م
٦	أبو يعقوب يوسف الثاني	٦١٠-٦٢٠هـ/١٢١٣-١٢٢٤م
٧	أبو محمد عبد الواحد المخلوع	٦٢٠-٦٢١هـ/١٢٢٤م
٨	أبو محمد عبد الله العادل	٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤-١٢٢٧م
٩	المأمون	٦٢٤-٦٣٠هـ/١٢٢٧-١٢٣٠م
١٠	أبومحمد عبد الواحد الرشيد	٦٣٠-٦٤٠هـ/١٢٣٠-١٢٤٢م
١١	أبو الحسن علي السعيد المقتدر بالله	٦٤٠-٦٤٦هـ/١٢٤٢-١٢٤٨م
١٢	أبو حفص عمر المرتضى	٦٤٦-٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م
١٣	أبو العلاء أبو دبوس الواثق بالله	٦٦٥-٦٦٨هـ/١٢٦٦-١٢٦٩م

جدول بأسماء أمراء الدولة الموحدية (الموحدين)

بلغت **الدولة الموحدية** أوجها في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (١١٦٣-١١٨٤ م) ثم أبي يوسف يعقوب المنصور (١١٨٤-١١٩٩ م) الذي تلقب بالمنصور وعمل على النهوض بالدولة الموحدية والأندلس علمياً وثقافياً، وكان قائداً ماهراً وسياسياً قديراً استطاع عقد الصلح مع مملكة قشتالة، ولكن نقضهم للصلح اضطره لقتالهم في **معركة الأرك** «انظر تفاصيلها في الصفحات القادمة» مع بناء العديد من المدن الجديدة وتشجيع الثقافة والحياة الفكرية (ابن رشد، ابن طفيل).

وبعد موقعة **الأرك** عقدت هدنة بين ملك قشتالة الفونسو الثامن والمسلمين، ولكن ألفونسو استغل الهدنة في تقوية بلاده ومحالفة أمراء النصارى وحين وجد نفسه مستعداً أغار على بلاد جيان وبياسة وأجزاء من مرسية، فاضطر الملك الناصر "محمد بن يعقوب" الذي خلف والده المنصور إلى الذهاب إلى الأندلس لغزو قشتالة فعبر البحر وذهب إلى أشبلية لتنظيم جيشه، ومنها اتجه إلى قلعة "شلطبرة" إحدى قلاع مملكة قشتالة، واستولى عليها بعد حصار ٨ شهور، ولكن الملك الفونسو الثامن دعا البابا أنوسنت الثالث" بروما إلى إعلان الحرب الصليبية ضد الأندلس، وكان من نتاج ذلك أن اجتمع للإسبان ١٢٤٥٥٣ مقاتل انطلقو ليستولوا على حصن رباح والأرك وغيرها وقام المسلمون بجمع جيش مماثل والتقى الجيشان عند حصن العقاب إلا أن الموحدين تلقوا هزيمة قاسية على يد النصرانيين في معركة حصن العقاب (١٢١٢ م) - لم تقم للمسلمين بعد هذه المعركة قائمة- «انظر تفاصيلها في الصفحات القادمة».

بعد سنة ١٢١٣ م بدأت الدولة تتهاوى بسرعة مع سقوط الأندلس في أيدي النصارى (بعد ١٢٢٨ م)، وإفريقية (تونس) في أيدي الحفصيين والمغرب الأوسط (الجزائر) في أيدي بني عبد الواد -الزيانيون- (١٢٢٩-١٢٣٦ م).

يتجلى الازدهار الفكري في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وابنه يعقوب بن يوسف اللذين كانا من المشاركين فيها، وقد هيأتهما لذلك حياتهم في ربوع الأندلس وفي إشبيلية على وجه الخصوص، ويؤثر عن الأول أنه كان أعرف الناس بكلام العرب وأحفظهم لأيامهم ومآثرهم وأخبارهم في الجاهلية والإسلام، وكان مبرزاً في العلوم الدينية من ناحية والفلسفية بجميع فروعها من ناحية ثانية، وقد جمع كتب هذه العلوم من كل جهة حتى توفر له منها عدد يقرب مما كان لدى الحكم المستنصر الخليفة الأموي الشهير، كما استقدم العلماء المشاهير في هذا الباب، واستصحب محمد بن الطفيل الفيلسوف الشهير الذي عمل في ميدان الجمع بين الحكمة والشريعة، ولم يقتصر دور ابن الطفيل على مصاحبة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، بل كان يدل على العلماء من جميع الأقطار، فكان الوساطة لجلب أبي الوليد محمد بن رشد الذي اتصل منذ ذلك الوقت ببلاط الموحدين، وقام بترجمة كتب أرسطو الفلسفية إلى العربية بعنوان «كتاب الجوامع»، ثم لخصها بعد ذلك وشرح أغراضها بناء على طلب الخليفة.



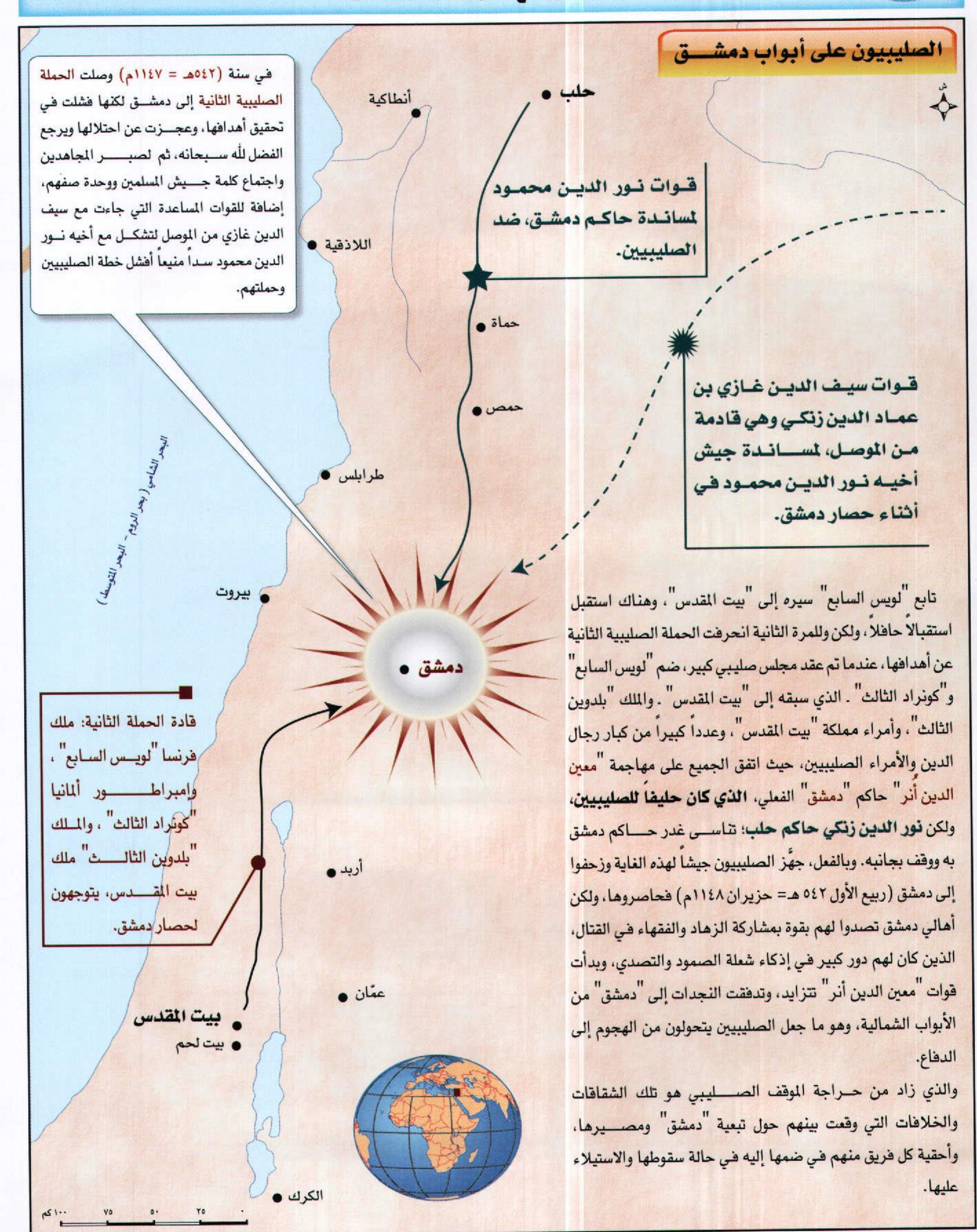
١ - **المرحلـة الأولى:** الاستيـلاء على تلمسان ووهران في المغرب الأوسط، وقد تمت هذه المرحلة **سنة ٥٣٩هـ** - ١١٤٤م.

٢ - **المرحلـة الثانيـة:** الاستيلاء على بلاد المغرب الأقصى بما في ذلك مراكش وفاس وبقية المغرب إلى الزقاق وهو مضيق جبل طارق وقد تمت سنة **٥٤٢هـ**.

٣ - **المرحلة الثالثة:** فتح بقية المغرب الأوسط وقد تمت بدخول الموحدين مدينة الجزائر سنة **٥٤٨هـ** - ١١٥٣م.

٤ - **المرحلة الرابعة:** بسط فيها الموحدون سلطانهم على إفريقية بما في ذلك شرق إقليم طرابلس ليبيا وقاموا باستعـادة المهديـة وجزيرة جربة تونس وبقية سواحـل إفريقية من النورمان، وقد تمت سنـة **٥٥٥هـ** - ١١٦٠م التي تسمـى **سنة الأخماس**، وبذلك يكون الموحدون أول مـن وحد بلاد المغرب (المغرب العربي) كله عدا برقة وما يليها شرقاً إلى حدود مصر.

الصليبيون على أبواب دمشـــق



تابع "لويس السابع" سيره إلى "بيت المقدس"، وهناك استقبل استقبالاً حافلاً، ولكن وللمرة الثانية انحرفت الحملة الصليبية الثانية عن أهدافها، عندما تم عقد مجلس صليبي كبير، ضم "لويس السابع" و"كونراد الثالث" - الذي سبقه إلى "بيت المقدس" - والملك "بلدوين الثالث"، وأمراء مملكة "بيت المقدس"، وعدداً كبيراً من كبار رجال الدين والأمراء الصليبيين، حيث اتفق الجميع على مهاجمة "معين الدين أُنر" حاكم "دمشق" الفعلي، **الذي كان حليفاً للصليبيين،** ولكن **نور الدين زنكي حاكم حلب**؛ تناسـى غدر حـاكم دمشق به ووقف بجانبه. وبالفعل، جهَّز الصليبيون جيشاً لهذه الغاية وزحفوا إلى دمشق (ربيع الأول ٥٤٢ هـ= حزيران ١١٤٨م) فحاصروها، ولكن أهالي دمشق تصدوا لهم بقوة بمشاركة الزهاد والفقهاء في القتال، الذين كان لهم دور كبير في إذكاء شعلة الصمود والتصدي، وبدأت قوات "معين الدين أنر" تتزايد، وتدفقت النجدات إلى "دمشق" من الأبواب الشمالية، وهو ما جعل الصليبيين يتحولون من الهجوم إلى الدفاع.

والذي زاد من حـراجة الموقف الصـــليبي هو تلك الشقاقات والخلافات التي وقعت بينهم حول تبعية "دمشق" ومصـــيرها، وأحقية كل فريق منهم في ضمها إليه في حالة سقوطها والاستيلاء عليها.



١ استغل **نور الدين** هذه النكبة (الفشل في حصار دمشق) ، والتي حلّت بالصليبيين وضياع هيبتهم للهجوم على **أنطاكية** بعد أن ازداد نفوذه في الشام، فهاجم في سنة (٥٤٤هـ=١١٤٩م) الإقليم المحيط بقلعة **حارم** الواقعة على الضفة الشرقية لنهر العاصي، ثم حاصر قلعة إنب، فنهض "ريموند دي بواتيه" صاحب أنطاكية لنجدتها، والتقى الفريقان في (٢١ من صفر ٥٤٤هـ= آخر يونيو ١١٤٩م)، **ونجح المسلمون في تحقيق النصر، وكان من جملة القتلى صاحب أنطاكية وغيره من قادة الفرنج** وممن قال فيه القيسراني في قصيدته المشهورة التي أولها:

هذي العزائم لا ما تدعي القضب ... وذي المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهمم اللاتي متى خطبت ... تعثرت خلفها الأشعار والخطب

صافحت يا ابن عماد الدين ذروتها ... براحة للمساعي دونها تعب
ما زال جدك يبني كل شاهقة ... حتى بنى قبة أوتادها الشهب

أغرت سيوفك بالإفرنج راجفة ... فؤاد رومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة ... أودى بها الصلب وانحطت بها الصلب

طهرت أرض الأعادي من دمائهم ... طهارة كل سيف عندها جنب

الصراع على ضم مصر بين نور الدين والصليبيين

كان فتح **مصر** من أعظم منجزات **نور الدين محمود** - رحمه الله -، فقد تمكن من إسقاط **الدولة الفاطمية العبيدية**، التي استمرت أكثر من قرنين تنشر الفساد السياسي والخلل العقدي في أنحاء العالم الإسلامي، فهي التي أعانت الصليبيين في احتلال بلاد الشام بتحالفها وتآمرها معهم، وهي التي تبنت المذهب الباطني ونشرته في ديار المسلمين، وعندما سادت الفوضى إدارة الحكم فيها، وتحكم الوزراء بالأمر دون الخلفاء، **طمع الصليبيون في غزو مصر** فهاجموها المرة، تلو المرة وعندها جرد نور الدين محمود حملاته العسكرية لتخليص مصر من مطامعهم، ولإعادة أرض الكنانة إلى منهج أهل **السنة والجماعة**، وجمع كلمة المسلمين ، ويمكن تلخيص أبرز الدوافع التي أدت إلى غزو مصر ما يأتي :

الدافع الأول : حالة الفوضى التي سادت مصر آخر أيامها، فقد أصبحت الدولة تعاني كثيراً من مظاهر الانحلال والفساد، حتى صار من الأمور الشائعة، أن يصبح الخليفة أو الوزير مقتولاً، خلال الصراع الدائر بين الوزراء أنفسهم، أو بين الوزراء والخلفاء، فقد قتل الظافر على يد وزيره، وتحكم الوزراء فيمن جاء بعده وفي اختيار من يشاءون، وقتل الوزراء بعضهم بعضاً، فقد تولى الوزارة في عام واحد ثلاثة وزراء : **العادل بن رزيك، وشاور وضرغام**، فضعفت الدولة وسادت الفوضى في البلاد ومن أواخر هذا الصراع خروج شاور من مصر، بعد أن طرده "ضرغام" ومن ثم استنجاده بنور الدين محمود، الذي وجد الفرصة مواتية لتوحيد الوحدة الإسلامية في بلاد الشام ومصر.

الدافع الثاني : إن مطامع الصليبيين شجعت القائد المجاهد نور الدين على التفكير جدياً في ضم مصر إلى الجبهة الإسلامية، كما أن تلقيه العهد من الخليفة العباسي في إطلاق يده في بلاد الشام ومصر عام **٥٤٩هـ** شد من عزيمته لإنجاز هذا الأمر .

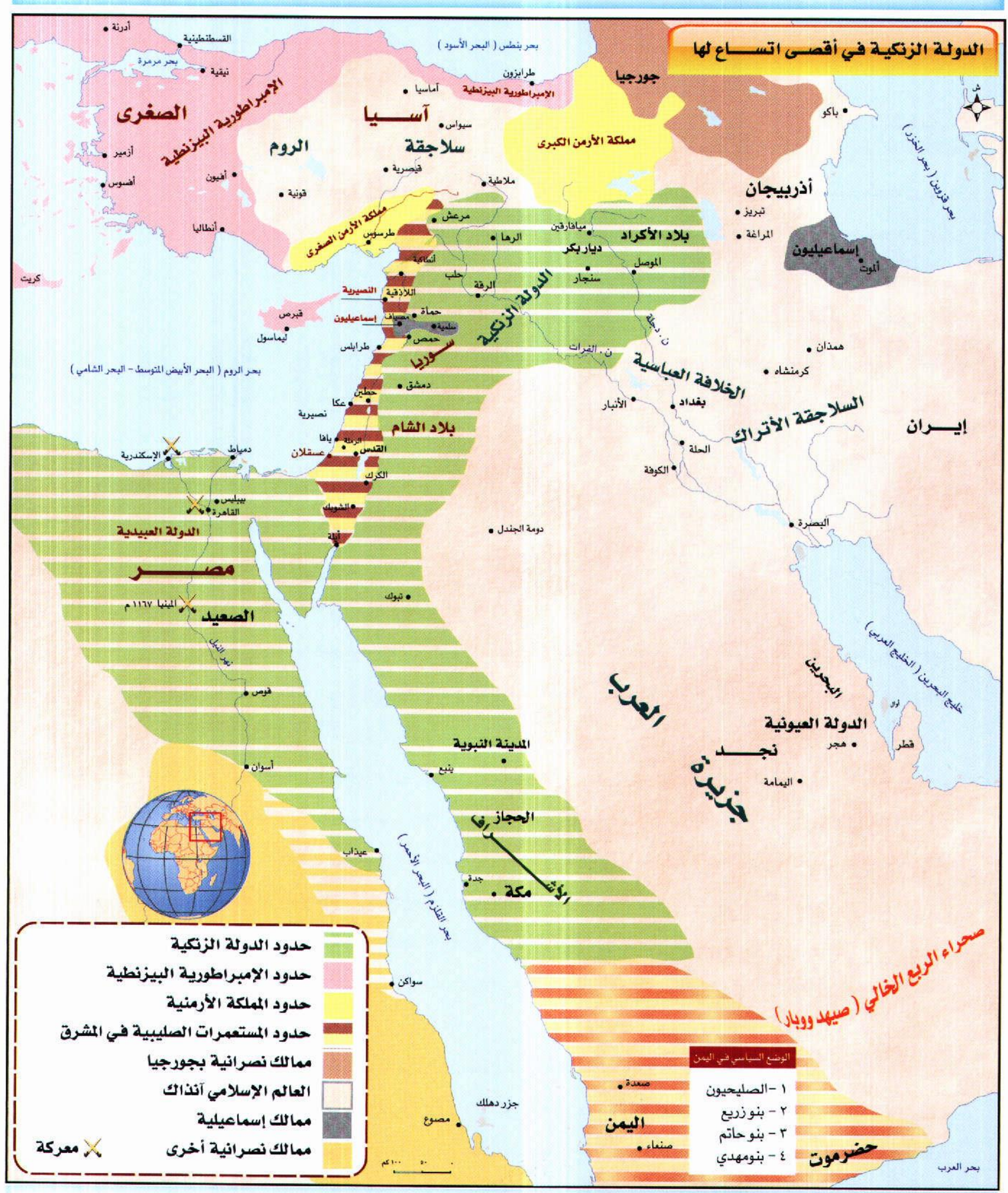
الدافع الثالث : من أقوى الأسباب التي أدت إلى القضاء على الخلافة الفاطمية العبيدية، العامل العقدي، فقد كانت دولة باطنية المعتقد، إسماعيلية المذهب فرقت وحدة المسلمين وتآمرت مراراً مع أعدائهم . فكان لابد من إقامة وحدة قوية في عقيدتها، شرعية في توجهها تضم إلى الخلافة العباسية أرض الكنانة مع بلاد الشام[1].

مسألة في العبيديين؟

يقول ابن تيمية - موضحاً رأي أهل السنة في **ملوك الدولتين الأموية والعباسية** - : "ما قال أهل السنة أن الواحد من هؤلاء كان هو الذي تجب توليته وطاعته في كل ما أمر به، بل كذا وقع، فيقولون تولى هؤلاء وكان لهم سلطان وقدرة ؛ فانتظم لهم الأمر ، وأقاموا مقاصد الإمامة من الجهاد وإقامة الحج والجُمَع والأعياد وأمن السبل ولكن لا طاعة في معصية الله" وعندما طعن العلماء في نسب **العُبيديين** الذين كانوا بمصر والذين تسموا (**الفاطميين**) . وقالوا: ليس لهم أي صلة بنسب علي ابن أبي طالب، وأنهم مجوس ملحدون، فهذا الطعن له أهمية كبيرة ، ويساعدنا على فهم تصرفات هذه الدولة. فهؤلاء العلماء من أمثال أبي حامد الإسفراييني وأبو الحسن القدوري والبيضاوي وابن الأكفاني وغيرهم لا يمكن أن يشهدوا هذه الشهادة تقرباً وتملقاً **للخليفة العباسي ببغداد**، كما يريد أن يصورهم البعض ، وهؤلاء أجلّ من أن يشهدوا زوراً من أجل الخليفة. مجلة البيان، ع ٤ ، ص ٩٠ .

---

١ - بتصرف عن د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك ص ١٣



على عادة **الحكام العبيديين**، كان الحكم بيد الوزراء الذين تحت إمرتهم، وبسبب التنافس المحموم بين الوزراء الثلاثة (شاور . ضرغام . العادل بن رزيك)، قام **شاور** بقتل العادل، لكنه هُزِم أمام جيش ضرغام، ففر شاور من مصر إلى الشام. لجأ شاور إلى القائد **نور الدين محمود** لمساعدته لإقصاء **ضرغام**، وأخذ يغري نور الدين بدخول مصر بصفتها البوابة الجنوبية للصليبيين التي ينبغي تضييق الخناق عليهم منها، استجاب نور الدين لذلك، لدحر الغزاة الصليبيين، ووعد (شاور) نور الدين بإمداده بالجيش والعتاد إذا ساعده لإعادة حكمه في مصر؛ فوجه نور الدين قائد جيشه (أسد الدين شيركوه) وبصحبته ابن أخيه الشاب اليافع يوسف صلاح الدين الأيوبي، ابتدأت من سنة (٥٥٩هـ = ١١٦٤م) واستمرت نحو خمس سنوات وفشلت عدة مرات بسبب خيانة صاحب مصر وتعاونه مع الصليبين والفساد المتفشي، حتى تمكن الزنكويون من دخول مصر مرة ثالثة وقتل **شاور** الخائن وتعيين شيركوه وزيراً عليها .

الدولة الغورية (٥٥٠ -٦١٢هـ، ١١٥٥ - ١٢١٥م)

قامت الدولة الغورية في بلاد **الغور** في أفغانستان الحالية، بين هراة وغزنة. أقام الغور دولة مستقلة في هذه المنطقة تتخذ من **فيروزكوه** عاصمة لها. غزاهم السلطان الغزنوي محمود سبكتكين سنة ٤٠١هـ، ١٠١٠م، وأدخلهم في الإسلام، مع الإبقاء على الحكم في أيديهم. وعلا شأن أمرائهم في ظل السيادة الغزنوية، ولكنهم أخذوا يتحينون الفرص للاستقلال عن غزنة. وكانت المحاولة الأولى على يد أميرهم محمد بن الحسين الذي انتهز فرصة انشغال الغزنويين بدفع خطر السلاجقة، فسار إلى غزنة بغية الاستيلاء عليها سنة ٥٤٣هـ، ١١٤٨م، لكن السلطان الغزنوي بهرام شاه أحبط محاولته وهزمه وقتله. استنكر الغور قتل سلطانهم، فتكتلوا وراء أميرهم الجديد سوري بن الحسين وتمكنوا من الانتقام والاستيلاء على **غزنة**.

لجأ بهرام شاه إلى الهند الغزنوية، وحشد قوات تمكن بها من استرداد غزنة وقتل سوري بن الحسين. وتمكن خلفه علاء الدين الحسين بن الحسين من الاستيلاء على غزنة للمرة الثانية، واستردها منه بهرام للمرة الثانية، وعندما حاول الغور الاستيلاء عليها للمرة الثالثة تركها لهم خسرو شاه بن بهرام وخليفته، واستقر **في لاهور**. فدخل الغور غزنة سنة ٥٥٠هـ، ١١٥٥م.

قويت دولة الغور في عهد أميرها علاء الدين وتطلع إلى توسيع رقعة دولته، فسار إلى خراسان وخربها، وضم إليه بلخ. وتصدى للسلاجقة وهزموه وأخرجوه من خراسان وبلخ. طمع الغور في غزنة بعد وفاة علاء الدين عام ٥٥٦هـ، ١١٦٠م، فاستولوا عليها، واستردها منهم **غياث الدين محمد**، خليفة علاء الدين وابن أخيه. وعقد العزم على القضاء التام على آل سبكتكين حتى يضمن لدولته الاستقرار. فاستولى على بلدان الغزنويين غير الهندية. واستولى أخوه شهاب الدين على ممتلكات الغزنويين بالهند، ودخل لاهور، وقبض على السلطان الغزنوي خسرو شاه، وبذلك فقدت الدولة الغزنوية آخر معاقلها. **واعترفت الخلافة العباسية بالدولة الغورية**. وتوسع الغور على حساب السلاجقة، فضموا إليهم هراة وبوشمنج وبادغيس وبعض البلدان المجاورة لها في إقليم خراسان. واستولى الغور على بلاد السند والبنجاب، وحكمها شهاب الدين الغوري نيابة عن أخيه السلطان غياث الدين، واتخذ **لاهور** مركزاً وسعى للتوسع في بلاد الهند.

خشي الأمراء الراجبوتيون - حكام شمالي الهند - من خطر الغور فحشدوا قواتهم لطردهم من الهند، وتمكنوا في المعركة الأولى من هزيمة الغور، ولكن تمكن الغور من هزيمتهم في العام التالي واستولوا منهم على شمالي الهند، وضموا **دلهي** لملكهم. وحاول الراجبوتيون استرداد ملكهم، ولكنهم فشلوا. وضم الغور إليهم المزيد من بلاد شمالي الهند، واستولوا على **جاولار ونهرواله وكالنجار**، وبذلك سيطروا على أراضي شمالي الهند كلها. واستولوا على إقليم بهار وإقليم البنغال.



قام شهاب الدين الغوري وأعاد ما فعله السلطان محمود الغزنوي فقضى على القرامطة واستعاد ما فقدته الدولة المسلمة وأعاد توحيد حوض السند مرة أخرى وقضى على ثورات المخالفين من بقايا الدولة الغزنوية التي حل معها الضعف والتفكك وبسط سلطانه على البنجاب والسند وشمالي الهند حتى خليج البنغال .

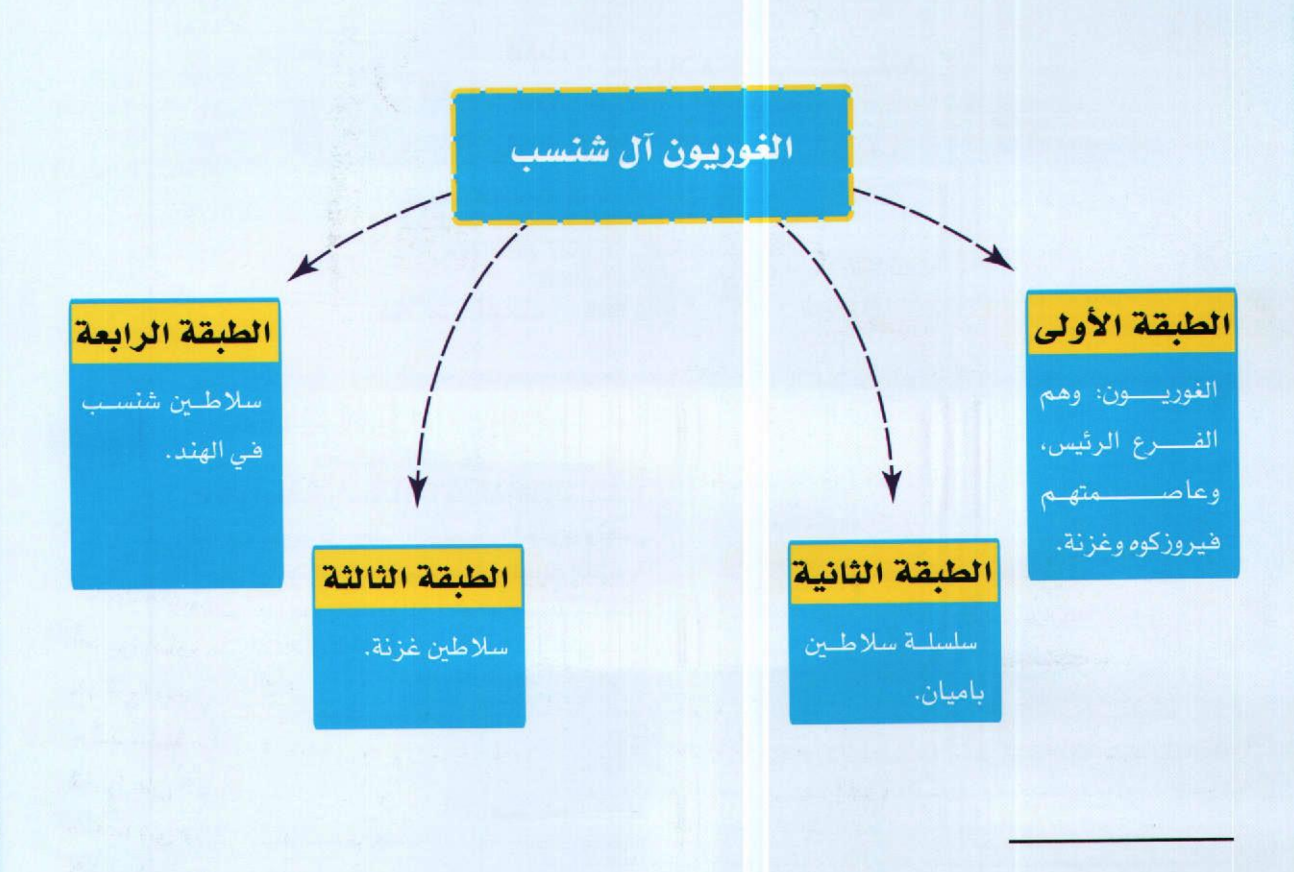
هذه المسكوكة ضربت سنة : ٥٩٨ هـ في عهد الدولة الغورية أيام الحاكم: محمد بن سام في أفغانستان ما بين مدينة بمور أو هراة بمناسبة الانتصارات التي حققها السلطان غياث الدين على الدولة الخوارزمية عام ٥٩٧ هـ ، حيث أراد أن يشعر الناس بحلاوة النصر فضربها وعليها شعاره (الله أعلى) وهو شعار النصر.

الدولة الغورية ٥٥٠ - ٦١٢هـ، ١١٥٥ - ١٢١٥م

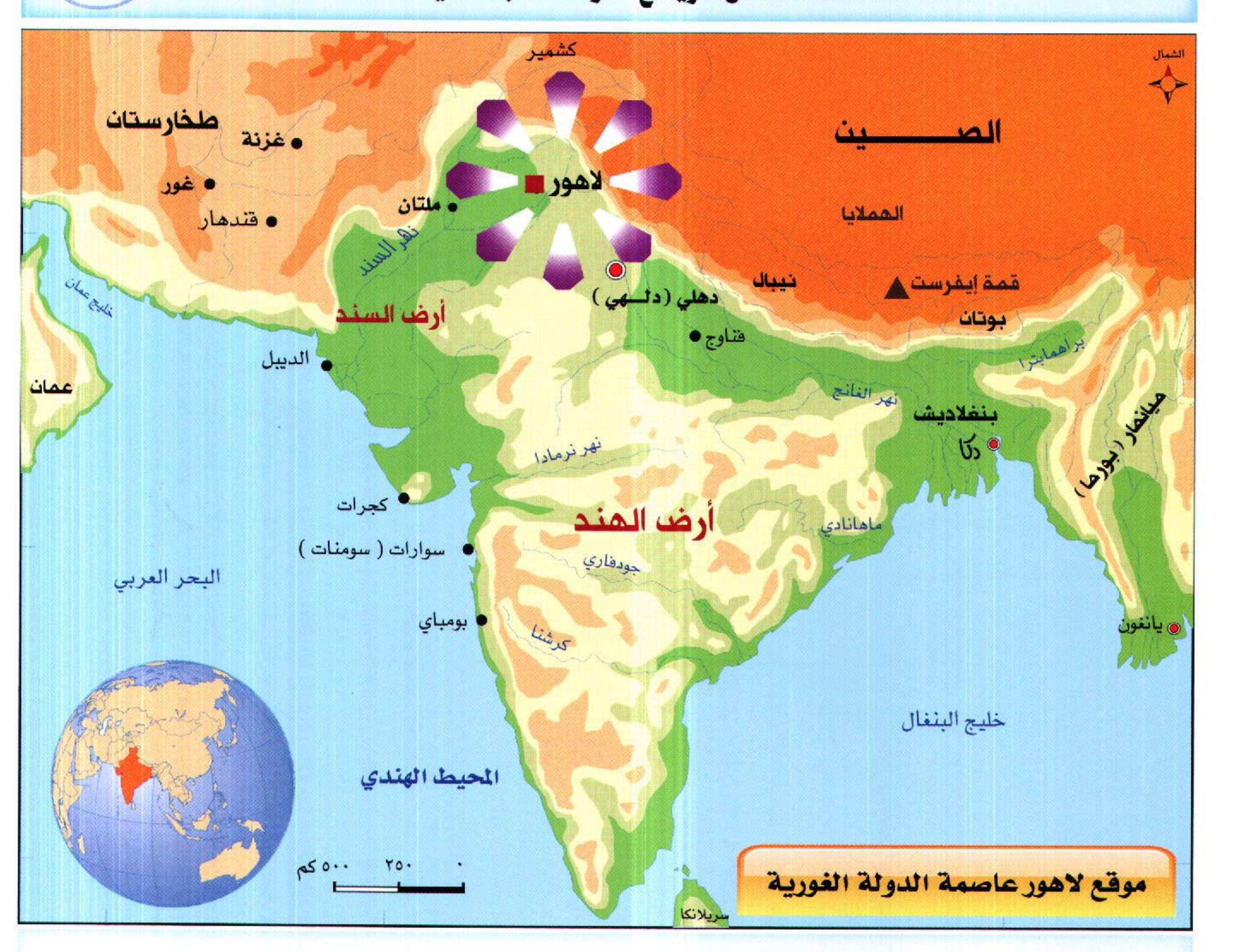
بدأت متاعب الغور في بلاد الهند في مستهل القرن السابع الهجري، وذلك أن بعض الولايات الهندية خرجت على دولة الغور منتهزة فرصة انشغالها بالحروب في إيران. ومن أبرز الانتفاضات ثورة الكهكوية الذين قطعوا الطريق بين غزنة ولاهور، واستفحل أمرهم، فاضطر السلطان الغوري إلى أن يسير إليهم بنفسه ويهزمهم هزيمة نكراء.

سار غياث الدين وشهاب الدين سيرة حسنة في دولتهما، على أن دولتهما اضطربت بعد وفاة السلطان شهاب الدين محمد. فقد تنافس الأمراء على عرش السلطنة وحدثت حروب أنهكت قوى الدولة الغورية، وتسببت في زوالها.

انتهز **الخوارزميون** ضعف الدولة فانتزعوا منها بلاد خراسان، ثم انتزعوا ممتلكات الغور في أفغانستان، وساروا إلى فيروزكوه - عاصمة الغور - وتمكنوا من قتل السلطان الغوري غياث الدين محمود نجل السلطان غياث الدين محمد سنة ٦٠٥هـ، واستولوا بعد هذا على غزنة عام ٦١٢هـ، ١٢١٥م، وأزالوا آخر معاقل الدولة الغورية [١].



١ - الموسوعة المعرفية الشاملة



موقع لاهور عاصمة الدولة الغورية

الغوريون: دخلت قبيلة الشنسباني التي تنحدر من الجبال الواقعة وسط أفغانستان في الإسلام في القرن الـ ١١ م. وضعت القبيلة نفسها ومنذ ١٠١٠ م في خدمة الغزنويين. منذ ١٠٩٩ م، وأصبح الشنسباني ولاة على غزنة من قبل الغزنويين. ثم أسسوا إمارة في فيروز رخ منذ ١١٤٦ م. مع تولي علاء الدين حسين (١١٤٩-١١٦١ م) استولوا على غزنة سنة ١١٥٠ م. ثم سيطروا وحتى ١١٦١ م على كل المناطق التي كانت تحت حكم الغزنويين.

منذ سنة ١١٧٨م بدؤوا حملاتهم على الهند، بشاور والساحل حتى السند (١١٨٢ م)، ثم استولوا على لاهور سنة ١١٨٦ م وقضوا على الغزنويين نهائياً. حكم فرعين للأسرة:

أحدهما في فيروز رخ تحت سلطة غياث الدين (١١٦٣-١٢٠٣ م).

والآخر في غزنة تحت سلطة أخيه معز الدين (١١٧٣-١٢٠٦ م) والذي كان في لاهور منذ ١١٨٦ م. استولى الغوريون على دهلي (دلهي) سنة ١١٩٣ م. وسعوا مملكتهم حتى غوجرات جنوباً والبنغال شرقاً (١٢٠٢). كان مقتل معز الدين بداية النهاية للدولة الغورية. سقطت أفغانستان (١٢١٢ م) في أيدي الخوارزم شاهات والهند (١٢٠٦ م) في أيدي القائد التركي أيبك، الذي أسس دولة المماليك في الهند (سلطنة دلهي).

مصر تحت حكم الدولة الزنكية

كان **نـور الديـن محمـود** يرى إزالة **الدولـة العبيدية** هدفـاً إستراتيجياً للقضـاء على **الوجود الصليبـي**، و**النفوذ الباطنـي** في بلاد الشام، ولذلـك حرص على إعادة **مصر لعقيدة أهل السنة والجماعـة**؛ فوضع الخطط اللازمة وأعد الجيوش المطلوبـة وعين الأمـراء ذوي الكفاءة المنشودة فتم الله له ما أراد على أيدي جنديـه المخلصين (أسد الدين شيركوه) وابـن أخيـه الفتى اليافع والقائد الصالح يوسف صلاح الدين الأيوبي، والأخير طبق سياسة نور الدين الحكيمة الرشيدة، وحق للأمـة الإسلامية وزعمائها أن تفرح بهـذه البشرى الكبيرة من إزالة هذه الدولة الباطنية. فلما انتهى الخبر إلى **الملك العادل نور الدين** بالشام أرسل إلى الخليفة العباسي ببغداد يعلمه الخبر مع ابن أبي عصرونن فزينت بغداد، وغلقت الأبواب وعُملت القبـاب وفـرح المسلمون فرحاً شديداً، وكانت الخطبة قد قَطعـت من ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع العباسّـي حـين تغلب العبيديون (الفاطميُّـون زوراً) عليها أيام المعـزّ العبيدي، بأني القاهرة إلى هـذه الأوانِ، وذلك مائتا سنة وثماني سنين، وقد تفاعل الشعراء مع هذا الحدث المدوّي في أرجاء الدنيا فقد قال العماد الأصفهاني في قصيدته المشهورة :

تـــوفي العاضـــد الـــدعي فمـــا ** يفـــتح ذو بدعـــة بمـــصر فمـــا
وعـــصر فرعونهـــا انقـــضى وغـــدا ** يوســـــفها في الأمـــور محتكمـــا
قـــد طفئـــت جمـــرة الغـــواة وقـــد ** داخ من الـــشرك كـــل مـــا اضـــطرما
وصـــار شمـــلُ الـــصلاح ملتئمـــاً ** بهـــا وعقـــد الـــسداد منتظمـــاً
لمـــا غـــدا مـــشعراً شـــعار بـــني ** العبـــاس حقّـــا والباطـــل اكتتمـــا
وبـــات داعـــي التوحيـــد منتظـــراً ** ومـــن دعـــاة الإشـــراك منتقمـــاً
وظـــل أهـــل الـــضّلال في ظلـــل ** داجيـــة مـــن غيابـــه وعمـــى
وارتبـــك الجـــاهلون في ظلـــل ** لمـــا أضـــاءت منـــابر العُلمـــاء
وعـــاد بالمستـــضيء ممتهـــداً ** بنـــاء حـــقّ قـــد كـــان منُهَـــدِما
واعتلّـــت الّدولـــة الـــتي اضـــطهدت ** وانتـــصر الـــدين بعـــدما اهتُـــضما
واهتزَّ عطـــف الإســـلام مـــن جَـــذَلٍ ** وافتـــرَّ ثغـــر الإيمـــان وابتـــسما
واستبـــشرت أوجـــه الهُـــدى فرحـــاً ** فليقـــرعِ الكُفُـــر سِـــنَّهُ نَـــدما
عـــاد حـــريمُ الأعـــداءِ منتـــهك ** الحِمـــى وفيءُ الطغـــاة مقتـــسماً
قـــصور أهـــل القـــصور أخربهـــا ** عـــامر بيـــت مـــن الكمـــال سَـــمَا
أزعـــج بعـــد الـــسُّكون ســـاكنها ** ومـــات ذُلاً وأنفـــه رَغِمَـــا [1]

---

١ - كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (٢/١٩٥).



البيمارستان النوري في جنوب شرقي جامع البهرمية، بناه نور الدين زنكي في منتصف القرن ١٢م أيام الطبيب ابن بطلان وهو أقدم الأبنية الإسلامية في حلب

القائد يوسف صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ هـ - ٥٨٩هـ) وقيام الدولة الأيوبية

ذكر المؤرخون: أن أسد الدين شيركوه؛ لما مات استقرت الأمور بعده للسلطان **صلاح الدين يوسف** بن أيوب، ابن أخيه فبذل الأموال وملك قلوب الرجال وهانت عنده الدنيا فملكها وشكر نعمة الله تعالى عليه، وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بقميص الجد والاجتهاد، استعداداً لمواجهات مستمرة مع الصليبيين المعتدين من جهة، ومع بدع الدولة العبيدية من جهة أخرى.

ففي الربع الأخير من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، قامت **الدولة الأيوبية** في خضم الأحداث المضطربة، وأخذت على عاتقها مهمة قيادة العالم الإسلامي ومكافحة القوى الأجنبية الغازية؛ فكان على **الصليبيين** أن يواجهوا السياسة التي رسمها الأيوبيون والقائمة على أساس الجهاد ومكافحة الصليبيين. فبعد وفاة نور الدين زنكي، استطاع صلاح الدين الأيوبي **(٥٦٩-٥٨٩ هـ/ ١١٧٣-١١٩٣ م)** أن يرسخ جذور دولته ويوسع حدودها لتشمل **مصر ومعظم بلاد الشام والجزيرة واليمن والموصل**. وبذلك أصبحت ممتلكات الأيوبيين تغطي مساحة شاسعة من العالم العربي آنذاك، ويرجع الفضل الأعظم في تأسيس الدولة الأيوبية بمصر واستمرارها زهاء ثمانين عاماً إلى شخصية السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب القوية وحنكته السياسية، وقدراته العسكرية العالية، وجهاده المتواصل ضد قوى الصليبيين المغتصبين لديار المسلمين، وعن طريق توحيده للجبهة الإسلامية، وجمعه لشمل المسلمين في مصر والشام والجزيرة، والحجاز واليمن، وتأليف كلمتهم، وحسم مادة الفتن بينهم تجنباً لتمزقهم فبذلك ورث صلاح الدين راية الجهاد التي رفعها شرف الدولة مودود، وعماد الدين زنكي، وورث الروح التي سادت في البلاد الإسلامية لدعم الجهاد في سبيل الله لتحرير بيت المقدس، كما ورث جزءاً كبيراً من الجيش الذي أعد للجهاد وأضاف عليه جيش مصر، و**جيش المغرب** الذي انتدبه سلطانه للمشاركة في تحرير بيت المقدس وفلسطين، هذا إلى جانب الجيوش الإسلامية الأخرى.

نسب ومولد صلاح الدين الأيوبي

هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر صلاح الدين. اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من (دوين)، وهي بلدة في آخر أذربيجان وأنهم أكراد روادية، والروادية بطن من الهذبانية، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد.

يقول أحمد بن خلكان: قال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين: إن على باب دوين قرية يقال لها (أجدانقان) وجميع أهلها أكراد روادية وكان شاذي- جد صلاح الدين- قد أخذ ولديه أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما إلى بغداد ومن هناك نزلوا تكريت ومات شاذي بها وعلى قبره قبة داخل البلد.

ولد صلاح الدين سنة ٥٣٢هـ بقلعة **تكريت** لما كان أبوه وعمه بها والظاهر أنهم ما أقاموا بها بعد ولادة صلاح الدين إلا مدة يسيرة، ولكنهم خرجوا من تكريت في بقية سنة ٥٣٢هـ التي ولد فيها صلاح الدين أو في سنة ثلاث وثلاثين لأنهما أقاما عند عماد الدين زنكي بالموصل ثم لما حاصر دمشق وبعدها بعلبك وأخذها رتب فيها نجم الدين أيوب وذلك في أوائل سنة أربع وثلاثين.



٣ كان صلاح الدين جاداً في لم شمل الأمة الإسلامية تحت لواء واحد؛ فبعد وفاة نور الدين محمود، كان ابنه الملك الصالح إسماعيل لا يزال طفلاً، وغير مؤهل لقيادة دفة الحكم، الأمر الذي جعل صلاح الدين يتقدم نحو **دمشق** لضمها تحت سيطرته، وهذا ما حدث في سنة ٥٧٠ هـ، ثم أكمل صلاح الدين سيره فاستولى على **حمص وحماة**، بعد معارك ضد مناوئيه ثم تمكن من دخول **حلب** سنة ٥٧١ هـ وضمها لحكمه.

الأيوبيون في اليمن ٥٦٩ -٦٢٦هـ، ١١٧٣-١٢٢٩م

تمكن السلطان صلاح الدين الأيوبي من إنشاء ملك خالص له في مصر ابتداء من عام ٥٦٧هـ على أنقاض العبيديين، ومد سلطانه إلى الشام ليرث مملكة نور الدين زنكي، ومع ذلك أبقى صلاح الدين على ولائه **للخلافة العباسية في بغداد**، التي أعانته في إضفاء شرعية على طموحه في توسيع مملكته، وكان على صلاح الدين الذي أخذ يحل في مصر قواعد المذهب السني الشافعي محل المذهب العبيدي الشيعي الإسماعيلي، أن يتابع جهاده ضد الصليبيين الذين ظهروا على مسرح الأحداث في الشام ومصر مع نهاية الحكم العبيدي، وكان طموح صلاح الدين في تأسيس مملكة واسعة له قد أقنعه **بضرورة إرسال حملة إلى اليمن لضمها إلى مصر والشام في مجابهته للصليبيين، خاصة أن** اليمن كانت تابعة للدولة العبيدية المنهارة، وإلى جانب الطموح السياسي لصلاح الدين في ضم اليمن إلى ملكه، رويت أخبار عن رسائل من بعض أهل اليمن تشكوا ولاتها وتطالب الدولة الأيوبية في مصر بالقدوم إلى اليمن، فأرسل **صلاح الدين الأيوبي** أخاه **توران شاه** إلى اليمن عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، وكانت اليمن منقسمة على نفسها بين دول وقبائل تتصارع على السيادة والنفوذ، فأخذ الأيوبيون بسهولة أحياناً وببعض الصعوبات أخرى يقضون على تلك الدول دولة فدولة، فبدأوا بدولة **بني مهدي في زبيد**، ثم تحولوا للقضاء على دولة **بني زريع في عدن وتعز ومخلاف جعفر إب**، ثم تطلعوا للقضاء على سلطة **بني حاتم في صنعاء**، وفي الطريق جابهتهم قوات قبلية انتهت إلى صلح بدفع إتاوة مجزية للأيوبيين، وكان السلطان علي بن حاتم قد خرج من صنعاء فاراً من الأيوبيين ووجه لهم في الوقت نفسه من يتفاوض معهم على صلح وافقوا عليه، وفيه دفع لأموال وأحصنة، وبهذا تكون دولة بني حاتم وإن احتفظت بسلطانها قد خضعت هي الأخرى لنفوذ الأيوبيين، ثم اتجه القائد الأيوبي إلى زبيد ومنها إلى تعز ثانية ومنه إلى مخلاف الحجرية حيث استولى على حصونها باستثناء حصن الدملوة، حيث قاوم نائب الزريعين هناك أبو الدر جوهر المعظمي، ثم اختط توران شاه مكان قرية ذي عدينة مدينة تعز كمقر لحكمه بعد نصيحة أطبائه له بأنها طيبة الهواء والمكان الذي يصلح لإقامته، ومع ذلك فإن رسائله وشعره لأخيه صلاح الدين أظهرت شوقه لمصر وبلاد الشام التي افتقدها، وافتقد خيرات لم يجدها في اليمن التي لم تغن عن مصر والشام شيئاً رغم كثرة أموالها وسعة ملكها كما وصفها السلطان صلاح الدين الأيوبي نفسه.

وبقي تاريخ الأيوبيين في اليمن الذي زاد قليلاً عن **نصف القرن** قد توزع بين منافسات ولاة الأيوبيين وحرب الخارجين عليهم من آل حاتم وإمام الزيدية العالم الغزير عبد الله بن حمزة الذي ظهر في الجوف وصعدة عام ٥٨٣ للهجرة محاولاً استغلال ضعف آل حاتم ليستولي على صنعاء وليرسي ثانية نفوذاً للعلويين في اليمن، وهو ما كان الإمام أحمد بن سليمان قد حاوله وهو يشهد تصدع الدولة الصليحية عقب



أصبحت **عكّا** بعد أن استردها الصليبيون؛ أهم مركز لدولة الفرنجة (الصليبية) في الشرق، وحلت محل **بيت المقدس** في الزعامة على المدن الصليبية الأخرى. وأصبح مسماها الجديد مملكة بيت المقدس؛ لتبقى حية في قلوب الغزاة !

وفاة الملكة الصليحية السيدة بنت أحمد، لكن وصول الأيوبيين إلى اليمن أعاقت طموحات الإمام أحمد بن سليمان واضطر لمصالحتهم والاعتراف بنفوذهم في جهاته، ثم دخل الإمام عبد الله بن حمزة في حروب مع زعماء الدولة الأيوبية في اليمن كانت الغلبة فيها لجيوش الأيوبيين، ولعل أحد أسباب الهزيمة هذه يكمن في أن الإمام ابن حمزة كان قد بذل جهوداً حربية وفكرية جبارة للقضاء على فرقة المطرفية المنشقة على المذهب الزيدي وتمكن من إفنائهم فكراً وجسداً.

وكان آخر الولاة الأيوبيين في اليمن السلطان المسعود الأيوبي الذي تمكن من فرض هيبة الأيوبيين على مختلف القوى والمنافسين في اليمن ، وقد عاد إلى مصر عام ٦٢٠هـ لزيارة والده السلطان الأيوبي الكامل مخلفاً الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول نائباً له في اليمن، استمرت غيبة السلطان المسعودي في مصر أربع سنوات تمكن خلالها نائبه في اليمن وأخوته من السيطرة على الأمور في اليمن وتحقيق انتصارات مهمة على المنافسين من أبناء الإمام عبد الله بن حمزة، وغيرهم من رؤساء القبائل الطامحين، فعلت بذلك مكانتهم وعظمت قوتهم، وخُشي من تطلعهم إلى الاستقلال عن الأيوبيين فعاد السلطان الأيوبي المسعود إلى اليمن مكرهاً من قبل أبيه السلطان الكامل كما تذكر المصادر، إذ ما لبث أن عبر عن فرحته حين استدعاه أبوه السلطان الكامل ليتسلم ولاية الشام، فغادر اليمن سنة ٦٢٦ للهجرة مخلفاً عليها صديقه **نور الدين عمر بن علي بن رسول**، وأوصاه بأن يستأثر لنفسه بالملك بعد موته، وألا يسمح لأحد من بني أيوب بدخول اليمن ولو كان أبوه السلطان نفسه مطوياً في كتاب، وقد مات السلطان مسعود في مكة وهو في طريقه إلى الشام، وهكذا مهد السبيل **لظهور الدولة الرسولية** في اليمن على يد مؤسسها نور الدين عمر بن علي بن رسول الذي تلقب بعدئذ بالمنصور.

تسلسل	الحاكم الأيوبي	فترته الزمنية
١	المعظم شمس الدين توران شاه بن أيوب	١١٧٤-١١٧٥ م
٢	العزيز سيف الإسلام ظهير الدين طغطكين بن أيوب	١١٨٤-١١٩٤ م
٣	معز الدين إسماعيل بن طغطكين	١١٩٤-١٢٠٤ م
٤	الناصر أيوب بن طغطكين	١٢٠٣-١٢١٥ م
٥	المظفر سليمان بن طغطكين	١٢١٥-١٢١٦ م
٦	المسعود صلاح الدين يوسف بن طغطكين	١٢١٦-١٢٢٩ م

الحكام الأيوبيون في اليمن


اليمن تحت حكم الأيوبيين
الشمال
ظهور عبد الله بن حمزة في الجوف اليماني وصعدة عام ٥٨٣ للهجرة محاولاً استغلال ضعف آل حاتم ليستولي على صنعاء وليرسي ثانية نفوذاً العلويين في اليمن.
تهامة
نجران
صعدة
الجوف
عثر
المخلاف السليماني
حرض
حوث
عبس
٣
القضاء على سلطة بني حاتم في صنعاء.
قمران
الزيدية
صنعاء
مأرب
اليمن
١
بدأ الأيوبيون بالتخلص من دولة بني مهدي في زبيد.
الحديدة
بيحان
تهامة
بحر القلزم (البحر الأحمر)
رداع
حبان
زبيد
حضرموت
زقر
إب
مخلاف جعفر
البيضاء
حنيش الكبرى
تعز (عدينة)
٢
القضاء على دولة بني زريع في عدن وتعز ومخلاف جعفر إب.
المخا
اختط توران شاه مكان قرية ذي عدينة مدينة تعز كمقر لحكمه.
عصب
ج. فاطمة
التربة
عدن
ج. بريم
مضيق باب المندب
أرض الحبشة
خليج عدن
بحر العرب
٠ ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ ١٢٠ كم

صلاح الدين الأيوبي وصاحب حصن الكرك (أرناط)


عملة صليبية تعود إلى أرناط (صاحب الكرك)

بعد أن أصبح الجيشان الشامي والمصري تحت قيادة واحدة، رأى **صلاح الدين** تأديب صاحب الكرك؛ ففي سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م. قام أحد القادة الصليبيين يدعى رينو الشاتيوني (Renaud de Chatillon)، صاحب حصن الكرك (جنوب شرقي الأردن)، والمعروف في المصادر الإسلامية باسم **أرناط**، بتجهيز مراكب وشحنها بالرجال وآلات القتال، ومضى بها نحو **عيذاب**، فقطعوا طريق التجار وشرعوا في القتل والنهب والأسر، ثم توجهوا إلى أرض **رابغ بالحجاز** وتعذر على الناس وجه الاحتراز فعظم البلاء... وأشرف أهل **المدينة النبوية** منهم على خطر ويرى ابن جبير : أنهم كانوا عازمين على دخول مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإخراجه من قبره الشريف. فلما وصل الخبر إلى **مصر**، أمر الملك العادل (شقيق صلاح الدين ونائبه بمصر) الحاجب حسام الدين لؤلؤ، فعمر المراكب بالرجال البحرية ذوي التجربة من أهل النخوة للدين والحمية، مع أنجاد من المغاربة البحريين وسار إلى **إيلة**، فظفر بالمركب الفرنجي عندها، فخرق السفينة وأخذ جندها، ثم عدّى إلى **عيذاب** وشاهد بأهلها العذاب ودل على مراكب العدو فتبعها فوقع بها بعد أيام فأوقع بها وواقعها ورد عليهم ما أخذ لهم... وعاد إلى **القاهرة** ومعه الأسارى. فكتب السلطان إليه بضرب رقابهم وقطع أسبابهم، بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يعرف. بعداً دينياً، بمعنى أن هدفها كان هو الهجوم على الأراضي الإسلامية المقدسة (إخراج رفات الرسول صلى الله عليه وسلم من قبره الشريف).

حرص القائد **صلاح الدين** منذ تأسيسه للدولة الأيوبية في تأمين سلامة المرور في البحر الأحمر، وتأمين الملاحة فيه للسفن الإسلامية، إذ كان قيام إمارة **الكرك الصليبية** حافزاً على بذل مزيد من الجهود لتنفيذ سياسته في البحر الأحمر سواء ما يتعلق بالتجارة الشرقية أو **بسلامة الحجاج** الذين كانوا يسلكون منذ أن سيطر الصليبيون على المناطق الجنوبية من الشام الطريق النهري عبر النيل إلى قوص ومنها في الصحراء الشرقية عبر وادي العلاقي إلى ثغر عيذاب ومن عيذاب بالسفن المعروفة بالجلاب إلى **جدة** وتحول درب الحج بذلك من سيناء إلى عيذاب، ولتأمين الملاحة في البحر الأحمر، وقصره على خدمة المصالح الإسلامية كان لزاماً عليه التصدي لكل محاولة للعبث في هذا البحر والبطش بأي قوة صليبية تقدم على التسلل إلى عمق هذا المعبر المائي المهم اقتصادياً وإستراتيجياً. ولهذا حرص على تحصين مدخل البحر الأحمر الشمالي بالسيطرة على قلعة إيلة التي كان الصليبيون قد اتخذوها لاعتداءاتهم المتكررة منذ أن أسسها بلدوين ملك بيت المقدس في سنة ٥١٠ هـ وحصنها وبنى قلعة أخرى منيعة في جزيرة فرعون القريبة من الساحل فأصبحت هي وقلعة إيلة تتحكمان في القوافل المارة بين مصر والشام والحجاز.



تشير المصادر التاريخية؛ إلى أن **المغاربة** شاركوا إخوانهم **بمصر** في التصدي لما عرف في التاريخ **بحملة البحر الأحمر**، ويعتقد أحد الباحثين المعاصرين، أن اسم حسام الدين يدعو إلى التفكير في الأمير حسام الدين لؤلؤ، قائد أسطول صلاح الدين الذي أنزل بقوات **أرناط** صاحب إمارة الكرك الصليبية هزيمة نكراء في **موقعة الحوراء سنة ٥٧٨ هـ.** فقد عرف المغاربة بمهارتهم في قيادة السفن والملاحة في البحر منذ عصر مبكر، وذاعت شهرتهم في الجهاد البحري في العصر الأيوبي، فكان البحريون منهم موضع احترام للناس وتبجيلهم، فكان يقال لهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة في أعداء الله، وكان قد اشترك منهم عدد كبير في مهاجمة مراكب الصليبيين عند **رابغ** و**عيذاب** وقت تعرضها لعدوان أرناط، واستعان الحاجب حسام الدين لؤلؤ بجماعة من أنجادهم في مراكب عمرت من **مصر** والإسكندرية في مهاجمة مراكب الفرنج وحرقها وأسر من كان بها.

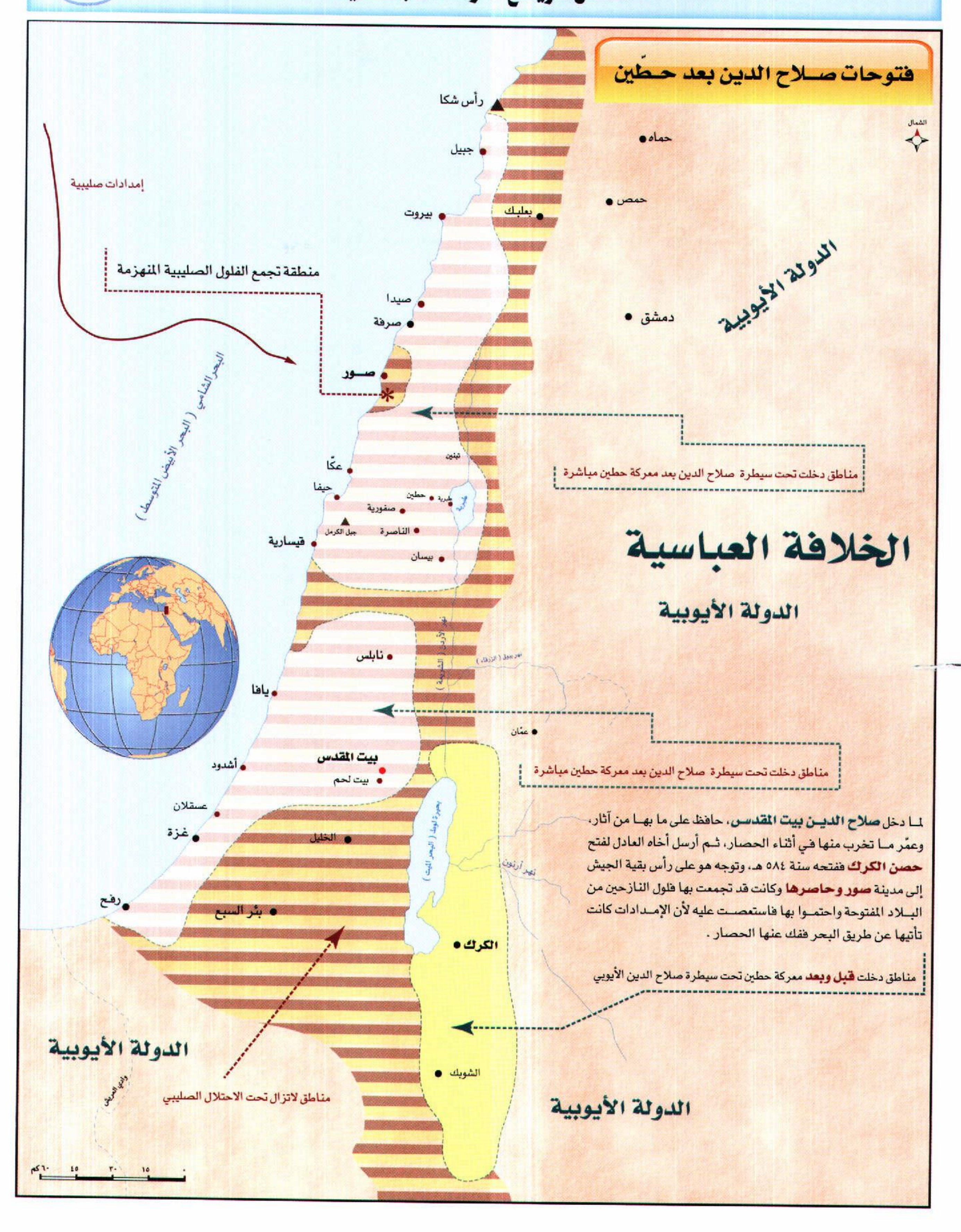
تحرير عكّا وبعض المدن المحتلة

رحل صلاح الدين طالباً **عكّا** فكان نزوله عليها يوم الأربعاء وقاتل **الصليبيين** بها صباح يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة ٥٨٣هـ فأخذها واستنقذ من كان بها من أسارى المسلمين وكانوا أكثر من أربعة آلاف نفس، واستولى على ما فيها من الأموال والذخائر والبضائع لأنها كانت مظنة التجار، وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة، فأخذوا **نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة**، وكان ذلك لخلوها من الرجال لأن القتل والأسر أفنى كثيراً منهم، ولما استقرت قواعد عكّا وقسم أموالها وأسراها، سار يطلب **تبنين** فنزل عليها يوم الأحد ١١ جمادى الأولى، وهي قلعة منيعة فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها، فقاتلوا قتالاً شديداً ونصره الله سبحانه عليهم، فتسلمها منهم يوم الأحد ١٨ عنوة، وأسر من بقي فيها بعد القتل، ثم رحل عنها إلى **صيدا** فنزل عليها وتسلمها في غد يوم نزوله عليها وهو يوم الأربعاء العشرون من جمادى الأولى، وأقام عليها ريثما قرر قواعدها، وسار حتى أتى **بيروت** فنازلها ليلة الخميس ٢٢ من جمادى الأولى وركب عليها المجانيق وداوم الزحف والقتال حتى أخذها في يوم الخميس ٢٩ من الشهر المذكور، وتسلم أصحابه **جبيل** وهو على **بيروت**، ولما فرغ من هذا الجانب رأى أن قصده **عسقلان** أولى؛ لأنها أيسر من **صور** فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد ١٦من جمادى الآخرة من السنة نفسها، وتسلم في طريقه إليها مواضع كثيرة **كالرملة والداروم**، وأقام في عسقلان المناجيق وقاتلها قتالاً شديداً وتسلمها في يوم السبت نهاية جمادى الآخرة من السنة ٥٨٣ هـ، وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه **غزة وبيت جبريل والنطرون** بغير قتال وكان بين فتح عسقلان وأخذ الإفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة، فإنهم كانوا قد أخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨هـ.

قراءة في خطاب أوربان الثاني

لم تكن هزيمة الصليبيين في حطين هزيمة عابرة، وإنما كانت فاجعة حلت بهم؛ وغدت فلسطين عقب حطين في متناول قبضة صلاح الدين، فشرع يفتح البلاد والمدن والثغور الصليبية واحدة بعد الأخرى، حتى توج جهوده بتحرير بيت المقدس في (٢٧ من رجب ٥٨٣هـ = ١٢ من أكتوبر ١١٨٧م) كما سيأتي توضيحه - إن شاء الله تعالى -.

لقد هزم صلاح الدين الصليبيين في حطين وقتل منهم ثلاثين ألفاً وأسر مثلهم، وأسر سائر أمرائهم وفرسانهم، وفي مقدمتهم ملك بيت المقدس الذي سقاه صلاح الدين قدحاً من الماء وأحسن رعايته، بينما توعد أرناط أمير الكَرَك، الذي قتله صلاح الدين بيده وفاءً لنذر نذره، لأنه كان يؤذي الحُجاج المسلمين، وينقض المعاهدات، ويهدد بالسير إلى قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليعتدي عليه، ووصلت طلائع جيش أرناط إلى عيذاب ورابغ على البحر الأحمر كما ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم (أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى).



لما دخل **صلاح الدين بيت المقدس**، حافظ على ما بها من آثار، وعمّر ما تخرب منها في أثناء الحصار، ثم أرسل أخاه العادل لفتح **حصن الكرك** ففتحه سنة ٥٨٤ هـ، وتوجه هو على رأس بقية الجيش إلى مدينة **صور وحاصرها** وكانت قد تجمعت بها فلول النازحين من البلاد المفتوحة واحتموا بها فاستعصت عليه لأن الإمدادات كانت تأتيها عن طريق البحر ففك عنها الحصار.

فتح بيت المقدس ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ

قال المقريزي: وسار السلطان "وقد اجتمعت إليه العساكر" يريد **فتح بيت المقدس**، فنازله يوم الأحد خامس عشر رجب، وبه حشود الفرنج وجميعهم، فنصب المجانيق، **واقتتل الفريقان أشد قتال**، استشهد فيه جماعة من المسلمين، وأيد الله بنصره المسلمين، حتى تمكنوا من **السور ونقبوه**، وأشرفوا على أخذ البلد فسأل الفرنج حينئذ الأمان، فأعطوه بعد امتناع كثير من السلطان، على أن يعطي كل رجل من الفرنج عن نفسه عشرة دنانير مصرية، سواء كان غنياً أو فقيراً، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل طفل من الذكور والإناث دينارين. ثم صولح عن الفقراء بثلاثين ألف دينار **وتسلم المسلمون القدس يوم الجمعة سابع عشر رجب**، وأخرج من فيه من الفرنج، وكانوا نحو الستين ألفاً، بعدما أسر منهم نحو ستة عشر ألفاً، مابين رجل وأمرأة وصبي، وهم من لايقدر على شراء نفسه. وقبض السلطان من مال المفاداة ثلاثمائة ألف دينار مصرية، سوى ما أخذه الأمراء، وما حصلت فيه الخيانة. والتحق من كان بالقدس من الفرنج **بصور**، وتسامع المسلمون بفتح بيت المقدس، فأتوه رجالاً وركابنا من كل جهة لزيارته،حتى كان من الجمع ما لا ينحصر، فأقيمت فيه الجمعة يوم الرابع من شعبان، و**خطب القاضي** محيي الدين بن الزاكي بالسواد خطبة بليغة، دعا فيها للخليفة الناصر والسلطان صلاح الدين، وانتصب بعد الصلاة زين الدين بن نجا، فوعظ الناس.

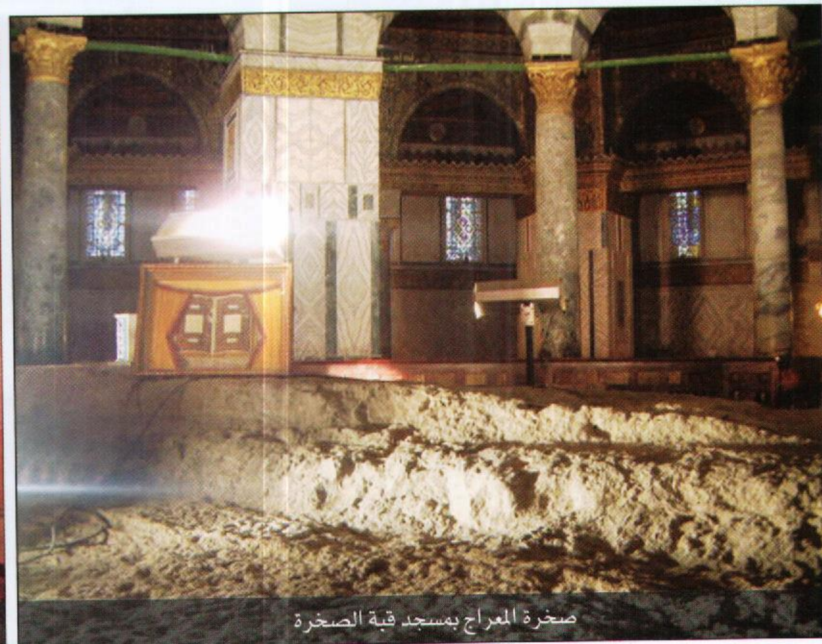
وأمر السلطان بترميم المحراب العمري القديم، وحمل منبر مليح من حلب ، ونصب بالمسجد الأقصى، وأزيل ما هناك من آثار النصرانية، وغسلت الصخرة بعدة أحمال ماء ورد، وبخرت وفرشت، ورتب في المسجد من يقوم بوظائفه، وجعلت به مدرسة للفقهاء الشافعية، وأغلقت كنيسة القيامة، ثم فتحت، وقرر على من يرد إليها من الفرنج قطيعة يؤديها. وخرجت البشائر إلى الخليفة بالفتح، وإلى سائر الأطراف. ورحل السلطان عن القدس لخمس بقين من شعبان يريد عكا، وسار العزيز عثمان إلى مصر فكان آخر العهد به. وسار العادل مع السلطان، فنزلا على عكا أول شهر رمضان ، ثم رحل السلطان منها، ونزل على صور في تاسعه، وكانت حصينة، وقد استعد الفرنج فيها، فتلاحقت العساكر بالسلطان، ونصب على صور عدة من المجانيق وحاصرها، واستدعى السلطان الأسطول من مصر، فقدم عليه عشر شواني، وصار القتال في البر والبحر فأخذ الفرنج خمس شوان، ووردت مكاتبة الخليفة على السلطان، وفيها غلظة وإنكار أمور، فأجاب بالاعتذار، ورحل عن صور في آخر شوال. وعادت العساكر إلى بلادها، **وأقام السلطان بعكّا**، وسار العادل إلى مصر، فطرق الفرنج قلعة كوكب، وقتلوا بها جماعة من المسلمين، ونهبوا ما كان بها، وأتته على عكّا رسل الملوك بالتهنئة من الروم والعراق وخراسان بفتح بيت المقدس. السلوك لمعرفة دول الملوك - (ج ١ / ص ١٩).

كان أول ما قال محيي الدين بن الزاكي في مستهل خطبته بعد فتح بيت المقدس: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين). ثم أورد تحميدات القرآن كلها، ثم قال: " الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاض على العباد من طله وهطله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يمانع، والظاهر على خليقته فلا ينازع، والآمر بما يشاء فلا يراجع، والحاكم بما يريد فلا يدافع، أحمده على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره، ومطهر بيت المقدس من أدناس الشرك وأوضاره، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر إجهاره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى به ربه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك، ورافض الإفك، الذي أسري به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وعرج به منه إلى السموات العلى، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، ما زاغ البصر وما طغى، صلى الله عليه وسلم، وعلى خليفته الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك، ومكسر الأصنام، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ". ثم ذكر الموعظة وهي مشتملة على تغبيط الحاضرين بما يسره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس. ابن كثير: البداية والنهاية - (ج ١٢ / ص ٣٩٧).

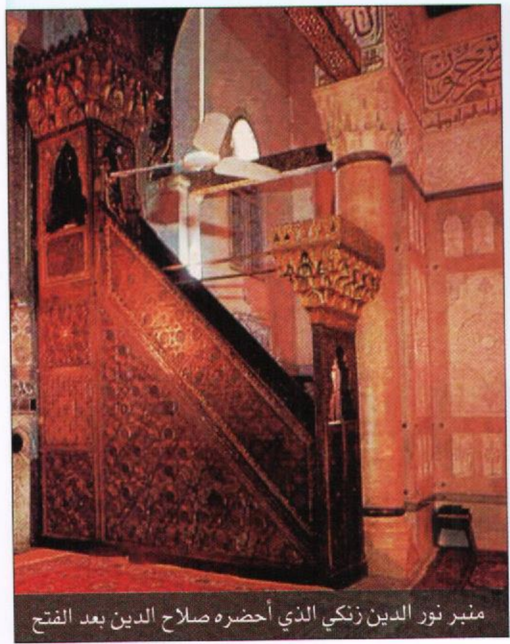


دخل **صلاح الدين الأيوبي** المسجد الأقصى ليلة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ، وأدرك عدم إمكانية الصلاة في المسجد بسبب الحالة التي كان عليها المكان الطاهر؛ حيث قام الصليبيون بتحويله إلى حظيرة خنازير، ولذا لم تعقد بالمسجد الأقصى صلاة أول جمعة بعد فتح بيت المقدس مباشرة، وإنما جاءت **خطبة الجمعة الأولى** بعد ذلك في المسجد في يوم ٤ شعبان سنة ٥٨٣ هـ، وقد ألقى الخطبة في ذلك اليوم محيي الدين بن الزاكي وهو أحد الأئمة الكبار، وأقدم **صلاح الدين** على إظهار ما كان يتمتع به من وفاء عندما أمر بإحضار المنبر من دمشق الذي كان **نور الدين محمود** قد أمر بصنعه، وذلك حتى يصعد عليه الخطيب عند إلقائه لأول خطبة جمعة بالمسجد الأقصى بعد تحريره – تقدم الحديث عنه –وهذا من خلق الوفاء الذي امتاز به صلاح الدين ، لذلك مكّن الله على يدي هذا المسلم الكردي إعادة فتح بيت المقدس .

صورة بانورامية للمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة داخل السور القديم بمدينة القدس الشريفة (فك الله أسرها)



صخرة المعراج بمسجد قبة الصخرة



منبر نور الدين زنكي الذي أحضره صلاح الدين بعد الفتح

حصار عكّا



■ كان السلطان صلاح الدين الأيوبي، قد عانى الأهوال في حصار عكّا الذي استمر أكثر من سنتين، ومع ذلك صابر الكفار كل هذه المدة قال عنه القاضي الفاضل: «وأما صبره في الجهاد، فقد رأيته بمرج عكّا وهو على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دمامل كانت ظهرت عليه من وسطه إلى ركبتيه بحيث لا يستطيع الجلوس، ومع ذلك كله يركب من بكرة النهار إلى صلاة الظهر يطوف على الأطلاب، ومن العصر إلى المغرب ، وهو صابر على شدة الألم ، وكان يقول: إذا ركبتُ يزول عنّي ألمها حتى أنزل» .

الحملة الصليبية الثالثة

ســــنة ٥٨٥ - ٥٨٨ هـ - ١١٨٩ م - ١١٩٢ م

قادة الحملة: فرديرك بربروسا (إمبراطور ألمانيا)، فيليب أغسطس (ملك فرنسا)، وريتشارد قلب الأسد (ملك إنجلترا)

ســبب الحملة ومسارها:

بينمــا كان الصليبيــون يحاصــرون مدينة **عكّا** كانت ممالــك أوروبا تستعد لحــرب صليبية ثالثــة؛ إثر الانتصــارات الباهرة التي سجلهــا **صلاح الدين الأيوبي** ضد الإمارات الصليبيــة، واسترجاعه **لبيت المقدس**، وكان على رأس هذه الحملة أعظم ملوك أوروبا آنذاك، حيث سار الإمبراطور الألماني بـ ١٠٠،٠٠٠ مقاتل، مخترقاً بلاد المجر على نفس مسار الحملة الصليبية الأولى، وحينما وصلوا إلى مملكة أرمينية الصغرى ساعدهم الأرمن، وزودوهم بالمؤن والعتــاد؛ إلا أن فريدريــك غــرق بنهــر سالــف، ممــا أدى إلى تشتـت الجيش واضطرابــه، ورجع غالبه إلى ألمانيا، أما البقية الباقية؛ فقد ركبت السفن إلى عكّا وصور وقسم سار بــراً.

أمــا الحملتــان الفرنسيــة والإنجليزيــة؛ فقد التقــى الفريقان فــي صقلية وأقاموا فيها مدة طويلة بينما الصليبيون في **عكّا** ينتظـرونهم بفارغ الصبر. وإذا لم يكـن الملـكان علـى غير وفـاق، فقد بــارح الفرنسيون صقليــة أولاً، ثم بعدهـم بعشرة أيام تحرك الأسطول الإنجليزي، الذي ألقت العاصفة به على جزيــرة قبرص، التابعة للإمبراطورية البيزنطية، فنشبت حرب بين الفريقين، انتهـت باستيلاء الإنجليـز على قبرص، ثم أبحر إلى عكّا بعــد أن استنجد به ملــك بيت المقدس الذي أطلـق سراحه صلاح الدين، فــازداد الصليبيون قوة بمجـيء ريتشارد قلـب الأسد ملك إنجلترا، رغم الجهـود العظيمة التي بذلها صــلاح الديــن وجيشه لإنقاذ عكّا؛ لكـن الصليبيين تمكنوا مــن دخول المدينة ورفــع رايتهــم الصليبية على أســوار المدينة، معلنــة احتلالهــا واستسلامها؛ ففوجئ المسلمون وارتاعوا. واستبشـر الصليبيون بذلك استبشاراً كبيراً .



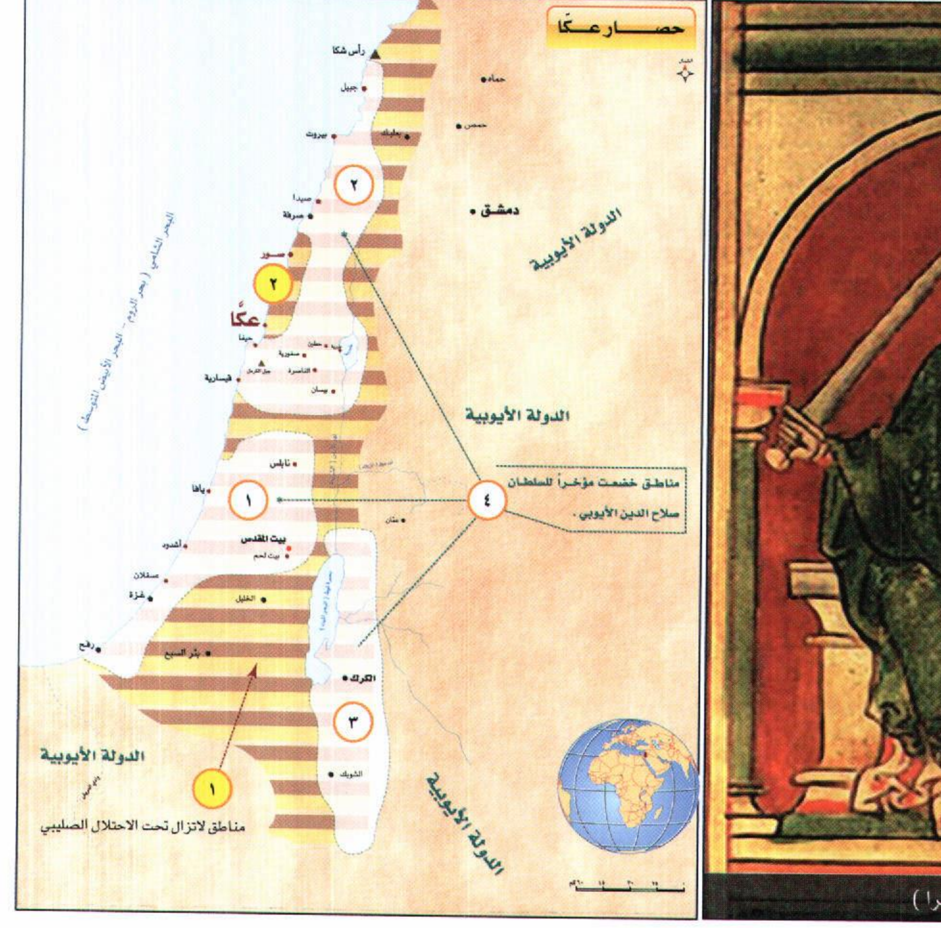
كان لرجــوع بيــت المقدس في أيــدي المسلمين رد فعل جنوني في أوروبا، فقد قام بطريرك القدس الذي تركه صــلاح الدين يرحل؛ بالطـــواف فــي بـــــلاد أوروبــــا (الفرنجــة) ومعــه صورة رجل عربي يضرب المسيح عليه السلام ليحثهــم على الأخذ بالثأر لبيــت المقدس، وقــام **البابا كليمنت الثالـــث** بالتبشير بحــرب صليبيــة وهي مــا عرفت بالحرب الصليبية الثالثة.



الحملة الصليبية الثالثة

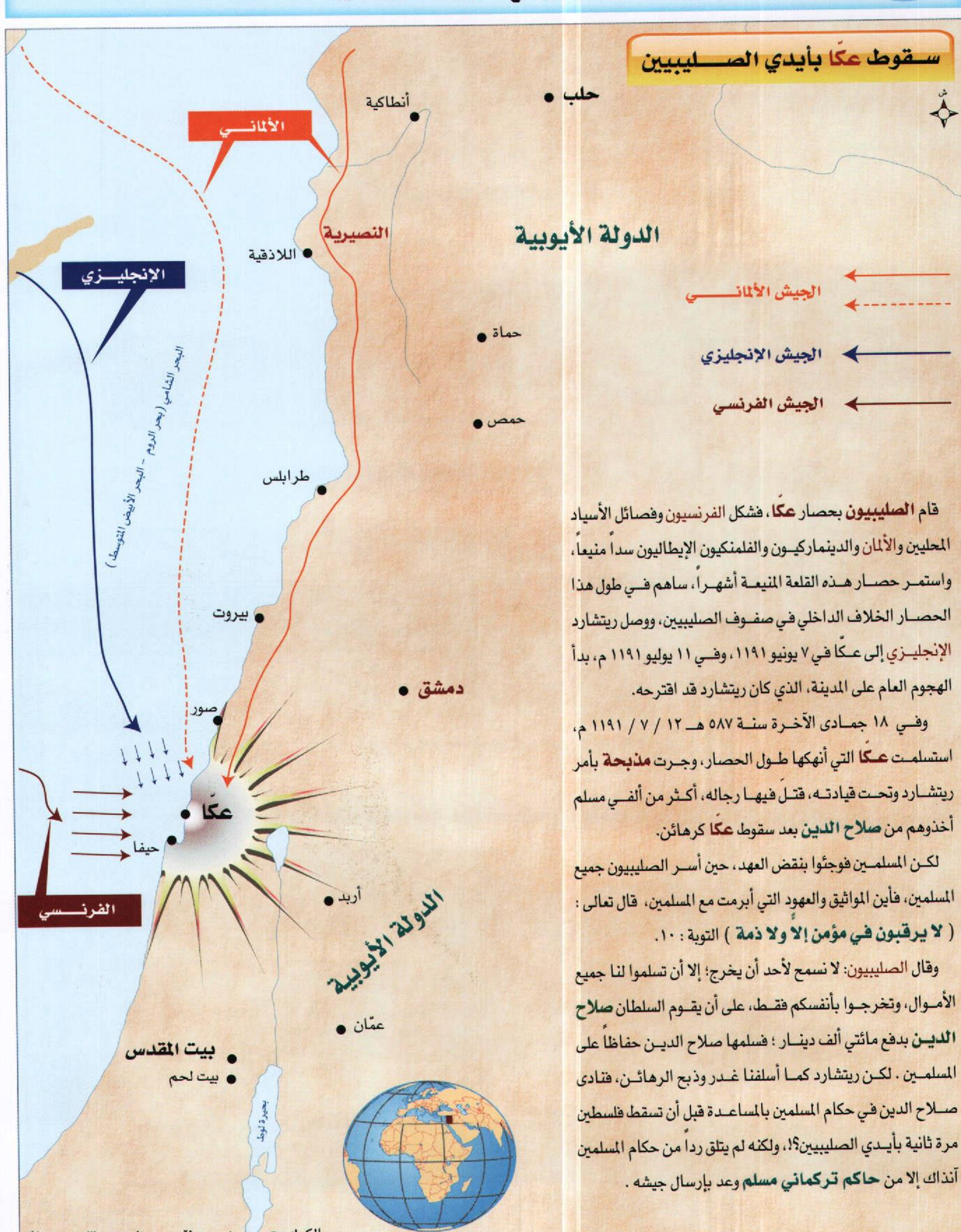
مسار الجيش الألماني
مسار الجيش الفرنسي
مسار الجيش الأنجليزي
الموضع الذي غرق فيه فريدرك

أوروبا
الإمبراطورية الرومانية المقدسة
ألمانيا
مملكة المجر
إنجلترا
يورك
لندن
كولون
باريس
رتسبون
فيينا
بوردو
تولوز
مارسيليا
جنوه
بيزا
روما
البندقية
باري
بلغراد
نيش
أدرنة
القسطنطينية
سالونيك
نيقية
سلاجقة الروم
دورليوم
آسيا الصغرى
أفسوس
قونية
أطنة
أنطاكية
الرها
ملاذكرت
بحر بنطس (البحر الأسود)
بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)
الأندلس
ملوك الطوائف
لشبونة
صقلية
مسينا
كريت
قبرص
ليماسول
البحر الشامي (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
طرابلس
بيروت
حمص
سوريا
دمشق
صور
عكا
القدس
غزة
الكرك
أيلة
الدولة الأيوبية
المرابطون
المغرب الأوسط
إفريقية
إفريقيا
لوبيا (ليبيا)
مصر
جزيرة العرب
صفر ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠ ١٠٠٠ كم





ريتشارد قلب الأسد (ملك إنجلترا)

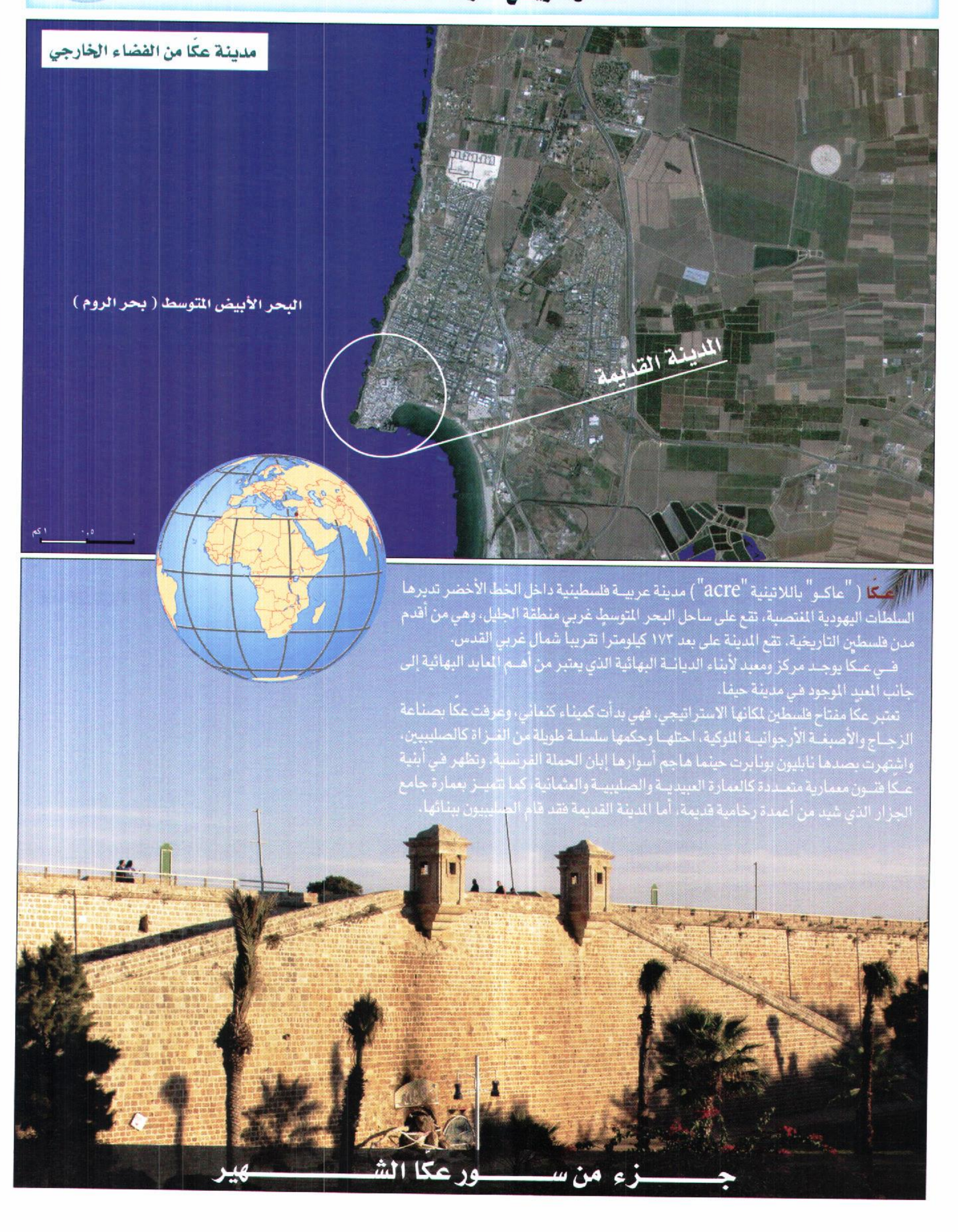


قام **الصليبيون** بحصار **عكّا**، فشكل الفرنسيون وفصائل الأسياد المحليين والألمان والدينماركيون والفلمنكيون الإيطاليون سداً منيعاً، واستمر حصار هذه القلعة المنيعة أشهراً، ساهم في طول هذا الحصار الخلاف الداخلي في صفوف الصليبيين، ووصل ريتشارد الإنجليزي إلى عكّا في ٧ يونيو ١١٩١، وفي ١١ يوليو ١١٩١ م، بدأ الهجوم العام على المدينة، الذي كان ريتشارد قد اقترحه.

وفي ١٨ جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ هـ ١٢ / ٧ / ١١٩١ م، استسلمت **عكّا** التي أنهكها طول الحصار، وجرت **مذبحة** بأمر ريتشارد وتحت قيادته، قتل فيها رجاله، أكثر من ألفي مسلم أخذوهم من **صلاح الدين** بعد سقوط **عكّا** كرهائن.

لكن المسلمين فوجئوا بنقض العهد، حين أسر الصليبيون جميع المسلمين، فأين المواثيق والعهود التي أبرمت مع المسلمين، قال تعالى: (**لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة**) التوبة : ١٠.

وقال الصليبيون: لا نسمح لأحد أن يخرج؛ إلا أن تسلموا لنا جميع الأموال، وتخرجوا بأنفسكم فقط، على أن يقوم السلطان **صلاح الدين** بدفع مائتي ألف دينار؛ فسلمها صلاح الدين حفاظاً على المسلمين. لكن ريتشارد كما أسلفنا غدر وذبح الرهائن، فنادى صلاح الدين في حكام المسلمين بالمساعدة قبل أن تسقط فلسطين مرة ثانية بأيدي الصليبيين؟!، ولكنه لم يتلق رداً من حكام المسلمين آنذاك إلا من **حاكم تركماني مسلم** وعد بإرسال جيشه.



عكّا ("عاكو" باللاتينية "acre") مدينة عربية فلسطينية داخل الخط الأخضر تديرها السلطات اليهودية المغتصبة، تقع على ساحل البحر المتوسط غربي منطقة الجليل، وهي من أقدم مدن فلسطين التاريخية. تقع المدينة على بعد ١٧٣ كيلومترا تقريبا شمال غربي القدس.

في عكا يوجد مركز ومعبد لأبناء الديانة البهائية الذي يعتبر من أهم المعابد البهائية إلى جانب المعبد الموجود في مدينة حيفا.

تعتبر عكا مفتاح فلسطين لمكانها الاستراتيجي، فهي بدأت كميناء كنعاني، وعرفت عكّا بصناعة الزجاج والأصبغة الأرجوانية الملوكية، احتلها وحكمها سلسلة طويلة من الغزاة كالصليبيين، واشتهرت بصدها نابليون بونابرت حينما هاجم أسوارها إبان الحملة الفرنسية. وتظهر في أبنية عكّا فنون معمارية متعددة كالعمارة العبيدية والصليبية والعثمانية، كما تتميز بعمارة جامع الجزار الذي شيد من أعمدة رخامية قديمة. أما المدينة القديمة فقد قام الصليبيون ببنائها.

جزء من سور عكا الشهير

دخول حيفا تحت حكم الصليبيين



حيفا: مدينة فلسطينية تقع على جبل الكرمل وشواطئه، وهي من أقدم مدن فلسطين التاريخية. ومن أهم موانئ شرق البحر الأبيض المتوسط . خضعت للاحتلال اليهودي في القرن الماضي.

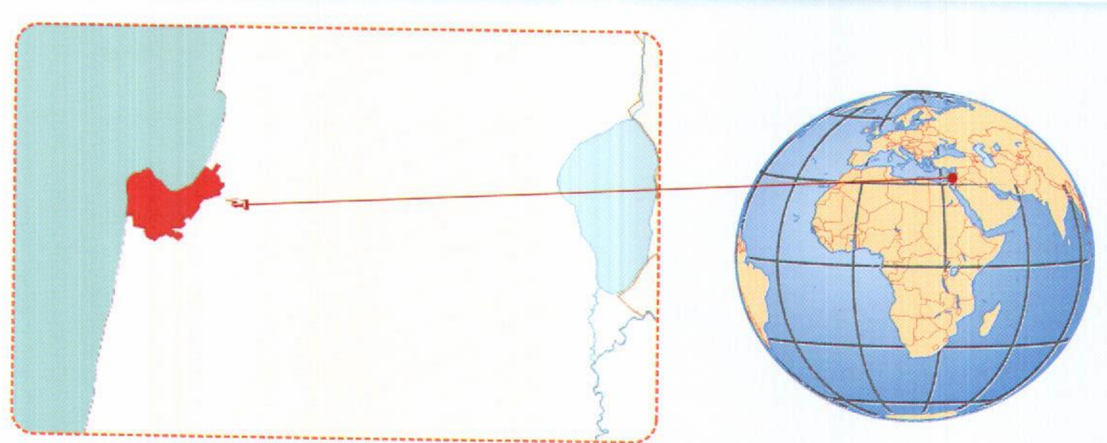
سيطر عليها **الصليبيون** في العصور الوسطى ، حينما أمر **ريتشارد قلب الأسد**، الزحف نحوها بعد سقوط عكّا، حيث دخلها الصليبيون بكل يسر وسهولة لعدم وجود تحصينات دفاعية كعكّا، توجهت جحافل الصليبيين لاحتلال بعض المدن الفلسطينية كما سيتضح لنا في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى .

يعتقد

النصارى أن اسم (حيفا) مشتق من «كايافاس» (Caiaphas) الأسقف الأعلى لأورشليم في وقت المسيح عليه السلام، أو من الاسم الآرامي لقديس النصارى بطرس(أو كيفا). بالإضافة إلى ذينك، الاسمين سايكامينون (Sycaminon) أو سايكامينوس (Sykaminos) ومعناه "الفراولة البرية" يستخدمان أيضاً. البعض يقول إن كلمة حيفا عربية أصلها من «حف» بمعنى شاطئ، أو الحيفة بمعنى الناحية.

مدينة حيفا من الفضاء الخارجي

البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم، البحر الشامي)



حَيْفَاءُ: كأنه تأنيث؛ ... وحيفا، غير ممدود: حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا، ولم يزل في أيدي المسلمين إلى أن تغلَّب عليه كندفري الذي ملك بيت المقدس في سنة ٤٩٤، وبقي في أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٧٣ وخرَّبه؛ وفي تاريخ دمشق: إبراهيم بن محمد بن عبد الرزَّاق أبو طاهر الحافظ الحيفيّ من أهل قصر حَيْفة، سمع بأطرابلس أبا يوسف عبد السلام ابن محمد بن يوسف القزويني وأبا الوفاء سعد بن علي بن محمد بن أحمد النَّسوي، وحدث بصور سنة ٤٨٦، سمع منه غَيْث بن علي وأبو الفضل أحمد بن الحسين ابن نَبْت الكاملي؛ هكذا في كتابه قصر حيفة، بالهاء، وأنا أحسبه المذكور قبله. الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٣٢.

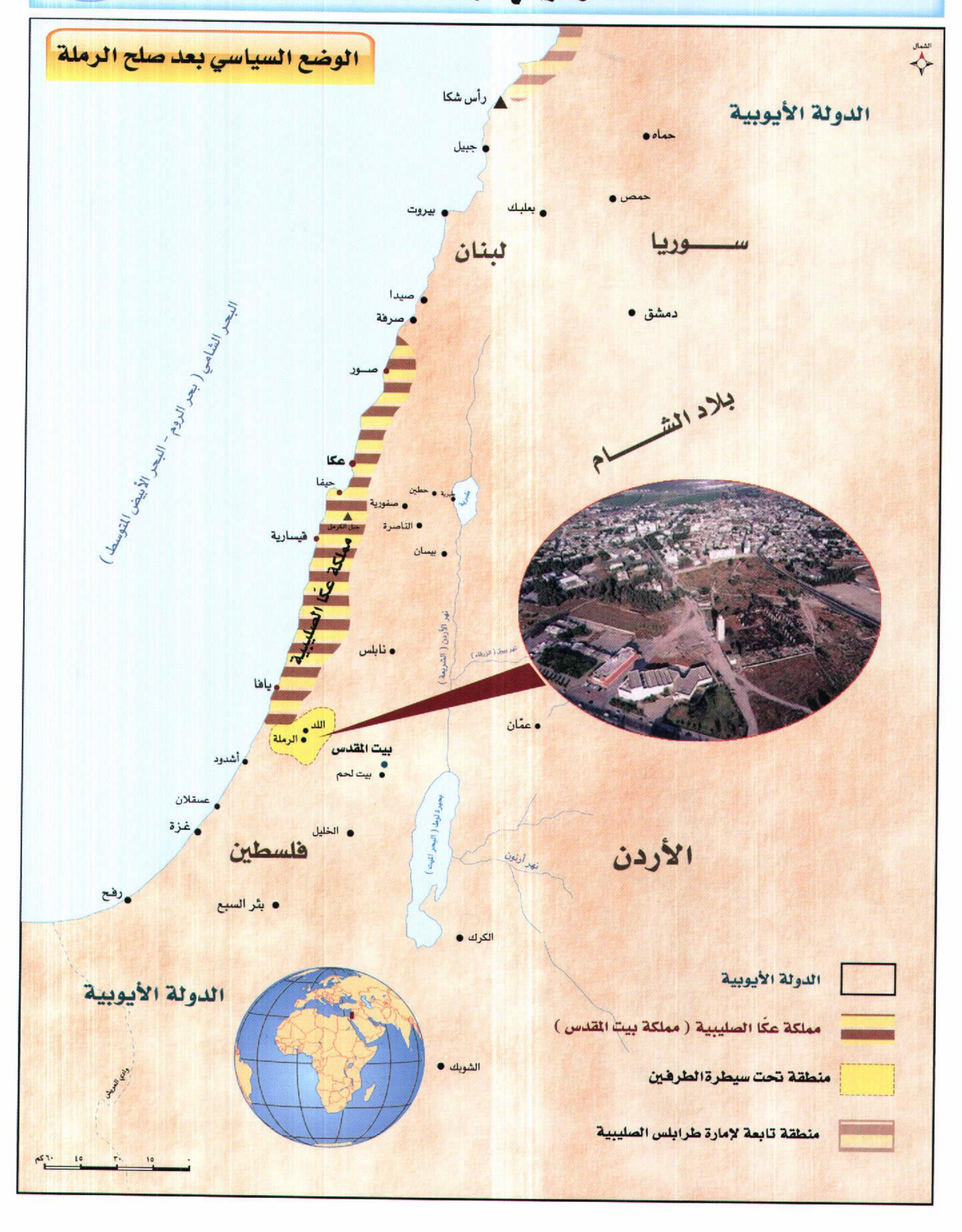
معركة أرسوف وسقوط اللد والرملة

أصبحت عكّا بعد أن استردها الصليبيون أهم مركز لدولة الفرنجة في الشرق وحلت محل بيت المقدس في الزعامة على المدن الصليبية الأخرى. وانضم إليها حيفا وقيسارية، وكان من المحتمل أن يكسب الصليبيون انتصارات أخرى مهمة على المسلمين ولكن سرعان ما دب دبيب الشقاق بينهم ورجع ملك فرنسا إلى بلاده وبقي (ريتشارد) الذي استولى على مدينتي أرسوف بعد معركة حامية الوطيس آل فيها النصر إلى ريتشارد، ثم مدينة يافا وعزم على استرداد **بيت المقدس** فوجه **صلاح الدين** همته إلى تحصين المدينة، والدفاع عنها، ورأى أنه من الخير الاحتفاظ بالمدن الداخلية ريثما تتاح له فرصة تكوين أسطول بحري كبير يحمي به المدن الساحلية. وأخيراً وتحت تأثير الرغبة الملحة في العودة إلى بلاده اضطر ريتشارد إلى التنازل عن بعض شروطه، فتم عقد **صلح الرملة** في ٢ سبتمبر سنة ١١٩٢م، الموافق لسنة ٥٨٨ هـ، وهو الصلح الذي نص على أن يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من صور إلى يافا، بما فيها قيسارية وحيفا وأرسوف؛ أما عسقلان فتكون للمسلمين في حين تكون **الرملة واللد** مناصفة بين المسلمين والصليبيين. وفرض صلاح الدين دخول بلاد الإسماعيلية (الباطنية)، واشترط الصليبيون دخول صاحب إنطاكية وطرابلس في الصلح، "ورضي الاسبتارية والداوية، وسائر مقدمي الإفرنجة بذلك".

أما الأماكن المقدسة، فقد ظلت في أيدي المسلمين، على أن يكون للنصارى حرية الحج إلى بيت المقدس دون مطالبتهم بدفع أي ضريبة. وقد اتفق على أن تكون مدة الصلح ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، وناب عن الملك ريتشارد في التوقيع على الاتفاقية هنري دي شامبني وباليان الثاني دي أبلين وأونفروي الرابع دي تورون، في حين مثل الجانب الإسلامي: الملك الأفضل والملك الظاهر ابنا صلاح الدين، وأخوه الملك العادل وبعض الأمراء الأيوبيين الآخرين.

بين صلاح الدين وريتشارد

لم يلبث ريتشارد أن اعتراه المرض في يافا، فأبت شهامة صلاح الدين إلا أن يقدم له كل معونة ممكنة في مرضه. من ذلك ما تذكره المراجع من أن الأطباء وصفوا لريتشارد الفاكهة والثلج، فأخذت رسله تتردد على صلاح الدين الذي لم يضن على خصمه بكل ما طلبه، فكانت "رسل ريتشارد لا تنقطع في طلب الفاكهة والثلج، وأوقع عليه في مرضه شهوى الكمثرى والخوخ، وكان السلطان يمده بذلك..". ويبدو أن هذا السلوك من جانب صلاح الدين كان له أثره الطيب في نفس ريتشارد، فقال لأحد أمراء المسلمين: "سلم على السلطان وقل له: بالله عليك أجب سؤالي في الصلح، فهذا الأمر لا بدّ له من آخر، وقد هلكت بلادي وراء البحر، وما في دوام هذا مصلحة لا لنا ولا لكم!". والواقع أن ريتشارد كان لا يستطيع العودة إلى بلاده تاركاً الموقف معلقاً في بلاد الشام بين المسلمين والصليبيين.


الوضع السياسي بعد صلح الرملة
الدولة الأيوبية
رأس شكا
حماه
جبيل
حمص
بعلبك
بيروت
سـوريا
لبنان
صيدا
صرفة
دمشق
صور
البحر الشامي (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
بلاد الشام
عكا
حيفا
حطين
صفورية
الناصرة
قيسارية
مملكة عكا الصليبية
بيسان
نهر الأردن (الشريعة)
نابلس
يافا
اللد
الرملة
بيت المقدس
عمّان
أشدود
بيت لحم
عسقلان
غزة
الخليل
فلسطين
الأردن
نهر أرنون
رفح
بئر السبع
الكرك
الدولة الأيوبية
الشوبك
مملكة عكّا الصليبية (مملكة بيت المقدس)
منطقة تحت سيطرة الطرفين
منطقة تابعة لإمارة طرابلس الصليبية

وفاة القائد الإسلامي الكردي (صلاح الدين الأيوبي) رحمه الله تعالى

كان **صلح الرملة** قاطعاً لسلسلة الحروب التي شنها صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين، التي اكتسب بها شهرة كبيرة، ومجداً ما زال المسلمون يتذكرون أمجاده، وقبل هذه الحروب كان المسلمون لا يملكون شيئاً غربي نهر الأردن، وإذا بنتيجة هذه الحروب تفصح عن استرجاع **بيت المقدس** إلى حظيرة الإسلام، واستيلاء المسلمين على الأراضي المحصورة بين نهر العاصي والأردن وبين البحر الأبيض المتوسط، ما عدا أجزاء ساحلية قليلة بقيت لإمارة أنطاكية وإمارة طرابلس و**مملكة بيت المقدس الجديدة (عكّا)**.

بعد صلح الرملة سار صلاح الدين إلى بيت المقدس وأمر بإجراء عدة إصلاحات وتنظيمات . ثم سار إلى دمشق فوصلها في ٢٥ شوال سنة ٥٨٨ هـ ، ولم يعمر طويلاً بعد الصلح، فقد وافاه الأجل المحتوم وهو بدمشق الفيحاء فأسلم الروح لبارئها **في ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ،** وفارق الحياة بعد أن أدى رسالته على الصورة الكاملة، وقد أوصى ابنه الملك الأفضل بوصية عظيمة قبل ذلك.

لقد اشتدت الضائقة على قلب كل مسلم؛ بسماع نبأ وفاة القائد الرباني صلاح الدين الأيوبي، ثم توارثت أسرته حكم الدولة الجهادية التي أنشأها، حيث خرج صلاح الدين من الدنيا ولم يأخذ معه إلا الكفن، والذكر الحسن لكن ترك وراءه راية الجهاد ضد الصليبيين المغتصبين، حيث استطاعت أسرته أن تسير على خطاه وتنهج طريقه في هذا العمل الإسلامي العظيم، وهو الذب عن الدين والأعراض، والتصدي لأي هجوم صليبي في الشام ومصر وكان آخر أبطالهم الكبار في هذا الصدد (توران شاه بن السلطان الصالح أيوب)؛ الذي أظهر بطولة نادرة في حربه مع لويس التاسع ملك فرنسا، وتغلب عليه وأسره مع كثير من أمراء دولته وجنده وقتل منهم سبعة آلاف في المعركة.



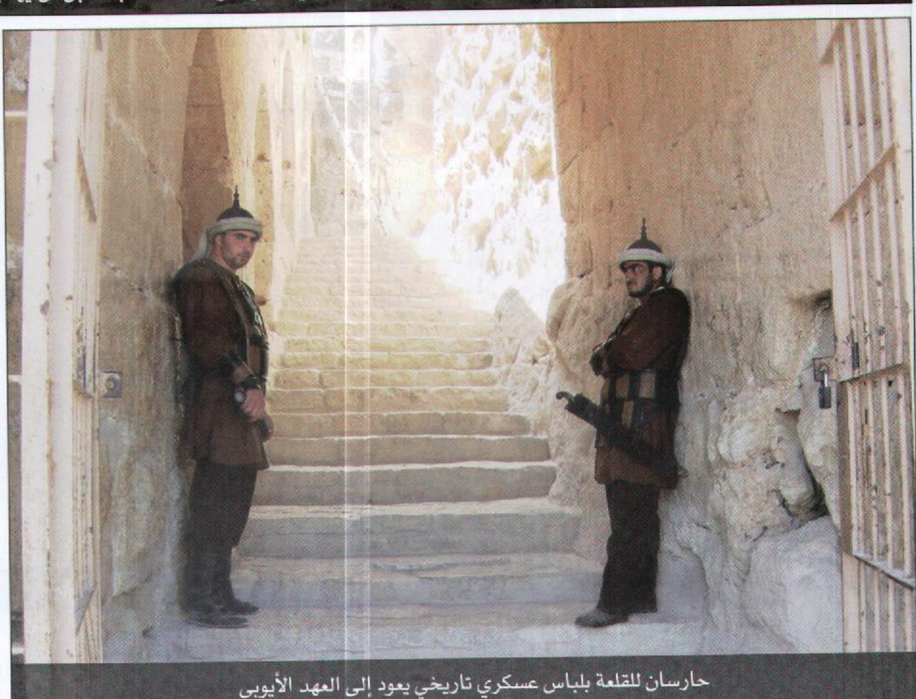
عملة نقدية ليوسف صلاح الدين الأيوبي؛ سكت بعد نصر حطين سنة ٥٨٣ هـ



أصبحت **عكّا** بعد أن استردها الصليبيون؛ أهم مركز لدولة الفرنجة (الصليبية) في الشرق، وحلت محل **بيت المقدس** في الزعامة على المدن الصليبية الأخرى. وأصبح مسماها الجديد مملكة بيت المقدس؛ لتبقى حية في قلوب الغزاة!

تعود أهمية **قلعة عجلون (الربض)** أو صلاح الدين الأيوبي، في الذاكرة الإسلامية إلى دورها الكبير في أثناء الحروب الصليبية، قال توبات: "من قلعة عجلون هزم الناصر صلاح الدين الأيوبي جيوش الصليبين بحروب استمرت ثمانية أعوام واجه خلالها ٢٢ ملكاً أوروبياً ومنهم: فريدريك الألماني، وريتشارد قلب الأسد الإنجليزي، خاض ضدهم ٧٤ معركة، وحرر أكثر من خمسين مدينة وقلعة مغتصبة، قبل أن يهاجمه الموت عن ٥٧ عاماً".

تعد **قلعة عجلون التاريخية** التي تعرف بقلعة الربض أو **قلعة صلاح الدين**، أحد المعالم الأثرية المهمة في الأردن، واشتقت القلعة الواقعة في مدينة عجلون (٧٥ كلم شمال العاصمة عمّان) اسم الربض من موقعها كونها "تربض" على ظهر تل شاهق الارتفاع عرف باسم جبل عوف نسبة إلى بني عوف الذين أقامت عشيرة منهم في الجبل أيام العبيديين، واستمدت القلعة اسمها الثاني قلعة (صلاح الدين) من القائد الإسلامي الرباني صلاح الدين الأيوبي، الذي اتخذها نقطة انطلاق لجيوشه المتوجهة صوب مدينة القدس. ووفق المصادر التاريخية الموثقة شيد القلعة التي ترتفع ١٠٢٣ متراً عن سطح البحر، القائد الأيوبي عز الدين أسامة بن منقذ أحد القادة البارزين الذين خاضوا الحروب إلى جانب القائد صلاح الدين الأيوبي عام ١١٤٨م، الذي اتخذها قاعدة في حملته العسكرية لطرد الصليبيين في وجه قلعة بيلفوار التي شيدها الصليبيون قرب بحيرة طبريا في فلسطين؛ وذلك بسبب موقع قلعة الربض الإستراتيجي لسيطرتها على طرق المواصلات بين سورية وجنوب الأردن. وكان الهدف من إقامة قلعة صلاح الدين في هذه المنطقة الجبلية المطلة من جميع الجهات حماية المنطقة من الزحف الصليبي والحفاظ على خطوط المواصلات وطرق الحج بين الشام والحجاز؛ لأنها تشرف على وادي الأردن وسهول حوران في الشمال ونظراً لموقعها المرتفع فقد استعملت عبر تاريخها مركزاً للحمام الزاجل ومنارة لنقل الأخبار والبريد من حدود الفرات إلى القاهرة.



حارسان للقلعة بلباس عسكري تاريخي يعود إلى العهد الأيوبي

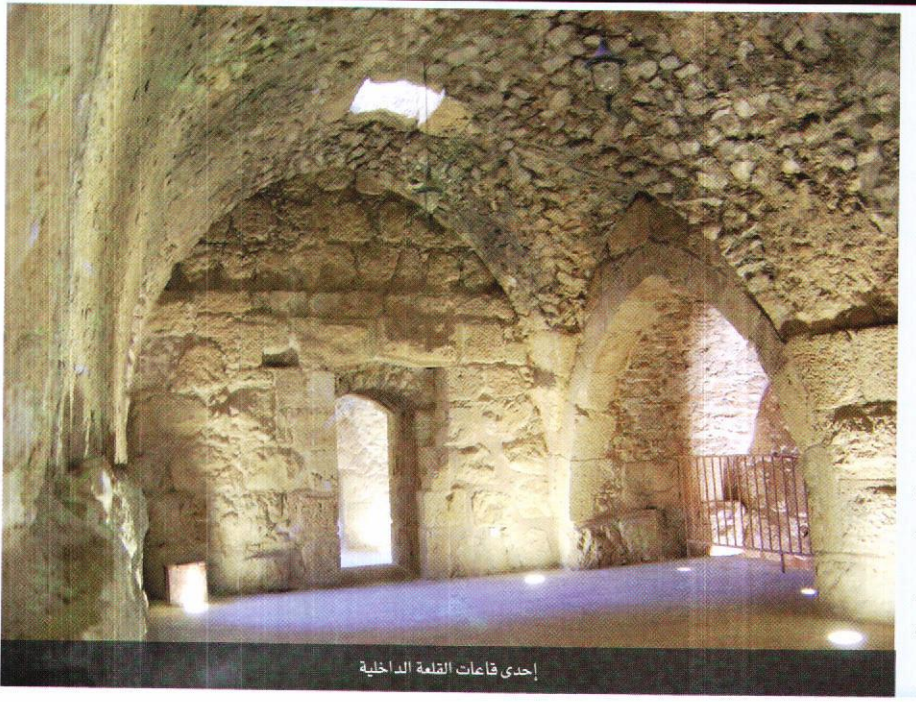
قلعة عجلون (بالانجليزية: Ajlun Castle) وتسمى قلعة الربض، وتعرف كذلك بقلعة صلاح الدين. هي قلعة تقع في عجلون بالأردن

ظلت **قلعة عجلون** محط اهتمام السلاطين والأمراء والملوك في العصور الأيوبية والمملوكية وكذلك العثمانية، يتضح ذلك من النقوش والكتابات الأثرية التي تسجل على القلعة وتشير إلى هؤلاء الحكام.

ولقد لعبت القلعة في أوقات السلم دوراً هاماً في المنطقة، إذ أنها كانت مقراً للحكم والقضاء وكان يبدع فيها الشعراء والكتاب، فتشير المصادر العربية القديمة إن مسابقات كانت تجري بين الشعراء في داخل القلعة، ومن هؤلاء الشعراء محمود ابن طه العجلوني،ويحيى بن خضير السلمي البصري،ومحمد ابن سليمان، وظافر المارداني، وسعد الدين بن الميارز العجلوني،وعلاء الدين بن غانم.

كانت القلعة تستخدم كمحطة للحمام الزاجل وكان هذا الحمام يخرج من القاهرة إلى غزة إلى جنين ثم إلى قلعة الربض ومنها إلى أربد ثم إلى دمشق، وكان هذا الخط البريدي على قدر كبير من الانتظام والسرعة في نقل الأخبار بين أجزاء المملكة الواسعة الأرجاء المترامية الأطراف.

وكانت القلعة بمن يقيم فيها من جنود مصدر خير للمنطقة، فكانت تقام بالقرب منها الأسواق وتنشط حولها مختلف المبادلات التجارية.



إحدى قاعات القلعة الداخلية

معركة الأرك ٩ شعبان ٥٩١ هـ - ١٨ يوليو ١١٩٤م

تولى أبو يوسف **يعقوب بن يوسف** بن عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي **خلافة الموحدين** بعد استشهاد أبيه مجاهداً ضد النصارى في الأندلس، وذلك في جمادى الأولى سنة ٥٨٠هـ.

وانشغل بإخماد الثورات التي قامت ضده في إفريقية، حتى كتب ألفونسو السادس خطاباً يدعوه فيه إلى القتال سخرية واستهانة بالمسلمين، فلما قرأ أبو يوسف الخطاب كتب على ظهر رقعة منه: ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ الجواب ما ترى لا ما تسمع.

واشتد حنق أبي يوسف، وأمر بالتأهب للحرب في الأندلس، وأن يذاع الخطاب في جنود الموحدين ليثير غيرتهم، فثار الناس للجهاد ودوت صيحة الجهاد في جميع أنحاء المغرب ضد النصارى، وسير قواته إلى الأندلس، وعبر إلى الجزيرة الخضراء في ٥٩١/٧/٢٠هـ ، ولم يسترح بها إلا قليلاً، ثم بادر بالسير إلى قشتالة ، ولكنه لما علم أن ملك قشتالة قد حشد قواه شمال قلعة رباح على مقربة من قلعة الأرك – الأرك نقطة الحدود بين قشتالة والأندلس في حينه - اتجه بجيشه إلى ذلك المكان ، ولما وصل إلى قيد مسيرة يومين من جيش النصارى ضرب معسكره وعقد مجلساً من القادة والأشياخ للبحث في خطط المعركة.

مرت أيام عديدة لم يقع فيها اشتباك، وسأل أبو يوسف مجلسه الاستشاري عن الخطة المناسبة، وطلب رأي أبي عبد الله بن صناديد الذي كان من أعقل وأخبر زعماء الأندلس بمكائد الحروب، الذي كان من آرائه أن توضع خطة موحدة لتسيير دفة الحرب، وأن يجب اختيار قائد عام للجيش كله فاختار أبو يوسف كبير وزرائه أبا يحيى بن أبي حفص الذي امتاز بالفطنة والشجاعة.

وأن يتولى قيادة الأندلسيين زعماؤهم حتى لا تضعف حماستهم حينما يتولى الأجانب قيادتهم، وأن يتولى الأندلسيون والموحدون لقاء العدو ومواجهة هجومه الأول، وأما بقية الجيش المكون من قبائل البربر غير النظاميين وجمهرة كبيرة من المجاهدين والمحاربين فإنهم يكونون قوة احتياطية تقوم بالعون والإمداد، وأما أبو يوسف المنصور فيستطيع بحرسه أن يرجح كفة الموقعة كلها، ويجب أن يرابط بقواته وراء التلال على مسافة قريبة منا، ثم ينقض فجأة على العدو، كل هذه الآراء أبداها الزعيم الأندلسي ووافق عليها أبو يوسف المنصور وأمر بتنفيذها.

وحشد ألفونسو قوات هائلة من مملكته، وقدم إليه فرسان قلعة رباح، وفرسان الداوية، واستطاع أن يحشد مائة ألف مقاتل في رواية، وأكثر عدد ذكرته الروايات ثلاثمائة ألف مقاتل، ومع ذلك طلب مساعدة ملكي ليون ونافار النصرانيين اللذين جمعا حشوداً ولكنهما تباطأ في المجيء للمساعدة .

وفي ٩ شعبان ٥٩١هـ كانت موقعة الأرك الفاصلة، وأعد أبو يوسف المنصور جيشه الذي يساوي عدد الأغلب

عدد جيش النصارى ، فاحتل الموحدون القلب، واحتل الجناح الأيسر الجند العرب – أعقاب فاتحي المغرب المسلمين - ، ومعهم بعض القبائل الأمازيغية تحت ألويتهم الخاصة، واحتل الجناح الأيمن قوى الأندلس بقيادة عبد الله بن صناديد، وتولى **أبو يوسف** قيادة القوة الاحتياطية مكونة من صفوة الجند ومن الحرس الملكي، ودفعت صفوف المتطوعين، ومعظمها مكون من الجنود الخفيفة إلى المقدمة لتفتتح القتال.

وقام خطيب وحرض المؤمنين على الجهاد وفضله ومكانته، وأخذت الناس مواقعهم، ونظم ملك قشتالة جنده، وكانت قلعة الأرك تحمي موقعه من جانب، وتحميه من الجانب الآخر بعض التلال، ولا يمكن الوصول إليه إلا بواسطة طرق ضيقة وعرة، و كان الجيش القشتالي يحتل موقعاً عالياً، وكانت هذه ميزة له في بدء القتال.

ولما تقدمت صفوف المسلمين المهاجمة إلى سفح التل الذي يحتله ملك قشتالة، واندفعت إليه تحاول اقتحامه، انقض زهاء سبعة آلاف أو ثمانية آلاف من الفرسان القشتاليين كالسيل المندفع من عال، فتزحزح قوم من المطّوّعة، فصعد غبارها في الجو ، فقال أبو يوسف المنصور لخاصته: جددوا نياتكم وأحضروا قلوبكم، ثم تحرك وحده، وسار منفرداً، ومر على القبائل والصفوف، وحثهم على الثبات.

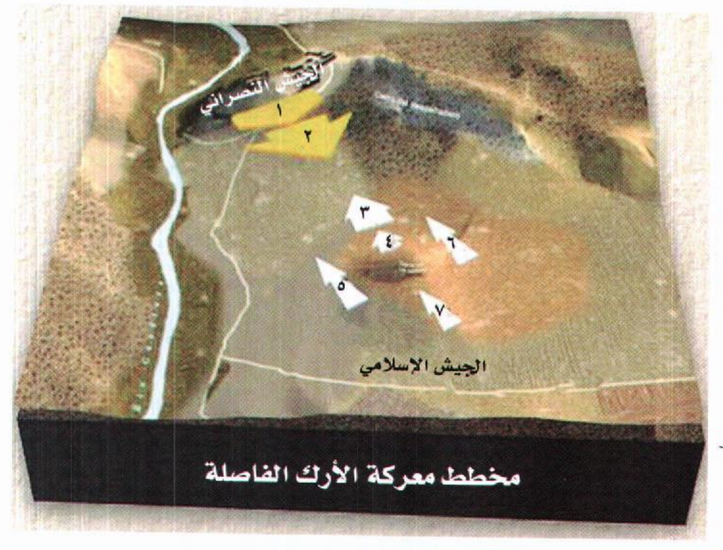
لقد رد المسلمون هجمات القشتاليين مرتين ، ولكن العرب والبربر استنفدوا جميع قواهم لرد هذا الهجوم العنيف، وعززت قوات القشتاليين بقوى جديدة وهجموا للمرة الثالثة، وضاعفوا جهودهم، واقتحموا صفوف المسلمين وفرقوها، وقتلوا قسماً منها، وأرغم الباقون على التراجع، واستشهد آلاف من المسلمين في تلك الصدمة، منهم القائد العام أبو يحيى بن أبي حفص، الذي سقط وهو يقاتل بمنتهى البسالة.

واعتقد النصارى أن النصر قد لاح لهم بعد أن حطموا قلب جيش الموحدين، ولكن الأندلسيين وبعض بطون زناته، وهم الذين يكونون الجناح الأيمن، هجموا عندئذ بقيادة أبي عبد الله بن صناديد على قلب الجيش القشتالي، وقد أضعفه تقدم الفرسان القشتاليين، وكان يتولى قيادته ملك قشتالة نفسه، يحيط به عشرة آلاف فارس فقط ، منهم فرسان الداوية وفرسان قلعة رباح، فلقي ألفونسو المسلمين بقيادة ابن صناديد دون وجل، ونشبت بين الفريقين معركة حامية استمرت سويعات، واستبدل النقص في العدد بالإقدام والشجاعة، حتى إنه لما زحف زعيم الموحدين في حرسه وقواته الاحتياطية، ورد تقدم الفرسان القشتاليين، واضطرهم إلى الفرار في غير انتظام، لم يغادر ألفونسو وفرسانه العشرة آلاف مكانهم في القلب، ذلك لأنهم أقسموا جميعاً بأن يموتوا ولا يتقهقروا، فاستمرت المعركة على اضطرامها المروع، والفريقان يقتتلان.



معركة الأرك: من المعارك الأندلسية الحاسمة التي وقعت بين الموحدين بقيادة يعقوب المنصور وبين النصارى بقيادة (ألفونسو الثامن) ملك قشتالة وذلك في شهر شعبان سنة ٥٩١هـ، وقد تمكن الموحدون من إحراز نصر كبير على أعدائهم النصارى فقتلوا منهم ما يربو على ثلاثين ألفاً، كما أسروا وغنموا الكثير، وقد وقعت تلك المعركة قرب حصن الأرك غرب قلعة رباح فنسبت إليه.

مع بداية المعركة أيقن **الموحدون** بالنصر حينما انحصرت المقاومة في فلول من النصارى التفت حول ملك قشتالة، وهجم أمير الموحدين في مقدمة جيشه لكي يجهز على هذه البقية، أو يلجئها إلى الفرار، فنفذ إلى قلب الفرسان النصارى.



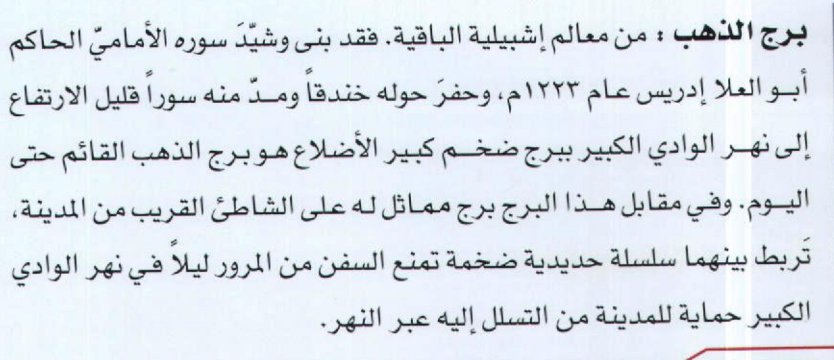
مخطط معركة الأرك الفاصلة

ولم يشأ ألفونسو بالرغم من اشتداد ضغط المسلمين عليه من كل صوب، ومواجهته لخطر الهلاك، أن ينقذ نفسه بالفرار، وأن يتحمل عار الهزيمة، وتساقط معظم الفرسان النصارى حول ملكهم مخلصين لعهدهم، ولكن بقية قليلة منهم استطاعت أن تنجو وأن تقتاد الملك بعيداً عن الميدان، وأن تنقذ بذلك حياته.

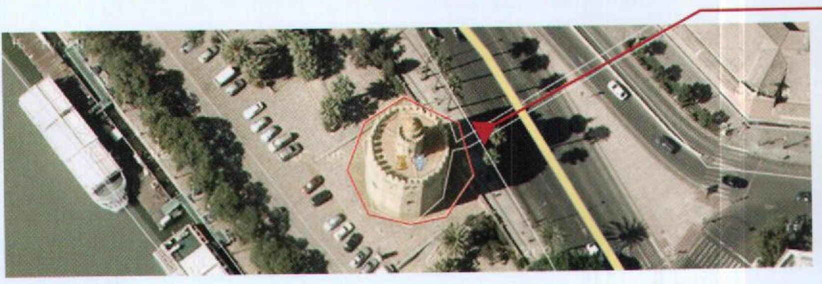
وانتهى يوم الأرك بهزيمة النصارى على نحو مروع، وسقط منهم في القتال ثلاثون ألف قتيل، وأسروا عشرين ألفاً، وغنم المسلمون معسكر الأسبان بجميع ما فيه من المتاع والمال، واقتحموا عقب المعركة حصن الأرك، وقلعة رباح المنيعتين.

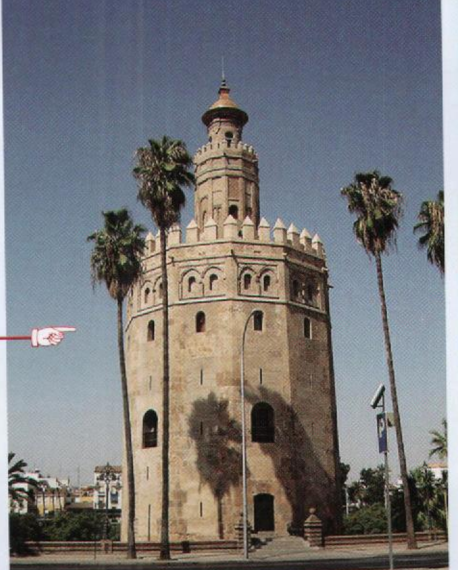
ساحة معركة الأرك حيث كان يوم «الأرك» من الأيام العظيمة لدولة الإسلام بالأندلس، أعادت ذكرى الزلاقة وانتصارات «الحاجب المنصور»، والجدير بالذكر أن «ألفونسو الثامن» من شدة غروره وثقته بالنصر، قد اصطحب معه في جيشه مجموعة من التجار اليهود بأموالهم لشراء أسرى المسلمين، فصاروا هم وأموالهم غنيمة للمسلمين.

« توري ديل أورو » باللغة الإسبانية "برج الذهب" وهو برج مراقبة عسكري في إشبيلية بني خلال سلالة الموحدين في الثلث الأول من القرن ١٣م .



برج الذهب : من معالم إشبيلية الباقية. فقد بنى وشيّدَ سوره الأماميّ الحاكم أبـو العلا إدريس عـام ١٢٢٣م، وحفرَ حوله خندقاً ومـدّ منه سوراً قليل الارتفاع إلى نهـر الوادي الكبير ببرج ضخـم كبير الأضلاع هـو برج الذهب القائم حتى اليـوم. وفي مقابل هـذا البرج برج مماثل له على الشاطئ القريب من المدينة، تَربط بينهما سلسلة حديدية ضخمة تمنع السفن من المرور ليلاً في نهر الوادي الكبير حماية للمدينة من التسلل إليه عبر النهر.







منارة المسجد الجامع بالقصبة «الخيرالدة» الذي أسسه "أبو يعقوب يوسف"، وعليه تقوم اليوم كاتدرائية إشبيلية. لما خلفه ابنه أبو يوسف يعقوب أمر والي إشبيلية بالإشراف على إتمام مشروع أبيه وإكمال بناء مئذنة تجاوز في ارتفاعها مئذنة قرطبة، ولم تتم المئذنة إلا بعد انتصار أبي يوسف يعقوب المنصور على جيوش قشتالة في موقعة الأرك في ١٠ يوليو عام ١١٩٥م/ ٥٩١ هـ. وارتفعت المئذنة في رشاقة مشرفة على سهول إشبيلية.

دولة بني مرين ٦١٤ ـ ٨٧٥هـ/١٢١٧ـ ١٤٧٠م

المرينيون، أو بنو مرين سلالة أمازيغية حكمت بلاد المغرب الأقصى وأجزاء من المغرب الأوسط، وسيطرت على مقدراته **نحو قرنين ونيف** بعد أن قضت على سلطة الموحدين فيه.

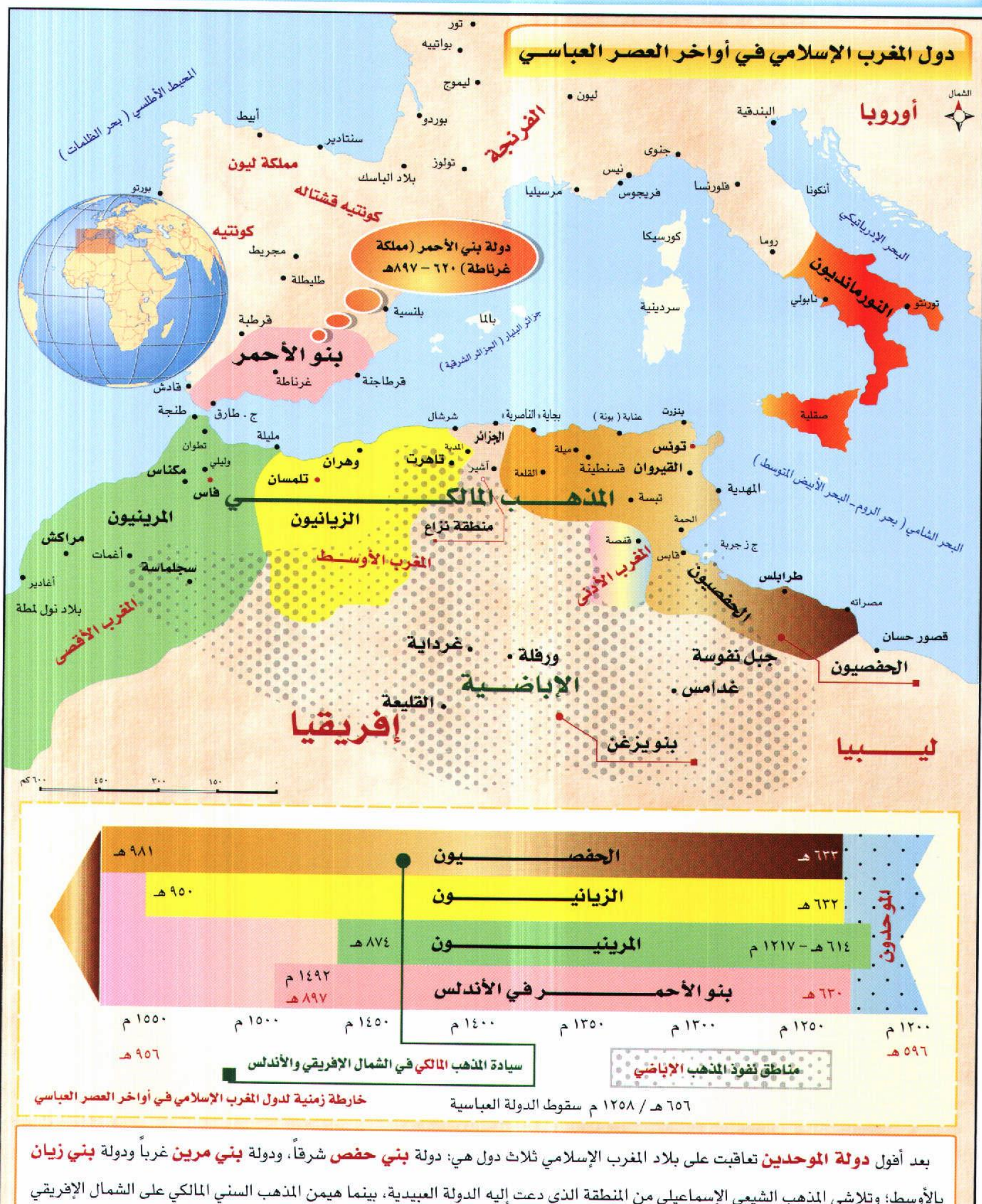
ينحدر بنو مرين من بني واسين أحد بطون زناتة وجدهم الأعلى جرماط بن مرين؛ وإليه ينسبون. أما مؤسس دولتهم فهو أبو محمد عبد الحق ابن أبي خالد محيي (محيو) المريني الذي انتخب رئيساً لبني مرين بعد أبيه المتوفّى سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م. كان المرينيّون قد استوطنوا الأجــــزاء الشـرقية من المغرب الحالي منذ منتصف القرن السادس للهجرة/الثاني عشر الميلادي.

بعد وفاة الناصر رابع خلفاء الموحدين بالمغرب سنة ٦١٠هـ اختلت أمورهم، واغتنم المرينيون الوضع، فغادروا القفار، وتفرقوا في جهات المغرب الأقصى، فاكتسحوا بسائطه. وحاول الموحدون ردهم وإخضاعهم، فصمدوا لهم في بلاد الريف، وهزموهم هزيمة منكرة. غير أن بني عسكر انفضوا عن أبناء عمومتهم، وانضموا إلى الموحدين، وتحالفوا عليهم مع بني عبد الواد وأكثر قبائل زناتة والقبائل العربية في المنطقة[١].

وقتل عبد الحق **سنة ٦١٤هـ، وتولى الزعامة ابنه عثمان** الذي نجح في بسط سيطرته على قسم كبير من المغرب، وتوحيد زناتة كلها تحت لوائه، وإخضاع القبائل العربية، ومات غيلة سنة ٦٣٧هـ، وقام بالأمر من بعده أخوه عبد الحق، فسار على نهجه، وتابع إخضاع المتمردين ومناهضة الموحدين يقتطع من أملاكهم جزءاً بعد جزء. ولإضفاء الشرعية على سلطته أمر بالدعوة للحفصيين في تونس وممالأتهم نكاية بالموحدين من بني عبد المؤمن حكام المغرب. وفي عام ٦٤٢هـ دارت معركة حاسمة بين الموحدين بقيادة الخليفة السعيد علي بن المأمون وبين المرينيين كانت الدائرة فيها على بني مرين، فانقلبوا إلى الصحراء، وقتل عبد الحق وابنه محمد، وتولى زعامتهم أخوه أبو بكر بن عبد الحق المكنى بأبي يحيى الذي تمكّن من الاستيلاء على مكناس سنة ٦٤٢هـ، ثم على فاس سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، واتخذها حاضرة له، كما استولى على سلا وسجلماسة سنة ٦٥٣هـ. وأصبح المغرب كله مقسماً بين المرينيين في المغرب الأقصى (فاس) وبني عبد الواد (الزيانيون) في المغرب الأوسط (تلمسان) والحفصيين في إفريقية (تونس).

تُوفي أبو يحيى سنة ٦٥٦هـ، وخلفه أخوه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق ابن محيو، وأطاعته بلاد المغرب كلها، وسار على نهج أخيه في إخضاع ما بقي من بلاد المغرب، وهاجمه بنو عبد الواد، فظفر بهم[٢].

١، ٢ – محمد وليد الجلاد، الموسوعة العربية العالمية، مج ١٨، ص ٤٥٦.



بعد أفول **دولة الموحدين** تعاقبت على بلاد المغرب الإسلامي ثلاث دول هي: دولة **بني حفص** شرقاً، ودولة **بني مرين** غرباً ودولة **بني زيان** بالأوسط؛ وتلاشى المذهب الشيعي الإسماعيلي من المنطقة الذي دعت إليه الدولة العبيدية، بينما هيمن المذهب السني المالكي على الشمال الإفريقي وبلاد الأندلس وحافظ المذهب الإباضي على وجوده في تاهرت وسجلماسه وجربة وجبل نفوسة وغرداية أيام بني يزغن.

دولة الأشراف بني قتادة (خلال العصر العباسي) من سنة ٥٩٧ - ٦٥٦ هـ/ ١٢٠٠ - ١٢٥٨ م

قال البلادي[١]: تقدم معنا انقراض دولة الهواشم سنة (٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م)، وذلك باستيلاء **قتادة ابن إدريس على مكة،** قيل بواسطة ابنه عزيز، وقيل بواسطة ابنه حنظلة، وقيل: بل هجم هو عليها فلم يشعروا إلاّ وهو معهم، و**قتادة بن إدريس** بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - ، يُكنى أبا عزيز الينبعي المكيّ. ويقال له: نابغة بني حسن، **صاحب مكة وينبع**، وغير ذلك من بلاد الحجاز. وهو **جد الأشراف القتاديين** أو أشراف الحجاز (مجازاً) إذ إن معظم أشراف الحجاز اليوم من عقبه إلاّ بضع أسر، وظل بنوه يتوارثون أمر الحجاز إلى سنة (١٣٤٤هـ)، أما **إخوانهم الحسينيون** فقد كانوا يستقلون بالمدينة مدداً محددة.

وَلِي قتادة مكة عشرين سنة أو نحوها، على الخلاف في مبدأ ولايته بمكة، وكان هو وأهله مستوطنين نهر العلقميَّة من وادي ينبع، وصارت له على قومه الرئاسة فجمعهم وأركبهم الخيل، وحارب الأشراف بني حراب، من ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن، وبني علي، وبني أحمد، وبني إبراهيم، ثم إنه استألَف بني أحمد، وبني إبراهيم، وذلك أيضاً بعد ملكه لوادي الصّفراء، وإخراجه لبني يحيى منه، وكان سبب طمعه في إمرة مكة، على ما بلغني، ما بلغه من انهماك أمرائها **الهواشم بني فليته** على اللهو، وتبسطّهم في الظلم، وإعراضهم عن صونها ممن يريدها بسوء، اغتراراً منهم بما هم فيه من العز والتعسف لمن عارضهم في مرادهم، وإن كان ظلماً أو غيره، فتوحش عليهم لذلك خواطر جماعة من قوّادهم، ولما عرف ذلك منهم قتادة، استمالهم إليه، وسألهم المساعدة على ما يرونه من الاستيلاء على مكة، وجرّأهُ على المسير إليها مع ما في نفسه، وقيل: إن بعض الناس، فزع إليه مستغيثاً به في ظلامة ظُلمها بمكة، فوعده بالنصر، وتجهّز إلى مكة في جماعة من قومه، فما شعر به أهل مكة، إلا وهو بها معهم، **وولاتهم على ما هم فيه من الانهماك في اللهو،** فلم يكن لهم بمقاومته طاقة، فملكها دونهم، وقيل إنه لم يأت إليها بنفسه في ابتداء ملكه لها، وإنما أرسل إليها ابنه حنظلة فملكها، وخرج منها مكثر بن عيسى بن فليتة إلى **نخلة**، ذكره ابن محفوظ، وذكر أن في سنة ستمائة، وصل محمد بن مكثر، وتقاتلوا عند المتكا، وتمّت البلاد لقتادة، وجاء إليها بنفسه بعد ولده حنظلة[٢].

١، ٢ - عاتق بن غيث البلادي، الإشراف على تاريخ الأشراف، موقع أشراف الحجاز بالمملكة العربية السعودية.



الطبقة الرابعة : الأشراف القتاديون في الحجاز
الطبقة الرابعة الأشراف القتاديون:
وهم بنو إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين ابن سليمان بن علي بن عبد الله ابن محمد الثائر بن موسى الثاني ابن عبد الله الرضا بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - .
سيناء
تبوك
البدع
صنافر
تيران
شدوان
تيماء
ضباء
الأيوبيون
العُلا
الوجه
وادي القرى
مصر
خيبر
أملج
بحر القلزم (البحر الأحمر)
بنو مهنا الحسينيون
المدينة النبوية
ينبع
وادي الصفراء
المهد
النوبة
رابغ
الشمال
مساكن بني قتادة قبل إمارتهم لمكة
جدة
نخلة
الطائف
مكة المكرمة
الليث
النفوذ القتادي
الأشراف القتاديون يهاجمون الأشراف الهاشميين وينتزعون منهم ملك مكة شرفها الله تعالى، فجلى الهاشميون إلى نخلة (موضع بين مكة والطائف وهو حد الحرم في الجهة الشرقية الشمالية وينقسم إلى نخلة اليمانية والشامية) .
أرض السودان
أبها
نجران
المخلاف السليماني
عثر
فرسان
جازان
المرمص
الأيوبيون
صنعاء
أرض اليمن
الحديدة
لحج
ذكر أبو شامة في أخبار سنة ثلاث عشرة وستمائة: فيها وصل الخبر بتسليم نواب الكامل (الأيوبي) ينبع، من ناب قتادة، حماية له من قاسم بن جماز صاحب المدينة، وبأن قاسم بن جماز أخذ وادي (القرى) ونخلة من قتادة؛ وهو مقيم به ينتظر الحاج، حتى يقضوا مناسكهم، وينازل هو مكة بعد انفصالهم عنها. وذكر ابن محفوظ شيئاً من خبر قتادة وقاسم، لأنه قال: سنة ثلاث عشرة وستمائة، كان فيها وقعة الحميمة، جاء الأمير قاسم الحسيني بعسكر من المدينة، وأغار على جدة، وخرج له صاحب مكة قتادة، والتقوا بين القصر والحميمة، وكانت الكسرة على قاسم، وكان ذلك يوم النحر في هذه السنة.
صفر ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ كم
بحر العرب

الحملة الصليبية الرابعة

سنة ٥٩٩-٦٠٥هـ - ١٢٠١-١٢٠٤م

قادة الحملة: مجموعة من الإقطاعين الفرنسيين بقيادة بلدوين تيبو الثالث وبونيفاس دي مو منتسرات

سبب الحملة ومسارها:

تعد هذه الحملة نتيجة مباشرة لوفاة **صلاح الدين** - رحمه الله - في شهر صفر سنة ٥٨٩هـ - ١١٩٣م. فمنذ وفاته دعا **البابا أنوسنت الثالث** إلى حرب صليبية ضمن خطة وضعها للكنيسة على رأسها مشروع محو آثار حروب صلاح الدين في الشرق واغتصاب بيت المقدس من المسلمين.

فدعا في منتصف سنة ١١٩٨م - ٥٩٤هـ إلى حملة صليبية رابعة، واستجاب له عدد من الأمراء وتولى قيادتها عدد من البارونات الفرنسيين والفلمنكيين وإن كانت الغلبة للعنصر الفرنسي.

وبعد مداولات بين أمراء الحملة وقوادها رأوا أن يتجهوا بها إلى مهاجمة **مصر** أولاً ثم بيت المقدس بعد ذلك.

وبدأت الاستعدادات بالتعاون مع **فينيسيا (البندقية)** لتمدهم بالسفن، واحتشد الصليبيون في **البندقية** في صيف ١٢٠٢م - ٥٩٩هـ، غير أن البنادقة اشترطوا على الصليبيين ثمناً لهذا التعاون أن يهاجموا مدينة (زارا) ويستردوها من ملك هنغاريا (المجر)، واستجاب الصليبيون لذلك، على الرغم من غضب البابا وإصداره قرار الحرمان ضد الحملة كلها ثم قصره على البنادقة أخيراً.

وبينما الصليبيون يستعدون للاتجاه نحو مصر؛ إذا بثورة تنشب في القسطنطينية تطيح بالإمبراطور إسحق الثاني، فيفر ابنه الكسيوس إلى الغرب طالباً المساعدة من البابا ومن الصليبيين عارضاً في مقابل ذلك إخضاع الكنيسة الشرقية للبابوية ومساعدة الصليبيين في حملتهم ضد **مصر الأيوبية**.

وصادف ذلك هوى في نفس البابا، ومصلحة لدى البنادقة، وتشفياً من الصليبيين في الدولة البيزنطية. فاتجهت جموع الصليبيين إلى **القسطنطينية** واستولت عليها ١٢٠٤م، وقاموا بتخريبها والعدوان على أهلها، حتى تمنى بعض البيزنطيين أن لو كانت القسطنطينية قد وقعت في أيدي المسلمين، وقد أحرق الصليبيون بعض الكنائس **والجامع القديم الذي بني في عهد بني أمية** وقاموا بسلب المدينة. واستولت الكنيسة الكاثوليكية على الكنيسة الأرثوذكسية ورأسها أول كاثوليكي منذ إنشائها.

ولقد كان من نتائج هذه الحملة؛ أن فترت همة المحاربين في الحروب الصليبية التالية، لاستيقان الناس بأنها غارات بربرية وليست حروباً دينية، كما زعمت الكنيسة.

بيد أن هذه الحملة عمقت هوة الخلاف بين نصارى الشرق ونصارى الغرب، وجعلت الطريق البري إلى

الحملة الصليبية الرابعة

تحركت الحملة من جنوب أوروبا عند البندقية (فينيسيا) ثم استولت على زارا في طريقها وبدلاً من أن يتجه الصليبيون نحو مصر اتجهت إلى القسطنطينية للاستفادة من حوادث داخلية فيها .

مسار الحملة الصليبية الرابعة

الشام أشد وعورة وأعظم خطراً.

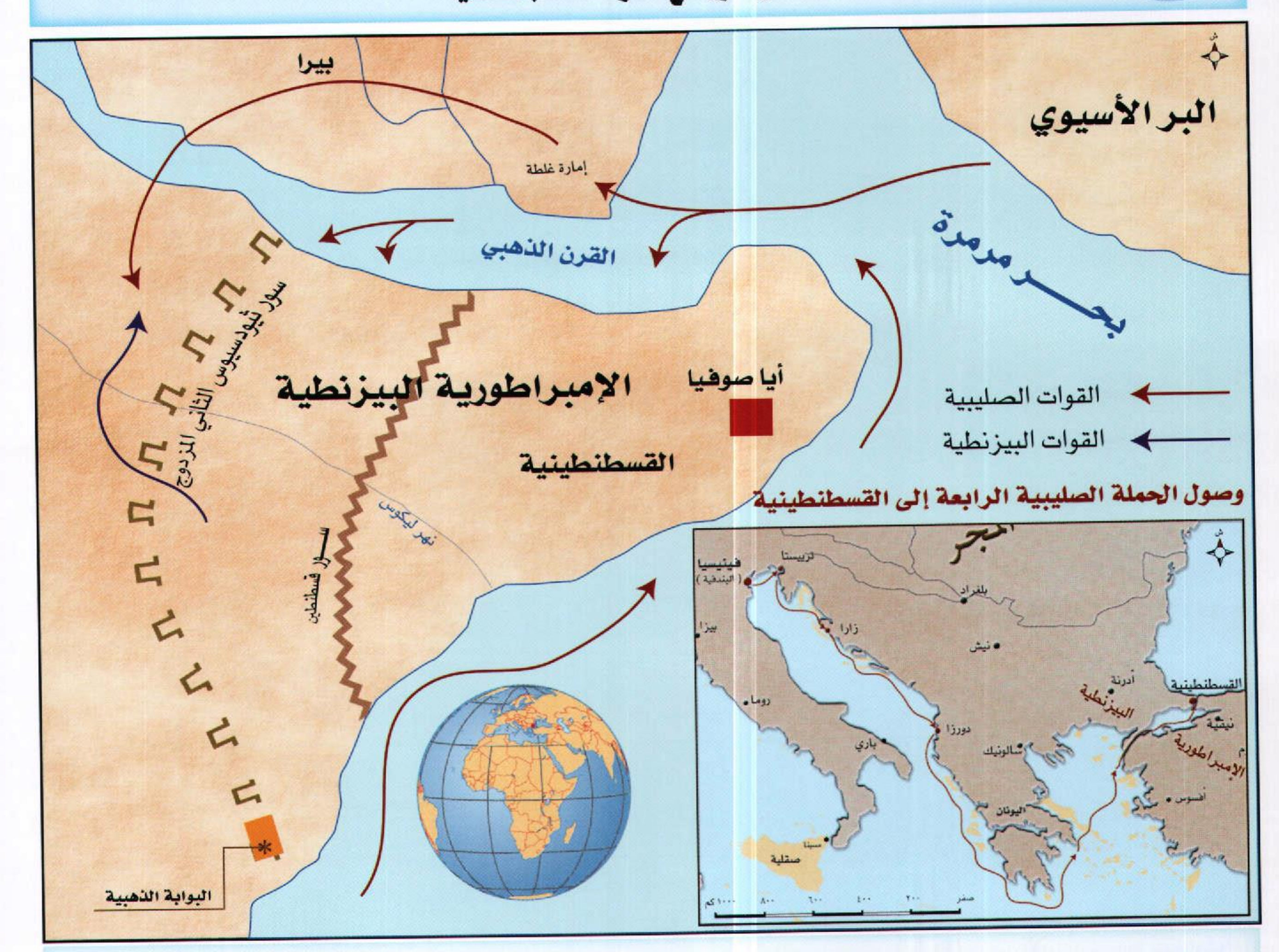
كما أغرت هذه الحملة كثيرين من فرسان الصليبيين في الشام، إلى أن يتركوا الشام ومتاعبه، ويتجهوا إلى قبرص أو البلقان ليهنأوا بحياة مستقرة.

وبالجملة فقد أضعفت الحملة الصليبية الرابعة مركز الصليبيين في الشرق الإسلامي وزعزعت مكانتهم.

لذلك قرر أحد مؤرخي الحروب الصليبية: ((أن الحملة الصليبية الرابعة جاءت نذيراً بفشل الحركة الصليبية بأكملها)).



الهجوم الصليبي على القسطنطينية



وصول الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية

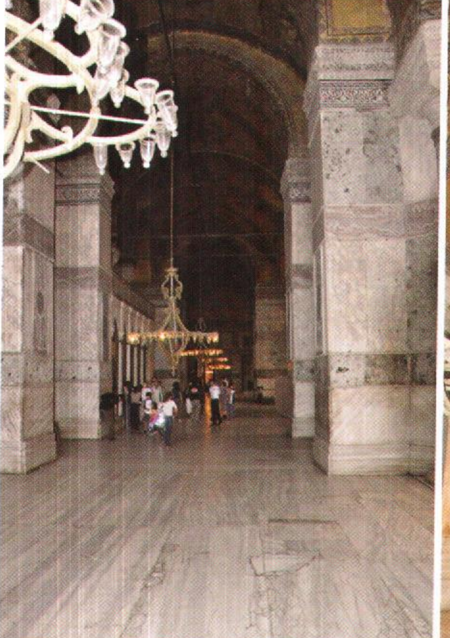
في أغسطس ١٢٠٢ م، وصل إلى **البندقية** القائد الأعلى للصليبيين **بونيفاس دي مونفيرات**، وتواطأ بونيفاس مع دوق البندقية على تحويل الهجوم ، ففي ٨ أكتوبر ١٢٠٢م أبحر أسطول الصليبيين من البندقية واحتل **زارا** المجرية التي دافعت دفاعاً مستميتاً، عن كيانها المهدد من قبل الحملة الصليبية الرابعة. وأصبحت زارا تحت حكم البندقية. لذلك أعرب الكرسي الأعلى في الكنيسة عن غضب يليق بالحادثة، ولكنه لم يتخذ إجراءات فعلية، فهدد بحرمان الفرسان من الكنيسة، ولكن الهجوم كان إلى حد ما في مصلحته، فكان وسيلة لتوحيد الكنيسة تحت رايته، فكان تأكيده لتحريم الاستيلاء على أملاك الروم (بيزنطة) مشوباً بفجوات مثل "إلا إذا شرعوا يقيمون دون تبصر العوائق أمام حملتكم" ، وفي ٢٤ مايو ١٢٠٣م ، غادر الأسطول كورفو التي كانت محطة له إلى القسطنطينية.

في **القسطنطينية** واجه الصليبيون خصماً ضعيفاً، فبيزنطة أرهقتها الحملات السابقة، والأتاوى والضرائب المتزايدة وتناقصت واردات الدولة، فوصلوا إلى شواطئها في ٢٣ يونيو ، وبدأت العمليات العسكرية في ٥ يوليو ١٢٠٣م، ففر إمبراطور بيزنطة الكسيوس الثالث، وعملياً استسلمت **القسطنطينية** البالغ تعداد سكانها زهاء ١٠٠ ألف في ١٧ يوليو ١٢٠٣م . وجرى تقسيم بيزنطة بين الصليبيين والبندقية ودمرت آثار ثقافة عريقة، وأصبحت أحداث ١٢٠٢-١٢٠٤ تظهر الصليبيين على صورتهم الحقيقية القائمة على الجشع المادي المتلبس بالدين؛ بعد أن كانت كما يزعمون أمراً إلهياً باسم الكنيسة.

آيا صوفيا هي كاتدرائية سابقة ومسجد سابق وحاليا متحف يقع بمدينة إسطنبول بتركيا.و تعد من أبرز الأمثلة على العمارة البيزنطية والزخرفة العثمانية







لقطة داخلية للقبة والأروقة ويظهر بها الزخارف الإسلامية التي صنعت في أثناء الوجود العثماني فيها، ويرى المؤلف في الصورة الأولى.

اضطراب الوضع بعد الحملة الصليبية الرابعة

لم تستقر الأمور بين المسلمين والصليبيين **بعد فشل الحملة الصليبية الرابعة** - على الرغم من الاتفاقات والمعاهدات - ذلك أن الصليبيين أسرع إلى نقض العهود والغدر والخيانة وتلك طبيعتهم .

فقد أراد **الإسبتارية** في **حصن الأكراد** أن يستولوا على مدينة **حمص** سنة ٦٠٤ هـ ١٢٠٧ م ، فتكررت هجماتهم عليها حتى وصلوا إلى أسوارها فاستنجد صاحب حمص آنذاك أسد الدين شيركوه الثاني، بالملك الظاهر صاحب حلب، فسير له إليه عسكراً منع عنه الصليبيين. وفي شتاء ١٢٠٧ م - ٦٠٤ هـ، استولى قراصنة صليبيون من **قبرص** على سفن مصرية وأسروا من فيها، فخرج إليهم السلطان العادل على رأس جيش قاصداً عكّا وانتهى الأمر برد أسرى المسلمين.

ثم اتجه العادل إلى **حصن الأكراد** لإبعاد خطر **الاسبتارية** عن حمص فعسكر عند بحيرة قدس قرب حمص ، وجمع هناك قوة من عدد من الأمراء ثم أعلن أنه يقصد طرابلس بينما **قصد حصن الأكراد فهاجمه وأسر خمسمائة رجل وغنم** وإن كان لم يستطع الاستيلاء على الحصن لمناعته.

ثم زحف العادل إلى **طرابلس** واستولى في طريقه إليها على حصن القليعات ولكنه أطلق سراح حاكمه. وقد أدت حروب العادل هذه إلى أن يسرع بوهيمند الرابع صاحب طرابلس، إلى طلب الصلح فأجابه العادل إلى ذلك. كما أن الملك حنّا برين عقد معاهدة مع السلطان العادل مدتها ست سنوات من ١٢١١ - ١٢١٧ م ، ٦٠٨ - ٦١٤ هـ ، وإن كان حنّا هذا أخذ يدبر مع الصليبيين **حملة لغزو مصر** عقب انتهاء الهدنة مباشرة؛ فأخذ يراسل **روما** ويطلب إعداد هذه الحملة، وما إن انتهت الهدنة حتى كانت دعوة حنّا برين قد أثمرت، **وبدأت الجموع الصليبية تشق طريقاً نحو الشرق لحملة صليبية خامسة.**

الإسبتارية

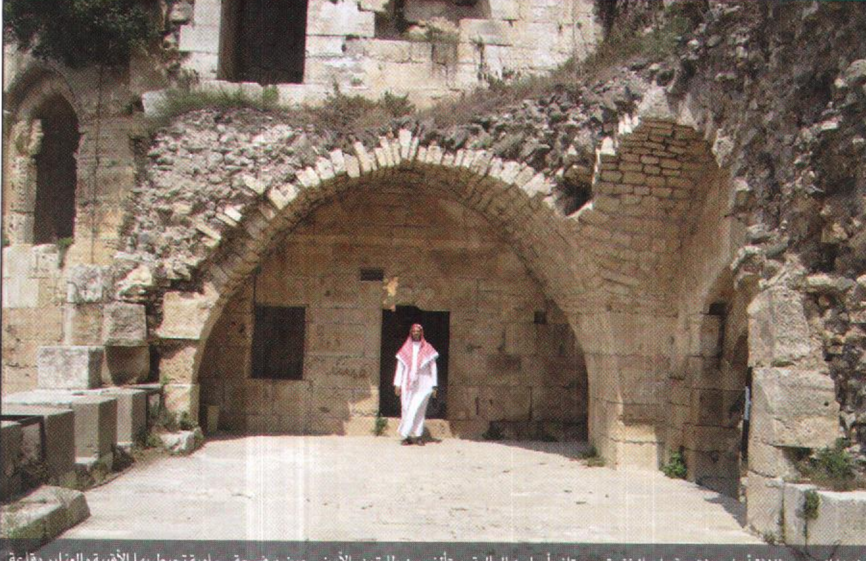
بدأ ظهور فرسان مالطة عام ١٠٧٠م، كهيئة داعمة، أسسها بعض الإيطاليين، لرعاية مرضى النصارى، في مستشفى (قديس القدس يوحنا) قرب كنيسة القيامة ببيت المقدس، وظل هؤلاء يمارسون عملهم في ظل سيطرة الدولة الإسلامية، وقد أطلق عليهم اسم **فرسان المستشفى أو الإسبتارية** باللغة الإيطالية تمييزاً لهم عن هيئات الفرسان التي كانت موجودة في القدس آنذاك مثل **فرسان المعبد (الداوية)** و"الفرسان التيوتون" وغيرهم، إلا أنهم ساعدوا الغزو الصليبي فيما بعد. وكان التزايد الكبير في أعداد الوافدين االنصارى إلى مدينة القدس قد زاد في بداية القرن الحادي عشر لاتجاه بعض الإيطاليين للحصول على حق إدارة الكنيسة اللاتينية من حكام المدينة المسلمين، وكان يلحق بهذه الكنيسة مستشفى للمرضى والحجاج يسمى مستشفى "قديس القدس يوحنّا" كذلك استطاع تجار مدينة "أمالفي" ١٠٧٠ م تأسيس جمعية داعمة في بيمارستان قرب **كنيسة القيامة** في بيت المقدس للعناية بالأجانب، ومن اسم المستشفى أطلق عليهم اسم فرسان **الإسبتارية** في اللغة العربية ، ولم يلبث أولئك الإسبيتاريون أن دخلوا تحت لواء النظام الديري البندكتي المعروف في غربي أوروبا، وصاروا يتبعون بابا روما مباشرة بعد أن اعترف البابا باسكال الثاني بتنظيمهم رسمياً في ١٥ فبراير ١١١٣ م، وهكذا أصبح نظامهم يلقى مساندة من جهتين: تجار أمالفي وحكام البروفانس في فرنسا. وعندما قامت الحروب الصليبية الأولى ١٠٩٧ م تم الاستيلاء على القدس أنشأ رئيس المستشفى (جيرارد دي مارتيز) تنظيماً منفصلاً أسماه "رهبان مستشفى قديس القدس يوحنا" وهؤلاء بحكم درايتهم بأحوال البلاد **قدموا مساعدات قيمة للصليبيين** خاصة بعد أن تحولوا إلى نظام **فرسان عسكريين** بفضل ريموند دو بوي (خليفة مارتينز) الذي أعاد تشكيل التنظيم على أساس عسكري مسلح باركه البابا (أنوسنت الثاني) ١١٣٠، حتى قيل "إن الفضل في بقاء مدينة القدس في يد الصليبيين واستمرار الحيوية في الجيوش الصليبية يعود بالأساس إلى **فرسان الإسبتارية** بجانب **فرسان المعبد**، وقد كان تشكيل تنظيم **الإسبتاريين** ينقسم إلى **ثلاث فئات**: فرسان العدل الذين هم من أصل نبيل (نبلاء) وأصبحوا فرساناً. القساوسة الذين يقومون على تلبية الاحتياجات الروحية للتنظيم. إخوان الخدمة وهم الذين ينفذون الأوامر الصادرة إليهم.

قلعة الحصن' أو حصن الأكراد: هي قلعة تقع ضمن سلاسل جبال الساحل السورى غربي حمص بـ ٦٠ كم ، وفي ١١٤٤م، قام ريموند الثاني أمير طرابلس بتسليمها إلى فرسان القديس يوحنا المعروفين بالإسبتارية أو فرسان المشفى . ومنذ ذلك الحين بدأ المكان يعرف باسم حصن الفرسان . وقد أعاد الإسبتارية بناء الدفاعات الجديدة للقلعة، وقاموا بترميمها بعد الزلزال الذي أصابها عام ١١٥٧م وتعد من أجمل القلاع الصليبية في الشرق .

قاعة الفرسان (الاسبتارية)

قلعة الحصن: قلعة لعبت دوراً ريادياً في أحداث الحروب الصليبية وكانت واحدة من أكثر المواقع الصليبية صموداً.

أنشئت قلعة الحصن في العام ١٠٣١م، على يد أمير حمص حيث وضع حامية كردية في الموقع، وأسماه **حصن الأكراد** . سقط الموقع عام ١٠٩٩م، بيد الأمير الصليبي **ريموند دي صنجيل**، الذي شن الحملة الأولى على المسلمين قرب الموقع، واحتله لفترة وجيزة في ١١٠٣م، لكن أمير حمص استعاد الموقع من الصليبيين ١١١٠م، بيد أن تانكريد أمير أنطاكيا الصليبي احتل القلعة وألحقها بكونتية **طرابلس**، ومنذ ذلك الحين باشر بنائها على الطراز القائم حالياً. تمتاز القلعة بلون حجارتها الكلسية التي كانت تجلب من مسافة / ٤ كم / من بلدة مجاورة تدعى(عمار الحصن) وميزة الحجر الكلسي أنه طيع في أثناء النحت وخفيف الوزن.



لهذا الحصن ثلاثة أبواب مفتوحة على الخندق، ويمتاز بأبراجه العالية. ويتألف من طابقين. الأرضي ويضم فسحة سماوية تحيط بها الأقبية والعنابر وقاعة الاجتماعات، والكنسية والمطعم والحجرات والمعاصر. والعلوي ويحتوي على أسطح مكشوفة ومهاجع وأبراج. ويرى في هذه الصورة مؤلف ومصمم الأطلس أمام برج القائد في الدور العلوي .

دولة المماليك في الهند (٦٠٢هـ - ٦٨٩هـ)

يعد **المماليك في الهند** من موالي السلطان محمد الغوري، الذي برز من بينهم **قطب الدين أيبك** الذى نصب نفسه سلطاناً بعد وفاة السلطان محمد الغوري وبذلك بدأت الدولة المملوكية في الهند. اشتهر قطب الدين في حكمه بحسن معاملة الناس وإقامة علاقات طيبة مع زملائه من الأمراء والقواد المماليك، وعمل على إقرار الأمن في كل نواحي بلاده، وحرصه على قيام العدل بين الناس. وبنى قطب الدين أيبك بالهند مسجدين كبيرين أحدهما بدلهي، والآخر بأجمير. وفي (٦٠٧هـ) توفي قطب الدين أيبك فخلفه أحد قواده وهو شمس الدين التمش أو اللمش.

بنى قطب الدين أيبك في فترة حكمه بعض المساجد الشهيرة في الهند مثل المسجد الكبير الذي شيده في دلهي، واشتهرت منارته التي لا تزال معروفة للآن باسم "قطب مينار" أو منارة قطب، وفي ذكرى فتحه دلهي أسس قطب الدين مسجد (قوة الإسلام) وهو من أشهر المساجد في الهند، وبعد وفاة قطب الدين أيبك وتولية التمش الملك ثارت عليه بعض الفتن من الهنادكة والأمراء الذين لم يرضوا بحكمه، ولكنه تمكن من القضاء على جميع الفتن التي أثارها بعض الأمراء الهنادكة والخارجين على حكمه. وفي سنة (٦١٨هـ) تعرضت الهند لخطر داهم من قبل المغول يقودهم جنكيز خان، وفي (٦٢٦هـ) أعلن **الخليفة العباسى المستنصر بالله** تثبيته للتمش على عرش الهند ولقبه بناصر أمير المؤمنين، وكان من أثر ذلك أن قوى مركز التمش بين مسلمى الهند قوة عظيمة.

واشتهر عن التمش أنه كان محباً للعدل حتى إنه جعل للمظلومين جرساً في قصره يطرقه المظلوم ثم جعل اللون الأحمر هو اللون المميز لملابس المظلومين. وفي (٦٣٣هـ) توفي التمش وكان قد أوصى لابنته رضية دون أبنائه من الذكور الذين لم ير من بينهم من هو جدير بحكم الهند لكن رجال البلد عهدوا بالحكم لابنه فيروز شاه وكان لأمه شاه تركان نفوذ كبير في الحكم، وكان حكمها استبدادياً أدى إلى غضب الأمراء الذين التفوا حول الأميرة رضية بنت التمش، فاستطاعت أن تجلس على عرش أبيها، وتمكنت من أن ترغم على طاعتها جميع الأمراء ببلادها، ولكن ثارت حولها شائعات فانقلب عليها الأمراء يحاربونها بزعامة أخيها بهرم شاه الذي جلس على كرسي الحكم بعد مقتل أخته رضية.

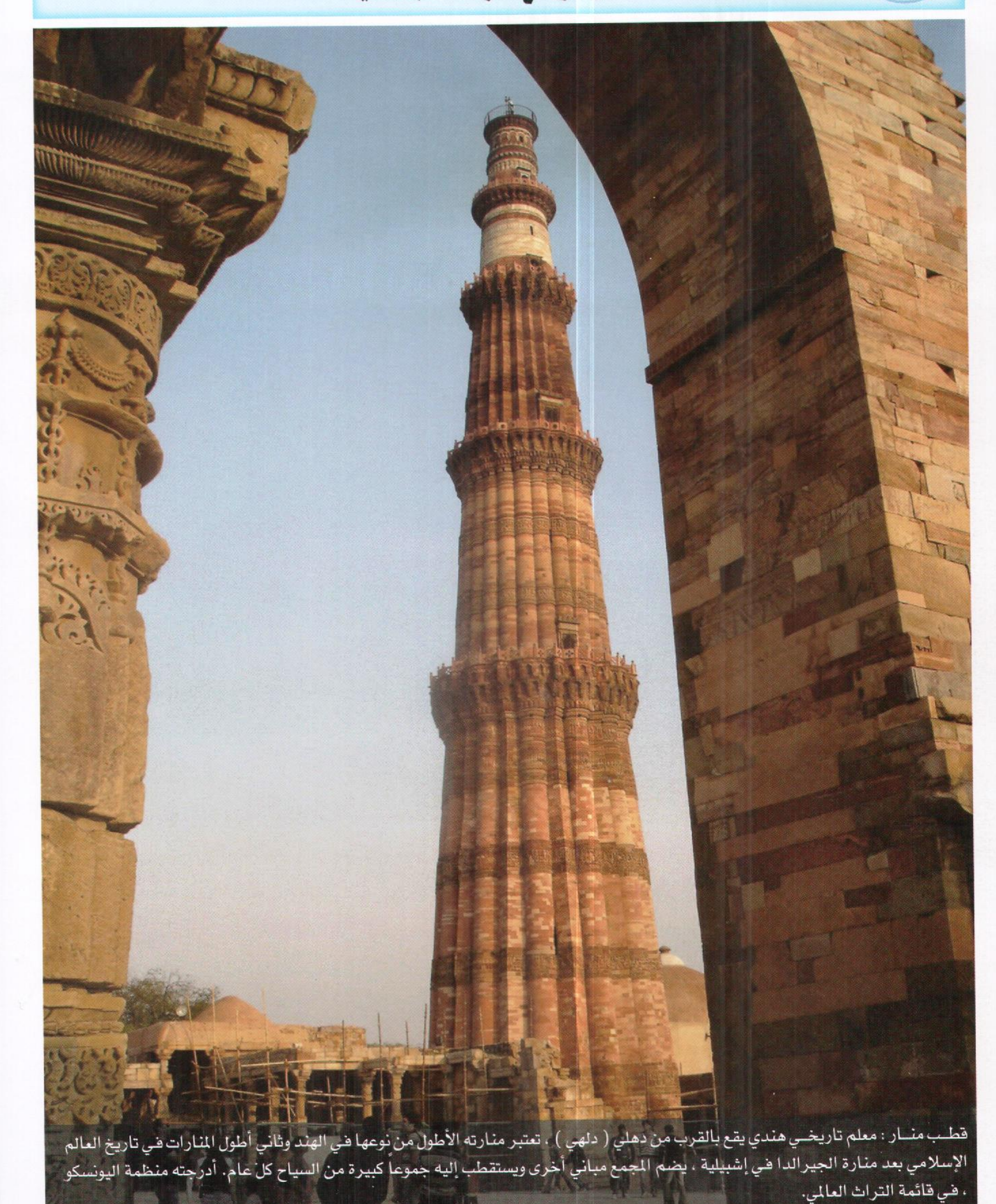
وفي عام (٦٣٩هـ) أقبل المغول على البنجاب واستطاعوا أن يخربوا لاهور دون مقاومة تذكر، وتولى الحكم مسعود شاه حفيد التمش سنة (٦٤٣هـ)، وفي عهده دخل المغول الهند من جديد بقيادة مانكو وتوغلوا في السند حتى تصدى لهم (بلبن) قائد جيش المسلمين فأنزل بهم خسائر فادحة.



موقع دلهي عاصمة مماليك الهند

وفي عام (٦٦٤هـ) رقى الوزير والقائد بلبن - الذي تلقب بغياث الدين- إلى العرش وعمل على استعادة الهيبة والنفوذ لمنصب السلطان بعد ضعف السلاطين من أبناء التمش. وعمل بلبن على إقرار الأمن الداخلي وتأمين الطرق والمسالك من عبث اللصوص وقطاع الطرق وكانوا كثرة، كما عمل على تنظيم وتدعيم قواته لمواجهة الخطر المغولي. ويقول عنه ابن بطوطة "إنه بنى داراً سماها دار الأمن فمن دخلها من أهل الديون قضى دينه، ومن دخلها خائفاً أمن، ومن دخلها وقد قتل أحداً أرضى عنه أولياء المقتول، ومن دخلها من ذوي الجنايات أرضى من يطلبه"، وتوفي غياث الدين بلبن سنة (٦٦٤ هـ) فتولى من بعده ابنه محمد الذى خرج لدفع خطر المغول عن لاهور فنالته رماحهم، وكان قد أوصى بالملك من بعده لحفيده كيخسرو، ولكن رجال البلاط نصبوا الأمير كيقباذ مكانه، وكان كيقباذ ضعيف الشخصية إلى جانب صغر سنه مما أدى إلى سيطرة أصحاب الأهواء على الحكم وحدوث الفتن والقلاقل داخل القصر.

وفي سنة (٦٨٩هـ) اجتاح الخلجيون "دلهي" وسيطروا عليها ثم قتلوا كيقباذ، وبذلك انتهى سلطان المماليك في الهند وبدأ حكم سلاطين الخلجيين.



قطب منار : معلم تاريخي هندي يقع بالقرب من دهلي (دلهي) ، تعتبر منارته الأطول من نوعها في الهند وثاني أطول المنارات في تاريخ العالم الإسلامي بعد منارة الجيرالدا في إشبيلية ، يضم المجمع مباني أخرى ويستقطب إليه جموعاً كبيرة من السياح كل عام. أدرجته منظمة اليونسكو ، في قائمة التراث العالمي.



أراد قطب الدين أيبك، أول حاكم من سلسلة من المماليك تركي الأصل، ممن ساهموا في نشر الاسلام في شمالي الهند، الذين أسسوا سلطنة دلهي، أن يخلد عهده، فقام ببدء أعمال بناء قطب منار عام ١١٩٣ م، لم تسعفه الظروف في إكمال العمل الذي انتهى عند المستوى الأول فقام خليفته (التمش) بإضافة ثلاثة مستويات أخرى، ثم قام فيروز شاه تغلق عام ١٣٦٨ م. بإضافة المستوى الخامس وهو آخرها.

معركة حصن العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)

تُعد **معركة حصن العقاب** فاتحة الانهيار الشامل لقواعد الأندلس الكبرى. فبعد الانتصار الباهر الذي حققه الموحدون حكام الأندلس والمغرب على صليبي الأندلس في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ، ركن الصليبيون للمهادنة انتظاراً للفرصة السانحة للوثوب مرة أخرى، وكان ألفونسو الثامن منذ هزيمة الأرك الساحقة يتوق إلى الانتقام لهزيمته وغسل عارها الذي جلل سيرته خلال فترة حكمه، فلما اشتعلت ثورة «بني غانية» وهم من أولياء دولة المرابطين التي كانت تحكم الأندلس والمغرب قبل الموحدين، في شرقي الأندلس وشمالي إفريقيا انشغل زعيم الموحدين «الناصر لدين الله» بقمع هذه الثورة، وذلك منذ سنة ٥٩٥هـ حتى سنة ٦٠٧هـ، وهي السنة التي قرر فيها ألفونسو الثامن الهجوم على الأندلس مرة أخرى.

بدأ ألفونسو الثامن حملته الصليبية على الأندلس بإزالة الخلافات العميقة بين ممالك إسبانيا النصرانية الثلاثة (قشتالة - ليون - أراجون) التي كانت سبباً مباشراً لهزيمة الصليبيين المدوية في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ، ثم قام ألفونسو الثامن بطلب المعونة والمباركة من بابا روما، وهو البابا «أنوسنت الثالث» وكان يضطرم بروح صليبية عميقة ويجيش بأحقاد عظيمة تجاه المسلمين الذين أفشلوا الحملات الصليبية على الشام وحرروا بيت المقدس، فوافق البابا على ذلك الطلب وأعلن شن حرب صليبية ضد مسلمي الأندلس، بعدها بدأت التحرشات الإسبانية.

كان لاستئناف نصارى إسبانيا لغزواتهم المخربة في أراضي الأندلس أثر بالغ في الدولة الموحدية قرر معه الخليفة الموحدي «الناصر لدين الله» العبور إلى بلاد الأندلس، فأرسل كتبه إلى سائر أنحاء المغرب وإفريقية وبلاد القبلة كلها بالنفير للجهاد ضد الصليبيين وإعداد العدة اللازمة لذلك، في شعبان سنة ٦٠٧ هـ خرج الناصر بجحافل جرارة تقدر بمئات الآلاف وهذه الضخامة كانت في النهاية سبباً مباشراً للهزيمة.

وصلت الجيوش الموحدية **لإشبيلية** في آخر ذي الحجة سنة ٦٠٧هـ، وهناك انضم إليه أعداد كبيرة من جنود الأندلس وأصبحت الجيوش في حالة تعبئة كاملة، وحدد الناصر هدف الهجوم. وهو قلعة شلبطرة في جبال الشارات «سييرامورنيا الآن»، وكانت هذه القلعة بيد فرسان المعبد الصليبي، وكانت نقطة إغارة دائمة للصليبيين على المدن الإسلامية بالأندلس، فطوق الموحدون القلعة وضربوها بالمجانيق حتى فتحوها بعد ٥١ يوماً من الحصار[1].

كان لفتح هذه القلعة أثر شديد في قلوب الصليبيين خصوصاً ألفونسو الثامن للأهمية الكبيرة لهذه القلعة، فقرر الهجوم على **قلعة رباح** وكانت نظيرة قلعة شلبطرة في الأهمية والمكانة عند المسلمين، وقد

---

١ - موقع مفكرة الإسلام على الشبكة العنكبوتية .



معركة حصن العُقاب : معركة وقعت في ١٦ يوليو ١٢١٢ م/ ٦٠٩ هـ شكلت نقطة تحول في تاريخ شبه جزيرة أيبيريا، حينما تجمعت قوات الملك ألفونسو الثامن من قشتالة ومنافسوه السياسيين سانتشو السابع من نافارة وألفونسو الثاني من البرتغال وبيدرو الثاني من أراجون ضد قوات الموحدين حكام الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة الأيبيرية ومناطق واسعة من شمال وغربي إفريقيا. بعد سقوط دولة الموحدين في الأندلس على يد النصارى وسقوط معظم أجزائها في إفريقيا على يد القوى المحلية قامت **دولة المرينيين** على أراضي دولة الموحدين وقاموا بعدة معارك في بلاد الأندلس ولكن النصر لم يكن حليفهم فيها.

انضم لألفونسو آلاف المتطوعين من فرنسا وألمانيا وهولندا وإنجلترا ومجموعة كبيرة من الأساقفة والرهبان، إضافة للفرسان **الإسبتارية والداوية** الذين انتقلوا من الشام إلى الأندلس لحرب المسلمين، وأمر البابا أنوسنت الثالث في روما بالصوم ثلاثة أيام التماساً لانتصار الجيوش الصليبية على مسلمي الأندلس، وأقيمت الصلوات العامة، وعمد الرهبان والراهبات إلى **ارتداء السواد** والسير حفاة في مواكب دينية بخضوع وتمهل ومن كنيسة إلى أخرى، وجاشت نفوس الأوروبيين كافة بروح صليبية عارمة. هجم الصليبيون بشدة على قلعة رباح وشددوا عليها الحصار حتى أجبروا حاميتها الصغيرة على الاستسلام نظير الأمان، وقد أدى هذا الأمان لغضب الصليبيين الفرنجة الذين جاءوا من أوروبا الذين أرادوا ذبح الحامية الإسلامية ورفض أي تسوية سلمية تحقن دم المسلمين، وتنامى هذا الغضب حتى انشق كثير منهم وتركوا ألفونسو الثامن وعادوا إلى بلادهم.

وقعت حادثة كان لها أسوأ الأثر على معنويات الجيوش الإسلامية، ذلك أن الناصر لدين الله قام بإعدام «ابن قادس» قائد حامية قلعة رباح ومن معه من الفرسان، لاعتقاده أنهم قد فرطوا في الدفاع عنها، فتأثر الكثيرون بهذا الأمر وأصابهم الغضب وأضمر الأندلسيون الغدر عند اللقاء وبيتوا الفرار عند الحرب الذي أدى في النهاية لكارثة العقاب.

استعد الفريقان للصدام المرعب، وكان الناصر الموحدي مزهواً بنفسه واثقاً من النصر لحد الغرور المهلك نظراً لضخامة الجيوش الموحدية « قرابة النصف مليون »، وكانت ثنية العقاب عند سفح جبال الشارات بالقرب من « مدريد »، حالياً هي موضع القتال الذي اندلع في ١٥ صفر سنة ٦٠٩هـ، وهجم الموحدون بكل قوتهم على صفوف الصليبيين الذين صمدوا بروعة لهجوم الموحدين، ثم أخذوا في التراجع والانهزام أمام الموحدين، وبدا النصر قريباً، ولكن كان الهجوم الخاطف الذي قاده ألفونسو الثامن بنفسه على ميمنة الموحدين ثم تلاه هجوم مماثل على ميسرة الموحدين قام به ملك أراجون، فاضطرب جناحا الجيش الإسلامي واختلطت صفوفهم، وعندها قام الأندلسيون بتنفيذ خطتهم في الفرار من أرض المعركة، وحاول الناصر الموحدي عبثاً تنظيم صفوف جيشه ولكنه فشل وكاد أن يقتل هو نفسه، وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة للموحدين قتل فيها عشرات الآلاف، منهم معظم المتطوعين من المغاربة وقبائل العرب.

وكانت هذه الهزيمة الساحقة أول مسمار في عرش دولة الموحدين الكبيرة وإيذاناً بانهيار مملكتهم الواسعة وحول ميزان القوى بالأندلس لصالح الإسبان، وقد عم الابتهاج والفرح في أنحاء أوروبا، وأقيمت صلوات شكر في الكنائس تقدمها أنوسنت الثالث نفسه[١].

---

١ - موقع مفكرة الإسلام



قلعة رَبَاح بالأندلس (سميت نسبة إلى رباح، الأمير الذي حكمها في القرن الثامن الميلادي)

مرتسم تخيلي لموقعة العقاب بين جيش الموحدين والقوى الصليبية على الأرض الأندلسية

أنطلق فريدينانـد الثالث مـن قشتالـة باتجـاه قرطبـة واستولى عليهـا عـام ١٢٣٦م وجيـان عـام ١٢٤٦م وإشبيليـة عـام ١٢٤٨م ثم سقطت كل مـن آركوس وقادس وصيـدا الأندلسـيـة، وكان فريدينانـد الثالث بعـد هـذه الانتصـارات يطمـح إلى عبـور مضيـق جبل طـارق وضـرب دولة الموحدين في عقر دارها، إذ كانت تعـاني الانقسامات والثـورات، ولا يـزال أثـر الهزيمة فيهـا. لم يمنع فريدينانـد من التقـدم سوى موته في إشبيلية عام ١٢٥٢م.

الحملة الصليبية الخامسة

سنة ٦١٤-٦١٨هـ - ١٢١٧-١٢٢١م

قادة الحملة :ليبو دوق النمسا، وأندريه الثالث ملك هنغاريا، بهمايهو ملك قبرص

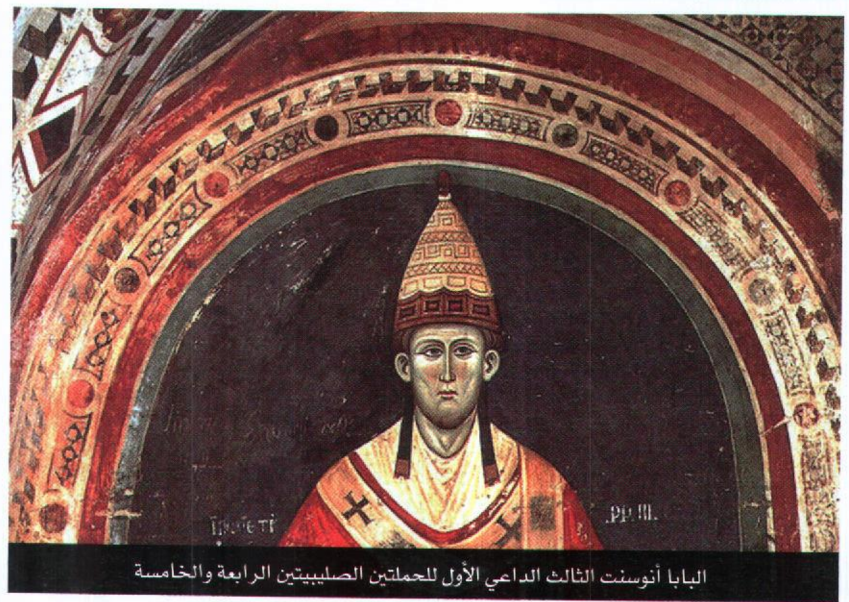
سبب الحملة ومسارها :

جدد البابا **هنريوس (أونوريوس) الثالث** دعوة البابا **أنوسنت الثالث** إلى حرب صليبية جديدة؛ بغرض استرجاع **بيت المقدس** من قبضة المسلمين الذين قاموا بتحريره، وتلبية لرغبة بعض الأمراء الصليبيين في بلاد الشام استجابت لندائه بعض الزعامات الأوروبية، حيث وصلت الحملة الصليبية إلى **قبرص** ثم إلى مملكة بيت المقدس (**عكّا**) وانهزموا فيها، ثم جاءت إمدادات أوروبية فتغير مسارها إلى **مصر** وبالتحديد في **دمياط** بقيادة بلاجيوس، والملك يوحنادي برين ملك ما تبقى من بيت المقدس.

في سنة ٦١١ هـ، انعقد المجمع اللاتيني الرابع في روما، واتخذ سلسلة من القرارات المبدئية التي تتعلق بتنظيم الحملات الصليبية بشكل عام ، وكان ذلك بداية تشكيل شكل من مؤسسة دائمة للحملات الصليبية، ووضع هذه المشاريع على أساس امتن ، وأمر الأسياد والمدن، وفقاً لوضعهم الاقتصادي والمالي، بأن يقدموا للحملة مجموعة حربية ذللت عدداً معيناً من العناصر، ويؤمّنوا لها الأموال لمدة ثلاث سنوات. وقرر المجمع اللاتيني ضريبة استثنائية إلزامية لتأمين حاجات الحملات وذلك على شكل جزء من عشرين من الدخل السنوي، وكان على البابوات والكرادلة أن يدفعوا ضريبة مزدوجة، أما الخارجون عن الطاعة فكانت الكنيسة تتخذ عقوبات كنسية صارمة ضدهم، وتم تنظيم حملات الوعظ ووضع الكتب التعليمية لأجل تهذيب الحملات الصليبية، وبذلك نظمت الحملات الصليبية تنظيماً مؤسسياً. تحددت سنة ٦١٣ هـ موعداً لبداية **الحملة الخامسة**، وخطط لها أن تنطلق من ميناء **برنديسي** الإيطالي، وكان من الملوك الذين أخذوا النذر الصليبي فريدريك الثاني الألماني، واندراش (أندره) الثاني المجري، ويوحنا بلاارض الإنجليزي، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، ومات البابا أنوسنت الثالث والملك الإنجليزي يوحنا بلاارض، على التوالي، الأول في ١٦ يوليو، والثاني في ١٦ أكتوبر من عام ١٢١٦م. فانتقلت البابوية وقيادة تنظيم الحملة إلى البابا أونوريوس الثالث، الذي عين القاصد الرسولي في قوات الصليبيين الكاردينال بيلاجيوس من البانو.

وكان الملك المجري إندرياش الثاني وأسياد التحقوا به (معظمهم من جنوبي ألمانيا) وصلوا ما بين يوليو وأغسطس من سنة ٦١٧ هـ إلى سبليت، ولكنهم اضطروا للانتظار بسبب عدم كفاية السفن لنقل الفيالق الصليبية إلى جبهة القتال.

الحملة الصليبية الخامسة



البابا أنوسنت الثالث الداعي الأول للحملتين الصليبيتين الرابعة والخامسة

في عهد البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨- ١٢١٦م) استطاع أن يلعب دوره بمهارة في السياسة العالمية لغربي أوروبا، وأن يفرض كلمته على أعظم حكام الغرب، بل ونصارى الشرق أيضاً، ولعل ما أسهم به بشكل واضح في توجيه سياسة الإمبراطورية الرومانية المقدسة ما يدل على ذلك، فقد ناصر الإمبراطور أوتو الأول ضد هوهنشتادفين وكان سلاحاً له الآخر، وفي فرنسا أخذ يمد أنوسنت كذلك أنفه في شؤونها الداخلية في عهد ملكها فيليب أوغسطي، حتى إذا ما أراد الملك أن يقف موقفاً حازماً من البابوية إذا بالبابا أنوسنت يوقع قراراً بحرمانه هو وبلاده وكان ذلك سنه ١٢٠٠م، مما أجبر الملك على الإذعان إلى البابا وإصلاح أموره معه حرصاً على مكانته في دولته، وفي إنجلترا لم تنج هي الأخرى من سلطة البابا أنوسنت الثالث وعناده معها. وما كان من موقف الملك حنًّا حول تعيين كانتربري سنه ١٢٠٧ وكيف أن البابا أصر على رفض مرشح الملك وأصدر ضده وضد بلاده قراراً بالحرمان سنه ١٢٠٨ – ١٢٠٩م، بل إن أنوسنت استحث فيليب أوغسطي على غزو إنجلترا، ليوقع بين الجارتين فرنسا وإنجلترا، مما دفع الملك حنًّا إلى أن يذعن أخيراً سنة ١٢١٣ لرغبه البابا أنوسنت الثالث ويقبل شروطه وهو صاغر. د. يواقيم رزق مرقس، محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية.

الزحف الصليبي على دمياط (مصر)

دعـا **البابـا** أنوسنـت الثالث لحملـة صليبية جديدة سنـة ٦٠٩ هـ، التـي أكمل دعوتها بعـد موته البابا **هنريوس (أونوريوس) الثالث،** حيث أعلن أن هذه الحملة يجب أن تتجه نحو الشام مباشرة. ووصلت الحملـة الصليبيـة إلى الشام في سنة ٦١٥ هـ، تحت زعامة ليبود السادس (دوق النمسا) وأنديريه الثاني (ملك هنغاريا) ثم لحق بهما، بهمايهو (ملك قبرص). واجتمعوا في **عكّا**، وقرروا البدء بمهاجمة **القلعة الجديـدة** التي شيدها **العادل** على جبل الطور للسيطرة علـى إقليم الجليل واتجه إليهم **الملك العادل**، ولكنـه آثر الانسحـاب من وجههم فاستولوا على بيسان، ثم عبروا الديـار السورية وأوغلوا حتى وصلوا إلى نوى (وينسب إليها الإمام المحدث النووي، صاحب رياض الصالحين).

ووجه العادل اهتمامه إلى الدفاع عن **دمشق وبيت المقدس**، واتجه **الصليبيون** إلى قلعة الطور ولكنهم عجزوا عن الاستيلاء عليها ثم عاد ملك هنغاريا (المجر) إلى بلاده، حيث لم تحقق حملته مع ملك النمسا شيئاً سوى هدم حصن الطور الذي هدمه العادل بنفسه، لما رأى ما يجره عليه من عداء الصليبيين.

أمـا دعوة حنّا بريـن، لمهاجمة **مصر لأنها عند الصليبيين هي مفتـاح بيت المقدس،** لذلك تدفقت جمـوع الصليبيين إلى الشـام استجابة لدعوة البابا أنوسنت الثالث، والملـك حنّا برين. وخرج **حنّا برين** لمهاجمـة مصر ومعه تلك الجمـوع والإسبتارية والداوية والقبارصة قاصداً **دميـاط** في ٦١٦ هـ ١٢١٨ م، وكان حنّـا زعيم الحملة، **ولم ينس الصليبيـون أن يتصلوا بملك الحبشة النصراني**، ليعاونهم في ضـرب الإسلام والمسلمين **عن طريق غزو الحجـاز وهـدم الكعبـة**. ووصلت سفنهم دمياط، وعلم الملك **الكامل** ابن الملك العادل بوصولهم، فأسرع بالتحرك نحو جنوبي دمياط.

بينمـا رسا الصليبيون على الضفـة الغربية للنيل، وأخذ الصليبيون يهاجمون برج السلسلة ثلاثة أشهر ثـم استولـوا عليه في نهايتها، وقد حاول المسلمون إقامة العوائق فـي النيل حتى لا تدخله سفن الصليبيين ولكن الصليبيين أفسدوا هذه العوائق.

وانتظـر حنّـا بريـن فـي مواجهـة الجيوش الإسـلاميـة حتى جـاءه مدد مـن أوروبا علـى رأسـه الكـاردينـال (بلاجيوس) مندوب البابـا والقائد الأعلى للصليبيين في حملتهم على مصر، وحاول **الملك المعظم** أن يشغـل **الصليبيـين** عن **مصـر** فهاجـم قيسارية واستولى عليهـا، لكنه لم يستطـع المضي في الاستيـلاء على مـا يريد من القلاع والحصون، وتوفي الملك العادل في جمادى الثانية سـنة ٦١٥ هـ- ١٢١٨ م، وخلفـه **ابنـه الكامل** في الحكم علـى مصر، وابنه الملك المعظم على دمشق. وفـي شهر رجب من العام نفسـه هاجـم **الملك الكامل الصليبيين** في **دمياط** ولكن الصليبيـين تغلبوا عليه، ولم يمض إلا قليل من الوقـت حتى دبـر الأكراد مؤامرة للإطاحة بالملـك العادل ففر منهم، فلما رأى الجنـد فرار الملك تخاذلوا



هجوم الصليبيين على مصر

وانصرفوا **فعبر الصليبيون النيل** إلى الضفة الشرقية وأصبح سقوط دمياط مسألة وقت، لكن وصول الملك المعظم لنجدة أخيه أخرت الأمر بعض الشيء.

وصادف ذلك جيوش جنكيز خان **للدولة الخوارزمية**، فاضطرب الكامل وأحس أن حماية الجبهة الإسلامية الشرقية من **المغول** عمل ضروري فعرض الصلح على الصليبيين، فرفض الصليبيون وبخاصة **بلاجيوس** مندوب البابا هذا الصلح، وإن قبله حنّا برين. فهاجم الصليبيون معسكر الكامل، وفشلوا في ذلك ومنوا بهزيمة ولكنهم ظلوا محاصرين لدمياط، وجاءتهم نجدة من الإنجليز والفرنسيين في حين ساءت الأحوال في مصر وغلت الأسعار (وأصبحت قيمة البيضة بدينار من الذهب) **فسقطت دمياط في أيدي الصليبيين سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م**، وأعملوا القتل في أهلها والإفساد لكل ما فيها، ثم اتخذوا منها مركزاً وحصناً يهددون منه القاهرة ويتحكمون منه في شرقي البحر المتوسط. وفي ذلك الوقت كانت جيوش التتار قد وصلت إلى قرب بغداد، واستنجد **الخليفة العباسي** بالملك الأشرف أخو الملك الكامل، ولكن الأشرف اعتذر بأنه ذاهب لنجدة أخيه ضد الفرنج. وقد اغتر **الصليبيون** باستيلائهم على **دمياط** ورفضوا عروضاً من **الملك الكامل** كانت مغرية حقاً ليجلوا عن دمياط. فاتجهوا إلى مهاجمة **القاهرة** وتحركوا نحوها في أواخر يونيو ١٢٢١ م ، ٦١٩ هـ.

موقعة حصار دمياط سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م

ش

البحر الشامي (بحر الروم - البحر المتوسط)

الجيش الصليبي

بحيرة المنزلة

الجيش الإسلامي

نهر النيل (فرع دمياط)

مدينة دمياط

البر الشرقي

البر الغربي

٠ ١ ٢كم



مرتسم تخيلي لهجوم الصليبيين على دمياط



كان الملك الكامل الأيوبي قد؛ نقل معسكره إلى فارسكور حيث خيم بالمنزلة الجديدة التي شيدها على الشاطئ الشرقي للنيل (المنصورة) وجمع الملك الكامل وأخواه المعظم والأشرف كل قوة يمكنهم جمعها واستعدوا لمواجهة الصليبيين. **وعرض الملك الكامل على الصليبيين عرضه من جديد**، ولكنهم أبوا وشرعوا في التحرك نحو **القاهرة** وتقدموا وسط مثلث تحيط به المياه من ثلاث جهات: هي بحيرة المنزلة من الشرق، وفرع دمياط من الغرب، والبحر الصغير من الجنوب. ووقفت السفن الإسلامية في النيل لتسد الطريق عليهم وتمنعهم من الاتصال بمركزهم في دمياط، وكان وقت الفيضان للنيل، فقطع المسلمون السدود فغرقت أكثر الأرض المحيطة بالصليبيين ولم يبق لهم للعودة إلى دمياط سوى طريق ضيق ملأه الملك الكامل بالقوات العسكرية التي أخذتهم وهم يحاولون العودة على دمياط.

وساء موقف الصليبيين وتجمدوا عند البرامون فلا يستطيعون المضي ولا العودة ولا يستطيعون القتال في الوحل؛ فطلبوا الصلح هذه المرة، خانعين طالبين النجاة بأنفسهم فقط؛ فأجابهم الملك الكامل إلى ذلك بشرط أن يرسلوا له **برهائن من الملوك** حتى يسلموا دمياط للمسلمين، وجلوا عن دمياط في رجب سنة ٦١٨ هـ - سبتمبر ١٢٢١ م، ودخلها الملك الكامل والمسلمون. **وهكذا فشلت الحملة الصليبية الخامسة التي دعا إليها حنّا برين، والبابا أنوسنت الثالث وعادت من غزو مصر بالخزي والمذلة والانسحاب.**



١ - استطاع السلطان محمد خوارزم شاه أن يمد نفوذه على سجستان وأن يلحق الغزنويين بدولته.

٢ - أكمل ابنه آتسز ٥٢٢ – ٥٥١ هـ، الذي يعد أول سلاطين الدولة الخوارزمية فاستعان بالمغول في صراعه مع إخوته فكان هذا التصرف القشة التي مهدت لدخول المغول إلى الديار الإسلامية ومن ثم مواصلة غزوها الهمجي نحو الخلافة في بغداد.

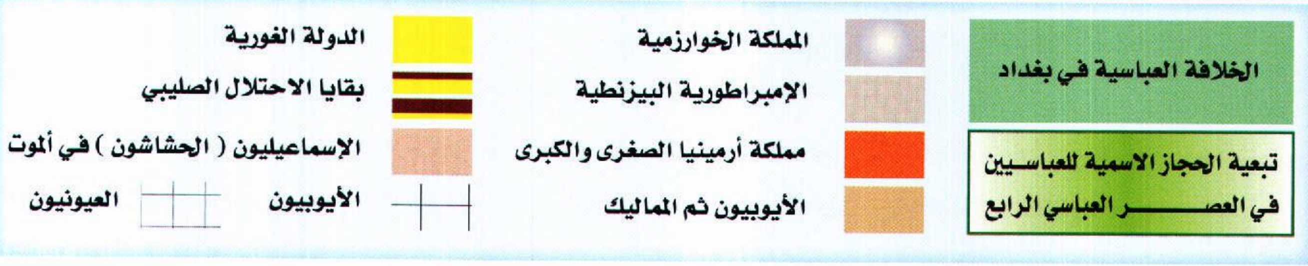
التوسع الخوارزمي وبداية الاحتكاك بالمغول

قال الأدريسي في «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»: ... وأهل **خوارزم** مياسير، وأهل مروة ظاهرة، وهم أكثر الناس أسفاراً، وأوسعهم أموالاً، وترتفع منها ثياب القطن والصوف وسائر الأمتعة الكثيرة تحمل إلى سائر الجهات، ولسان أهل خوارزم لسان منفرد بذاته، وهم أهل غلظة ونجدة، والأغزاز يهابون سطواتهم، ويحذرون من مصادرتهم، وتقع إليهم من بلاد الغزية والخزر المواشي والدواب والرقيق والأوبار مثل الفنك والسمور والثعالب والأرانب وغير ذلك من أصناف الوبر.

سراي بركة
قبائل القراخطاي التركية
مملكة الخزر
بحر آرال
أطرار (أترار)
سيحون
الترك القراخطاي
الأتراك القرخانية
ويغور
بحر بنطس (الأسود)
جورجيا
تفليس
خوارزم
القسطنطينية
طرابزون
الشاش
البيزنطيون
شماخة
بحر الخزر (قزوين)
ماوراء النهر
طشقند
مملكة إرمينية
باكو
خوقند
سلاجقة الروم
بخارى
قونية
ديار بكر
سمرقند
تبريز
مرو
أرمينية الصغرى
جيحون
بلخ
الإسماعيليون
ألموت
حلب
الموصل
نيسابور
خراسان
قبرص
همذان
الري
هراة
كابول
سلمية
مصياف
الرقة
العراق
غزنة
البحر الشامي (بحر الروم - البحر المتوسط)
أصفهان
بغداد
دمشق
المملكة الخوارزمية
المقدس
الإسكندرية
الشام
الأهواز
الكوفة
شيراز
البصرة
القاهرة
فارس
كرمان
سجستان
مصر
الأيوبيون ثم المماليك
هندوستان
خ. البحرين (العربي)
بندر عباس
الغور
مكران
العيونيون
المدينة النبوية
البحرين
خليج عمان
نجد
مسقط
النوبة
الحجاز
بحر القلزم (الأحمر)
عمان
مكة المكرمة
جزيرة العرب
الأئمة الإباضية
ديو
الأشراف
سواكن
داماس
بحر العرب
صنعاء
زبيد
٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ كم

سيطر **الخوارزميون** على ممتلكات دولة الغور في طخارستان (أفغانستان)، ثم امتدت الدولة من حدود العراق العربي غرباً إلى حدود الهند شرقاً، ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالاً إلى الخليج العربي والمحيط الهندي جنوباً.

أقصى مدى للمملكة الخوارزمية التركية في القرن السادس الهجري



الاحتكاك بين الدولتين: تجاورت الدولتان القويتان، ولم يكن هناك مفر من الصدام بينهما، وكان كل منهما ينتظر الفرصة للانقضاض على الآخر، وحدث ما لم يكن منه بد، فالتقى السلطان محمد خوارزم وهو في طريقه إلى إحدى الغزوات بفرقة من الجيش المغولي كان يقودها "جوجي بن جنكيزخان"، وعلى الرغم من ضخامة جيش الخوارزميين، فإنه لم يفلح في تحقيق نصر حاسم على تلك الفرقة لمهارتها في القتال وأساليبها المبتكرة في الحرب التي اندهش لها الجيش الخورازمي. وكان لهذا اللقاء أثر في نفس السلطان الخوارزمي، فاستشعر الخوف من هؤلاء الجيران الجدد، ولم يأمن غدرهم، فبدأ يتابع أخبارهم، ولما وصلت إليه أنباء استيلاء جنكيزخان على بكين لم يصدق هذه الأخبار، وأرسل وفداً إلى بكين للوقوف على جلية الأمر، ومقابلة جنكيزخان، فلما وصل إلى هناك استقبلهم وأحسن وفادتهم وبعث معهم برسالة ودية إلى السلطان الخوارزمي. وبدلاً من أن ينصرف السلطان إلى تقوية دولته والقضاء على المغول الذين يهددون دولته أو مسالمتهم، **انصرف إلى النزاع مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله**، وطمع في أن يكون له الهيمنة على بغداد والخلافة العباسية كما كانت لسلاطين السلاجقة، فحرك جيوشه الجرارة تجاه بغداد، لكن الأمطار الغزيرة والعواصف الشديدة تكفلت بالأمر وتصدت له، فمات عدد كبير من جند الخوارزميين وهلكت خيولهم، واضطر السلطان إلى العودة إلى بلاده سنة (٦١٤هـ = ١٢١٧م)، يجر أذيال الخيبة والفشل وكانت هذه أول صدمة قاتلة قابلته منذ أن ولي الحكم في سنة (٥٩٦هـ = ١١٩٩م).

حادثة قتل التجار: رجع السلطان بعد فشل أمله في السيطرة على بغداد إلى بلاد ما وراء النهر، واستقبل هناك وفداً من تجار المغول المسلمين يحملون رسالة من جنكيزخان إلى السلطان يعرض عليه إبرام معاهدة تجارية بين البلدين فوافق السلطان على مضض، بعد أن شعر أن الرسالة تحمل في طياتها التهديد والوعيد، وكان في السلطان أنفة وكبرياء، فأسّرها في نفسه وإن لم يبدها في الحال. ثم حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد قدم جماعة من التجار من رعايا جنكيزخان إلى مدينة "أترار" التابعة للدولة الخوارزمية، فارتاب فيهم "ينال خان" حاكم المدينة دون تثبت، وبعث إلى السلطان الخوارزمي يخبره بالأمر، وبشكوكه فيهم، فبعث إليه يأمره بالقبض عليهم وقتلهم باعتبارهم جواسيس من قبل جنكيزخان. وكان من الطبيعي أن تسوء العلاقة بين الدولتين بعد الحادث الطائش الذي أقدم عليه السلطان، دون أن يدري أن كل قطرة من دماء هؤلاء التجار كلفت المسلمين سيلاً من الدماء لم ينقطع لفترة طويلة، وأرسل جنكيزخان إلى السلطان يطلب منه تسليم حاكم "**أترار**" ليحاكمه ما دام قد تصرف من تلقاء نفسه دون أن يرجع إليه، لكن السلطان رفض احتجاج جنكيزخان، ولم يلجأ إلى اللين والتلطف، وتملكته العزة بالإثم فأقدم على قتل الوفد الذي يحمل الرسالة دون بصر بعواقب الأمور، قاطعاً كل خيط لإحلال السلام محل الحرب.

الاستعداد للحرب: كان قتل الرسل يعني إعلان الحرب بين الدولتين وقطع كل أمل لحسن الجوار وحدوث السلام، فأخذ كل فريق يستعد للآخر، وشرع السلطان الخوارزمي يستطلع أخبار المغول، ويجهز الجيوش، ويبني الأسوار حول المدن، ويفكر في رسم الخطط الحربية، حتى صار لا يتكلم إلا في موضوع الحرب الذي شغل قلبه، وفي الوقت نفسه كان **جنكيزخان** يستعد للصدام المرتقب بينهما، فجهز جيوشه، وأعد أسلحته، وحشد كل ما يمكن حشده. وبعد أن أكمل جنكيزخان استعداداته انطلق بجيشه نحو بلاد ما وراء النهر في خريف سنة (٦١٦ = ١٢١٩) وهو يعتقد أنه سيقابل خصماً قوياً، يحسب له ألف حساب، وبدلاً من أن يخرج الجيش الخوارزمي لملاقاة المغول استقر رأي قادته على ترك المغول يعبرون نهر سيحون، واصطيادهم بعد ذلك في بلاد ما وراء النهر التي لا يعرفون مسالكها، بحيث تنقطع الإمدادات عنهم.

الإعصار المغولي: بلغ جنكيزخان وجيشه نهر سيحون على مقربة من مدينة أترار في رجب (٦١٦ = ١٢١٩) ولم يشأ أن يهاجم الخوارزميين من جهة واحدة، بل من جهات متعددة تربك استعداداتهم، وتشتت وحدتهم، فقسم جيشه الذي يبلغ ما بين مائة وخمسين ألفاً إلى مائتي ألف جندي إلى أربعة جيوش: الأول بقيادة ابنيه جغتاي وأوكتاي ومهمته فتح مدينة أترار. والثاني بقيادة ابنه جوجي وهو الابن الأكبر لجنكيز خان، ووجهته البلاد الواقعة على ساحل نهر جيحون. أما الثالث فمهمته الاستيلاء على مدينتي بنكات وخوقند على نهر سيحون. والجيش الرابع كان تحت قيادة جنكيزخان، ويتألف من معظم الجيش المغولي ويضم القوى الضاربة، وكانت وجهته مدينة بخارى الواقعة في قلب إقليم ما وراء النهر، وكانت مهمة هذا الجيش هي التصدي لقوات الخوارزميين، والحيلولة دون وصولهم إلى المدن المحاصرة على نهر سيحون من ناحية الشرق. وقد نجحت الجيوش الثلاثة فيما وكل إليها من مهام، فسقطت مدينة أترار، بعد أن صمدت للحصار شهراً كاملاً، وأبلى حاكمها بلاءً حسناً في الدفاع حتى فقد معظم رجاله، ونفدت المؤن والأقوات، ولم تكن المدن الأخرى بأسعد حالاً من أترار فسقطت هي الأخرى أمام الجيشين الثاني والثالث.

سقوط بخارى وسمرقند: أما الجيش الرابع الذي ضم معظم قوات المغول، فقد تحرك إلى بخارى تلك الحاضرة العظيمة، وهاجم المدينة بضراوة شديدة، ودارت معارك عنيفة بين الجيش الموكل بالدفاع عن المدينة وقوات المغول لمدة ثلاثة أيام، انهارت بعدها قوى الخوارزميين ولم يكونوا قليلي العدد، بل كانوا عشرين ألف مقاتل، وشعروا باليأس، فقرروا الانسحاب ليلاً، وتمكنوا من اختراق الجيش المغولي الذي يحاصر المدينة، وأجبروه على الارتداد، ولو أنهم صبروا وتابعوا عدوهم المتقهقر لكان خيراً لهم، ولكنهم آثروا السلامة تاركين المدينة المنكوبة لقدرها المحتوم أمام هجمة المغول المتوحشة، فاجتاحت المدينة الآمنة كالجراد المنتشر في (ذي الحجة ٦١٦ هـ فبراير ١٢١٩م)، وقاتلوا من اعتصم بقلعتها، وطردوا أهلها بعد

أن سلبوا ما في المدينة من أموال، ثم أعملوا السيف فيمن بقي بداخل المدينة، وأنهوا عملهم الوحشي بإحراق المدينة فأصبحت قاعاً صفصفاً بعد أن كانت درة متلألئة بين حواضر العالم الإسلامي. وبعد أن أجهز جنكيزخان على بخارى اتجه إلى سمرقند حاضرة إقليم ما وراء النهر، وضرب حولها حصاراً شديداً، ودار قتال عنيف هلك فيه أكثر الجند الخوارزمي ما أضعف مقاومة أهل سمرقند فطلبوا الأمان نظير تسليم المدينة، فأجابهم المغول، وما إن دخلوا المدينة المنكوبة حتى أعملوا فيها السيف بعد أن جردوهم من أسلحتهم، وأحرقوا المدينة ومسجدها على من فيه من الناس.

نهاية السلطان محمد خوارزم شاه: كانت الهزائم التي لقيها السلطان الخوارزمي قاسية، ولم تكن من قلة في العدد والعتاد، ولكن كانت من سوء قيادة، وفرقة في الصف، وحب للدنيا، وتقاعس عن الجهاد، وخور في العزيمة، ووهن في النفس، فانهار البناء الضخم، وسقطت الدولة المترامية في سنوات قليلة، ولم يعد أمام السلطان سوى التوجه إلى مكان آمن يعيد فيه تنظيم جيشه ويعاود الجهاد حتى يسترد ما فقده، لكنها كانت أحلام بددها إصرار جنكيزخان على تتبع السلطان الفار من بلد إلى آخر، وجند المغول تطارده، حتى انتهى به المطاف إلى همدان في نحو عشرين ألفاً من جنوده. وفي هذه الأثناء تمكن المغول من السيطرة على إقليم خوارزم، أهم ولايات الدولة، وأسروا تركان خان والدة السلطان ومن معها من أبنائه وبناته، فلما قُدّموا إلى جنكيزخان أمر بقتل أبناء السلطان محمد بن خوارزم وكانوا صغار السن، وزوّج أبناءه وبعض رجاله من بنات السلطان . حمادة شرقاوي، الدولة الخوارزمية، موقع الخط العربي.



موقع منغوليا في قارة آسيا



سقوط المملكة الخوارزمية على أيدي القوات المغولية سنة ٦١٦ هـ

- الخلافة العباسية في بغداد
- تبعية الحجاز الاسمية للعباسيين في العصر العباسي الرابع
- المملكة الخوارزمية
- الإمبراطورية البيزنطية
- مملكة أرمينيا الصغرى والكبرى
- الأيوبيون ثم المماليك
- الدولة الغورية
- بقايا الاحتلال الصليبي
- الإسماعيليون (الحشاشون) في ألموت
- الأيوبيون
- العيونيون

ميدان ريجستان من معالم سمرقند

في سنة (٨٧هـ ـ ٧٠٥ م) تم الفتح الإسلامي لمدينة "سمرقند" على يد القائد المسلم "قتيبة بن مسلم الباهلي" ثم أعاد فتحها مرة أخرى سنة (٩٢هـ ـ ٧١٠م)... وبعد الفتح الإسلامي قام المسلمون بتحويل عدد من المعابد إلى مساجد لتأدية الصلاة، وتعليم الدين الإسلامى لأهل البلاد.. وفي بداية الغزو المغولى للمدينة ؛ قام "المغول" بتدمير معظم العمائر الإسلامية، وبعد ذلك اتجه "المغول" أنفسهم بعد اعتناق الإسلام إلى تشييد العديد من العمائر الإسلامية، خاصة في العهد التيموري، وذلك على مدى (١٥٠) عاماً هي فترة حكمهم لبلاد ما وراء النهر من (٦١٧هـ ـ ١٢٢٠م) إلى عام (٧٧٢هـ ـ ١٣٧٠ م).. وقد اتخذ "تيمورلنك" **"سمرقند"** عاصمة لملكه، ونقل إليها الصُنّاع وأرباب الحرف لينهضوا بها فنياً وعمرانياً، فكان عصر "تيمور لنك" بحق عصر التشييد والعمران.

استخدام الخط العربي وإبراز فن المترنصات



فتحت مدينة "بخارى" سنة (٨٩هـ) عندما تولى القائد المسلم "قتيبة بن مسلم الباهلي" ولاية "خراسان"، حيث توجه إلى "بخارى"، وغزاها ودخل المدينة، واستقرّ المسلمون بها، وتصالح "قتيبة" مع أهل "بخارى" على أن يعطوا للمسلمين جزءاً من بيوتهم. وفي سنة (٩٤هـ) بنى "قتيبة بن مسلم" أول مسجد جامع في "بخارى" وظل هذا المسجد رمزاً للمدنية عبر العصور، وفى سنة (١٧٨هـ) قام بتوسيع هذا المسجد "الفضل بن يحيى البرمكى" في زمن الخليفة العباسي "هارون الرشيد". وقد تعرضت مدينة "بخارى" لمحن عديدة، وكانت أشد هذه المحن محنة "المغول" الذين نزلوا بظاهر المدينة عام (٦١٧هـ)، وتمكنوا من اقتحامها ودخل "جنكيز خان" المسجد الجامع بفرسه، وأذن لجنوده، فقاموا بأعمال النهب والسلب والتخريب في المدينة. وظل الحال هكذا حتى ظهر نفر من جند السلطان "**محمد خوارزم شاه**" كانوا مختبئين فى المدينة، وكانوا يقومون بغارات ليلية على "المغول"، فغضب "جنكيز خان" وأمر بإشعال النار في المدينة. وظل "المغول" يحكمون المدينة فترات طويلة من تاريخها.

الحملة الصليبية السادسة

سنة ٦٢٥ - ٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩م

قادة الحملة: فريدريك الثاني

سبب الحملة ومسارها:

بعد فشل الحملة الصليبية الخامسة؛ تدهورت أحوال الصليبيين في المشرق فأخذ **البابا** يلح على الإمبراطور **فريدريك الثاني** لإعداد حملة صليبية جديدة تستعيد هيبة الصليبيين والكنيسة الغربية فتقاعس الإمبراطور لذلك مما أدى إلى إصدار قرار كنسي بحرمان الإمبراطور من رحمة الكنيسة، فخشي الإمبراطور من غضب البابا فخرج ملبياً طلبه مستغلاً الانشقاق داخل البيت الأيوبي والفرصة الذهبية التي أتته من العادل ؟!

لقد كان لتضامن أبناء السلطان الأيوبي (العادل) الثلاثة: الكامل محمد، والمعظم عيسى، والأشراف موسى؛ أثره الواضح في تحقيق النصر في دمياط، وإفشال الحملة الصليبية الخامسة بقيادة "حنّادي برين"، وكان المأمول أن يظل هذا التحالف قوياً، لكن ذلك لم يحدث، فانفرط العقد، وانكفأ كل واحد منهم حول ذاته، يعظّم من شأن مصالحة ومكاسبه دون النظر إلى مصلحة أمته؛ فشبّ صراع بين الكامل وأخيه السلطان المعظّم عيسى صاحب دمشق.

واستعان كل واحد منهما بقوة خارجية لمؤازرته في مواجهة الآخر، فاستنجد الملك المعظّم؛ بالسلطان جلال الدين بن خوارزم شاه سلطان الدوله الخوارزمية، في حين استعان السلطان الكامل بالإمبراطور فريديك الثاني صاحب صقلية وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة في غربي أوروبا. وكان الثمن الذي أعلنه السلطان الكامل للإمبراطور فريديك هو تسليمه بيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل

الكامل والتفريط في بيت المقدس

أرسل السلطان الكامل مبعوثه الأمير "فخر الدين يوسف" بهذا العرض إلى الإمبراطور فريد ريك الثاني، فأحسن فريدريك استقباله في صقلية. ورد على السلطان بسفارة مماثلة، وقد دعم هذا العرض السخي ما كان يعتمل في نفس الإمبراطور من القيام بحملة صليبية إلى الشام، وقطع تردده في النهوض بهذه المهمة التي كان يستحثه البابا جريجوري التاسع على النهوض بها: فغادر **صقلية** في (رجب ٦٢٥هـ=حزيران ١٢٢٨م) قاصداً بلاد الشام، ممنياً نفسه بيت المقدس، وبمجد يحققه يظل التاريخ الأوروبي يلهج بذكره.

وكانت تلك الحملة التي عرفت في تاريخ الحروب الصليبية **بالحملة الصليبية السادسة** من أعجب الحملات: فلم يتجاوز أفرادها ستمائة فارس فقط، وأسطول هزيل، وكأن الإمبراطور فريدريك جاء إلى الشام ليفاوض لا ليحارب، أو أتى إلى الشرق في نزهة جميلة، وتحققت أمنيته.



الـذي أعلنه السلطان الكامل للإمبراطور فريدريك هو تسليمـه بيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحـل الشامـي، وذلك مقابل مساعدته في حربه ضد أخيه المعظّـم، ويا له من ثمن غالٍ في مقابل هدف غير نبيل.

وإذا كان السلطـان الكامـل قد عرضـ تسليم القدس للصليبيين مقابل الجـلاء عن دمياط، فإنه قد يلتمس له البعض العذر فيما أقدم عليه؛ فإن هول المصيبة قد أطاش بلبّه، وأعجزه عن التفكير السليم، ولكن ليس له عذر في عرضه الثاني، فضلاً عن كونه لا يملك الحق في هذا التنازل أصلاً ، وهذا من أعجب مـا يقابلـه الإنسان في تصفحه للتاريخ الإسلامي : تفريـط دون حاجة، وتنازل مقابل أهداف غير نبيلة.

وعندما وصل إلى "عكّا" وجد الأمور على غير ما يتمنى، فالسبب الذي من أجله استدعاه السلطان الكامل قـد زال وانتهـى، فالملـك المعظّم عيسى الذي كان يعمل علـى التوسع على حساب إخوته وأهـل بيته قد توفي، فلـم تعـد هنالك حاجـة تدعو السلطـان الكامـل إلى الوفاء بوعـده للإمبراطـور فريدريك، بعـد أن اقتسم الأخـوان الكـامل محمـد والأشـراف موسى ممتلكات أخيهما المعظّم عيسـى مثير القلاقل، وعادت الأمور في البيت الأيوبي إلى الهدوء والاستقرار إلى حد ما(١).

---

١ - أ . أحمد تمام، الكامل، والتفريط في بيت المقدس، في ذكرى عقد معاهدة تسليمه :٢٢ ربيع الأول ٦٢٦ هـ .

سلاح المفاوضات الاستعطافي وتسليم بيت المقدس


الإمبراطور فرديرك الثاني

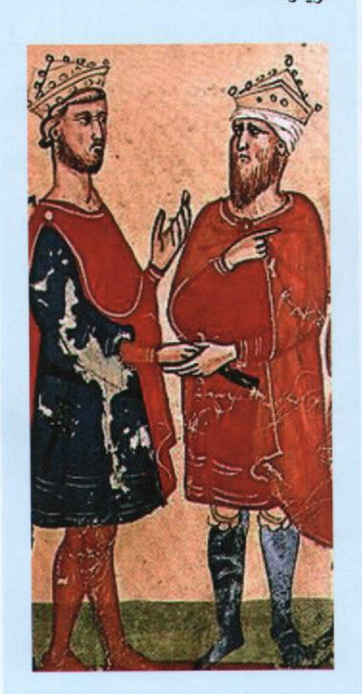
ساء موقف الإمبراطور فريدريك الثاني من تغير الأوضاع، ولم يبق له سوى سلاح المفاوضة والاستعطاف، لتحقيق الهدف الغالي والأمل المنشود؛ فأرسل سفارة إلى السلطان الكامل تحمل له هدايا نفيسة، وتطلب منه الوفاء بما تعهّد به للإمبراطور، وتسليم بيت المقدس له، وكان طبيعياً أن يرفض السلطان الكامل هذا الطلب بعدما تبدلت الأحوال التي ألجأته إلى القيام بهذا العرض، غير أن رفض السلطان زاد من إصرار الإمبراطور على تكرار الطلب، والمبالغة في استمالة السلطان واستعطافه إلى حد التذلل والبكاء، وبلغ به الأمر إلى أنه كتب للسلطان الكامل في أثناء المفاوضات: **"أنا مملوكك وعتيقك وليس لي عما تأمره خروج، وأنت تعلم أني أكبر ملوك البحر، وقد علم البابا والملوك باهتمامي وطلوعي، فإن رجعت خائباً انكسرت حرمتي بينهم !... فإن رأى السلطان أن ينعم عليّ بقبضة البلد والزيارة، فيكون صدقة منه، ويرتفع رأسي بين ملوك البحر"**.

أفلحت هذه السياسة وأثمرت استعطافات فريدريك في استمالة قلب السلطان الكامل، وكان رجلاً متسامحاً، ففرّط فيما لا يملكه، وتسامح فيما لا يجوز التسامح فيه، ووافق على تسليم بيت المقدس دون أن يبذل الإمبراطور في الاستيلاء عليه قطرة دم، أو ضربة سيف، أو طعنة رمح، وإنما فاز ببيت المقدس بدمعة عين، وخداع نفس، وحقق ما عجز عن تحقيقه ريتشارد قلب الأسد بجيوشه الضخمة وإمكانياته الكبيرة.

اتفاقية يافا المخزية

١ - الصلح بين الطرفين لمدة عشر سنوات، على أن يأخذ الصليبيون بيت المقدس وبيت لحم والناصرة وصيدا، وقسم من دائرة صيدا وطورون (تبنين حالياً).

٢ - أن تبقى مدينة القدس على ما هي عليه، فلا يُجدّد سورها، وأن يظل السور بما يضمه من المسجد الأقصى وقبة الصخرة بأيدي المسلمين، وتُقام فيه الشعائر، ولا يدخله الصليبيون إلا للزيارة فقط.


مستند اتفاقية يافا بين الملك الكامل وفريدريك الثاني

أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى

موقف المسلمين من اتفاقية يافا!

استنكر المسلمون المعاهدة الكاملية - الفردريكية (اتفاقية يافا) التي قضت بتسليم **القدس الشريف** إلى الصليبيين، ومن مظاهر ذلك الاستنكار ما حدث **بدمشق**، فقد بكى الناس فيها على ما جرى في بيت المقدس وزاد سخطهم على الملك؛ بسبب تحريض ابن أخيه الملك الناصر صاحبها، وبسبب دروس الحافظ **شمس الدين سبط ابن الجوزي** مؤلف كتاب (مرآة الزمان عن فضائل بيت المقدس) فاجتمع في الجامع الأموي بدمشق عدد من الناس وعلت أصواتهم. واشتد بكاؤهم وأنشد الحافظ شمس الدين قصيدة بلغت أبياتها ثلاثمائة بيت منها :

على قبة المعراج والصخرة التي   تفاخر ما في الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة   ومنزل وحي مفقر العرصات

هكذا استقبل المسلمون نبأ تسليم المدينة المقدسة بالأسى والحزن، وعم السخط أرجاء العالم الإسلامي، ويصور المقريزي ما حل بالمسلمين من ألم بقوله: **"فاشتد البكاء وعظم الصراخ والعويل، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الكامل، وأذّنوا على بابه في غير وقت الأذان.. واشتد الإنكار على الملك الكامل، وكثرت الشفاعات عليه في سائر الأقطار"**.

ولما أحس السلطان الكامل أنه تورط مع الإمبراطور الصليبي؛ أخذ يهوّن من أمر تسليم بيت المقدس، ويعلن أنه لم يعط الصليبيين إلا الكنائس والبيوت الخربة، على حين بقي المسجد الأقصى على حاله.. غير أن هذه المبررات لم تنطل على أحد من الناس.

وظل بيت المقدس أسيراً في أيدي الصليبيين يشكو إلى الله ظلم الحكام وسوء تصرفهم، حتى نجح **الخوارزميون** في تحريره في (٣ من صفر ٦٤٢هـ = ١١ من يوليو ١٢٤٤م).

في ١٨ مارس ١٢٢٨ م، توّج فريدريك الثاني نفسه بنفسه في كنيسة القيامة، فقد رفض رجال الدين تتويج الإمبراطور المحروم من الكنيسة، وفرضت البابوية منعاً لممارسة الطقوس الدينية في القدس، ودفع البابا مواليه إلى ممتلكات فريدريك في إيطاليا، فأسرع فريدريك إلى المغادرة ونشب صراع مسلح ضد الحبر الأعظم، وألحق الهزيمة بالبابا؛ وفي سنة ١٢٣٠ م، ألغى البابا الحظر عن فريدريك وصادق في السنة التالية على معاهداته مع المسلمين.

لقد تمكن الصليبيون من اغتصاب المدينة المقدسة نحو تسع وتسعين سنة، منذ اغتصابهم الأول لها حتى استردادها منهم من قبل الخوارزمية، وذلك في فترات متقطعة على النحو التالي:

... - من عام ١٠٩٩ - عام ١١٨٧ أي ٨٨ سنة وهي الفترة التي قامت فيها المملكة اللاتينية التي انتهت بتحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي.

... - من عام ١٢٢٩ - عام ١٢٣٩ أي ١٠ سنوات وهي مدة المعاهدة الفردريكية الكاملية (**اتفاقية يافا**).

الدولة الرسولية في اليمن: ٦٢٦-٨٥٨ هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م

تنسب هذه الدولة إلى **محمد بن هارون** صاحب المنزلة المميزة في **البلاط العباسي** إبَّان سيطرة القائد **يوسف صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله -** على مصر وبلاد الشام.

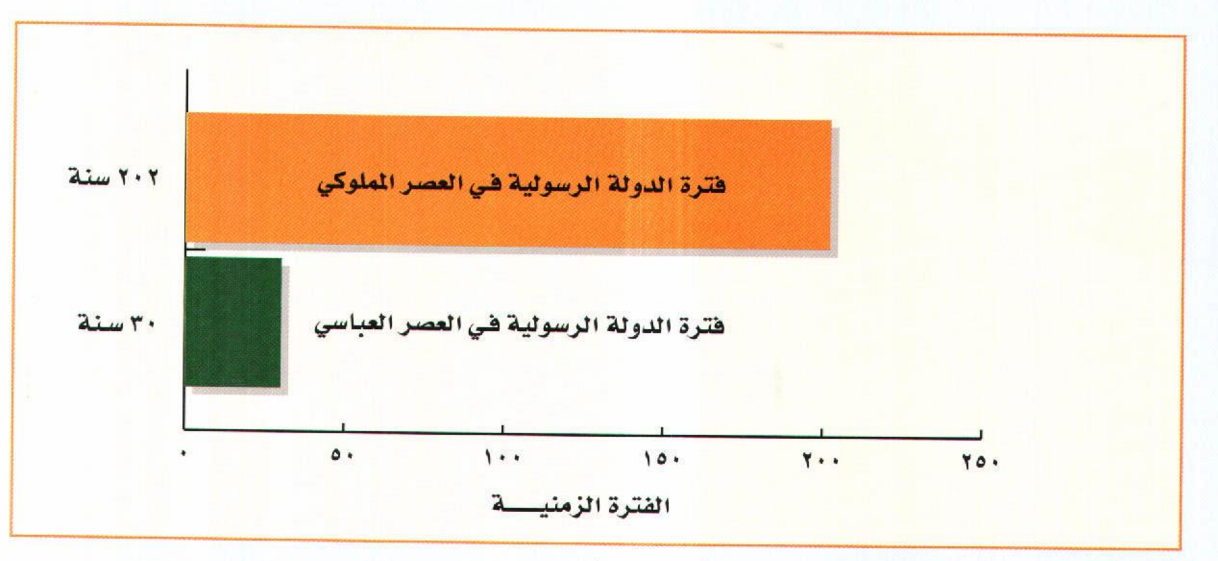
كان الخليفة العباسي **المستضيء بالله** قد أرسله من بغداد إلى مصر عدة مرات بمهام خاصة، فعرف بلقب الرسول، ثم عمل وزيراً للأيوبيين بمصر، وكان أبناؤه وأحفاده محل ثقة الأيوبيين. وعلى إثر مغادرة الملك المسعود الأيوبي بلاد اليمن عائداً إلى القاهرة أوكل إلى نور الدين بن عمر مهمة الإشراف على إدارتها، فأعلن هذا استقلاله بها، واتخذ من **مدينة تعز** عاصمة له مستمداً شرعيته من الخليفة الظاهر بن الناصر العباسي.

وبعد وفاة نور الدين قام بالأمر من بعده ولده يوسف الذي مد نفوذه إلى مكة، وجرت بينه وبين أئمة الزيدية حروب طال أمدها، استمر عليها أبناؤه وأحفاده من بعده. وإلى بني رسول ينسب كثير من بناء المدارس والمساجد في كل من تعز وزبيد، وشهدت البلاد في عهدهم حركة علمية نشطة، ومن أبرز الأسماء التي لمعت في عهدهم علي بن الحسن الخزرجي صاحب المؤلفات التاريخية النفيسة ومجد الدين الفيروزأبادي صاحب قاموس «تاج العروس». بلغ عدد ملوك هذه الأسرة اثني عشر سلطاناً، آخرهم المسعود أبو القاسم بن الأشرف الذي تمرد عليه بعض أبناء عمه، فاضطربت أحوال اليمن، فانقض ولاتهم من بني طاهر، وأقاموا دولتهم على أنقاض الدولة الرسولية عند منتصف القرن التاسع

يرفع **النسابون** نسب الرسوليين إلى جبلة بن الأيهم الغساني. والغساسنة فرع من قبيلة الأزد اليمنية التي نزحت إلى شمالي الجزيرة بعد تهدم السد وسادوا في بلاد الشام. وفي أزمنة لاحقة سكن أحفاد ابن الأيهم بلاد التركمان وتكلموا لغتهم ومن هنا جاء الوهم عند بعض النسابة فجعلوهم تركماناً. أما الجد القريب للرسوليين فهو محمد بن هارون الذي استوطن العراق ودخل في خدمة أحد **خلفاء بني العباس** الذي وثق بحكمته وفصاحته فجعله رسوله إلى الشام ومصر حتى غلب عليه لقب رسول فصار علما عليه وعلى أسرته من بعده.

استقلال الرسوليين

أعلن الرسوليون استقلالهم عن الدولة الأيوبية في مصر في العام ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م وخطبوا للخليفة العباسي المعاصر لهم بعد أن طلبوا منه أمر نيابة مباشر عنهم في اليمن دون وساطة الأيوبيين، وكانت **الخلافة العباسية** في نزعها الأخير ولا تملك إلا الموافقة على طلبات من لا يزال يرى في غطائها الروحي أهمية لتوطيد ملكه، وهو بالضبط ما احتاج إليه الرسوليون الذين ظلوا على ولاء للخلافة العباسية ويخطبون في مساجدهم لآخر خلفائها المستعصم دهراً طويلاً بعد وفاة دولتهم في بغداد عام ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م على يد المغول، إذ يذكر الخزرجي مؤرخ بني رسول المعاصر والمتوفى عام ٨١٢ هـ/١٤٠٩م أن المستعصم: " هو الذي يدعى له على سائر المنابر إلى وقتنا هذا من سنة ثمان وتسعين وسبعمئة " أي بعد مائة وستة وخمسين عاماً من انتهاء الخلافة العباسية ، وربما استمر بعد ذلك وإلى بدايات تصدع الدولة .



سيرد تفصيل هذه الدولة - إن شاء الله تعالى - في أطلس تاريخ العصر المملوكي

من آثار الدولة الرسولية بمدينة تعز اليمنية م . ص (منتديات الأعبوس الثقافية)

الدولة الحفصية ٦٢٦-٩٨١هـ /١٢٢٨-١٥٧٤م

ينتمي **الحفصيون** إلى قبيلة مصمودة البربرية، ومساكنها في جبال الأطلس. استمدت التسمية من أبي حفص عمر (١١٧٤-١١٩٥ م) أحد أجداد الأسرة ومن رجالات ابن تومرت الأوفياء. أصبح ابنه من بعده من عمال الموحدين على تونس. قام ابنه من بعده الأمير أبو زكريا الحفصي (١٢٢٨-١٢٤٩ م) بالاستيلاء على السلطة وأعلن استقلاله واستطاع أن يؤسس دولة خلفت الدولة الموحدية في المنطقة. قضى ابنه المستنصر (١٢٤٩-١٢٧٧ م) على الحملة الصليبية الثامنة (سنة ١٢٧٠)، - انظر الحملة الصليبية الثامنة من هذا الأطلس - ثم اتخذ لقب أمير المؤمنين. بعد وفاته تنازع أولاده الحكم. وجرت حروب طاحنة بينهم.

حقق قيام دولة الحفصيين لإفريقية سنوات من الازدهار والاستقرار وأصبحت مدينة **تونس** عاصمة للدولة ومركزاً ثقافياً وسياسياً، وأشاد أبو زكريا والمستنصر الكثير من القصور والمساجد والزوايا والقناطر والمكتبات، واجتذبا إلى البلاد الشعراء والعلماء من بقاع العالم الإسلامي. وكان للمهاجرين المسلمين من الأندلس في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، مشاركة قيمة في النهوض بدراسات الأدب وفقه المالكية، منهم قاضي القضاة ابن الغماز وابن الأبَّار وقد وفدا من بلنسية الأندلسية، وبنو عصفور من إشبيلية، وبنو خلدون أجداد ابن خلدون المؤرخ المشهور الذي ولد ونشأ في تونس .

بوفاة المستنصر تبدأ مرحلة من الاضطرابات والحركات الانفصالية استمرت من سنة ٦٧٥ إلى ٧١٨هـ/ ١٢٧٧-١٣١٨م، حين تولى السلطة أبو يحيى أبو بكر فأعاد للدولة الحفصية وحدتها. وسيرد تفصيل هذه الدولة أن شاء الله تعالى في كتابنا القادم (أطلس تاريخ العصر المملوكي).



دينار حفصي ضرب بين عامي ٦٢٥ هـ و٦٤٧ هـ / ١٢٢٨ و١٢٤٩ م في عهد السلطان الحفصي أبي زكريا يحيى بن حفص

انظر خارطة الدولة ص ٣٧٣ من هذا الأطلس

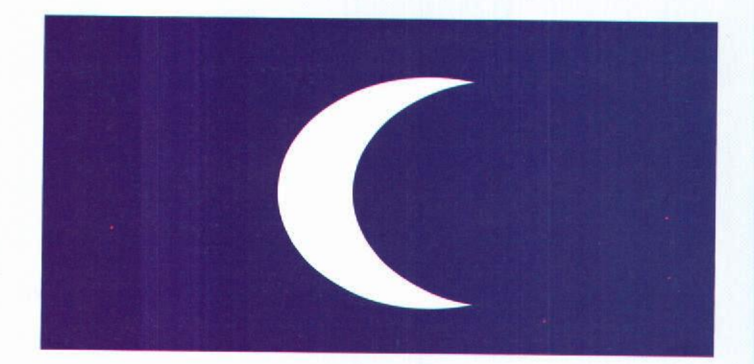
الدولة الزيانية (٦٣٧ - ٩٦٢هـ/١٢٣٩ - ١٥٥٤م)

ينتمي **الزيانيون** بنو زِيان أو زَيّان (ويعرفون كذلك ببني عبد الواد) وهي أسرة أمازيغية من نسل طاع الله بن علي من بني عبد الواد، أحد أحياء زناتة، حكمت المغرب الأوسط (الجزائر اليوم) من القرن السابع إلى القرن العاشر للهجرة متخذة من مدينة تلمسان حاضرة لها.

مؤسس الأسرة يغمراسن بن زيان بن ثابت، تولى رئاسة مشيخة بني عبد الواد بعد وفاة أخيه زكراز بن زيان (ت٦٣٣هـ) الذي كان والياً على تلمسان للموحدين من بني عبد المؤمن. وقد تمكن يغمراسن بحنكته وقوة عزيمته وحسن سيرته في الرعية من إخضاع أكثر أحياء زناتة وحلفائها من بني هلال وقبائل العرب التي تقطن المغرب الأوسط، وأقام المسالح واستكثر من العسكر من الروم والغز، فقويت شوكته واستقل بالأمر في **تلمسان**، واتخذ الوزراء والكتاب، ولبس شارة الملك وتسلطن، مكتفياً بالدعاء على المنابر لخليفة الموحدين في مراكش.

اضطر يغمراسن بسبب سياسته هذه وطوال مدة حكمه إلى مواجهة خصوم أشداء من بعض أحياء زناتة المزاحمين له، خاصة بنو عبد المؤمن وبنو مرين في المغرب الأقصى وبنو حفص في إفريقيا (تونس)، وبنو توجين ومغراوة في المغرب الأوسط وغيرهم، وكانت له معهم أيام ووقائع كثيرة؛ إلا أنه تمكن من التغلب على جلّ خصومه، وفل جموعهم، وتوطيد أركان ملكه حتى وفاته على فراشه في إحدى غزواته على مغراوة سنة ٦٨١هـ. وتوالى على الحكم من بعده أربعة ملوك أقوياء من نسله، ابتداء من ابنه أبي سعيد عثمان بن يغمراسن (٦٨١-٧٠٣هـ)، وخَلَفه على العرش حفيده أبو زيان محمد بن عثمان (٧٠٣-٧٠٧هـ)، ثم موسى ابن عثمان (٧٠٧-٧١٨هـ)، ومن بعده أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان (٧١٨ - ٧٣٧هـ) الذي قتل دفاعاً عن حاضـرته تلمسان حين غزاها بنو مرين بقيادة السلطان «أبو الحسن» سلطان مراكش، واستولوا عليها بعد قتال ضارٍ، وكان سقوط المدينة إيذاناً بانتهاء الحقبة الأولى من حكم بني زيان أو بني عبد الواد. وسيرد تفصيل هذه الدولة إن شاء الله في كتابنا القادم (أطلس تاريخ العصر المملوكي).

انظر خارطة الدولة ص ٣٧٣ من هذا الأطلس



علم دولة الزيانيين في المغرب الأوسط (الجزائر)

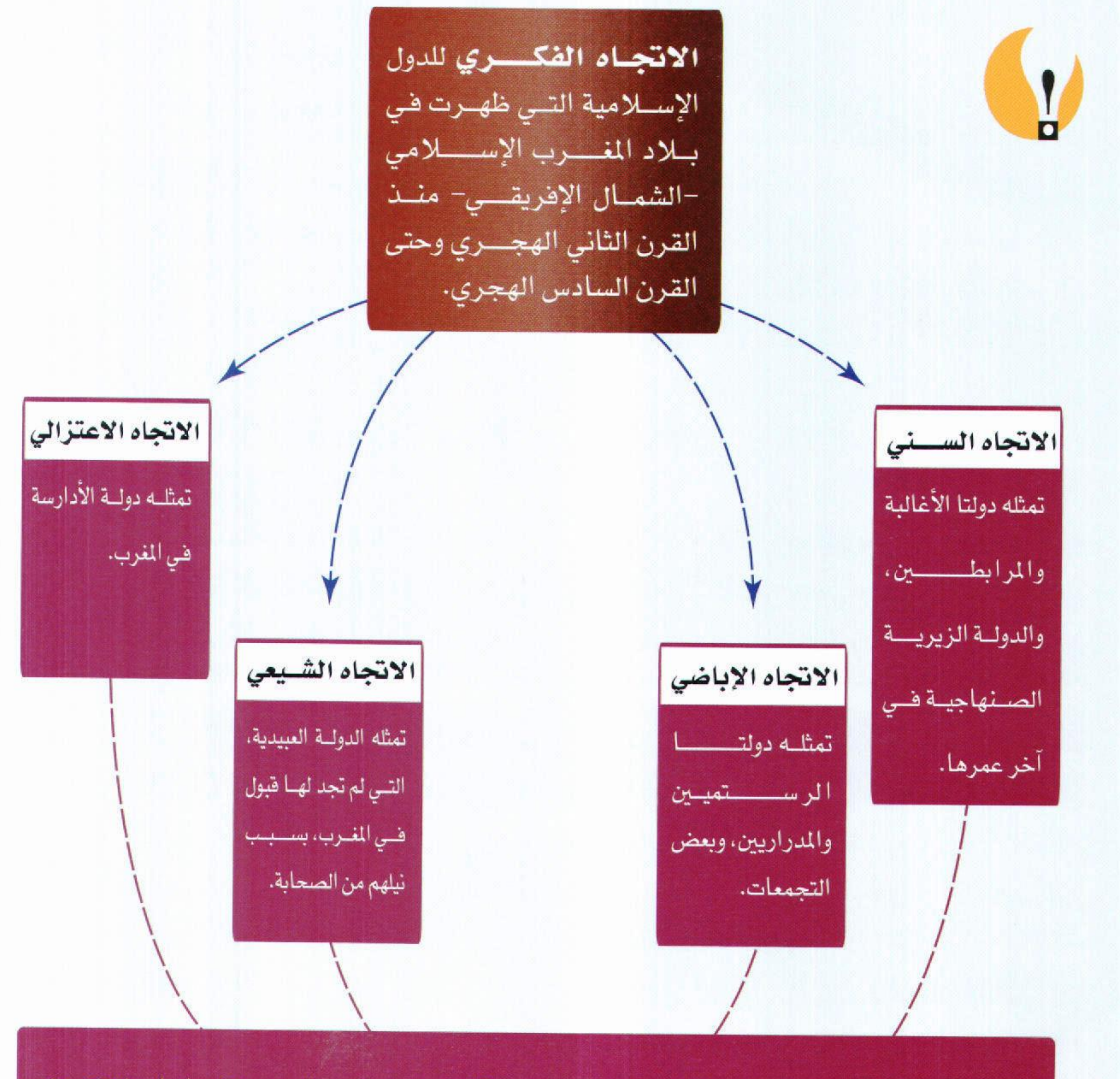
دولة بني الأحمر ٦٣٠ - ٨٩٧ هـ، ١٢٣٣ - ١٤٩٢م

بنو الأحمر، دولة (٦٣٠ - ٨٩٧هـ، ١٢٣٣ - ١٤٩٢م). دولة بني الأحمر آخر دول ملوك الطوائف الإسلامية الحاكمة في الأندلس. وتسمى أيضاً: مملكة غرناطة. كان سقوط الدولة الأموية بالأندلس عام ٤٢٢هـ، ١٠٣١م بداية دخول الأندلس في عصر الطوائف، الذي امتد إلى عام ٤٨٤هـ، ١٠٩١م، وتجاوز عدد ملوكه العشرين ملكاً أو أميراً. استقل كل أمير مقاطعة بما تحت يده وكان من أشهرهم: بنو عباد بإشبيليا، وبنو حمود الأدارسة بمالقا والجزيرة، وبنو زيري بغرناطة، وبنو هود بسرقسطة، وأقواهم بنو ذو النون بطليطلة ومرسية وألمرية.

قضى المرابطون على ملوك الطوائف بنهاية عام ٤٨٣هـ،١٠٩٠م. ولم تأت سنة ٤٩٥هـ، ١١٠٢م حتى كانت الأندلس تابعة لدولة المرابطين بإفريقيا. انظرص «   » من هذا الأطلس. وما لبثت دولة المرابطين الأندلسية أن سقطت، فعادت الأندلس إلى أسوأ من حالتها أيام ملوك الطوائف. فقد صار الملوك في الأندلس بعدد ما فيها من مدن، ثم اختفوا جميعاً بدخول الموحدين الأندلس وانتصارهم في موقعة الأرك سنة ٥٩١هـ، ١١٩٥م.

لم يمكث الموحدون طويلاً في الأندلس فقد أخرجوا منها عام ٦٣٣هـ، ١٢٣٥م، إثر موقعة العقاب. وأعلن ابن هود نفسه حاكمًا لأكثر بلاد الجنوب. وعندما مات انتقل حكم الأندلس إلى بني نصر (بني الأحمر)، أمراء غرناطة، سنة ٦٣٦هـ، ١٢٣٨م. «انظر الخارطة ص ٣٧٣ من هذا الأطلس»

وفي الفترة ما بين عام ٦٣٦ و٦٦٨هـ، ١٢٣٨ و١٢٦٠م استولى فرديناند الثالث، ملك قشتالة، وجايم الأول ملك أراغون على مدن بلنسية وقرطبة ومرسية وأشبيليا، وحصروا ملك المسلمين في غرناطة. وصمدت **دولة غرناطة (بني الأحمر)** أمام الأسبان قرنين ونصف القرن. ويرجع ذلك لعدة أسباب من أهمها: ١- انحاز إليها معظم الجنود المسلمين الأشداء الذين فروا من المدن الأندلسية التي سقطت في أيدي النصارى، وهبوا للدفاع عنها. ٢- كان منشأ دولة بني الأحمر عربياً **من بني نصر يدعى محمد بن يوسف بن نصر**، ولقب بابن الأحمر لشقرة فيه، وكان حازماً مقتدراً عادلاً سخياً وذا خلق كريم، وهي صفات حببته إلى الناس، وجعلتهم يلتفون حوله. ٣- موقع غرناطة الحصين بين جبال سييرانيفادا وساحل البحر من ألمرية إلى جبل طارق. ٤- استطاع ابن الأحمر، بمعاونة العلماء الذين وفدوا إليه من شتى المدن الإسلامية التي سقطت في أيدي النصارى، أن يستخرج المعادن لزيادة موارد الدولة المالية ـ الزراعية والتجارية ـ وتنفيذ مشروعات حضارية طموحة مثل تشييد المدارس وبناء قصر الحمراء الذي جاء آية في الجمال والإبداع. ٥- المساعدات العسكرية التي كانت تتلقاها غرناطة من أصدقائها أمراء بني مرين بالمغرب. وسيرد تفصيل هذه الدولة إن شاء الله في كتابنا القادم (أطلس تاريخ العصر المملوكي).



اتجاه دولة الموحدين: وكان يجمع بين هذه الاتجاهات وغيرها من الاتجاهات الفكرية الأخرى.

إذ إن محمد بن تومرت مؤسس هذه الدولة استقى من جميع هذه المشارب بل زاد عليها ما يرى أنه يخدم ميوله وأهدافه، ولهذا جاءت الأسس الفكرية لهذه الدولة خليطاً مضطرباً.

استراداد بيت المقدس على يد الملك الصالح أيوب

بعد وفاة السلطان الكامل محمد سنة (٦٣٥هـ= ١٢٣٨م) تعرضت الدولة الأيوبية في مصر والشام لخطر الانقسام والفوضى، فاستولى الصالح نجم الدين أيوب على **دمشق** سنة (٦٣٦هـ = ١٢٣٩م)، وكان هذا إيذاناً بدخوله في صراع مع أخيه السلطان العادل الصغير بن الكامل؛ الذي خلف أباه على حكم **مصر والشام**، واستعان كل منهما بأنصار من البيت الأيوبي للوقوف في وجه الآخر، وفي غمرة الصراع قفز عمهما الصالح إسماعيل على "دمشق" واستولى عليها، وطرد الصالح أيوب منها، الذي شاء له القدر أن يقع في قبضة الناصر داود صاحب الأردن والكرك، ثم لم يلبث أن أفرج عنه، واتفقا معاً على القيام بحملة عسكرية على مصر والاستيلاء عليها من قبضة العادل الصغير.

ولاية الصالح أيوب:

كانت الظروف مهيأة تماماً لنجاح حملة الصالح أيوب؛ فكبار أمراء العادل الصغير مستاءون منه لاحتجابه عنهم، وانشغاله باللهو واللعب عن تدبر شؤون الدولة؛ فقبضوا على سلطانهم اللاهي، واستدعوا أخاه الصالح أيوب لتولي مقاليد البلاد الذي دخل القاهرة في (٢٥ ذي الحجة ٦٣٧هـ= ١٧ يوليو ١٢٣٨م) وجلس على عرشها، واستأثر بها دون الناصر داود.

ولم يرض هذا الموقف الصالح إسماعيل صاحب دمشق، واستشعر الخطر بعد أن نمى إليه أن الصالح أيوب أراد أن يرضي حليفه الناصر داود صاحب الكرك، فاتفق معه على أن يساعده في الحصول على دمشق من الصالح إسماعيل الذي لم يجد قوة تقف إلى جانبه، **فسارع إلى التحالف مع الصليبيين ضد الصالح أيوب** في مصر والناصر داود في الأردن، وكان ثمن هذا التحالف غالياً، تعهد فيه بأن يعيد بيت المقدس إلى الصليبيين، ورجوع مملكة بيت المقدس إلى ما كانت عليه قديماً قبل صلاح الدين.

ولم يضع الصالح إسماعيل وقتاً وقرن عرض الخيانة بالعمل، **فبادر إلى تسليم بيت المقدس إلى الصليبيين ومعها طبرية وعسقلان وعدد من قلاع الشام التي كانت بأيدي المسلمين**، وأثار هذا التصرف الأحمق غضب المسلمين ونقمتهم في مصر والشام وسائر أنحاء العالم الإسلامي ورفضت حاميات بعض القلاع تسليم الحصون والقلاع، وهو ما دفع الصالح إسماعيل إلى القيام بحملات لتأديب تلك الحاميات لرفضها تنفيذ أوامره، وكانت فرحة الصليبيين طاغية من هذا العمل الذي جاءهم دون أن يضربوا فيه سيفاً أو يخسروا نفساً، وحصنوا قلعتي طبرية وعسقلان، ورابطوا ما بين يافا وعسقلان.

ضرب تحالف الخيانة:

ولكي يغري الصالح إسماعيل جموع الصليبيين على الاستمرار في التحالف وعدهم أن يعطيهم جزءاً من مصر إن ملكها؛ فانطلقوا إلى غزة عازمين غزو مصر، وحضر لمعاونتهم في غزو مصر جيش الصالح

إسماعيل، جيش الملك المنصور إبراهيم الأيوبي صاحب حمص، غير أن القوات الإسلامية كان لها رأي آخر غير رأي قادتها السفهاء، فانضمت إلى الجيش المصري وأبت أن تقاتل إخوانها المسلمين، وكان لهذه الخطوة أثرها؛ فحلت الهزيمة بالصليبيين حين تقابل الفريقان، وقتل منهم أعداد كبيرة وسيق الأسرى إلى **القاهرة**. واضطر الصليبيون إلى عقد الصلح مع سلطان مصر، وإن ظل بأيديهم بيت المقدس وبعض القلاع التي تنازل عنها الصالح إسماعيل.

استرداد بيت المقدس:

ثم لم يلبث أن نشب النزاع مرة أخرى بين الصالحين إسماعيل ونجم الدين أيوب، ووقف الناصر داود هذه المرة مع الصالح إسماعيل، واتفقا على الاستعانة بالصليبيين ضد إخوانهم المسلمين، ولم يجد الصالح أيوب قوة تقف إلى جواره غير "**الخوارزمية**" الذين تفرقت بهم السبل بعد انهيار دولتهم ومقتل سلطانهم جلال الدين خوارزم شاه، فاستجابوا لدعوته، وقدموا بأعداد كبيرة إلى الشام، واتجهوا إلى دمشق فوجدوها قوية التحصين فتركوها، واستولوا على طبرية ونابلس، وواصلوا سيرهم حتى دخلوا مدينة **بيت المقدس** في (٣ صفر ٦٤٢هـ= ١١ يوليو ١٢٤٤م) واستولوا عليها دون مقاومة، **وكانت هذه آخر مرة يسترد فيها المسلمون بيت المقدس في عصر الحروب الصليبية**، وظلت بأيدي المسلمين حتى سقطت في **قبضة اليهود في عصرنا الحديث**، وهي تنتظر الآن من يفك أسرها ويعيدها إلى حظيرة المسلمين، وندعو الله ألا يطول الانتظار ويعين من يعمل على عودتها.

حطّين الثانية:

وبعد أن استرد **الخوارزميون** بيت المقدس واصلوا سيرهم إلى "غزة" واجتمعوا مع الجيش المصري الذي أرسله الصالح أيوب لمحاربة قوات الشام ومن ناصرها من القوات الصليبية، وتقابل الفريقان في **معركة غزة** في (جمادى الأولى ٦٤٢هـ = أكتوبر ١٢٤٤م)، وكان اللقاء رهيباً، حلت الهزيمة بالصليبيين، وقدرت خسائرهم بثلاثين ألف قتيل وثمانمائة أسير، وكانت هذه الهزيمة أضخم كارثة حلت بالصليبيين بعد معركة حطّين سنة (٥٨٣هـ= ١١٨٧م)، وبلغ من أثرها أن أطلق عليها "حطّين الثانية".

ولم يلبث أن انفصل الجيش المصري عن الخوارزميين الذين سمح لهم "**الصالح أيوب**" بالاستقرار في الشام على حساب الصليبيين، وواصل سيره، فأخذ **القدس والخليل ودمشق** وغيرها، ثم نازل الصليبيين، ونجح في استرداد قلعة طبرية (٦٤٥هـ= ١٢٤٧م)، ثم استولى على عسقلان في العام نفسه، **وبذلك نجح الصالح أيوب في توحيد مصر والشام تحت سلطانه** بعد أن أصبحت القاهرة ودمشق وبيت المقدس في قبضة يده، ووفد عليه في دمشق ملوك البيت الأيوبي بالشام لتقديم فروض الولاء والطاعة [١].

---

١ - أحمد تمام، موقع إسلام لاين.

الحملة الصليبية السابعة

سنة ٦٤٦ - ٦٤٨ هـ - ١٢٤٨ م - ١٢٥٠ م

قادة الحملة : لويس التاسع (ملك فرنسا)

سبب الحملة ومسارها :

كان لاسترجاع **بيت المقدس** من أيدي **الصليبيين** ردُّ فعل في أوروبا النصرانية تجلّى في الحملة الصليبية التي قام بها ملك فرنسا (لويس التاسع) فقد تجهز لحرب صليبية تجهيزاً عظيماً، واصطحب معه الكثير من الأمراء والأشراف بفرنسا. وكان معه إخوته الثلاثة:

١ - روبرت دارتوا . ٢ - ألفونس دو بواتييه . ٣ - شارل دانجو. كما كان معه المؤرخ الفرنسي لهذ الحملة (جوفرا دو سرجين) وزوجته .

وكانت الفكرة السائدة في أوروبا منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي؛ أن **مصر** ما دامت على قوتها وبأسها فلا سبيل إلى نجاح الحملات الصليبية واسترداد بيت المقدس من المسلمين؛ الذين نجحوا في استعادته من الصليبيين مرة ثانية سنة (٦٤٢هـ= ١٢٤٤م) على يد الملك الصالح أيوب. إلا بشن حملة عليها، وتم التنسيق لذلك مع البابا **أنوسنت** الرابع والملك الفرنسي **لويس التاسع**، وشهد **مجمع ليون الديني** الدعوة لها سنة (٦٤٦هـ= ١٢٤٨م).

أبحر لويس من **مارسيليا** قاصداً الشرق ومعه زوجته وإخوته الثلاثة، واتجهت الحملة إلى مصر مروراً بقبرص بجيش قوامه ٥٠ ألف مقاتل، ومنها تأخذ مسارها نحو بيت المقدس لاستردادها وهي هدف الحملة. ولم يكن هدف تلك الحلمة إعادة الاستيلاء على بيت المقدس، أو ضرب مصر باعتبارها قاعدة حربية مهمة فحسب، وإنما استهدفت أيضاً هدفاً بعيد المنال، يتمثل في تكوين **حلف نصراني وثني** بين الصليبيين والمغول، يهدم الدولة الأيوبية في مصر والشام من ناحية، ويطوق العالم الإسلامي ويحيط به من الشرق والغرب من ناحية أخرى، أرسل البابا أنوسنت الرابع سفارتين إلى المغول لتحقيق هذا الغرض، غير أنهما لم يكللا بالنجاح.



ملك فرنسا (لويس التاسع)

قام لويس التاسع بقيادة الحملة **الصليبية السابعة** عام ١٢٤٩ م، حتى يحرر بيت المقدس من أيدي سلاطين مصر ، فكانت وجهته الأولى دمياط في مصر ، إلا أنه هزم ثم أسر في أولى مواجهاته في المنصورة عام ١٢٥٠م. بعد أن افتدى نفسه من الأسر، استقر في الشام لمدة أربع سنوات ١٢٥٠-١٢٥٤ م، ليعود بعدها إلى فرنسا حيث قام بإعادة تنظيم أجهزة الدولة ووطد دعائم السلطة الملكية، كما أرسى قواعد أولى المؤسسات البرلمانية.

كانت له العديد من الأعمال الأخرى: تشييد الكنيسة الملحقة بقصره في باريس الكنيسة المقدسة، التي تعد من الشواهد البارزة على فن العمارة القوطي وتشتهر بزجاجياتها المتنوعة ، وجامعة السوربون والتي خصصت لأبناء العائلات الفقيرة ممن يريدون دراسة علم اللاهوت.

وقام عام ١٢٧٠م وبالرغم من نصيحة أتباعه بقيادة **الحملة الصليبية الثامنة** وأبحر نحو تونس آملاً في حمل سلطانها (الحفصي) على اعتناق النصرانية ، ومن ثمة الانطلاق نحو مصر التي كانت مفتاحه في استرجاع بيت المقدس، توفي الملك بمجرد أن وطئت قدماه البلاد. عام ١٢٩٧ م فقامت الكنيسة بتطويبه (إدراجه في قائمة القديسين).

الحملة الصليبية السابعة

مسار حملة لويس التاسع

وصلت الحملة الصليبية السابعة إلى جزيرة **قبرص** ثم قامت بوقفة تعبوية فيها؛ لتجميع كل السفن والمقاتلين قبل التوجه إلى الديار المصرية بناء على نصيحة مستشاري لويس التاسع، حيث انضم إليه عدد كبير من بارونات سوريا وقوات من فرسان المعبد (الداوية) والإسبتارية التي قدمت من عكّا.

وفي قبرص استقبل لويس التاسع وفداً من المغول يحمل رسالة ودية من خانهم يعرض فيها مساعدته على لويس.

ونظراً لتوقف الحملة الصليبية في قبرص أدى إلى تسرب أنبائها إلى مصر قبل وصول سفنها إلى المياه المصرية كما تذكر ذلك المصادر الأوروبية.

استدراك مسبق

الحملة الصليبية الثامنة:

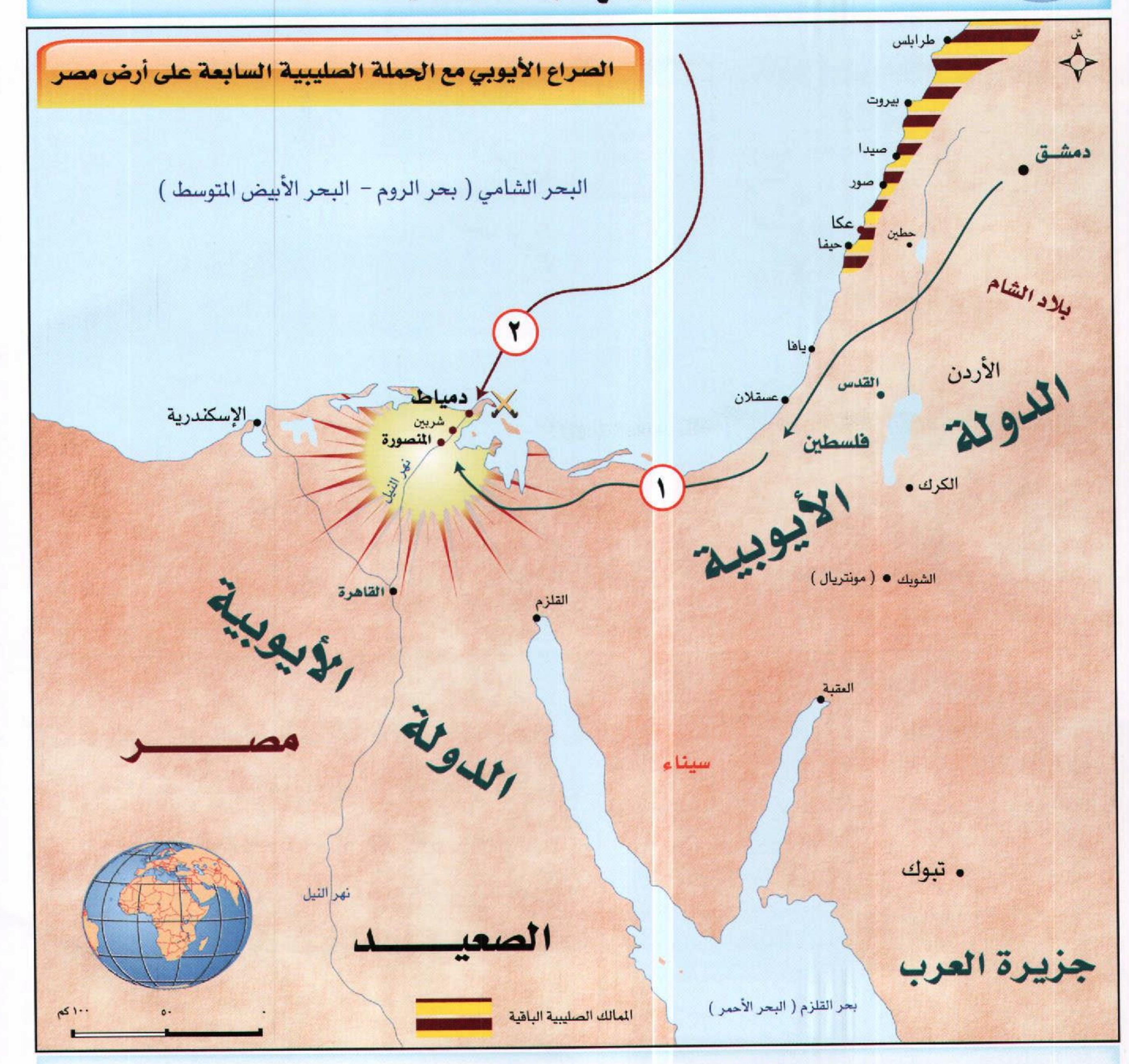
بعد الضربات الموجعة التي وجهها القائد المملوكي **الظاهر بيبرس** وجيشه المسلم ضد الغزاة الصليبيين في الشام، نكث **لويس التاسع** بعهده فجهز حملة صليبية أخرى لقتال المسلمين إلا أنه لم يستطيع أن يتصدى للمماليك في بلاد الشام، فما كان منه إلا أن وجه قواته نحو تونس. وتم خروجه من فرنسا يوم ١٥ مارس ١٢٧٠م.

قضى المستنصر الحفصي على الحملة الصليبية الثامنة (سنة ١٢٧٠).



مسار الحملة الصليبية الثامنة

سيرد التفصيل الكامل لهذ الحملة في أطلس تاريخ العصر المملوكي إن شاء الله تعالى



(١) عَلِم الصالح أيوب بأنباء الحملة الصليبية السابعة وهو في بلاد الشام، وترامى إليه تجمع الحشود الصليبية في قبرص، واستعدادها لغزو مصر والاستيلاء عليها؛ فرجع إلى مصر على الرغم من مرضه، وبدأ في ترتيب أوضاعه العسكرية.

(٢) وصول الأسطول الصليبي إلى المياه المصرية أمام دمياط (٢٠ من صفر ٦٤٧هـ= من يونيو ١٢٤٩م) وفي اليوم التالي؛ نزل الصليبيون إلى البر الغربي للنيل، ووقعت بينهم وبين المسلمين مناوشات انسحب بعدها الأمير فخر الدين وقواته المكلفة بحماية المدينة إلى المعسكر السلطاني.

دمياط

احتلال دمياط من قبل القوات الصليبية بقيادة لويس التاسع .

البحر المتوسط

فرار الأهالي من أهل دمياط نتيجة الارهاب الصليبي تجاههم .

شربين

البر الغربي

البر الشرقي

المنصورة

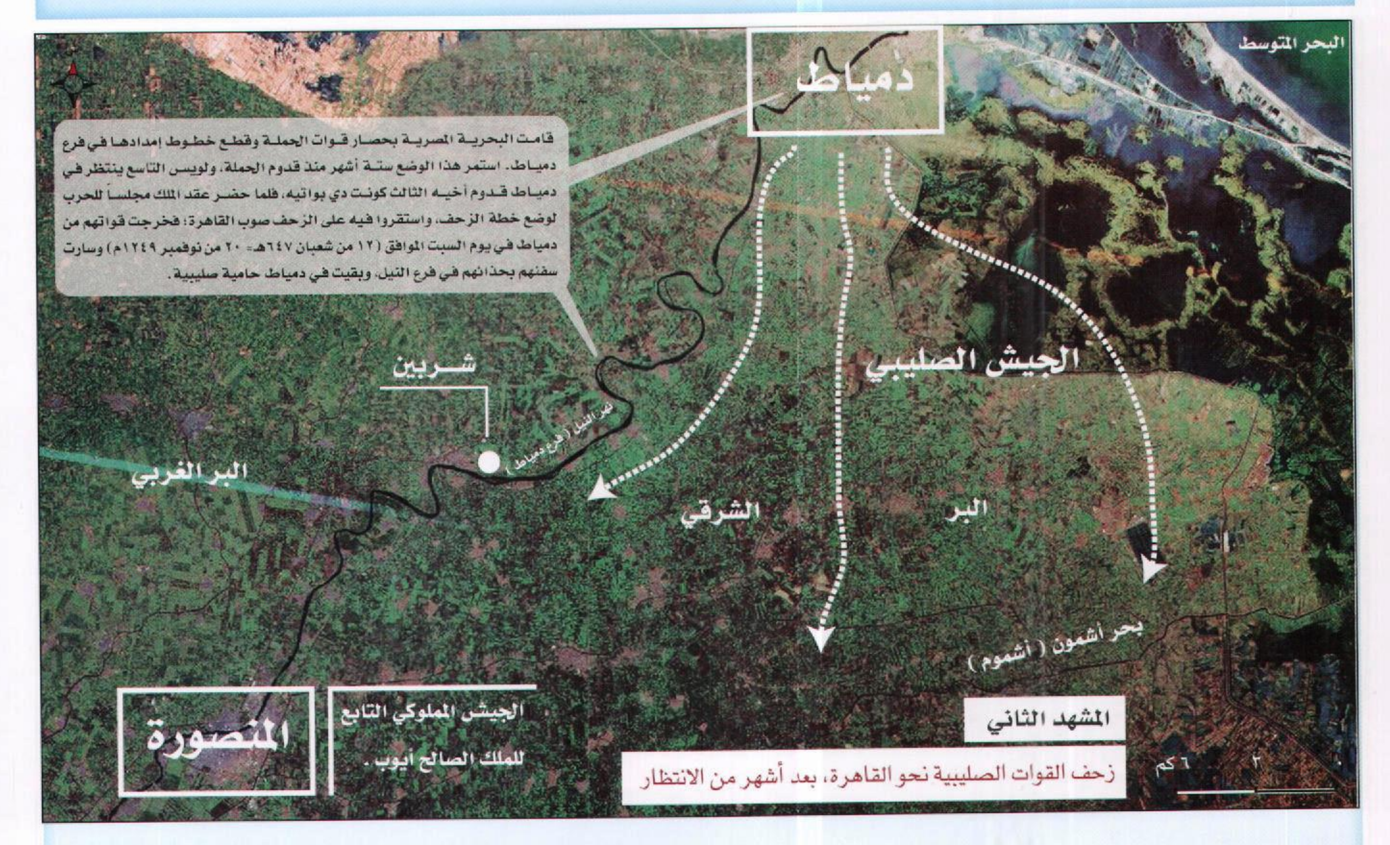
الجيش المملوكي التابع للملك الصالح أيوب .

المشهد الأول

سقوط دمياط على أيدي الحملة الصليبية السابعة

استقبل الملك الصالح أيوب؛ أنباء سقوط **دمياط** بمزيج من الحزن والأسى، فأمر بنقل عدد من الفرسان الهاربين، وأنّب الأمير فخر الدين على تهاونه وضعفه، واضطر إلى نقل معسكره إلى مدينة **المنصورة**، ورابطت السفن الحربية في النيل تجاه المدينة، **وتوافد على المدينة أفواج من المجاهدين الذين نزحوا من بلاد الشام والمغرب الإسلامي**.

سفينتان حديثتان تمخران نهر النيل (فرع دمياط)



زحف القوات الصليبية نحو القاهرة، بعد أشهر من الانتظار

فــي الوقــت الذي زحفت فيه الحملة الصليبية نحو القاهرة؛ توفي الملك الصالـح أيوب في ليلة (النصف من شعبان سنة ٦٤٧هـ = ٢٢ مـن نوفمبر ١٢٤٩م) فقامت زوجته **شجرة الدر** بتدبير شؤون الدولة بعد أن أخفت خبر موته؛ خوفاً من حدوث فتنـة بـين صفوف المسلمين. وفـي الوقت نفسه أرسلت إلى توران شـاه ابن زوجها وولي عهده تحثه علـى مغادرة حصن كيفا، بالقرب من حدود العراق، وعلى سرعة القدوم إلى مصر ليعتلي عرش البلاد خلفاً لأبيه.

تسربت أنباء وفاة الملك الصالح أيوب إلى الصليبيين فبدءوا في التحرك، وتركوا دمياط، وزحفوا جنوباً على شاطئ النيل الشرقـي لفـرع دمياط، وسفنهم تسير حذاءهم في النيـل، حتى وصلوا إلى بحر أو قناة أشموم المعـروف اليوم باسم "البحر الصغـير"، فصـار على يمينهم فـرع النيل، وأمامهم قناة أشمـوم التي تفصلهم عن معسكرات المسلمـين القائمة عند مدينة المنصـورة. وتعين علـى الصليبيين لمواصلة الزحف أن يعبروا فرع دمياط أو قناة أشمـوم فاختار لويس التاسع القناة، فعبرها بمساعدة بعض الخونة، ولم يشعر المسلمون إلا والصليبيون يقتحمون معسكرهم، فانتشر الذعر بين الجند المصريين، واقتحم الصليبيـون بقيـادة "روبرت أرتوا" أحد أبواب المنصورة، ونجحوا في دخول المدينة وأخذوا يقتلون المصريين بكل قسوة، حتى وصلـت طلائعهم إلى أبواب قصـر السلطان نفسه، وانتشروا في أزقة المدينة، حيث أخـذ الناس يرمونهم بالحجارة والطوب والسهـام. وبينمـا هم على هذا الحال ظانين أن النصر صـار بين أيديهم حقيقة لا خيالاً واطمأنـت نفوسهم إلى هذا النجاح والظفـر، انقض المماليك البحرية بقيادة "بيبرس البندقداري" على الصليبيين وهم فـي نشوتهم وغرورهم وذلك في (٤ مـن ذي القعـدة ٦٤٧هـ = ٨ مـن فبراير ١٢٥٠م)، فانقلب نصرهـم إلى هزيمة، وأوسعهم **المماليك** قتـلاً حتى أهلكوهم عن آخرهم تقريباً بما في ذلك الكونت أرتوا نفسه.

مخطط معركة المنصورة في الحملة الصليبية السابعة

في اليوم التالي **لمعركة المنصورة**، عقد الأمير فارس الدين أقطاي القائد العام للجيش الإسلامي مجلس الحرب، عرض فيه على ضباطه معطف الكونت أرتوا ظناً منه أنها سترة الملك، وأعلن أن مقتل الملك يتطلب مهاجمة الصليبيين على الفور، مبرراً ذلك بقوله: "إن شعباً بدون ملك جسم بلا رأس، لا يُخشى منه خطر، وعلى ذلك أعلن أنه سيهاجم الجيش الصليبي بلا تردد". وفي فجر يوم الجمعة (٨ من ذي القعدة ٦٤٧هـ = ١١ من فبراير ١٢٥٠م) بدأ الجيش المصري هجومه على معسكر **الصليبيين**، لكن الملك لويس، تمكن من الثبات بعد أن تكبد خسائر فادحة، وبذلك انتهت **معركة المنصورة الثانية**، وهي المعركة التي أيقن الصليبيون بعدها أنهم لن يستطيعوا البقاء في مراكزهم، وأن عليهم الانسحاب إلى دمياط قبل فوات الأوان.

موقف الصليبيين بعد معركة المنصورة الثانية

استطاع المسلمون بقيادة الملك طوران (توران شاه) آخر ملوك الأيوبيين حصر الصليبيين الغزاة في مدينة المنصورة، فلقي كثير من الفرسان الصليبيين ممن لم يتسن لهم اللجوء إلى القلعة حتفهم، وبعد فترة اغرق المسلمون الأسطول الصليبي الراسي قرب المنصورة، وقطعوا اتصال الفرسان مع دمياط التي كانت قاعدة تموينهم، وتحت طائلة الموت جوعاً فر الصليبيون من المنصورة وفتكت بهم قوات المسلمين فزال جيشهم من الوجود كقوة مقاتلة، ووقع منهم الآلاف في الأسر، وكان ملك فرنسا (لويس التاسع) بين الأسرى، حيث **أُسِر** في قرية منية أبي عبد الله (حالياً ميت الخولي عبد الله) بمحافظة دمياط وسرعان ما انتشرت الأمراض بين الأسرى كالملاريا والدزنطاريا والإسقربوط ، حتى إن الملك أخذت أسنانه تسقط وتعين حمله لقضاء حاجته، وفي مايو ١٢٥٠م، أخلي سبيل لويس مقابل فدية ضخمة ٨٠٠ ألف بيزنطي أو ٢٠٠ ألف ليرة شريطة أن يغادر الصليبيون دمياط، فوصلت بقاياهم إلى عكّا كيفما اتفق.

نهاية الدولة الأيوبية : لقد كان توران شاه شخصية عابثة!.. فلقد اتصف هذا السلطان الشاب بسوء الخلق، والجهل بشئون السياسة والحكم، وأعماه الغرور الذي ركبه بعد النصر على لويس التاسع ملك فرنسا عن رؤية أفضال ومزايا من حوله، فقد بدأ من ناحية يتنكر لزوجة أبيه شجر الدر، واتهمها بإخفاء أموال أبيه، وطالبها بهذا المال، بل وهددها بشدة حتى دخلها منه خوف شديد، ولم يحفظ لها جميل حفظ الملك له بعد موت أبيه، وحفاظها على سير الأمور لحين قدومه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه بدأ يتنكر لكبار أمراء المماليك، وعلى رأسهم فارس الدين أقطاي وركن الدين بيبرس، ولم يحفظ للمماليك جميل الانتصار الرائع الذي حققوه في موقعة المنصورة، فبدأ يقلل من شأنهم، ويقلص من مسئولياتهم، وبدأ على الجانب الآخر يعظم من شأن الرجال الذين جاءوا معه من حصن كيفا، وبدا واضحاً للجميع أنه سيقوم بعمليات تغيير واسعة النطاق في السلطة في مصر. فاتفقت شجرة الدرّ مع فارس الدين أقطاي وركن الدين بيبرس وغيرهما من المماليك الصالحية البحرية على قتل "توران شاه"، وبالفعل تمت الجريمة في يوم ٢٧ محرم سنة ٦٤٨هـ، أي بعد سبعين يوماً فقط من قدومه من حصن كيفا واعتلائه عرش مصر!.. وكأنه لم يقطع كل هذه المسافات لكي يحكم بل لكي يُدفن!! وهكذا بمقتل "توران شاه" انتهى حكم الأيوبيين تماماً في مصر.. وبذلك أغلقت صفحة مهمة من صفحات التاريخ الإسلامي فيها.

المماليك

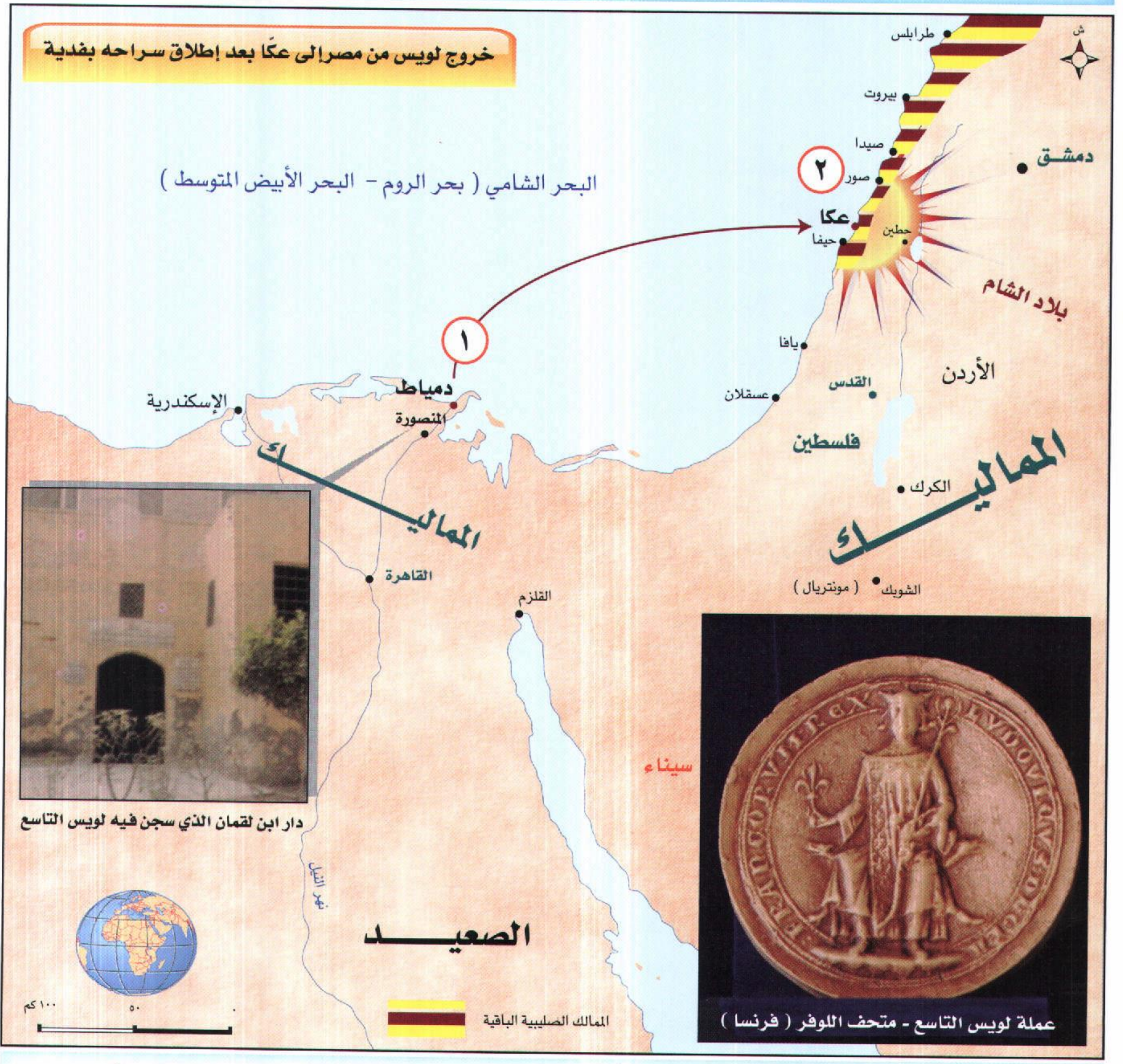
ينقسم المماليك إلى قسمين:

١- **المماليك البحرية** وهم الذين أسكنهم الملك الصالح الأيوبي قلعة في جزيرة الروضة، ونسبوا إلى بحر النيل، أو سمّوا بذلك لأنهم قدموا من وراء البحار، وهؤلاء حكموا مصر من سنة (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م) وتداول عرش مصر في عهدهم أربعة وعشرون سلطاناً .

٢- **المماليك البرُجية** أو الجراكسة، وسُمّوا بذلك لأن السلطان قلاوون أسكنهم أبراج قلعة الجبل، ولأن الجراكسة كانوا أكثر عدداً وهؤلاء حكموا مصر من سنة (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م) وهم ثلاثة وعشرون سلطاناً.

ويبدأ تاريخ المماليك، مع انتصار المماليك البحرية الذين أبلوا بلاء حسناً في مقاومة الحملة الصليبية السابعة وأن يقيموا دولتهم **على أنقاض دولة الأيوبيين في مصر**؛ فلم يكد يمضي شهر من تحقيق هذا النصر حتى تخلص المماليك من توران شاه ، وأقاموا **شجرة الدر** سلطانة على مصر، وكان ذلك إيذاناً ببزوغ عصر دولة سلاطين المماليك في مصر والشام.

ولم يأخذ المماليك بمبدأ وراثة العرش، وإنما كان الطريق مفتوحاً أمام من أبدى شجاعة وإقداماً ومقدرة. هذه هي المؤهلات في دولة المماليك التي قامت على أنقاض دولة الأيوبيين، وبعد مقتل توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين بمصر.



دار ابن لقمان الذي سجن فيه لويس التاسع

عملة لويس التاسع - متحف اللوفر (فرنسا)

١ بعد انتصار الجيش الإسلامي المصري، على جيش الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع، أسر لويس واقتيد إلى شجرة الدر، فأمرت بسجنه في سجن المنصورة، فجعل لويس يفاوض على إطلاق سراحه، ويعرض لقاء ذلك مبالغ خيالية **تقدر بالملايين**، فوافقت أخيراً شجرة الدر بشرط أن يتم تسليم نصف المبلغ قبل إطلاق سراحه فأطلقته، وأقسم لشجرة الدر بعدم العودة إلى مصر مرة أخرى، ولكنه ما إن وصل عكّا، حتى نكث عهده وقسمه، وبدأ يجهز جيشاً صليبياً لاستعادة بيت المقدس.

٢ بقي لويس في عكّا أربع سنوات، دعا فيها البارونات إلى حملة صليبية، ولكن الدوقات والكونتات والبارونات والفرسان تجاهلوا هذه الدعوة، فغادر لويس التاسع عكّا في إبريل ١٢٥٤م إلى فرنسا.

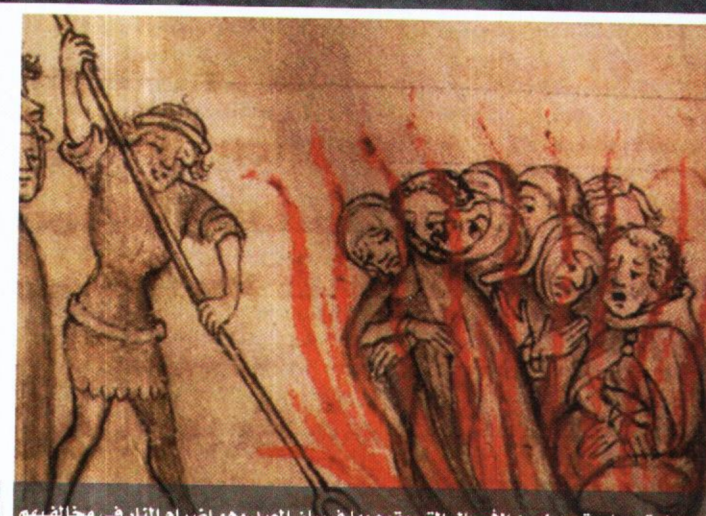
فرسان المعبد (الداوية)

هي هيئة عسكرية دينية تابعة لفرسان المسيح الفقراء، الذين كانوا يعرفون في العصور الوسطى أيضاً بفرسان هيكل سليمان، نسبة إلى مقرهم ببيت المقدس. وقد عرفوا في الكتب الدينية التي ترجع لعصر الحروب الصليبية باسم الداوية، وهي كالهيئات العسكرية الأخرى، مثل فرسان القديس يوحنا (الإسبتارية) والتيوتون. تألفت خلال الحروب الصليبية، وكانت النواة الأولى للهيئة فرقة تألفت من تسعة فرسان اجتمعوا برئاسة هيو دي باين، لحماية الحجاج إلى الأماكن المقدسة المسيحية. وازداد عددهم تدريجياً، واتخذوا لأنفسهم قانون طائفة الرهبان البندكيين، ومنحوا مقراً في بيت المقدس يجاور البناء الذي كان يدعى هيكل سليمان. وانضم كثير من النبلاء الشبان إلى هذه الهيئة التي بدأت فقيرة جداً، ثم سرعان ما أخذت تتلقى منحاً من إقطاعات ومال من جميع أنحاء أوروبا. فأصبحت في مدة قصيرة من أقوى المنظمات العسكرية الأوروبية. واكتسب الداوية شهرة عظيمة بفضل إعلانهم أن هدفهم الأمثل هو حماية المسيحية، وبفضل انتصاراتهم العسكرية، إذ أثبتوا شجاعتهم في جميع الحروب التي قامت بها المملكة اللاتينية، ولعبوا دوراً مهماً في الصراع بين الصليبيين والمسلمين. وقد قامت منذ وقت مبكر منافسة مستعرة بينهم وبين الإسبتارية. وكان فرسان الداوية مسؤولين عن قلعة غزة التي سقطت في يد نور الدين زنكي، ثم استعادوها منه. غير أن فتوح صلاح الدين الأيوبي أكرهت الداوية، كما أكرهت الإسبتارية، على الجلاء عن بيت المقدس. وبعد غزو عكّا، استقر الفرسان فيها، ولعبوا دوراً مهماً في الحرب الصليبية الثالثة. وأخذ نصيب فرسان الداوية و الإسبتارية والتيوتون من محاربة العرب يطرد ازدياداً، حتى كادوا ينفردون به دون الصليبيين المتأخرين. لكن هذه الهيئات وقعت فريسة التنافس المدمر فيما بينها، كما أدى صراعها الداخلي المميت هذا إلى إضعاف قضية المسيحية في الشرق الأدنى. وأخذ المسلمون يستعيدون جميع الأراضي المقدسة، وفتحت عكا ١٢٩١م، وانسحب الإسبتاريون والداوية إلى جزيرة قبرص، ثم تخلت هيئة الداوية عن صفتها الحربية الرئيسة، وكان أفرادها قد أصبحوا حتى في القرن ١٢م صيارفة أوروبا بفضل الأموال الطائلة التي أغدقت عليهم. وكانت مؤسساتهم في إنجلترا وفرنسا بوجه خاص عديدة ومزدهرة، وأصبحت مقارهم بيوتات العالم المالية، وقد زادت هذه السيطرة المالية من قوتهم، وأثارت عليهم غضب الأمراء والملوك. ومما زاد الطين بلة، ابتعاد الداوية عن المبادئ القويمة، فساقوا أنفسهم إلى التهلكة، وحقد عليهم فيليب الرابع ملك فرنسا لسيطرتهم المالية، وارتكابهم لجرائم عديدة، فاضطهدهم (١٣٠٨م)، وبإعدام الرئيس الأعلى لفرسان الهيكل، جاك دي مولاي ١٣١٤م، انصرمت حياة هذه الطائفة[١].

---

١ - الموسوعة العربية، ص ١٩٦٥.

مقاتل من فرسان المعبد (الداوية)



عملية إرهابية من ضمن الأعمال التي يقوم بها فرسان المعبد وهو إضرام النار في مخالفيهم





جاك دي مولاي آخر زعماء فرسان المعبد أعدمه فيليب الرابع سنة ١٣١٤م

الزحف المغولي نحو الخلافة العباسية

استأنف المغول زَحْفهمْ باتجاه مناطق غربي آسيا، بعد وفاة جنكيزخان في عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م ، ضمن سياسة توسعية. فقد عهد **منكوخان**، الذي تسلم الزعامة في عام ٦٤٦هـ/١٢٢٨م إلَى أَخيه **هولاكو** بقيادة حملة على فارس وَأَوْصَاهُ بأن يبسط السيطرة المغولية على البلاد الممتدة من العراق حتى أَقَاصِي مصر. وحدد له إطَار العلاقة مع الخليفة العباسي، بحيث إذَا قدَّم فروض الولاء والطاعة فلا يتعرض له. أَمّا إذَا عصى، فعليه أن يتخلص منه حتى لا يشكل عقبة في طريق الزحف المغولي[١].

ومن جهته، وضع هولاكو خطة عسكرية تقضي أولاً بالقضاء على الإسماعيلية، ثم غزو المناطق الغربية وصولاً إلى مصر في مرحلة ثانية. وبعد أن حقق هدفه الأول انطلق لتحقيق هدفه الثاني.

ووفقاً للخطة التي وضعها منكو، كان على هولاكو أن يهاجم الحشيشية (الإسماعيلية النزارية) في معاقلهم البالغة نحو خمسين قلعة منتشرة في قومس وقهستان، أشهرها كردكوه وميمون دز وألموت التي اتخذوها عاصمة لهم وقاعدة لملكهم بفعل مناعتها، وكان القائد المغولي كتبغا قد استولى على بعضها، وعندما تقدمت القوات المغولية نحو القلاع انتاب **ركن الدين خور شاه زعيم الحشاشين** الفزع، وأبدى استعداده للخضوع للمغول، وطلب منه هولاكو أن يدمر قلاعه كافة، فرفض ذلك، عندئذ قرر هذا الأخير مهاجمته، وعندما استولى المغول على معظم القلاع ولم يتبق إلا ميمون دز وألموت وكردكوه؛ عندها استجاب ركن الدين خور شاه لمطالب المغول وسلَّم قلعة ميمون بنفسه لهولاكو[٢].

توجه هولاكو بعد ذلك إلى قلعة ألموت وحاصرها، وطلب من ركن الدين خور شاه إقناع المحاصَرين بالاستسلام، لكن قائدها رفض ذلك ثم استسلم بعد ثلاثة أيام من حصارها. ودخل المغول إلى القلعة ، وحطموا ما فيها من الأسلحة والعتاد واستولوا على الكنوز والأموال، **وكان لاندحار الحشاشين صدى إيجابي في العالم الإسلامي** على الرغم مما كان يعانيه المسلمون على أيدي المغول، وما يتوقعونه منهم في المستقبل. ولعل مرد ذلك يعود إلى أن هذه الطائفة:

- قاومت في القرن السادس الهجري جهود السلاجقة في القضاء عليها[٣].
- أرهبت الخلافة العباسية وأفزعت رجالها.
- كانت سبباً من أسباب الفساد المعنوي والتفرق في العالم الإسلامي.

فإذا كان هولاكو قد قضى على وجودها في خراسان وإيران، فإنه يكون بذلك قد أدى خدمة كبيرة لقضية النظام والحضارة وصفه المؤرخ الجويني بأن هذا العمل مرهماً لجراح المسلمين وتداركاً للدين من الخلل.

---

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٥١.

٢ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والإليخانيين، ص ١٣٧.

٣ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والإليخانيين، ص ١٣٨ - ١٣٩.



خرج **هولاكو** على رأس جيش هائل قُدّر بنحو ٢٥٠ ألف جندي من خيرة جنود المغول، بالإضافة إلى كبار القادة والفرسان، وحرص الخان الأكبر "منكوقا آن" أن يوصي أخاه قبل التحرك بأن يلتزم بالعادات والتقاليد ويطبّق قوانين جده جنكيز خان، وأن يكون هدفه هو إدخال البلاد من ضفاف نهر "**جيحون**" حتى **مصر** في دولة المغول، وأن يعامل من يخضع لسلطانه معاملة طيبة، ويذيق الذل من يبدي المقاومة حتى لو كان الخليفة العباسي نفسه، فعليه أن يزيحه ويقضي عليه إذا ما اعترض طريقه.

وحقق هولاكو هدفه الأول بالاستيلاء على **قلاع طائفة الإسماعيلية** سنة (٦٥٤هـ = ١٢٥٦م) بعد معارك عديدة واستماتة بذلها أفراد الطائفة الإسماعيلية النزارية في الدفاع عن حصونهم وقلاعهم، لكنها لم تُجدِ نفعاً إزاء قوة الجيش المغولي.

الزحف المغولي نحو القلاع الإسماعيلية في إيران سنة ٦٥٠ - ٦٥٤ هـ

الخلافة العباسية في بغداد	السيطرة المغولية على الدولة الخوارزمية
دولة الأشراف (الحسنيون) في مكة المكرمة	الإمبراطورية البيزنطية
	مملكة أرمينيا الصغرى والكبرى
	سلطنة المماليك
الدولة الغورية	بقايا الاحتلال الصليبي
الإسماعيليون (الحشاشون) في إيران	الأيوبيون
العيونيون	



تألفت **الدولة الإسماعيلية الباطنية** منذ عام ٤٨٢ هـ حتى انهيارها الأخير في ٦٧٠ هـ في سورية (٦٥٥ هـ في إيران)، من **أربع مناطق** رئيسة شبه مستقلة إضافة إلى بعض القلاع المتناثرة في أصفهان و الأحواز.

المنطقة الأولى: هي رودربار، الموطن الأساسي للمجتمع الإسماعيلي في إيران منذ عام ٤٨٢ هـ عندما تسلم حسن الصباح زمام الأمور في قلعة ألموت (آلموت). وكانت أهم القلاع في تلك المنطقة هي آلموت ،لاماسار، وسامران « دز شميران ».

المنطقة الثانية: هي قومس، وهي المنطقة حول دامغان وسمنان كما تضم أيضاً الحصن حول سورو.

المنطقة الثالثة: هي قوهستان جنوبي خراسان حيث وجد عدد كبير من المكتشفات الحديثة. كما توجد أيضاً مواقع إضافية في الأهواز «خوزستان» ، وبشكل خاص أرجان، حيث حكم الإسماعيليون بضع سنين أثر غزوهم المشهديين، متطلعين إلى أصفهان،عاصمة السلاجقة، وإلى الحصن المجاور في خان لانجان .

وأما المنطقة الرابعة: فتقع في سورية، حيث بقي الإسماعيليون مستقلين حتى عام ٦٥٦ هـ عندما استسلمت آخر قلعة لبيبرس. ومع أن قلعة الكهف كانت مكان الإقامة الرئيس للقائد الإسماعيلي سنان راشد الدين، إلا أن «مصياف» كانت أهم حصن في سورية، وبقيت هذه القلعة مركزاً حربياً حتى العهد العثماني، وقد دمرت حديثاً" مع بداية القرن التاسع عشر. وكانت مجموعة القلاع حول القدموس متضمنة الخوابي، الرصافة، القلعة، المينقة، والعليقة مركزاً إسماعيلياً آخر في سورية.

حصار المغول لقلاع الإسماعيلية في إيران وإسقاطها



عندما استولى المغول على قلعة ألموت (آلموت) قام بتدمير موقعها العسكري، ويصف المؤرخ الفارسي الجويني بمهارة غرف التخزين الضخمة الموجودة في باطن الأرض التي بناها الإسماعيليون، كما يصف الصعوبات التي واجهها المغوليون في تدمير تحصينات القلعة. وكما بنيت بعض القلاع الإسماعيلية مثل آلموت في مواقع كانت مدعمة سابقاً فإن بعضها الآخر مثل غردكوز كانت أبنية جديدة كلياً.

بنيت القلاع والحصون الإسماعيلية في المناطق الجبلية التي يصعب الوصول إليها في إيران وسورية لتكون ملجأ للطائفة الذين كانوا يغزون الدول السنية وغيرهم خلال العصر العباسي. وصمدت هذه القلاع بفضل بنائها القوي المضاهي للبناء الصليبي أمام اعتداءات عديدة لأكثر من قرنين حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي عندما حاصرها **المغول** وهدموا ما استعصى عليهم.

سقوط بغداد ونهاية الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م

كانت الأوضاع في العراق سيئة جداً. كما تعددت مراكز القوى آنذاك واختلفت فيما بينها بفعل عوامل سياسية ومذهبية. واشتدت الخلافات بين مجاهد الدين أيبك الدواتدار الصغير، وكان سني المذهب، وبين مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد بن العلقمي، وزير المستعصم، وكان شيعياً. مما كان لها أثرها السيئ في اضطراب الأمور وتقويض سلطة الخلافة[١].

وتعددت خلافات أهل الحكم لتنتقل إلى العامة من سكان بغداد الذين انقسموا على أنفسهم في تناحر مذهبي، مما دفع الوزير ابن العلقمي إلى مراسلة المغول وأطمعهم في ملك بغداد.

في هذه الظروف الحرجة، طلب هولاكو من الخليفة أن يمده بجيش ليعاونه في القضاء على الطائفة الإسماعيلية. شاور المستعصم معاونيه، فنصحوه بعدم الإقدام على هذا العمل، لأن هولاكو يريد بهذه الوسيلة إفراغ بغداد من المدافعين عنها حتى يسهل عليه الاستيلاء عليها عندما يهاجمها. فوافقهم على رأيهم، وامتنع عن إرسال المدد إلى هولاكو.

لما فرغ الزعيم المغولي من القضاء على الإسماعيلية، أرسل إلى الخليفة رسالة عتاب تتضمن تهديداً ووعيداً لامتناعه عن تنفيذ مطالبه، وطلب منه أن يهدم الحصون، ويردم الخنادق ويسلم البلاد لابنه، وأن يحضر لمقابلته أو يرسل الوزير سليمان شاه الدواتدار. والواقع أن هذا الاحتجاج لم يكن إلا ذريعة للمطالبة بالسلطة الزمنية التي سبق أن منحت في بغداد للأمراء البويهيين ثم للسلاطين السلاجقة، وطلب منه[٢]:

- **أن يهدم الحصون، ويردم الخنادق، ويسلم البلاد لابنه.**
- **أن يحضر لمقابلته أو يرسل الوزير سليمان شاه والدواتدار.**

ردّ الخليفة بالرفض الذي اتسم بالتهديد والوعيد، ظناً منه، أن ذلك سوف يثني هولاكو عن عزمه، ويجعله يفكر ملياً قبل أن يقدم على خطوته. ويبدو أن الخليفة العباسي أمل في تلقي المساعدة من الأمراء المسلمين إلا أنه أخطأ في تقديره. إذ أنّ الأيوبيينَ في بلاد الشام والمماليك في مصر، الذين عقد آماله عليهم، توافر عندهم من المشاكل ما منعهم من النهوض لمساعدته. ولم يتحرك الأتابكة والترك والفرس لمساندته بفعل ما استبد بهم من الخوف من المغول. أمّا سلاجقة الروم فقد خضعوا لحكم هؤلاء.

وهكذا بدا العالم الإسلاميّ مُفكّكاً، فلا يعقل أن يهب أمراؤه لنجدة الخليفة الذي لم يكن له سند حقيقي حتى يستطيع أن يقف هذا الموقف المتشدد. فكان لهذا الموقف العباسي الرافض أسوأ الأثر في نفس هولاكو مما دفعه إلى الزحف باتجاه بغداد. لما اشتدّ حصار المغول على العراق، انقسم الرأي بين المداهنة

---

١ - ٢، د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٥١ - ٢٥٢.



مضى **هولاكو** في تحقيق هدفه الرئيس بالاستيلاء على **بغداد عاصمة الخلافة العباسية** والقضاء عليها؛ فأرسل إلى الخليفة المستعصم بالله يتهدده ويتوعده، ويطلب منه الدخول في طاعته وتسليم العاصمة، ونصحه بأن يسرع في الاستجابة لمطالبه؛ حتى يحفظ لنفسه كرامتها ولدولته أمنها واستقرارها، لكن الخليفة باستشارة الخاصين رفض هذا الوعيد بشدة وقرر أن يقاوم، على الرغم من ضعف قواته وما كان عليه قادته من خلاف وعداء، فضرب هولاكو حصاره على المدينة المنكوبة التي لم تكن تملك شيئاً يدفع عنها قدَرَها المحتوم، فدخل المغول بغداد سنة (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م).

الزحف المغولي نحو بغداد وإسقاط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م

الرمز	الدلالة
	الخلافة العباسية في بغداد
	دولة الأشراف (الحسنيون) في مكة المكرمة
	السيطرة المغولية على الدولة الخوارزمية
	الإمبراطورية البيزنطية
	مملكة أرمينيا الصغرى والكبرى
	سلطنة المماليك
	الدولة الغورية
	بقايا الاحتلال الصليبي
	سقوط بغداد
	الرسوليون
	العيونيون

والتصـدي للعـدوان . فقـد نصـح **وزير الخليفة ابـن العلقمي** أن يبـذل الأموال والتحـف والهدايا، ويرسلهـا إلى هولاكو مـع الاعتذار إليه وأن يجعل الخطبة والسكة باسمه، علـى النحو الذي كان مُتَّبَعاً أيام البويهيـين والسلاجقـة. أَمَّـا مجاهد الدين أيبـك الدواتدار الصغـير الذي كان يستند علـى قوة الجيش، ومسانـدة العناصـر السُّنِّية في بغداد، رفض رأي الوزير، وَأَصَرَّ على المقاومة. فعدل الخليفة عند ذلك عن رأي الوزير وتبنى خيار المقاومة [١].

ولـما أيقـن **هولاكـو** (انظـر الصفحة المقابلـة) أن في استطاعته السـير إلى **العـراق** دون أن يتعرض للمصاعـب، وأن فـي مقدور قواته الاستيلاء على بغداد، أخذ في تنفيـذ خططه الحربية التي وضعها في أثنـاء إقامته في **همذان**، وأصدر أوامره بأن تتحرك الجيوش المغولية باتجاه عاصمة الخلافة. ولما وصلت إليها في الثالث عشر من شهر محرم عام ٦٥٦هـ/ شهر كانون الثاني عام ١٢٥٨م ، ضربت حِصَاراً مُرَكّزاً عليها، وأقام هولاكو معسكره في ظاهر المدينة من ناحية الشرق.

ولما رأى **الخليفة** حرج موقفه أراد أن يُهَدِّئَ المغول ويثنيهم عن عزمهم على متابعة الهجوم، فَأَرْسَلَ إلى هولاكـو الرسـل والهدايا، لكـن هولاكو رفض الاستجابة لهـذا النداء. ونفذ خطة عسكريـة، تقضي بإفراغ بغـداد مـن مدافعيها قبل أن يقتحمهـا جنوده . فَأَرْسَلَ نصير الديـن الطوسي إلى الخليفة يَأْمُـرهُ بإرْسَال سليمـان شاه والدواتـدار . فَاضْطَرّ الخليفة إلى الاستجابة. ولما وصلا إليه، أعادهما إلى بغداد لاصطحاب أتباعهما وأصحابهما بحجة أنهم سينفون إلى الشام ومصر. فخرج معهما جند بغداد وكثير من السكان. فلما خرج هذا الجمع، أمر هولاكو بقتلهم جَمِيعاً فانكشف عندئذ موقف الخليفة. ولما رأى ألا مفر من دخول المغول بغداد مال إلى التسليم.

ولم يمضـ على ذلك يومان حتى خدعه المغـول بالوعود الكاذبة. وقد اشترك **ابن العلقمي**، في هـذه المؤامرة حين أقنع الخليفة بوجوب الاستسلام، لأنه مهد طريـق الصلح، وسوف يأتيه هولاكو والمغول طائعين [٢].

وقـد ذكـر المؤرخ ابن كثير: أن الوزير ابن العلقمي كان قـد اجتمع بهولاكو مع أهله وأصحابه وحشمه، ثم أشـار علـى الخليفة بالخـروج إليه والمثول بـين يديه لتقع المصالحة علـى أن يكون نصف الخـراج لهولاكو والنصف الآخر للخليفة.

وفـي يـوم الأحد **(الرابع من شهـر صفر عام ٦٥٦ هـ/ شهر شباط عام ١٢٥٨م)** خرج الخليفة من بغداد وسلم نفسه وعاصمته للمغول دون قيد أو شرط، بعد أن وعده هولاكو الأمن والأمان.

---

١ - ٢ . د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.



THE MONGOL DYNASTY

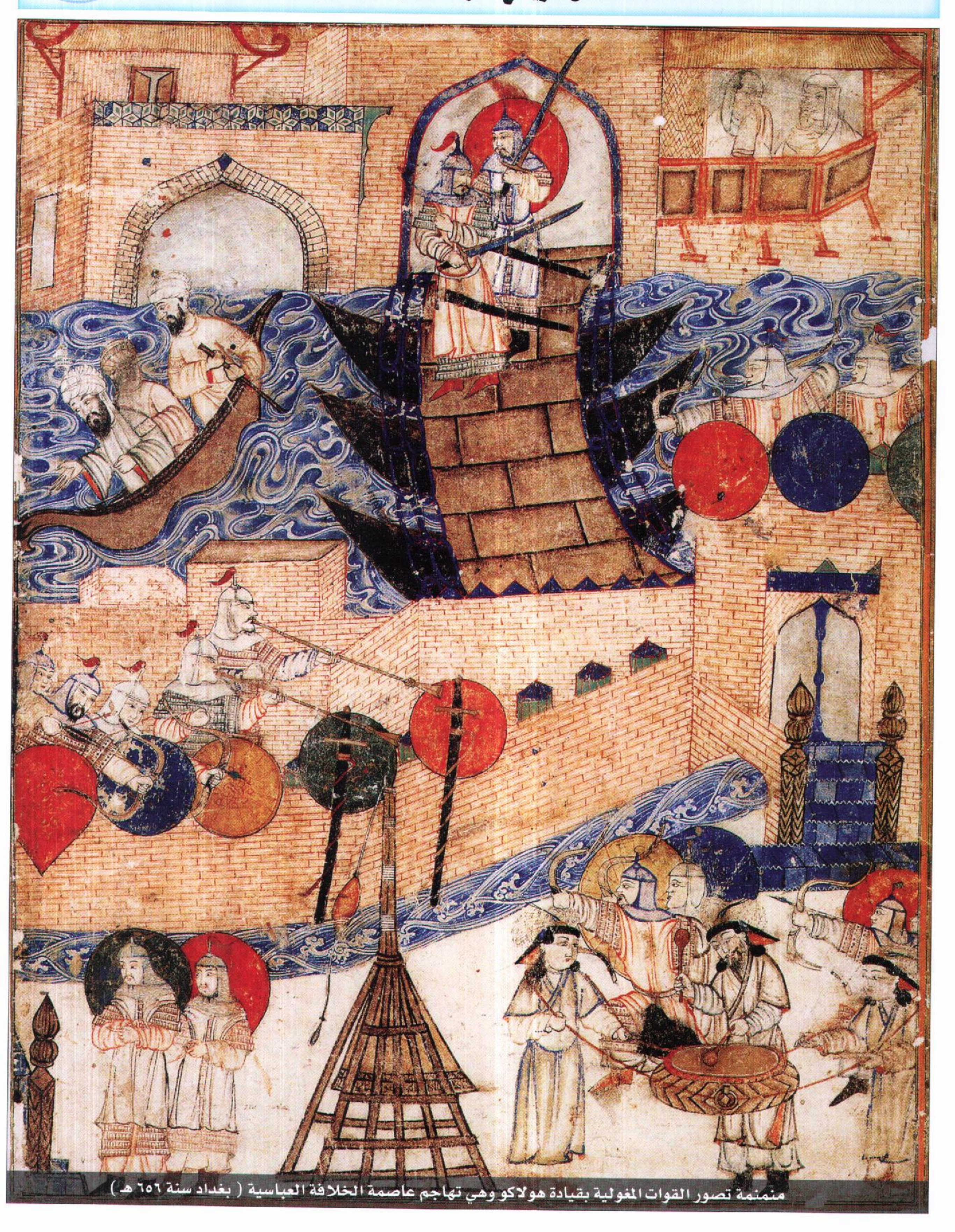
Husband to several wives, Genghis Khan fathered many children. The four sons by his principal wife, Borte, formed the limbs of his dynastic tree. The house of eldest son Jochi never produced a great khan, but it wielded great power. By his refusal to support Ogodei's line after the death of Guyuk, Jochi's son Batu forced a power shift to the Tolui house, thus opening the way for Mongke and Kublai. No images exist for Tolui, Berke, or Arigh Boke. Except for the hatted great khans, all are shown with traditional shaved heads.



منمنمة تبين كيفية القتل والتنكيل بالمسلمين من قبل الجيش المغولي الذي استباح بغداد عاصمة الخلافة

دخـل **الجنـود المغول** بكل وحشيـة وقسوة إلى عاصمة الخلافة العباسية « **بغداد** » وعاثوا فيها فساداً مـدة أَرْبَعِينَ يَوْماً، هدمـوا المساجد التي يرفع فيها ذكر الله تعالى، وجردوا القصور الجميلة مما فيها من التحـف النادرة، وَأَتْلَفُوا عدداً كثيراً من الكتب القيمة في مكتباتها التي أفرزتها العقول المفكرة، حتى إنهم ملأوا نهر دجلة بالكتب وجعلوها جسوراً لخيولهم فتحولت مياه النهر الأزرق الصافي إِلَى اللون اَلأَسْوَد من اختلاطهـا بالمـداد، وأهلكوا كثيراً من رجـال العلم فيها، وقتلوا أئمة المساجد وحملـة القرآن وطلبة العلم. وتعطلت المدارس ومناحي الحياة. وأضحـت المدينة خاوية على عروشها. فتكدسـت الجثث في الطرقات والأزقة. ثم انتشر الوباء فحصد كَثِيراً ممن كتبت لهم النجاة من هذا البطش الهمجي.

وقد انتهت هذه الأحداث المؤسفة بفاجعة مؤلمة وحادثة أليمة وهي **قتل الخليفة المستعصم وابنيه** أبي العباس أحمد وأبي الفضائـل عبد الرحمن، وأسر ابنـه الأصغر مبارك وأخواته الثـلاث فاطمة وخديجة ومريم. وبسقوط بغداد ومقتل الخليفة العباسي المستعصم **انتهت دولة الخلافة العباسية** التي عمرت أكثر من خمسة قرون.



منمنمة تصور القوات المغولية بقيادة هولاكو وهي تهاجم عاصمة الخلافة العباسية (بغداد سنة ٦٥٦ هـ)

تدمير مكتبة بغداد على أيدي المغول

ذكر د. راغب السرجاني[١]: أن مكتبة بغداد في العصر العباسي من أعظم دور العلم في الأرض قرابة خمسة قرون متتالية - بلا أدنى مبالغة -؛ أسسها الخليفة العباسي **هارون الرشيد** -رحمه الله- الذي حكم الدولة الإسلامية من سنة ١٧٠هـ إلى سنة ١٩٣ هـ، ثم ازدهرت المكتبة كثيراً في عهد **المأمون** خليفة المسلمين من سنة ١٩٨ - ٢١٨ هـ، وما زال الخلفاء العباسيون بعدهم يضيفون إلى المكتبة الكتب والنفائس حتى صارت داراً للعلم لا يُتخيل كمّ تزخر من العلوم داخلها!! فهي دار للعلم حوت ملايين المجلدات في هذا الزمن السحيق !!.. ملايين من الكتب في مكتبة واحدة في زمان ليس فيه طباعة!! وكان هذا هو الأمر المتكرر والطبيعي في معظم حواضر الإسلام، ولا ندري بالتحديد كم عدد الكتب في هذه المكتبة الهائلة، وإن كانت تقدر حقاً بالملايين، ويكفي أن مكتبة طرابلس بلبنان - التي لم تكن تقارن أبداً بمكتبة بغداد - قد أحرق الصليبيون الأوروبيون فيها "ثلاثة ملايين" مجلد عندما وقعت في أيديهم!! فتخيل كم كان عدد المجلدات في مكتبة بغداد؟!! كانت مكتبة بغداد تشتمل على عدد ضخم من الحجرات، وقد خصصت كل مجموعة من الحجرات لكل مادة من مواد العلم، فهناك حجرات معينة لكتب الفقه، وحجرات أخرى لكتب الطب، وهناك حجرات ثالثة لكتب الكيمياء ورابعة للبحوث السياسية وهكذا.

وكان في المكتبة المئات من الموظفين الذين يقومون على رعايتها، ويواظبون على استمرار تجديدها، وكان هناك "النساخون" الذين ينسخون من كل كتاب أكثر من نسخة، وكان هناك "المناولون" الذين يناولون الناس الكتب من أماكنها المرتفعة، وكان هناك "المترجمون" الذين يترجمون الكتب الأجنبية، وكان هناك "الباحثون" الذين يبحثون لك عن نقطة معينة من نقاط العلم في هذه المكتبة الهائلة!

وكانت هناك غرف خاصة للمطالعة، وغرف خاصة للمدارسة وحلقات النقاش والندوات العلمية، وغرف خاصة للترفيه والأكل والشرب، بل كانت هناك غرف للإقامة لطلاب العلم الذين جاءوا من مسافات بعيدة!

نحن إذن نتحدث عن جامعة هائلة، وليست مجرد مكتبة من المكتبات، لقد حوت هذه المكتبة عصارة الفكر الإنساني في الدنيا بأسرها، لقد كان المأمون يشترط على ملك الروم في معاهداته معه بعد انتصارات المأمون المشهورة عليه أن يسمح للمترجمين المسلمين بترجمة الكتب التي في مكتبة القسطنطينية، وكان لخلفاء بني العباس موظفون يجوبون الأرض بحثاً عن الكتب العلمية بأي لغة لتترجم وتوضع في مكتبة بغداد بعد أن يتولاها علماء المسلمين المتخصصون بالنقد والتحليل.

١- موقع قصة الإسلام على الشبكة العنكبوتية

لقد ترجمت في مكتبة بغداد الكتب المكتوبة باللغات اليونانية والسريانية والهندية والسنسكريتية والفارسية واللاتينية وغيرها.. هذه هي مكتبة بغداد!! المكتبة التي جمعت كل علوم الأرض في زمانها.

إحراق مكتبة بغداد[١]

ماذا فعل التتار مع مكتبة بغداد الهائلة؟

لقد حمل المغول الكتب الثمينة.. ملايين الكتب الثمينة... وفي بساطة شديدة - لا تخلو من حماقة وغباء - ألقوا بها جميعاً في نهر دجلة؟!!!!..

لقد كان الظن أن يحمل المغول هذه الكتب القيمة إلى "قراقورم" عاصمة المغول ليستفيدوا- وهم لا يزالون في مرحلة الطفولة الحضارية - من هذا العلم النفيس.. لكن المغول آنذاك كانوا أمة همجية.. لا تقرأ ولا تريد أن تتعلم.. يعيشون للشهوات والملذات فقط..لقد كان هدفهم في الدنيا هو تخريب الدنيا!!..ألقى المغول بمجهود القرون الماضية في نهر دجلة.. حتى تحول لون مياه نهر دجلة إلى اللون الأسود من أثر مداد الكتب.. حتى قيل إن الفارس المغولي كان يعبر فوق المجلدات الضخمة من ضفة إلى ضفة أخرى!!..هذه جريمة ليست في حق المسلمين فقط.. بل في حق الإنسانية كلها!!..وهي جريمة متكررة في التاريخ.

لقد فعل مثل هذا العمل المشين الصليبيون النصارى في الأندلس في مكتبة قرطبة الهائلة..وفعلها الصليبيون النصارى في الأندلس مرة أخرى في مكتبة غرناطة عند سقوطها، فأحرقوا مليون كتاب في أحد الميادين العامة!!..وفعلها الصليبيون النصارى في الأندلس مرة ثالثة ورابعة وخامسة وعاشرة في مكتبات طليطلة وإشبيلية وبلنسية وسرقسطة وغيرها..وفعلها الصليبيون النصارى في الشام في مكتبة طرابلس اللبنانية فأحرقوا ثلاثة ملايين كتاب..وفعلها الصليبيون النصارى في فلسطين في مكتبات غزة والقدس وعسقلان.

ومع مطلع العصر الحديث فعلها المستعمرون الأوروبيون الجدد الذين نزلوا إلى بلاد العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، ولكن هؤلاء كانوا أكثر ذكاء؛ فإنهم سرقوا الكتب ولم يحرقوها، ولكن أخذوها إلى أوروبا ليستفيدوا منها، وما زالت المكتبات الكبرى في أوروبا تحوي مجموعة من أعظم كتب العلم في الأرض.. ألّفها المسلمون على مدار عدة قرون متتالية.. ولا يشك أحد في أن أعداد الكتب الأصلية الإسلامية في مكتبات أوروبا تفوق كثيراً أعداد هذه المراجع المهمة في بلاد المسلمين أنفسهم!!..

١- د. راغب السرجاني، موقع قصة الإسلام على الشبكة العنكبوتية

تدمير حضارة بغداد

ذكر د. راغب السرجاني[١]: أنه بعد أن فرغ المغول من تدمير وإحراق مكتبة بغداد (ذات الكنوز المعرفية العظيمة) انتقلوا إلى الديار الجميلة، وإلى المباني الأنيقة فتناولوا جلها بالتدمير والحرق.. وسرقوا المحتويات الثمينة فيها، أما ما عجزوا عن حمله من المسروقات فقد أحرقوه!!.. وظلوا كذلك حتى تحولت معظم ديار المدينة إلى ركام، وإلى خراب تتصاعد منه ألسنة النار والدخان..

واستمر هذا الوضع الأليم أربعين يوماً كاملة.. وامتلأت شوارع بغداد بتلال الجثث المتعفنة، واكتست الشوارع باللون الأحمر، وعم السكون البلدة، فلا يسمع أحد إلا أصوات ضحكات المغول الماجنة.. أو أصوات بكاء النساء والأطفال بعد أن فقدوا كل شيء.. وهنا -وبعد الأربعين يوماً- خاف هولاكو على جيشه من انتشار الأوبئة نتيجة الجثث المتعفنة (مليون جثة لم تدفن بعد)، فأصدر هولاكو بعض الأوامر الجديدة:

١- يخرج الجيش المغولي بكامله من بغداد، وينتقل إلى بلد آخر في شمالي العراق، لكي لا يصاب الجيش بالأمراض والأوبئة، وتترك حامية تترية صغيرة حول بغداد، فلم يعد هناك ما يخشى منه في هذه المنطقة.

٢- يعلن في بغداد أمان حقيقي، فلا يقتل مسلم بصورة عشوائية بعد هذه الأربعين يوماً.. وقد سمح المغول بهذا الأمان حتى يخرج المسلمون من مخابئهم ليقوموا بدفن موتاهم.. وهذا عمل شاق جداً يحتاج إلى فترات طويلة (مليون قتيل)، وإذا لم يتم هذا العمل فقد يتغير الجو- ليس في بغداد فقط - ولكن في كل بلاد العراق والشام، وستنتشر الأمراض القاتلة في كل مكان، ولن تفرق بين مسلم ومغولي، ولذلك أراد هولاكو أن يتخلص من هذه الجثث بواسطة المسلمين.

وفعلاً خرج المسلمون الذين كانوا يختفون في الخنادق أو في المقابر أو في الآبار المهجورة.. خرجوا وقد تغيرت هيئتهم، ونحلت أجسادهم، وتبدلت ألوانهم، حتى أنكر بعضهم بعضاً!!..

لقد خرج كل واحد منهم ليفتش في الجثث، وليستخرج من بين التلال المتعفنة ابناً له أو أخاً أو أباً أو أماً!!.. مصيبة كبيرة فعلاً..

بدأ المسلمون في دفن موتاهم.. ولكن كما توقع هولاكو انتشرت الأوبئة في بغداد بشكل مريع، حتى مات من المسلمين عدد هائل من الأمراض القاتلة!.. وكما يقول ابن كثير رحمه الله: "ومن نجا من الطعن، لم ينج من الطاعون!!"..

فكانت كارثة جديدة في بغداد.. ولا حول ولا قوة إلا بالله..

٣- كما أصدر هولاكو قراراً بأن يعين مؤيد الدين العلقمي الشيعي رئيساً على مجلس الحكم المعين من قبل المغول على بغداد مكافأة له على الدور المخابراتي الذي لعبه .أ. هـ .

١- موقع قصة الإسلام على الشبكة العنكبوتية

من قصيدة الشاعر المصري الكبير الأستاذ / علي بن صالح الجارم ١٢٩٩ - ١٣٦٨ هـ / ١٨٨١ - ١٩٤٩ م.



هو أديب مصري، من رجال التعليم له شعر ونظم كثير، ولد في رشيد، وتعلم في القاهرة وإنجلترا، واختير ليكون كبير مفتشي اللغة العربية بمصر. ثم وكيلاً لدار العلوم حتى عام (١٩٤٢م)، مثل مصر في بعض المؤتمرات العلمية والثقافية، وكان من أعضاء المجمع اللغوي. وتوفي بالقاهرة ١٣٦٨ هـ. له (ديوان الجارم-ط) أربعة أجزاء، (قصة العرب في إسبانيا - ط) ترجمة عن الإنكليزية. و(فارس بن حمدان-ط)، (شاعر ملك-ط)، وقد شارك في تأليف كتب أدبية منها: (المجمل-ط)، و(المفصل-ط) وكتب مدرسية في النحو والتربية.

طُفْ ببغداد وسَلْ آثارَها ... أيُّ سِرٍّ كَتَمَتْهُ شَفَتاها

كُلُّ رَسْمٍ قد وعَى نادرَةً ... لو جَرى النُطْقُ عليه لحَكَاها

مَشَت الدنْيا إليْها تَتَّقي ... سُخْطَ بغدادَ وتَسْتَجْدي رضاها

وأبو المأمون في مَمْلكَةٍ ... يتحدَّى المُزْنَ أَنْ تَعْدو قُراها

بَلَغَتْ بنتُ قُرَيْشٍ ذرْوَةً ... ببَني العَبَّاس صَعْباً مُرْتقَاها

بَيْنَ شعْرٍ كأزاهير الرُّبا ... عَكَفَ الغَيْثُ عليها فسَقاها

هُوَ دَلٌّ رَدَّدَتْهُ قَيْنَةٌ ... وَهْوَ وَجْدٌ فاضَ منْ نَفْسِ فَتاها

وعُلُوم تُرْجمَتْ وَاسْتُنْبطَتْ ... وَفُصُولٍ بَهَرَ الدُّنْيا حجاها

آبداتُ القولِ ولَّتْ بَعْدَهُم ... طَيَّبَ اللّه ثَراهُمْ وثَراها

يا بَني العَبَّاس في مَصْرَعكُمْ ... عظَةُ الكَوْن وَعاها مَنْ وَعاها

أُطْفئَ النُورُ ودالَتْ دَوْلَةٌ ... وَطَوَى الدهْرُ المُنَى حينَ طَواها

شَدَّ هُولاكُو عَلَى أرْبَاضها ... شَدَّةَ الذؤبَان أبْصَرْنَ شياها

وجَرَى منْ حَوْله عقْبانُهُ ... كُلَّما أَطْعَمَها هاجَ ضَراها

لَهْفَ نَفْسي بنْتُ عَدْنانَ هَوَتْ ... وأُسُودُ الغيل قَدْ ديسَ شَراها

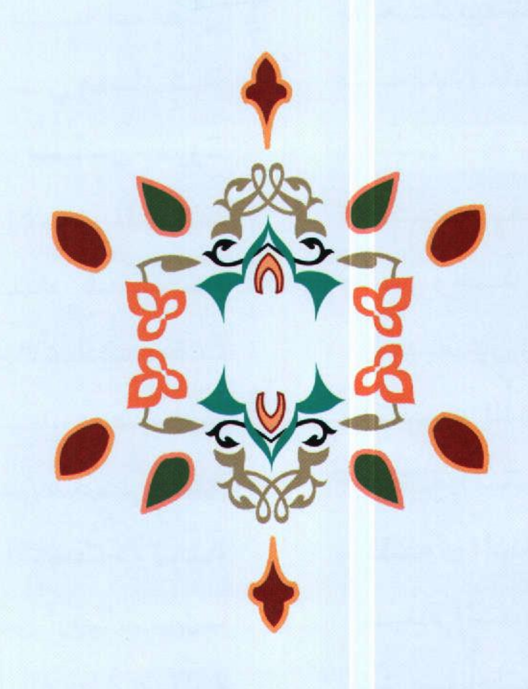
سائلُو دجْلَةَ عَمَّا رَاعَها ... أَوْ دَعُوها فكَفاها ما دَهاها

قَذَفَ الكُتْبَ بها طاغيَةٌ ... هَلْ دَرَى ما كَنَزَتْه دَفَّتاها

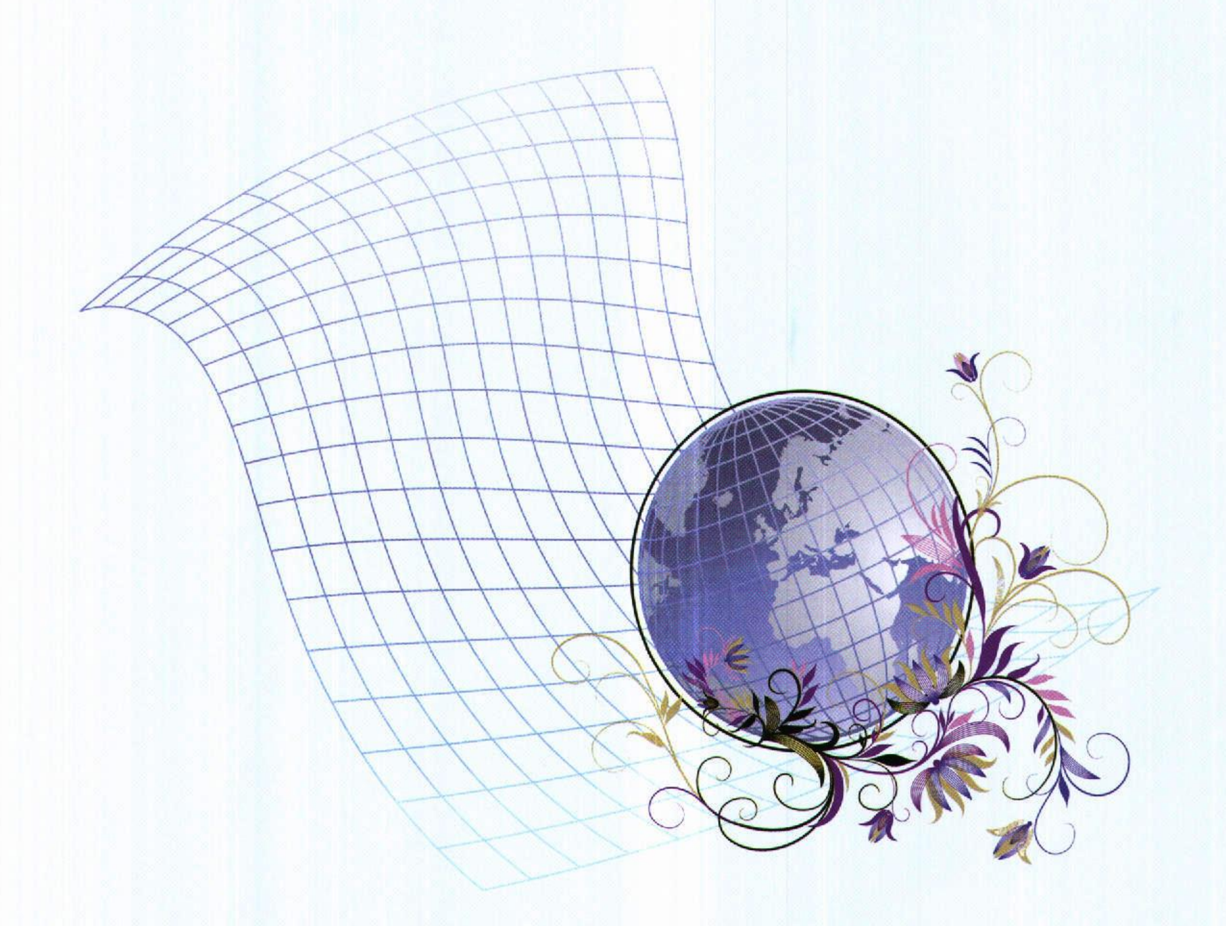
فتَأَمَّلْ إذْ جَرَى آذيُّها ... أَتَرَى فيه عُقُولاً أَمْ مياها

ذَهَبَ العَسْفُ بآثار النُّهَى ... كَيْفَ تَحْيَا أُمَّةٌ ضاعَتْ نهاها

طَارَت الفُصْحَى لمصْرٍ تَبْتَغي ... ناعمَ العَيْشِ خَصيباً في ذَراها

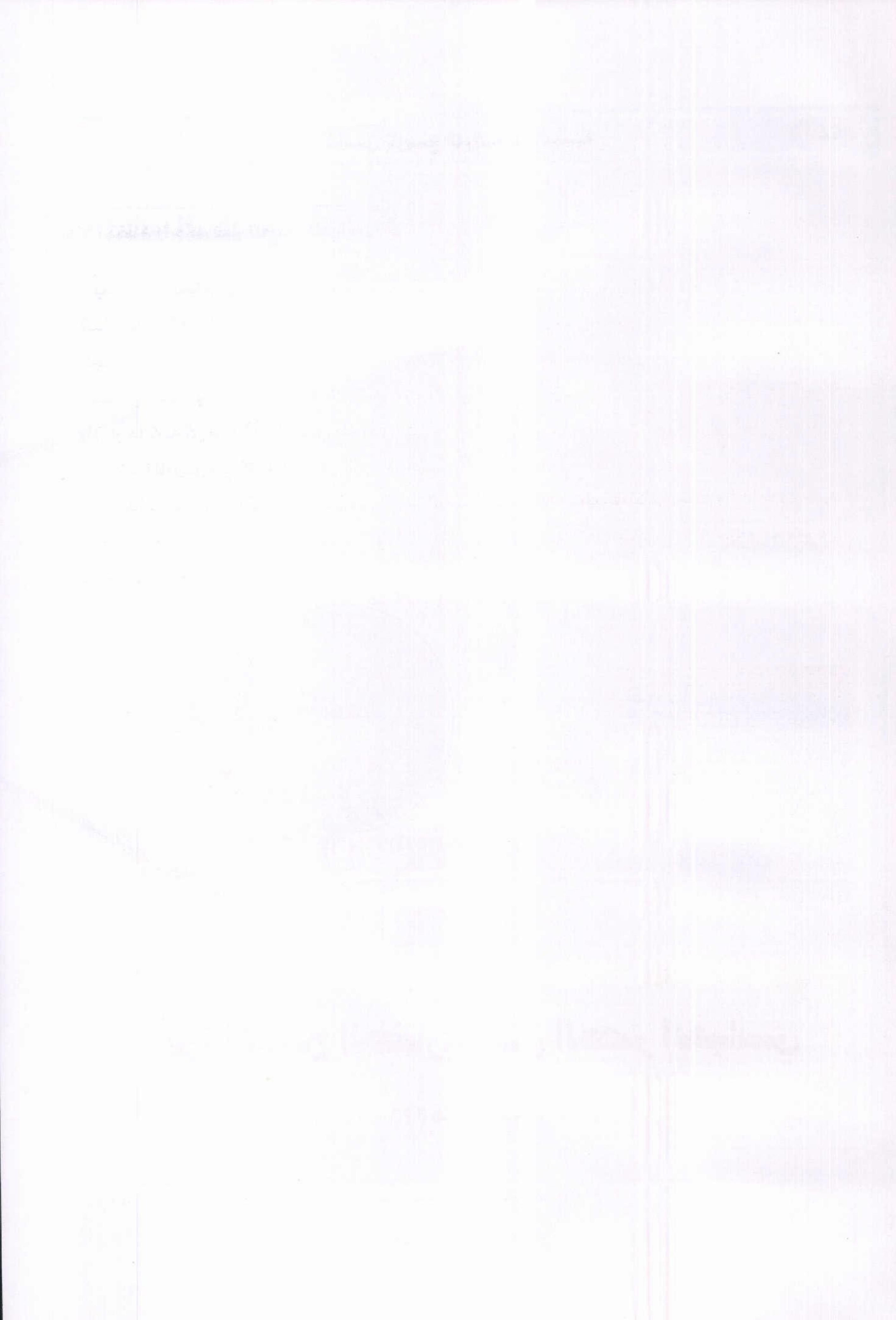


الباب السادس



أبرز الملامح الحضارية في العصر العباسي

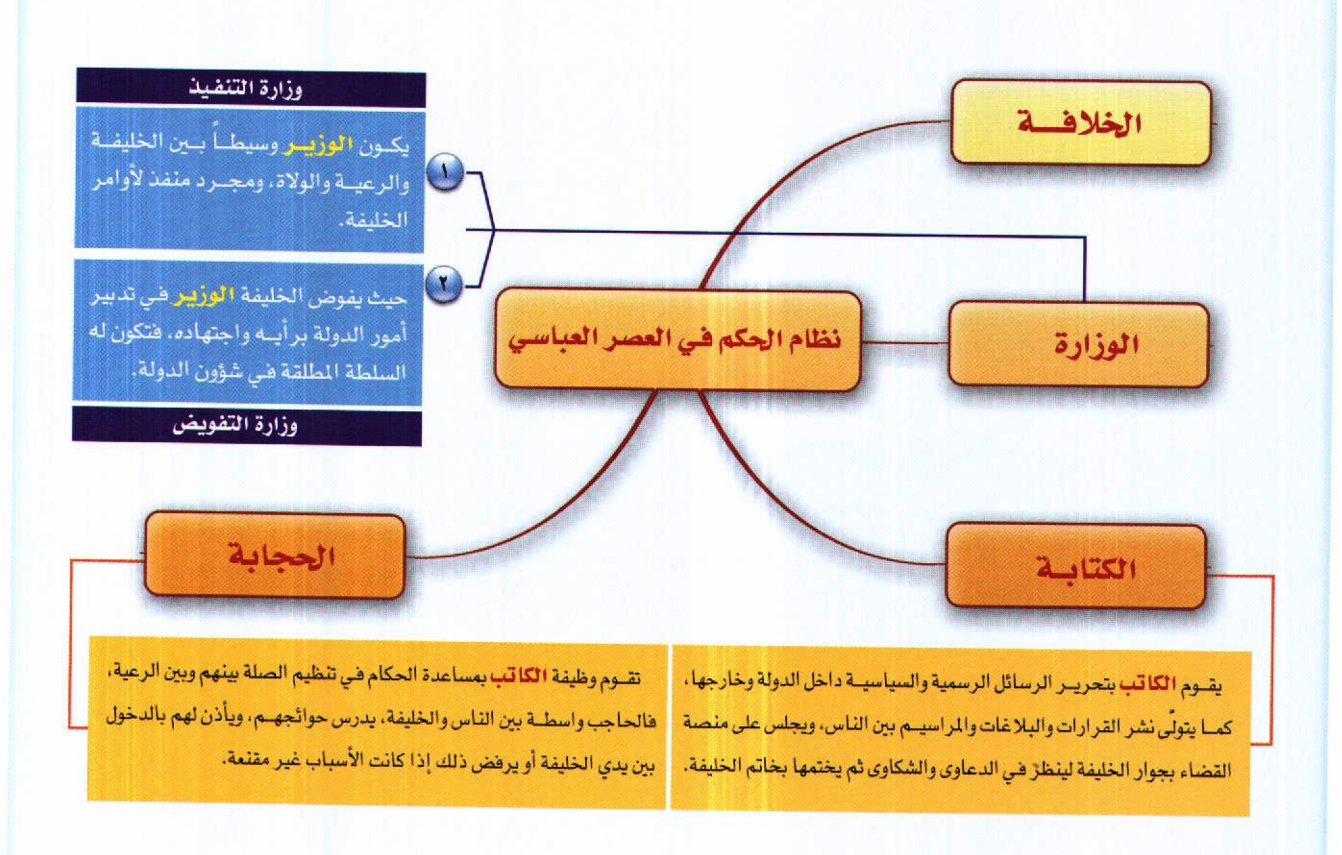
١٣٢ - ٦٥٦ هـ / ٧٥٠ - ١٢٥٨ م



أولاً: نظام الحكم في العصر العباسي

يُعد نظام الحكم في الدولة العباسية امتداداً لما كان عليه الوضع السياسي في الدولة الأموية، إذ لم يكن قيام الدولة العباسية سوى تغيُّر ظاهر شمل رجال الحكم والإدارة في جانب، ومقر الدولة وعاصمتها في الجانب الثاني، إلا أن الكثير من أساليب الحكم والإدارة بدأت تتضح معالمها، وتستقر قواعدها في العصر العباسي، كما ظهرت المؤلفات والكتب التي تناولت (نظم الدولة الإسلامية) - آنذاك - بالشرح والبيان، ونذكر ما كتبه كل من: (أبو الحسن الماوردي ت ٤٥٠ هـ) و (أبو يعلى محمد بن الحسين الفرّاء ت ٤٥٨ هـ). وما كتبه الماوردي في كتابه (قوانين الوزارة وأدب الوزير).

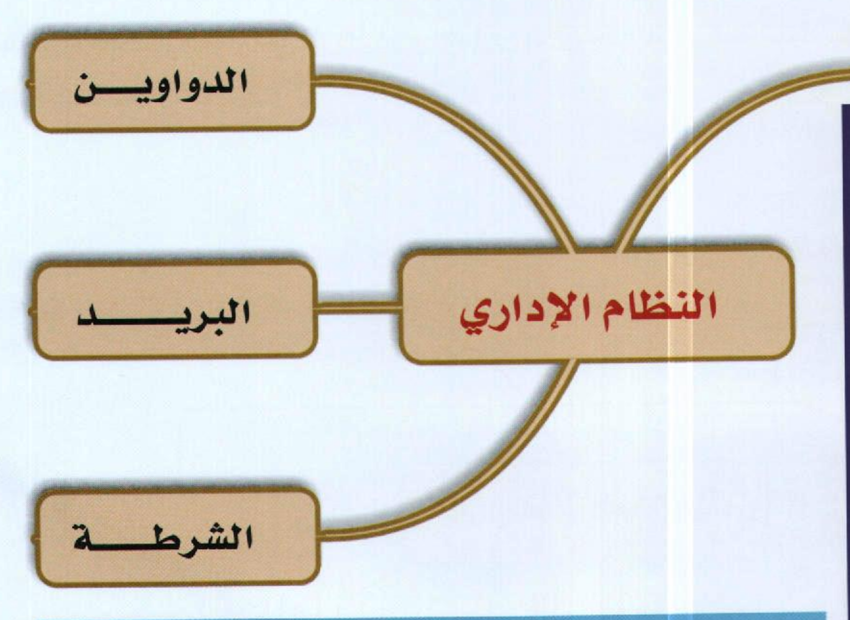
وهذا دليل على ما كان للمسلمين من قصب السبق في ميدان استنباط نظم الحكم والإدارة في ضوء الكتاب والسنة، كما يدلنا على التقدم الإداري الذي حققته الدولة العباسية في هذا المستوى الرفيع في نظم الدولة وإدارة شؤونها[١].



١ - الجوانب الحضارية للدولة العباسية، تاريخ الدولة العباسية وحضارتها، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود، ص ١١٣.

ثانياً: النظام الإداري

نتيجــة لاتســاع الدولة الإسلامية تم تقسيمها إدارياً إلى عدة ولايات لتسهـل إدارتها، وكان الخليفة يولّي على كل ولاية عاملاً يقوم مقامه في إدارتها، وقد يُعرف بالوالي أو الأمير، وقد ظهر هذا التقسيم منذ عهد الخليفــة الفــاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنــه -، وسارت عليه الدولــة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين وبني أمية وبني العباس، وقد كان عدد الولايات يزيد أو ينقص نتيجة للفتح أو نشــر الإســلام أو بسبب قيام بعض الخلفاء بتعديل بعض ولايات الدولة والبلدان التابعة لها، أو بسبب استقلال بعض الأقاليم عن الدولة [١].



ولاية الأقاليم

المقصود بالأقاليم: المناطق التي تتكون منها الدولة. وقد كان النظام الإداري في الدولة العباسية نظاماً مركزياً؛ حيث صار الولاة على الأقاليم مجرد عمال للخليفة على عكس ما كانوا عليه في الدولة الأموية، وقد قسم العباسيون الولاية على الأقاليم إلى قسمين،خصوصاً في عهد الرشيد، الأول:

الولاية الكبرى: وهي التي تكون لأحد أبناء الخليفة أو شخص مقرب من الخليفة؛ حيث يتولى هذا الوالي عدة أقاليم في الدولة ويقوم بتصريف أمورها من العاصمة، أو من أحد تلك الأقاليم بعد الرجوع إلى الخليفة، ويرسل إليها ما يشاء من الولاة.الثاني:

الولاية الكاملة: حيث يتمتع الوالي ببعض السلطات التي توسع دائرة نفوذه، مثل: النظر في الأحكام وجباية الضرائب والخراج وحماية الأمن وإمامة الصلاة وتسيير الجيوش للغزو.

اهتـم الخلفاء العباسيون **بالدواويـن**؛ فكثرت اختصاصاتها وتنوعت بسبب التعاون الوثيق بين العباسيين والفرس، فقد أخذ العباسيون الخبرة الفارسية في مجال الإدارة، كما احتفظوا ببعض تنظيمات الدولة الأموية، خصوصاً في الدواوين والدوائر الرسمية، كما استحدثوا بعض الدواوين كديوان المصادرات، وديوان الأزمّة المحاسبة وديوان المظالم، وغيرها.

كانـت مهمـة **صاحـب الشرطة** في هذا العصـر متعدِّدة ومتنوِّعـة، فقد جمع أصحـاب الشرطة في معظم الولايـات الإسلامية مع وظيفـة استتباب الأمن، والأخذ على أيدي اللصوص والمفسدين، المحافظةَ على الآداب العامـة؛ فقـد أمر مزاحم بن خاقـان والي مصر (ت ٢٥٣هـ) صاحـب شرطته أزجور التركـي بمنع النساء من التبرُّج أو زيـارة المقابر، وضرب المخنثين ونَدَّابات الجنائز، كما اهتـمَّ صاحب الشرطة بمنع الملاهي، ومحاربة

---

١ - الجوانب الحضارية للدولة العباسية، تاريخ الدولة العباسية وحضارتها، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود، ص ١٢٣.

الولايات والأقسام الإدارية للدولة العباسية

- الحجاز
- اليمن
- الكوفة والسواد
- البصرة وشرقي الجزيرة
- الأهواز
- فارس
- خراسان
- الموصل
- الجزيرة وأرمينية وأذربيجان
- الديار الشامية
- مصر وإفريقية
- بلاد ما وراء النهر

القضاء: من الوظائف المهمة في الدولة الإسلامية، ويقوم على المحافظة على حقوق الرعية وإقرار العدل والإنصاف بـين جميع الطبقات، وحماية الأخلاق العامة، مستمِداً أحكامه من الكتاب والسنة، ونظـراً لأهمية هذا المنصب فقد وضع العلماء المواصفات التي يجب توافرها في القاضي، و منها: أن يكون رجلاً قوياً عاقلاً حراً مسلماً عادلاً، ويتمتع بالسلامة في السمع والبصر، وأن يكون عالمًا بأحكام الشريعة.

وقـد **حظي القضاة فـي العصـر العباسـي الأول بالتبجيـل والاحـترام**، وكان تعيينهم وعزلهـم يتـم بأمر الخليفة، وأول مـن فعل ذلك الخليفة المنصور، فقد عين قضـاة البلاد بأمره سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م، وقد استقرت المذاهب الفقهية في عهد الدولة العباسية، حيث كانت المذاهب الأربعة عند أهل السنة والجماعة قد ظهرت و هي مذاهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل كما دونت هـذه المذاهـب فتأثـر القضـــاة بذلك الوضـع، وأصـبح كل فقيــه و قاض يتبـع مذهباً من هذه المذاهـــب، وأصبح القضاء تابعاً للمذاهب، وتحددت مهام القضاة وكيفية الإجراء القضائي، وتوحد القانــون وأصبحـت جلسات القاضي علنية في المسجد وخصوصاً في عهد المأمون، كما اهتم الخلفاء العباسيـون بالتثبت من الأحكام، فعيّنوا جماعة من المُزَكّين، وظيفتهم تتبع أحوال الشهود، فإذا طعن الخصم فى شهادة أحد الشهود سُئل عنه المزكي، كما اهتموا بأحوال القضاة المادية حتى يعيشوا في يسر ورخاء.

إذن مع مطلع العصر العباسي اتضحت معالم هذا النظام القضائي، و على الرغم من أن عبيد الله ابـن محمد ابن صفوان الجمحـي قد جمع بين القضاء و ولاية المدينـة النبوية في خلافة المهدي فقد نظـم هارون الرشيد القضاء، واستمرت محاولة الفصل بـين السلطتين القضائية والتنفيذية، وذلك بإبتكار منصب قاضي القضاة لأول مرة في الإسلام وتقليده لأبي يوسف يعقوب بن حبيبي الأنصاري الذي استقل في أمور القضاء والقضاة في الدولة، وأخذ يعيّن القضاة ويراقب أعمالهم ويعزلهم عند الاقتضاء كما ميزهم عن غيرهم من طبقات المجتمع بلباس خاص بهم وأصبح القاضي يلبس السواد ويضع القلنسوة والطيلسان، وتطور هذا الزي حتى أصبح زياً للقضاة في عصرنا الحاضر.

وكانـت وظيفة القاضـي تتسع و تنكمش من وقت لآخر حسب قوة شخصية هذا القاضي فامتد نفوذ بعض القضاة أحياناً إلى المظالم والشرطة والحسبة وغيرها .. و مع ذلك فإن سلطة القاضي لم تشمل السلطـة التنفيذية، ممـا يؤكد محاولة فصـل القضاء والحفاظ علـى استقلاليته قـدر الإمكان في أجهزة الدولة.

النظام القضائي والحسبة

القضاء

عرّف ابن خلدون القضاء تعريفاً دقيقاً بأنه: (منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للنزاع وقطعاً للتداعي بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة، وهو من الوظائف التابعة للخلافة ..).

هذا ويعد العصر العباسي عصر الازدهار والرقي للقضاء والتشريع الإسلامي، وذلك لأسباب متعددة من أبرزها: استحداث منصب قاضي القضاة، ثم تعدد المذاهب الفقهية والاختلاف في الفروع العامة من الشريعة الإسلامية، فضلاً عن تشجيع الخلفاء للفقهاء والمذاهب الفقهية، وكذلك لتنوع وتعدد القضايا التي تناولت حياة الناس بعد ازدياد حركة الفتوحات الإسلامية.

النظر في المظالم

وصف ابن خلدون النظر في المظالم بأنها: «وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونَصَفة القضاء، وتحتاج إلى علو يد، وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين، وتزجر المتعدي، وكأنه يُمْضِي ما عجز القضاة أو غيرهم عن إمضائه، ويكون نظره في البيِّنَات والتقرير، واعتماد الأمارات والقرائن، وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق، وحمل الخصمين على الصلح، واستحلاف الشهود، وذلك أوسع من نظر القاضي» .

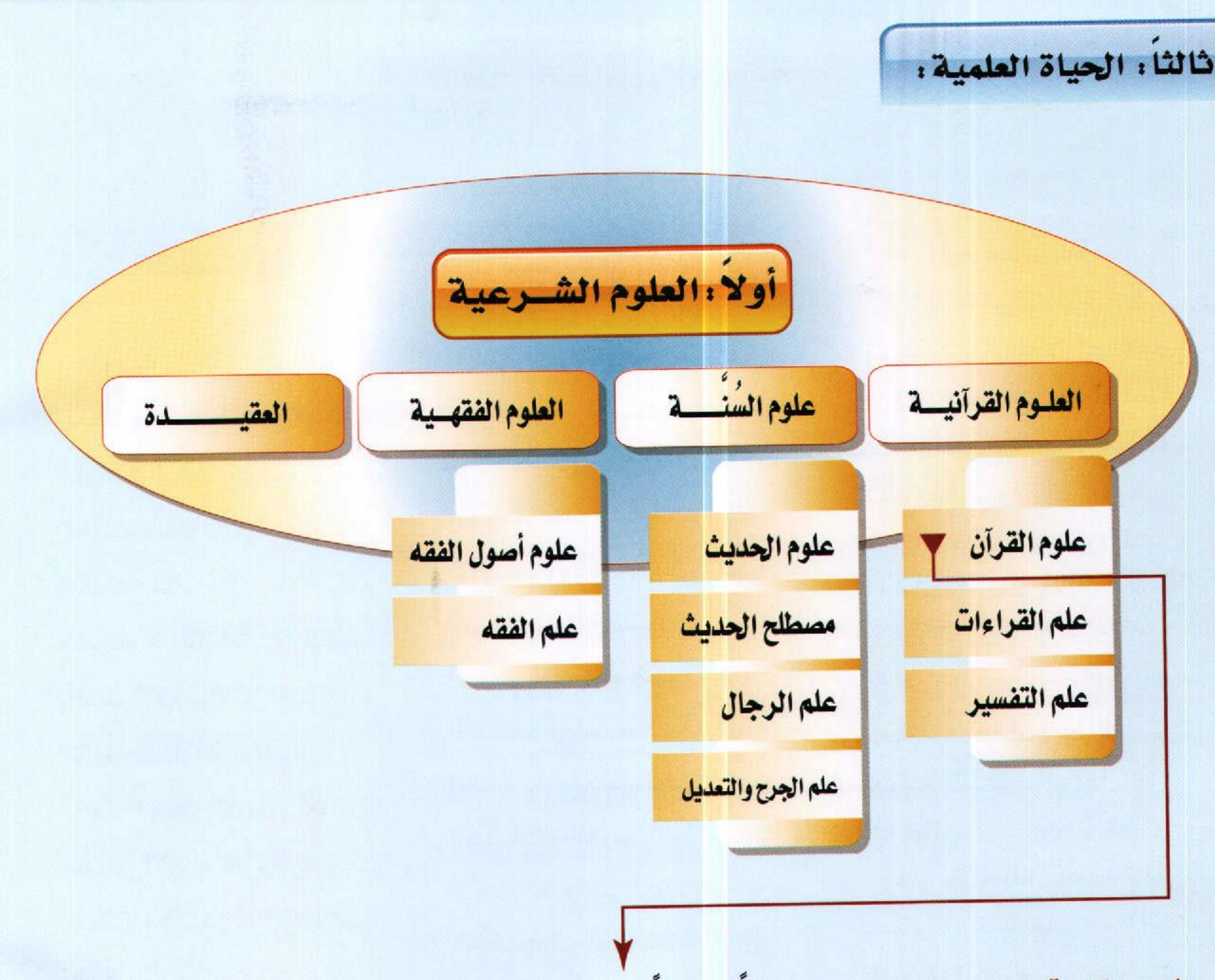
وكان اختصاص مَنْ ينظر في المظالم واسعاً؛ يشمل: النظر في تعدِّي الولاة على الرعية وأخذهم بالعسف في السيرة، وجور العمّال فيما يجبونه من الأموال. وكُتّاب الدواوين؛ فيتصفَّح أحوال ما وكل إليهم... .

الحسبة

ولاية دينية يقوم ولي الأمر – الحاكم – بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله، صيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع، وتحقيقاً لمصالح الناس الدينية والدنيوية وفقاً لشرع الله تعالى.

وكان نظام الحسبة قد تبلور بشكل واضح منذ خلافة **المهدي العباسي**، حيث انتظمت الأسواق وتوسعت وتخصص بعضها، وازدهرت التجارة، وظهرت النقود الزائفة، وعندئذ برز صاحب السوق وصار يتقاضى راتباً معيناً من المال، وصرنا نعثر على نصوص فيما بعد تبين مقدار عناية المحتسب بمراقبة أهل السوق مراقبة دقيقة، ومد يد العون لكل من يطلبها من عامة الناس.

ثالثاً: الحياة العلمية:



علوم القرآن: مركب من كلمتين تركيباً إضافياً، والمراد بعلوم القرآن: العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن.

وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير، لأنه يتناول المباحث التي لا بد للمفسر من معرفتها للاستناد إليها في تفسير القرآن.

وبدأت الدراسات القرآنية بالظهور في منتصف القرن الثاني الهجري الذي نشطت فيه الحركة العلمية بين المسلمين تأليفاً وتدويناً، واتسع مجالها حتى شملت كل أنواع المعارف والعلوم، فكان أقدم ما وصل إلينا مستقلاً من تفسير القرآن كاملاً هو تفسير مقاتل بن سليمان (١٥٠هـ)، وأما في موضوعات علوم القرآن فألف أبو عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩هـ) في مجاز القرآن، وأبو عبيد القاسم ابن سلام (٢٢٤هـ) في الناسخ والمنسوخ وفي القراءات[1].

١- ، عبد الرحمن حللي، دراسات قرآنية في نشأة علوم القرآن وتطورها، موقع الملتقى الفكري للإبداع.

وعلي بن المديني (٢٣٤هـ) في أسباب النزول، وينسب صاحب الفهرست إلى محمد بن خلف بن المزربان (٣٠٩هـ) كتاب "الحاوي في علوم القرآن"، ولعله أقدم استعمال لتعبير علوم القرآن، وجرى بعد ذلك استعمال التعبير المركب "علوم القرآن" في القرن الرابع دون أن يحمل دلالة اصطلاحية، وجاء علي ابن إبراهيم بن سعيد الحوفي (ت:٤٣٠هـ) ليؤلف كتابه "البرهان في علوم القرآن"، وهو تفسير يقع في ثلاثين مجلداً يوجد ما يقرب من نصفه مخطوطاً في مصر وغيرها، وقد ضمنه علوم القرآن في تفسير كل سورة، ويرجع الشيخ عبد العظيم الزرقاني إليه بداية إطلاق علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي الشامل لها، لكنه تناولها تطبيقاً في التفسير لا تنظيراً، "فأتى على علوم القرآن ولكن لا على طريقة ضم النظائر والأشباه بعضها إلى بعض تحت عنوان واحد لنوع واحد؛ بل على طريقة النشر والتوزيع تبعا لانتشار الألفاظ المتشاكلة في القرآن وتوزعها حتى كأن هذا التأليف تفسير من التفاسير عرض فيه صاحبه لأنواع من علوم القرآن عند المناسبات"، وقد ذكر مصطفى عبد القادر عطا في مقدمة تحقيقه للبرهان للزركشي، أن الزركشي نقل في كتابه البرهان ما قاله الحوفي في كتابه مختصراً إضافة إلى غيره، لكنه لم يذكر مستنده في ذلك، وأستبعد أن يكون قد عقد مقارنة بين الكتابين لأن كتاب الحوفي مخطوط وناقص وهو كتاب في التفسير، ولم يذكر الزركشيُّ الحوفيَّ في كتابه غير مرتين، إحداهما في سياق تأليفه في إعراب القرآن، والثانية ينقل عنه رأياً من تفسيره حول آية القصاص وفصاحة القرآن، ولم أعثر له على ذكر في غير هذين الموضعين، مع ملاحظة اهتمام الزركشي بنسبة الأقوال إلى أصحابها، وكذلك تأريخه لما كتب في علوم القرآن، فيستبعد أن يكون الزركشي لخص كتاب الحوفي ضمن البرهان دون أن يشير إلى ذلك[١].

وفي القرنين السادس والسابع نجد ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) وله: "فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن" و"المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن"، كما صنف علم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ) "جمال القراء وكمال الإقراء"، و ألف أبو شامة (ت٦٦٥هـ) "المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز"، وهي كتب في جوانب متخصصة من علوم القرآن[٢].

وهكذا تتابعت المؤلفات والمصنفات في هذا العلم الشريف بعد العصر العباسي، ففي القرن الثامن الهجري نجد بدر الدين الزركشي، (ت٧٩٤هـ)، وكتابه "البرهان في علوم القرآن"، وقد كان الزركشي من علماء الأصول والفقه الشافعي، وصنف في عدة علوم كالفقه والأصول والتفسير وغيرها، وأما كتابه البرهان فهو عرض شامل وموسوعي لعلوم القرآن، حيث اختصر ما ضمنه فيه من معلومات من كتب التفسير واللغة والفقه وغيرها، فجمع آراء العلماء وأضاف إليها، واستمر هذا الانتاج في تواصل مطرد بعد أن كانت قد تأسست مدرسته في العصر العباسي حتى عصرنا الحاضر.

١- ٢ ، عبد الرحمن حللي، دراسات قرآنية في نشأة علوم القرآن وتطورها، موقع الملتقى الفكري للإبداع.

علوم القرآن

علم القراءات

علم التفسير

علم القراءات: والقراءات لغة: جمع قراءة، أي من مصدر قرأ.

وفـي الاصطـلاح قال ابن الجـزري: علمٌ يعرف به كيفيـة أداء كلمات القـرآن واختلافها مع عزو كل وجه لناقله. وقيل في تعريفه: مذهب من مذاهـب النطق في القـرآن يذهب به كل إمام مـن الأئمة القراء مذهباً يخالف غيره.

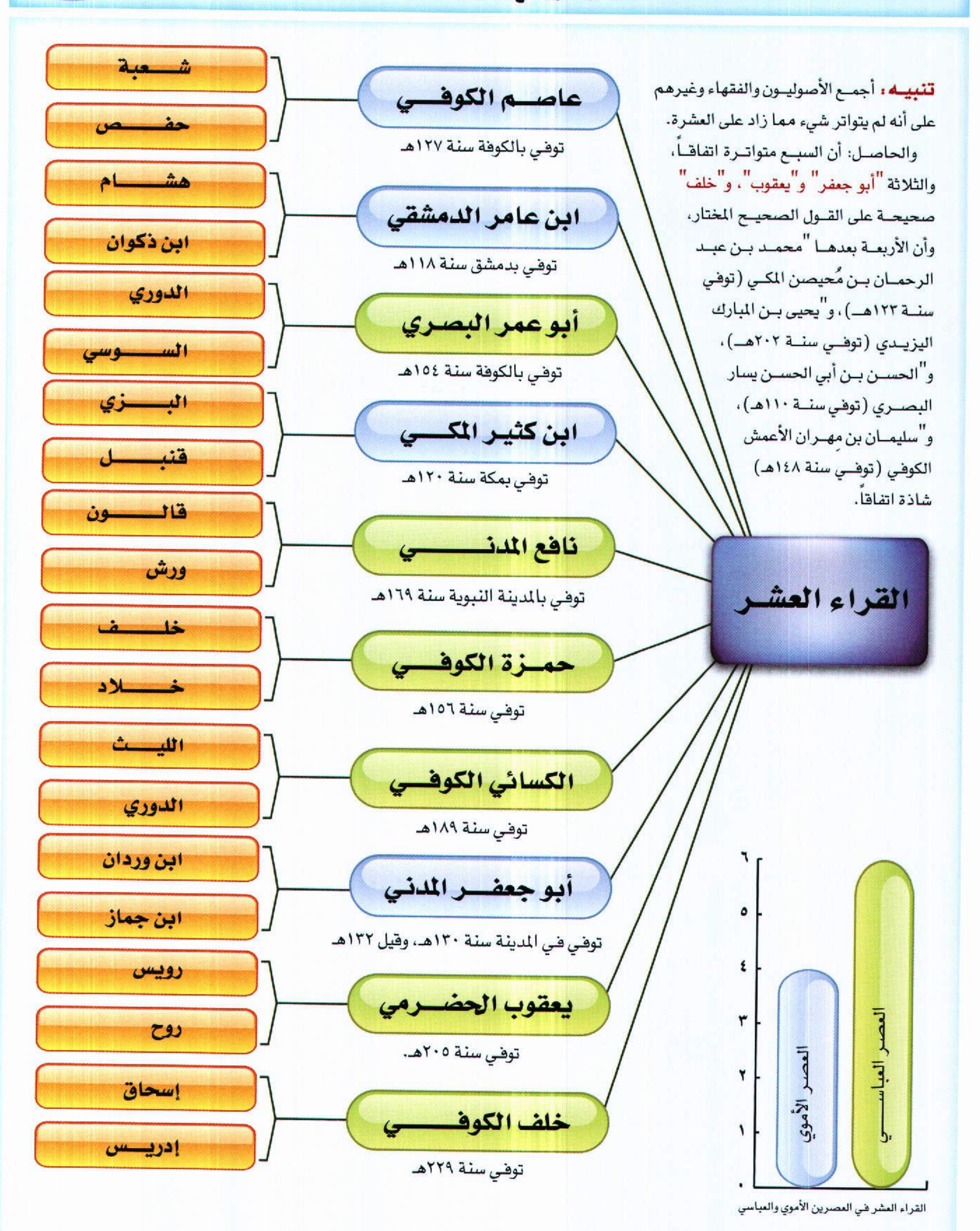
وقد احتفى المسلمون بقراءة القرآن وضبطه في كل العصور، واشتهر في كل زمن من الأزمنة وجيل من الناس وبلد من البلدان أناس عرفوا باسم القُرّاء.

كان أشهرهم في عهد الصحابة: الخلفاء الأربعة - رضي الله عنهم -، الذي كان لسيدنا أبي بكـر - رضـي الله عنـه - منهم شرف جمع القـرآن في مصحف واحد لأول مـرة، بعد أن كان متفرقاً في العظام والألواح والرقاع، كما كان لسيدنا عثمان - رضي الله عنه - شرف الجمع الثاني الذي أخرج فيه من القرآن كل ما ليس منه من شرح أو منسوخ أو تعليق، وضبط القراءة على لغة قريش، وعمم مصحفه على سائر الأمصار.

وإضافـة إلى الخلفـاء الأربعـة فقد اشتهر من الصحابة الكـرام - رضي الله عنهم - أجمعين بالقـراءة أبـيُّ بـن كعب وزيد بـن ثابت وعبد الله بـن مسعود وابـن عباس وأبو موسـى الأشعري وغيرهـم. وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى سبق هؤلاء غيرَهم في القراءة بمثل قوله "أقرؤكم أبيّ" (رواه الترمذي والدارقطني) وقوله لأبي موسى بعد أن استمع إليه "لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود". وقوله لابن مسعود: "اقرأ عليَّ القرآن". (رواه البخاري وغيره).

وفي عهد التابعين: اشتهر كثير من الفضلاء ووجوه المسلمين بالقراءة، وكانوا منتشرين في المدن والأمصار.

ثـم شهـد عصـر ما بعد التابعـين توسعاً في كل العلـوم الإسلامية إلى الحـد الذي دعا إلى تخصصـ كل عـالم بعلـم أو عدد محصور من العلـوم ليجمع شتاته ويضع لـه قواعده ويتحمل أمانتـه. وهذا ما كان بخصوص علم القراءة، فقد ظهر في ذلك الجيـل الأئمة القراء الذين تنسـب إليهم القـراءات السبع الشهيرة المتواترة، التي أجمعت الأمـة على صحة قراءة القرآن الكريم بأي منها شريطة التلقي والإتقان.


تنبيه: أجمع الأصوليون والفقهاء وغيرهم على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على العشرة.
والحاصل: أن السبع متواترة اتفاقاً، والثلاثة "أبو جعفر" و"يعقوب"، و"خلف" صحيحة على القول الصحيح المختار، وأن الأربعة بعدها "محمد بن عبد الرحمان بن مُحيصن المكي (توفي سنة ١٢٣هـ)، و"يحيى بن المبارك اليزيدي (توفي سنة ٢٠٢هـ)، و"الحسن بن أبي الحسن يسار البصري (توفي سنة ١١٠هـ)، و"سليمان بن مِهران الأعمش الكوفي (توفي سنة ١٤٨هـ) شاذة اتفاقاً.
القراء العشر
عاصم الكوفي
توفي بالكوفة سنة ١٢٧هـ
شعبة
حفص
ابن عامر الدمشقي
توفي بدمشق سنة ١١٨هـ
هشام
ابن ذكوان
أبو عمر البصري
توفي بالكوفة سنة ١٥٤هـ
الدوري
السوسي
ابن كثير المكي
توفي بمكة سنة ١٢٠هـ
البزي
قنبل
نافع المدني
توفي بالمدينة النبوية سنة ١٦٩هـ
قالون
ورش
حمزة الكوفي
توفي سنة ١٥٦هـ
خلف
خلاد
الكسائي الكوفي
توفي سنة ١٨٩هـ
الليث
الدوري
أبو جعفر المدني
توفي في المدينة سنة ١٣٠هـ، وقيل ١٣٢هـ
ابن وردان
ابن جماز
يعقوب الحضرمي
توفي سنة ٢٠٥هـ.
رويس
روح
خلف الكوفي
توفي سنة ٢٢٩هـ
إسحاق
إدريس
٦
٥
٤
٣
٢
١
٠
العصر الأموي
العصر العباسي
القراء العشر في العصرين الأموي والعباسي

علوم القرآن

علم القراءات

علم التفسير

علم التفسير: لغة: هوالإظهار والبيان والكشف.

واصطلاحاً: هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه و حكمه.

نشأته: هو أول علوم القرآن نشأةً، إذ ظهر منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ففهم الصحابه القرآن الكريم بسليقتهم العربية الأصيلة إلا ما أشكل عليهم أحياناً فيسألون عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجيبهم عن استفهامهم. فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون). شق ذلك على الناس فقالوا: يارسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟. قال ﷺ: (إنه ليس الذي يعنون ألم تسمعوا ماقال العبد الصالح إن الشرك لظلم عظيم). رواه البخاري ومسلم.

ففي عصر الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة دخل جمع غفير من العجم في الإسلام مما دعت الحاجة إلى فهم كتاب الله الحكيم، فنهض كبار الصحابة من الخلفاء الراشدين، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، وأنس بن مالك وآخرون، وصاروا يفسرون كتاب الله بناء على ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيد أن بداية التدوين انطلقت في العصر العباسي من خلال أبرز علماء التفسير الذين صنفوا مصنفاتهم.

مراحل التفسيرومناهجه: يمكن القول بإن علم التفسير مر بعدة مراحل كان لكل مرحلة منهجها العلمي الموافق لأحوال الزمان والمكان للإنسان وعلى مبلغ تفتح القلوب واستنارة للعقول التي استجابت لدولة العلم في تطورها واتساع آفاقها وازدهار ثمارها، وهذه المراحل هي:

أولاً: مرحلة التفسير المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: مرحلة التفسير المأثور عن أقوال الصحابة وتلاميذهم من التابعين.

ثالثاً: مرحلة التفسير المعتمد على اللغة لأنها أداة التعبير.

رابعاً: مرحلة التفسير المعتمد على رأي التابعين وتأويلاتهم واجتهاداتهم.

تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) أنموذجاً

وهو أجل التفاسير وأشهرها ، ويُعَدُّ الطبري أبا المفسرين كما يُعَدُّ أباً للتاريخ الإسلامي، وتفسيره من أقوم التفاسير وأعظمها، وهو المرجع الأول عند المفسرين.

وللمؤلف منهج خاص بذكر الآية، أو الآيات من القرآن الكريم، ثم يبين تأويلها ومعناها، ويذكر أشهر الأقوال فيها، ويستشهد على القول بما يؤثر عن الصحابة والتابعين، ثم يتعرض لترجيح الأقوال، واختيار الأولى بالتقدمة، ويتعرض لناحية الإعراب، واستنباط الأحكام التي تؤخذ من الآية، وترجيح ما يراه.

وهذا الكتاب هو أوثق وأقدم ما دون في التفسير بالمأثور، أي بما ثبت بالنقل من بيان القرآن بالقرآن ، وبما ورد فيه من الرسول صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين ، كما أنه أهم مصادر التفسير بالرأي والمعقول ، أي بالاجتهاد والاستنباط وإعمال اللغة والعقل ، قال النووي : " أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري " . وقال عنه الإمام السيوطي : " وكتابه أجل التفاسير وأعظمها فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين " ، وقال الإمام النووي : " أجمعت الأمة على أنه لم يُصنّف مثل تفسير الطبري " .

وقد حوى ابن جرير جميع تراث التفسير الذي تفرق قبله في كتب صغيرة منذ عصر عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - إلى النصف الأول من القرن الثالث الهجري .

للإمام الكبير والمحدث الفقيه أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ.

موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية

علوم السُنَّة

علوم الحديث

مصطلح الحديث

علم الرجال

علم الجرح والتعديل

السُّنَّة في اللغة: هي السيرة المتبعة، والطريقة المسلوكة، والمثال الذي يقتدى. وتطلق هذه الكلمة أيضاً بمعنى البيان، حيث يقال سن الأمر أي بينه، و أيضاً بمعنى ابتداء الأمر.

السُّنَّة في الاصطلاح : هي كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو سيرة أو صفة خلقية أو خُلقية سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها.

استعمل النبي - صلى الله عليه وسلم - الكتابة في تدوين ما ينزل من القرآن ، واتخذ لذلك كتاباً من الصحابة ، فكان القرآن يكتب كله بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الرِّقاع والأضلاع والحجارة والسعف (أغصان النخيل) ، وكانت الآية من القرآن تنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيأمر كاتب الوحي بكتابتها في موضع كذا من سورة كذا ، واستمر الأمر على هذه الحال حتى وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلم يقبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا والقرآن محفوظ مكتوب لا ينقصه إلا الجمع في مصحف واحد .

أما السُّنَّة فلم يكن شأنها كذلك حيث إنها لم تدون جميعها تدويناً رسمياً في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - كما دُون القرآن ، ولم يأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بذلك .

وقد ذكر العلماء أسباباً عديدة لعدم تدوين السنة في العهد النبوي : منها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عاش بين أصحابه بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة ، فكان تدوين كل كلماته وأقواله وأفعاله وكتابتها فيه من العسر والمشقة الشيء الكثير ، لما يحتاجه ذلك من تفرغ كثير من الصحابة لهذا العمل الجليل ، ولاسيما أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا جميعاً يحسنون الكتابة بل كان الكاتبون منهم أفراداً قلائل ، وكان تركيز هؤلاء الكتبة من الصحابة على كتابة القرآن دون غيره من السنة حتى يؤدوه لمن بعدهم تامًا مضبوطًا لا يُنْقص منه حرف.

ومن الأسباب أيضاً الخوف من حدوث اللبس عند عامة المسلمين فيختلط القرآن بغيره من الحديث، وخصوصاً في تلك الفترة المبكرة التي لم يكتمل فيها نزول الوحي، وكان القرآن ينزل فيها مفرقاً حسب الوقائع والأحداث. إسلام ويب

ثم جاء عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - ، فلم يدونوا الحديث في الصحف كراهة أن يتخذها الناس مصاحف يضاهون بها صحف القرآن ، وأحجموا عن كتابة السنة وتدوينها مدة خلافتهم ... وهكذا انقضى عصر الصحابة ولم يُدَوّن من السنة إلا القليل، حتى جاء الخليفة الراشد **عمر بن عبد العزيز** فأمر بجمع الحديث لدواعٍ اقتضت ذلك، بعد حفظ الأمة لكتاب ربها، وأمنها عليه أن يشتبه بغيره من السنن.

وحينما كاد القرن الأول الهجري أن ينتهي، ولم يصدر أحد من الخلفاء أمره بجمع الحديث وتدوينه ، بل تركوه موكولاً إلى حفظ العلماء والرواة وضبطهم، وبعض الكتابات الفردية، وكان مرور مثل هذا الزمن الطويل كفيلاً بتركيز القرآن وتثبيته في نفوس الناس، فقد أصبح يتلوه القاصي والداني ، ويعرفه الخاص والعام، ولا يختلف فيه أحد أو يشك في شيء من آياته، كما كان مرور هذا الزمن الطويل أيضاً كفيلاً بأن يذهب بكثير من حملة الحديث من الصحابة والتابعين في الحروب والفتوحات، وأن يتفرقوا في الأمصار، مما هيأ لأهل الأهواء والبدع - الذين ظهروا في هذه الفترة - أن يزيدوا في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن يُدْخلوا فيه ما ليس منه مما يؤيد بدعتهم ويلبي انحرافهم، كما أن انتشار الإسلام وتوسع الدولة الإسلامية جعل العرب يختلطون بغيرهم من الأعاجم في البلدان المختلفة مما نتج عنه قلة الضبط في نقل حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسبب ضعف ملكة الحفظ عند الناس.

وفي العام التاسع والتسعين للهجرة تولى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خلافة المسلمين، فنظر إلى الأحوال والظروف التي تمر بها الأمة، فرأى أن عليه البدء بكتابة الحديث وتدوينه حفظاً له من الضياع والتحريف، حيث إن المانع الذي كان يمنع تدوين الحديث قد زال، ومصلحة المسلمين باتت تستدعي جمع الحديث وتدوينه.

فكتب إلى عُمَّاله وولاته يأمرهم بذلك، حيث أرسل إلى أبي بكر ابن حزم. عامله وقاضيه على المدينة. قائلاً له: "انظر ما كان من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء"، وطلب منه أن يكتب ما عند عَمْرة بنت عبد الرحمن الأنصارية، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وكتب إلى علماء المسلمين في الأمصار المختلفة"انظروا إلى حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاجمعوه"، وكان ممن كتب إليهم الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أحد الأئمة الأعلام، وعالم أهل الحجاز والشام المتوفى سنة ١٢٤هـ، حيث استجاب لطلب عمر بن عبد العزيز فجمع حديث أهل المدينة وقدمه له، فبعث عمر إلى كل أرض دفتراً من دفاتره، وكانت هذه هي المحاولة الأولى لجمع الحديث وتدوينه بشمول واستقصاء.

وكان تدويـن الإمـام الزهري للسنة عبارة عن جمع ما سمعه مـن أحاديث الصحابة من غير تبويب علـى أبواب العلـم ، وربما كان مختلطـاً بأقوال الصحابة وفتـاوى التابعين ، وهذا مـا تقتضيه طبيعة البـداءة فـي كل أمر جديد ، وبذلـك مهد الإمام الزهري الطريق لمن أعقبه مـن العلماء والمصنفين ، ووضع حجر الأساس في تدوين السنة في كتب خاصة.

ثـم نشطـت حركة التدويـن بعد ذلك، وأخذت في التطـور والازدهار ، وتعاون الأئمـة والعلماء في مختلـف الأمصـار ، فكتب ابن جريج بمكـة، وكتب مالك وابـن اسحاق بالمدينة، وكتـب سعيد بن أبي عَروبـة والربيع بـن صُبيح وحماد بن سلمة بالبصـرة، وكتب سفيان الثوري بالكوفـة، وكتب أبو عمرو الأوزاعـي بالشـام، وكتب عبـد الله بن المبارك بخراسـان، وكتب معمر باليمـن، وغيرهم من الأئمة، وكانت طريقتهم في التدوين هي جمع أحاديث كل باب من أبواب العلم على حدة، ثم ضم هذه الأبواب بعضهـا إلى بعض في مصنـف واحد ، مع ذكر أقـوال الصحابة والتابعين، ولذلـك حملت المصنفات الأولى في هذا الزمن عناوين مثل **"مصنف" و "موطأ" و "جامع"**.

ثم جاء القرن الثالث الهجري فحدث طور آخر من أطوار تدوين السنة تجلى في إفراد حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتصنيف دون غيره من أقوال الصحابة والتابعين، فألفت المسانيد التي جمعت أحاديث كل صحابي على حدة، من غير مراعاة لوحدة الموضوع ، كمسند الإمام أحمد ، ومسند إسحـاق بن راهُوَيَـه، ومسندعثمان بن أبي شيبة وغيرها من المسانيـد، ولم تقتصر هذه المسانيد على جمع الحديث الصحيح بل احتوت على الصحيح وغيره، مما جعل الإفادة منها والوقوف على أحاديث مسألـة معينة من الصعوبة بمكان إلا على أئمة هذا الشأن، خصوصاً وأنها لم ترتب على أبواب الفقه، ممـا حدا بإمام المحدثـين في عصره محمد بـن إسماعيل البخاري أن ينحـو بالتأليف منحىً جديداً اقتصـر فيه على الحديث الصحيح فحسب دون ما عـداه، فألف كتابه الجامع الصحيح المشهور **بـ "صحيـح البخاري"**، وجرى على منواله معاصره وتلميذه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري فألف صحيحـه المشهور **بـ "صحيـح مسلم"** ، وقد رتبا صحيحيهما على أبـواب الفقه تسهيلاً على العلماء والفقهـاء عند الرجـوع إليهما لمعرفة حكم معين ، فكان لهذين الإمامـين الفضل بعد الله عز وجل في تمهيد الطريق أمام طالب الحديث ليصل إلى الحديث الصحيح بأيسر الطرق.

وقـد تابعهمـا في التأليف على أبواب الفقه أئمـة كثيرون سواء ممن عاصرهم أو ممن تأخر عنهم، فألفـت بعدهما السنن الأربعة المشهورة وهي سنن أبـي داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، إلا أن هـؤلاء الأئمـة لم يلتزموا الصحـة كما التزمهـا الإمامان البخـاري ومسلم، فوُجد في هـذه المؤلفات الصحيح وغيره، وإن كان الصحيح هو الغالب.

وقد اعتبر العلماء **القرن الثالث الهجري** أزهى عصور السُّنَّة وأسعدها بالجمع والتدوين، ففيه دونت الكتب الستة التي اعتمدتها الأمة فيما بعد، وفيه ظهر أئمة الحديث وجهابذته، وفيه نشطت رحلة العلماء في طلب الحديث، ولذلك جعل كثير من أهل العلم هذا القرن الحدّ الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من نقاد الحديث.

وبانتهاء هذا القرن كاد أن ينتهي عصر الجمع والابتكار في التأليف، فقد اقتصر دور العلماء في القرون التالية على الاختصار والتهذيب والترتيب، والاستدراك والتعقيب، وانصب اهتمامهم على الكتب المدونة، وقلَّت بينهم الرواية الشفهية.

ومن خلال ما سبق يتبين: أن تدوين الحديث النبوي قد مر بمراحل منتظمة، وأطوار متلاحقة، حققت حفظه، وصانته من العبث والضياع، وكان لجمع الحديث وتدوينه أعظم الأثر في تسهيل الطريق للاجتهاد والاستنباط، وبهذا نعلم مقدار الجهد العظيم الذي بذله الأئمة في جمع السنة وتبويبها، حيث تركوا لنا تراثاً عظيماً في عشرات المصنفات والدواوين، حتى أصبحت هذه الأمة تمتلك أغنى تراث عرفته البشرية، فجزى الله أئمة الإسلام عنَّا خير الجزاء. موقع إسلام ويب للمقالات.

مصطلح الحديث النبوي

حديث متواتر	متفق عليه	مشهور	عزيز	غريب	حديث حسن
حديث متصل		حديث صحيح			حديث منكر
حديث مسند	من حيث السند	علم الحديث		من حيث المتن	حديث متروك
خبر آحاد		حديث ضعيف			حديث مدرج
حديث منقطع	حديث مضطرب	حديث مدلس	حديث موقوف	حديث منقطع	حديث موضوع

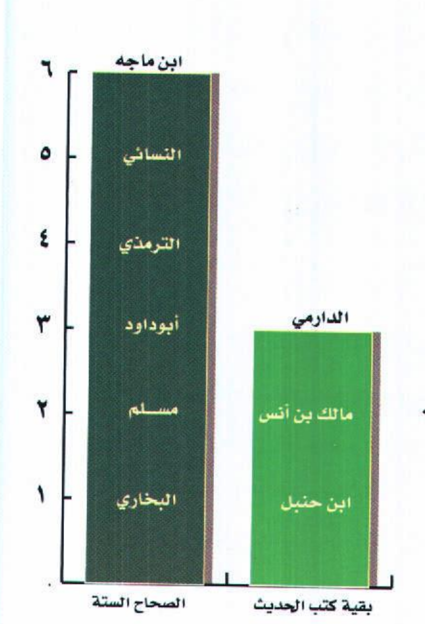
م	الراوي	مكان وتاريخ الولادة	مكان وتاريخ الوفاة	رحلاته العلمية
١	**البخاري:** هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي - مولاهم - الفارسي الأصل.	**بخارى** في شوال سنة ١٩٤ هـ .	توفي رحمه الله في **خَرْتَنْك**؛ بلدة على فرسخين من سمرقند، ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ .	بدأ بالرحلة في طلب الحديث سنة عشر ومائتين، وتنقل في البلاد لطلب الحديث، وأقام في الحجاز ست سنين، ودخل الشام ومصر والجزيرة والبصرة والكوفة وبغداد، وكان رحمه الله غاية في الحفظ .
٢	**مسلم:** هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري.	**نيسابور** سنة ٢٠٤ هـ أربع ومائتين.	توفي في **نيسابور** سنة ٢٦١ هـ إحدى وستين ومائتين، عن سبع وخمسين سنة.	تنقل في الأمصار لطلب الحديث؛ فرحل إلى الحجاز والشام والعراق ومصر، ولما قدم البخاري نيسابور لازمه ونظر في علمه، وحذا حذوه. أثنى عليه كثير من العلماء من أهل الحديث وغيرهم.
٣	**أبو داود:** هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني .	**سجستان** سنة ٢٠٢هـ .	توفي في **البصرة** سنة ٢٧٥ هـ عن ثلاث وسبعين سنة.	رحل في طلب الحديث وكتب عن أهل العراق والشام ومصر وخراسان، وأخذ عن أحمد بن حنبل، وغيره من شيوخ البخاري ومسلم. أثنى عليه العلماء ووصفوه بالحفظ التام والفهم الثاقب والورع. وقد خلف علماً كثيراً في مؤلفاته.
٤	**الترمذي:** هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي .	ولد في **ترمذ** مدينة بطرف جيحون، سنة ٢٠٩هـ .	توفي في **ترمذ** سنة ٢٧٩هـ عن سبعين عاماً.	طاف بالبلاد، وسمع من أهل الحجاز والعراق وخراسان. اتفقوا على إمامته وجلالته حتى كان البخاري يعتمد عليه ويأخذ عنه مع أنه - أي البخاري - من شيوخه. وقد صنف تصانيف نافعة في العلل وغيرها.
٥	**النسائي:** هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن علي النسائي، ويقال: النسوي؛ نسبة إلى نسأ بلدة مشهورة بخراسان.	**نسأ** في سنة ٢١٥هـ.	توفي سنة ٣٠٣ هـ ، في **الرملة** في فلسطين عن ثمان وثمانين سنة.	ارتحل في طلب الحديث، وسمع من أهل الحجاز وخراسان والشام والجزيرة وغيرها، وأقام بمصر طويلاً، وانتشرت مصنفاته فيها، ثم ارتحل إلى دمشق، فحصلت له فيها محنة، وقد خلف مصنفات كثيرة في الحديث والعلل .
٦	**ابن ماجه:** هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه (بالهاء الساكنة ويقال بالتاء) الربعي مولاهم القزويني.	ولد في **قزوين** (من عراق العجم) سنة ٢٠٩هـ.	توفي في **قزوين** سنة ٢٧٣ هـ ، عن أربع وستين سنة.	ارتحل في طلب الحديث إلى الري والبصرة والكوفة وبغداد والشام ومصر والحجاز، وأخذ عن كثير من أهلها. له عدد من التصانيف النافعة .
٧	**أحمد بن حنبل:** هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي.	ولد سنة ١٦٤هـ في **مرو** ثم حمل إلى **بغداد** وهو رضيع، وقيل: ولد في **بغداد** .	توفي في **بغداد** سنة ٢٤١ هـ عن سبعة وسبعين عاماً.	طاف بالبلاد والآفاق؛ لطلب الحديث فسمع من مشايخ العصر في الحجاز والعراق والشام واليمن، وعني عناية عظيمة بالسنة والفقه حتى عده أهل الحديث إمامهم وفقيههم. وقد أثنى عليه العلماء في عصره وبعده، فقال الشافعي: خرجت من العراق، فما رأيت رجلاً أفضل، ولا أعلم، ولا أورع، ولا أتقى من أحمد بن حنبل .
٨	**مالك بن أنس :** أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن حارث، ينتهي نسبه إلى عمرو بن الحارث ذي أصبع الحميري من ملوك اليمن .	ولد في **المدينة النبوية** في ربيع الأول سنة ٩٣ هـ ، ولا تربطه بالصحابي أنس بن مالك الخزرجي سوى صلة الإسلام .	توفي في **المدينة النبوية** سنة ١٧٩هـ .	أخذ عن نافع ولازمه، وعن سعيد المقبري، والزهري، وابن المنكدر، ويحي بن سعيد القطان، وأيوب السختياني، وأبي الزناد، وربيعة، وخلق . وروى عنه من شيوخه: الزهري، وربيعة، ويحيى ابن سعيد، وغيرهم . ومن أقرانه : الأوزاعي، والثوري، والليث، وخلق كثير . وروى عنه أيضاً : ابن المبارك، ومحمد بن الحسن، والشافعي، وعبد الرحمن بن مهدي، والقعنبي، وخلائق.
٩	**الدارمي:** أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي .	ولد سنة ١٨١هـ في **سمرقند** .	توفي في **سمرقند** سنة ٢٥٥هـ .	ارتحل في طلب الحديث إلى الحجاز وبلاد الشام ومصر والعراق وخراسان، جمع بحنكته بين علمي التفسير والفقه، صنف المسند في الحديث والجامع الصحيح المعروف بسنن الدارمي.

رواة الحديث النبوي التسعة في العصر العباسي

رواة الحديث النبوي التسعة

الكتب التسعة هي:

- صحيح البخاري وقد جمعه الإمام البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ.
- صحيح مسلم وقد جمعه الإمام مسلم، المتوفى سنة ٢٦١هـ.
- سنن أبي داود وقد جمعها الإمام أبو داود، المتوفى سنة ٢٧٥هـ.
- سنن الترمذي، وقد جمعها الإمام الترمذي، المتوفى سنة ٢٧٩هـ.
- سنن النسائي، وقد جمعها الإمام النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ.
- سنن ابن ماجه، وقد جمعها الإمام ابن ماجه، المتوفى سنة ٢٧٣هـ.
- مسند أحمد، وقد جمعه الإمام أحمد، المتوفى سنة ٢٤١هـ.
- موطأ مالك، وقد جمعه الإمام مالك، المتوفى سنة ١٧٩هـ.
- سنن الدارمي، وقد جمعها الإمام الدارمي، المتوفى سنة ٢٥٥هـ.



العلوم الفقهية

علوم أصول الفقه

علم الفقه

الفقه لغة: الفهم. **وفي الاصطلاح:** معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها التفصيلية كالكتاب والسنة والإجماع، فكل من عرف أكثر الأحكام الشرعية فهو فقيه، وأما من لم يعرف إلا أحكاماً يسيرة فليس بفقيه، والواجب عليه حينها سؤال العلماء لمعرفة الحكم الشرعي.

مفهوم الفقه الإسلامي: وبناءً على ذلك فمفهوم الفقه الإسلامي يتسع ليكون نظام حياة للأمة الإسلامية في سائر شؤونها الحياتية في الاقتصاد والأحوال الشخصية والسياسة وسائر معاملاتها اليومية، على مستوى الدولة أو الأفراد.

نشأة علم الفقه:

كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية اتساعاً عظيماً وسريعاً، وامتزاج الحضارات العريضة التي كانت سائدة في بلاد العراق والشام ومصر وفارس بحضارة الإسلام الطالعة أن عرضت للناس وقائع جديدة تستدعي وضع بعض التشريعات في المعاملات والحلال والحرام. فعلى سبيل المثال: نظام الإرواء، أو الرِّي (بكسر الراء) في العراق والشام يخالف ري مصر، وهذه كلها تخالف ري الجزيرة . وأحوال الزواج والمعاملات والجنايات في البلدان المفتوحة غيرها في مهد الإسلام (جزيرة العرب) . ففي كل هذه الأمور وفي كثير غيرها؛ كان لابد للفقهاء من الاجتهاد. واستتبع ذلك ظهور مدارس ومذاهب فقهية كبيرة.

ومن العوامل التي ساعدت على تكوين هذه المذاهب الفقهية؛ جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ونسخه وتوزيعه على الأمصار الإسلامية الرئيسة آنذاك في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بعد أن ظهر اللحن في بعض البلاد المفتوحة. ثم تدوين السُّنَّة النبوية في عهد عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وبعد ذلك اهتم المسلمون بجمع فقه الصحابة وفتاوى التابعين، وتصنيف طائفة غير قليلة من العلوم تقوي ملكة الاجتهاد والقياس والاستنباط، كعلوم اللغة العربية وتفسير القرآن وأدب المناظرة والكلام. أضف إلى ذلك جميعه تشجيع الخلفاء للحركة الفقهية، ومؤازرتهم للعلماء، وعنايتهم بمجالس البحث والنظر، ورغبة الكثيرين منهم في النقاش العلمي الهادف.

المذاهب الفقهية الأولى: عرف في القرن الأول مذهب ابن مسعود، ومذهب ابن عمر، ومذهب عائشة، وهي عبارة عن فتاواهم فيما جد من حوادث. وقد أضاف فقهاء التابعين من بعد الصحابة اجتهاداتهم الخاصة أيضاً، وظهر فيهم فقهاء أعلام من منتصف القرن الأول إلى مطلع القرن الثاني للهجرة، لعل أشهرهم **فقهاء المدينة السبعة** وهم: ١- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. ٢ - عروة بن الزبير بن العوام. ٣- قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. ٤- سعيد بن المسيب بن حزن. ٥- أبو بكر بن عبد الرحمن. ٦ - سليمان بن يسار. ٧- خارجة بن زيد بن ثابت.

المرحلة	التاريخ	المدة	أبرز خصائص المرحلة
عصر الركود الفقهي	**من ٦٥٦ هـ حتى عصرنا الحاضر**		تتلخص أسباب جمود الفقه الإسلامي في هذه الفترة فيما يلي: ١- انصراف الفقهاء إلى الانتصار لمذاهبهم، والتعصب لأئمتهم، والدعاية لنشر مذهبهم. ٢- ازدهار الفقه والعناية به، وكثرة التدوين والتصنيف في العصور السابقة لهذا العصر. ٣- انحلال الدولة الإسلامية، وإصابتها بالضعف المتوالي مما أفقدها الشخصية القوية، التي يكون لها من النظم ما تضع فيه حداً للفتوى والإفتاء، فتصدّى للإفتاء من هو من أهله ومن هو من غير أهله.
عصر التقليد	**٣٥٠ - ٦٥٦ هـ**	**٣٠٦ سنوات**	وهو يبدأ من سقوط **الخلافة العباسية** (بغداد) سنة ٦٥٦ هـ على يد هولاكو إلى بداية القرن الهجري الماضي. ورغم ذلك تخلله دور للتجديد من بداية القرن السابع على يد شيخ الإسلام ابن تيمية.
عصر التدوين	**١٠١ - ٣٥٠ هـ**	**٢٥٠ سنة**	إن التوسع الجغرافي للإسلام وتنوع البيئات التي انتشر بها، وأيضاً قابلية الكثير من النصوص الشرعية الإسلامية للاجتهاد فيها حسب الظروف والحالات أديا إلى نشوء مدارس فقهية منتشرة في الأمصار الإسلامية، وأصبح لكل عالم فقيه أتباع يعملون على نشر فتاواه وحتى العمل ضمن القواعد التي يضعها لإصدار فتاوى جديدة. انظر جدول المذاهب الأربعة
عصر بقية الصحابة وكبار التابعين	**٤١ - ١٠٠ هـ**	**٦٠ سنة**	عرف في القرن الأول مذهب ابن مسعود، ومذهب ابن عمر، ومذهب عائشة، وهي عبارة عن فتاواهم فيما جد من حوادث. وقد أضاف فقهاء التابعين من بعد الصحابة اجتهاداتهم الخاصة أيضاً، وظهر فيهم فقهاء أعلام من منتصف القرن الأول إلى مطلع القرن الثاني للهجرة، لعل أشهرهم فقهاء المدينة السبعة.
عصر الخلفاء الراشدين	**١١ - ٤٠ هـ**	**٣٠ سنة**	كان الصحابة يلجؤون إلى أهل الفتيا منهم، الذين يسمون القُرّاء، فكان القراء يرجعون إلى كتاب الله، فإن وجدوا فيه الحكم أخذوا به ووقفوا عنده، وإلا لجأوا إلى السنة النبوية ليلتزموا بها إن عثروا على مبتغاهم. فإن كانت الواقعة والمسألة جديدة ولم يجدوا لها حكماً لا في الكتاب ولا في السنة لجأوا إلى الاجتهاد، وأول ما ينظرون إلى ما يشابه هذه المسألة أو يماثلها، فيقيسونها عليها في الحكم، أو يستنبطون لها حكماً حسبما تقتضيه القواعد العامة للشريعة، فإن اتفقت كلمتهم في النتيجة كان ذلك إجماعاً، وإلا كان قولاً للصحابي ومذهباً له.
عصر التشريع	من السنة الأولى للبعثة حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ١١ هـ.	**٢٣ سنة**	نشأ الفقه الإسلامي في عهد النبي ﷺ حينما كان يتلقى الآيات عن ربه سبحانه بما فيها من أوامر له وللمسلمين تتعلق بعباداتهم ومعاملاتهم وسائر شؤون حياتهم وما يحتاجون إليه من أحكام شرعية عملية واعتقادية، وكان رسول الله يبين هذه الأحكام للناس، ويشرح تفاصيلها، ويطبقها أمام الناس، كما كان يتابع فعل الصحابة لها. وكان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إليه للتعلم والاستفتاء، وفصل المنازعات والقضاء، حتى أدى الرسالة وبلغ

مراحل تاريخ التشريع والفقه الإسلامي

وجه المقارنة	المذهب الحنفي	المذهب المالكي	المذهب الشافعي	المذهب الحنبلي
المؤسس	هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وهو فارسي الأصل ويسمى بالإمام الأعظم.	هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر ابن عمرو بن حارث، ينتهي نسبه إلى عمرو بن الحارث ذي أصبع الحميري من ملوك اليمن، ليست بينه وبين الصحابي الجليل أنس بن مالك قرابة.	هو أبو عبد الله محمد بن إدريس ابن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطّلبي الشافعي الحجازي المكي يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف.	هو أحمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي. سكن أهله خراسان.
مولده	ولد في الكوفة سنة ٨٠ هـ.	ولد في ربيع الأول بالمدينة النبوية سنة ٩٣ من الهجرة.	ولد في سنة مائة وخمسين، وهي السنة التي توفي فيها أبو حنيفة. ولد بغزة، وقيل: بعسقلان، ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين.	ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ.
نشأته	العراق	المدينة النبوية	الحجاز	بغداد

وجه المقارنة	المذهب الحنفي	المذهب المالكي	المذهب الشافعي	المذهب الحنبلي
ركائز المذهب	نشأ مذهب أبي حنيفة في الكوفة مهد مدرسة الرأي، وتكونت أصول المذهب على يديه، وأجملها هو في قوله: "إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا لم أجد فيها أخذت بقول أصحابه من شئت، وأدع قول من شئت، ثم لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم، والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد ابن المسيب فلي أن أجتهد كما اجتهدوا".	كان الإمام مالك يعتمد على الحديث النبوي كثيراً نظراً لبيئته الحجازية التي كانت تزخر بالعلماء والمحدثين الذين تلقوا الحديث النبوي عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وورثوا من السنة ما لم يتح لغيرهم من أهل الأمصار. قال الإمام الشافعي: ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك، وفي رواية أكثر صواباً وفي رواية أنفع؛ وهذا القول قبل ظهور صحيح البخاري.	حاول أقصى جهده أن يمزج بين مدرستي الحجاز والعراق، كما حاول أن يمزج بين مدرسة الرأي ومدرسة الأثر. جاء في مناقب الإمام الشافعي للبيهقي: قيل لأحمد بن حنبل: فما ترى في كتب الشافعي، التي عند العراقيين أحب إليك أم التي عند المصريين؟ قال: «عليك بالكتب التي وضعها بمصر. فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها، ثم رجع إلى مصر فأحكم ذلك».	كان الإمام أحمد عليماً بالأحاديث الأمر الذي وفّر له ثروة هائلة في العلم مكّنته من الاستنباط. وقد وسّع باب القياس مما جعل الأحكام أقرب إلى مرامي الشارع ومقاصده المستوحاة من أعمال الرسول وأقواله. وكانت هناك حاجة ماسة إلى أحكامه، لأنّ العرب تفرّقوا بين الأمصار التي فتحوها وفيها أمم وشعوب مختلفة. وقد قدّم الإمام أحمد الحديث على الرأي والقِياس ولو كان ضعيفاً. كما انه أكمل مشوار الشافعي من ناحية تعظيم دور السنة في البناء الفقهي. وكانت شخصية الإمام أحمد رمزاً للصمود والثبات على الإيمان الراسخ ورفض الأفكار الدخيلة على الإسلام والعقيدة الإسلامية.

وجه المقارنة	المذهب الحنفي	المذهب المالكي	المذهب الشافعي	المذهب الحنبلي
السمات	وطد طريقة الاستحسان، وكان رحمه الله واسع الاجتهاد. فقد خرج على الناس بمذهب جديد فيه حرية للعقل بكثرة استعمال الرأي والقياس، وبما استتبع ذلك من كثرة الفروع ورجوعها إلى أصول، وبمقدرة على الاستنباط وبتقريب الفقه إلى الأذهان.	مذهبه وسط معتدل بين أهل الرأي والحديث، لكثرة استناده إلى الحديث إذ كانت روايته قد انتشرت ولا سيما المدينة على أن مالكاً يعد إلى جانب ذلك من أهل الرأي نسباً.	امتاز الإمام الشافعي عن باقي الأئمة، بتدوينه كتب المذهب بنفسه. كما أنه يُعَدُّ عند جمهور المحققين، أول من كتب في أصول الفقه وشرحها. واعتنى بالقواعد الكلية أكثر من الفروع الفقهية.	أكثر المذاهب السنية محافظة على النصوص وابتعاداً عن الرأي. لذا تمسّك بالنص القرآني ثم بالبيّنة ثم بإجماع الصحابة، ولم يقبل بالقياس إلا في حالات نادرة.
أشهر مصنفات المذهب	الكافي «وقد جمع كتب ظاهر الرواية وهي: السير الكبير والسير الصغير، الجامع الكبير والجامع الصغير الزيادات، المبسوط (شرح الكافي في ٣٠ مجلداً) حاشية ابن عابدين».	الموطأ، المدونة (وهي المعتمدة الواضحة)، العتبيه الموازية، الكافي، مختصر خليل.	الأم، الرسالة، المجموع شرح المهذب، مُغني المحتاج، روضة الطالبين.	المغني، الإقناع، الروض المقنع، الفروع، دليل الطالب، مختصر الخرقي.

وجه المقارنة	المذهب الحنفي	المذهب المالكي	المذهب الشافعي	المذهب الحنبلي
الانتشار	انتشر مذهب أبي حنيفة في البلاد منذ أن مكّن له أبو يوسف بعد تولّيه منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية، وكان المذهب الرسمي لها، كما كان مذهب السلاجقة والدولة الغزنوية ثم الدولة العثمانية، وهو الآن شائع في أكثر البقاع الإسلامية، ويتركز وجوده في مصر والشام والعراق وباكستان والهند والصين.	انتشر مذهب الإمام مالك في شمالي إفريقيا وبلاد الأندلس، والحجاز والخليج العربي والسودان أما الذين أعانوا على نشر مذهبه في هذه البلاد فهم عبد الله بن وهب ومصريون آخرون وأسد بن الفرات القائد والقاضي في الدولة الأغلبية والتي كانت تابعة للدولة العباسية.	يتركز الفقه الشافعي -اليوم- في مصر، وجنوبي الشام، واليمن وعدن، والحجاز وشرقي إفريقيا، وكردستان، وفي جنوب شرقي آسيا (إندونيسيا وماليزيا).	بقي المذهب مقصوراً على أحياء في بغداد وعلى بعض مناطق بلاد الشام. ثم وصل قضاة حنابلة إلى مصر. لكنه لم يتعد هذه البلاد الثلاثة إلى العصر الحديث، وبقي الحنابلة قلّة مقارنة بالمذاهب الإسلامية الأخرى، إلى أن تبنته حكومة المملكة العربية السعودية سلمها الله في عهودها الثلاثة وانتشر في جميع ربوعها العامرة.
وفاته	توفي أبو حنيفة في بغداد في ١١ من جمادى الأولى سنة ١٥٠ هـ.	توفي مالك في شهر ربيع الأول سنة ١٧٩ هـ في المدينة النبوية.	توفي الشافعي في الفسطاط المصرية سنة ٢٠٤ هـ.	توفي ابن حنبل في بغداد سنة ٢٤١ هـ.

العقيدة

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم رفعت الفتن رأسها شيئاً فشيئاً لتنال من أصول الدين قبل فُروعه، ومن عقائده قبل شرائعه، إمضاءً لسنته - سبحانه وتعالى - في الابتلاء والامتحان فظهرت بدعتا **الخوارج فالرفض** بعد نهاية الخلافة الراشدة، ثم **الإرجاء والقدر** في الخلافة الأموية، ثم ظهرت بدع **الجهمية المعطلة** في أوائل المائة الثانية، وما تشعب منها بعد ذلك من فرق وطوائف، لتتحقق آية من آيات النبي عليه السلام في افتراق أمته كالأمم قبلها.

ثم إنه تنوعت بدع التعطيل في التجهم، ثم ورثه **الاعتزال** وكان منه على الدين وأهله من المصائب والويلات ما لا يخفى، ضلالاً وابتداعاً وافتراقاً، غصّ بها تاريخ المسلمين، وحرقت به وحدتهم واجتماعهم، ولم تزل تعاني آثار ذلك أشد العناء.

وفي المائة الثالثة فالرابعة تولّد عن بدعتي التجهم والاعتزال بدعة أخرى، تمثلت في بدعة **الكلابية**، ومتولي كبرها أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، ومن تلقف بدعته من بعده، وهما الطائفتان الكبيرتان: الأشاعرة والماتريدية.

والسنة الحقة في ذلك ماضية وثابتة، في خضم هذه الأمواج المتلاطمة من الفتن والبدع من لدن الصحابة رضي الله عنهم، وبعدهم كبار التابعين، فالتابعون فتابعوهم بإحسان إلى أن يشاء الله. على جادة واحدة، وطريقة واضحة، متمثلة فيما كان عليه النبي عليه السلام وأصحابه.

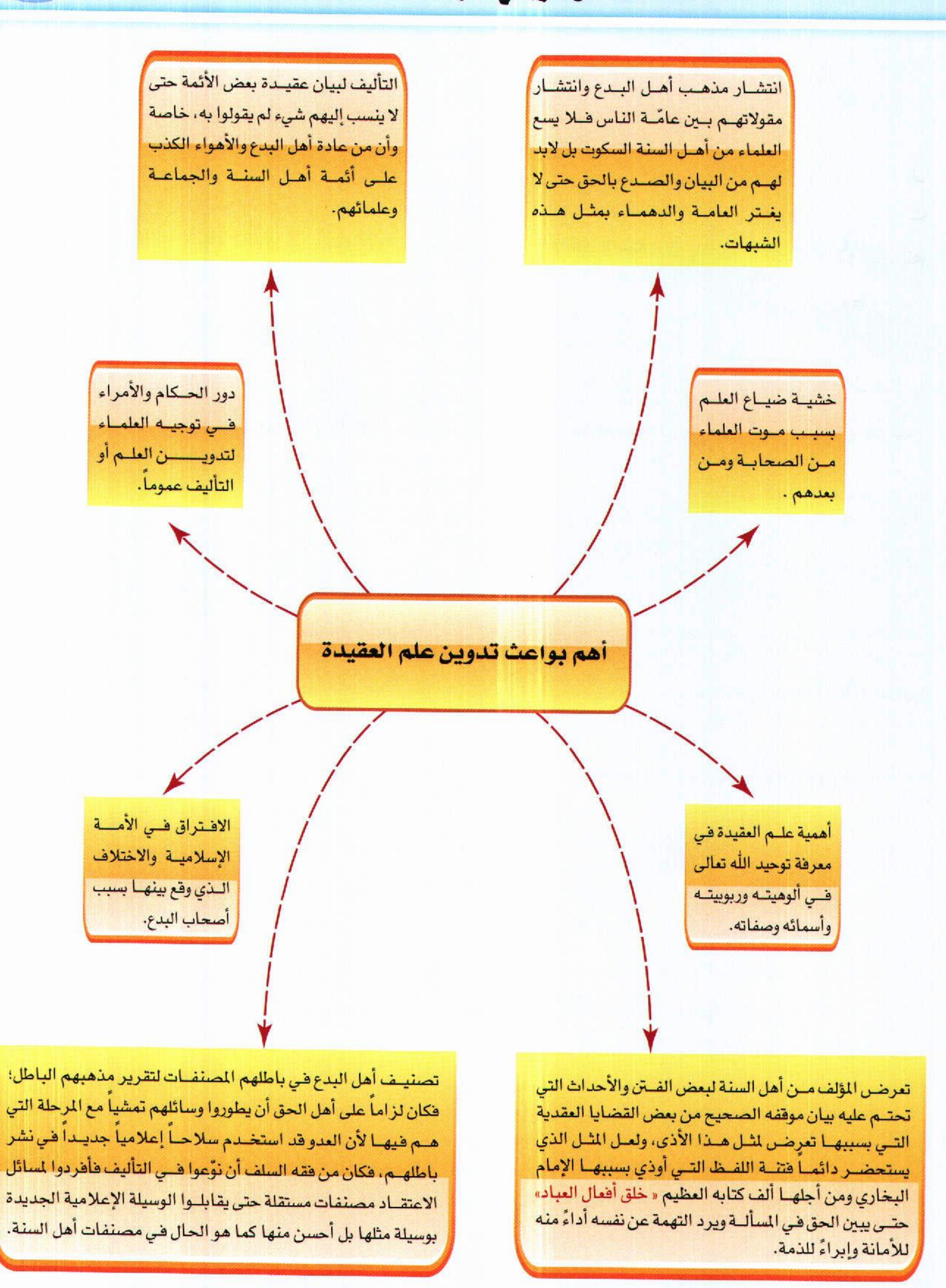
وبين يدي ذلك تتأكد أهمية العناية بالعقيدة الإسلامية، وتصفيتها مما يشوبها من عواري البدع، وذلك بتحري منهج السلف الصالح في تقرير العقيدة والدفاع عنها والرد على مخالفيها، ومن خلال الآثار السلفية المروية عنهم قولاً وفعلاً وحالاً ... والبحث عنها، وجمعها، ودراسة طرق روايتها، والتأمل فيها، والتفهم لها وإنزالها المكان اللائق بها على بصرة وهدى ... ولذلك ولغيره اعتنى أئمة الإسلام جيلاً بعد جيل، بنقل آثار الصحابة والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم ورحمهم بالأسانيد عنهم، وتناقلوها واحتفوا بها وزبروها في قلوبهم، وزينوا بها تصانيفهم [1].

تعريف العقيدة: العقيدة في اللغة: من العَقْد: وهو الرَّبطُ، والإبرامُ، والإحكامُ، والتّوثّقُ، والشّدُّ بقوة، والتماسُك، والمُراصَّةُ، والإثباتُ؛ ومنه اليقين والجزم. والعقد نقيض الحل، ويقال: عقده يعقده عقداً، ومنه عقدة اليمين والنكاح، قال الله تبارك وتعالى: (لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ) . (المائدة/٨٩) **والعقيدة:** الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده. **والعقيدة في الدين:** ما يُقْصَدُ به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود الله وبعث الرسل، والجمع: عقائد. **وخلاصته:** ما عقد الإنسانُ عليه قلبه جازماً به؛ فهو عقيدة، سواءٌ؛ كان حقاً، أو باطلاً.

والعقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، وأُصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وسلم.

---

١ - د. أحمد عسيري، نشأة التدوين في علم العقيدة، ملتقى أهل الحديث، سنة ١٤٢٦ - ١٤٢٧ هـ.


أهم بواعث تدوين علم العقيدة
انتشار مذهب أهل البدع وانتشار مقولاتهم بين عامّة الناس فلا يسع العلماء من أهل السنة السكوت بل لابد لهم من البيان والصدع بالحق حتى لا يغتر العامة والدهماء بمثل هذه الشبهات.
التأليف لبيان عقيدة بعض الأئمة حتى لا ينسب إليهم شيء لم يقولوا به، خاصة وأن من عادة أهل البدع والأهواء الكذب على أئمة أهل السنة والجماعة وعلمائهم.
خشية ضياع العلم بسبب موت العلماء من الصحابة ومن بعدهم.
دور الحكام والأمراء في توجيه العلماء لتدوين العلم أو التأليف عموماً.
أهمية علم العقيدة في معرفة توحيد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.
الافتراق في الأمة الإسلامية والاختلاف الذي وقع بينها بسبب أصحاب البدع.
تعرض المؤلف من أهل السنة لبعض الفتن والأحداث التي تحتم عليه بيان موقفه الصحيح من بعض القضايا العقدية التي بسببها تعرض لمثل هذا الأذى، ولعل المثل الذي يستحضر دائماً فتنة اللفظ التي أوذي بسببها الإمام البخاري ومن أجلها ألف كتابه العظيم « خلق أفعال العباد» حتى يبين الحق في المسألة ويرد التهمة عن نفسه أداءً منه للأمانة وإبراءً للذمة.
تصنيف أهل البدع في باطلهم المصنفات لتقرير مذهبهم الباطل؛ فكان لزاماً على أهل الحق أن يطوروا وسائلهم تمشياً مع المرحلة التي هم فيها لأن العدو قد استخدم سلاحاً إعلامياً جديداً في نشر باطلهم، فكان من فقه السلف أن نوّعوا في التأليف فأفردوا لمسائل الاعتقاد مصنفات مستقلة حتى يقابلوا الوسيلة الإعلامية الجديدة بوسيلة مثلها بل أحسن منها كما هو الحال في مصنفات أهل السنة.

ثانياً: العلوم اللغوية

جمع اللغة وتأليف المعاجم

المرحلة الأولى

جمع الكلمات حيثما اتفق، فكان العالم يرحل إلى البادية فيسمع كلمة في اسم من الأسماء، فيدون ذلك كله كما سمع، من غير ترتيب إلا ترتيب السماع.

المرحلة الثانية

جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد مثل: كتاب المطر أو اللبن لأبي زيد الأنصاري ت ٢١٥ هـ والأصمعي ت ٢١٢ هـ في النخل أو الشاء أو الإبل.

المرحلة الثالثة

وضع المعاجم الشاملة التي تشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص يسهل إليه لمن أراد البحث عن معنى كلمة. مثل كتاب العين للفراهيدي ت ١٧٥ هـ وفي القرن الرابع هـ الجوهري ت ٣٩٢ هـ في كتابه الصحاح، وقد سار على أثره ابن منظور في لسان العرب، والفيروز آبادي في القاموس المحيط.

علم النحو

عند انتشار الإسلام واتساع رقعته كثر الاختلاط بين العرب وغيرهم من الأعاجم، فخشي العلماء من أن تضيع العربية في وسط الاندماج فشرعوا في المحافظة على لغتهم فدونوا الأحاديث والخطب والأشعار وحاولوا استقراءها واستنباط القواعد من تراكيبها لضبط الألسنة على النطق الصحيح وكان العلماء حريصين على تدوين ما يصلون إليه من قواعد نحوية وشواهد عربية وقد ألفوا كتباً كثيرة حوت دقائق علم النحو.

علم البلاغة

أول من صنف في هذا الفن أبو عبيدة بن المثنى في كتابه (مجاز القرآن) ثم تتابع التأليف مثل: ابن المعتز في البديع، والجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، ونشأت دراسات نقدية مثل: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، وبرز الدينوري في كتابه (الشعر والشعراء).

جمع الأدب والتأليف فيه

الشعر

النثر

انظر الصفحات القادمة

مر عمر - رضي الله عنه - وأرضاه على قوم يسيئون الرمي فقرعهم فقالوا: إنا قوم متعلمون والصواب متعلمون فغضب الفاروق، فقال: خطئكم في لسانكم أشد من خطؤكم في رميكم، ثم قال رضي الله عنه: (رحم الله امرؤاً أصلح لسانه).

الخليل بن أحمد الفراهيدي: هو أول من فكر في أن يجمع كل ما عرف من ألفاظ الغرب في كتاب مرتب، فهو المؤسس الحقيقي لصرح النحو العربي.

سيبويه: خلف الخليل بن أحمد على تراثه النحوي وقد أودع هذا التراث مصنفه المسمى (الكتاب). الذي يعد من روائع العقل العربي، ويدل دلالة واضحة على فطنة مؤلفه، ونفاذ بصيرته، حتى إن بعض العلماء سمى مؤلفه هذا (قرآن النحو).

١- عُنيت مدرسة البصرة بالنحو علي يد الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه وغيرهم.
٢- عُنيت مدرسة الكوفة بالنحو وقد تمسك أصحابها بكل ما جاء به العرب من قواعد حتى لو كان شاذاً.
٣- ظل الصراع قائماً بين مدرستي البصرة والكوفة في النحو، حتى تأسست مدينة بغداد عام ١٤٥ هـ وهدأت الأحوال السياسية واستتب الأمن في الدولة العباسية وأخذ الخلفاء يرغبون العلماء ويشجعونهم على سُكنى بغداد ويدعونهم لتربية أولادهم فسارعوا بالذهاب إلى العاصمة الجديدة (بغداد) جرياً وراء الشهرة وإحراز المكانة والثروة.

الشعر

اتسمت المدن في العصر العباسي بفيض من الشعراء ذوي السليقة العربية الأصيلة، وقد تحول بعض هؤلاء إلى معلمين يربون الناشئة على العربية الفصحى وآداب الشعر القديم، في الوقت الذي كان يقابلهم في المدن شعراء لم ينشأوا في البادية لكنهم استوعبوا ملكة اللغة العربية التي تمثلت في دخائلهم فيما بعد حتى أصبحوا لا يقلون عن شعراء البادية نصاعة وبياناً.

لقد حافظ معظم الخلفاء العباسيين على لغة القرآن وحثوا أهل العلم على دراستها والتعمق في معانيها ومعرفة مكنوناتها، فكانوا لا يستوزرون إلا من حذق في اللغة العربية وبرع في أدائها وآدابها، وكانت مجالس الخلفاء عموما تكتظ باللغويين وعلماء الكلام من أمثال الكسائي والأصمعي. وكان الشعراء يعرضون قصائدهم على الخليفة، فإن استحسنها مضوا ينشدونها، وإن لم يستحسنها ذهبوا يصنعون غيرها.

وعلى هذا النحو سيطر اللغويون على سوق الأدب العباسي ومضوا متمسكين بقواعد الشعر القديم تمسكاً شديداً، وكان اعتقادهم أنه لا يجوز تفضيل شعر عصر على غيره من عصر آخر، إنما كان المراد هو جودة الشعر نفسه بصرف النظر عن عصره، فالجودة الفنية لا تقاس بالقدم والحداثة، وعلى هذا النحو دفع التحضر بشعراء العصر إلى استحداث أسلوب جديد يعتمد على الألفاظ الواسطة بين لغة البدو الزاخرة بالكلمات الجزلة، ولغة الحضر المليئة بالكلمات الأقل قوة منها وجعلوا منه أسلوباً جديداً أشبه بعنقود من الجواهر، إذ تحول الشعراء إلى ما يشبه الصاغة، كل يحاول أن يثبت مهارته في صياغة وسبك الشعر من الكلمات التي يكون وقعها في السمع حسناً و تأثيرها في القلب كأثر المطر في التربة الكريمة.

لكن في المجمل برزت بعض الملامح لهذا العصر بفترات من الترف والبذخ والتأنق ، فقد رقّت فيه طباع الشعراء و ارتقت أذواقهم بالمخالَطة، فظهر ذلك في أشعارهم. .

النثر

ازدادات الثروة النثرية في العصر العباسي بكثير من الكتب التي ألفت فيه، وقد اشتهر عدد من الأدباء في ميدان النثر ومنهم:

١ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة **الدينوري** (٢١٣-رجب ٢٧٦ هـ) نحوي لغوي، ولد ببغداد وقيل بالكوفة وأقام بالدينور مدة فنسب إليها. صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب، ولتعدد اهتمامات ابن قتيبة وتنوع موضوعات كتبه، يُعَدُّ عالمًا موسوعيًا، فهو العالم اللغوي الناقد المتكلم الفقيه النحوي. وتعود شهرته في التاريخ والأدب إلى كتابه «الشعر والشعراء»، وبوجه خاصّ إلى مقدمة هذا الكتاب، وما أثار فيها من قضايا نقدية. ومن مؤلفاته:

١ - غريب القرآن الكريم
٢ - غريب الحديث
٣ - عيون الأخبار
٤ - مشكل القرآن
٥ - مشكل الحديث
٦ - طبقات الشعراء
٧ - الأشربة
٨ - إصلاح الغلط
٩ - كتاب التقفية
١٠ - كتاب الخيل
١١ - كتاب إعراب القراءات
١٢ - كتاب الأنواء
١٣ - كتاب المسائل والجوابات
١٤ - كتاب الميسر والقداح وغير ذلك.

٢ - عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء ت ٢٥٥ هـ. **الجاحظ** ؛ أبو عثمان، كبير أئمة الأدب، مولده ووفاته بالبصرة، وأخذ العلم عن أشهر شيوخها في الأدب والنحو واللغة، ومنهم أبو عبيد معمر بن المثنى، والأصمعي، وأبو زيد الأنصاري والأخفش، وأخذ علم الكلام عن أبي إسحاق إبراهيم النظام أحد شيوخ المعتزلة، فتأثر به وبمقالته ونصر الاعتزال بكتابته، وأصبح رئيس فرقة في الاعتزال تعرف باسم (الجاحظية).

ودَرَّس علماء المسلمين الشعر، فحَصَر الخليل بن أحمد أوزان الشعر في ١٥ بحراً، ثم زاد عليها الأخفش بحراً واحداً وسمّاه الخبَب، فأصبحت ١٦ وهو ما عُرِف بعلم العروض.

وظهرت الصالونات الأدبية، وكانت المساجلات الشعرية، والمناظرات الدينية، والمناقشات الأدبية تَجري في معظم الأحيان في حضرة الخلفاء العباسيين الذين كان بعضهم شعراء، وأغدَقوا الأموال على الشعراء، فتزاحموا على أبوابهم.

لقد نبغ عدد كبير من الشعراء في العصر العباسي، من أشهرهم "أبو نواس"، وهو ممن أذاع القول في الخمر المحرمة والغزل والصيد، و"أبو العتاهية" الذي برَع في فنون الشعر واشتهر بالغزل الرقيق والحكمة والموعظة.

والطائيان "أبو تمام"، الذي اشتهر بنزعته العقلية والفلسفية في الشعر وتلميذه "البحتري"، الذي ضُرب به المثل، ويُقال إن كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة، ويُقالُ أيضاً إن شعره كتابة معقودَة بالقوافي. وكذلك "ابن الرومي" الذي يقول عنه ابن خلّكان، إنه يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها، ويُبرزها في أحسن صورة.

ولما تسلم زمام الأمر العنصر العَجَمي في الدولة العباسية، ضعف أمر الشعر، حتى إذا قامَت دولة بني حمدان وهم عربٌ، عاد الشعر إلى مكانته ورونقه، ورعاه سيف الدولة الحمداني، وقد كان شاعراً وأديباً، وكان يرى أن إعطاء الشعراء من فروض الأمراء.

واشتهر في عصره عدد كبير من الشعراء كأبي فراس الحمداني، وأبي الطيب المتنبي الذي كان نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر، ثم هو شاعر سيف الدولة الذي رفع من قدره، وألقى عليه شعاع سعادته حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر، وسافر كلامه في البدو والحضر، فهو الذي قال:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلتُ شعراً أصبح الدهرُ مُنشِداً
فسارَ به مَن لا يسيرُ مُشَمِّرا
وغنّى به مَن لا يُغَنّي مُغَرِّداً

من أشهر مؤلفاته في الأدب كتاب البيان والتبيين فهو من أهم كتب الجاحظ قال فيه ابن خلدون: ".. وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها"، وقد جمع الجاحظ في هذا الكتاب كعادته البلاغة والأدب والفقه والتاريخ والمنطق، وكانت الغاية من وضعه الرد على الشعوبية بتبيان تفوق العرب في البلاغة والبيان. وأما كتاب البخلاء فهو دراسة أدبية فكهة، جمع فيها الجاحظ أخبار البخلاء والمبخلين في عصره من أهل البصرة وخراسان بنوع خاص، وصور لنا نماذج حية ناطقة من أولئك الذين استهواهم الدرهم، فصاروا أضحوكة الناس ومدار تندرهم. ومن خلال صور البخلاء والأشحاء يلقي الجاحظ في هذا الكتاب، أكثر منه في أي كتاب آخر،

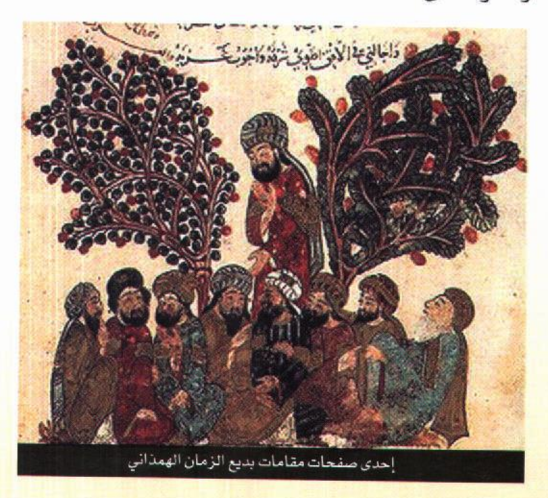
٣ - أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد المعروف ببديع الزمان **الهمذاني**، (٣٥٨ هـ/٩٦٩ م - ٣٩٥ هـ/١٠٠٧ م)، كاتب وأديب من أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة استوطنت همذان وبها ولد بديع الزمان فنسب إليها، وقد كان يفتخر بأصله العربي إذ كتب في أحد رسائله إلى أبي الفضل الإسفرائيني: «إني عبد الشيخ، واسمي أحمد، وهمذان المولد وتغلب المورد، ومضر المحتد». وقد تمكن بديع الزمان بفضل أصله العربي وموطنه الفارسي من امتلاك الثقافتين العربية والفارسية وتضلعه في آدابهما فكان لغوياً وأديباً وشاعراً وتوفي عام ٣٨٠ هـ، انتقل بديع الزمان إلى أصفهان فانضم إلى حلبة شعراء الصاحب بن عباد، ثم يمم وجهه شطر جرجان فأقام في كنف أبي سعيد محمد بن منصور وخالط أسرة من أعيان جرجان (تعرف بالإسماعيلية) فأخذ من علمها الشيء الكثير، ثم ما فتئ أن نشب خلاف بينه وبين أبي سعيد الإسماعيلي فغادر جرجان إلى نيسابور، وكان ذلك سنة (٣٨٢هجرية/ ٩٩٢ميلادية)، واشتدت رغبته في الاتصال باللغوي الكبير والأديب الذائع الصيت أبي بكر الخوارزمي.

وترتب على تطور الشعر في تلك الحقبة نشأة صراع حاد بين أولئك المحدثين ، ومن تصدّى لهم من المحافظين فيما يسمى اصطلاحاً قضية عمود الشعر. أي: (الأصول التقليدية المرعية للقصيدة العربية) . وكان للغويين خاصة دور كبير في تمثيل تيار المحافظين ، وبخاصة في جانبي اللغة والصورة الفنية للقصيدة العربية. وقد تبدت مظاهر التطور الشعري في الأغراض والمعاني ، والوزن ، والقافية ، وبناء القصيدة ، واللّغة.

ومن أغراض الشعر في العصر العباسي حينما قام الشعر بدور فاعل في الدعوة إلى الجهاد، وتحميس الجيوش، ورفع الروح المعنوية للمقاتلين. ولعل الدعوة إلى الجهاد هي لب الشعر في هذه الفترة، والمنطلق الذي اتخذه الشعراء بابا لكل المعاني والأفكار التي عالجوها في شعرهم. وتتمثل الدعوة إلى الجهاد في مظاهر مختلفة، منها التذكير بحروب المسلمين السالفة وما أبلاه المجاهدون فيها من بلاء حسن، وكذلك في مدح القادة العظام الذين خاضوا المعارك ضد أعداء المسلمين آنذاك، وفي تثبيت المجاهدين ودعوتهم إلى الاستبسال في القتال، وفي حث الذين لم يشاركوا على المشاركة واغتنام الفرصة وكسب الأجر العظيم في الجهاد. ومن أغراض الشعر خلال هذه المرحلة وصف المعارك الحربية، وهذا الغرض أيضاً مما أبدع فيه شعراء ذلك العصر؛ فقد رسموا صوراً شعرية نابضة بالحركة والحياة للمعارك الفاصلة التي خاضها المسلمون ضد الصليبيين المعتدين. ونجد ذلك واضحاً في وصف المعارك الكبيرة كمعركة حطين ومعركة فتح بيت المقدس، وحصار عكا وأسر لويس التاسع في دمياط. وقد تبع وصف المعارك وصف أدوات القتال؛ فكانت القصائد التي تصف الخيل وأدوات الحصار والمعارك البحرية وغيرها، وكذلك وصف المعارك الفاصلة وتطاحن الجيوش ومنظر الأسرى ووصف الخطط الحربية ووسائل الدفاع والهجوم. لقد أدى هذا الشعر أدواراً عظيمة في هذا الشأن، مما سهل على الدارسين تصور طبيعة تلك المرحلة، بل ومعايشتها خطوة خطوة.

من مآثره النثرية:

مقامات (وهي أبرز ما خلفه بديع الزمان) طبقت شهرتها الآفاق، وقد كانت وما زالت منارة يهتدي بها من يريد التأليف في هذا الفن، فيمتع الناس بالقصص الطريفة والفكاهة البارعة، ويزود طلاب العلم بما يلزمهم من الدرر الثمينة في ميدان سحر الأسلوب، وغرابة اللفظ وسمو المعنى.



إحدى صفحات مقامات بديع الزمان الهمذاني

٤ - محمد بن صفي الدين الملقب بـ عماد الدين **الأصفهاني** (٥١٩ هـ - ١٣ رمضان ٥٩٧ هـ) مؤرخ وأديب وشاعر عاصر الدولة النورية والأيوبية ودون أحداثهما توفي في دمشق ٥٩٧ هـ.

مؤلفاته:

١ - البرق الشامي
٢ - خريدة القصر وجريدة اهل العصر
٣ - خطفة البارق وعطفة الشارق
٤ - ديوان الرسائل
٥ - ديوان شعر
٦ - الفتح القسي في الفتح القدسي (كتاب تأريخي)
٧ - نحلة الرحلة
٨ - العتبى والعقبى

حركة الترجمة في عهد الخليفة المأمون

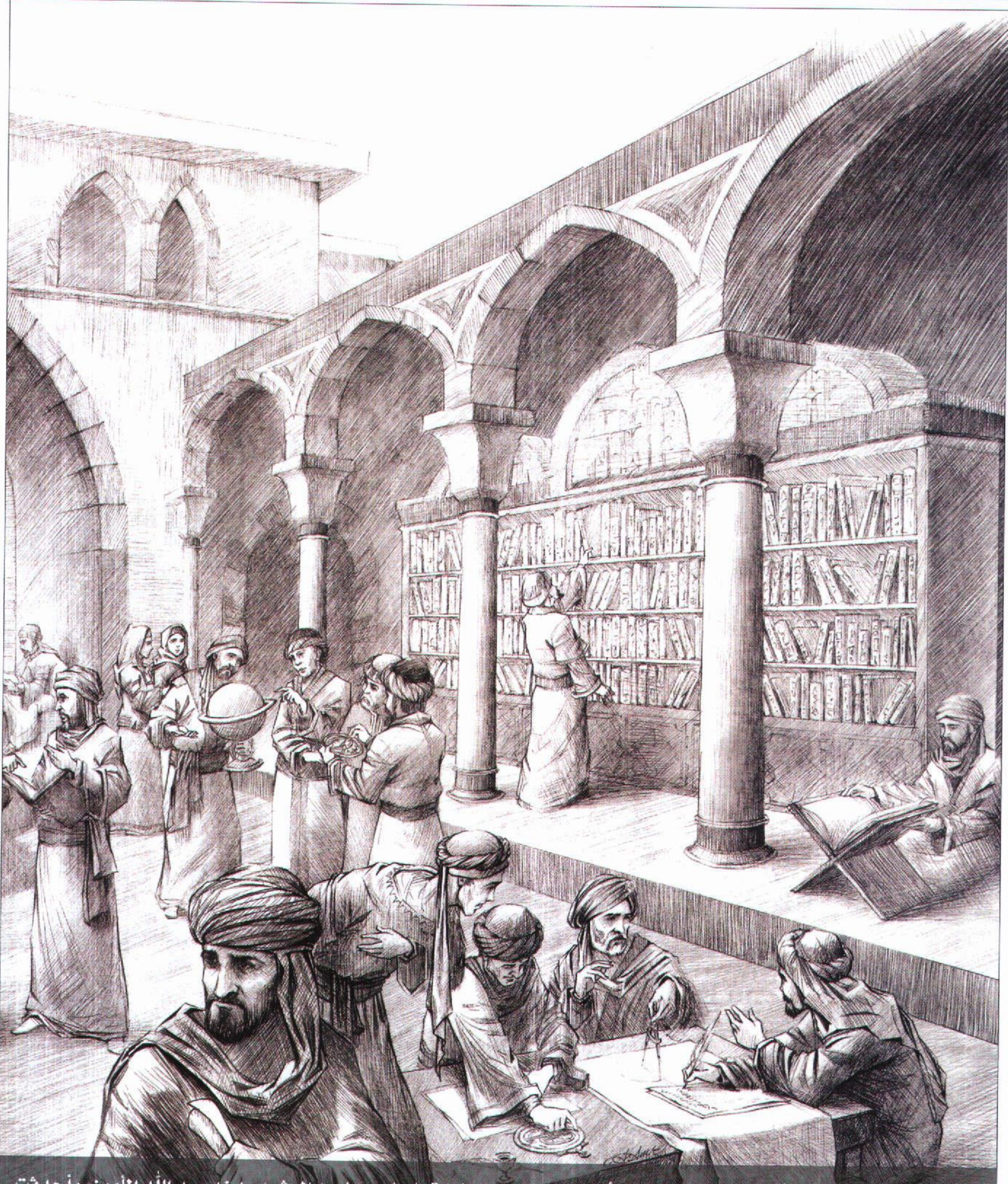
يعد أبو جعفر المنصور أول خليفة عباسي يقوم على رعاية حركة الترجمة – وهي التي بدأ أمرها كما رأينا في العصر الأموي «انظر كتابنا الموسوم أطلس تاريخ الدولة الأموية» – ويعمل على تشجيعها وتنشيطها بمختلف الوسائل والسبل، فترجمت في عهده المؤلفات المختلفة من مصادر عدة: يونانية وفارسية وهندية، وذلك لما عرف عنه من محبته للعلم وتقريبه للعلماء، وقد ترجم في زمن المنصور بعض كتب الفلك، ومن بين هذه الكتب: الكتاب الهندي في النجوم المعروف باسم " السند هند "، كما أنه أول خليفة ترجمت له كتب أرسطوطاليس في الفلسفة والمنطق، ومن المؤلفات التى ترجمت في عهده أيضاً كتاب " المجسطي " في الفلك لبطليموس وكتاب "أصول الهندسة" لأقليدس، وتزايد الوضع في عهد هارون الرشيد.

بيد أن حركة الترجمة في عهد **المأمون** قد بلغت ذروتها من حيث النشاط والدقة، وهذه المرحلة شهدت إقامة بيت الحكمة، وتُرجم خلالها عدد كبير من كتب أبقراط وجالينوس وأرسطو وبعض كتب أفلاطون، الأمر الذي يمكن معه أن يطلق على هذا القرن اسم (قرن الترجمة)، وذلك بسبب التحولات الجذرية التي شهدها، ولعل أهم ما يميز تلك المرحلة من تاريخ الترجمة أن الحصول على كتب الأوائل بأنواعها أصبح مطلباً ثقافياً عاماً، وأن البحث عنها في بلاد الروم واستدعاء التراجمة لها، وإجزال العطاء لهم، كان ضرورياً، وفي هذا الدور تقاطر إلى **بغداد** المترجمون من أنحاء العراق والشام وفارس، وكثر في بغداد الوراقون وباعة الكتب، وتعددت مجالس العلم والمناظرة، وأصبح هَمُّ الناس البحث والدرس، وظلت تلك النهضة بعد المأمون حتى نقلت أهم كتب القدماء إلى اللغة العربية [١].

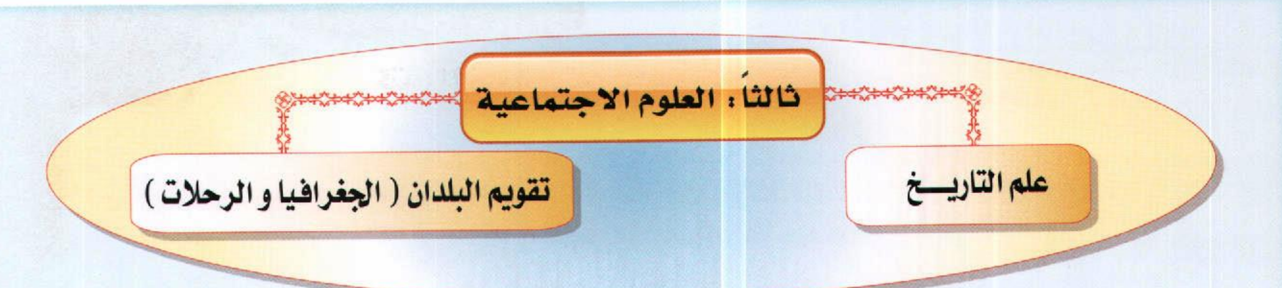
ومن أبرز علماء بغداد في تلك الفترة ثابت بن قُرة الذي كانت له شهرة في علوم متعددة كالفلك والطب والرياضيات والفلسفة، وترجم كتباً عديدة في كل هذه العلوم لمقدرته على إجادة اللغات الثلاثة: اليونانية والسريانية والعربية، وألَّف في العربية مائة وخمسين كتاباً في المنطق والرياضيات والفلك والطب، وخير شاهد على هذا العصر هو "بيت الحكمة" إحدى حلقات الاتصال بين العرب والسريان، ويرى بعض الناس الذي أنشأه هو الخليفة هارون الرشيد، بينما يرى بعضهم الآخر أن الخليفة المأمون هو الذي أمر بإنشائه، فعلى سبيل المثال: يذكر د. جورج قنواتي: أن المأمون أنشأ دار الحكمة أو بيت الحكمة في بغداد، وكان في ذلك مقلداً لأكاديمية جنديسابور القديمة وكانت دار الحكمة تضم شراحاً ونقلة أي مترجمين يجيدون اللغات اليونانية والسريانية والفارسية فضلاً عن العربية، وكان المأمون يرسل وفوداً من علماء حاشيته إلى القسطنطينية للحصول على مخطوطات من هناك، كما أنه كان يوجد قسم للتجليد ثم توزع الكتب حسب لغتها وعلمها، وكان كل قسم تحت رئاسة مسئول [٢].

---

١ – ٢ ، د . أحمد محمد على الجمل، أثر جهود السريان في الحضارة العربية الإسلامية : كلية اللغات والترجمة . جامعة الأزهر،



بيت الحكمة في بغداد هي أول جامعة في التاريخ أنشئت في عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد وابنه عبد الله المأمون، وأحدثت نقلة نوعية في الترجمة تمهيداً للعصر الذهبي الإسلامي في العصور العباسية، لذلك يعد فخراً للحضارة الإسلامية التي أنشأت أول جامعة وكانت تضم مساكن للطلاب والمعلمين وساحة جامعية بالإضافة إلى مطعم لتزويد رواد الجامعة بالغذاء.



التاريخ والتوريخ لغة: الوقت. تقول: أرخ الكتاب بيوم كذا، و"ورخه" بمعنى واحد) فالتاريخ يعني (الوقت)، يقول خليفة بن خياط: "وبالتاريخ عرف الناس أمر حجهم وصومهم وانقضاء عدد نسائهم ومحل ديونهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ (البقرة: ١٨٩).

ومع بداية القرن الثاني الهجري اهتم بعض علماء المسلمين بكتابة التاريخ الإسلامي معتمدين على أهم مصادره، وهي القرآن الكريم والأحاديث النبوية وما يروى من الشعر الذي سجل بعض الأحداث المهمة، وقد نتجت عن ذلك كتب في السيرة والمغازي لمحمد بن إسحاق ت ١٥١ هـ، وقد ألفه من مجموع الأحاديث والأخبار التي سمعها في المدينة وفي مصر.

ويستطيع المتتبع لنشأة التدوين التاريخي عند العرب المسلمين منذ منتصف القرن الثاني الهجري، بداية شيوع كلمة (التاريخ) كعناوين لمصنفات كتبها إخباريون أو مؤرخون فيما بعد، فلعوانة بن الحكم (ت: ١٤٧ هـ) كتاب اسمه: (كتابة التاريخ) .. و(التاريخ على السنين)، كان عنواناً لكتاب ألفه الهيثم ابن عدي (ت: ٢٠٧ هـ) .. وكتاب (التاريخ الكبير) للواقدي (ت: ٢٠٧) .. وكتاب (التاريخ) لخليفة بن خياط (ت: ٢٤٠ هـ) .. إلخ. والهيثم بن عدي (ت: ٢٠٧ هـ) الذي ألف كتاباً (في التاريخ على السنين) ولم يصلنا، ألف إلى جانبه كتابين هما: (أخبار الحسن ووفاته)، وكتاب (أخبار الفرس).

كما كتب المدائني (ت: ٢٢٥) (كتاب أخبار أبي طالب)، و(كتاب خبر الحكم بن أبي العاص)، وكتاب (أخبار الشعراء)، و(خبر الجسر)، و(خبر القادسية)، إلى جانب (كتاب تاريخ أعمار الخلفاء)، و(كتاب تاريخ الخلفاء). فلعوانة بن الحكم (ت: ١٤٧ هـ) (كتاب سيرة معاوية وبني أمية) ولهشام بن الكلبي (ت: ٢٠٦ هـ) كتب هي: "كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة، كتاب حلف الفضول، كتاب ملوك اليمن من التبابعة، (كتاب اليمن). وللواقدي (ت: ٢٠٧ هـ) كتاب أخبار مكة، كتاب فتوح الشام، كتاب فتوح العراق" إلخ.

طبقات الإخباريين

دفع اهتمامُ المسلمين بأقوال الرسول عليه السلام وأفعاله -للاهتداء بها، والاعتماد عليها في التشريع الإسلامي والنظم الإدارية- مما أدى إلى بروز عدد من أشهر الإخباريين:

الطبقة الأولى: عروة بن الزبير و أبان بن عثمان بن عفان.

الطبقة الثانية: محمد بن شهاب الزُّهري.

الطبقة الثالثة: محمد بن إسحاق، وعوانة بن الحكم الكلبي، وسيف بن عمر التميمي الكوفي، والمدائني الذي يُعَدُّ من أهمّ الإخباريين؛ وذلك لاعتماده على الإسناد أكثر من غيره، واتِّباعه أسلوب المُحَدِّثينَ في نقد الروايات وتمحيصها وتنظيمها.



شهد التدوين التاريخي في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة النبوية نقلة نوعية، ويعود ذلك إلى سعة المفهوم التاريخي عند العلماء المسلمين.

– أن السيرة النبوية قد لقيت عناية فائقة في التدوين والتأليف وفي النقد والتحقيق على يد علماء الحديث النبوي زيادة على اهتمام المؤرخين بها بشكل مستقل أو ضمن مؤلفاتهم في التاريخ العام، وأنها قد وصلتنا ولله الحمد، من طرق مأمونة ولم يتفرد الإخباريون والمتكلم في عدالتهم بنقلها.

– عرض مناهج مجموعة من المؤرخين المسلمين، وقد اتضح أن مناهجهم في التأليف متعددة الصور، فيها سلبيات وإيجابيات وهم ليسوا سواء في التدقيق والثقة وإيضاح المصادر، فإن منهم من التزم بالإسناد بصفة عامة مثل: خليفة بن خياط وأبي عبيد وابن شيبة والبلاذري وأبي زرعة وابن عبد الحكم والطبري. ومنهم من ذكر الأسانيد لكنه يجمعها مرة ويفردها مرة مثل: ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، ومنهم من ترك الأسانيد بالكلية واكتفى بإيضاح بعض المصادر؛ إما في المقدمة أو في أثناء الكتاب، مثل: الدينوري واليعقوبي.

– ولقد شارك في تدوين أخبار التاريخ الإسلامي ورواياتها مجموعة من الرواة والإخباريين والمؤرخين، الضعفاء أو المتهمين والمطعون في عدالتهم من أتباع الفرق الضالة كالشيعة والخوارج والشعوبية والزنادقة، لذا فإنه لا بد من معرفة عقائد الرواة وأقوال علماء الجرح والتعديل فيهم مع التدقيق في الكتب والمرويات التي تأتي عن طريقهم. موقع الدرر السنية، إشراف علوي بن عبد القادر السقاف.

أبرز المؤرخين في العصر العباسي

اسم المؤرخ	الولادة والوفاة	من آثاره العلمية
ابن خياط: هو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري الأخباري. يلقب بـ "شباب" والعصفري نسبة إلى العصفر حيث كان يتاجر به، وهو أحد شيوخ الإمام البخاري.	توفي ابن خياط على الأرجح عام ٢٤٠ هـ.	يعد كتابه التاريخ (تاريخ خليفة بن خياط) الموجود الآن برواية بقي بن مخلد واحداً من أهم كتب التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية والفتوح على الرغم من صغر حجمه، وقد قام بتحقيقه المؤرخ العراقي د. أكرم ضياء العمري.
البلاذري: هو أبو الحسن، وقيل أبو بكر، أحمد ابن يحيى بن جابر البلاذري مؤرخ وراوية نسابة وشاعر، انتقل بين سوريا والعراق. وعمل في بلاط الخلفاء العباسيين.	توفي البلاذري عام ٢٧٩ هـ.	١. كتاب فتوح البلدان، وهو من أميز الكتب التي تناولت الفتوحات. ٢. كتاب أنساب الأشراف. ٣. كتاب البلدان الصغير. ٤. كتاب البلدان الكبير.
الدينوري: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.	ولد الدينوري ٢١٣هـ وتوفي في رجب ٢٧٦ هـ.	كتاب المعارف وعيون الأخبار؛ قال عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان: «كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه وأبي حاتم السجستاني ... وتصانيفه كلها مفيدة».
الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الشهير بالإمام الطبري، شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين.	ولد في آمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ، وتوفي سنة ٣١٠ هـ.	تفسير الطبري. المسمى بجامع البيان عن تأويل آي القرآن. تأريخ الطبري (تأريخ الأمم والملوك). كتاب آداب النفس الجيدة والأخلاق النفيسة. اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام. صريح السُّنَّة (يوضح فيه مذهبه وعقيدته). الفصل بين القراءات. آداب القضاة. آداب النفوس. آداب المناسك. تهذيب الآثار. فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
الجهشياري: هو أبو عبد الله، محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي الجهشياري، مؤرخ، من الكتاب المترسلين، من أهل الكوفة. نشأ مع أبيه في بغداد. وكان أبوه حاجباً للوزير علي بن عيسى.	توفي الجهشياري عام ٢٣١ هـ.	له كتاب (الوزراء والكتاب) وهو أول كتاب ألف في هذا الفن.
ابن مسكويه: هو أحمد بن يعقوب، أبو علي الملقب بمسكويه ويطلق عليه اسم أبي علي الخازن، أو صاحب تجارب الأمم.	توفي ابن مسكويه عام ٤٢١ هـ.	صاحب كتاب (تجارب الأمم) وهو لايكتفي فيه بذكر الحوادث بل يهتم بالشؤون الاجتماعية والأحوال الاقتصادية، وبذلك نقل الدراسة التأريخية من سرد الحوادث فقط إلى معالجة الشؤون الاجتماعية والاقتصادية.
البغدادي: العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ.	ولد سنة ٣٩٢ هـ وتوفي البغدادي عام ٤٦٣ هـ.	يعد كتابه تاريخ بغداد الذي جمع فيه ترجمة العلماء الذين عاشوا فيها حتى أواسط القرن الخامس الهجري من أميز مؤلفاته. قام العديد من الكتاب بعده باقتفاء أثره وتأليف كتب مشابهة لهذا الكتاب؛ ككتاب تاريخ دمشق لابن عساكر وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم.
ابن الجوزي: هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري. فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ومتكلم.	ولد سنة ٥١٠ هـ وتوفي ابن الجوزي عام ٥٩٢ هـ.	تميز ابن الجوزي بغزارة إنتاجه وكثرة مصنفاته التي بلغت نحو ثلاثمائة مصنف شملت الكثير من العلوم والفنون، فهو أحد العلماء المكثرين في التصنيف في التفسير والحديث والتاريخ واللغة والطب والفقه والمواعظ وغيرها من العلوم.
ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بـ ابن الأثير الجزري، مؤرخ إسلامي كبير، عاصر الدولة الأيوبية، ورصد أحداثها.	ولد سنة ٥٥٥ هـ وتوفي ابن الأثير عام ٦٣٠ هـ.	الكامل في التاريخ، وهو في التاريخ العام. التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، وهو في تاريخ الدول، ويقصد بالدولة الأتابكية. أُسد الغابة في معرفة الصحابة، وهو في تراجم الصحابة. اللباب في تهذيب الأنساب. وبذلك يكون ابن الأثير قد كتب في أربعة أنواع من الكتابة التاريخية.

اقتباس من مقدمة كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري ت. ٢٧٦ هـ

"وسينتهي بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة وما روي عن الأشراف والأئمة فيهما، فإذا مر بك أيها المتزمت حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فاعرف المذهب فيه وما أردنا به. واعلم أنك إن كنت مستغنياً عنه بتنسكك فإن غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج إليه، وإن الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيُهيأ على ظاهر محبتك، ولو وقع فيه توقي المتزمتين لذهب شطر بهائه وشطر مائه ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل إليه معك. وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين.

"وإذا مر بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع على أن تصعر خدك وتعرض بوجهك، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المآثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب ... فتفهم الأمرين وافرق بين الجنسين.

"ولم أترخص لك في إرسال اللسان بالرفث على أن تجعله هجيراك على كل حال وديدنك في كل مقال، بل الترخص مني فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض، وأحببت أن تجري في القليل من هذا على عادة السلف الصالح في إرسال النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع. ولا تشعر أن القوم قارفوا وتنزهت وثلموا أديانهم وتورعت.

"وكذلك اللحن إن مر بك في حديث من النوادر فلا يذهبن عليك أنا تعمدناه وأردنا منك أن تتعمده، لأن الإعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه وشاطر النادرة حلاوتها ... ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وفيت بالإعراب والهمز حقوقها لذهبت طلاوتها ولاستبشعها سامعها وكان أحسن أحوالها أن يكافئ لطف معناها ثقل ألفاظها".

أبو محمد الحسن الهمداني عالم اليمن

هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان الأرحبي البكيلي الهمداني، ويستدل من مواليد صنعاء يوم الأربعاء ١٩ صفر سنة ٢٨٠هـ الموافق ١٠ مايو ٨٩٣م.

اشتهر الهمداني (عالم اليمن) بالعديد من المؤلفات التي ما زال الكثير منها مجهولاً نذكر منها :

١ - كتاب "الجوهرتين العتيقتين" : في الكيمياء، حيث لم يهتم الهمداني بتحويل النحاس إلى ذهب، كما كان شائعاً في عصره، بل درس المعادن المعروفة في عصره وخواصها وطرق تنقيتها واستعمالاتها الصناعية والطبية. وأهم ما يميز الهمداني في هذا الكتاب اعتماده على المنهج التجريبي.

٢ - كتاب صفة جزيرة العرب؛ حيث قدم أدلة على كروية الأرض.

٣ - كتاب الإكليل للهمداني؛ يروي فيه أخبار العرب والأمم السابقة.

٤ - كتاب سرائر الحكمة.

٥ - كتاب الإبل، عن الحيوان.

٦ - كتاب أخبار الأوفياء.

٧ - كتاب أسماء الشهور والأيام.

٨ - كتاب الأيام.

٩ - الأنساب (يعتقد بأنه أحد أجزاء الإكليل).

١٠ - كتاب الحرث والحيلة، ذكره في مقدمة الجوهرتين.

١١ - زيج الهمداني (جداول جغرافية)، في مكتبة الأمبروزيانا في إيطاليا.

١٢ - المطالع والمطارح، في علوم النحو.

١٣ - عجائب اليمن (جزء في الصفة).

١٤ - القوى في الطب.

١٥ - المسالك والممالك.

١٦ - اليعسوب (في فقه الصيد).

١٧ - الدامغة وشرح الدامغة ؛ قصيدة في الانتصار للقحطانية، أثارت اهتماماً بالغاً بين الطوائف الدينية وعجلت من سجنه عشرة أيام،

من علماء اليمن في العصر العباسي

اقتباس من مقدمة كتاب « تاريخ الطبري » لابن جرير الطبري ت. ٣١٠هـ

" الحمد لله الأول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر والدائم بلا زوال والقائم على كل شيء بغير انتقال والخالق خلقه من غير أصلٍ ولا مثال فهو الفردُ الواحد من غير عدد وهو الباقي بعد كل أحد إلى غير نهاية ولا أمد. له الكبرياءُ والعظمة والبهاء والعزة والسلطان والقدرة تعالى عن أن يكون له شريك في سلطانه أو في وحدانيته نديد أو في تدبيره مُعين أو ظهير أو أن يكون له ولد أو صاحبة أو كُفء أحد لا تحيط به الأوهام ولا تحويه الأقطار ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير... .

قال أبو جعفر: وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان من لدن ابتدأ ربنا جلّ جلاله خلق خلقه إلى حال فنائهم من انتهى إلينا خبره ممن ابتدأه الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمه من رسول له مرسل أو ملك مسلط أو خليفة مستخلف فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه في العاجل نعماً وإلى ما تفضل به عليه فضلاً ومن أخر ذلك له منهم وجعله له عنده ذخراً... .

وليعلم الناظر في كتابنا هذا أنّ اعتمادي في كلّ ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويتُ من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أبناء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس.

فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أُتي من قبل بعض ناقليه إلينا وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا..

تقويم البلدان (الجغرافيا و الرحلات)

تتكوَّن كلمة **(جغرافيا)** وهي يونانية الأصل من مقطعين هما: جيو (Geo) بمعنى: "أرض".. و: غرافيا (Grophia) التي تعني: "وصف".. ومن ثم جاء التعريف الاصطلاحي لعلم الجغرافيا معبراً عن مقتضيات "وصف الأرض"؛ فهو: "علم يُتَعَرَّفُ منه أحوال الأقاليم (القارات) السبع الواقعة في الربع المسكون من كرة الأرض، و**عروض البلدان** الواقعة فيها، وأطوالها وعدد مدنها وجبالها وبراريها وبحارها وأنهارها... إلى غير ذلك من أحوال الربع المعمور".

وتُعَدُّ كلمة الجغرافيا حديثة بعض الشيء في الاستخدام العربي؛ حيث كان العرب والمسلمون يستعملون بدلاً منها مصطلحات مثل: صورة الأرض، أو قطع الأرض، أو خريطة العالم والأقاليم، أو علم المسالك والممالك، أو علم تقويم البلدان أو علم الطرق.

وفي العصر العباسي زاد اهتمام المسلمين بعلم الجغرافيا نظراً لمتطلبات الكثير من الأمور الشرعية لها ولحبهم للرحلات، وعشق الأسفار، فجابوا الآفاق وطلبوا العلم على العلماء في البلاد البعيدة، وشدّوا الرحال إلى بيت المقدس والبيت الحرام، وتفوّقوا في الوصف، وقوّة الملاحظة، وبلغوا ما لم يبلغ غيرهم من الرحّالين، كما تحدّثوا عن الجغرافيا البشريّة، وما تتضمنه من أحوال السكان، والمدن والملوك والحكّام، والمشاهير، وتُعَدُّ الجغرافيا الوصفيّة والبشريّة والفلكيّة من أهم المنجزات التي قدّمتها العقلية العربيّة إلى الحضارة الإنسانيّة خلال هذه الفترة.

أول معجم جغرافي باللغة العربية: يُعد أبو عبيد عبد الله البكري، أكبر جغرافي أنجبته الأندلس، فقد ألّف في علم الجغرافية كتاب (معجم ما استعجم) الذي يعد أوّل معجم جغرافي عربي وصل إلينا أورد فيه جملة مما ورد في الحديث والأخبار، والتواريخ والأشعار، من المنازل والديار، والقرى والأمصار، والجبال والآثار، والمياه والآبار، والدارات والحرار، منسوبة محدودة، ومبوّبة على حروف المعجم مقيّدة؛ أما كتابه الثاني فهو (المسالك والممالك)، وكتابه الثالث (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب).

يُعد كتاب (صور الأقاليم) للجغرافي البلخي **أول أطلس جغرافي** في هذا الفن، وصنف أبو القاسم بن خرداذبة أوّل دليل سفر، عندما وصف في كتابه (المسالك والممالك) الطريق البحري من مصب دجلة في الخليج العربي حتى موانئ الصين. محمد علي شاهين، علم الجغرافية والاكتشافات المبكّرة عند المسلمين، موقع حضارة الإسلام

أول خارطة حائطية

تحدّث الرحّالة العرب عن خريطة المأمون، أو رسم الأرض، ورغم أنهم حفظوا لنا مجموعة من الحقائق عنها، فلا يزال هناك غموض كثير يكتنف طبيعة الأسس التي رسمت عليها، ومنهم المسعودي الذي رآها، حيث يقول: ورأيت هذه الأقاليم مصوّرة في غير كتاب بأنواع الأصباغ، وأحسن ما رأيت من ذلك في كتاب جغرافيا لمارينوس، وتفسير جغرافيا قطع الأرض، وفي الصورة المأمونيّة التي عملت للمأمون، واجتمع على صنعها عدّة من حكماء أهل عصره، صور فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك، وهي أحسن مما تقدّمها من جغرافية بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرهما.

وحظي علم الخرائط عند المسلمين بأهميّة بالغة، فرسموا الخرائط البحريّة، التي استخدمها البحارة الأوروبيّون على نطاق واسع لتحديد موقعهم بالنسبة للموانئ والجزر البحريّة، وحساب المسافات التي تفصلهم عنها، وكان رائد هذا الفن، أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي، الذي وضع بعد رحلة طويلة طاف خلالها الأندلس، وآسيا الصغرى، والقسطنطينيّة، ومصر، وشمال إفريقية، وسواحل فرنسا، وإنجلترا، للملك النورمندي (روجر الثاني) بجزيرة صقلية، أقدم خارطة حائطيّة للعالم المعمّر آنذاك، حدّد فيها التضاريس الجغرافيّة، ومواقع المدن، والبحار والأنهار، وكان من إعجاب الملك بها أنّه أمر بحفر هذه الخريطة على لوح من الفضة، تحت إشراف الإدريسي، فجاءت في غاية الدقة والإتقان.

من مشاهير الجغرافيين والرحالة المسلمين في العصر العباسي

١ - أبو القاسم عبدالله بن **خرداذبه** الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري: وهو صاحب كتاب (المسالك والممالك) ، وفيه معلومات مهمة عن نظم الحكم والنظم المالية، ويعد دليلاً مهماً للطريق البحري الذي يبدأ من مصب نهر دجلة إلى الهند والصين عن طريق الخليج العربي.

٢ - أبو العباس أحمد **اليعقوبي** ت ٢٨٢هـ: صاحب كتاب (البلدان) ، وقد دون فيه نتائج رحلاته الطويلة في أرمينيا وإيران والهند ومصر وبلاد المغرب.

٣ - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد **الإصطخري**: عاش في القرن الرابع الهجري صاحب كتاب (الأقاليم) الذي وضحه بالخرائط، وكتاب(المسالك والممالك) ويحتوي على وصف دقيق لكل جزء من أجزاء العالم الإسلامي، وأشهر مدنه وأقاليمه.

٤ - أبو محمد الحسن بن أحمد **الهمداني** ت٣٣٤هـ: وقد ألف كتابه: (صفة جزيرة العرب) ، وكتاب "الإكليل" .

٥ - محمد أبو القاسم بن حوقل (ولد في نصيبين) كاتب وجغرافي ومؤرخ مسلم ت ٣٦٧ هـ. ذرع دار الإسلام من الهند إلى الأندلس ودخل بلاد البلغار، واستخلص منه مشاهداته عبر مجموعة من الخرائط وضعها في كتابه (صورة الأرض) .

٦ - أبو عبدالله محمد بن أحمد **المقدسي** ت ٣٨٧هـ، يعد من أهم الجغرافيين والرحالة في القرن الرابع الهجري، وكتابه: (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) له قيمة كبيرة من الناحيتين الجغرافية والتأريخية.

٧ - أبو الحسن **المسعودي**: صاحب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) الذي وصل برحلته إلى الصين، وإلى سواحل إفريقيا الشرقيّة، وتقصّى فيها مصادر الاطّلاع بالوصف والتعليل.

٨- أبو الريحان **البيروني** صاحب (الآثار الباقية من القرون الخالية) الذي وصف الهند وصفاً دقيقاً.

٩ - أبو عبيد عبد الله بن عبدالعزيز **البكري الأندلسي** ت ٤٨٧هـ: صاحب كتاب: (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) .

١٠ - الرحّالة المراكشي الحسن بن محمد **الوزاني** الشهير بجان ليون الإفريقي، الذي وصف إفريقيا وصفاً دقيقاً في كتابه (وصف إفريقيا) .

١١ - الرحّالة **أبو دلف الخزرجي**: الذي وصف بلاد تركستان والصين والتبت والهند وسجستان.

١٢ - الرحّالة **ابن جبير الأندلسي**: الذي رحل إلى المشرق ثلاث رحلات، استغرقت إحداها ثلاث سنوات.

العالم الخرائطي الشريف الإدريسي ت ٥٥٩ هـ

هو محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي، ولد في مدينة (سبتة) بالمغرب سنة ٤٩٣هـ، ونشأ محباً للعلم، اتصل الإدريسي بالملك (روجر الثاني) ملك صقلية، وكانت صقلية لا تزال تزدهر فيها الثقافة الإسلامية على الرغم من استيلاء النورمانديين عليها من المسلمين؛ فطلب من الإدريسي أن يرسم له **خريطة للعالم**، فاختار الرجال، ودربهم على دقة المشاهدة ليصوروا ما يشاهدونه برسومهم ويزودوه بمعلومات جغرافية عن البلاد التي سينزلون بها، وحين اطمأن إلى قدرتهم على إنجاز مهمته أرسلهم إلى بلادٍ كثيرة، وكان الإدريسي يدون المعلومات التي تصل إليه منهم، ويعيد صياغتها. ثم جمع الإدريسي كل ما وصل إليه في كتاب سماه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، وقد احتوى الكتاب على كثير من المعلومات الخاصة بغرب أوروبا، وقد اشتهر هذا الكتاب بين علماء الشرق والغرب خاصة المشتغلين بالجغرافيا، واستغرق إخراج هذا الكتاب خمسة عشر عاماً.

وبعد الانتهاء من تأليفه، أهداه إلى صديقه الملك روجر سنة ١١٥٤م الذي أعجب به، وكافأه عليه، ثم قام برسم خريطة للعالم حسب طلب الملك (روجر) على لوح مستطيل من الفضة؛ حيث اشتملت على عدد كبير من الأسماء، ثم طلب منه أن يصنع له كرة توضح شكل الكرة الأرضية، فأمر الإدريسي أن تفرغ له من الفضة الخالصة دائرة مفصلة عظيمة الحجم في وزن ٤٠٠ رطل، فلما كملت أمر العمال أن ينقشوا عليها صور الأقاليم ببلادها، وأقطارها وريفها وخلجانها وبحارها ومواقع أنهارها وعامرها والطرق والمسافات بين البلاد والمراسي، لا يتركون شيئًا، ويأتون به على هيئته وشكله، فصنع بذلك **أول مجسم لكرة أرضية** دقيقة عُرفت في التاريخ على هذا الشكل، ولكن مع الأسف تعرضت للضياع. وقد اهتمت الدول المختلفة بنقل المعلومات التي كتبها الإدريسي عنها ودرسوها، فكان الإدريسي بذلك أعظم جغرافي آنذاك، وحصل على تلك المكانة بفضل ملكاته المتازة في رسم الخرائط، ويُعَدُّ أطلسه أهم أثر للخرائط التي رُسِمَتْ في العصور الوسطي، وقد استطاع (كونراد ميلر) أن يستخرج من أطلس خرائط الإدريسي خريطة جامعة للعالم، وطبعت سنة ١٩٣٨م ملونة، وفي ١٩٥١م طُبِعَت باللغة العربية، وظل الاعتماد على خرائطه في أوروبا حتى القرن السادس عشر الميلادي.

ولم يكن الإدريسي بارعاً في الجغرافيا وحدها بل برع أيضاً في النبات وبخاصة الأعشاب الطبية، وألف فيه كتابه (الجامع لصفات أشتات النبات) ولم يَبْقَ من آثار الإدريسي **إلا كتابه وأطلس خرائطه**، ويعد الإدريسي أول جغرافي متخصص في هذا العلم، فقد فاق (بطليموس) العالم اليوناني القديم الذي كان يدرس الرياضيات والفلك، فكان اهتمامه بالجغرافيا لهذا السبب، أما الإدريسي فلم يهتم إلا بالجغرافيا



خارطـــــة الشـــــريف الإدريســـــي ت ٥٥٩ هـ

فقط، فجعلها علماً مثل باقي العلوم، ومن إسهاماته في هذا المجال أنه أكد خطوط الطول والعرض لتحديد المكان والمسافة، وقال بكروية الأرض، وترك عددًا من الخرائط لمنابع نهر النيل والبحار وأقاليم العالم القديم.

العالم الموسوعي ياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ

هـو شهـاب الدين أبو عبد الله ياقـوت بن عبد الله **الحموي**[١] (٥٧٤ - ٦٢٦ هـ) أديب ومؤلف موسوعات وخطّاط مـن أصل رومي اشتغل بالعلـم وأكثر من دراسة الأدب، وقد سمى نفسه (عبد الرحمن). وأهم مؤلفات ياقوت الحموي كتابهُ المعروف **(معجم البلدان)** الذي ترجم وطبع عدة مرات.

والحمـوي رحالـة جغرافـي، وأديـب وشاعر، وخطـاط ولغوي، ولد فـي مدينـة حماة عام ٥٧٤هـ / ١١٧٨م، ويلقب بالحموي نسبة لمدينته حماة، وقد أسر الروم والدهُ في غارة لهم على مدينة حماة، ولم يستطع الحمدانيون فداءه مثل غـيره من العرب فبقي أسيراً بها وتزوج من فتاة رومية فقيرة أنجبت "ياقوتاً" ولهذا لقب بالرومي. انتقل ياقوت كثيراً بين البلدان في صغره، وكان واليه التاجر عسكر بن أبي نصر البغدادي، وعاملهُ عسكر معاملة الابن، وقد حفظ القرآن الكـريم فــي مسجـد متواضع هو المسجد الزيـدي بدرب دينــار الصغير على يد مقـرئ جيد، وتعلم القـراءة والكتابة والحساب، وحين أتقن ياقوت القراءة والكتابة راح يتردد على مكتبة مسجد الزيدي يقرأ بها الكتب، وكان إمام الجامع يشجعه ويعيره الكتب ليقرأها.

سافر معه إلى عدة بلاد، وكانت أولى أسفاره إلى جزيرة قيس في جنوبي الخليج العربي، وكانت جزيرة شهيرة في وقتهـا بالتجـارة. وتوالت أسفـار ياقوت إلى بلاد فارس وجميـع أرجاء الشام والجزيرة العربيـة ومصر، وحين اطمأن عسكـر لخبرتـه بالتجارة، وكان ياقوت يسافر بمفـرده، وكان في أثناء رحلاته يدون ملاحظاتـه الخاصة عن الأماكن والبلدان والمساجد والقصور والآثار القديمة والحديثة والحكايات والأساطير والغرائب والطرائف.

فـي عـام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م ترك ياقـوت الحموي تجارة عسكر وفتح دكاناً متواضعاً بحـي الكرخ في بغداد ينسخ فيه الكتـب لمـن يقصده مـن طلاب العلم، وجعل جـدران الدكان رفوفاً يضع بها مـا لديه من الكتـب. وكان في الليل يفرغ للقـراءة، وأدرك ياقـوت أهمية التمكن من اللغة والأدب والتاريـخ والشعر فنظم لنفسهِ أوقاتاً لدراسة اللغة على يد ابن يعيش النحوي، والأدب على يد الأديب اللغوي العُكْبُري.

واستفاد ياقوت في حلب من الاهتمام والترحيب في رعاية واليها الوزير والعالم المؤرخ الطبيب جمال الدين القفطي الـذي رحب به في مدينة حلب، وجعـل له راتباً من بيت المال، وقد كان ياقوت معجباً بالوالي لعلمه وقد شجعة وأكرمه، وقضــى ياقـوت في حلب خمس سنوات أنهى فيها الكتابة الأولى لمعجم البلـدان، وكان قد بلغ من العمر خمسة وأربعين عامـاً. ويروى أن سبـب تأليف ياقوت لهذا المعجم أن سائلاً قد سأله عن موضع سـوق حُباشة (بالضم)، ولكنه نطقها بالفتـح وأصـر على صحة نطقه، وتحقق ياقوت من صحة نطق الاسم فتأكـد من صواب نطقه هو للاسم فقرر أن يضع معجماً للبلدان.

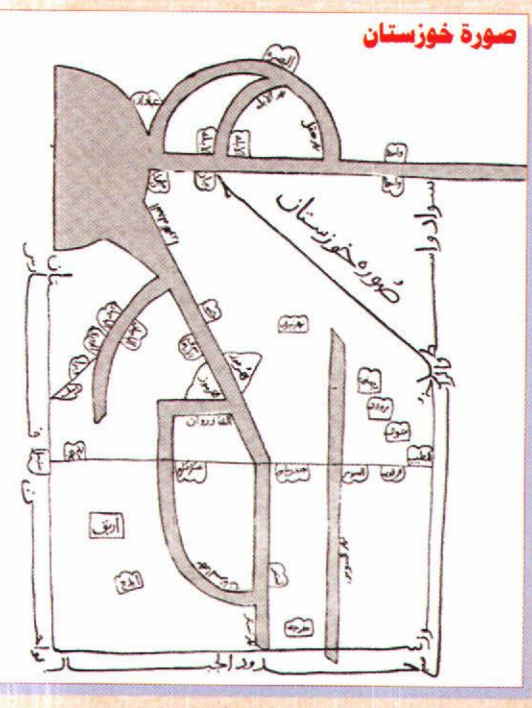
عاود ياقوت السفر مرة أخرى إلى أنحاء سورية والبلدان المجاورة، وكان يودع دائماً المعلومات الجديدة التي يجمعها فــي معجمهِ فظل يصحح فيه ويضبطه إلى أن حـان أجله عام ٦٢٣هـ/١٢٢٥م، وقد طلب من صديقه المؤرخ ابن الأثير أن يضع نسخة من كتابهِ في الجامع الذي شهد أولى مراحله التعليمية. وفي حلب طلب القفطي منه أَن يختصر المعجم لكنه كان له رأي آخر لاعتقاده أن الاختصار يشوه الكتب ويفقدها الكثير من قيمتها العلمية.

---

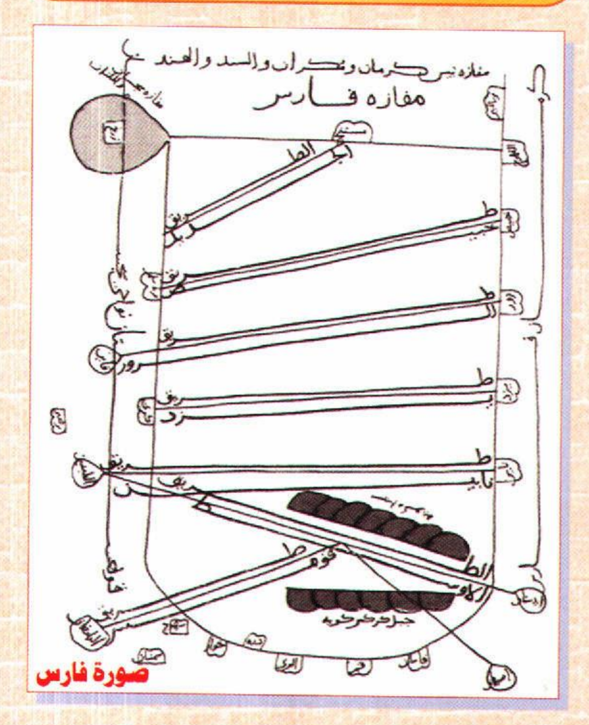
١ - مكتبة العرب، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.

مصورات إيران في التراث الجغرافي الإسلامي لابن حوقل النصيبي المتوفى سنة ٣٦٧ هـ.

صورة خوزستان

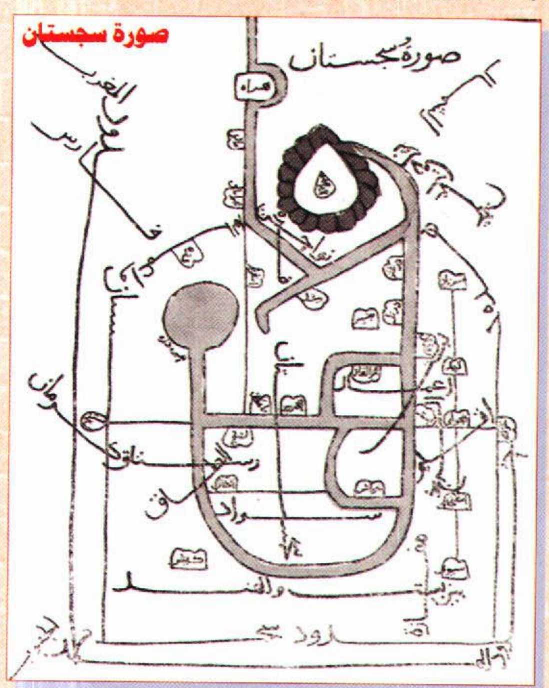


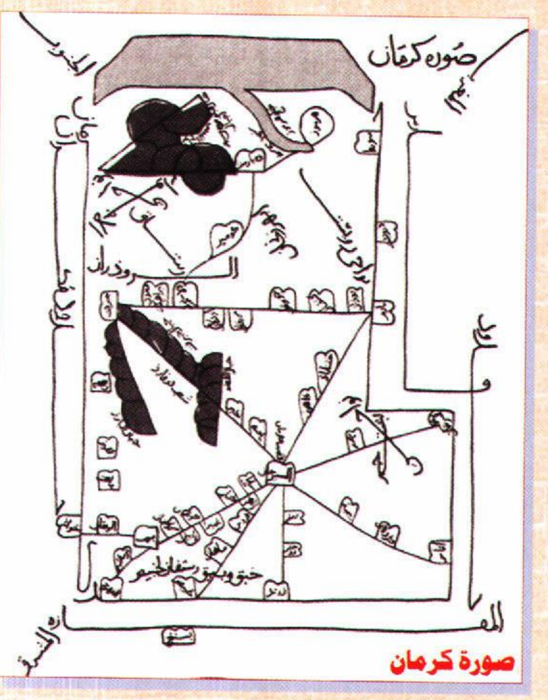
« ... ولأن الغرض في كتابي هذا تصوير هذه الأقاليم التي لم يذكرها أحدٌ علمتُه ممن شاهدها. فأمّا ذكر مدنها وجبالها وأنهارها وبحارها والمسافات فيها، وبعض ما أنا ذاكره فقد يوجد في الأخبار متفرّقاً، ولا يتعذّر على من أراد تقصّي شيء من ذلك من سافرة أهل كل بلد، وإن كانت المتعصّبة للبلدان والقبائل جارية على خلاف ما توخّيتُه، وشرعتُ فيه ورسمتُه من قصدها لحقائقها، وإيرادها على ما هي عليه من طرائقها ». مقدمة كتاب ابن حوقل، ص ١١.



صورة فارس

صورة سجستان





صورة كرمان



من بين المجالات العلمية التي بزغت إبان العصر العباسي علما الطب والصيدلة، ويرجع ذلك إلى الترجمة التي بلغت في العصر العباسى شأناً عظيماً منذ خلافة أبي جعفر المنصور الذي كلف "جورجيس ابن بختيشوع النسطوري" بتعريب كتب كثيرة في الطب عن اللغات القديمة، وتوارثت أسرته بعد ذلك الترجمة والتأليف والتدريس. ويعد عهد الخليفة المأمون العصر الذهبي لازدهار حركة الترجمة والإنفاق عليها بسخاء، (انظر خلافة المأمون في هذا الأطلس) حيث برز في مجالي الترجمة والتأليف "أبو يعقوب يوحنا ابن ماسويه" الطبيب المسيحي الدمشقي، الذي عهد إليه الرشيد بترجمة الكثير من كتب الأطباء والحكماء مثل: "أبقراط"، و"جالينوس"، وغيرهما وخلف "يوحنا" تلميذه حنين بن إسحاق العبادي الملقب بشيخ تراجمة العصر العباسي. ولم يقتصر تأثير حركة الترجمة العلمية على إثراء المكتبات والمدارس بجل تراث القدماء، ولكن التأثير ظهر في صورة أهم من ذلك، وهي استيعاب القديم، والانطلاق بخطى سريعة إلى عهد جديد في التأليف الطبي. وبلغ التأليف بعد ذلك قمته كماً وكيفاً بفضل عدد كبير من المبرزين في علوم الطب تميزوا بغزارة إنتاجهم، وعظمة ابتكاراتهم، وسلامة منهجهم وتفكيرهم.


مخطوط طبي من العصر العباسي

وسنكتفي بضرب المثل من بين أعمال أشهر أربعة من الأطباء المسلمين هم: جالينوس العرب أبو بكر الرازي، وعميد الجراحة العربية أبو القاسم الزهراوي، وابن سينا ، ونابغة عصره في الطب ابن النفيس وابن الجزار القيرواني. لقد قدم هؤلاء الرواد مع غيرهم خدمات جليلة للحضارة الإنسانية تتمثل في مؤلفاتهم القيمة التي نهلت منها أوروبا في القرون الوسطى، وظل معظمها يدرس في الجامعات الأوروبية حتى عهد قريب.

	منفعته في جميع البدن
يفش الرياح ويحلل النفخ وينفع سدد الكبد والطحال والكلى ويدر البول والحيض ويحبس البطن ويزيد في الباه	ينفع من الحميات البلغمية النائبة من الحميات المزمنة وينفع ضرر السموم والهوام ويدر العرق ويخاره ينفع من الورم الحادث في الأطراف والتهييج
يسكن الأوجاع الباطنة ويقوي المعدة ويدر البول والحيض ويفتت الحصاة ويقوي الكبد وينفع سددها وينفع من حموضة المعدة والورم الصلب فيها ويشهي الطعام وينفع الباه	ينفع من الأورام الباطنة الصلبة شربا وضمادا ودهنا وينفع من الحكة والجرب والبرص ويذهب الاعيا
يسهل الصفرا وينفع المعدة الباردة ويقويها وينفع اليرقان ويفتح سدد الكبد وينفع من الأوجاع الباطنة ويدر البول والحيض ويقتل الديدان وينفع من البواسير	ينفع من الحميات المزمنة ويحسن اللون ويحلل الصلابة ضمادا ويزيل الآثار البنفسجية وينفع من السموم ولدغ العقارب ويطرد الهوام بخورا
يسهل الخلط السوداوي والبلغم ويفتح السدد ويخرج الديدان والحيات ويقوي الأعضاء الباطنة	ينفع من وجع المفاصل ومن جميع السموم واللدوع
يسهل الخلط السوداوي ويخرج الدود والحيات وحب القرع ويحلل النفخ وينفع الماء	ينفع من حميات الربع والجرب السوداوي والبهق الأسود والبرص شربا

مخطوط في طبيعة الأغذية وطريقة إعدادها كعلاجات ناجعة

علم الكيمياء

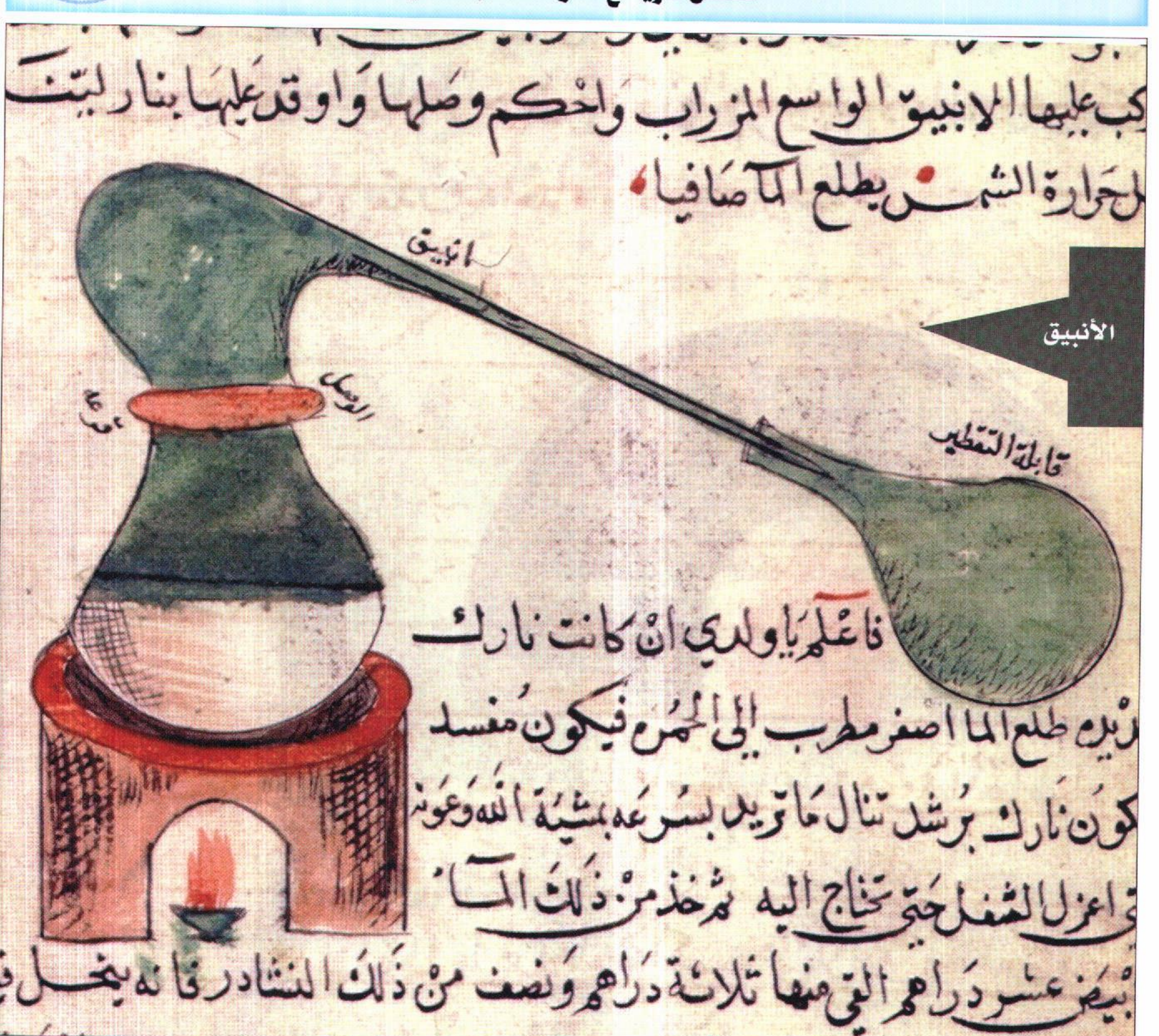
يُعَدّ علم **الكيمياء** علماً إسلامياً اسماً وفعلاً؛ فلم تُعرَف كلمة الكيمياء أو يرد ذكرها في أي لغة أو حضارة قبل الحضارة الإسلامية، سواء عند قدماء المصريين أو الإغريق، والكيمياء في اللغات الأوربية يكتبونها AlChemie، ومعروف أن كل كلمة لاتينية تبدأ بالألف واللام للتعريف أصلها عربي، ومن ذلك: AlCohol - Algibra.

و"الكيمياء" اسم مشتق من الكم أو الكمية؛ وذلك لأن علماء المسلمين الذين أسسوا هذا العلم كانوا يقولون: إذا أضفنا كمية من هذه المادة إلى كميتين أو ثلاثة من المادة الثانية نتج كذا، وهذا الاسم في ذاته يدلنا على حقيقة مهمة، وهي أن علماء المسلمين أول من اكتشفوا نظرية النسبة في اتحاد المواد، وذلك قبل الكيميائي (براوست) بخمسة قرون، وتقول هذه النظرية: إن المواد لا تتفاعل إلا بأوزان ثابتة، وهو قانون النسب الثابتة في الاتحاد الكيميائي.

وقد جاء في (لسان العرب) لابن منظور أن الكيمياء كلمة عربية مشتقة من كَمَى الشيء وتكمَّاه: أي ستره، وكَمَى الشهادة يكميها كمياً وأكماها: أي كتمها وقمعها. وقد فسرها أبو عبد الله محمد الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ) في كتابه (مفاتيح العلوم) بقوله: "إن اسم هذه الصنعة كيمياء، وهو عربي، واشتقاقه من كمى ويكمي: أي ستر وأخفى"، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه الرازي حين سمَّى كتابيه في الكيمياء "الأسرار" و"سر الأسرار".

وفي التعريف الاصطلاحي فإنَّ علم الكيمياء هو: العلم الذي يُعنى بطبيعة المادة وتركيبها وما يتناولها من تغيرات، أو هو: الدراسة العلمية لخصائص المادة وتركيبها وبنيتها، والتغيرات التي تحدث في بنية المادة وتكوينها، والتغيرات المصاحبة في الطاقة.

لذا تعد الكيمياء من العلوم التي أولاها المسلمون عناية فائقة، فقد بحثوا في تركيب كثير من الأحماض، واخترعوا طرقاً للتبخير والتصعيد والإذابة، وتركيب المواد وتحليلها. فلما اكتشفوا المركبات المهمة مثل الحامض الكبريتي وماء الفضة (حامض النيتريك) واكتشفوا أهم أسس الكيمياء كالتقطير، بل إن المسلمين هم أول من أسس علم الكيمياء على الأساليب العلمية الحديثة، كما قاموا بتطبيق هذا العلم في ميدان الطب، حيث كانت جميع الأدوية المعروفة قبلهم من الأعشاب الطبية؛ فأدخل الرازي لأول مرة استعمال أملاح المعادن كالزئبق والمغنيسيوم والحديد والزنك في الدواء والعلاج وصنع منها المراهم والسفوف والبرشام والمروخ، وكان الرازي يجرب هذه الأدوية على الحيوانات خاصة القرود القريبة.



اخترع المسلمون عدداً كبيراً من المواد الكيميائية التي ما زالت تحمل الاسم العربي، وما زالت دعامة علم الكيمياء، فاخترعوا (الكحول) من التخمير، واستخرجوا الزيوت الطيارة بالتقطير، واكتشفوا الصودا، واستخرجوا السكر من عصير الفاكهة بوساطة عقدها على النار، ولا يزال اسمه Succar ، واستخرجوا الفلزات من المركبات الكيميائية، وصنعوا السبائك من معادن مختلفة . . . .

مرتسم تخيلي لإعداد مركبات كيميائية

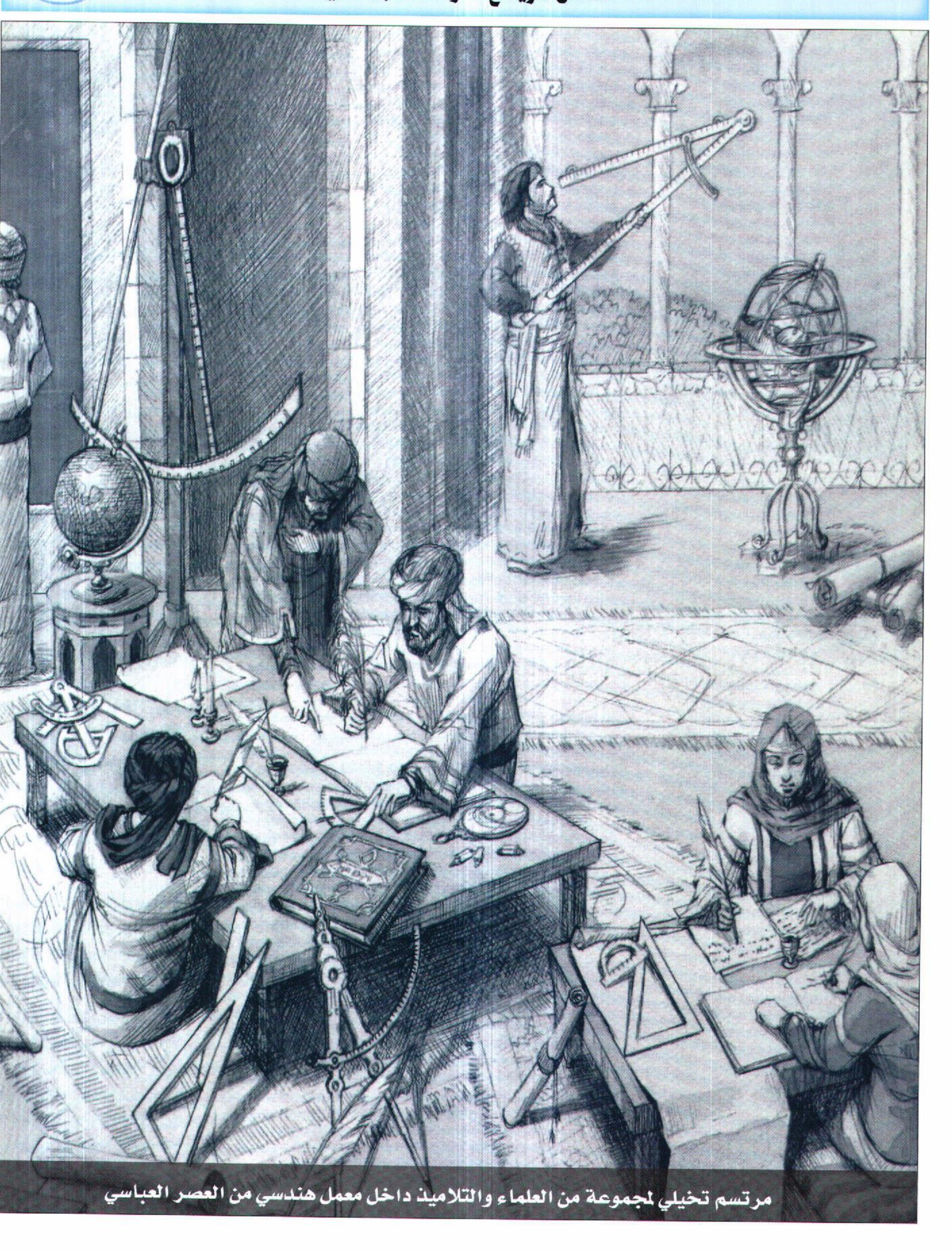
علوم الرياضيات

عُنــي المسلمـون فـي العصـر العباسي عناية كبيرة بعلوم الرياضيات، وصار تعلمها أمراً ملحاً لارتباطها بالأمـور الشرعيـة والحياتيـة، وفـي خلافة أبـي جعفر المنصور ترجمـت بعض أعمال العـالم السكندري القـديم بطليموس القلـوذي CLAUDIUS PTOLOMY (ت. ١٧ م)، ومن أهمهـا كتابه المعروف، باسم "المجسطي". واسم هذا الكتاب فـي اليونانية "EMEGAL MATHEMATIKE ." أي الكتاب الأعظم فــي **علم الحساب**. والكتــاب دائرة معارف فـي علم الفلك والرياضيات. وقـد أفاد منه علماء المسلمين وصححوا بعض معلوماته وأضافوا إليه.

وعن الهندية، ترجمت أعمال كثيرة مثل الكتاب الهندي المشهور في علم الفلك والرياضيات، سد هانتا Siddhanta أي "المعرفة والعلم والمذهب". وقد ظهرت الترجمة العربية فـي عهد **أبي جعفر المنصور** بعنـوان "السند هند. ومع كتـاب "السند هند" دخل علم الحساب الهنـدي بأرقامه المعروفة في العربية بالأرقـام الهنديـة فقد تطور على أثرها علم العدد عند العرب، وأضاف المسلمون نظام الصفر مما جعل الرياضيين العرب يحلون الكثير من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات، فقد سهل استعماله لجميع أعمـال الحساب، وخلص نظام الترقيم من التعقيد، ولقـد أدى استعمال الصفر فـي العمليات الحسابية إلى اكتشاف الكسر العشري.

ويُعـد محمـد الخوارزمي من علماء بيت الحكمة ببغداد (ت ٣٨٧هـ) هـو الذي عهد إليه المأمون بوضع كتاب فـي **علم الجبر**، فوضع كتابه "المختصر في حساب الجبر والمقابلة"، وهذا الكتاب أدى إلى وضع لفـظ الجبر وإعطائه مدلوله الحالي. فالجبر علم عربـي سماه العرب بلفظ من لغتهم، و الخوارزمي هو الذي خلع عليه هذا الاسم الذي انتقل إلى اللغات الأوروبية بلفظه العربي ALGEBRA.

وترجم هذا الكتاب للاتينية فـي سنة ١١٣٥ م . وظل يدرس فـي جامعات أوروبا حتى القرن ١٦ م. كما انتقلـت الأرقـام العربيــة إلى أوروبا عن طريق ترجمـات كتب الخوارزمي الذي أطلق عليـه فـي اللاتينية "الجـور تمـي "ALGORISMO ثـم عدل للجورزمـو ALGORISMO للدلالـة على نظـام الأعداد وعلم الحساب والجبر وطريقة حل المسائل الحسابية، وظهرت عبقرية "الخوارزمي" فـي "الزيج" أو الجدول الفلكـي الـذي صنعه وأطلق عليه اسم "السند هند الصغير"، وقـد جامع فيه بين مذهب الهند، ومذهب الفرس، ومذهب بطليموس (مصر)، فاستحسنه أهل زمانه وانتفعوا به مدة طويلة فذاعت شهرته وصار لهذا الزيج أثر كبير فـي الشرق والغرب.



مرتسم تخيلي لمجموعة من العلماء والتلاميذ داخل معمل هندسي من العصر العباسي

علم الهيئة (الفلك)

بدأ العرب يلتفتون دراسةً وإسهاماً إلى علم الفلك في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور حيث ترجم إبراهيم الفزاري كتاب (السند هند) في عهده، واتخذه العلماء مثلاً يحتذى، حيث قدم عالم هندي سنة ١٥٦ هـ على الخليفة أبي جعفر المنصور، وكان يحمل كتاباً يحتوي على ذلك العلم، فطلب الخليفة ترجمته إلى العربية، وأن يؤلف منه منهجاً ليكون مرجعاً للعرب في حركات الكواكب، فتولى ذلك محمد بن إبراهيم الفزاري، ووضع منه كتاب "السند هند الكبير"، وبقي يُعمَل به إلى أيام المأمون، ثم ترجمت **التقاويم** البهلوية التي وضعت في عهد الدولة الساسانية الفارسية، وأضيفت إلى العلوم الرياضية وعرفت في العربية باسم (الزيج).

وقد قام علماء الفلك في عهد المنصور بقياس الدرجة الأرضية، وكان غرضهم من ذلك تحديد حجم الأرض ومحيطها على أساس أن الأرض مدورة، وحدثت تجربة ثانية بعد ذلك في عهد المأمون، فقد أمر بقياس دائرة نصف النهار ووكل هذا العمل إلى فريقين: فريق عمل بصحراء سنجار شمالي الفرات، والآخر بصحراء تدمر، وقد وصل كلا الفريقين إلى نتيجة جعلت درجة الطول ٥٦ ميلاً غربياً وثلثي الميل، وهي نتيجة تقرب إلى حد كبير من القياس الصحيح.

ومن أوائل العرب المسلمين الذين برعوا في علم الفلك في عصر مبكر، الإمام الفرغاني، الذي عاش في عصر المأمون، ومن أهم أعماله: أنه حدد قطر الأرض، وأقطار بعض الكواكب، وتحديده لحجومها فكانت مقبولة بغير تعديل تقريباً حتى زمن كوبرنيق، ولقد أثر مؤلفه في الفلك الغربي تأثيراً كبيراً حتى زمن ريجيومو نتانوس (توفي ١٤٧٦م).

ومنذ ذلك الحين تزايد اهتمام المسلمين بإنشاء المراصد والإسطرلابات، وعنوا برصد سير الكوكب والنجوم، وحاولوا معرفة التقنيات الجوية وسير الرياح وهيئة الفلك، كما عملوا الأزياج التي يحسب بها سير الكواكب وعن طريقها يستخرج التقويم - كما أسلفنا - . كما برهنوا على كروية الأرض، ولاحظوا أن ما يعلم من الظواهر الفلكية قد يمكن تعليله بافتراض نظرية أن الأرض تدور حول محورها مرة كل يوم وتدور حول الشمس مرة كل سنة.

أرجوزة في علم الفلك

لمحمد بن إبراهيم الفزاري أرجوزة مزدوجة في علم الفلك، يقول عنها "ياقوت الحموي" إنها تقوم مقام زيجات المنجمين، وهي طويلة يدخل في تفسيرها - هي وشروحها - عشرة أجلاد، أولها:

الحمد لله العلي الأعظم
ذي الفضل والمجد الكريم الأكرم
الواحد الفرد الجواد المنعم
الخالق السبع العلى طباقا
والشمس يجلو نورها الأغساقا
والبدر يملا نوره الآفاقا
الفلك الدائر في المسير
لأعظم الخطب من الأمور
يسير في بحر من البحور
فيه النجوم كلها عوامل
منها مقيم دهره وزايل
فطالع منها ومنها نازل

وهي هكذا ثلاثة أقفال ثلاثة أقفال ...



الإسطرلاب: آلة رصد قديمة لتعيين ارتفاعات الأجرام السماوية ومعرفة الوقت والجهات الأصلية. اهتم علماء الفلك المسلمين بصناعة الإسطرلاب الذي ورثوه من الحضارة اليونانية وطوروه وألَّفوا فيه مؤلفات عظيمة؛ فكان العالم محمد بن إبراهيم الفزاري ت ١٨٠ هـ أول من صنع وألَّف كتاباً في وصف وصناعة واستعمال الإسطرلاب، والإسطرلاب الذي صُنِع عبارة عن آلة فلكية رسم عليها قبة السماء، وقُسِّم عليها النجوم إلى مجموعات، ووضح عليها حركات النجوم والكواكب. وقد اهتم العلماء المسلمون بالإسطرلاب اهتماماً كبيراً لدوره الكبير في تحديد أوقات العبادة، واتجاه القبلة والكسوف والخسوف، وكذلك دوره المهم في علم الفلك وصناعة الأزياج الفلكية وتحديد المسافات والقياسات العلمية .. إلخ.

خامساً : العمارة والفنون

تأثر فن العمارة في العصر العباسي بالفن الفارسي. فقد كانت بعض عمائر بغداد مؤلفة من عدة طبقات يظهر في زخرفها الذوق الفارسي.

وفي العصر العباسي الأول تقدم فن الزخرفة تقدماً عظيماً، إذ أصبحت القصور محلاة بالرسوم والزخارف من الداخل والخارج، وعليها صور من الجص المجسم. ومن مميزات فن الزخرفة في العصر العباسي تلك الزخارف الجصية التي كانت تغطي الأجزاء السفلية من الجدران، والصور الحائطية التي تمثل وقائع حرب ومشاهدة صيد أو رسوم حيوانات وطيور.

• ولقد أمر **الخليفة المهدي** ببناء أماكن للاستراحة في طريق من بغداد إلى مكة، وحفر الآبار إلى جوارها، كما أمر بتجديد الأميال. ثم قام **بتوسعة المسجد الحرام**.

• كان للخلفاء العباسيين ولع شديد ببناء القصور الفخمة، ومنها في بغداد:

١. قصر الذهب: بناه الخليفة أبو جعفر المنصور.

٢. قصر الخلد: بناه الخليفة المنصور وتأنق في بنائه وتجميله.

٣. قصر الوضاح: بناه الخليفة المهدي.

• ومن البلدان التي شيدها المسلمون في العصر العباسي:

١. بغداد: (تقدم ذكر بنائها في خلافة أبي جعفر المنصور من هذا الأطلس).

٢. الرصافة: حين فرغ المنصور من بناء مدينته الجديدة (بغداد)؛بنى في الجهة الشرقية لدجلة المقابلة لبغداد ضاحية (الرصافة) واتخذها في البداية معسكرا للجيش، لكنها عمرت بعد ذلك وظهرت فيها الحدائق والمتنزهات والميادين الواسعة والمباني الفخمة حتى قاربت بغداد في الاتساع.

٣ . بدأ الخليفة العباسي المنصور ببناء عاصمة صيفية للدولة العباسية بالقرب من الرقة، سميت الرافقة. بنيت المدينة الجديدة بشكل حدوة فرس على الطراز المعماري لبغداد، وسرعان ما اندمجت مع الرقة. واستعمل الخليفة العباسي هارون الرشيد الرقة عاصمة له أيضاً، وأصبحت المدينة مركزاً علمياً وثقافياً مهماً (انظر الصفحة المقابلة).

٤. سامراء: لما جاء عصر الخليفة المعتصم فقدت بغداد مركزها كعاصمة للعباسيين، إذ بنى المعتصم مدينة جديدة واتخذها مركزاً له، وهي مدينة (سامراء) وذلك في سنة (٢٢١هـ).

٥. الجعفرية: اتخذ الخليفة المتوكل إلى الشمال من سامراء مدينة جديدة أسماها (الجعفرية)، وبنى فيها قصر الجعفري.

٦. القطائع: بناها في مصر أحمد بن طولون واتخذها مقراً لدولته.

سور مدينة الرقة التي اتخذها العباسيون مصيفاً لهم



باب بغداد بالرقة في الجمهورية العربية السورية : عرض الواجهة ٧,٥٧م بارتفاع ٥,٢٠م محاذيا لبرج متصل بالسور، وفتحة الباب بارتفاع ٥,٢م يعلوها قنطرة ذات قوس مكسور. وعلى جانبي الباب حنيتان زخرفيتان ويعلو هذه الواجهة، أفريز عريض مؤلف من صفين من الحنيات السفلى تتلوها أقواس نصف دائرية والحنيات السفلى تعلوها أقواس مفصصة ثلاثية، ويحيط بالأفريز إطار بارز. وينفتح الباب من الداخل إلى دركاه ضمن صيوان بعمق متر كانت تعلوه قبة.

٧. القاهرة: وضع أساسها جوهر الصقلي قائد العبيديين سنة (٢٥٨هـ) وتقع إلى شمال الفسطاط.

٨. فاس: تأسست مدينة فاس سنة ١٨٢هـ، على يد إدريس الثاني الذي جعلها عاصمة الدولة الإدريسية بالمغرب.

٩. مراكش: جنوب وسط المغرب ، بناها السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٤ هـ.

١٠. المهدية: بناها عبيد الله المهدي جنوب شرقي القيروان، واتخذها عاصمة للعبيديين في تونس سنة(٣٠٥هـ).

١١. الزهراء: من المدن التي بناها المسلمون في الأندلس، وتقع شمال غربي قرطبة وعلى بعد ثلاثة أميال منها، وقد بناها الخليفة عبدالرحمن (الناصر) سنة (٣٢٥هـ).

١٢. الزاهرة: بناها المنصور بن أبي عامر سنة (٣٦٨هـ) إلى الجنوب الشرقي من قرطبة.

• أهم المدارس التي شيدت في بغداد في العصر العباسي:

١. المدرسة المستنصرية : تقع في الجانب الشرقي من بغداد على رأس جسر الشهداء وتمتد جبهتها على ضفة دجلة، (انظر الصفحة المقابلة) شيدها المستنصر بالله الخليفة العباسي السابع والثلاثون (٦٢٣ هـ-٦٤٠ هـ)-(١٢٢٦ م-١٢٤٢ م).

٢. المدرسة النظامية : وهي أول مدرسة بنيت سنة ٤٥٩ هـ بناها الوزير السلجوقي نظام الملك، وهو وزير محب للعلم، نسبت إلى اسمه فسميت بالنظامية، وهي من المدارس الحسنة البناء المتعددة المرافق ولم تخل أي مدينة من هذه المدرسة، أهمها تلك في بغداد التي فتحت أبوابها للدارسين بعد عامين من بداية إنشائها، وكان يدرس فيها الفقه والعلوم الإسلامية. ومن أهم مدرسيها الإمام الغزالي، كما زارها الرحالة ابن جبير وقال عنها: إنها أعظم مدارس بغداد، وظل بناؤها قائماً حتى القرن الخامس الهجري.

٣.المدرسة الشرابية (القصر العباسي): يعد من أبرز المعالم العباسية الشاخصة اليوم في بغداد وهو بناء فخم فريد في هندسته وتخطيط عمارته، يعود تاريخ تشييده إلى القرن السابع الهجري، ويذهب بعض الباحثين إلى أنه دار الامسناة التي تنسب للخليفة الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥ ملادية-٦٢٢ هجرية)، بينما يذكر لفيف آخر منهم أن المدرسة الشرابية التي شيدها شرف الدين إقبال الشرابي مقدم الجيوش في زمن الخليفة المستنصر بالله والمعتصم بالله العباسيين. وتذكر المصادر التاريخية أن بناء المدرسة الشرابية قد أكمل في سنة ٦٢٨ هجرية. ويتألف هذا البناء العباسي من طابقين يحيطان بصحن واسع مستطيل الشكل مساحته ٤٣٠ متراً مربعاً، ويتوسط الضلع الشرقي إيوان كبير ارتفاعه نحو ٩ أمتار، وتوجد مجموعة من الحجر والقاعات في كل طابق. وأن جميع واجهات البناية مزدانة بزخارف آجرية جميلة التكوين تتألف من عناصر هندسية ونباتية، وأبرز الحليات المعمارية تشاهد في الرواق الجنوبي. بتصرف عن كتاب بغداد للدكتور عيسى سلمان.



المدرسة المستنصرية: مدرسة عريقة أنشئت في بغداد بعد المدرسة النظامية بنحو نصف قرن، وقد أسسها الحاكم المستنصر بالله بعد سنتين من توليه الخلافة سنة ٦٢٥ هـ ، وكانت مركزاً علمياً وثقافياً مهماً، تقع في جهة الرصافة من بغداد. شيدت "المستنصرية" على مساحة ٤٨٣٦ متراً مربعاً، تطل على شاطئ نهر دجلة بجانب "قصر الخلافة" بالقرب من المدرسة النظامية، وكانت تتوسط المدرسة نافورة كبيرة فيها ساعة المدرسة المستنصرية العجيبة، وهي ساعة عجيبة غريبة تعد شاهداً على تقدم العلم عند العرب في تلك الحقبة من الزمن تعلن أوقات الصلاة على مدار اليوم. وتتألف المدرسة من طابقين شيدت فيهما مائة غرفة بين كبيرة وصغيرة إضافة إلى الأواوين والقاعات.

فن العمارة عند الموحدين

ما زالت آثار الموحدين في بلاد الأندلس والمغرب شاهدة على اهتمامهم بالعمران، كمنارة «الخيرالدة» بمدينة **إشبيلية** التي تسحر العين المجردة التي تنظر إليه، التي تُعَدُّ من أعاجيب الدنيا حسب تعبير بعض المصادر التاريخية التي مازالت إشبيلية تفاخر بها إلى يومنا هذا، ولقد استعمل الموحدون الآجُر والحجر الصالح المميز في بناء هذه المنارة الخلابة التي أشرف على بنائها مهندسون أفذاذ ما زال التاريخ يذكرهم ويذكر إبداعاتهم ولمساتهم الرائعة، كالمهندس الشهير أحمد بن باسة الإشبيلي، والمهندس المغربي علي الغُماري، والمهندس العريف محمد بن المعلم، والمهندس ابن جبير إلى غيرهم من المهندسين الأكفاء الذين زخر بهم **العصر الموحدي**، مما يدل على ازدهار علم الهندسة لديهم، ويمكن ملاحظة أثر المهندسين الأندلسيين وبصماتهم في عمائر بلاد المغرب في هذا العصر وما بعده بوضوح ظاهر للعيان، إذ كان لانتصار يعقوب المنصور الموحدي في الأندلس وقهره للصليبيين أكبر أثر في الفن المعماري حيث أضفى عليه طابعاً خاصاً، وحقق بتناسق مع مدرسة القيروان التجانس الفني بين الشرق والغرب، وتجلى ذلك في روائعه الفنية وبدائعه المتميزة التي تنطق نطقاً بكونه أعظم وأروع بناء شهده العصر الموحدي الزاهر، حيث تظهر الهندسة المعمارية الموحدية في أبهى وأجل معالمها في مساجد مراكش والرباط و«الخالدة» وباقي المنشآت الأخرى [١].

كما اهتم الموحدون ببناء الأسوار حول المدن ذات الطابع الإسلامي الخالص، وقد تبقت أجزاء كثيرة منها بمدن الأندلس الرطيب كتلك التي مازالت قائمة في مدينة «أَلْمِيرِيّة» من سور خَيْرَان العَامِري، وفي «قَاصِرِيش» هناك أجزاء من سورها الموحدي، وفي «بَطلْيُوس» بعض الأجزاء من السور الموحدي.

ومن أروع ما خلده التاريخ للخليفة المنصور الموحدي **مسجد «الكتبية»** بمراكش الذي بناه على غرار مسجد «الخيرالدة» بإشبيلية، وحرص أن يكون في أبهى صورة وأروعها فجمع فيه الطراز الأندلسي المغربي حتى وصفه أحد المستشرقين بكونه يعادل في بنائه روائع الجامع الكبير بقرطبة، كما أن عدداً من رؤوس الأساطين في الكتبية هي من أصل أندلسي، فالأعمدة الأربعة التي تساند قوس المحراب من مخلفات الفن الأموي.. فجامع الكتبية يشكل متحفاً حقيقياً للأعمدة الموحدية التي ينيف عددها على الأربعمائة والتي ما زالت تحتفظ بأصالتها المتجلية في عبقرية الفنان الأندلسي الموحدي ومهارة يد الصانع المغربي [٢].

والملاحظ أن المنارات في العهد الموحدي قد تختلف في حجمها لكنها متشابهة في هيكلها، حيث يصعد إليها بواسطة طريق مائل تدور حول قاعات مغطاة بالقبب، وتعتمد الزخرفة عل الكتابة الكوفية والأشكال الهندسية كالأقواس أو الرسوم التي تحاكي الزهور والنخيل والصدف.

١، ٢ - د. علية الأندلسي، باحثة في الفقه المالكي وأصوله، الرابطة المحمدية للعلماء.



يتوسط جامع الكتبية مدينة مراكش بالقرب من ساحة جامع الفنا. وتسمية المسجد مشتقة من "الكتبيين"، وهو اسم سوق لبيع الكتب يعتقد أنه كان على بمقربة من المساجد. ل
بني جامع الكتبية الأول من طرف الخليفة عبد المومن بن علي الكومي سنة ١١٤٧م على أنقاض قصر الحجر المرابطي الذي كشفت التنقيبات الأثرية عن بناياته ومكوناته المعمار

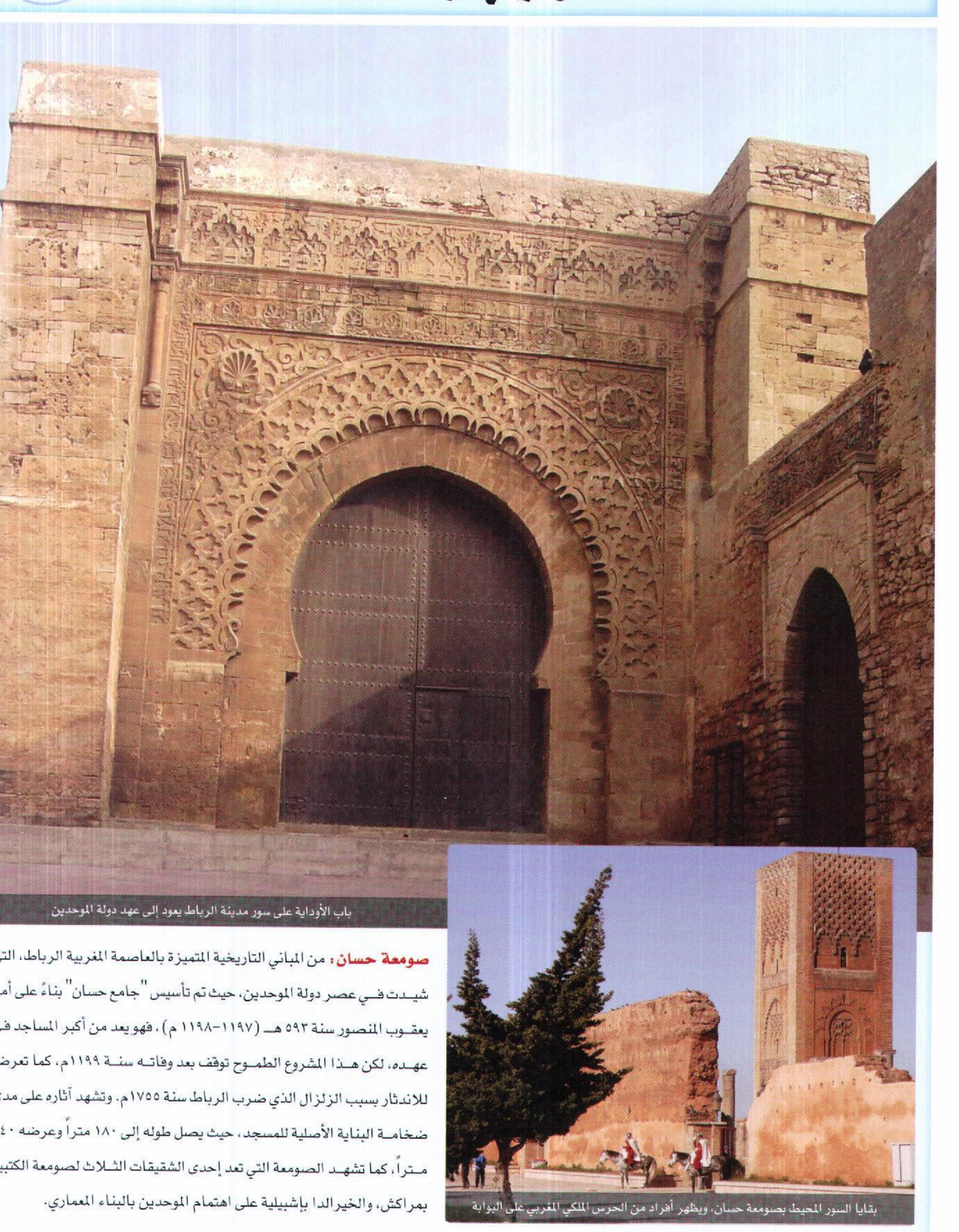
وإذا كان الموحدون في بنائهم لمنارة إشبيلية و«حسان» قد حصلوا على الحجر الصالح المتين، فقد بنوا منارة «الكتبية» من الآجر إذ إن حجر "جليز" لم يكن فيما يبدو ملائما لبناء هذه المنارة الخلابة التي مازالت شامخة شموخ الجبال تشهد على مهارة الصانع المغربي الأندلسي.

كما يتجلى تقدم وتطور فن العمارة والهندسة في عهد الخليفة المنصور أيضاً في كونه أنشأ في جامعه بمراكش المقصورة والمنبر ".. (الأوتوماتيكيين) وكانا موضوعين على حركات هندسية بحيث يبرزان لدخوله دفعة واحدة ويغيبان لخروجه كذلك..والذي صنعهما هو الحاج بعيش المهندس الذي بنى جبل الفتح لعبد المؤمن[١].

أما بالنسبة للمدن فمدينة «الرباط» أو «رباط الفتح» التي أسسها يعقوب المنصور وأكمل بناءها بعد أن كانت بلاطاً ورباطاً للجند وضع لبنته الأولى كل من عبد المؤمن وابنه يوسف تعد من المعالم الخالدة التي تركها الموحدون شاهدة على العصر، وفي ذلك يذكر عبد الواحد المراكشي مؤرخ العصر أنه: ".. شرع في بنيان المدينة العظمى التي هي على ساحل البحر والنهر من العدوة التي تلي مراكش، وكان أبو يعقوب هو الذي اختطها ورسم حدودها وابتدأ في بنيانها فعاقه الموت المحتوم عن إتمامها، فشرع أبو يوسف في بنيانها إلى أن تم سورها، وبنى فيها مسجداً عظيماً كبير المساحة واسع الفناء..ولم يتم هذا المسجد إلى اليوم، لأن العمل ارتفع عنه بموت أبي يوسف، وأما المدينة فتمت في حياة أبي يوسف وكملت أسوارها وأبوابها وعَمُرَ كثير منها. وزينها الأمراء بالقصور والمتنزهات، وكان يعقوب المنصور ينوي إتخاذها عاصمة ملكه".

ومن الآثار الرائعة المتبقية بها من عهد الموحدين **السور الجميل المحيط بها، وباب الأوداية الخلابة**، وباب الرواح، وجامع حسان الشامخ الذي يوصف بأنه أعظم مسجد بالغرب الإسلامي، إلا أن بناءه لم يتم مع كامل الأسف، وتذكر المصادر المختلفة أن الموحدين كانوا يستعملون في بناياتهم مواد مختلفة كالحجر المنحوت في «صومعة حسان»، والآجر في «الخالدة أو الخيرالدة»، والطوبياء في «سور الرباط»، كما أشار أحد الباحثين المعاصرين في الحضارة المغربية أن مدينة الرباط قد شيدت بحجارة المعابد الرومانية القديمة، وأنها في بنائها كانت تحمل مسحة التجديد، إذ بنيت على هيئة مدينة الإسكندرية المصرية في الاتساع، وبمناسبة تخليد انتصارات المنصور العسكرية في الأندلس، فالمنصور - رحمه الله - كان يراعي في منشآته المعمارية تخليد ذكريات غزوات الإسلام العظيمة كما فعل بعد انتصاره في موقعة «الأرك» الشهيرة، حيث بنى منارة إشبيلية الخالدة[٢].

١، ٢ - د. علية الأندلسي، باحثة في الفقه المالكي وأصوله، الرابطة المحمدية للعلماء.



باب الأوداية على سور مدينة الرباط يعود إلى عهد دولة الموحدين

بقايا السور المحيط بصومعة حسان، ويظهر أفراد من الحرس الملكي المغربي على البوابة

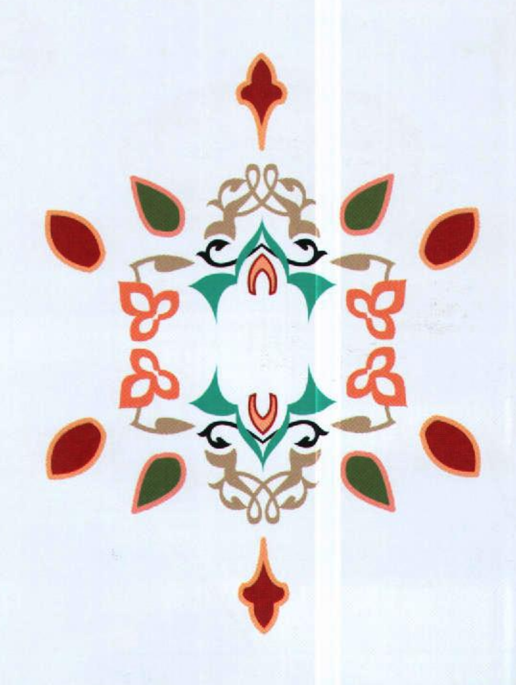
صومعة حسان: من المباني التاريخية المتميزة بالعاصمة المغربية الرباط، التي شيدت في عصر دولة الموحدين، حيث تم تأسيس "جامع حسان" بناءً على أم يعقوب المنصور سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٧-١١٩٨ م)، فهو يعد من أكبر المساجد في عهده، لكن هذا المشروع الطموح توقف بعد وفاته سنة ١١٩٩م، كما تعرض للاندثار بسبب الزلزال الذي ضرب الرباط سنة ١٧٥٥م. وتشهد آثاره على مد ضخامة البناية الأصلية للمسجد، حيث يصل طوله إلى ١٨٠ متراً وعرضه ٤٠ متراً، كما تشهد الصومعة التي تعد إحدى الشقيقات الثلاث لصومعة الكتبي بمراكش، والخيرالدا بإشبيلية على اهتمام الموحدين بالبناء المعماري.



الحضـــارة الإســـلامية

نشـأت الحضـارة الإسلامية في بيئة عذراء، ومـن قبائل هي أقرب للفطرة من الشعوب المجاورة لها، ثم صاغها الوحي فخرجت زرعاً « يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ » الفتح ٢٩ ، هذه النبتة الأصيلة زاد عطاؤها ونمـا خيرها حينما وجـدت الأبناء الأوفياء الذين رعوها حق رعايتها، حتى تفيأ العالم بأسره ظلها الوارف وخيرهـا المتدفق. فقـد كانت العصور الوسطى عصور جهل وظلام، باستثنـاء البلاد الإسلامية التي نعمت بهـذه الحضـارة الزاهية؛ حيث استطـاع العباسيـون أن يوجدوا المناخ الملائـم والبيئة الطيبـة لإبراز هذه الحضـارة العظيمة، فالحضارة الإسلامية؛ حضارة قامت علـى التوحيد والإيمان بالله وكتبه واليوم الآخر، وتتمثـل الأخلاق وتنتهج الوضوح والصدق وهي أمور انسلخت منها الحضارات الأخرى فتعرّت من الفضائل التـي لا تقـوم بغير هاتيك المقومات وغدت منها مفلسة. لذلك رأت أوروبا في عصورها المظلمة الخروج من هـذا الظـلام الدامس بالتعرف على هـذه الحضارة الزاهيـة والنهل منها، فأصبحت بغـداد ودمشق وبيت المقدس والقيروان وفاس وقرطبة وصقلية؛ قبلة طلاب العلم ورواد المعرفة من كل أرجاء الدنيا.


عقديـــــة
تجمع بين الأمانة والعدل
عالميـــــة
خصائص الحضارة الإسلامية
قائمة على العدل
إنســـــانية
علمـــية
صالحة لكل زمان ومكان
متطـــورة
ميدان العقيدة
أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الغربية
ميدان التشريع
اللغة والأدب
العلوم التطبيقية



المصادر

و

المراجع

المصادر والمراجع .. أولاً، المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. كتب السنة النبوية.

٣. الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود(ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، "الأخبار الطوال"، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب، القاهرة، ١٩٦٠م.

٥. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت ٧٤٨ هـ، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط . الرابعة ١٤٠٦ هـ . ، وكتاب العبر في خبر من غبر.

٦. خليفة بن خياط العصفري(ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)، "تاريخ خليفة"، تحقيق د. أكرم العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٩٧٧م.

٧. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر.

٨. ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٣٠٦م)، "المقدمة"، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٩. أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مكتبة مشكاة الإسلام .

١٠. محمد بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - مطابع دار السراج، ط . ٢ - ١٩٨٠م .

١١. البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن حابر (ت ٢٧٩هـ)، "فتوح البلدان"، تحقيق د عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعرف للطباعة والنشر- بيروت.١٤٠٧ هـ.

١٢. شمس الدين أبي عبدالله محمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، دار صادر، ط٢ ، ١٩٠٩.

١٣. أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان .

١٤. أبو عبيد عبد الله البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م .

١٥. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت – ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل(الأمم) والملوك، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ونسخة ثانية لتاريخ الأمم والملوك – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف – القاهرة (١٩٩٦م).

١٦. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب. النسخة الرقمية، المرجع الأكبر ، مكتبة العريس، بيروت – لبنان ..

١٧. الماوردي، علي بن حبيب(ت ٥٤٠ھ/ ١٠٥٨م)، "الأحكام السلطانية"، الطبعة الثالثة، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٣م .

١٨. زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٩٨م .

١٩. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، "تاريخ اليعقوبي"، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

٢٠. الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ت – ٧٧٤ هـ،البداية والنهاية، مكتبة الرياض الحديثة .

٢١. شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، ت – ٧٢٨ هـ، منهاج السنة النبوية.

٢٢. قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، ط . ١٩٨١ م، بغداد، العراق .

٢٣. محمد بن مكرم بن منظور، ت ٧١١ هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٤. عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ت ٦٣٠ هـ. الكامل في التاريخ، – دار صادر – بيروت – ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

٢٥. القاضي أبو بكر بن العربي تحقيق محب الدين الخطيب ، العواصم من القواصم، إعداد محمد سعيد مبيض ، دار الثقافة قطر الدوحة الطبعة الثانية ١٩٨٩م .

٢٦ . أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١ هـ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان .

٢٧ . ابن بطوطة: شمس الدين أبوعبدالله محمد اللواتي الطنجي ت ٧٧٩ هـ، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) .

٢٨ . أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي ت ١٠٨٨ م، سفر نامه (رحلة ناصر خسرو).

٢٩ . عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ، تاريخ الخلفاء،

٣٠ . أحمد بن علي المقريزي المعروف بتقي الدين المقريزي ت ٨٤٥ هـ، السلوك لمعرفة دول الملوك.

٣١ . شهاب الدين أبو القاسم، المقدسي المعروف بأبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية.

٣٢ . أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إدريس الشريفي أو الشريف الإدريسي ت ٥٥٩هـ ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.

٣٣ . محمد أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت ٣٦٧ هـ، صورة الأرض، دار صادر.

٣٤ . أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة ، المسالك والممالك. ط المثنى ، بغداد.

٣٥ . محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا ، الفخري في الآداب السلطانية و الدول الاسلامية . دار صادر.

٣٦ . الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، منشورات دار اليمامة، ١٣٩٤ هـ.

١. د . علي بن محمد الصلابي، الدعوة العباسية ودورها في نهاية الدولة الأموية، النسخة الرقمية.

٢. د. محمد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

٣. د . محمد العبدة، مجلة البيان، عدد ١١ ، ص ٧٣.

٤. الشيخ محمود شاكر، سلسلة التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة ١٤١١ هـ، بيروت - لبنان .

٥. أحمد أمين، ضحى الإسلام.

٦. د . راغب السرجاني (موقع قصة الإسلام).

٧. الشريف أبو عبدالمحسن حاتم بن أحمد العباسي، موقع (الأشراف العباسيون حول العالم)، وموقع أُسرة آل باوزير العباسية الهاشمية .

٨. الشيخ محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية « الدولة العباسية » ، المكتبة العصرية ، صيدا - لبنان ، ط ١٤٢٦ هـ.

٩. سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس الحج والعمرة، تأريخاً وفقهاً ، مكتبة العبيكان، الرياض.

١٠. د . محمد بن ناصر الملحم، العلاقات بين البيزنطيين والمسلمين ، نسخة رقمية .

١١. د. أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، د . ت . الطباعة.

١٢. د. عمرو خليفة النامي، مقدمة تحقيقه لكتاب أجوبة ابن خلفون.

١٣. د. طارق السويدان، الأندلس « التاريخ المصور »، ط ١، ١٤٢٦ هـ، مؤسسة الإبداع الفكري - الكويت.

١٤. د. فتحية النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ٣، جدة - المملكة العربية السعودية .

١٥. أ . د. سعد بن عبد العزيز الراشد، طرق الحج الرئيسة، النسخة الرقمية.

١٦. د. حسين محمد سليمان، رجال الإدارة في الدولة الإسلامية العربية، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية .

١٧. الموسوعة العربية، دار الفكر ، دمشق.

١٨. د. عبد الله الطرازي ، انتشار الإسلام في العالم، مكتبة الشقري، الرياض.

١٩. أ . ناصر بن محمد الأحمد، فتح صقلية.

٢٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٢١. أحمد تمام، مجموعة من المقالات الإسلامية التاريخية، موقع إسلام أون لاين .

٢٢ . د. أحمد الصاوي، جريدة الاتحاد الإماراتية، الأربعاء ١٠ أكتوبر سنة ٢٠٠٧ م.

٢٣ . أ . عبد المجيد بن محمد الخريجي و د . نايف بن عبد الله الشرعان، الدينار عبر العصور الإسلامية.

٢٤ . د . محمود و د. الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي، ط . ١٩٩٥ م .

٢٥ . د.ارشيد يوسف ارشيد، الحضارة الاسلامية نظم علوم فنون، العبيكان، ط٢، ٢٠٠٥.

٢٦ . د. إسماعيل راجي الفاروقي ، د.لويس لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، العبيكان، ط١ ، ١٩٩٨ .

٢٧ . د.إسحاق رباح . د.سليمان ابو سويلم. الحضارة العربية الاسلامية في النظم والعلوم والفنون.

٢٨ . عيسى الحسن، الدولة العباسية تكامل البناء الحضاري، الأهلية ،ط١، ٢٠٠٩.

٢٩ . د.محمد محمود محمدين ، التراث الجغرافي الاسلامي، دار العلوم، ط٣ ، ١٩٩٩.

٣٠ . د.محمد أحمد عبد المولى،القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيدية، ط١ الجزء الاول ١٩٨٥، دار المعرفة الجامعية.

٣١ . د.محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي.

٣٢ .سامي عبدالله احمد المغلوث ،أطلس الاديان ، العبيكان ، ط٣ ، ٢٠١١.

٣٣ . د. رفيق حميد طه السمرائي، نظام الفلسفة الأخلاقية ، ط١ (٢٠١١).

٢٤ . يوسف عطا الطريفي، العصر العباسي ، الأهلية للنشر والتوزيع، ط٢ (٢٠٠٩).

٢٥ . د.حسن احمد محمود، تاريخ المغرب والأندلس ، دار الفكر العربي، ط١ (١٩٩٩).

٢٦ . د. عبدالباري درة، ماجد عرسان الكيلاني. عيسى أبو شيخة، سليمان نجم، الدراسات الاجتماعية، سلطنة عمان وزارة التربية والتعليم والشباب ، ط٦ (١٩٩٠ -١٩٩١).

٢٧ . الدولة العباسية وحضارتها، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، الرياض ، مطابع الجامعة.

المصادر والمراجع .. ثانياً: المراجع

٢٨ . د.ياسر عبدالجواد المشهداني، تاريخ الدول الأسلامية في آسيا، دار الفكر ، ط١(٢٠١٠).

٢٩ . د. لبيب بيضون، أنساب العترة الطاهرة، مؤسسة الاعلمي ، ط١ (٢٠٠٤).

٣٠ . د. خالد كبير علال، المرويات التاريخية عند المسلمين أساليب النقد وظاهرية الوضع فيها، مبرة الآل والاصحاب، ط١ (٢٠١٠).

٣١ . د. علي محمد الصلابي، الصراع بين أهل السنة والرافضة نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية وفق الله صلاح الدين فقضى عليها، المكتبة العصرية،ط١ (٢٠٠٨).

٣٢ . د. سليم أبو طالب سليم، أثر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الإسلامي في الدولة العباسية، مكتبة الإشعاع، (١٩٩٩).

٣٣ . د. عبدالله كامل موسى عبده، العباسيون وأثارهم المعمارية في العراق ومصر و إفريقيا، دار الافاق العربية، (٢٠٠٢).

٣٣ . ممدوح الحربي، موسوعة الفرق والمذاهب والاديان المعاصرة، ألفا للنشر والتوزيع، (٢٠١٠).

٣٤ . د. أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف بمصر، ط١ (١٨٣٩).

٣٥ . حسن حسيني عبدالوهاب، خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب للنشر، (٢٠٠١).

٣٦ . سامي عبدالله احمد المغلوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى، العبيكان ، (٢٠٠٩).

٣٧ . د. واجدة مجيد عبدالله الأطرقجي، المرأة في أدب عصر العباسي، مركز زايد للتراث والتاريخ، (٢٠٠٢).

٣٨ .د. محمد سهيل طقوش ، تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، دار النفائس، ٢٠٠٧.

٣٩ .د. محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، الطبعة الثانية، الجامعة الإسكندرية، (١٩٩٧).

٤٠ . د. حسين محمد سليمان، المدخل إلى دراسة علم التاريخ، دار الاصلاح، (١٤٠٦).

٤١ . د. درويش الجويدي ، ديوان أبي العتاهية، المكتبه العصرية، ط ١ (٢٠٠٨).

٤٢ . د. محمد مكية، بغداد، ط ١(٢٠٠٩).

٤٣ . أشرف السيد الشربيني، مصر في عهد الدولة الفاطمية.

٤٣ . صالح بن صقيه التميمي، الدولة الإخضرية قيامها وأسباب تسميتها وحدودها .

٤٤ . عبد الله الراشد، الاستيطان في وادي حنيفة من القرن ١ حتى منتصف القرن التاسع الهجري.

٤٥ . المواقع الإسلامية الإلكترونية (موقع الألوكة، موقع التاريخ الإسلامي، موقع الأسرة، موقع موسوعة المعرفة).

٤٦ . الشيخ صبحي الصالح، النظم الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت ط ١ (١٩٦٥ م) .

٤٧ . محمد عبد الحي شعبان، الثورة العباسية، ترجمة عبد المجيد القيسي، دار الدراسات الخليجية .

٤٨ . محمد بن مسفر الزهراني، نظام الوزارة في الدولة العباسية (العهدان البويهي والسلجوقي) مؤسسة الر سالة، بيروت ط ٣ ، ١٩٨٦ م .

٤٩ . د . حسين مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، بيروت، ١٩٩٢ م .

٥٠ . عبد الله الأمين، دراسات في الفرق القديمة المعاصرة ، دار الحقيقة، بيروت، ط ١، ١٩٨٦ م.

٥١ . هارون الرشيد والعصر الذهبي للدولة العباسية، موقع أسرة آل باوزير، ٢٤ شباط ٢٠١١.

٥٢ . د. عبدالسلام الترمانيني. أحداث التاريخ الاسلامي بترتيب السنين .

٥٣ . د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨١م.

٥٤ . د. عبد الحليم عويس، دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية دار الصحوة ، دار الوفاء الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٥٥ . محمد توفيق خفاجي، أثر الأتراك السياسي والاجتماعي في العراق في القرنين الثالث والرابع الهجري (رسالة ماجستير) .

٥٦ . د. سلامة بن محمد الهرفي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (دراسة سياسية وحضارية) ، منشورات المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٤ هـ .

٥٧ . د. عبد العزيز بن محمد اللميلم، العلاقات بين العلويين والعباسيين من سنة ٩٨ إلى سنة ٢٣٢ هـ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ، ١٤٠٩ هـ.

٥٨ . د . جمال الشيال ، تاريخ الدولة العباسية، ١٩٦٧ م .

٥٩ . د . فاروق عمر، بحوث في التاريخ العباسي، ط ١ ، دار القلم للطباعة ، بيروت، مكتبة النهضة. بغداد ١٩٧٧ م .

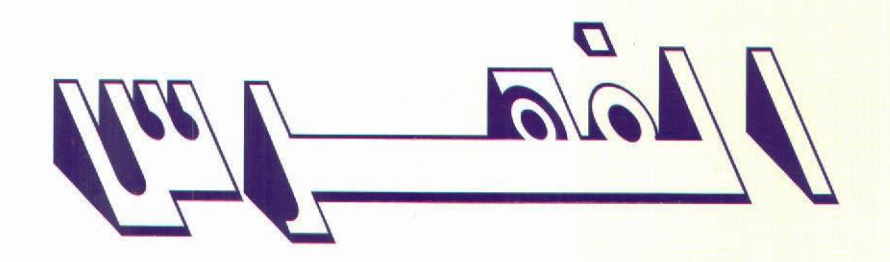
٦٠ . د . عبد المنعم ماجد، العصر العباسي الأول أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين (التاريخ السياسي) ط ٢ مكتبة الأنجلو المصرية .

٦١ . د . ياسر عبد الجواد المشهداني، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا، دار الفكر - عمان الأردن .

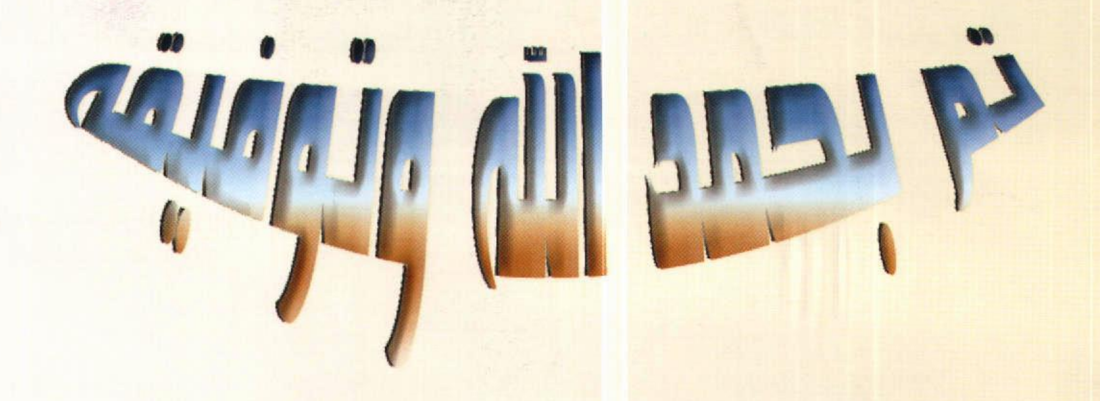
٦٢ . زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة، بيروت ط ٨، ١٩٩٣ م .

٦٤ . د. محمد بن أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، مكتبة الأقصى، عمان - الأردن، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ .

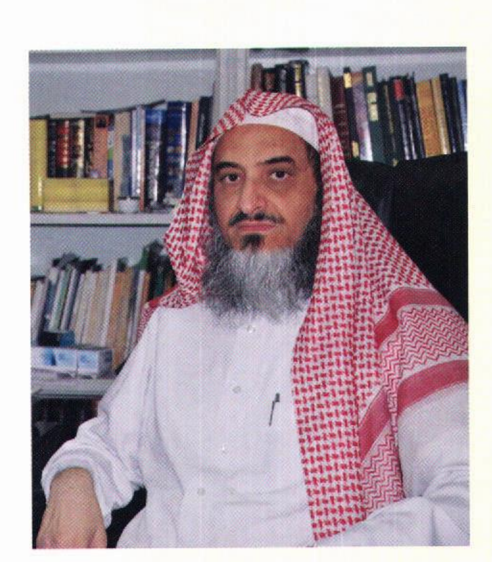
٦٥ . د. سهيل زكار، أخبار القرامطة في الأحساء - الشام - العراق - اليمن - ، جمع وتحقيق: نشر عبد الهادي صرصوني - دمشق .


الفهرس




تم بحمد الله وتوفيقه

سيرة ذاتية


سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

من مواليد مدينة المبرز بمحافظة الأحساء سنة ١٣٨٢ هـ.

بكالوريوس تربية؛ تخصص رئيس تاريخ، وفرعي جغرافيا.

إمام وخطيب جامع المغلوث بمدينة المبرز منذ عام ١٤١٩ هـ وحتى إعداد هذه السيرة في ١٨ / ٣ / ١٤٣٣ هـ ، حفظ القرآن الكريم في سن مبكر.

شارك في إعداد وثيقة المشروع الشامل لتطوير المناهج سنة ١٤٢٣ هـ.

كُلِفَ كعضو لفريق تأليف العلوم الاجتماعية للمشروع الشامل لتطوير المناهج بوزارة التربية والتعليم، وعين مشرفاً على الدعم الفني والتصميم التعليمي للمشروع.

عضو فريق تأليف الأطالس التعليمية بدارة الملك عبد العزيز، وممثل الجانب التاريخي عن وزارة التربية والتعليم في المشروع.

عضو فريق تأليف الأطالس المدرسية بمكتبة العبيكان بالرياض.

كُلِفَ من قبل وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف بإعداد (وثيقة أطلس تاريخ الدعوة الإسلامية) عام ١٤٢٩ هـ.

كُلِفَ من قبل الهيئة العامة للسياحة والآثار بإعداد (وثيقة تضمين المفاهيم السياحية والأثرية في المنتج التعليمي لمناهج التعليم بالمشروع الشامل لتطوير المناهج) عام ١٤٣٠ هـ، حسب مذكرة التفاهم بين الهيئة العامة للسياحة والآثار ووزارة التربية والتعليم .

كُلِفَ من قبل وزير التربية والتعليم بإعداد ورقة وزارة التربية والتعليم للمؤتمر الدولي للتراث العمراني بالدول الإسلامية، وتم تقديمها في المؤتمر سنة ١٤٣١ هـ.

كُلِفَ مديراً لمشروع الأطلس المصور التربية السياحية والذي تم الانتهاء منه في ١٥ / ٨ / ١٤٣٢ هـ.

كُلِفَ في ١ / ٢ / ١٤٣٢ هـ من قبل صاحب السمو الملكي الأمير سعود ابن عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة حائل بإعداد فكرة

أطلس النقوش والكتابات الأثرية بمنطقة حائل، وتم تفريغه للعمل بإدارة التربية والتعليم بمنطقة حائل لإنجاز وثيقة المشروع.

حصل على العديد من الشهادات العلمية والتربوية في مجالي تأليف وتصميم الكتاب المدرسي.

لديه اهتمام في علم السكة والنميات.

أهم مؤلفاته المطبوعة :

١- أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، طبع ونشر مكتبة العبيكان، ١١ طبعة. وترجم إلى عدة لغات عالمية كان آخرها اللغة الإندونيسية وبدعم من صاحب السمو الملكي الأمير / سلمان بن عبد العزيز - سلمه الله - أمير منطقة الرياض - آنذاك - ووزير الدفاع حالياً . وتم ترشيح هذا الكتاب من قبل معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العام الإسلامي لجائزة عالمية (مقال منشور بالمجلة العربية ١٤٢١ هـ)، ومن قِبل الأديب عبد الله الشباط لجائزة دول مجلس التعاون الخليجي، للعمل الإبداعي (مقال منشور في جريدة اليوم)، علماً أن هذا الأطلس قد تم تحويله إلى برنامج تلفزيوني لقناة دولة الكويت، من ٣٠ حلقة في رمضان سنة ١٤٢٧ هـ وتم استضافة المؤلف في بعض حلقاته بتقديم الشيخ عبد العزيز العويد.

٢- الأطلس التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (٧ طبعات)، طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض، وحقق هذا الكتاب وسابقه (الأكثر مبيعاً والأوسع انتشاراً) لخمسة مواسم متتالية، وقد قام تلفزيون دولة الكويت بتحويله هو الآخر لبرنامج تلفزيوني من ٣٠ حلقة في رمضان سنة ١٤٢٨ هـ. فهو أول أطلس مستقل يستعرض سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عبر الزمان والمكان، وذلك من خلال تسليط الضوء على مواقع أحداث السيرة النبوية. وتم ترجمته إلى لغات عالمية هو الآخر.

٣- أطلس الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، (٤ طبعات) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض.

٤- أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (٣ طبعات) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض. وقد تم ترجمته إلى اللغة الفارسية .

٥- أطلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، (طبعتان) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض.

٦- أطلس الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (طبعتان) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض. وقد تم ترجمته إلى اللغة التركية.

٧- أطلس الأديان، (ثلاث طبعات) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض في ٧٥١ صفحة من القطع الكبير. ويتناول هذا الأطلس؛ التعريف بالأديان (تاريخ - عقائد - انتشار) عبر خرائط تفصيلية على مسرح الحدث الخاص بالديانة، مع تدعيم كل معتقد بالصور والنصوص الموثقة، وتم استعراض الكتاب عبر وسائل الإعلام المختلفة.

٨- أطلس حروب الرِّدَّة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض، ١٤٢٩ هـ.

٩- أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض.

١٠- أهم الأحداث التاريخية في عهد الخلفاء الراشدين. رضي الله عنهم. ، دار الوراق (٣ طبعات) .

١١- غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم (خارطة جداريه) مقاس كبير، وخارطة أخرى لحروب الرِّدَّة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكلاهما طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض.

١٢- غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيلة تربوية معرفية، طبع ونشر الشركة العالمية للدعاية والإعلان بالرياض.

١٣- الفهد رائد التعليم الأول؛ بمناسبة عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم، وزارة التربية والتعليم. بتقديم معالي وزير التربية والتعليم السابق الدكتور / محمد الأحمد الرشيد.

١٤- المملكة العربية السعودية؛ قيادة وريادة، برنامج حاسوبي بالوسائط المتعددة.

١٥- أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ط . الأولى ١٤٣١ هـ ، مكتبة العبيكان .

١٦- أطلس الحج والعمرة " تأريخاً وفقهاً " مكتبة العبيكان، ط . الأولى ذو القعدة ١٤٣١ هـ.

١٧- أطلس تاريخ الدولة الأموية " مكتبة العبيكان، ١٤٣٢ هـ.

أهم مؤلفاته المترجمة :

١- أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا، طبعتان .

٢- الأطلس التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا، طبعتان باللغةالإندونيسية.

٣- الأطلس التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم للطباعة والنشر بتركيا، باللغة تركية.

٤- أطلس الدين الإسلامي (وهو مقتطع من أطلس الأديان) دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا، طبعة واحدة .

٥- أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا.

٦- أطلس الأديان، دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا، طبعة واحدة.

٧- أطلس الخليفة علي بن أبي طالب باللغة التركية (دار يوسف أوزبك للطباعة والنشر بتركيا) باللغة التركية .

٨- أطلس الحج والعمرة " تأريخاً وفقهاً " بالإندونيسية والتركية .

٩- الأطالس الأولى للمؤلف قامت دار التوحيد بفرنسا بترجمتها إلى اللغة الفرنسية.

١٠-تم الاتفاق مؤخراً مع دار السلام بالرياض – بناء على رغبتها - بترجمة (١٢) أطلساً إلى اللغة الأوردية وذلك من خلال التنسيق مع مكتبة العبيكان .

مؤلفات مشتركة :

أطلس المملكة العربية السعودية (المرحلة الابتدائية)، طبع ونشر مكتبة العبيكان .

أطلس المملكة العربية السعودية (المرحلة المتوسطة)، طبع ونشر مكتبة العبيكان .

أطلس المملكة العربية السعودية (المرحلة الثانوية)، طبع ونشر مكتبة العبيكان .

مناهج وزارة التربية والتعليم للمشروع الشامل للمناهج للمرحلتين (الابتدائية والمتوسطة) كتاب الطالب والنشاط والمعلم عدد (٣٦) كتاب .

المشاركة الحالية في إعادة تأليف وتصميم كتب الطالب والنشاط والمعلم المرحلة الثانوية (نظام المقررات) عام ١٤٣١ هـ .

المشاركة في البرامج الفضائية :

تسجيل ١٣ حلقة من إعداده وتقديمه لقناة « صفا الكويتية » عن حروب الرِّدَّة في عهد الخليفة الراشدأبي بكر الصديق رضي الله عنه . وقد عرضت خلال ثلاث دورات متتالية.

تسجيل مجموعة من الحلقات الميدانية لحركة الفتح الإسلامي، للقناة نفسها .

المشاركة في برنامج ثقافي عن (الكتاب) لتلفزيون قطر من إعداد وتقديم الدكتور / عبد الرحمن العشماوي، حيث تم تخصيص لقاء لمدة ساعة كاملة عن الحديث عن أطلس تاريخ الأنبياء والرسل مع المؤلف .

المشاركة في بعض حلقات برنامج الميدان التربوي والذي كان يقدم عبر قناة المملكة العربية السعودية الأولى في عام ١٤٢٠ هـ، مع الإعلامي أ . ماجد الحجيلان.

المشاركة في محاضرة عن تاريخ قبيلة طيء في الإسلام في برنامج مهرجان سلمى السياحي عام ١٤٢٩ هـ والذي نقلته قناتي الصحراء والنايلات.

المشاركة في برنامج صباح السعودية في دورته الجديدة في شهر شوال ١٤٣٠ هـ .

المشاركة في برنامج ساعة حوار بقناة المجد الفضائية مع مقدم البرنامج، د . فهد السنيدي، بعنوان " الحج تاريخياً " .

المشاركة عبر برنامج ثقافي عبر قناة الثقافية تقديم أ . محمد بودي .

المشاركة في برنامج ثقافي على الهواء في قناة الإخبارية تقديم أ . خالد العقيلي، بمناسبة مؤتمر التراث العمراني الأولى في الدول الإسلامية.

المشاركة في برنامج خير جليس بالقناة الثقافية السعودية، تقديم د . صالح المحمود.

المشاركة في قناة الإخبارية للعام ١٤٣٢ هـ عن معرض الكتاب الدولي بالرياض.

ألقى العديد من المحاضرات عن الأطالس التاريخية في بعض الجامعات السعودية، و بعض إدارات التربية والتعليم بالمملكة، والمشاركة في بعض الصوالين الثقافية.

مؤلفات تحت الإعداد إن شاء الله تعالى:

١ – أطلس تاريخ المذاهب والفرق الإسلامية، وهو مكمل لكتاب أطلس تاريخ الأديان « تاريخ – عقائد – انتشار » والذي صدر قبل سنوات.

٢ – أطلس تاريخ العصر المملوكي .



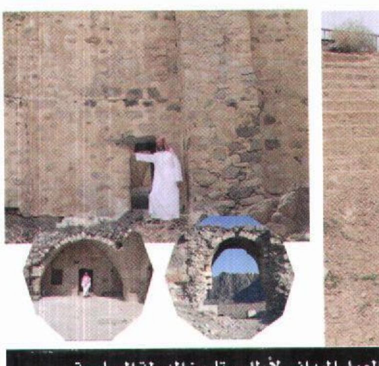
بعض مشاركات المؤلف في القنوات الفضائية



المشاركة في المجالس العلمية والصوالين الثقافية



المشاركة في أنشطة الجامعات السعودية





المؤلف أثناء العمل الميداني لأطلس تاريخ الدولة العباسية

وختاماً أقول كما قال القاضي المؤرخ ابن الحاج البلفيقي الأندلسي:

يا مـــن إذا رُمـــت توديعـــهم   ودَّعـــت قلـــبي قبل ذاك الوداع